

كتاب
الامتاع والموائمة

تأليف
أبي حيان التوحيدي

وهو مجموع مسامرات في فنون شتى
حاضر بها الوزير أبا عبد الله العارض في نحو أربعين ليلة

للمخرج الأول

صححه وضبطه وشرح عربيه
أحمد أمين و أحمد الزين

دار مكتبة الحياة
للطباعة والنشر والتوزيع

مقدمة الناشر

ان من غايات مكتبة الحياة للطباعة والنشر ان تبقى مجلة في كل مضمار يرتبط بالكتاب ، مهما اختلف نوعه ومنعاه ، شرط ان يكون ذا قيمة انسانية يسهم في البناء الثقافي العربي المعاصر ، وقد الف القراء مفاجآت هذه المؤسسة النشيطة بكتب التراث العربي الضخمة أمثال «الآغانى» لابي الفرج الاصبهاني و«محاضرات الادباء» لابي القاسم حسين محمد الراغب الاصبهاني و«مجمع الامثال» للميداني و«عيون الانباء في طبقات الاطباء» لابن ابي أصيبعة واخيراً الموسوعة التاريخية الادبية الضخمة «شرح نهج البلاغة» لابن ابي الحديد . كما نشرت «معجم متن اللغة» للشيخ احمد رضا في خمسة مجلدات . مع عشرات الكتب الماثلة في الادب والفكر . التاريخ ، يقابلها ثروة من الترجمات العالمية لمفكرين أمثال : اشبنغلر ووايتهد وبرتراند راسل وجان بول سارتر وكامو وجون ديوي وكثيرين غيرهم في حقول مختلفة من اقتصاد وعلم وسياسة وفلسفة وفن الخ.. وغاياتنا من هذا النشاط الرصين هي اغناء المكتبة العربية وتهيئة الجوار فيها للكاتب العالمية ، الآمنة الجوار .

وهي اذ تقدم كتاب «الامتناع والموانسة» في حلته هذه فانما تعتبره حلقة من سلسلة في موضوعه تواصل بها رسالتها أمام تراث الحضارة العربية ولخدمة ثقافة العرب المعاصرة .

مقدمة

كتاب الامتاع والمؤانسة

بقلم : احمد أمين

أبو حيان التوحيدى من أولئك العلماء الأدباء ، الذين أصيبوا فى حياتهم بالبوّس والشقاء ، وظل حياته يجاهد ويكافح فى التأليف واحتراف الوراقه والنسخ وجوب الأقطار ، يقصد الأمراء والوزراء لعلهم يكافئون علمه وأدبه ، فلم يحظ من كل ذلك بطائل ، وعاش كما يقول فى بعض كتبه على نحو أربعمين درهما فى الشهر أى ما يساوى جنيتها واحداً — مع أنه كما يقول — رأى كل من حوله من العلماء والشعراء يحظون من الأمراء بالمال الكثير والحظ الوافر ، وليس أكثرهم يدانيه علماً أو يجاريه أدبا . قصد ابن العميد وابن عباد وابن شاهويه وابن سعدان وأبا الوفاء المهندس وغيرهم ، ومدح وأطرى ، وبكى واشتكى ، وهدد وأوعد ، فما نفعه مدحه ولا ذمه ، ولا إطراؤه ولا هجاؤه ، فإن استفاد شيء مما عاناها أبو حيان فإنما هو الأدب بما كتب وألف ، وبما حجا واستعطف .

ولم يكن حظه بعد وفاته بأحسن من حظه فى حياته ، فقد عجب ياقوت من أن مؤرخى الرجال لم يترجموا له ، مع أنه فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة ، ولم نعرف فيما بين أيدينا من الكتب على ترجمة وافية لحياته إلا نتفاً قصيرة وأخباراً ضئيلة .

وأراد هو أن ينتقم من الناس الذين كفروا بصنيعه ، وجحدوا علمه وأدبه ، فأحرق فى آخر أيامه كتبه ، وقال : « إني جمعت أكثرها للناس ولطلب المثالة

منهم ، ولعقد الرياضة بينهم ، ولمد الجاه عندهم ، فحرمت ذلك كله... ولقد اضطرت بينهم بعد العشرة والمعرفة في أوقات كثيرة إلى أكل الخضر في الصحراء ، وإلى التكفف الفاضح عند الخاصة والعامة ، وإلى بيع الدين والروءة ، وإلى تعاطي الرياء بالسمعة والنفاق ، وإلى ما لا يحسن بالحر أن يرسمه بالقلم ، ويطرح في قلب صاحبه الألم .

قال السيوطي : « ولعل النسخ الموجودة الآن من تصانيفه كتبت عنه في حياته وخرجت من قبل حرقها » .

وكان من شؤمه أنه لم يبق من كتبه التي ألفها — وتبلغ نحو العشرين — إلا القليل ، ولم يطبع منها إلا المقابسات والصداقة والصديق ، ورسالة في العلوم ، وما بقي منها مخطوطاً ، بل وما طبع منها مملوء بالتحريف والتصحيح إلى حد يقلل من قيمتها والانتفاع بها .

ولعل أقوم كتبه وأنعمها وأتممها كتابه الذي نحن بصددده وهو « كتاب الإمتاع والمؤانسة » .

فهو كتاب ضخم يقع في ثلاثة أجزاء أخذنا أنفسنا بنشره لتعميم نفعه . ولتأليف أبي حيان لهذا الكتاب قصة ممتعة ، ذلك أن أبا الوفاء المهندس كان صديقاً لأبي حيان وللوزير أبي عبد الله العارض ، فقرب أبو الوفاء أبا حيان من الوزير ، ووصله به ، ومدحه عنده ، حتى جعل الوزير أبا حيان من مُتماره ؛ فسارمه سبعا وثلاثين ليلة كان يحادثه فيها ، ويطرح الوزير عليه أسئلة في مسائل مختلفة فيجيب عنها أبو حيان .

ثم طلب أبو الوفاء من أبي حيان أن يقص عليه كل ما دار بينه وبين الوزير من حديث ، وذكره بنعمته عليه في وصله بالوزير ، مع أنه « أي أبا حيان »

ليس أهلاً لمصاحبة الوزراء لقبح هيئته وسوء عادته وقلة مراعاته وحقارة لبسته ،
وهده إن هو لم يفعل أن يفض عنه ، ويستوحش منه ، ويوقع به عقوبته ،
وينزل الأذى به .

فأجاب أبو حيان طلب أبي الوفاء ، ونزل على حكمه ، وفضل أن يدون ذلك
في كتاب يشتمل على كل ما دار بينه وبين الوزير من دقيق وجليل وحلو ومر ،
فوافق أبو الوفاء على ذلك ، ونصحه أن يتوخى الحق في تضاعيفه وأثناؤه ،
والصدق في إirاده ، وأن يعطى فيما يستوجب الإطنا ب ، ويصرح في
موضع التصريح .

« فكان من ذلك كتاب الإمتاع والمؤانسة »

من هو الوزير أبو عبد الله العارض الذي ساءره أبو حيان ؟
لقد بحث عنه في مظانه فلم أوفق إلى العثور عليه ، وقبل ذلك عني الرحوم
أحمد زكي باشا بالبحث والسؤال عنه من بعض علماء الشرق والغرب فكان
حظه حظي .

وأخيراً رجحت أنه هو الوزير أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن سمدان
وزير مصمّام الدولة البويهى ، وقد ورد اسمه هكذا في كل ما راجعت من
كتب التاريخ أمثال : (تجارب الأمم) وذيله (وابن الأثير) ، ولم يلقيه أحد منهم
(بالعارض) ؛ وكلمة (العارض) كما في كتاب (الأنساب للسمعاني) معناها : « من
يعرف العسكر ويحفظ أرزاقهم ، ويوصلها إليهم ويعرضهم على الملك إذا احتيج
إلى ذلك » فالظاهر أن الوزير أبا عبد الله لقب هذا اللقب إما لأنه تولى هذا
العمل قبل أن يتولى الوزارة ، أو كان هذا لقباً لأسرته ؛ ودليلي على ذلك أمور :
(١) أنه ورد في صدر هذا الكتاب أن أبا الوفاء ذكر لأبي حيان :

أنك لما انكفأت من الرمي إلى بغداد في آخر سنة ٣٧٠ مغيظاً من ابن عباد ، وعدتلك صلاح حالك ، وأن أوصلك إلى الأستاذ أبي عبد الله العارض ، ثم جاء وصف أبي عبد الله هذا بالوزير .

ونحن إذا رجعنا إلى من استوزر فيما بين سنة ٣٧٠ وسنة ٣٧٥ لم نجد وزيراً يكتفى بأبي عبد الله إلا الوزير أبا عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان ، فقد استوزره مصمص الدولة سنة ٣٧٣ وقتله سنة ٣٧٥ .

(٢) جاء في أثناء كتاب « الإمتاع والمؤانسة » أن أبا حيان قص على الوزير أنه سمع رجلاً على جسر بغداد يقول وقد رأى ابن بقية الوزير المشهور مصلوياً بعد أن مات عضد الدولة : « سبحان الله ! عضد الدولة تحت الأرض وابن بقية فوق الأرض » ، فلما سمع الوزير ذلك قال : استأذنت الملك في دفن ابن بقية فدفن .

وقد ذكر المؤرخون أن ابن بقية دفن في عهد مصمص الدولة ؛ ولم يكن لمصمص الدولة وزير يكتفى بأبي عبد الله غير ابن سعدان .

(٣) ومما يستأنس به أن أبا حيان كان متصلاً بالوزير ابن سعدان وألف له كتاب « الصداقة والصديق » وقد ذكر في أوائله « أن السبب كان في إنشاء هذه الرسالة أني ذكرت شيئاً منها لزيد بن رفاعه أبي الخير ، فتمناه إلى ابن سعدان سنة إحدى [وسبعمين] وثلاثمائة قبل تحمله أعباء الدولة وتديره أمر الوزارة حين كانت الأشغال خفيفة ، والأحوال على أذلالها جارية ، فقال لي ابن سعدان : قد قال لي زيد عنك كذا وكذا . قلت : قد كان ذلك . قال : فدون هذا الكلام وصله بصلاته فجمعت ما في هذه الرسالة » .

فانصل أبي حيان بابن سعدان وتأليفه له كتاب «الصدقة والصديق» يرجح الظن بأنه هو أبو عبد الله العارض .

نم كان من رجال مصمم الدولة من اسمه أبو الحسن بن عمارة العارض استخدمه مصمم الدولة في السفارة بينه وبين أعدائه أحيانا ، ولكن يبعد أن يكون هو الذي ألف له كتاب الإمتاع والمؤانسة — لأن كنيته أبو الحسن والذي ألف له الكتاب أبو عبد الله — ولأن أبا الحسن لم يكن وزيراً لمصمم الدولة . وفي الكتاب النص في مواضع متعددة على أنه ألفه لوزير .

(٤) ذكر في كتاب « الإمتاع والمؤانسة » أصدقاء أبي عبد الله العارض وعدد منهم ابن زرعة وأبا الوفاء المهندس ومسكويه والأهوازي وبهرام وابن شاهويه ، وأنهم كانوا يلزمونهم وأنهم أهل مجلسه ، وعدد في كتاب الصدقة والصديق أصدقاء ابن سعدان فإذا هم^(١) ؛ فاتحاد الأصدقاء وتوافقهم واجتماعهم في مجلس وزير يرجح الظن جدا بأن ابن العارض هو ابن سعدان .

(٥) جاء في « كتاب الإمتاع والمؤانسة » أن الوزير سأل أبا حيان عما يقول الناس فيه . فقال له : « سمعت يباب الطاق قوما يقولون : اجتمع الناس اليوم على الشط ، فلما نزل الوزير ليركب الزئرب صاحوا وضجوا وذكروا غلاء القوت وعوز الطعام وتعذر الكسب وغلبة الفقر ، وأنه أجابهم بجواب مُرّ مع قطوب الوجه وإظهار التبرم » .

وهذه الأوصاف كلها تنطبق على ما ذكره أبو شجاع في كتابه « ذيل تجارب الأمم » عن حادثة جرت لابن سعدان .

وابن سعدان هذا استوزره مصمصم الدولة البويهى سنة ٣٧٣ لما تقلد الأمور بعد وفاة أبيه عضد الدولة . جاء فى كتاب « ذيل تجارب الأمم لأبى شجاع : « وفيها [أى فى سنة ٣٧٣] خلع على أبى عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان خلع الوزارة — وكان رجلاً باذلاً لعطائه ، مانعاً للقائه ، فلا يراه أكثر من يقصده إلا ما بين نزوله من درجة داره إلى زبزه ^(١) ؛ ومع ذلك فلا يخيب طالب إحسان منه فى أكثر مطلبه فبسط يده فى الإطلاقات والصلات وأحدث من الرسوم استيفاء العشر من جميع ما تسبب به الأولياء والكتّاب والحواشى من أموالهم وأرزاقهم وانضاف إلى ضيق خلقه ما اتفق فى وقت نظره من غلاء سعر ، فتطيرت العامة ورجحوا زبزه ، وشغبوا الديلم عليه ، وهجموا على نهب داره ، وابتدت الحال إلى ركوب مصمصم الدولة إلى مجتمهم حتى تلافاهم وردّم ^(٢) . »

وقد ظل ابن سعدان فى الوزارة إلى سنة ٣٧٥ حتى ظهر له خصم هو أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف ، فظل يكيد له وينصب الشباك للإيقاع به .

وحدث أن ابن سعدان أراد أن يعين أباه كاتباً لوالدة مصمصم الدولة لما مات كاتبها ، فقال أبو القاسم لمصمصم الدولة : « إن ابن سعدان قد استولى على أمورك ، وملك عليك خزائنك وأموالك ، فإذا تم له حصول والده مع السيدة حصلنا تحت الحجر معه ^(٣) . » وتمت المكيدة ولم يعين أبوه . ثم قبض على ابن سعدان وأصحابه وأودعوا السجن ، واستوزر مصمصم الدولة هذا الواشى

(١) الزبزب : ضرب من السفن .

(٢) ص ٨٥ .

(٣) ص ١٠٣ .

أبا القاسم عبد العزيز بن يوسف ، ولم يكتف أبو القاسم بمحبس ابن سعدان فاتهز فرصة خروج نائر على مصمص الدولة اسمه « أسفار بن كردويه » يريد خلعه ، فذس أبو القاسم إلى مصمص الدولة أن ابن سعدان متصل بهذا النائر وأن الذى جرى كان من فعله وتديره ، وأنه لا يُؤمن ما يتجدد منه فى محبسه ، فأمر مصمص الدولة بقتله ، فقتل سنة ٣٧٥

وكان لابن سعدان ناحية أخرى علمية أدبية يصورها أبو حيان فى كتبه ، فهو واسع الاطلاع ، له مشاركة جيدة فى كثير من فروع العلم من أدب وفلسفة وطبيعة وإلهيات وأخلاق ، يدل على ذلك حواراه الذى يحكيه أبو حيان فى كتابه الإمتاع والمؤانسة والمقابسات ، فهو يسأل أسئلة عميقة ، وينقد الإجابة عنها نقداً قيمياً .

وفوق ذلك كان له فى وزارته منتدى يجمع كثيراً من جلة العلماء والأدباء منهم ابن زرة الفيلسوف النصفاني ، وابن مسكويه صاحب (تهذيب الأخلاق) (وتجارب الأمم) ، وأبو الوفاء المهندس الذى سنتحدث عنه ، وأبو سعد بهرام بن أردشير ، ومن الشعراء ابن حجاج الشاعر الماحن المشهور ، ومن الكتاب أبو عبيد الخطيب الكاتب ، وأبو حيان صاحبنا .

وكان له مجلس شراب يجلس إليه بعض هؤلاء فيتفككهون ويتنادرون ويذهبون فى فنون الحديث كل مذهب ، ومجلس جد يتحاورون فيه ويتناقشون فى الفلسفة والأخلاق والأدب .

وكان يباهى بمجلسه ويفخريه على مجالس الأمراء المعاصرين له ، مثل المهلبى وابن العميد والصاحب بن عباد . فيقول فى أصحابه هؤلاء : « ما لهذه الجماعة بالعراق شكل ولا نظير ، ... وأن جميع ندماء المهلبى لا يفون بواحد من

هؤلاء ، وأن جميع أصحاب ابن العميد يشتهون أقل من فيهم ، وأن ابن عباد ليس عنده إلا أصحاب الجدل الذين يشغبون ويحمقون ويتصايحون^(١) . فلا عجب — إذن — أن يكون من نتاج ابن سعدان الوزير العالم هذا الكتاب الذي نحن بصده ؛ كتاب « الإمتاع والمؤانسة » .

وأما أبو الوفاء الذي وصل أبا حيان بابن سعدان والذي ألف أبو حيان له كتاب « الإمتاع والمؤانسة » ودون له فيه كل ما دار بينه وبين الوزير في سبع وثلاثين ليلة ، فهو محمد بن محمد بن يحيى البوزجاني . ترجم له ابن النديم في (الفهرست) وابن خلكان في (وفيات الأعيان) ؛ وقال فيه هذا الأخير : « إنه أحد الأئمة المشاهير في علم الهندسة ، وله فيه استخراجات غريبة لم يسبق بها ، وكان شيخنا العلامة كمال الدين أبو الفتح موسى بن يونس — وهو القيم بهذا الفن — يبالغ في وصف كتبه ، ويعتمد عليها في أكثر مطالعاته ويحتج بما يقوله وكان عنده من تأليفه عدة كتب وكانت ولادته سنة ٣٢٨ بمدينة بوزجان ، وقدم العراق سنة ٣٤٨ ، وتوفي سنة ٣٧٦ » . وقد ذكر ابن خلكان أنه نقل تاريخ الوفاة هذا من شيخه ابن الأثير . ولكن الذي في ابن الأثير أنه عدّ وفاته في حوادث سنة ٣٨٧ ، فإما أن ابن خلكان أخطأ في النقل أو أن الناسخ أخطأ في الكتابة .

وكان أبو الوفاء هذا من ندماء ابن سعدان كما تقدم ، وقد وصفه ابن سعدان في جملة ما وصف من أصحابه . فقال : « وأما أبو الوفاء ، فهو والله ما يقعد به عن المؤانسة الطيبة والمساعدة للطربة والمفاكهة اللذيذة والمواتاة الشبية ، إلا أن لفظه خراساني ، وإشارته ناقصة ، هذا مع ما استفاده بمقامه الطويل ببغداد ، والبغدادى

إذا تخرسن كان أعلى وأظرف من الخراساني إذا تبغدد^(١) .

إلى هنا رأينا أن الكتاب ألف لأبي الوفاء المهندس ، نقل فيه أبو حيان ما دار بينه وبين ابن سعدان . ولكن التقطى في كتابه « أخبار الحكماء » عند ترجمته لأبي سليمان المنطقي أورد كلاماً يناقض ما نقول ، سواء في ذلك من ألف له الكتاب ، ومن دار الحديث بينه وبين أبي حيان .

فقد ذكر : « أن أبا سليمان كان أعور ، وكان به وَصَح ، وكان ذلك سبب انقطاعه عن الناس ولزومه منزله ، فلا يأتيه إلا مستفيد وطالب علم ، وكان يشتهي الاطلاع على أخبار الدولة وعلم ما يحدث فيها وكان أبو حيان التوحيدى من بعض أصحابه المتصمين به ، وكان يغشى مجالس الرؤساء ويطلع على الأخبار ، ومهما علمه من ذلك نقله إليه وحاضره به ، ولأجله صنف كتاب « الإمتاع والمؤانسة » نقل له فيه ما كان يدور في مجلس أبي الفضل عبد الله بن العارض الشيرازي عند ما تولى وزارة صمصام الدولة بن عضد الدولة^(٢) . وأنا أرجح خطأ التقطى في الوجهين معاً .

فأما في الأول : فإن النسخة التي بيدي تذكر أنه ألفه لأبي الوفاء المهندس لا لأبي سليمان المنطقي . ويقول في صدر الكتاب : إنه ألفه رداً لجميل أبي الوفاء إذ كان هو الذي أوصله لأبي عبد الله . وعندما يأتي ذكر أبي الوفاء في ثنايا الكتاب ، ويسأل أبو عبد الله أبا حيان عن رأيه فيه يمدحه ويثنى عليه ، ويقول : كيف أذمه وهو الذي أوصلني بك ، وقد سبق أن أثبتنا أن أبا الوفاء كان من ندماء أبي عبد الله .

(١) الصداقة والصديق ٣٢ .

(٢) أخبار الحكماء ص ٧٨٣ .

ودليل آخر ، وهو أن أبا حيان في بعض كلامه في الكتاب يستجدي من ألف له الكتاب ، وقد كان أبو الوفاء المهندس في منزلة تسمح له بذلك ، فإنه رجل جليل القدر يلقبه الوزير بشيخنا . أما أبو سليمان فكان فقيراً كما ذكر ذلك أبو حيان في هذا الكتاب ، وكانت صلة أبي حيان به صلة علمية لا صلة مالية ، فمن البعيد جداً أن يستجديه أبو حيان .

ودليل ثالث : وهو أن الوزير أبا عبد الله سأل أبا حيان في الكتاب عن أبي سليمان هذا ، فذكر له أوصافه ، وفيها ما هو عيب لأبي سليمان كقوله : إنه يجتمع مع قوم للشراب ، ويذكر بعضهم الوزير بالسوء ، فلو كان أبو حيان ألقه لأبي سليمان لكان بعيداً كل البعد أن يذكر هذا الحديث .

ودليل رابع : وهو أن أبا حيان ينقل في كتابه هذا عن أبي سليمان ، ويذكر آراءه ، وينقل بعض رسائله إلى الوزير ، ولو كان يؤلف الكتاب لأبي سليمان لاستغنى عن ذكر ما يعرفه أبو سليمان عن نفسه من أقواله ورسائله ، ولكن أبو حيان في ذلك كمن ينقل إلى البئر ماءه ، وإلى الكنز ذهبه ، وهذا غير مألوف ولا مستساغ .

لهذا كله نرجح خطأ القفطي فيما ذهب إليه من أنه ألقه لأبي سليمان المنطقي . كما نرجح خطأه في الشق الثاني ، وهو أن أبا حيان دون فيه ما كان يدور بينه وبين أبي الفضل عبد الله بن العارض الشيرازي وزير مصطام الدولة . ذلك لأن النسخة التي بين أيدينا يذكر فيها أبو حيان أنه دون فيه ما دار بينه وبين أبي عبد الله العارض لا أبي الفضل عبد الله بن العارض . وقد راجعنا كتب التاريخ التي بين أيدينا وأحصينا فيها من تولى الوزارة لمصطام الدولة ، فلم نجد من بينهم أبا الفضل عبد الله بن العارض الشيرازي الذي ذكره القفطي

وكما تقول دائرة المعارف الإسلامية في مادة أبي حيان تبعاً له .

نعم رأينا من يسمى أبا الفضل الشيرازي ، وكان يعيش في هذا العصر ولكن اسمه أبو الفضل محمد بن عبد الله بن المرزبان الشيرازي لا أبو الفضل عبد الله الشيرازي كما يقول القفطي . وكان هذا كاتباً لا وزيراً ، وكان صديقاً لأبي على الحسن التنوخي ، ونقل عنه كثيراً في كتابه « نشوار الحاضرة » ولقبه الكاتب لا الوزير . والذي ألف له الإمتاع والمؤانسة وزير لا كاتب .

يضاف إلى ذلك ما ذكرنا قبل من البراهين .

فالكاتب — في رأينا — كتب لأبي الوفاء المهندس لا أبي سليمان المنطقي ودون فيه ما دار في مجلس ابن سعدان لا أبي الفضل الشيرازي .

وصف الكتاب : قال القفطي في وصفه : « وهو كتاب ممتع على الحقيقة لمن له مشاركة في فنون العلم ، فإنه خاض كل بحر ، وغاص كل لجة ، وما أحسن ما رأيته على ظهر نسخة من كتاب الإمتاع بخط بعض أهل جزيرة صقلية وهو : ابتداء أبو حيان كتابه صوفياً وتوسطه محدثاً ، وختمه سائلاً ملحقاً ^(١) » .

قسم أبو حيان كتابه إلى ليال ، فكان يدون في كل ليلة ما دار فيها بينه وبين الوزير على طريقة قال لي وسألني وقلت له وأجبتة . وكان الذي يقترح الموضوع دائماً هو الوزير . وأبو حيان يجيب عما اقترح ، وكان الوزير يقترح أولاً موضوعاً حسبما اتفق وينتظر الإجابة ؛ فإذا أجاب أبو حيان أثارته إجابته أفكاراً ومسائل عند الوزير فيستطرد إليها ويسأله عنها ، فقد يسأله سؤالاً يأتي

(١) أخبار الحكماء ٢٨٣ .

في أثناء الإجابة عنه ذكر لابن عباد أو ابن العميد أو أبي سليمان المنطقي ، فيسأله الوزير عنهم وعن رأيه فيهم ، وهكذا ، يستطرد من باب لباب ، حتى إذا انتهى المجلس كان الوزير يسأله غالباً أن يأتيه بطرفة من الطرائف يسميها غالباً : « ملححة الوداع » فيقول الوزير — مثلاً — : إن الليل قد دنا من فجره ، هات ملححة الوداع . وهذه الملححة تكون — عادة — نادرة لطيفة أو أبياتاً رقيقة ، وأحياناً يقترح الوزير أن تكون ملححة الوداع شعراً بدوياً يشم منه رائحة الشيخ والقيصوم وهكذا .

وأحياناً يكلفه الوزير أن يتم له المسألة المعروضة في رسالة ؛ فقد سأله مرة عن المصادر التي تجيء على وزن تفعال ، فأجابه أبو حيان عن بعضها ، ثم طلب منه الوزير أن يجمع له ما جاء في اللغة منها .

وأحياناً يتخذ الكلام شكل حوار . فأبو حيان — مثلاً — يروي عن ديوجانيس أنه سئل : متى تطيب الدنيا ؟ . فقال : « إذا تفلسف ملوكها ، وملك فلاسفتها » ؛ فلم يرض الوزير عن هذا ، وقال : إن الفلسفة لا تصح إلا لمن رفض الدنيا وفرغ نفسه للدار الآخرة ؛ فكيف يكون الملك رافضاً للدنيا وقالياً لها ، وهو محتاج إلى سياسة أهلها ، والقيام عليها باجتلاب مصالحها ونفي مفاسدها ! — وأطال في ذلك — وفي كثير من الأحيان يعلق الوزير على إجابة أبي حيان بالاستحسان أو الاستهجان مع ذكر أسباب ذلك .

وأحياناً يطلب إليه الوزير أن يحضر له رسالة في موضوع ، ثم يتلوها عليه في جلسة مقبلة كما فعل مرة ، إذ كلفه أن يكتب له في المجون والملح ، ففعل أبو حيان وقرأها عليه في مجلس . قال أبو حيان : « فلما قرأتها على الوزير قال : ما علمت أن مثل هذا الحجم يحوى هذه الوصايا والملح » .

وأونة يثير الوزير مسائل أشكلت عليه في اللغة والفلسفة والاجتماع ،
يعرضها على أبي حيان ويطلب منه الجواب فيفعل .

ويحدث أحياناً أن الوزير يدفع لأبي حيان برقعة فيها أسئلة يطلب إليه
أن يفكر في الإجابة عنها ، ويتصل بغيره من العلماء ليأخذ رأيهم فيها ؛ كما حدث
مرة أنه دفع إليه رقعة بخطه فيها مطالب ، وقال : باحث عنها أبا سليمان
وأبا الخير ، ومن تعلم أن في محاورته فائدة . وكان في الرقعة أسئلة منها عن الروح
وصفته ومنفعته ، وما المانع أن تكون النفس جسماً أو عرضاً أو هباء ؛ وهل تبقى ؟
وإن كانت تبقى فهل هي تعلم ما كان الإنسان فيه ههنا الخ . ويقول الوزير في آخر
هذه الرقعة : « إن هذا وما أشبهه شاغل لقلبي وجائهم في صدري ، ومعتض بين
نفسى وفكرى ، وما أحب أن أبوح به لكل أحد » ؛ ويأمره بأن يكتب خطه
فإن أراد أن يعرض هذه المسائل مكتوبة على أبي سليمان فلينسخها بخطه هو . ثم
سأل أبو حيان أبا سليمان وذكر إجابته عنها ونقلها إلى الوزير ، وعلى هذا النمط
يجرى تأليف الكتاب .

وموضوعات الكتاب متنوعة تنوعاً ظريفاً لا تخضع لترتيب ولا تبويب ،
إنما تخضع لخطرات العقل وطيران الخيال وشجون الحديث . حتى لنجد في
الكتاب مسائل من كل علم وفن ؛ فآدب وفلسفة وحيوان ومجون وأخلاق وطبيعة
وبلاغة وتفسير وحديث وغناء ولغة وسياسة وتحليل شخصيات لفلاسفة العصر
وأدبائه وعلمائه وتصوير للعادات وأحاديث المجالس ، وغير ذلك مما يطول شرحه .

فلما أراد أبو حيان أن يدون لأبي الوفاء ما دار بينه وبين الوزير زاد فيه ونمق
الحديث . وكان يدون جزءاً ويرسله إلى أبي الوفاء ويتبعه بجزء آخر وهكذا ...

وحدث هو نفسه عن ذلك كله في أول الجزء الثاني فقال : « قد فرغت من الجزء الأول على ما رسمت لي القيام به ، وشرفتني بالخوض فيه ، وسردت في حواشيه أعيان الأحاديث التي خدمت بها مجلس الوزير ، ولم آل جهداً في روايتها وتقويمها ، ولم أجنح إلى تعمية شيء منها ، بل زبرجت كثيراً بناصع اللفظ مع شرح الغامض ، وصلة المحذوف ، وإتمام المنقوص ، وحلته إليك على يد « فائق » الغلام ، وأنا حريص على أن أتبعه بالجزء الثاني ، وهو يصل إليك في الأسبوع إن شاء الله .

وقد خاف أبو حيان من بعض ما ورد في الكتاب ؛ فإنه في حديثه مع الوزير عاب أشخاصاً من رجال الدولة الذين يستطيعون إيذاؤه ، فرجا أبا الوفاء أن يحفظ هذا الكتاب سرا ، فقال : « وأنا أسألك ثانية على طريق التوكيد كما سألتك على طريق الاقتراح أن تكون هذه الرسالة مصونة عن عيون الحاسدين العمييين ، بعيدة عن تناول أيدي المفسدين المنافسين ، فليس كل قائل يسلم ، ولا كل سامع ينصف » .

وقد أنجز أبو حيان وعده ، وأرسل إليه الجزء الثاني على يد غلامه فائق أيضاً . ثم أرسل إليه الجزء الثالث وهو الأخير ، وقال في أوله :

« قد أرسلت إليك الجزئين الأول والثاني . وهذا الجزء — وهو الثالث قد والله ألقيت فيه كل ما في نفسي من جد وهزل ، وغث وسمين ، وشاحب ونضير ، وفكاهة وأدب ، واحتجاج واعتذار ولأنه آخر الكتاب ختمته برسالة وصلتها بكلام في خاص أمري » .

وعلى هذا الوضع ينتهي الكتاب .

ولست أستبعد أن يكون أبو حيان قد تزايد فيه ، واخترع أشياء لم تجر في

مجلس الوزير ، فقد عرف عنه أمثلة من هذا القبيل ، فقد اتهمه العلماء من قبل ومنهم ابن أبي الحديد بأنه وضع الرسالة المشهورة المعروفة إلى أبي عبيدة على لسان أبي بكر وعمر في حق علي بن أبي طالب ، ولعل هذا التزويد كان من ضمن الأسباب التي دعت أن يرجو أبا الوفاء أن يكون الكتاب سرا ، فإنه ألف الكتاب في حياة الوزير ، وخشى أن الوزير يطلع عليه فيعلم مقدار ما تزويد . أما أنه ألفه في حياة الوزير ، فالدليل عليه ما جاء في نسخة ميلانو : « أنشئت هذه الرسالة في رجب سنة ٣٧٤ » والوزير ابن سعدان ظل وزيراً من سنة ٣٧٣ إلى سنة ٣٧٥ كما تقدم .

وأيا ما كان ، فالكتاب ممتع مؤنس كاسمه ، يلقي نوراً كثيراً على العراق في النصف الثاني من القرن الرابع — أعني في العصر البويهي — وهو عصر مغش بالظلام فإنه يتعرض لكثير من الشؤون الاجتماعية في ثنايا حديثه ، فيصف الأمراء والوزراء ومجالسهم كابن عباد وابن العميد وابن سعدان ، ومجالسهم ومساوئهم ، ويصف العلماء ، ويحلل شخصياتهم ، وما كان يدور في مجالسهم من حديث وجدال وخصومة وشراب ، ويصف النزاع بين المناطقة والنحويين كالمناظرة الممتعة التي جرت بين أبي سعيد السيرافي ومثي بن يونس القنائي في المفاضلة بين المنطق اليوناني والنحو العربي ، ورأى العلماء في الشعبية والمفاضلة بين الأمم ، إلى كثير من أمثال ذلك .

وفي الكتاب النص الوحيد الذي كشف لنا عن مؤلفي إخوان الصفاء ، وقد نقله القفطي منه ، إذ كان الوزير قد سأل أبا حيان عن هذه الرسائل ومن ألّفها ؛ وعن القفطي نقله كل من كتبوا عن إخوان الصفاء .

كما أن فيه فوائد كثيرة عن الحياة السياسية للدولة ، فهو يصف كثيراً حالة الشعب في عصره وموقفهم من الأمراء والملوك ، وهيجانهم واضطرابهم وأسباب ذلك .

وكما يعرض أحياناً للحياة الاجتماعية الشعبية فيذكر عدد القينات في الكرخ فيقول : « ولقد أحصينا في سنة ٣٦٠ : ٤٦٠ جارية من القينات ومائة وعشرين من الحرائر ، وخمسة وتسعين من الصبيان الذين يجمعون بين الخدق والحسن . هذا سوى من كنا لا نظفر به ولا نصل إليه لعزته ورقبائه ، وسوى ما كنا نسمعه ممن لا يتظاهرون بالغناء بالضرب إلا إذا نشط أو ثمل في حال أو خلع العذار في هوى » . وأطيل جداً لو وصفت ما في الكتاب من فوائد .

ثم إن أسلوبه في تقسيمه إلى ليال ، وذكره ما دار في كل ليلة على سبيل الحديث والحوار ، يجعله لذيذاً شيقاً ، أو على حد تعبيره هو — ممتعاً مؤسفاً — فهو أشبه شيء بألف ليلة وليلة ، ولكنها ليست ليالى اللهو والطرب وكيد النساء ولعب الغرام ، إنما هي ليال للفلاسفة والمفكرين والأدباء ، إذ يتعرض فيه لأهم مشاكل الفلاسفة ، كالبحث في الروح والعقل والقضاء والقدر وما إلى ذلك ، كما يتعرض لمشاكل البلغاء كالليلة البديعة التي جرى فيها الحديث عن النثر والنظم والمفاضلة بينهما ، ومزايا كل ونقصه وهكذا . فإن كان ألف ليلة وليلة يصور أبداع تصوير الحياة الشعبية في ملاحمها وفتنها وعشتها ، فكتاب الإمتاع والمؤانسة يصور حياة الأرستقراطيين أرستقراطية عقلية ؛ كيف يبحثون ، وفيم يفكرون ، وكلاهما في شكل قصصى مقسم إلى ليال ، وإن كان حظ الخيال في الإمتاع والمؤانسة أقل من حظه في ألف ليلة وليلة .

وأسلوب أبي حيان في الكتاب بأسرّ أدبي راق كهدهنا في كل كتابته ؛
 يحب الازدواج ويطيل في البيان ، ويحتذى حذو الجاحظ في الإطناب والإطالة
 في تصوير الفكرة ، وتوليد المعاني منها حتى لا يدع لقائل بعده قولاً ؛ ولكن
 أغضّ أسلوبه في هذا الكتاب تعرضه كثيراً لمسائل فلسفية عميقة قد عثرت
 على البيان ، ودقت عن الإيضاح ، فإذا هو خرج عن هذه الموضوعات الدقيقة
 إلى موضوعات أدبية : كوصف لفقره وبؤسه ، أو وصف للكرم وفوائده ،
 أو وصف للسان والبيان ؛ جرى قلمه وسال سيله وأجاد وأبدع .

نسخ الكتاب : للكتاب — فيما أعلم — نسختان ، لا أعلم لهما في مكاتب
 العالم نالته .

فأما النسخة الأولى فكاملة ، وهي تقع في خمسة أقسام .

وقد جاء في طرة الجزء الثاني ما نصه : « رسم الخزانة السلطان الأعظم ، مالك
 رقاب الأمم ، مولى ملوك العرب والعجم ، باسط الأمن والأمان ، ناشر العدل
 والإحسان ، أبي الفاخر فخر الدنيا والدين سليمان بن غازي « محمد الأيوبي » خلد
 الله تعالى مملكته وسلطانه ، وأعلى في الخافقين عزه وبرهانه » .

فالجزء الثاني كتب للعادل سليمان بن غازي الأيوبي .

وكان العادل سليمان أديباً شاعراً ، جاء في (كشف الظنون) ذكر كتاب
 اسمه « الدر الثمين في شعر الثلاثة السلاطين » وهم : « العادل سليمان الأيوبي وولده
 الأشرف أحمد وولده الكامل خليل » . فسليمان هذا هو صاحب الخزانة
 المكتوب هذا الجزء برسمها .

وجاء في آخر هذا الجزء : « تمت الجزء الثاني من كتاب المؤانسة والإمتاع بحول الله وحسن توفيقه في شوال سنة خمسة عشر وثمانمائة على يد أضعف العباد شرف بن أميره في حصن المحروسة حماها الله تعالى عن الآفات والمآهات آمين يارب العالمين » .

وخط الجزء الثاني (وهو في ثلاثة مجلدات) يخالف لخط الجزء الأول (وهو في مجلدين) ، وإن كان الخطان قريبين الشبه بعضهما ببعض ، والجزء الأول غير مضبوط ، والثاني مضبوط بالضبط الكامل . وكلا الجزئين مملوء بالأخطاء الخطيرة بالزيادة والنقص والتحريف ، ويظهر أن الكاتبين من الخطاطين الذين يجيدون الخط ولا يحسنون الفهم . وكاتب الجزء الثاني يغلب على الظن أنه تركي لا يحسن العربية فهو يقول : « تمت الكتاب » « لا تم الكتاب » . ويقول « في سنة خمسة عشر وثمانمائة » بدل « خمس عشرة » وهذه — مع الأسف — هي وحدها النسخة التامة .

وهذه النسخة أخذها المرحوم أحمد زكي باشا بالقتوغرافيا من مكتبة طوب قيو سراي لما اطلع على الكتاب وعرف قيمته . وقد أحضر النسخة الفوتوغرافية معه إلى القاهرة ، واحتفظ بها في مكتبته الخاصة ؛ وقد قرأ الكتاب ، ووضع في الصفحة الأولى من كل جزء فهرسا يحدد الليالي وبعض الموضوعات ، كما وضع أسماء الأعلام الواردة في الكتاب أمام كل صفحة ، مما يدل على أنه كان يريد نشره ، ويريد ترجمة الأعلام التي وردت فيه ولكن لم يتعرض لتصحيح شيء مما فيه من أغلاط .

وقد توفي — رحمه الله — وهي في مكتبته الخاصة ، فاشترها السيد حمدى السبرجلاني الدمشقي ، وباعها لدار الكتب المصرية .

والنسخة الثانية نسخة فوتوغرافية أخذت من أصل في ميلانو ، وليست كاملة ، وإنما هي قطع ثلاث : قطعتان من الجزء الثانى وقطعة من الجزء الثالث وهى مشوشة غير مرتبة ، وقد استحضرها زكى باشا أيضا ، واحتفظ بها لنفسه ، ثم بيعت لدار الكتب .

ولم يذكر فى أية قطعة من القطع تاريخ نسخها ، وخطها واضح وجميل أيضا ومضبوطة . ولكنها فى جلتها لا تقل فى الأخطاء عن سابقتها .

وقد كان فى نية السيد حمدى السفرجلانى نشر المخطوطة قبل بيعها لدار الكتب ، فاستنسخ نسخة منها ، وقرأها مع بعض أفاضل دمشق ، منهم الدكتور حسنى سبوح والسيد رشدى الحكيم و خليل مرادم بك ؛ واستظهروا بعض تصحيحات لما وجدوه فى هذه النسخة من تحريف .

وبقيت بعد ذلك مملوءة بالأغلاط . كثيرة الجمل والألفاظ التى تشبه الألفاظ حتى لا يخلو سطر منها من وقفات تستدعى الجهد الشديد فى تصحيحها . ففرض على لجنة التأليف نشره ، فوافقت على ذلك ، وعهدت إلى كاتب هذه السطور والأستاذ أحمد الزين بتصحيحه ؛ وقد بذلنا مما جهدنا كبيرا فى تصحيح المحرف من ألفاظه ، وتفسير غريبه ، وشرح المشكل من عباراته ، وتكميل الناقص من جملة ، وضبط الملتبس من كلماته ، والتعريف بكثير ممن ورد ذكرهم فيه من العلماء والأدباء والشعراء والفلاسفة ، وهذا هو جهدنا تقدمه للقراء .

ومع هذا فربما نكون قد أخطأنا الصواب أو أغفلنا بعض المحرف ، وقد أثبتنا ألفاظه المحرفة فى حواشى صفحاته . ويلاحظ أننا فى أكثر الأحيان ثبت اللفظ المحرف وحده غير منبهين على أنه محرف اتكالا على فهم القارى ، وفى بعض الأحيان ننبه على أنه تحريف وأن صوابه ما أثبتنا ؛ كما يلاحظ أننا

قسمنا كل ليلة من ليالى هذا الجزء إلى موضوعات ، مثبتين فى أول كل موضوع رقما يدل عليه .

فنحن ننشر الجزء الأول من الكتاب اعتمادا على نسخة طوب قبو سراى وحدها ، حتى إذا وصلنا إلى الجزء الثانى أمكننا الانتفاع بنسخة ميلانو .

ولعلنا بهذا النشر نحسن إلى أبى حيان بالتعريف بقيمته ، والإشادة بذكوره ، بعد أن أساء إليه الزمان ، فأماته فى حياته ، وأخذ اسمه بعد وفاته ؛ كما نحسن إلى عصره فنلقى عليه بعض الضوء ، وقد اكتنفه الظلام ، وعفت على آثاره الأيام ، والسلام .

أحمد أمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال أبو حَيَّانَ التَّوْحِيدِيُّ : نجا من آفات الدنيا من كان من العارفين ووصل إلى خيرات الآخرة من كان من الزاهدين ، وظفر بالفوز والنعم من قطع طمعه من الخلق أجمعين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبيه وعلى آله الطاهرين .

- (١) أما بعد ، فإنِّي أقول منبهاً لنفسي ، ولن كان من أبناء جنسي : من لم يُطع ناصحه بقبول ما يسمع منه ، ولم يُملك صديقه كله ^(١) فيما يملكه له ، ولم يثق لبَيَّانه ^(٢) فيما يُريته ^(٣) إليه ويطلبه عليه ؛ ولم يرَ أن عقل العالم الرشيد ، فوق عقل المتعلم البليد ؛ وأن رأى المجرب البصير ، مقدّم على رأى الغمري ^(٤) الغرير فقد خسر حظه في العاجل ، ولعله أيضاً يخسر حظه في الآجل ؛ فإن مصالح الدنيا معقودة بمراشد الآخرة ، وكلّيات الحس في هذا العالم ، في مقابلة موجودات العقل في ذلك العالم ؛ وظاهر ما يُرى بالميان مُفضٍ إلى باطن ما يصدق عنه الخبر ؛ وبالجملة ، الداران متفتتان في الخير المغتبط به ، والشر المندوم عليه ؛ وإنما يختلفان بالعمل المتقدم في إحداها ، والجزاء المتأخر في الأخرى ؛ وأنا أعوذ بالله التّلك الحقّ الجبار العزيز الكريم المساجد أن أجهل حظي ، وأعمى عن

(١) كله : مفعول لـ « يملك » ، يريد بهذه العبارة تمام الطاعة لصديقه حتى كان صديقه مملكاً له كله يتصرف فيه كيف يشاء .

(٢) في الأصل « ولم ينفذ لسانه » .

(٣) يريته : يريده ويطلبه .

(٤) الغمري بالفتح والضم : من لم يجرب الأمور ؛ والجاهل الأبله .

رُشْدِي ، وأَلْقَى بِيَدِي إِلَى التَّهْلُكَةِ ، وَاتَّجَانَفَ^(١) إِلَى مَا يَسُوءُنِي أَوْ لَا وَلَا يَسُرُّنِي
آخِرًا ؛ هَذَا وَأَنَا فِي ذَيْلِ الْكُهُولَةِ وَبَادِئَةِ الشَّيْخُوخَةِ ، وَفِي حَالٍ مَنْ إِنْ لَمْ تَهْدِهِ
التَّجَارِبُ فِيمَا سَلَفَ مِنْ أَيَّامِهِ ، فِي حَالِي سَفَرِهِ وَمُقَامِهِ ؛ وَقَرِّهِ وَغِنَائِهِ ، وَشِدَّتِهِ
وَرِغَانِهِ ، وَسَرَائِهِ وَضُرَائِهِ ، وَخِيفَتِهِ وَرَجَائِهِ ؛ فَقَدْ أَقْطَعَ الطَّمْعُ مِنْ فَلَاحِهِ
وَوَقَعَ الْيَأْسُ مِنْ تَدَارُكِهِ وَأَسْتِصْلَاحِهِ ؛ فَإِلَى اللَّهِ أَفْرَغُ مِنْ كُلِّ رَيْثٍ وَعَجَلٍ
وَعَلَيْهِ أَتَوَكَّلُ فِي كُلِّ سَوْءٍ وَأَمَلٍ ، وَإِيَّاهُ أَسْتَعِينُ فِي كُلِّ قَوْلٍ وَعَمَلٍ .

(٢) قَدْ فَضِمْتُ أَيْهَا الشَّيْخُ^(٢) — حَفِظَ اللَّهُ رُوحَكَ ، وَوَكَّلَ السَّلَامَةَ بِكَ ، وَأَفْرَغَ
الْكَرَامَةَ عَلَيْكَ ، وَعَصَبَ كُلَّ خَيْرٍ بِحَالِكَ ، وَحَشَدَ كُلَّ نِعْمَةٍ فِي رِحَابِكَ
وَرَحِمَ هَذِهِ الْجَمَاعَةَ الْهَائِلَةَ — مِنْ أَبْنَاءِ الرِّجَاءِ وَالْأَمَلِ — بِعِنَايَتِكَ ، وَلَا قَطَعَكَ
مِنْ عَادَةِ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، وَلَا تَنَى طَرَفَكَ عَنِ الرَّقَّةِ لَهُمْ ، وَلَا زَهْدَكَ فِي أَصْطِنَاعِ
حَالِهِمْ وَعَاطِلِهِمْ ، وَلَا رَغِبَ بِكَ عَنْ قَبُولِ حَقِّهِمْ لِبَعْضِ بَاطِلِهِمْ ، وَلَا ثَقُلَ عَلَيْكَ
إِدْنَاءُ قَرِيْبِهِمْ وَبَعِيدِهِمْ ، وَإِنَالَةَ مُسْتَحِقِّهِمْ وَغَيْرِ مُسْتَحِقِّهِمْ أَكْثَرَ مِمَّا فِي نَفْسِهِمْ
وَأَقْصَى مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ مَوَاسَاتِهِمْ ، مَنْ بَشِّرَ تَبْدِيهِ ، وَجَاهٍ تَبَذُّلِهِ ، وَوَعْدٍ
تُقَدِّمُهُ ، وَضَمَانٍ تَوْكِّدُهُ ، وَهَشَاشَةٍ تَمْرُجُهَا بِشَاشَةٍ ، وَتَبَشُّمٍ تَخْلُطُهُ بِفُكَاةٍ
فَإِنَّ هَذِهِ كُلُّهَا زَكَاةُ الْمُرُوءَةِ ، وَرِبَاطُ النِّعْمَةِ ، وَشَهَادَةُ بِالْمُخْتَدِ^(٣) الزَّكِيِّ
وَالْعَرِيقِ الطَّيِّبِ وَالتَّمَنُّشِ الْمَحْمُودِ ، وَالْمَادَةِ التَّرْضِيَّةِ ؛ وَهِيَ مُؤَدَّةٌ بِأَنَّ الْمُنْحَةَ
رَاهِنَةٌ^(٤) ، وَالتَّوْهِيَّةُ قَاطِنَةٌ ، وَالشُّكْرُ مَكْسُوبٌ ، وَالْأَجْرُ مَذْخُورٌ ، وَرِضْوَانُ اللَّهِ

(١) « وَاتَّجَانَفَ » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالتَّجَانَفُ إِلَى الْمَيْءِ : الْمِيلُ إِلَيْهِ .

(٢) يَرِيدُ بِالشَّيْخِ أَبَا الْوَفَا الْمُهَنْدِسَ ، وَهُوَ الَّذِي وَصَلَ أَبَا حَيَّانَ بِالْوَزِيرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
الْمَارِضِ كَمَا يَنْبَغِي مِمَّا يَأْتِي .

(٣) « بِالْمُجْدِ » .

(٤) رَاهِنَةٌ : دَائِمَةٌ .

واقع ؛ وأسأل الله بعد هذا كله ألا يُسهم^(١) وجهي عندك ، ولا يُزِلْ قَدَمي في خدمتك ، ولا يُزِغَنِي^(٢) إلى ما يقطع مادةَ إحسانك وعائدةَ رأيك ونافع^(٣) نَفْتِكَ وجَمِيلَ معتقدك ، بمنه ولطفه .

فهمت جميع ما قلته لي بالأمس فهما بليغا ، ووعيته وَعْيًا تامًا ؛ وبأن لي الرُّشدُ في جلته وتفصيله ، والصلاحُ في طرفيه ووسطه ، والغنيمةُ في ظاهره وباطنه ، والشفقةُ من أوله إلى آخره . وأنا أعيده ههنا بالقلم ، وأرسمُه بالخط وأقَيده باللفظ ، حتى يكون أعترافي به أَرَسَى وأُثْبِت ، وشهادتي على نفسي أقوى وأَوْكَد ، ونُكُولي عنه أبعدُ وأصعب ، وحُكْمُكَ به لي وعلى أَمَصَى وأَنْفَذ .

(٣) قلت لي — أدام الله تعالى توفيقك في كل قول وفعل ، وفي كل رأي ونظر — : إنك تعلم يا أبا حَيَّان أنك أنكَفأت من الرَّمَى^(٤) إلى بغداد في آخر سنة سبعين^(٥) بعد فوت مأمورك من ذي الكفایتين^(٦) — نصر الله وجهه — عابسا على ابن عباد^(٧) مَغِيظًا منه ، مقروح الكبد ، لما نالك به من الحرمان

(١) السهم : تغير الوجه وعبوسه من الهم ؛ وكنى به عن تغير الحال .

(٢) يزغني : ييلني .

(٣) « ويافع » .

(٤) الرى : مدينة فارسية قديمة كانت قصبة بلاد الجبال ، وكان اسمها الفارسي راغة ومنه أخذ اسمها العربي ، وهي الآن أطلال على مسافة خمسة كيلو مترات من طهران .

(٥) أى وثلاثمائة .

(٦) ذو الكفایتين : لقب لأبي الفتح علي بن أبي الفضل محمد المعروف بابن العميد . ويعنون بالكفایتين كفاية السيف وكفاية العلم ، وقد قام مقام أبيه ابن العميد ، واستوزر لركن الدولة البرويهي ، ثم لما تولى عضد الدولة نكبه وقتله سنة ٣٦٦ هـ .

(٧) ابن عباد ، هو الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن أبي الحسن عباد ، ولد سنة ست وعشرين وثلاثمائة ، وتوفي سنة خمس وثمانين وثلاثمائة بالرى ، وكان وزيراً لمؤيد الدولة أبى =

المُرّ ، والصدُّ^(١) القبيح ، واللقاء الكريه ، والجفاء الفاحش ، والقَدْع^(٢) المؤلم
والمعاملة السيئة ، والتغافل عن الثواب على الخدمة ، وجبس الأجرة على النسخ
والوراقة ، والتجهم المتوالى عند كل لحظة ولنظة .

وذكرت في الجملة شقاء اتّصل بك في سَفَرِكَ ذلك ، وعناء نال منك في
عُرْضِ^(٣) أحوالك ؛ وَلَمَرَى إِنَّ السَّفَرَ فَعُولٌ لِهَذَا كُلِّهِ وَلَا كَثْرَتُهُ ؛ فَأَرَعَيْتَكَ
بصرى ، وأمرتك نهمى ، وسأهمتكَ في جميع ما وقرته في أذنى بالجزع والتوجّع
والاستقطاع^(٤) والتفجّع ؛ وَضَمِنْتُ لَكَ تِلْكَ تِلْكَ كُلَّهَا بِحَقِّ^(٥) الشفقة
وخالص الضمير ، ووعدتكَ صلاحَ الحال عن ثبات النية ، وصحة العقيدة ، وقلتُ :
أَنَا أُرْعَى حَقَّكَ الْقَدِيمَ حِينَ التَّقِينَا (بَارْجَانِ^(٦)) ، وَأَنَا عَلَى بَابِ (ابْنِ شَاهَوِيَه^(٧))
الفقيه ، وَعَهْدَكَ الْحَدِيثَ حِينَ اجْتَمَعْنَا بِمَدِينَةِ السَّلَامِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ ؛
وَأُوصِلُكَ إِلَى الْأُسْتَاذِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْعَارِضِ^(٨) — أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَهُ — وَأَخْطُبُ

= منصور بويه الديلمي ، ثم وزير لأخيه نضر الدولة أبي الحسن على ، وهو أول من لقب
بالمصاحب من الوزراء ، لأنه صاحب مؤيد الدولة بن بويه منذ الصبا .

(١) « والقصد » .

(٢) القدع بالمهمله : المنع والجزع . وبالنال المعجمة : الشتم . والمعنى يستقيم على كلا الوجهين .

(٣) « في عرض أحوالك » أى في أكثرها . وعرض الشيء أكثره ومعظمه .

(٤) « والاستقطاع » .

(٥) حاق الشفقة : أى صادقها وكاملها .

(٦) أرجان : مدينة بين فارس وخوزستان ، وهى من كور الأهواز ، وتعرف الآن

باسم « بابهان »

(٧) ابن شاهويه هو أبو بكر محمد بن أحمد بن على بن شاهويه الفارسي الفقيه الشافعي

تولى القضاء ببلاد فارس ، وتوفى سنة ثنتين وستين وثلاثمائة بَنيسابور .

(٨) أبو عبد الله العارض ، هو — فى رأينا — أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان

كان وزيرا لمصمّم الدولة بن عضد الدولة من سنة ٣٧٢ إلى سنة ٣٧٥ والعارض لقب له

وهو كما فى الأنساب للسماعى « من يعرف السكر ويحفظ أرزاقهم ويوصلها إليهم ، ويعرض

العسكر على الملك إذا احتيج إلى ذلك » والظاهر أنه لقب بهذا إما لأنه تولى هذا العمل قبل أن

يتولى الوزارة ، أو كان هذا لقباً لأسرته (راجع الأدلة على هذا الرأى فى المقدمة) .

لك قبولاً منه ، وتخفيف الإذن عليك ، وامتلاء الطرف بك ، ونيل الخطوة بخدمتك وملازمتك ؛ وفعلت ذلك كله حتى استكتبك (كتاب الحيوان) لأبي عثمان الجاحظ ، لعنايتك به ، وتوفرك على تصحيحه ، ثم حضرت^(١) لك هذه الحال إلى يومنا هذا ؛ وهو الوزير العظيم الذي افتقرت الدولة إلى نظره وأمره ونهيه ، وإلى أن يكون هو المبرم والناقض ، والرافع والواضع ، والكافي والوافي ، والمقرب لخدمتها ونصحائها ، والمزحزح لحسدتها وأعدائها ؛ والراعى لرعيتهما ودعماؤها ، والناهض بأثقالها وأعبائها ، أعانه الله على ما تولاه ، وكفاه اللهم في دنياه وآخرها ، بمنه وقدرته .

نعم ورتبت ذلك كله ، ولم أقطع عنك عادتى معك في الاسترسال والأنبساط ، والبر والمواساة ، والمساعدة والمواتاة^(٢) ، والتعصب والمحاماة .

أفكان من حقى عليك في هذه الأسباب التي ذكرتها ، وفي أخواتها التي تركتها كراهة الإطالة بها أنك تخلو بالوزير — أدام الله أيامه — ليالى متتابعة ومختلفة ، فتحدثه بما تحب وتريد ، وتلقى إليه ما تشاء وتختار ، وتكتب إليه الرقعة بسد الرقعة ؛ ولعلك في عرض ذلك تعدو طورك بالتشديق^(٣) وتجاوز حدك بالاستحقار ، وتتناول إلى ما لبس لك ، وتغلط في نفسك ، وتنسى زلة العالم ، وسقطة المتحرى ، وخجلة الواقع ؛ وهذا وأنت غير لاهية لك في لقاء الكبراء ، ومحاوره الوزراء ؛ وهذه حال تحتاج فيها إلى عادة غير عادتك ، وإلى

(١) « حضرت لك هذه الحال » ، أى كفلتها لك وحفظتها عليك .

(٢) المواتاة : الموافقة .

(٣) التشديق ، هو التوسع في الكلام من غير احتياط واحتراز ، وهو أيضا استهزاء الرجل بالناس يلوى شذقه بهم وعليهم .

البارق، وسلوتُ من قربك بقلب معرضٍ وعزمٍ حيٍّ ؛ إلا أن تُطْلِعْنِي طِلْعَ^(١)
 جميع ما تحاورتما وتجادبتما هُذْبَ الحديث عليه ، وتصرفتما في هزله وجِدّه ، وخيره
 وشُرّه ، وطيبه وخبيثه ، وباده ومكتومه ؛ حتى كأني كنتُ شاهداً معكما
 ورقيباً عليكما ، أو متوسلاً بينكما ، ومتى لم تفعل هذا ، فأنتظر عُقبى أستيحاشي
 منك ، وتوقعُ قلةَ غُفولى عنك ، وكأني بك وقد أصبحتَ حَرَّابَ حيرانَ
 يا أبا حيان ، تأكل أصبعك أسفاً ، وتزدردُ ريقك لُففاً ، على ما فاتك من العَوَلة
 لنفسك ، والنظر في يومك لندك ، والأخذ بالوثيقة في أمرك ، أنظنن بفرارتك^(٢)
 وغمارتك^(٣) ، وذهابك في فُسُولَتِكَ^(٤) التي اكتسبتها بمخالطة الصوفية والفرباء
 والمجتهدين الأدياء الأردياء ؛ أنك تقدر على مثل هذه الحال ، وأناؤم منك على
 حسن الظن بك ، والثقة بصَدْرِكَ ووردك ، وأطمئن إلى حَكِّكَ وجَرْدِكَ
 وأتعمى عن حركِ وبردك ؛ هيهات ؛ رَقَدْتَ فَعَلَمْتَ ، غفيرا رأيت وخيرا يكون
 على هذا الحدِّ كان مَقْطَعُ كلامك في مَوْجِدَتِكَ ، وإلى هنا بلغ فيضُ
 عَتَبِكَ ولَأَمْتِكَ ؛ وفي دون ذلك تنبيه للنائم ، وإيقاظٌ للساهي ، وتقويمٌ لمن
 يقبل التقويم ؛ وقد قال الأول :

ألا إنما^(٥) يكنى الفقى عند زَيْفِهِ من الأود^(٦) البادى ثِقافُ المقومِ

قلت لك : أنا سامع مطيع ، وخادمٌ شكور ، لا أشتري سخطك بكلِّ

(١) يقال : « أطلعت طلع أمرى » بكسر الطاء ، أى أبنته سرى .

(٢) الفرارة : الغفلة .

(٣) الضمارة : الجهل والبلامة .

(٤) الفسولة : الضيف والحنة وقلة اللهوة .

(٥) « إنما » بالياء . (٦) الأود : العوج . والثفاف : ما سوى به الرماح .

صفراء^(١) وبيضاء في الدنيا ؛ ولا أنفِر من التزام^(٢) الذنب والاعتراف بالتقصير ؛
ومثلي يهفو ويجمَح ، ومثلك ينفو ويصفح ؛ وأنت مولى وأنا عبد ، وأنت آسرُ
وأنا مؤتبر ، وأنت ممثَلٌ وأنا ممثَل ، وأنت مصطنع وأنا صنيعةٌ ، وأنت
منشئٌ وأنا مُنشَأ ، وأنت أول وأنا آخر ، وأنت مأمول وأنا آمِلٌ ، ومتى
لم تغفر لي الذنب البكر ، والجناية العذراء ، والبادرة النادرة ؛ فقد أعنتني على
ما كان مني ، ودللت على مَلِك لي ؛ وأنت كنت مترصداً لهذه المفضوة
ومعتقداً في مقابلتها هذه الجفوة ؛ وكرمك يأبى عليك هذا ، ومثولي بين يديك
خِدمة لك يحظره عليك .

هذا وأنا أفعل ما طلبتني به من سرِّد جميع ذلك ، إلا أن الخوض فيه
على البديهة في هذه الساعة يشق ويصعب بعقب ما جرى من التفاوض ، فإن
أذنت جمته كله في رسالة تشتمل على الدقيق والجليل ، والخلو والمر ، والطري
والعاسي^(٣) ، والمحبوب والمكروه ؛ فكان من جوابك لي : إقبل . ونعم ما قلت
وهو أحبُّ إلي وأقربُ إلى إرادتي ، وأحصرُ لما أريد^(٤) منه ، وأدخلُ
في الحجة عليك ولك ؛ وأغسلُ للوسخ الذي بيني وبينك ، وأزهرُ للسراج الذي
طغى عني وعنك ، وأجذبُ لعنان الحجة إن كانت لك ، وأنطقُ عن العذر إن
أتضح بقولك ؛ وإذا عرمت فتوكَّل على الله ؛ وليكن الحديث على تباعد
أطرافه ، واختلاف فنونه مشروحا ، والإسناد عاليا متصلا ، والتمنُّ تاما بيننا ،

(١) يريد بالصفراء الذهب ، وبالبيضاء الفضة .

(٢) « أكرام » .

(٣) العاسي : اليابس .

من الحجا، ودزيه^(١) بالتمييز؛ ونسجه بالرفقة، والحجا في غاية النشاط^(٢) وبهذا
 البون يقع التباين ويتسع التأويل، ويجول الذهن، وتمطى^(٣) الدعوى، ويفزع
 إلى البرهان، ويبرأ من الشبهة، ويمر بما أشبه الحجة وليس بحجة؛ فأخذ
 هذا النص ورواده، وأتى هذا الحكم وقوائمه^(٤)؛ ولا تمسق اللفظ دون المعنى
 ولا تهو المعنى دون اللفظ؛ وكن من أصحاب البلاغة والإنشاء في جانب، فإن
 صناعتهم يقتصر فيها أشياء يؤاخذ بها غيرهم، ولست منهم، فلا تشبه بهم، ولا
 تجر على مثالمهم، ولا تنسج على منوالهم، ولا تدخل في غمارهم، ولا تكثر
 ببياضك سوادهم، ولا تقابل بكاهنتك براعتهم، ولا تجذب بيدك رشاءهم، ولا
 تحاول بباعك مطاوتهم^(٥) وأعرف قدرك تسلم، وألزم حدك تأمن؛ فليس
 الكوذن^(٦) من العتيق في شيء، ولا الفقير من الغنى على شيء؛ أما سمعت قول
 الناس: ليس الشامى للعراق^(٧) بصاحب، ولا الكردي من الجندي بساخر،
 فإن طال^(٨) فلا تبسل، وإن تشعب فلا تكترث، فإن الإشباع في الرواية أشق
 للخليل، والشرح^(٩) للحال أبلغ إلى الناية، وأظفر بالمراد، وأجرى على العادة.
 فكتبت: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، أقول أيها الشيخ — عطف الله

(٥)

(١) دزيه، أي درياه وعلمه.

(٢) الظاهر أن هنا كلاما منقط من الناسخ.

(٣) تمطى: تتطاوول.

(٤) قوائمه، أي توابه. يقال: قال أثره إذا تبعه.

(٥) «مطاوتهم».

(٦) الكوذن: الفرس الهجين والبرذون. والعتيق من الأفراس: الكريم الرائع منها.

(٧) يشير بهذه الجملة إلى ما وقع بين الشام والعراق من العداوة أيام علي ومعاوية وما

ذلك.

(٨) طال، أي الكلام.

(٩) «والشرح».

قلبك على ، وألمحك الإحسان إلى - في جواب جميع ما قلته واجداً على وعانبا ، وقابضا ، وباسطاً ، ومرشداً ، وناصحاً ؛ ما يُعرَف الحق فيه ، ويستبين الصواب منه ، غير خائن لك ، ولا جانح إلى مخالفتك ، ولا مُرِغٍ^(١) للباطل معك ، ولا جاحد لأيديك القديمة والحديثة ، ولا منكِر لنعمتك الكافية الشافية ، ولا غايط^(٢) على قواضلك المجتمعة والمتفرقة ، ولا تارك لشيء هو على من أجل شيء هو لى ، ولا معرض عن شيء هو لى بسبب شيء هو على ؛ بل أجهز دقه وجهه إليك حتى تراه بسيدته^(٣) وغباره ، وأجلوه عليك حتى تلحظه بردائه وإزاره . كأننى لم أسمع قول الأول :

« والكفر^(٤) نخبته لنفس النعيم » « والشكر مبعثه لنفس المفضل »
أنا أدعك واجداً على ، وأرقد وأنت ماقت لى ، وأجد حس نعمة أنت وهبتها لى ، وألذ عيشاً أنت أذقتنى حلاوته . أنسى أيديك وهى طوق رقبتي ، وتُجاة عيني ، وحشؤ نفسى ، وراحة حلمى ، وزاد حياتى ، ومادة روحى ؟ هيهات ، هذا بعيد من القياس ، وغير معهود بين أحرار الناس ؛ الذين لهم أهتام بصون أغراضهم ، وحرص على إكرام أنفسهم ؛ قد عبقوا^(٥) بفوائح الفتوة ، وعلّقوا بحبائل المروءة ، وشدّوا^(٦) من الحكمة أشرف الأبواب ؛ واعتزّوا من الأدب

(١) المريج : المريد .

(٢) غطى على الشيء بجفيف الطاء : كغطى عليه بتشديد طاء .

(٣) السد : الصحيح من الكلام وكنى بالقباز عما يشور حول الكلام من اعتراض ونحوه ، ومنه قولهم : « كلام لا غبار عليه » .

(٤) هذا الشطر مجز بيت لعنترة العبسى ومصدره :

نبئت عمرا غير شاكر نعمتي

(٥) « عتقوا بفرائح » .

(٦) شدوا : أخذوا . يقال : شدا من العلم شيئا إذا أخذه كأنه ساقه أو جمعه ، وفي

الأصل « شدوا » بالمعجمة .

إلى أعز حرم^(١)؛ وحازوا شرفاً بعد شرف، وانحازوا عن نطاف بعد نطاف^(٢) ونظروا إلى الدنيا بعين بصيرة، وعزفوا^(٣) أنفسهم عن زهراتها بتجربة صادقة.

فأول ما أبدوك به أنني ظننتُ ظناً لا كيقين أن شيئاً مما كنتُ فيه مع الوزير — أدام الله أيامه، وقصم أعداءه — ليس مما يهتك، ولا هو مما يقرع سمك سماعك له؛ وحسبتُ أيضاً أنني إن بدأتُ بشئٍ منه ردلتني عليه وتنقصني به، وزريتُ على فيه؛ وأنتك ربما قلت: لم بدأتُ بما لم أسئلك عنه ولم أرخص لك فيه، هلاً كظمتُ على جرتك^(٤)، وطويتُ ما بين جنبيك وما على مما يدور بين صاحب وخادمه والرؤساء، والناظرين في أمور الدهماء^(٥) والمتصفحين لأحوال العامة والخاصة، ولهم أسرار وعيوب لا يقف عليها أقرب الناس إليهم، وأعزُّ الناس عليهم، وأنت أيضاً لم تسألني عنه، فكان في تقديري أنك قد عرفتُ وصولي في وقت دون وقت، وأنتك قد حملتُ أمري على الخدمة التي ليس للعلم بها فائدة، ولا في الإعراض عنها فائدة.

وإذ جرى الأمر على غير ما كان في حسابي وتلبس^(٦) بظني، فإني أهدى ذلك كله بفثائته وسمائته، وحلاوته ومرارته، ورقته وخثارته في هذا المكان؛ ثم أنت أبصرُ بعد ذلك في كتمانته وإفشائه، وحفظه وإضاعته وستره^(٧) وإشاعته؛ والله ما أرى هذا أمراً صعباً إذا وصل إلى مرادك

(١) «خدم».

(٢) النطف بالتحريك: العيب والفساد.

(٣) «هرفوا»، وعزف عن الشيء: أعرض عنه وزهد فيه.

(٤) «جريك»، وجرة البعير معروفة، شبه بها الحديث المختزن يفشي صاحبه.

(٥) «الذبهما» والدهماء: جماعة الناس.

(٦) «ولكيس».

(٧) «ولهره وأشكر عنه».

ولا كُلفَ شاقَّةً إذا أُكسبني مَرْضَاتِكَ ؛ وإن كان ذلك يمرَّ بأشياء كثيرةً ومختلفةً ، متعصيةً غريبةً ، منها ما يَشِيْطُ ^(١) به الدم المحقون ، ويُزَع من أجله الرُّوح العزيز ، ويُستصَفَّر معه الصَّلب ، ولا يُقنَع فيه بالعذاب الأدنى دون العذاب الأكبر ؛ وإن كان فيها أيضاً غيرُ ذلك مما يُضحِك السنَّ ، ويُفكِّه النفس ، ويدعو إلى الرشاد ، ويدلُّ على النَّصح ، ويؤكدُ الحُرْمة ، ويعقِد الذَّمَّام ، وينشرُ الحكمة ، ويشرفُ الهمة ، ويلقِّحُ العقل ، ويزيد في الفهم والأدب ويفتح بابَ اليُمْن والبركة ، ويُنفق بضاعةَ أهل العلم في السوق الكاسدة ، ويوقظ العميون الناعسة ، ويُبَلِّ الشَّنَّ ^(٢) المتغضِّف ، ويُندِّي الطَّيْن المترشِّف ؛ ويكون سبباً قويا على حُسن الحال وطلبِ العيش ، فإن هذه العاجلةَ محبوبة ، والرَّفاهيةَ مطلوبة ، والمكانةَ عند الوزراء بكلِّ حولٍ وقوَّةٍ مخطوبة ، والدنيا حلوةً خَصِرة وعَذبةٌ نَصِرة ، ومن شَفَّ ^(٣) أمله شَقَّ عمله ؛ ومن اشتدَّ إلحاحُه ، توالى غدوُّه وزواحه ، ومن أسره رجائُه ، طال عناؤُه ، وعظُمُ بلاؤُه ؛ ومن ألهب طمعه وحرصه ، ظهر عجزُه ونقصه .

وفي الجملة :

من لم يكن لله متهمًا لم يُنْسِ محتاجًا إلى أحدٍ

ولا بدَّ من فتنٍ يعينُ على الدهر ، ويُغني عن كرام الناس فضلا عن لثامهم ، ^(٦) ويذلُّ قَمَودَ الصبر ، ويُجِمِّ راحلةَ الأمل ، ويُجِلِّي مُسرَّ اليأس ؛ والعُرلةُ محمودةٌ

(١) يشيط : يذهب هدرا .

(٢) « السن بالسين المهملة » . والشن بالمعجمة : القرية الخلق . والمتغضف ، أي المتكسر المتغضن من اليبوسة .

(٣) شف أمله : زاد ، ويجوز أن يفسر بمعنى أسقمه الأمل وأضناه لملوه وبعد مثاله .

إلا أنها محتاجة إلى الكفاية ، والقناعة مَزَّةٌ ^(١) فِكْمَةٌ ولكنها فقيرةٌ إلى البلغة وصيانة النفس حسنة إلا أنها كُلفَةٌ مُخرجةٌ إن لم تكن لها أداة تُجِدُّها ^(٢) وفاشيةٌ ^(٣) تَمُدُّها ، وتركُ خدمة السلطان غيرُ الممكن ولا يستطاع إلا بدينٍ متين ، ورغبةٍ في الآخرة شديدة ، وفِطَامٍ عن دار الدنيا صعب ، ولسانٍ بالخلو والхамض يَلْغُ .

قال ابن السَّيِّك ^(٤) : لولا ثلاثٌ لم يقع حَيْفٌ ، ولم يُسَلَّ سيفٌ ، لقمةٌ أُسَوِّغُ من لقمة ، ووجهٌ أُصْبِحُ من وجه ، وسِلَكٌ ^(٥) « أُنْتَمُ من سِلَك » ، وليس كلُّ أحدٍ له هذه القوة ، ولا فيه هذه المَنَّةُ ^(٦) والإنسان بَشَرٌ ، وبِنْيُشُهُ متهافِئَةٌ وطِينَتُهُ منتثرَةٌ ، وله عادةٌ طالبةٌ ، وحاجةٌ هاتكةٌ ، ونفسٌ جَوحٌ ، وعينٌ طموحٌ ؛ وعقلٌ طفيفٌ ^(٧) ، ورأى ضعيفٌ ، يهفو لأوَّلَ رِيحٍ ، ويستخيلُ ^(٨) لأوَّلَ بارقٍ ؛ هذا إذا تَخَلَّصَ من قُرْناةِ السوء ، وسلم من سوارقِ ^(٩) العقل ، وكان له سلطانٌ على نفسه ، وقَهْرٌ ^(١٠) لشهواته ، وقَمْعٌ لهوائِجِه ^(١١) وقبولٌ من ناصحه ، وتهَيُّؤٌ

(١) «مرة» والمَزَّةُ : الحُرَّةُ اللذيذة الطعم .

(٢) تجدها ، أى تجدها .

(٣) الفاشية : ما انتشر من المال . وفي الأصل « غاشية » .

(٤) « ابن السائل » ، وهو تحريف وابن السَّيِّك هو أبو العباس محمد بن صبيح الكوفي الزاهد الواعظ المشهور لقي جماعة من الصدر الأول وأخذ عنهم وقدم من بغداد زمن هرون الرشيد وتوفى سنة ثلاث وثمانين ومائة بالكوفة .

(٥) السِّلَك : الحِيط . وكفى به عن الثوب لأنه من الخيوط .

(٦) « المنة » . والمنة بضم الميم : القوة .

(٧) الطفيف الناقص والقليل .

(٨) في الأصل : « ويستخيل » بالحاء ، وهو تصحيف . ويستخيل لأول بارق ؛ أى يخال المطر عند أول بارق .

(٩) يريد بسوارق العقل : الشهوات التي تذهب به وتجعله في حكم غير الموجود كأنها تسرقه . والذي في الأصل : « سراق » ؛ وهو تصحيف .

(١٠) « وفهم » .

(١١) لهوائِجِه ، أى لما يهيج به من النزعات والمطامع .

في سعيه ، وتبوؤاً في مَعَانٍ^(١) حَظَّهُ ، وأَتَمَّامٌ بِسَعَادَتِهِ ، وأُسْتَبْصَارٌ في طَلَبِ مَا عِنْدَ رَبِّهِ ، وأُسْتَنْصَافٌ مِنْ هَوَاةِ الضَّلَالَةِ لِعَقْلِهِ الْمُرْشِدِ ، هذا قَلِيلٌ وَصَعْبٌ وَلَوْ قُلْتُ : معدومٌ أَوْ مُحَالٌ في هذا الزَّمنِ الْمَسِيرِ وَالْذَّهْرِ الْفَاسِدِ ، لَمَا خَشْتُ عَائِقًا يَعْوقُنِي ، وَلَا حَسُودًا يَرُدُّ قَوْلِي . قال ابن السَّمَّاءِ : اللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى أَلْسِنِ تَصِفِ وقلوبٍ تَعْتَرِفُ ، وَأَعْمَالٍ تَخْتَلِفُ . وقال معاوية لأبي بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث — ورآه لَا يَلِي لَهُ عَمَلًا ، وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ نَائِلًا — : يَا ابْنَ أَخِي ، هِيَ الدُّنْيَا ، فَإِنَّمَا أَنْ تَرْضَعَ مَعْنَا ؛ وَإِنَّمَا أَنْ تَرْتَدِّعَ عَنَّا . وربما قال بعض المتكلمين قد قال بعض السلف : ليس خَيْرُكُمْ مَنْ تَرَكَ الدُّنْيَا لِلْآخِرَةِ ، وَلَا مَنْ تَرَكَ الْآخِرَةَ لِلدُّنْيَا وَلَكِنْ خَيْرُكُمْ مَنْ أَخَذَ مِنْ هَذِهِ وَهَذِهِ . (وأَمَلُ كَلَامٍ مَقْبُولُ الظَّاهِرِ مَوْقُوفُ الْبَاطِنِ . وربما قال آخَرُ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ : (أَعْمَلُ لآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدًا ، وَأَعْمَلُ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَدًا) . وهذا أَيْضًا كَلَامٌ مُنْتَقٍ ، لَا يَرْجِعُ إِلَى مَعْنَى مُحَقَّقٍ ؛ أَيْنَ هُوَ مِنْ قَوْلِ الْمَسِيحِ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — حِينَ قَالَ : الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ كَالْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ مَتَى بَعْدُ أَحَدُكُمُ مِنْ أَحَدِهِمَا قَرُبٌ مِنَ الْآخَرِ ؛ وَمَتَى قَرُبٌ مِنْ أَحَدِهِمَا بَعْدُ مِنَ الْآخَرِ . وَأَيْنَ هُوَ مِنْ قَوْلِ الْآخَرِ : الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ ضَرَّتَانِ ، مَتَى أَرْضَيْتَ إِحْدَاهُمَا أَسَخَطْتَ الْآخَرَى ، وَمَتَى أَسَخَطْتَ إِحْدَاهُمَا أَرْضَيْتَ الْآخَرَى .

وهذا لِأَنَّ الْإِنْسَانَ صَغِيرُ الْحَجْمِ ، ضَعِيفُ الْحَوْلِ ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ شَهَوَاتِهِ وَأَخْذِ حِفْظِ بَدَنِهِ وَإِدْرَاكِ إِرَادَتِهِ ، وَبَيْنَ السَّعْيِ فِي طَلَبِ الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ رَبِّهِ بِإِدَاءِ فَرَائِضِهِ ، وَالْقِيَامِ بِوُظَائِفِهِ ، وَالثَّبَاتِ عَلَى حُدُودِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، فَإِنْ صَفَّقَ

وجهُه وقال : نَعْمَلُ تَارَةً لِهَذِهِ الدَّارِ وَتَارَةً لِلْأُخْرَى ، فَهَذَا الْمَذْذَبُ الَّذِي لَا هُوَ مِنْ هَذِهِ وَلَا مِنْ هَذِهِ ؛ وَمَنْ تَحَنَّنَتْ ^(١) وَتَلَكَّيْتُ لَمْ يَكُنْ رَجُلًا وَلَا أَمْرًا ، وَلَا يَكُونُ أَبًا وَلَا أُمًّا ؛ وَهَذَا كَمَا نَرَى .

وَنَرْجِعْ فَنَقُولُ : وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفَقْرِ خَاصَّةً إِذَا لَمْ يَكُنْ لِصَاحِبِهِ عِمَادٌ مِنَ التَّقْوَى ، وَلَا عِمَادٌ مِنَ الصَّبْرِ ، وَلَا دِعَامَةٌ ^(٢) مِنَ الْأَنْفَةِ ، وَلَا أَصْطِبَارٌ عَلَى الْمَرَارَةِ .

وَقَدْ يُبْلِيْنَا بِهَذَا الدَّهْرُ الْخَالِي مِنَ الدِّيَّانِينَ الَّذِينَ يُصَلِّحُونَ ^(٣) أَنْفُسَهُمْ وَيُصَلِّحُونَ غَيْرَهُمْ بِفَضْلِ صِلَاحِهِمْ ، الْخَاوِي مِنَ الْكِرَامِ الَّذِينَ كَانُوا يَتَسَمَّعُونَ فِي أَحْوَالِهِمْ ، وَيُوسِّمُونَ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنْ سَعَتِهِمْ ، وَكَانُوا يَهْتَمُّونَ بِذَخَائِرِ الشُّكْرِ الْمَجْعَلِ فِي الدُّنْيَا ، يَحْرِصُونَ ^(٤) عَلَى وَدَائِعِ الْأَجْرِ الْمُؤَجَّلِ فِي الْآخِرَةِ ؛ وَيَتَلَذَّذُونَ بِالثَّنَاءِ ، وَيَهْتَرِّزُونَ لِلدَّعَاءِ ؛ وَتَمْلِكُهُمُ الْأُرْيَحِيَّةُ عِنْدَ مَسْئَلَةِ الْحَتَّاجِ ، وَتَعْتَرِيهِمُ الْهَيْزَةُ مَعَهَا وَالْإِبْتِهَاجُ ؛ وَذَلِكَ لِعَشَقِهِمُ الثَّنَاءَ الْبَاقِي ؛ وَالصَّنِيعَ الْوَاقِي ؛ وَيُرُونَ الْغَنِيمَةَ فِي الْفَرَامَةِ ، وَالرَّجْحَ فِي الْبَذْلِ ، وَالْحِظَّ فِي الْإِثَارِ ، وَالزِّيَادَةَ فِي النِّقْصِ ؛ أَعْنَى بِالزِّيَادَةِ . الْخَلْفَ الْمُنْتَظَرَ مِنَ اللَّهِ ؛ وَبِالنِّقْصِ : الْعَطَاءُ ؛ وَرَأَيْتُ النَّاسَ يَعْجِبُونَ ابْنَ الْعَمِيدِ حِينَ قَالَ : أَنَا أَعْجَبُ مِنْ جَهْلِ الشَّاعِرِ الَّذِي قَالَ :

أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَمْسَكَتَهُ فَإِذَا أَنْفَقْتَهُ فَالْمَالُ لَكَ

قَالَ : وَلَوْ كَانَ هَذَا صَحِيحًا كَانَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُكْتَسَبَ الْمَالُ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي تَرْكِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « تَحَنَّنَتْ » ؛ وَهُوَ تَمْحِيفٌ . وَبُرِيدٌ بِالتَّخَنُّنِ وَالتَّلِينِ : الْبَيْنُ وَالْتَشَدُّدُ تَشْبِيهًُا بِالْمُخَنَّنِينَ وَالْمُتَلِينِ .

(٢) « دِمَائَةٌ » . وَالدِّعَامَةُ : الْمَادَّةُ .

(٣) « لَا يُصَلِّحُونَ » : وَقَوْلُهُ « لَا » زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٤) « يَحْرِصُونَ » .

كسبه أكثر من إخراجِه بالإتفاق . هذا لقولهم ^(١) بحكمتِه وعقلِه وتحصيلِه
وصوابُ الجاهل لا يُستحسن كما يُستقبَح خطأ العاقل ؛ نعم ، وكانوا إذا وُلُوا
عَدَلُوا ، وإذا مَلَكُوا أَفْضَلُوا ^(٢) ، وإذا أعطوا أَجَزَلُوا ، وإذا سُئِلُوا أَجَابُوا
وإذا جادوا أَطابُوا ، وإذا عَلُوا ^(٣) صَبَرُوا ، وإذا نَالُوا ^(٤) شَكَرُوا ؛ وإذا أَتَقَوْا
وَأَسَّوْا ، وإذا امْتَحِنُوا تَأَسَّوْا ؛ وكانوا يرجعون إلى نقائب ميمونة ، وإلى
ضرائب ^(٥) مأمونة ؛ وإلى دِيانات قويّة ، وأماناتٍ ثَخِينَةٍ ^(٦) ؛ وكان لهم مع الله
أسرار طاهرة ، وعَلانيّة مقبولة ؛ ومع عباد الله معاملَةٌ جميلة ، ورحمةٌ واسعة
ومَعْدِلَةٌ فاشية ؛ وكانت تجارتُهم في العلم والحكمة ، وعادتُهم جارية على الضيافة
والتَّكْرِمة ؛ وكانت شِيمَتُهم الصِّفح والمَغْفرة وربِّحُهم ^(٧) من هذه الأحوال
النَّجاة والكرامة في الأولى والعاقبة ؛ وكانوا إذا تَلَقَّوْا تَوَاصَوْا بِالْخَيْرِ ، وتَنَاهَوْا
عَنِ الشَّرِّ ؛ وتَنَافَسُوا فِي اتِّخَاذِ الصَّنَائِعِ ، وأَذْخَرَ البُضَائِعِ (أعنى صنائع الشكر ،
وبضائع الأجر) فذهب هذا كُلُّهُ ، وتاه ^(٨) أَهْلُهُ ؛ وأصبح الدِّينُ وقد أُخْلِقَ
لَبُؤُسُهُ ، وأُوحِشَ مَأْنُوسُهُ ، وأُقْتُلِعَ مَغْرُوسُهُ ؛ وضار المنكر معروفًا ، والمعروفُ
منكراً ، وعاد كلُّ شَيْءٍ إِلَى كَدْرِهِ وخَاثِرِهِ ، وفاسدِهِ وضائِرِهِ ؛ وَحَصَلَ الْأَمْرُ

(١) هذا لقولهم ، أى عيب الناس لابن العبيد في كلمة السابق ، لما يصفونه به من
الحكمة والعقل الخ .

(٢) أَفْضَلُوا : أَسْمَوْا .

(٣) فِي الْأَصْلِ « اعْتَزَلُوا » . وَعَالُوا : اخْتَفَرُوا ، مِنْ الْعِيلَةِ يَفْتَحُ أَوَّلَهُ .

(٤) « قَالُوا » .

(٥) الضَّرَائِبُ : الطَّائِعُ وَالسَّجَايَا ، الْوَاحِدَةُ ضَرَبِيَّةٌ .

(٦) ثَخِينَةٌ : قَوِيَّةٌ كَمَا يُقَالُ فِي عَكْسِ ذَلِكَ : هُوَ رَقِيقُ الدِّينِ ، أَيْ ضَعِيفُهُ .

(٧) « وَزَيْكُم » .

كَلَى أَنْ يَقَالَ : فَلَانٌ خَفِيفُ الرُّوحِ ، وفَلَانٌ حَسَنُ الرَّجَاءِ ، وفَلَانٌ ظَرِيفُ الْجَمَلَةِ ،
حَلَوُ الشَّامِلِ ، ظَاهِرُ الْكَيْسِ ، قَوِيُّ الدَّسْتِ ^(١) فِي الشَّطْرَنْجِ ، حَسَنُ اللَّعْبِ فِي
النَّرْدِ ، جَيِّدٌ فِي الْأَسْتِخْرَاجِ ، مَدِيرٌ ^(٢) لِلْأَمْوَالِ ، بَذُولٌ لِلْجَهْدِ ، مَعْرُوفٌ بِالْأُسْتِقْصَاءِ
لَا يُغْضِي عَنْ دَانِقٍ ، وَلَا يَتَغَافَلُ عَنْ قِيرَاطٍ ؛ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَأْنَفُ الْعَالِمُ مِنْ
تَكَثُّرِهِ ، وَالكَاتِبُ مِنْ تَسْطِيرِهِ .

وهذه كلها كنايات عن الظلم والتجديف ^(٣) ، والحساسة والجمل وقلة الدين
وحب الفساد ، وليس فيها شيء مما قدمنا وصفه عن القوم الذين أجهدوا أن
يكونوا خلفاء الله على عباد الله بالرأفة والرفقة والرحمة والأصطناع والمدل والمعروف .
وأرجع عن هذه الشككية الطويلة اللاذعة والبيّة العامّة الشاملة ؛ إلى
عينٍ مرسمت لي ذكره ، وكلفتني إعادته ؛ عائذا بالله في صرف الأذى عني
وسوق الخير إلي ؛ ولانذا بكرمك الذي رشتني ^(٤) به إلى الساعة ، وكفيتني به
مؤونة الخدمة لغيرك من هذه الجماعة ؛ والأعمال بخواتيمها ، والصّدور بأعجازها ؛
وأنت أولى الناس بالصّفح والتجاوز عني إذا عرفت براءتي في كلّ ما يتعلق
بي من ذمامك ؛ ويجب عليّ من الحقّ في مودّتك ، والأعتصام بحبلك
والانتجاع ^(٥) من عُشْبِكَ ، والارتقاء ^(٦) من لَبَنِكَ .

(١) الدست : الحيلة ، وهو أيضا ما يكون فيه القلب في العطرنج ؛ تقول : « الدست لي
والدست على » .

(٢) « مدير » .

(٣) التجديف : الكفر بنعمة الله . وفي الأصل : والتخويف .

(٤) راشه يرشّه : جعل له ريشا . شبه ما بذله له من المعروف بالريش للطائر .

(٥) الانتجاع : طلب المعروف .

(٦) في الأصل « الارتقاء » بالقاف ؛ وهو تصحيف . والارتقاء : أخذ رغوّة اللبن
واحتساؤها .

الليلة الأولى

(١) وصلتُ أيها الشيخ — أطال الله حياتك — أوّل ليلة إلى مجلس الوزير —
أعزّ الله نصره ، وشدّ بالعصمة والتوفيق أزّره — فأمرّني بالجلوس ، وبسطَ لي
وجهه الذي ما أعتراه منذ خُلِقَ العُبوب ؛ ولطّف كلامه الذي ما تبدّل منذ كان
لا في الهزل ولا في الجدّ ، ولا في الغضب ولا في الرضا .

ثم قال بلسانه الذليق ^(١) ، ولفظه الانيق : قد سألتُ عنك مرّاتٍ شيخنا
أبا الوفاء ، فذكر أنّك سراعٍ لأمر البيارستان من جهته ، وأنا أربأُ بك عن
ذلك ، ولعلّي أعرضك لشيء أنبّه من هذا وأجدى ، ولذلك فقد تأقت نفسي
إلى حضورك للمحادثة والتأنيس ، ولأتعرف ^(٢) منك أشياء كثيرة مختلفة ترّددُ
في نفسي على مرّ الزمان ، لا أحصيها لك في هذا الوقت ، لكنّي أثرها في
المجلس بعد المجلس على قدر ما يسنح ويعرّض ، فأجبنّي عن ذلك كلّه باسترسال
وسكونٍ بال ؛ بملء فيك ، وجَمّ خاطرك ، وحاضرٍ عليك ؛ ودع عنك تقنّ
البغداديين ^(٣) ^(٤) مع غفوّ لفظك ، وزائدٍ رأيك ، وربّج ^(٥) ذهنيك ؛
ولا تجبنّ جبن الضعفاء ، ولا تتأطر ^(٦) تأطر الأغبياء ؛ وأجزم إذا قلت ، وبالغ إذا
وصفت ؛ وأصدّق إذا أسندت ، وأفضل إذا حكمت ، إلّا إذا عرّض لك

(١) اللسان الذليق : الحاد البليغ .

(٢) « ولا تفرق » .

(٣) يريد بتقنّ البغداديين : استطرادهم في الكلام وخروجهم فيه من فن إلى فن .

(٤) هنا كلمة مطبوسة بالأصل لا تمكن قراءتها .

(٥) ربّج ذهنك ، أي فضله .

(٦) التأطر : التحبس والتثني ، شبه به وقوف النبي وتردده في جواب ما يسأل عنه .

ما يوجب توقفاً أو تهادياً^(١) ؛ وما أحسنَ ما قال الأول :

لا تَقْدَحُ الظَّنُّ فِي حُكْمِهِ شَيْئُهُ عَدْلٌ وَإِنْصَافٌ
يَمْضِي إِذَا لَمْ تَلْقَهُ شَبْهَةٌ وَفِي اعْتِرَاضِ الشَّكِّ وَقَافٌ
وقد قال الأول :

أُبَالِي الْبَلَاءِ وَإِنِّي أَسْرُوهُ إِذَا مَا تَبَيَّنْتُ لَمْ أَرْتَبِ^(٢)
وكن على بصيرة أني سأستدل بما أسمعك منك في جوابك عما أسألك عنه
على صدقك وخلافه ، وعلى تحريفك وقرافه^(٣) .

(٢) فقلتُ قبلُ : كلُّ شيءٍ أريد أن أجاب إليه يكون ناصيري على ما يراد
متى فإني إن مُنِعْتُهُ نَكَلْتُ ، وإن نَكَلْتُ قُلْتُ إفصاحي عما أطلب به
وخِفْتُ الكَسَادَ ، وقد طِمَعْتُ بِالنِّفَاقِ^(٤) وأَقْلَبْتُ بِالْخِلْيَةِ ، وقد عَقَدْتُ
خِنْصِرِي عَلَى الْمَسْأَلَةِ . فقال — حَرَسَ اللَّهُ رُوحَهُ — : قل — عافاك الله —
ما بدا لك ، فأنت مجاب إليه ما دمت ضامناً لبلوغ إرادتنا منك ، وإصابة
غرضنا بك .

قلت : يُؤْذَنُ لِي فِي كَافِ الْخَاطِبَةِ ، وَتَاءِ الْمُوَاجَهَةِ ، حَتَّى أَتَخَلَّصَ مِنْ مِرَاحَةِ
الْكُنْيَةِ وَمُضَاقِقَةِ التَّعْرِيفِ ، وَأَرْكَبَ جَدَدَ^(٥) الْقَوْلِ مِنْ غَيْرِ تَقْيَةٍ^(٦) وَلَا تَحَاشٍ

(١) التهادى : للمضى الرفيق في تمايل .

(٢) في الأصل « ارتب » ؛ وهو تحريف .

(٣) قرافه ، أى ارتكابه . يقال : قارف الذنب واقرفه ، إذا خالطه .

(٤) النفاق ضد الكساد .

(٥) الجدد بالتحريك : ما استوى من الأرض لا وعث فيه ولا جبل ولا أكمة ، شبه به

القول الذى لا عوج فيه ولا التواء .

(٦) « بقية » .

ولا مُحَاوِةٌ ^(١) ولا أَمْحِياش ^(٢) .

قال : لك ذلك ، وأنت المأذون فيه ، وكذلك غيرك ، وما فى كاف المخاطبة ^(٣) وتاء المواجهة ؟ إن الله تعالى — على علوّ شأنه ، وبسطة مُلكه ، وقدرته على جميع خلقه — يواجهه بالتاء والكاف ، ولو كان فى الكناية بالهاء رفعةً وجلالةً وقدرٌ ورتبةٌ وتقديسٌ وتمجيدٌ لكان الله أحقّ بذلك ومقدّمًا فيه ، وكذلك رسوله صلى الله عليه وسلم والأنبياء قبله — عليهم السلام — وأصحابه — رضى الله عنهم — والتابعون لهم بإحسان — رحمة الله عليهم — وهكذا الخلفاء ، فقد كان يقال للخليفة : يا أمير المؤمنين أعزّك الله ، ويا عمرُ أصلحك الله ؛ وما عاب هذا أحد ، وما أنف منه حسيب ولا نسيب ، ولا أباه كبيرٌ ^(٤) ولا شريف ؛ وإني لأعجب من قوم يرغبون عن هذا وشبهه ، ويحسبون ^(٥) أن فى ذلك ضعةً أو قبيصةً أو خطأً أو زرايةً ، وأظن أن ذلك لعجزهم وفُسُولَتهم ^(٦) ، وانخزالهم وقلةًهم وضُؤُولَتهم ، وما يجدونه من الغضاضة فى أنفسهم ، وأن هذا التكلف والتجبر يمحوان عنهم ذلك النقص ، وذلك النقص يكتفى بهذا الصلف ؛ هيئات ، لا تكون الرياسة حتى تصفو من شوائب الخيلاء ، ومن مقابح الزهو والكبرياء .

فقلتُ : أيها الوزير ، قد خالطتُ العلماء ، وخدمتُ الكبراء وتصفّحتُ ^(٧) أحوال الناس فى أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم ، فاسمعتُ هذا المعنى من أحد على

(١) لعله : مواربة .

(٢) الانحياش : الاتهاب .

(٣) « كثير » .

(٤) « ينجشون » .

(٥) الفسولة : الحسة والضيغ .

(٦) انخزالهم ، أى اضعافهم وتخلفهم عن طلب العالى .

هذه السيّاقة الحسنة والحجّة الشافية والبلاغ المبين ؛ وقد قال بعض السلف الصالح :
« مَا تَعَاظَمَ أَحَدٌ عَلَى مَنْ دُونَهُ إِلَّا بِقَدْرِ مَا تَصَاغَرَ لِمَنْ فَوْقَهُ » . والتصاغر دواء
النفس ، وسجّية أهل البصيرة في الدنيا والدين ؛ ولذلك قال ابن السكّاء^(١) للرشيد
— وقد عَجِبَ من رفته وحُسنِ إصاخته لموعظته وبلغِ قبوله لقوله وسرعة دمعته
على وجنته — : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَتَوَاضَعُكَ فِي شَرْفِكَ أَشْرَفُ مِنْ شَرْفِكَ ، وَإِنِّي
أُظُنُّ أَنَّ دَمْعَتَكَ هَذِهِ قَدْ أَطْفَأَتْ أَوْدِيَةَ مِنَ النَّارِ وَجَعَلَتْهَا بَرْدًا وَسَلَامًا » .

قال^(٢) : هَذَا بَابٌ مُفْتَرَقٌ فِيهِ ، وَرَجَعْنَا إِلَى الْحَدِيثِ [فَإِنَّهُ شَهِيٌّ ، سِيَّماً إِذَا
كَانَ مِنْ خَطَرَاتِ^(٣) الْعَقْلِ] قَدْ خُدِمَ بِالصُّوَابِ فِي نَعْمَةٍ نَاعِمَةٍ ، وَحُرُوفٍ مُتَقَاوِمَةٍ ؛
وَلَفِظَ عَذَبٌ ، وَمَأْخَذٌ سَهْلٌ ؛ وَمَعْرِفَةٌ بِالْوَصْلِ وَالْقَطْعِ ، وَوَفَاءٌ بِالنَّثْرِ وَالسَّجْعِ ؛
وَتَبَاعُدٌ مِنَ التَّكَلُّفِ الْجَلْفِيِّ ، وَتَقَارُبٌ فِي التَّلَطُّفِ الْخَلْفِيِّ ، قَاتِلٌ لِلَّهِ ذَا الرُّيَّةِ^(٤)
حَيْثُ يَقُولُ :

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ رَخِيمٌ الْحَوَاشِي لَا هُرَاءَ^(٥) وَلَا نَزْرُ
وَكُنْتُ أَشَدَّ أَيَّامَ الصَّبَا هَذَا^(٦) بِالذَّالِ ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ سُوءِ تَلْقِينِ الْمَعْلَمِ ؛ وَبِالْعِرَاقِ
رُذْ عَلَى وَقِيلَ : هُوَ بِالزَّايِ ؛ وَقَدْ أَجَادَ الْقَطَامِيُّ^(٧) أَيْضًا وَتَغَزَّلَ فِي قَوْلِهِ :

(١) انظر التعريف بابن السكّاء رقم ٤ صفحة ١٤ .

(٢) قال ، أي الوزير .

(٣) عبارة الأصل « خاصة سيما إذا كان من طليان العقل » .

(٤) ذو الرمة ، هو غيلان بن عقبة بن نهيّس أحد لحول الشعراء الأمويين ، توفي سنة
سبع عشرة ومائة عن أربعين سنة .

(٥) رخيّم الحواشي : فاعمها . والمراء : المنطق الكثير ، والنزر : القليل .

(٦) هذا ، أي قوله في البيت السابق : « نزر » .

(٧) القطامي لقب غلب على عمير بن شبيب التغلبي من بني جهم بن بكر ، وهو شاعر إسلامي
مقل ، وكان نصرانيا .

فهنَّ^(١) ينبذن من قول يُصْنِن به مواقع الماء من ذى الغلة الصادى قلتُ : ولهذا قال خالد بن صفوان حين قيل له : أتمَلَّ الحديث ؟ قال : إنما يُمَلَّ العتيق^(٢) ، والحديث معشوق الحسِّ بمعونة العقل ، ولهذا يُولَم به الصبيان والنساء ، فقال : وأى معونة لهؤلاء من العقل ولا عقل لهم ؟ قلتُ : ههنا عقلٌ بالقوة وعقلٌ بالفعل ، ولهم أحدهما وهو العقل بالقوة ، وههنا عقلٌ متوسط بين القوة والفعل مُزْمِع^(٣) ، فإذا برز فهو بالفعل ، ثم إذا أَسْتَمَرَّ^(٤) العقل بلغ الأَفْق ؛ وفُطِرَت الحاجة إلى الحديث ما وضع^(٥) فيه الباطل ، وخُلِطَ بالمُحَالِ ووُضِلَ بما يُعْجِب ويُضْحِك ولا يُؤَوِّل إلى تحصيل وتحقيق ، مثل (هزار أفسان^(٦)) وكلُّ ما دخل في جنسه من ضروب الخرافات ؛ والحسُّ شديدُ اللَّهَجِ^(٧) بالحدث والمُحَدَّث والحديث ، لأنه قريب العهد بالكون ، وله نصيب من العُرافة . ولهذا قال بعض السلف^(٨) : « حادثوا هذه النفوس فإنها سريعة الدُّثور » ، كأنه أراد أَصْفَلُوها وأَجْلَوْا الصَّدَأَ عنها ، وأعيدوها قابلةً لودائع الخير ، فإنها إذا دَثَرَتْ — أى صَدِثَتْ ، أى تَغَطَّتْ ؛ ومنه الدُّثَار الذى فوق الشَّعار — لم يُنْتَفِعْ بها ؛

(١) « فهن » .

(٢) العتيق : القديم .

(٣) استعار الإزمام هنا معنى التهيؤ والاستعداد لظهور .

(٤) استمر ، أى قوى واستحكم ، من المرة بكسر الميم وتشديد الراء ، وهى القوة .

(٥) ما وضع ، أى وضع ، فـ « ما » هنا زائدة ، وهو تمبير شائع الاستعمال فى كلام المؤلف .

(٦) فى الأصل « حسان » ؛ وهو تحريف . وهزار أفسان كتاب فى الخرافات نقل

ابن النديم معنى هذا الاسم ألف خرافة . ويستفاد مما ذكره من السبب فى تأليفه أنه أصل

(لكتاب ألف ليلة وليلة) المعروف ، فقد ذكر أن بعض الملوك كان إذا تزوج امرأة وبات معها

ليلة قتلها من الغد ، فتزوج بجارية من أولاد الملوك ممن لهن عقل ودراية يقال لها « شهرزاد »

فلما حصلت معه ابتدأت تمحدثه وتصل الحديث عند انقضاء الليل بما يحل الملك على استيقاظها ،

ويسألها فى الليلة الثانية عن تمام الحديث إلى أن آتى عليها ألف ليلة الخ .

(٧) « الكهج » .

(٨) يروى هذا الحديث عن الحسن .

والتعجب كله منوطٌ بالحادث ؛ وأما التعظيم والإجلال فهما لكل ما قدم : إما بالزمان ، وإما بالدهر ؛ ومثال ما يقدم بالزمان الذهب والياقوت وما شابههما من الجواهر التي بعد العهد بمبادئها ، وسيمتد العهد جدا إلى نهاياتها ؛ وأما ما قدم بالدهر ، فكالقل والنفس والطبيعة ؛ فأما القلّ وأجرأته المزدهرة في المعانة العجيبة ، ومناطيقه الخفية ، فقد أخذت من الدهر صورة إلهية ، وأحدثت فيها سلف منها صورة زمائية .

(٦) فقال : بقى أن يتصل به ^(١) نعتُ العتيق والخلق ، فكان من الجواب أن العتيق يقال على وجهين : فأحدهما يشار به إلى الكرم والحسن والعظمة ، وهذا موجود في قول العرب : « البيت العتيق » ؛ والآخر يشار به إلى قدم من الزمان مجهول . فأما قولهم : « عبد عتيق » ، فهو داخل في المعنى الأول ، لأنه أكرم بالعتق ، وأرتفع عن العبودية ، فهو كريم . وكذلك « وجه عتيق » لأنه اعتقته الطبيعة من الدمامة والقيح . وكذلك « فرس عتيق » .

وأما قولهم : « هذا شيء خلق » ، فهو مضمّن معنيين : أحدهما يشار به إلى أن مادته بالية ^(٢) ؛ والآخر أن نهاية زمانه قريبة . وكان ابن عباد قال لكتابه مرة — أعنى ابن حنبل ^(٣) — في شيء جرى ... : « نعم ، العالم عتيق ولكن ليس بقديم » أى لو كان قديما لكان لا أول له ، ولما كان عتيقا كان له أول ، ومن أجل هذا الاعتقاد وصفوا الله تعالى بأنه قديم ، وأستحسنوا هذا الإطلاق . وقد سألت العلماء البصراء عن هذا الإطلاق ، فقالوا : ما وجدنا

(١) ، أى بالحديث الذى سبق الكلام فيه .

(٢) « سائلة » ؛ وفيه تحريف وقلب .

(٣) فى الأصل « ابن حنبل » ، وقد جاء اسمه فى معجم الأدباء : أبى القاسم بن حنبل ، ومرة يسميه : أبى القاسم الحنبل ، وذكر فى بعض المواضع أنه كان يمرض الأوراق على الصاحب ابن عباد ، فالظاهر أنه هو الزاد .

هذا في كتاب الله — عز وجل — ولا كلامٍ نبيّه — صلى الله عليه وسلم — ولا في حديث الصحابة والتابعين . وسألت أبا^(١) سعيد السيرافي الإمام : هل تعرف العرب أن معنى القديم ما لا أول له ؟ فقال : هذا ما صح عندنا عنهم ولا سبق إليّ وهما هذا منهم ، إلا أنهم يقولون : « هذا شيء قديم » وبنيان قديم « ويسرّحون^(٢) وهمهم في زمانٍ مجهولٍ المبدأ .

(٧) فقال : قد مرّ في كلامك شيء يجب البحث عنه ، ما الفرق بين الحادث والمُحدث والحديث ؟ فكان من الجواب أن الحادث ما يُلاحظ نفسه [والمُحدث ما يلاحظ^(٣)] مع تعلّقٍ بالذي كان عنه محدثاً . والحديث كالمُتوسط بينهما مع تعلّقٍ بالزمان ومن كان منه .

وهما شيء آخر ، وهو الحدّثان والحديثان ؛ فأما الأول فكانه لما هو^(٤) مضارعٌ للحادث ، وأما الحدّثان فكانه اسم للزمان فقط ، لأنه يقال : « كان كذا وكذا في حدّثان ما ولي الأمير » ، أي في أوّل زمانه ، وعلى هذا يدور أمر^(٥) الحدث والأحداث والحادثات والحوادث . « وفلان حدّثٌ مُلوّكٌ » كله من ديوان واحد وواد^(٦) واحد وسبّك واحد . قال : « ما الفرق بين حدّث وحدّث » ؟ قلتُ : لا فرق بينهما إلا من جهة أن حدّث تابع لقدم ، لأنه يقال : أخذَه ما قدّم^(٧) وما حدّث ؛ فإذا قيل للإنسان : حدّث يا هذا . فكانه قيل له :

(١) في الأصل « أنا » ؛ وهو تحريف . وأبو سعيد السيرافي هو الحسن بن عبد الله ابن المرزبان السيرافي النحوي المعروف ؛ سكن بغداد وتولى القضاء بها ، وكان من أعلم الناس بنحو البصريين ، وتوفى سنة ثمان وستين وثلاثمائة .

(٢) « ويسرّحون » ؛ بالفتح .

(٣) هذه العبارة ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها .

(٤) لما هو ، أي موضوع لما هو .

(٥) وردت هذه الكلمة في الأصل بعد قوله : « الحدث » ؛ كما أن داءها كتبت في الأصل

« نونا » . واستقامة الكلام تقتضي ما أثبتنا .

(٦) في الأصل « وهو » ولا معنى له .

(٧) « أخذَه ما قدّم وما حدّث » ، أي أخذته المصوم والأفكار القديمة والحديثة .

صِلْ شيئاً بالزمان يكون به في الحال ، لا تقدّم له من قبل .
ثم رجعتُ فقلت . ولقوائد الحديث ما صنف (أبو زيد)^(١) رسالة لطيفة الحجم
في المنظر ، شريفة القوائد في المخبر ، تجمع أصناف ما يقتبس من العلم والحكمة
والتجربة في الأخبار . والأحاديث ، وقد أحصاها وأستقصاها وأفاد بها ، وهي
حاضرة . قال احملها وأكتبها ، ولا تمل إلى البخل بها على عادة أصحابنا
الغثا . قلت : السمع والطاعة .

ثم رويت أن عبد الملك بن مروان قال لبعض جلسائه : قد قضيتُ الوطر
من كل شيء إلا من محادثة الإخوان في الليالي الزهر ، على التلال^(٢) القمر^(٣) .
وأحسن من هذا ما قال عمر بن عبد العزيز قال : والله إنني لأشتري
[المحادثة]^(٤) من عبد الله^(٥) بن عبد الله بن عتبة بن مسعود بألف دينار
من بيت مال المسلمين . فقيل : يا أمير المؤمنين ، أتقول هذا مع تحريك وشدة
تحفظك وتنزيهك ؟ فقال : أين يذهب بكم ؟ والله إنني لأعود برأيه ونصحه
وهدايته على بيت مال المسلمين بألف وألف دينار ، إن في المحادثة تلقيحاً
للمعول ، وترويحاً للقلب ، وتسريحاً للهمم ، وتنقيحاً للأدب .

(١) الراجع أنه يريد أبو زيد أحمد بن سهل البلخي كان من المتكلمين الفلاسفة الأدباء
وكان يقال له « جاحظ خراسان » ألف كتباً كثيرة منها كتاب فضيلة علم الأخبار وكتاب
النوادر في فنون شتى ولعل أحد هذين الكتابين هو الذي يشير إليه أبو حيان ، وكان
أبو حيان يعجب به وقد قال فيه : « أنه لم يتقدم له شبيه في العصر الأول ولا يظن أنه يوجد
له نظير في مستأثف الدهر » ، مات سنة ٣٢٢ عن سبع أو ثمان وثمانين سنة .

(٢) في الأصل « الكلال » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى . وفي رواية « طي
الكتبان » ؛ وهو بضم الكاف بمعنى التلال كما أثبتنا .

(٣) في الأصل « القمر » بالقاف ؛ وهو تصحيف .

(٤) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل .

(٥) هو أحد الفقهاء السبعة كان إماماً عالماً وكان أعمى قال البخاري إنه مات سنة ٩٤
وهذا لا يتفق وخلافة عمر بن عبد العزيز وقال ابن المديني سنة ٩٩ وهذا متفق مع هذه القصة .

قال : صدق هذا الإمام في هذا الوصف ، إن فيه ^(١) هذا كله .
قلت : وسمعتُ أبا سعيد ^(٢) السيرافي يقول : سمعتُ ابنَ السَّراج ^(٣) يقول :
دخلنا على ابن الرومي ^(٤) في مرضه الذي قضى فيه ، فأنشدنا قوله ^(٥) :
ولقد سئمتُ مآربي فكانَ أطيبَها خبيثُ
إلا ^(٦) الحديثَ فإنه مثلُ أسمة أبدا حديثُ

وقال سليمان بن عبد الملك : « قد ركبنا الفاره ^(٧) ، وتبطنا الحسنة ، ولبسنا
اللين ، وأكلنا الطيب حتى أجنأه ^(٨) ، وما أنا اليوم [إلى شيء] ^(٩) أحوجُ
منِّي إلى جليس يضع عني مؤونة التحفظ ويحدثني بما لا يبعجُه السمع ، ويطرِب
إليه القلب » . وهذا أيضا حقٌ وصواب ، لأنَّ النفسَ تملُّ ، كما أنَّ البدنَ يَكِلُّ ؛
وكما أنَّ البدنَ إذا كلَّ طلب الراحة ، كذلك النفس إذا ملَّت طلبت الروح ^(١٠)
وكما لا بد للبدن أن يستمدَّ ^(١١) ويستفيد بالجَمَام ^(١٢) الذاهب بالحركة الجالبة

(١) فيه ، أى في الحديث .

(٢) انظر التعريف بأبي سعيد السيرافي في الحاشية رقم ١ صفحة ٢٥ .

(٣) هو أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج ، أخذ الأدب
عن أبي العباس المبرد ، وأخذ عنه جماعة : منهم أبو سعيد السيرافي ؛ وله التصانيف المشهورة
في النحو وتوفى سنة ست عشرة وثلاثمائة .

(٤) هو أبو الحسن علي بن البساس بن جريج المعروف بابن الرومي الشاعر المعروف .
ولد سنة إحدى وعشرين ومائتين ببغداد ، وتوفى سنة ثلاث ومائتين ومائتين . وقيل غير ذلك .

(٥) ورد من هذا اللفظ في الأصل القاف والواو وحدهما .

(٦) « بلا » .

(٧) في الأصل « الفاره » بالقاف ؛ وهو تصحيف . والفرار من الدواب : النشيط

الحاد القوى .

(٨) أجنأه ، أى كرهناه ومللناه من المداومة عليه .

(٩) لم ترد هذه التكلفة التي بين مربعين في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن (عيون الأخبار) .

(١٠) الروح بفتح الراء : الراحة .

(١١) « يستند » .

(١٢) الجمال بفتح الجيم : الراحة .

للنَّصَب والضجر ، كذلك لأبدَ للنفس من أن تطلب الرُّوح عند تكاثف العَلَل الداعى إلى المرح^(١) فإن البدن كثيفُ النفس ، ولهذا يُرى بالعين ، كما أن النفس لطيفة البدن ، ولهذا لا توجد إلا بالعقل ؛ والنفس صفاء البدن ، والبدن كدَرُ النفس . فقال : أحسنتَ في هذه الروايات على هذه التوشیحات وأعجبني^(٢) ترخُّمك على شيخك أبي سعيد ، فما كلُّ أحدٍ يَسمح^(٣) بهذا في مثل هذا المقام ، وما كلُّ أحدٍ يأبه لهذا الفعل ؛ هات مُلحة الوداع حتى نفترق عنها ، ثم نأخذ ليلة أخرى في شجون الحديث .

(٨) قلت : حدثنا ابن سيف الكاتب الراوية ، قال : رأيت جَحْظَةً^(٤) قد دعا بناءً ليبنى له حائطاً ، فحضر^(٥) ، فلما أمسى أقتضى البناء الأجرة ، فمَّا كَسَا^(٦) وذلك أن الرجل طلب عشرين درهما ؛ فقال جحظة : إنما عملت يا هذا نصفَ يوم وتطلب عشرين درهما ؟ قال : أنت لا تدري ، إنى قد بنيت لك حائطاً يبقى مائة سنة ؛ فبينما هما كذلك وجَّب الحائطُ وسقط ؛ فقال جحظة : هذا عملك الحسن ؟ قال : فأردت أن يبقى ألف سنة ؟ قال : لا ، ولكن كان يبقى إلى أن تستوفى أجرتك . فضحك — أضحك الله سنه —

(١) « المرح » .

(٢) يلاحظ أنه لم يرد في هذه النسخة عند ذكر أبي سعيد السيرافي قوله — رحمه الله — فلعله قد سقط من الناسخ هناك :

(٣) « كسمح » .

(٤) هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك الشاعر المعروف ، كان من طرفاء عصره وكان صاحب فنون ونوادر ، ولد سنة أربع وعشرين ومائتين من الهجرة ، وتوفي سنة ست وعشرين وثلاثمائة . وقيل سنة أربع وعشرين وثلاثمائة بواسطة ، ودفن ببغداد .

(٥) في الأصل « وحضر بنا » وبنا لا معنى لها .

(٦) تماكسا ، أى تشامحا في الأجرة ؛ يقال : ما كسه في البيع ونحوه : إذا شاحه فيه واستعطه الثمن واستنقصه إياه .

الليلة الثانية

(١) ثم حضرت ليلة أخرى ، فقال : أول ما أسألك عنه حديثُ أبي سليمان (١) المنطقيّ كيف كان كلامه فينا ، وكيف كان رضاه عنا ورجاؤه (٢) بنا ، فقد بلغني أنك جاره ومعاشره ، ولصيقه وملازمه وقافي خطوه وأثره ، وحافظ غاية خبره . فقلتُ : والله أيها الوزير ، ما أعرف اليوم ببغداد — وهي الرقعة الفسيحة الجامعة ، والعرصة (٣) المريضة الفاصّة — إنساناً أشكرَكَ ، وأحسن ثناءً عليك ، وأذهب في طريق العبوديّة معك ، منه ؛ ولقد سَكَرَ (٤) الآذان وملاّ البقاع بالدعاء الصالح ، رَفَعَهُ اللهُ إليه ، والثناء الطيّب أشاعه الله ؛ وقد عمل رسالة في وصفك ذكر فيها ما آتاك الله وفضلك به من شرفٍ أعزّلك ، وكرمٍ أخلاقك وعلوّ همّتك ، وصدقٍ حدّسك وصوابٍ رأيك ، وبركةٍ نظرك ، وظهورٍ غنائك ، وخِصْبٍ فيناك ، ومحبةٍ أوليائك ، وكَدِّ أعدائك ، وصباحةٍ وجهك ، وفصاحةٍ لسانك (٥) ، ونُبْلِ حَسَبِكَ (٦) ، وطهارةٍ غِيَمِكَ (٧) ، ويُمنٍ تقييتك ، ومحمود

(١) أبو سليمان هو محمد بن طاهر بن بهرام المنطقي السجستاني أكبر علماء بغداد في عصر أبي حيان في المنطق والحكمة والفلسفة كان مجلسه حافلاً بالعلماء والحكماء واسع الاطلاع في الفلسفة اليونانية وكان به عور وبرص يمنعه من غشيان مجالس الأمراء والوزراء وهو أكبر شيوخ أبي حيان في الفلسفة مات على أغلب الظن في السنوات الخمس الأخيرة من القرن الرابع الهجري .

(٢) ورجاؤه بنا ، أي رجاءه المعقود بنا . وفي الأصل : « وأرجاؤه » والألف زيادة من النسخ .

(٣) العرصة : الساحة الواسعة .

(٤) سكر الآذان : ملاها . وفي الأصل : « شكر » بالشين ؛ وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « رخم لسانك » وقوله : « رخم » من زيادات النسخ إذ لا معنى

لها ولا تستقيم مع السياق .

(٦) « وتفلحك » .

(٧) « عيك » .

شيمتك ، ودقيق ما أودع الله فيك ، وجليل ما نشر الله عنك ، وغريب ما يُرى منك ، وبديع ما يُنتظر لك من المراتب العلية ، والخيرات الواسعة والدولة الراحدة ، وهي تصل إلى مجلسكم في غد أو بعده — إن شاء الله — وكان هذا منه [قياماً] ^(١) بالواجب ، فإنك نَشِئْتَ روحه وكان خَفَتْ ، وبصْرَتَهُ وكان عَشِيٍّ ؛ وأُنبتَ جناحه وكان قد حُصَّ ^(٢) ، بالرسم الذي وصل إليه لأنه كان قَنِطٍ منه وهو قَنُوطٌ ، وسمعتُهُ يقول مراراً : من يذكرني وقد مضى الملك ^(٣) — رضوان الله عليه — ومن يَخْلُفه في مصلحتي ، ويجري على عادته معي ؟ ومن يَسأل عَنِّي ، ويهتم بحالي ؟ هيهات ، فَقَدْ والله بالأُمس من ^(٤) يطول تَلَقُّنَا إليه ويدوم تَلَهُّفُنَا عليه * إنَّ الزمانَ بِمِثْلِهِ لَبَخِيلٌ * كان والله شمساً للمعالى وغرة الزمن وحامل الأثقال ، وملتقى ^(٥) القَقَال ، ومحقق الأقوال والأفعال ، ويجري لُجْمٌ ^(٦) الأحوال على غاية الكمال ؛ كان والله فوق المتعنى ، وأعلى من أن يلحق به نظير ، أو يوجد له مماثل ؛ لذته لَمَحٌ ^(٧) في تهذيب الأمور ، وهواه وقفٌ على صلاح مَنْ في إصلاحه صلاح ونفى من في نفيه تطهير ؛ ولولا أن عمر الفتى الأَرْيَحِيُّ قصير ، لكننا لا نُبْتَلِي بفقدِهِ ، ولا نتحرق على قَوْتِ ما كان لنا بحياته ؛ الدنيا ظُلوم ، والإنسان فيها مظلوم .

- (١) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضي إثباتها .
 (٢) يقال : « حص الریش والشعر » ، إذا انتثر . وكنى بحص الجناح عن الفقر ، وبنباته عن الفنى .
 (٣) الظاهر أنه يريد بالملك « عضد الدولة » البويهى .
 (٤) عبارة الأصل « مر بطول تلقيننا » وهى بحرفة فى جميع ألفاظها .
 (٥) فى الأصل « ومكنى الأفعال » ؛ وهو تحريف . والقفال : المسافرين ، سموا بذلك تفاؤلاً بقبولهم إلى أوطانهم ، أى رجوعهم إليها .
 (٦) استعمل اللجم فى معنى الخيل مجازاً . وفى الأصل : « لُجاء » ؛ وهو تحريف .
 (٧) اللج ، النظر الخفيف . والمراد بهذا اللفظ وصفه بالفطنة والألمعية حتى إنه لينظر إلى الأمور نظراً خفيفاً فيكفيه ذلك عن التأمل والإيمان .

فلما وصل إليه ذلك الرسم — وهو مائة دينار — وحاجته ماسة إلى رغيف ، وحوله وقوته قد عجزا ^(١) عن أجرة مسكنه ، وعن وجه غدائه وعشائه عاش .

وبما زاد في حديث الرسم أنه وصل إليه مع العذر الجليل ، والوعده المريض الطويل ؛ ولورأيته وهو يترقل ويتحنك ^(٢) لمجبت . فقال : سررتني لسروره بما كان مني ، وإن عشت كفت الزمان عن ضيبي ، وفللت ^(٣) عنه حدا نابه ، ولولا الضمالة ^(٤) مانعة ^(٥) عن نفسه ، ومتمنع معها بنفسه ؛ لفش هذا المجلس فيكم ^(٦) فاستأنس وأنس ، ولكنّه على حال لا يحتمل له عليها ، ولا صبر عليه معها ؛ أتخفظ ما قال البديهي فيه ؟ قلت : نعم ، قال : أنشدني ، فرويت :

أبو سليمان عالم فطن ما هو في علمه بمنقص
لكن تطيرت عند رؤيته من عور مؤحش ومن برص
وبأبنه مثل ما بواله وهذه قصة من القصص

قال : قاتله الله ، فلقد أوجع وبألع ، ولم يحفظ ذمام العلم ، ولم يقض حق الفتوة .. حدثني عن درجته في العلم والحكمة ، وعرفني محله فيهما من محل أصحابنا

(١) ورد في الأصل بعد قوله « عجزا » تاء وكاف وميم ؛ ولم تبيين الصواب في هذه الحروف الثلاثة ؛ ولعلها زيادة من الناسخ .

(٢) يترقل ، أى يمر ذيله ويتبختر . ويتحنك ، أى يدير الهامة من تحت حنكه . كفى بالترفل والتحنك عن السرور والابتهاج بما وصل إليه من صلة الوزير .

(٣) « قلت » .

(٤) الضمالة : العاهة في الجسد . وفي الأصل : « الجملة » ؛ وهو تعريف .

(٥) مانعة عن نفسه ، أى أن هذه العاهة مانعة لنا عن مجالسته . ومتمنع معها بنفسه أى أنه هو متمنع بنفسه مع هذه العاهة عن مجالستها .

(٦) « بكم » .

أَبْنُ زُرْعَةَ^(١) وَأَبْنُ الْخَمَارِ^(٢) وَأَبْنُ السَّمْحِ^(٣) وَالْقَوْمِيُّ^(٤) وَمُسْكُوِيه^(٥) وَنَظِيف^(٦) وَيَحْيَى بْنُ عَدَى^(٧) وَعِيسَى بْنُ عَلِيٍّ^(٨). فَقُلْتُ: وَصَفَ هَؤُلَاءِ أَمْرًا مُتَعَدِّرًا، وَبَابٌ مِنَ الْكُلْفَةِ شَاقٌّ؛ وَلَيْسَ مِثْلِي مِنْ جَسَرٍ عَلَيْهِ، وَبَلَغَ الصُّوَابُ مِنْهُ؛ وَإِنَّمَا يَصِفُهُمْ مِنْ نَالِ دَرَجَةٍ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، وَأَشْرَفَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ؛ فَعَرَفَ حَاصِلَهُمْ وَغَائِبَتَهُمْ، وَمَوْجُودَهُمْ وَمَقْهُودَهُمْ. فَقَالَ: هَذَا تَحَايُلٌ لَا أَرْضَاهُ لَكَ، وَلَا أَسْلَمُهُ فِي يَدِكَ، وَلَا أَحْتَمِلُهُ مِنْكَ؛ وَلَمْ أَطْلُبْ إِلَيْكَ أَنْ تَعْرِفَهُمْ^(٩) بَمَا هُوَ مَعْلُومٌ لِلَّهِ مِنْهُمْ، وَمَوْهَبُهُ^(١٠) أَهَمُّ، وَمَسْئُوقُهُ إِلَيْهِمْ، وَخَلُوعُهُ عَلَيْهِمْ، عَلَى الْحَدِّ الَّذِي لَا مَزِيدَ فِيهِ وَلَا نَقْصَ؛ إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ تَذَكَّرَ مِنْ كُلِّ

(١) أَبْنُ زُرْعَةَ، هُوَ أَبُو عَلِيٍّ عِيسَى بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ زُرْعَةَ عَالِمٌ نَصْرَانِيٌّ مِنْ عُلَمَاءِ بَغْدَادَ بَرَزَ فِي النُّطْقِ وَالْفَلَسَفَةِ، وَقَتْلَ عِدَّةَ مُصَنِّفَاتٍ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ، وَتَوَفَّى كَمَا رَوَى الْقَفْطِيُّ سَنَةَ ٣٩٨. (٢) أَبْنُ الْخَمَارِ، هُوَ أَبُو الْخَيْرِ الْحَسَنُ بْنُ سَوَارٍ، كَانَ كَذَلِكَ نَصْرَانِيًّا طَبِيبًا فَيَلْسُوفًا قَتَلَ كِتَابًا كَثِيرَةً مِنَ السَّرْيَانِيَّةِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ.

(٣) أَبْنُ السَّمْحِ، هُوَ أَبُو عَلِيٍّ بْنِ السَّمْحِ مِنْ مَنَاطِقَةِ بَغْدَادَ؛ مَاتَ سَنَةَ ٤١٨. (٤) الْقَوْمِيُّ، هُوَ أَبُو بَكْرٍ الْقَوْمِيُّ الْمُتَفَلِّسُ. قَالَ أَبُو حَيَّانَ: لَهُ كُتُبٌ لِنَصْرِ الدَّوْلَةِ عَامِينَ.

(٥) مُسْكُوِيه، هُوَ أَبُو عَلِيٍّ أَحَدُ بَنِي مُحَمَّدٍ مُسْكُوِيهِ الْحَازِنِ، كَانَ عَارِفًا بِالْفَلَسَفَةِ، أَلْفَ كِتَابًا تَهْدِيْبُ الْأَخْلَاقَ وَتُجَارِبُ الْأُمَمَ، وَكَانَ قِيًّا عَلَى خَزَانَةِ كُتُبِ ابْنِ الْعَمِيدِ ثُمَّ قِيًّا عَلَى خَزَانَةِ كُتُبِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ثُمَّ اخْتَصَّ بِبَهَاءِ الدَّوْلَةِ الْبُوَيْهِيَّ وَعَظَّمَ عِنْدَهُ شَأْنَهُ وَمَاتَ سَنَةَ ٤٢١.

(٦) نَظِيفٌ، هُوَ الْفَسُّ نَظِيفُ النَّفْسِ الرَّومِيُّ، كَانَ عَالِمًا جَيِّدَ الثَّقَلِ مِنَ الْيُونَانِيِّ إِلَى الْعَرَبِيِّ وَكَانَ مِنْ أَفَاضِلِ الْأَطْبَاءِ، وَعَيْنُهُ عَضُدُ الدَّوْلَةِ فِي الْبِلَارِسْتَانِ الَّذِي أُنْشِأَ بِبَغْدَادَ.

(٧) يَحْيَى بْنُ عَدَى أَبُو زَكْرِيَّا، كَانَ نَصْرَانِيًّا مُنْطَقِيًّا أَخَذَ الْفَلَسَفَةَ عَنْ أَبِي نَصْرِ الْفَارَابِيِّ وَبُشَيْرِ بْنِ مَتَّى؛ وَلَهُ مَوْلاَتٌ كَثِيرَةٌ، مَاتَ سَنَةَ ٣٦٤.

(٨) عِيسَى بْنُ عَلِيٍّ، هُوَ أَبُو الْقَاسِمِ عِيسَى بْنُ الْوَزِيرِ الْكَبِيرِ عَلَى بَنِي عِيسَى الْجَرَّاحِ، كَانَ عِيسَى عَالِمًا فَاضِلًا، قَرَأَ النُّطْقَ عَلَى يَحْيَى بْنِ عَدَى، كَمَا دَرَسَ الْفَقْهَ وَالْأَدَبَ عَلَى عُلَمَاءِ عَصْرِهِ، وَعَمِلَ فِي دِيْوَانِ الرِّسَالِ؛ وَمَاتَ بِبَغْدَادَ سَنَةَ ٣٩١. وَقَدْ ثَقُلَ عَنْهُ أَبُو حَيَّانَ كَثِيرًا مِنْ أَقْوَالِهِ فِي الْحِكْمَةِ فِي الْمَقَابِسَاتِ.

(٩) «نَشْفُهُمْ».

(١٠) مَوْهَبُهُ لَمْ يَأْتِ مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لَهُمْ؛ يُقَالُ: أَوْهَبْتَ لَهُ الشَّيْءَ، إِذَا أَعَدَدْتَهُ لَهُ.

وَاحِدٌ مَا لَاحَ مِنْهُ لِعَيْنِكَ ، وَتَجَلَّى لِبَصِيرَتِكَ ، وَصَارَ لَهُ بِهِ صُورَةٌ فِي نَفْسِكَ ؛
فَأَكْثَرَ وَصَفَ الْوَاصِفِينَ لِلْأَشْيَاءِ عَلَى هَذَا يَجْرِي ، وَإِلَى هَذَا الْقَدَرِ يَنْتَهِي .

قُلْتُ : إِذَا قَنَعَ مِنْى بِهَذَا ، فَإِنِ أَخَذْتُ بِمَا ^(١) عِنْدِي ، وَأَبْلَغَ فِيهِ أَقْصَى جَهْدِي .
أَمَّا شَيْخُنَا أَبُو سُلَيْمَانَ فَإِنَّهُ أَذَقَهُمْ نَظْرًا ، وَأَقْرَبَهُمْ غَوْصًا ، وَأَصْفَاهُمْ فِكْرًا ، وَأَظْفَرَهُمْ
بِالدَّرَرِ ، وَأَوْقَفَهُمْ عَلَى الْغُرْرِ ؛ مَعَ تَقَطُّعٍ فِي الْعِبَارَةِ ، وَلُكْنَةٍ نَاشِئَةٍ مِنْ ^(٢) الْمُجْمَعَةِ
وَقَلَّةٍ نَظَرٍ فِي الْكُتُبِ ، وَفَرَطٍ أَسْتَبْدَادٍ بِالْخَاطِرِ ، وَحُسْنٍ أَسْتِنْبَاطٍ لِلْعَوِيصِ ، وَجَرَأَةٍ
عَلَى تَفْسِيرِ الرَّمْزِ ، وَبُخْلِ بِمَا عِنْدَهُ مِنْ هَذَا الْكَتَنِ .

وَأَمَّا ابْنُ زُرْعَةَ فَهُوَ حَسَنُ التَّرْجُمَةِ ، صَحِيحُ النُّقْلِ ، كَثِيرُ الرُّجُوعِ إِلَى
الْكِتَابِ ، مَحْمُودُ النُّقْلِ إِلَى الْمَرِيَّةِ ، جَيِّدُ الْوَفَاءِ بِكُلِّ مَا جَلَّ مِنْ الْفَلَسَفَةِ ؛
لَيْسَ لَهُ فِي دَقِيقِهَا مَنَفَذٌ ^(٣) ، وَلَا لَهُ مِنْ لَفْظِهَا مَأْخُذٌ ، وَلَوْلَا تَوَزُّعٌ ^(٤) فِكْرِهِ
فِي التَّجَارَةِ ، وَمَحَبَّةٌ ^(٥) فِي الرِّبْحِ ، وَحِرْصُهُ عَلَى الْجَمْعِ ؛ وَشِدَّتُهُ عَلَى الْمَنَعِ ؛
لَكَانَتْ قَرِيحَتُهُ تَسْتَجِيبُ لَهُ ، وَغَائِمَتُهُ ^(٦) تَدْرُ عَلَيْهِ ؛ وَلَكِنَّهُ مَبْدَدٌ مَبْدَدٌ ، وَحُبٌّ
الدُّنْيَا يُعِمِّي وَيُصِمُّ .

وَأَمَّا أَبُو الْخَلَّارِ فَقَصِيحٌ ، سَبَّطُ الْكَلَامِ ، مَدِيدُ النَّفْسِ ، طَوِيلُ الْعَيْنِ
مَرَضِيُّ النُّقْلِ ، كَثِيرُ التَّدْقِيقِ ، لَكِنَّهُ يَخْلُطُ الدُّرَّةَ بِالْبَعْرَةِ ^(٧) وَيُفْسِدُ السَّمِينَ
بِالْقَثِّ ، وَيَرْقَعُ الْجَدِيدَ بِالرِّثِّ ؛ وَيَشِينُ ^(٨) جَمِيعَ ذَلِكَ بِالزُّهْوِ وَالصَّلَفِ ، وَيَزِيدُ

(١) فِي الْأَصْلِ « جَا » ؛ وَهُوَ تَعْرِيفٌ .

(٢) « مَعَ » .

(٣) « مَنِيْدَا » .

(٤) « تَوَزَّعَ » .

(٥) « وَنَحْبَتُهُ » .

(٦) فِي الْأَصْلِ « وَغَائِمَتُهُ تَدُو » ؛ وَهُوَ تَعْرِيفٌ فِي كِلْتَا الْكَلِمَتَيْنِ . وَالْغَائِمَةُ السَّحَابَةُ .

(٧) « الْبَقْرَةُ » .

(٨) « وَيَشِينُ » .

في الرقم ^(١) والسوم ، فإيجديه ^(٢) من الفضل يرتجمه بالنقص ؛ وما يعطيه بالاعطف يستردّه بالعنف ؛ وما يصفيه بالصواب ، يكدره بالإعجاب . ومع هذا يُصرّح ^(٣) في كل شهر مرة أو مرتين .

وأما ابن السمع ، فلا ينزل بفنائهم ، ولا يسقي من إنائهم ؛ لأنه دونهم في الحفظ والنقل والنظر والجدل ، وهو بالتبّع ^(٤) أشبه ، وإلى طريقة الدعى أقرب ، والذي يحطّه عن مراتبهم شيثان : أحدهما بلادة فهمه ، والآخر حرصه على كسبه ؛ فهو مسفرغ مُحّ ^(٥) البال مأسور العقل ، يأخذ الدائق ^(٦) والقيراط والحبة والطنسوج والفلس بالصرف والوزن والتطقيف ؛ والقلب متى لم يُنقّ من دنس الدنيا لم يعقب فوائح الحكمة ، ولم يتفوّح ^(٧) برذع الفلسفة ، ولم يقبل شعاع الأخلاق الطاهرة المفضية إلى سعادة الآخرة .

وأما القومسي أبو بكر ، فهو رجل حسنُ البلاغة ، حلّو الكناية ، كثيرُ الفقر المعجبية ، جماعةٌ للكتب الغريبة ؛ محمود العناية في التصحيح والإصلاح والقراءة ، كثير التردد ^(٨) في الدراسة ؛ إلا أنه غير نصيح في الحكمة ؛ لأنّ

(١) يزيد في الرقم ، أي يزيد في حديثه ويكذب . ويريد بالزيادة في السوم : المبالاة ، وأصل السوم في البياضة عرض السلعة للبيع .

(٢) في الأصل « يديه » وسياق المبالاة يقتضى ما أثبتنا بدليل مقابله بقوله بعد « يرتجمه » الخ .

(٣) « بصرح » بالخاء .

(٤) « بالمسبع » .

(٥) مع البال ، أي خالصة .

(٦) الدائق : سدس القدرم . والقيراط : نصف دائق . والحبة : وزن شعيرتين .

والطنسوج : ربع الدائق .

(٧) في الأصل « ولم يتفرخ بربع » ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما يرجعه قوله

قل : « لم يسبق بفوائح » . وردع الطيب : أثره في الثوب والبدن .

(٨) « التردد » .

قريحته ترابية ، وفكرته سحائية ؛ فهو كالمقلد بين المحققين ، والتابع للمتقدمين ؛ مع حبّ للدنيا شديد ، وحسد لأهل الفضل عتيق .
 وأما مسكويه ، فقير بين أغنياء ، وعي^(١) بين أبناء^(٢) ، لأنه شاذ ، وأنا أعطيته في هذه الأيتام (صفوة الشرح لإيساغوجي) وقاطيفورياس ، من تصنيف صديقنا بالري . قال : ومن هو ؟ قلت : أبو القاسم الكاتب غلام أبي الحسن السامري ، وصححه معي ؛ وهو^(٣) الآن لائذ بابن الحار ، وربما شاهد أبا سليمان وليس له فراغ ، ولكنه محس^(٤) في هذا الوقت للحسرة التي لحقته فيما فاتته من قبل .
 فقال : يا عجبا لرجل صحب ابن العميد أبا الفضل ورأى من كان عنده وهذا حفظه ! قلت : قد كان هذا ، ولكنه كان مشغولا بطلب الكيمياء مع أبي الطيب السكيميائي الرازي ، مملوك^(٥) المهمة في طلبه والحرص على إصابته مفتونا^(٦) بكُتب أبي زكرياء ، وجابر بن حيان ؛ ومع هذا كان إليه خدمة صاحبه في خزانة كتبه ؛ هذا مع تقطيع الوقت في حاجاته^(٧) الضرورية والشهوية ؛ والعمر قصير ، والساعات طائرة ، والحركات دائمة^(٨) والفرص بروق تأتلق^(٩) ، والأوطار في غرضها تجتمع وتفترق ، والنفوس على فواتها تذوب

(١) وردت هذه الكلمة في الأصل مهلة الحرفين الأخيرين من النقط .

(٢) « أبناء » .

(٣) في الأصل « وهو الآن لا يكيين الحار » . وما أثبتناه عن مصمم الأدباء في ترجمة

ابن مسكويه .

(٤) « محب في هذا الوقت للحيرة » وهو تحريف في كلتا الكلمتين .

(٥) « المملوك » .

(٦) « مقترا » .

(٧) « في الحاجات » . وفي هذه الكلمة حروف زائدة من الناسخ ؛ والسياق

يقتضى ما أثبتنا .

(٨) « دائمة » .

(٩) « تكتلق » .

وتحترق ؛ ولقد قطن العاصري^(١) الرمي خمس سنين مُجَمَّة^(٢) ودرس وأملى وصنّف وروى فما أخذ مسكويه عنه كلمة واحدة ، ولا وعى مسألة ، حتى كأنّه بينه وبينه سدّ ؛ ولقد تجرّع على هذا التوائى الصاب والعلقم ، ومضغ بنمه حنظل الندامة في نفسه ، وسمع بأذنه قوارع اللامة من أصدقائه حين لم ينفع ذلك كلّهُ . وبعدُ فهو ذكيّ حسن الشعر نقيّ اللفظ ، وإن بقي فساد يتوسط هذا الحديث ، وما أرى ذلك مع كلفه بالكيمياء ، وإتقان زمانه وكذبته^(٣) وقلبه في خدمة السلطان ، وأحترقه في البخل بالذائق والقيراط والكسرة والخرقة ؛ نموذ بالله من مدح الجود باللسان ، وإيثار الشحّ بالفعل ، وتمجيد الكرم بالقول ومفارقة العمل ؛ وهذا هو الشقاء المصبوب على هامة من يُبلى به ، والبلاء المعسوب^(٤) بناصية من غلب عليه .

وأما عيسى بن عليّ ، فله الذّرع الواسع والصّدّر الرحيب في العبارة ، حجة في النقل والترجمة ، والتصرّف في فنون اللغات ، وضروب المعاني والعبارات ؛ وقد تصفّح مالم يتصفّح كثير من هذه الجماعة ، وقلب بخزائن الكبراء والسادات ، وأعين^(٥) بالعمر الطويل والفراغ المديد ؛ ولكنّه مع هذا الفضل الكثير بمخيل

(١) العاصري ، هو أبو الحسن محمد بن يوسف العاصري ، فيلسوف معاصر لابن سينا وكانت بينهما مباحثات في الفلسفة ، ومن جملة كتب ابن سينا كتاب الأجوبة لسؤالات سأله عنها أبو الحسن العاصري ، ويقول أبو حيان في المقابسات إنه كان من أعلام عصره وكان متبحراً في الفلسفة اليونانية منكبا على كتب أرسطو وله على بعضها شروح ؛ وقد اتصل بابن العميد وقرأ معاً عدة كتب ، وتوفي نحو سنة ٣٨٠ .

(٢) جمّة ، أي مجموعة .

(٣) « وكذبته » .

(٤) « المنسوب » بالنون .

(٥) « وأعين » .

بكلمة واحدة ، وَنصيح^(١) على وَرقة فارغة ، لسودائه الغالبة عليه ، ومزاجه
المتشيط^(٢) بها .

وأما نظيف ، فإنه متوسط ، لا يسفل^(٣) عن أقلهم حفظًا ولا يعلو على
أكثرهم نصيبًا ؛ ويده في الطب أطول ، ولسانه في المجالس أجول ؛ ومعه رفق
وحذق في الجدال .

وأما يحيى بن عدي ، فإنه كان شيخا لئِن المريكة فروقة^(٤) ، مشوه^(٥)
الترجمة ، ردى العبارة ، لكنه كان متأتيا^(٦) في تخريج المختلفة^(٧) وقد برع في
مجلسه أكثر هذه الجماعة ، ولم يكن يلوذ^(٨) بالإلهيات ، كان ينهر^(٩) فيها ويضِلُّ
في بساطها ، ويستعجم عليه ما جلّ ، فضلا عما دقّ منها ؛ وكان مبارك المجلس .
فقال : ما قصرت في وصف هذه الطائفة ، وتقريب البغية التي كانت
داخلة^(١٠) في نفوسهم .

حدثني عن مذاهبهم في النفس وما يقولون فيها ؛ وإلى أين يقتنون من

(١) نصيح على ورقة فارغة ، أى أنه بلغ من شدة بخله بعلمه أنه لا يستطيع أحد أن
يخدعه حتى في ورقة فارغة يأخذها منه . وهم يصفون البخل بالنصح على ماله ، لأنه لا يندفع
عنه فيجود به . أو لعله شحيح .

(٢) المتشيط : اللثب . وبها ، أى بسبب السوداء .

(٣) « لا يسفل » .

(٤) الفروقة : الشديد الفزع .

(٥) في الأصل : « موسى » وفيه قلب وتحريف .

(٦) متأتيا ، أى مترفقا متلطفا .

(٧) في تخريج المختلفة ، أى المسائل المختلفة .

(٨) « يكون » .

(٩) الانبهار : تتابع النفس واطرادها من الثمب والإعياء .

(١٠) وردت هذه الكلمة في الأصل مؤخرة عن هذا الموضع ؛ والسياق يقتضي

إدخالها هنا .

يقينهم بشأنها ، وكيف تثبتهم ببقائها بعد فناء أبدانها ؟ فقلت : علمت أنى لأجد^(١) ما أريد من حديث النفس عند أصحابنا الباقين ، أعنى أبا الوفاء على بن يحيى الساسرى والمرعى والقومى والصوفى وغلّام زحل^(٢) والصاغانى ، وكذلك غيرهم أعنى ابن عبدان وابن يعقوب وابن لالا وابن بكش^(٣) وابن قوسين^(٤) والحزائى ، لأن هؤلاء ليسوا يحرثون هذه الأرض ، ولا يرقّون هذا البرّ ولا يجهّزون هذا المتاع ولا يتعاملون به ؛ هذا ينظر فى المرض والصحة والداء والدواء ، وهذا يعتبر الشمس والقمر ، وليس فيهم من يذكر كلمة فى النفس والعقل والإله ، حتى كأنه محظور عليهم ، أو قبيح عندهم .

وقلت : إن هؤلاء القوم — أعنى الطائفة الأولى — متفقون فى الاعتراف بأنها جوهر باق خالد ؛ فأما اليقين فما الحكم به لهم ، لأنهم لو كانوا على ذلك — أعنى واجدين لليقين ذائقين لحلاوته — لما كدحوا للدنيا التى تزول عنهم ويزولون عنها مضطرين ؛ فلو أنهم كانوا على تلج^(٥) من النفس ، ويقظة من العقل ، وأستبصار من القلب ، وسكون من البرهان ، لما تعجّلوا هذه الآذات المنقوصة ، والأوطار الفاسخة ، والشهوات الخسيسة ، مع التبعات الكثيرة والأوزار الثقيلة ؛ ولا عجب فإنه إذا كانت الركاكة^(٦) العائقة تمنع الإنسان

(١) هنا فى الأصل راء وجيم بعد قوله « لا » ولعلهما زيادة من الناسخ .

(٢) غلام زحل : لقب لأبى القاسم عبيد الله بن الحسن كان منجها حاذقا ، توفى سنة ٣٧٦ .

(٣) فى الأصل « بكس » بالسين . وقد ورد اسمه فى أخبار الحكماء لتقفطى بالشين .

(٤) ابن قوسين : طبيب مشهور فى زمانه ، كان يهوديا وأسلم ، وعمل مقالة فى الرد على اليهود .

(٥) تلج النفس : راحتها واطمئنانها وسكونها إلى القىء .

(٦) الركاكة : الضعف . أو لعل صوابه : « الزمانة » إذ الركاكة كثيرا ما تستعمل فى ضعف العقل والرأى . والمراد هنا ما يمرض البدن ، كما يقتضيه سياق ما يأتى .

من التدو والسفر ، ومن سرعة الخطو ، لأن الحركة قد بطلت بالرّكّة الداخلة عليه في أعضائه وآلاته ، فأى عجب من أن تكون النفس التي أستعبدتها الشهوات الغالبة ^(١) ، والعميدة الرديئة ، والأفعال القبيحة معوقة بمنوعة من الصعود إلى ممانق الذّآك وتُحارق النجوم وعالم الرّوح ومقعد الصدق ومقام الأمن ومحلّ الكرامة ومراد الخلد وبلد الأبد ومعانٍ ^(٢) السرد .

(٤) قال : هذا كلام تامّ ؛ وسأسألك بعد هذا عن النفس وما تحفظ عنهم فيها لكنّ تمّ لى ما كنّا فيه ، كيف علم أى سليمان بالنجوم وأحكامها ؟ قلتُ : لا يتجاوز التقويم . ثم قال : فما تقول فى الأحكام ؟ قلتُ : أنشدت منذ أيّام :
علم النجوم على العقول وبال وطلاب حق لا يُنال محال

وقلتُ أيضا : علم الأحكام لا يجوز فى الحكمة أن يكون مدركا مكشوفاً مخاطبا به معروفا ؛ ولا يجوز أن يكون مقنوطا منه مطرّحا مجهولا ؛ بل الحكمة توجب أن يتوسط هذا الفنّ بين الإصابة والخطأ حتى لا يُستغنى عن اللّياذ ^(٣) بالله أبدا ، ولا يقع اليأس من قبله أبدا ؛ وعلى هذا سخر الله الإنسان وقبضه ^(٤) وخيّره بين الأمور وفوضه ؛ ومنع ^(٥) من الثقة والطمأنينة إلا فى معرفته وتوحيده وتقديسه وتمجيده ، والرجوع إليه ؛ انظر إلى حديث الطب فإنّ عنده الصناعة توسّطت الصواب والخطأ ، لتكون الحكمة سارية فيها ، واللطف معهودا بها ؛ لأنّ الطب كما يبرأ به الليل ، قد يهلك معه الليل ؛ فليس بسبب أن بعض

(١) « الغالبة » .

(٢) الممان : المنزل .

(٣) « الكيام » .

(٤) فى الأصل : « وقبض له » ، واللام زيادة من الناسخ .

(٥) ورد فى الأصل قبل هذه الكلمة « ماء ويا » ولم تتبين الصواب فيها ؛ ولعلهما

من زيادات الناسخ لاستقامة الكلام بدونها .

المُدَبِّرِينَ بالطب هلك لا ينبغي أَنْ يُنظَرَ في الطب ؛ وليس بسببِ أَنْ بعض المرضى
 برأ بالطب وجب أَنْ يَمُوتَ عليه ؛ انظر إلى هذا التوسط في هذه الحال أَيْكون
 التدبير الإلهي والأمر الربوبي نافذَيْن في هذه الخلائق بوساطة ما بينه وبينها ؛
 ولتكون المصلحة بالغة غايتها ؛ وهذه سياسة دار الفناء ، الجامعة لسكانها على
 البأساء والنماء ؛ وهكذا ، فانظر إلى حديث البحر وركوب البأس المتيقن فيه ،
 وجوب الطول والعرض وإصابة الريح ، وطلب العلم ، كيف تَوَسَّطَ بين السلامة
 والعطب ، والنجاة والهلكة ، فلو أستمريت السلامة حتى لا يوجد من يَفْرَقُ
 ويَهْلِكُ ، لكان في ذلك مَفْسَدَةٌ عامَّةٌ ؛ ولو أستمريت الهلكة حتى لا يوجد من
 يَسْلَمُ وينجو ، لكان في ذلك مفسدة عامَّة ؛ فالحكمة إِذَا مَا تَوَسَّطَ هذا الأمرُ
 حتى يشكر الله من ينجو ، وَيُسَلِّمُ نفسه لله من يهلك . قلت : وبعد هذا فهذا
 العلم ^(١) عويص غامض عميق ، وقد قُدِّعَ العلماء به ، الملهَمون فيه ؛ ومعوَّلُ أهله
 على الحدس والظن ، وعلى بعض التجارب القديمة التي تَكْذِبُ مرَّةً وتَصْدُقُ
 مرَّةً ؛ وبالصدق يعبر الإنسان ، وبالكذب يعرى من فوائده ؛ فالنقص قد
 دخله ، والخلل قد شمله ؛ وليس يجب أَنْ يوهب له زمانٌ عزيز ، فوراءه ما هو
 أَمُّ منه وأَجْدَرُ ، وأرشد وأهدى .

(٥) قال : هذا حسن ، حدثني بالذي أفدت اليوم . قلت : قال أبو سليمان :
 العلم صورة العلوم في نفس العالم ، وأنفس العلماء عالمة بالفعل ، وأنفس المتعلمين عالمة ^(٢)
 بالقوة . والتعليم هو إبراز ما بالقوة إلى الفعل . والتعلم هو بروز ما هو بالقوة إلى
 الفعل . والنفس الفلكية عالمة بالفعل ، والنفس الجزئية عالمة بالقوة ؛ وكل

(١) يريد علم النجوم وأحكامها .

(٢) في الأصل : « علامة » .

نفس جزئية تكون أكثر معلوماً وأحكم مصنوعاً فهي أقرب إلى النفس القلبيّة تشبهاً بها ، وتصيراً لها^(١) .

- قال : هذا في الحُسن نهاية ، وقد أكتهل الليل ، وهذا يحتاج إلى بدء^(١) زمان ، وتفرغ قلب ، وإصغاء جديد . هات خاتمة المجلس . قلت له : قرأنا يوم الجمعة على أبي عبيد الله المرزباني لعبد الله بن مُصعب :

إذا أستمعتُ منك بلحظ طرفي حتى نصفي ومات عليك نصفي
تَلَذُّدُ مقلتي وَيَذُوبُ جسمي وعيشي منك مقرون بجحشي
فلو أبصرتني وَاللَّيْلُ داج وخدّي قد تَوَسَّطَ بطن كَفّي
ودمعي يستهلّ من المآقي إذا لرأيت ما بي فوق وصفي
وانصرفتُ .

الليلة الثالثة

- قال لي ليلة أخرى : حدثني أبو الوفاء عنك حديث الخراساني ، فأريد أن أسمعه منك . قال : كنت قائماً عشية على زَنْبَرِيَّة^(٢) الجسر في [الجانب] الشرقي والحاجّ يدخلون ، وجمالهم قد سدّت عرض الجسر — أنتظر جوازها وخفّة الطريق منها ، فرأيت شيخاً من أهل خُرَاسَان ذَكَر لي أنه من أهل سَنْجَان^(٣) واقفا خلفَ الجمال يسوقها ، ويحفظ الرجال التي عليها ، حتى نظر إلى الجانب الغربي

(١) يقال : نصير أباه : إذا نزع إليه في شبهه .

(٢) في الأصل زيرة والزبريتان هما السفيتان اللتان في الجسر في الجانب المشرق من بغداد يعبر عليهما السالكون كما في عيون الأنبا ١٧٩/١ .

(٣) في الأصل : « سحاب » ؛ ولم نجد هذا الاسم فيها راجعاً من الكتب المؤلفة في أسماء البلاد . وسنجان : قرية بمر .

فرأى الجذع عليه ابنُ بَقِيَّة — وكان وزيراً صلبه الملكُ لذنوب كانت له — فقال :
لا إله إلا الله ، ما أعجب أمور الدنيا وما أقلُّ المفكر في غيرها ، وعبرها ، عضد
الدولة تحت الأرض وعدوه فوق الأرض ! .

قال : هكذا حدثني أبو الوفاء ، ولذلك أستأذنتُ في دفنه ، وكان كلام
الشيخ سبباً في ذلك .

(٢) قال : بلغني أن أبا سليمان يزور في أيام الجمعة رسلَ سجستانَ لَمَّا ^(١) ويظلُّ
عندهم طاعماً ناعماً ، ويأنس بأنك معه ، فمن يحضر ^(٢) ذلك المكان ؟ فقلت : جماعة ؛
وأخبر من كان في هذا الأسبوع الماضى ابنُ جبلة الكاتب ، وابنُ برمويه ^(٣) ، وابن
الناظر ^(٤) أبو منصور وأخوه ، وأبو سليمان وبندار ^(٥) الملقب ^(٦) وغزال الراقص ، وعلم ^(٧)
وراء الستارة . فقال : ما الذي حفظت من حديث ^(٨) عنهم ، وما يجوز أن يلتقى
إلينا منهم ؟ فقلت : سمعت أشياء ، ولست أحب أن أسمي نفسي بنقل الحديث
وإعادة الأحوال فأكون غامزاً وساعياً ومفسداً . قال : معاذ الله من هذا ، إنما
تدلُّ على رشد وخير ، وتُضِلُّ ^(٩) عن غيٍّ وسوء ، وهذا يلزم كلَّ من آثر الصلاح
الخاصَّ والمأمَّ لنفسه وللناس ، وأعتقد الشفقة ، وحَثَّ على قبول النصيحة ؛ والنبيَّ

(١) المم : الجمع ؛ يريد أنه يزورهم مجتمعين .

(٢) « يخطر » .

(٣) في الأصل : « ابنُ زمويه » ، وقد ورد ذكر ابنِ برمويه في كتاب ذيل تجارب
الأمم ؛ وهو الحسن بن برمويه ، كان كاتباً لوالدة صمصام الدولة وكان ممن تأمروا على الإيقاع
بإبن سعدان وقتله ، ثم استوزر ابن برمويه لصمصام الدولة مشتركاً في الوزارة مع أبي القاسم
عبد العزيز بن يوسف .

(٤) في الأصل : « ابنُ الناظر » ، وهو من رجال صمصام الدولة .

(٥) في الأصل : « يكدان » ؛ وهو تحريف .

(٦) « المفكي » .

(٧) علم : اسم جارية .

(٨) في الأصل : « حديثنا » والنون والألف زيادة من الناسخ .

(٩) « تصل » .

صلى الله عليه وسلم قد سمع مثل هذا. وسأل عنه ، وكذلك الخلفاء بعده ، وكلُّ أحد محتاج إلى معرفة الأحوال إذا رجع إلى مرتبة عالية أو محطولة . فقلتُ وجدتُ ابنَ برمويه^(١) يذكر أشياء هي متعلقة بجانبك ، ويرى أنها لو لم تكن لكان مجلسك أشرف ، ودولتك أغزى ، وأيامك أذوم ، ووليكك أحد ، وعدوك أكمد . قال^(٢) : ما هذا الاسترسال كله [إلى] ابن شاهويه^(٣) ؟ وما هذا الكلف بهرام^(٤) ؟ وما هذا التعصب لابن مكيخا^(٥) ؟ وما هذا السكون إلى ابن طاهر^(٦) ؟ وما هذا التعويل على ابن عبدان^(٧) ؟ وما من هؤلاء أحد إلا يرش^(٨) عدوه ويبريه ويضل صاحبه ويقويه^(٩) . أما ابن شاهويه فشيخُ إزرء^(١٠) وصاحبُ محرقة^(١١)

(١) « زمويه » .

(٢) قال ، أى ابن برمويه المحدث عنه .

(٣) ابن شاهويه هذا هو غير ابن شاهويه الفقيه الذى مر ذكره فى مقدمة الكتاب . أما هذا فكان عاملاً كبيراً من عمال صمصام الدولة ، قام بالدعوة له بيمان حتى أذعن له سنة ٣٧٤ ، ثم غضب عليه صمصام الدولة وحبسه . مع ابن سعدان ، ثم نجا من القتل بأعجوبة ، ثم عفى عنه سنة ٣٧٥ .

(٤) هو أبو سعيد بهرام بن أردشير ، كان من رجالات صمصام الدولة ، وكان صديقاً لابن سعدان . يقول ابن سعدان فى وصفه : « إني أرى حديثه آتق من المني إذا أحركت والدنيا إذا ملكت ، وإن تمازجنا بالقل والروح والرأى والتدبير ... ليزيد على حال توأمين تراكضاً فى رحم وتراضاً من ثدى ونوغيا فى مهد » . وقد قبض عليه مع ابن سعدان وقتل معه سنة ٣٧٥ .

(٥) فى الأصل « ابن مكيخا » والجيم زائدة ، وما أثبتناه عن ذيل تجارب الأمم وقد كان أبو على بن مكيخا صاحب ديوان الخزان كعضد الدولة كما عمل من بعده لصمصام الدولة . (٦) هو أبو عبد الله بن طاهر ، كان نائباً عن أبي نصر سابور كما كان من رجالات صمصام الدولة قتل سنة ٣٨٠ .

(٧) « ابن عمان » .

(٨) يرش عدوه الخ كناية عن تقويته للعدو وإعائته على النكاية ، وأصله من راش السهم يرشه إذا ألزق به الريش ليكون أسرع إلى الهدف .

(٩) فى الأصل : « يصل صاحبه ويقويه » ؛ وهو تحريف فى كلتا الكلمتين .

(١٠) الإزرء : الفس والتلبس . يقال : أزرى به إذا أدخل عليه أمراً يريد أن يلبسه عليه .

(١١) المحرقة : الحق والكذب .

بين اللذائذ « همُّهُ أَنْ يَتَحَسَّى دَنَّ الشَّرَابِ فِي نَفْسٍ أَوْ نَفْسَيْنِ ، ثُمَّ يَسْقُطُ كَالْجَذَعِ الْيَابِسِ لَا لِسَانَ وَلَا إِنْسَانَ .

وأما ابن طاهر فرجل يدعى للناس أنه لولا مكانته وكفايته وحسبه ورأيه ومشورته لكانت هذه الوزارة سرايا ، وهذه المملكة خرابا ؛ هذا مع الشر^(١) الذي في طبعه وعادته ؛ فإن جرى خيرٌ أُنْتَحَلَ ، وزعم أنه من نتائج رأيه^(٢) ؛ وإن وقع شرٌ عصبه برأس صاحبه ، وأدعى أنه استبد^(٣) به ؛ ومع هذا فهو يعيب^(٤) هذه المראה . وما أدرى كيف أستكفى^(٥) هذه الجماعة حوله ؟ وكيف يُظَاهَرُ^(٦) هوبها ويسكن إليها ؟ وما فيهم إلا من وَكَّذَهُ الرِّجْسَ وَالْإِفْسَادَ وَالْأَخْذُ بِالْمَصَانِعَةِ وَإِغْرَاءِ الْأَوْلِيَاءِ بِمَا يَعُودُ بِالْوَبَالِ عَلَى الْبَرَى وَالسَّقِيمِ وَعَلَى الزَّكِيِّ وَالظَّنِّينِ^(٧) ؛ هؤلاء مِبَاعُ ضَارِيَةٍ ، وَكَلَابُ عَاوِيَةٍ ؛ وَعِقَارُ لِسَاعَةٍ ، وَأَفَاعٍ نَهَاشَةٍ ، وَفِي اللَّهِ هَذَا الْإِنْسَانُ الْعَرُءُ^(٨) الْمُبَارَكُ الْكَرِيمُ الرَّحِيمُ ، فَإِنَّهُ شَرِيفُ النَّفْسِ طَاهِرُ الطَّلَوِيَّةِ^(٩) ، لَيِّنُ الْعَرِيكَةِ ، كَثِيرُ الْبَيَانَةِ ، وَهَذِهِ أَخْلَاقُ لَا تَصْلُحُ الْيَوْمَ مَعَ النَّاسِ ، قَالَ الشَّاعِرُ^(١٠) :

وَمَنْ لَا يَذُّدُ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ يَهْدَمُ وَمَنْ لَا يَظْلُمُ النَّاسَ يَظْلَمُ

وقال :

وَمَنْ لَا يَذُّدُ عَنْ حَوْضِهِ النَّاسَ أَوْ يَكُنْ لَهُ جَانِبٌ يَشْتَدُّ إِنْ لَانَ جَانِبٌ

(١) « السر » .

(٢) « يبايغ زلته » .

(٣) « أسيد » .

(٤) في الأصل : « عيب لهذه » .

(٥) « استكفيت » والتاء زيادة من الناسخ .

(٦) يظاهر : يماون .

(٧) الزكي : الطاهر النقي . والظنين : المتهم .

(٨) « الحير » .

(٩) « ظاهر الخويّة » .

(١٠) الشاعر زهير بن أبي سلمى .

وكذب ظاهره، كثير الإيهام، شديد التقوية، لا يرجع إلى ودي صادق، ولا إلى عقد صحيح وعهد محفوظ؛ وإنما كان الماضي يقربه لغرض كان له فيه من جهة هؤلاء الخزيين القرامطة، وكان أيضا مذموم^(١) الهيئة، فكان لا ينبس^(٢) إلا بما يقويه ويحرس حاله، واليوم هو رخي اللب^(٣)، جاذب لكل سبب؛ وليس هناك كفاية ولا صيانة^(٤) ولا ديانة ولا مروءة؛ وبعد، فهو مشثوم نكد، ثقل الروح، شديد البهت^(٥) قوله الإفساد وعادته تأجيل^(٦) اللهمنا والشامة بالمأثر^(٧) والتشفي من المنكوب.

وأما بهزام فرجل مجوسى معجب ذميم، لا يعرف الوفاء ولا يرجع إلى حفاظ، غرضه^(٨) أن يتبجح في الدنيا بجاهه، ولا يبالي أين صار بماقته؛ وهو يحض^(٩) مع ذلك عليه في كل ما هو مديره ومدبره.

وأما ابن مكيخا، فرجل نصراني أرعن خسيس، ماجاه يوما بخير قط^(١٠) لا في رأى ولا في عمل ولا في توسط؛ وأصحابنا يلقبونه بققا وهو «منهمك»^(١١)

(١) مذموما بالهيئة.

(٢) ينبس: يتكلم.

(٣) رخي اللب، أى منزع الحال. وهو مجاز؛ وأصل اللب ما بعد من سيور السرج في الية من صدر الدابة لينع استئثار الرجل.

(٤) «صناعة».

(٥) البهت: الكذب والباطل.

(٦) في الأصل: «تجيل» وسياق السلام يقتضى ما أثبتنا. واللهنا مصدر ميمي

(٧) «بالفار»؛ وهو تصحيف.

(٨) «مرضه».

(٩) يحض مع ذلك الخ، أى ينرى الناس بالوزير ويغسد قلوبهم عليه.

(١٠) وردت هذه العبارة في الأصل معرفة الحروف، مهمل أكثرها من النقط؛ وما

أثبتناه أقرب إلى الرسم الوارد في الأصل، كما أن سياق الكلام الآتى يقتضيه.

يَطْلَأُ حَوْضَهُ لِلْمُسْتوردون وتَفْشَهُ شَوَائِبُ لَا تَبْقَى عَلَيْهَا النِّقَائِبُ ^(١)
وما ضاع قولهم : لَا تَكُنْ حُلُوا فَتَوْكَلْ ، وَلَا مَرًّا فَتُعَاف . ليس الْحَذَرُ يَقِي ^(٢)
فَكَيْفَ التَّهَوُّرُ ، أَهْمُنَا لِيَحْيَى تُسَحِّبُ كُلَّ يَوْمٍ ، وَطَوَارِقُ تُتَوَقَّعُ كُلَّ لَيْلَةٍ ! وَالتَّوَكَّلُ
وَالْأَمْسِلَامُ يَلِيقَانِ ^(٣) بِأَهْلِ الدِّينِ فِي طَلَبِ الْآخِرَةِ ؛ فَأَمَّا أَصْحَابُ الدُّنْيَا وَأَرْبَابُ
الْمَرَاتِبِ ، فَيَجِبُ أَنْ يَدْعُوا الْهُوَيْنَا جَانِبًا ، وَيَشْمُرُوا لِلنَّفْعِ وَالضَّرِّ ؛ وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ
وَيَكُونُ ضُرُّهُمْ أَكْثَرَ ، وَشَرُّهُمْ أَغْلَبَ ؛ وَرَهَبُوتُ خَيْرٍ مِنْ رَحْمَتِ .
ولهذا قال الأعرابي :

أَنَا الْغَلَامُ الْأَعْسَرُ الْخَيْرُ فِي وَالشَّرِّ
وَالشَّرِّ فِي أَكْثَرُ

وهذا معنى بديع ، وَلَمْ يُرِدْ أَنْ الْبِدَاءَةَ بِالشَّرِّ خَيْرٌ مِنَ الْخَيْرِ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنِّي أَتَقَي
بِالشَّرِّ ، وَإِذَا أَقْبَلَ الشَّرُّ قُلْتُ لَهُ : مَرْحَبًا ، وَأُدْفَعُ الشَّرَّ وَلَوْ بِالشَّرِّ ، وَالْحَدِيدُ
بِالْحَدِيدِ يُفْلَحُ ^(٤) . وَقَدْ قَالَ الْآخِرُ ^(٥) :

وَفِي الشَّرِّ نَجَاةٌ حَيْثُ لَا يَنْجِيكَ إِحْسَانُ

وقال ابن دارة :

إِذَا كُنْتُ يَوْمًا طَالِبَ الْقَوْمِ فَأُطْرَحُ مَقَالَتِهِمْ وَأَذْهَبُ بِهِمْ كُلَّ مَذْهَبٍ
وَقَارِبُ بَذَى حِلْمٍ وَبَاعِدُ بِجَاهِلٍ جَلُوبٍ عَلَيْكَ الشَّرُّ مِنْ كُلِّ مَجْلَبٍ
فَإِنْ حَدِّثُوا ^(٦) فَأَقْعَسْ وَإِنْهُمْ تَقَاعَسُوا لَيْسْتُمْ سَكُونًا يَمْنًا يَرِيدُونَ فَأُخَذَبُ

(١) شَوَائِبُ ، أَيُ عَيُوبٍ تَخَالُطُ أَخْلَاقَهُ . وَالنِّقَائِبُ : السَّجَايَا وَالْأَخْلَاقُ ، الْوَاحِدَةُ نَقِيبَةٌ .

(٢) فِي الْأَصْلِ « لَيْتَ الْحَذَرُ وَقَى » وَقَوْلُهُ بَعْدَ « فَكَيْفَ » الْحِجْ يُفْتَضَى مَا أَثْبَتْنَا .

(٣) « يَلْتَقِيَانِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) يَفْلَحُ : يَشُقُّ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « نَجَاةٌ لَكَ » وَقَوْلُهُ « لَكَ » زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٦) حَدِّثُوا : مِنَ الْحَدَبِ بِالتَّحْرِيكِ ، وَهُوَ خُرُوجُ الظَّهْرِ وَدُخُولُ الصُّدْرِ وَالْبَطْنِ .

وَالْقَعْسُ بِالتَّحْرِيكِ : عَكْسُهُ .

وإن حلبوا خَلْقِينَ^(١) فاحلب ثلاثة وإن ركبوا يوما لك الشر فاركب
وقال الحجاج بن يوسف أبو محمد — وهو من رجالات العرب وقد قهر العجم
بالدهاء والزكاة — «لو أخذتُ من الناس مائة ألف، كان أرضى عني من أن
أفرق فيهم مائة ألف». كان الناس بالأمس مزمومين^(٢) مخطومين، يقوم كل واحد
بنفسه على نفسه، ويَتَمَّ غَدَهُ لما جناه في أمسه؛ لأن التَّكَّ السعيد ساسهم،
وقوم زيغهم، وقلم أظفارهم؛ وشغلهم بالحاجة عن البطر والأشر، وبالكفاية
عن القلق والضجر؛ وتقدَّم^(٣) إليهم بترك الخوض فيما لا مرجوع له بخير؛
وكانوا لا يشكرون الله على نعمته عليهم به، وإحسانه إليهم بمكانه، فسلبوه
فَتَنَفَسَ خَنَاقُهُمْ، وأتسع نِطَاقُهُمْ، فامتطى كل واحد هواه، ويوشك أن يقع
في مَهْوَاة.

قال: وههنا أشياء أخرى غير هذه، ولكن من يسمع ويقبل؟ ومع هذا
فالأمر صائراً إلى مصايرها، كما أنها صادرة عن مصادرها.
فقال له ابن جبلة: ما عندي إلا أن الوزير — أبقاه الله — عارفٌ بهم
ومستبطنٌ لأمرهم؛ مع العشرة القديمة، والملازمة المتصلة، والخبرة الواقعة؛
ولكن [لا بدَّ]^(٤) لمن كان في محله ورفعته من جماعة يقرُّ بهم، ويرجع إليهم
ويسمع منهم، وينظر بأعينهم، ويصغي بأذانهم، ويتناول بأيديهم. فقال له
مجاوبا: إن كان عارفاً^(٥) بهم، ومستبطناً لأمرهم، وخبيراً بشأنهم؛ فلم سلطهم
وبسطهم، وحدد أنيابهم، وقوى أسنانهم، وفتح أشداقهم، وطول أعناقهم

(١) الخلف: الضرع.

(٢) في الأصل «مرموقين مخطومين»؛ وهو تحريف. وسياق الكلام الآتي يبدى
يقتضى ما أثبتنا. ومزمومين مخطومين، من الزمام والخطام.

(٣) تقدم إليه بكذا أمره به.

(٤) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ولا تستقيم العبارة بدونها.

(٥) «فارفا بهم مشكبتنا»؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين.

وقطع أرباقهم ؛ وأبطرهم فأسكرهم ، حتى صاروا يجهلون أقدارهم ، وينسون ما كانوا فيه من القلة والذلة ؟ هلاً^(١) رتب كل واحد منهم فيما تظهر به كفايته ولا يرفعه إلى ما يظن معه الظن الفاسد ، ولم يضحك في وجوههم ، ويفضي^(٢) على جناباتهم ؟ أما بلغه أن ابن يوسف قال^(٣) : تشبته بأبن شاهويه لأنه قد أعدّه للهرب إلى القرامطة إن دهمه أمر ؟ وأنسه بهرام إنما هو لاستمداد^(٤) الفساد منه وتقديعه لابن طاهر للسرقة على يده ، وفرحه بأبن مكينجا^(٥) للسخرية به وتقريبه لابن الحجاج للسخف ، ولهبجه بأبن هرون للهزء واللعب .

قال له ابن جبلة : من أراد أن يحسن القبيح عند رضاه ، ويقبح الحسن عند سُخطه فعل ، ولا يخلو أحد تهب ريحه^(٦) ، ويعلو شأنه ، وينفذ أمره ونهيهِ من حاسد وقار^(٧) ، ومُدخل ومُرَجِف ، على هذه الأمور بُنيت الدار ، وعليها جرت الأقدار ، إن كنت تنكر هذا الرهط ، فاعرف له^(٨) الرهط الآخر ؛ فإنك تعرف بذلك حسن اختياره وجميل انتقائه ومحمود رأيه .

قال : من هم ؟ قال : أبو الوفاء المهندس ، وابن زرعة المتفلسف ، وابن عبيد الكاتب ، ومسكويه ، والأهوازي والمسجدى فأين هؤلاء الغامطة^(٩) ؟

(١) « على » .

(٢) « يفضي » .

(٣) « طال » .

(٤) « الاستمداد » .

(٥) « ابن مكينجا » .

(٦) تهب ريحه : كناية عن نهوض الحظ وقيام الدولة .

(٧) قار ، أي كاذب ظالم . والدخل : العائب ، من الدخل بالتحريك وسكون الحاء

بمعنى العيب .

(٨) له ، أي للوزير .

(٩) « فالآن » .

(١٠) الغامطة : الذين لا يشكرون النعمة . ويشير بهذا الوصف إلى الجماعة التقدم ذكرهم

وهم ابن شاهويه وبهرام الخ . يريد أين هؤلاء من هؤلاء .

قومٌ هُمهم أن يأكلوا رغيفا ويشربوا قدحا ، لا هم ممن يُقْتَبَس من عليهم ولا هم ^(١) يتكلفون له نصحا ، وهيئته ^(٢) تعوقهم عن ذكر شيء في الدولة من تلقائهم إلا أن يكون شيء يتعلق بهم على معنى خاص ؛ فهو ينود ^(٣) هكذا وهكذا حتى يبلغ منهم ما قدر عليه .

فلما سمع الوزير هذا كله قال : سألقى إليك في جواب هذه المسألة ما تخدمني به إن لاقيتهم في مجلس آخر على وجه يُخْفِي ^(٤) أنك له ملقن مُحَمَّل كأنك ساء عنه غير حافل به ؛ وقد تقطع الليل ، ويحتاج في هذا الحديث إلى أستئناف زمان ، بعد أستيفاء حمام ؛ ثم أنشدت قول الشاعر :

إني لأصفح عن قومي وألبسهم على الضفائن حتى تبرأ المئثر

ثم قال : ما المئثر ؟ قلت : هي الضفائن التي ذكرها في حشو البيت ، واحدا مئثره ، كأنه أراد وألبسهم على الضفائن [حتى تبرأ الضفائن ^(٥)] فرجع من لفظ إلى لفظ ضرورة القافية لئلا كان معناها واحدا ؛ قال : لمن هذا البيت ؟ قلت : لا أحفظ أسم شاعره ، ولكن أحفظ معه أبياتا . قال : هاتها ؛ فأنشدت أول ذلك :
يأئبها الرجل المزعج أذيتيه ^(٦) هل أنت عن قولك الموراء مزدجر
إني إذا عدت مبطلا ^(٧) إلى أمد لا يستطيع حضارى المقرف البطر ^(٨)

(١) « لا هو » .

(٢) « عتقهم » .

(٣) ينود : يتحرك ويتأبل . والمراد أنه يلوح هكذا وهكذا بالكلام .

(٤) « الخفي » .

(٥) هذه العبارة التي بين مربعين ساقطة من الأصل ، ولا يستقيم الكلام بدونها ، فإن قوله : « وألبسهم على الضفائن » من لفظ البيت ، فلا يصح أن يقال فيه : « كأنه أراد » .

(٦) « أذيتيه » .

(٧) « مد مبطاء » .

(٨) الحضار ، بكسر الحاء والمحاخرة : المالبة في الحضر بضمها ، وهو المد والسريع . =

لاقى قناتى مِصرارا عَشَوَزَةً^(١) لا قَادِحَ قَد تَبَغَّاهَا وَلَا خَوْرُ
إِنِّى لِأَصْنَحَ عَنْ قَوْمِى وَالْبَسْهُمْ عَلَى الضَّغْنِ حَتَّى تَبْرَأَ الْمِنْدُ
قَالَ: أُكْتُبُهَا. قُلْتُ: أَفْعَلُ، وَأَنْصَرِفُ، فَأُعَادُ عَلَى بَعْدِ ذَلِكَ شَيْئًا مِمَّا كَانَ.

الليلة الرابعة

(١) قَالَ لِي بَعْدَ ذَلِكَ فِي لَيْلَةٍ أُخْرَى: كَيْفَ رِضَاكَ عَنْ أَبِي الْوَفَاءِ^(٢)؟ قُلْتُ:
أَرْضَى رِضًا بَاتَمَّ شُكْرٍ وَأَحْدِثَاءَ؛ أَخَذَ بِيَدِي، وَنَظَرَ فِي مَعَاشِي، وَنَشَطَنِي
وَبَشَّرَنِي، وَرَعَى عَهْدِي، ثُمَّ خَتَمَ هَذَا كُلَّهُ بِالنِّعْمَةِ الْكُبْرَى، وَقَلَّدَنِي بِهَا الْقِلَادَةَ
الْحَسَنَى، وَشَمَلَنِي بِهَذِهِ الْخِدْمَةِ، وَأَذَاقَنِي حَلَاوَةَ هَذِهِ الْمَرْيَةِ، وَأَوْجَهَنِي عِنْدَ نَظَرَاتِي.
قَالَ: هَاتِ شَيْئًا مِنَ الْفَزْلِ. فَأَنْشَدْتُهُ:
كَلَّا نَا سِوَاءَ فِي الْمَوَى غَيْرَ أَنَّهَا تَجَلَّدُ أَحْيَانًا وَمَا بِي تَجَلَّدُ

== والمغرف من الخيل: ما أمه عربية وأبوه أعجمي. والبطر بكسر الباء: من البطر بالتحريك؛
وهو هنا بمعنى التبعير والدمش والانبهار. يريد أنه يتعير ويدهش حين يسابق أسرع منه فيقصر
عن مسابقته بسبب ذلك. ويقال للبعير القطوف إذا جرى بغيراً واسع الخطو فقصرت خطاه عن
مباراته: «قد أبطره ذرعه» أى حمله على أكثر من طوقه.

(١) ورد هنا البيت في الأصل هكذا:

لاقى قناتى مِصرارا عِشَوَزَةً لا قَارِحَ قَد تَبَغَّاهَا وَلَا خَوْرُ
وفي بعض ألفاظه تحريف ظاهر. ومِصرارا، أى ذات صرر، أى صوت. والعرب يصفون
الفنأة الجيدة بأنها تصوت عند عمرها، كما يدل على ذلك بيت عمرو بن كلثوم الآتي. والعشوزة:
الصلبة الشديدة الفليضة، قال عمرو بن كلثوم يصف قناة:
عِشَوَزَةٌ إِذَا تُمَزَّتْ أَرَّتْ تَشَجَّ قَهَا لِلتَّقَفِّ وَالْجِينَا
والقَادِح: أكل يقع في الشجر. والصندع في السود.

(٢) يريد أبا الوفاء المهندس، وهو محمود بن محمد بن يحيى بن إسماعيل بن العباس، مولده
بيوزجان من بلاد نيسابور سنة ٣٢٨، وانتقل إلى العراق سنة ٣٤٨، وكان إماماً في الحساب
والمهندسة والجبر والفلك؛ توفي سنة ٣٨٧ كافي ابن الأثير أوسنة ٣٨٨ كافي تاريخ الحكماء.
وهو القى ألف أبو حيان له هذا الكتاب.

تخاف وعيد الكاشحين وإنما جنوني عليها [حين] أنهي وأبعد
ثم قال : غالب ظني أن نصرا غلام خواشاذة^(١) ما هرب من فنائي إلا برأيك
وتجسيراك ؛ فإن ذلك عبد ، ولا جرأة له على مثل هذا التدود والشذوذ ، فقد
قال لي القائل : إنك من خلصانه .

قلت : والله الذي لا إله إلا هو ما كان بيني وبينه ما يقتضي هذا الأنس
وهذا الاسترسال ، إنما كنا نلتقي على زنبورية^(٢) باب الجسر بالمشايا وعند
البيمارستان وعلى باب أبي الوفاء ؛ وإنما ركنت إليه لمرقته^(٣) وتاسومته
عند ما كنت رأيته عند صاحبه بالرعي سنة تسع وستين وهو متوجه إلى
قابوس وجرجان ، في المذلة الدائمة والحال المربوطة^(٤) ؛ ولو تبس لي بحرف
من هذا^(٥) ، أو كنت أشعر بأقل شيء منه ، لكنت أقوله لأبي الوفاء
قضاء لحقه ، ووفاء بما له في عنقي من مننه وخوفا من هذا الظن بي ، وقصورا
عن اللائمة لي .

قال : أفأعرف أحدا تسأله عنه ممن كان يخاطبه ويباسطه ؟ قلت :
ما رأيته إلا وحده ؛ ولم كان زمان التلاقي ؟ كان أقل من شهر ، أفى هذا
القدر يتوكد الأنس وترتفع الحشمة وتستحكم الثقة ويقع الاسترسال والتشاور ؟

(١) خواشاذة هو أبو نصر خواشاذة كان فارسيا من كبار رجال شرف الدولة البويهى
وكان سفيرا في الاتفاق وعقد الصلح بين شرف الدولة وصمصام الدولة .

(٢) انظر تفسير هذا اللفظ في الحاشية رقم ٢ صفحة ٤١ .

(٣) الرقعة : من لبس الصوفية ، لما فيها من الرقع . والتاسومة : كلمة شائعة الاستعمال
عند العامة في نوع من المنال البالية يليسه الفقراء ؛ ولم نجد لها في راجعناه من كتب اللغة ، كما
أنها لم ترد فيها بين أيدينا من الكتب المؤلفة في الألفاظ العامية والدخيلة .

(٤) لعله يريد بالمربوطة في هذا الموضع ، الواقفة عند حد من الفاقة لا تنتقل عنه .

(٥) من هذا ، أى من أمره .

هذا بعيد . قال : هذا المتخلف^(١) كنتُ قد قرَّبته وربَّته ، ووعدته ومنيته ؛ وتقدمت إلى أبي الوفاء بالإقبال عليه ، والإحسان إليه ، وإذكاري بأمره في الوقت بعد الوقت ، حتى أزيد نباهة وتقديما ، فترك هذا كله وطوى الأرضَ كأنه هارب من حبس ، أو خائف من عذاب . ويقال في الأثر : إن بعض الصفيحيين^(٢) قال : لله قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل ، ما أكثر من يفتر من هذه الكرامة ، ويقوى — على ترفٍ جَمٍّ — على الهوان ، ويصبر على البلاء ، ويقلق في العافية ! إن السجايا لختلفة ، وإن الطباع لمتعادية ؛ قلما يُرى شخصان يتشاكلان في الظاهر إلا يتباينان في الباطن . قلتُ : كذلك هو .

(٣) قال : حدثني لم أمتنع من النفوذ مع ابن موسى إلى الجبل فيما رَسَمْنَا له أن يتوجه فيه ؟ ولقد أطلتُ التعجب من هذا وكرَّرته على أبي الوفاء . قلتُ : معنى من ذلك ثلاثة أشياء : أحدها أن ابن موسى لم يكن من شكلي « ولا أشدَّ للصدِّ »^(٤) هونا^(٥) من مصاحبة الصدِّ^(٥) ، لأنه سوداويّ وجعد . والآخر أنه قيل : ينبغي أن تكون عيننا عليه ، وأنا لو قررت لك الحديث لما رأيتُه [لائقا^(٦)] بحالي ، فكيف إذا قرنتُ برجل باطلٍ^(٧) لو مرَّ بوجهه أسرى

(١) يريد بالمتخلف : هذا الغلام الأبق ، لتخلفه عن متابعة مولاه .

(٢) الصفيحيون : نسبة إلى الصفيح ، وهو من أسماء السماء ، يريد المتبدين المتلفة قلوبهم بالعالم العلوي .

(٣) وردت هذه العبارة التي بين هاتين علامتين في الأصل معرفة لا معنى لها وما أثبتناه هو أقرب الحروف إلى الرسم الوارد في الأصل ، كما أن سياق الكلام يقتضيه .

(٤) الهون : القل والهوان .

(٥) « الصدك » .

(٦) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ، ولعله يريد أنه لو اكتفى بنقل حقيقة الحديث لما كان ذلك لائقا بحاله لما في هذا العمل من وصفه بالسعاية والوشاية .

(٧) يريد بالباطل أنه يأخذ بالشبهات والظنون الباطلة .

لَتَهْدِنِي^(١) من أعلى جبل في الطريق . والآخَرُ أَنِّي كُنتُ أَقْدِمُ مَعَ هَذَا كُلَّهُ عَلَى ابْنِ عَبَّادٍ — وَهُوَ رَجُلٌ أَسَاءَ إِلَيَّ وَأَوْحَشَنِي ، وَحَاوَلَ عَلَى لِسَانِ صَاحِبِهِ ابْنَ شَاهَوِيهِ أَنْ أَتَقَلَّبَ إِلَيْهِ ثَانِيًا ؛ وَكُنتُ أَكْرَهُ ذَلِكَ ، وَمَا كُنتُ^(٢) آتَمُّ مَا يَكُونُ مِنْهُ وَمَتَى ، وَالْمَجْنُونُ^(٣) الْمَطَاعُ ، مَهْرُوبٌ مِنْهُ بِالطَّبَاعِ .
وَبَعْدَ ، فَلَيْسَ لِي [حَاجَةٌ] ^(٤) فِي مِثْلِ هَذِهِ الْخِدْمَةِ ، لِأَنَّ صَدْرَ الْعَمْرِ خِلَامَتِي عَارِيًا مِنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ ، وَكَانَ وَسْطُهُ أَضْعَفَ سَحْلًا ، وَأَبْعَدَ مِنَ الْقِيَامِ بِهِ وَالْقِيَامِ عَلَيْهِ .

فَقَالَ : مَا كَانَ عِنْدِي هَذَا كُلَّهُ .

قَالَ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ ابْنِ عَبَّادٍ فَقَدْ أَتَجَبَّتْهُ وَخَبَرْتَهُ وَحَضَرْتُ^(٥) مَجْلِسَهُ ، وَعَنِ اخْتِلَافِهِ وَمَذْهَبِهِ وَعَادَتِهِ ، وَعَنِ عِلْمِهِ وَبِلَاغَتِهِ ، وَغَالِبِ مَا هُوَ عَلَيْهِ ، وَمَغْلُوبِ مَا لَدَيْهِ ؛ فَمَا أَظُنُّ أَنِّي أَجِدُ مِثْلَكَ فِي الْخَبَرِ عَنْهُ ، وَالْوَصْفِ لَهُ ، عَلَى أَنِّي قَدْ شَاهَدْتَهُ بِهِمَا ذَانِ لَمَّا وَافَى ، وَلَكِنِّي لَمْ أُعْجِبْهُ ، لِأَنَّ اللَّبِثَ كَانَ قَلِيلًا ، وَالشَّغْلَ كَانَ عَظِيمًا ، وَالْعَائِقَ كَانَ وَقَعًا .

فَقُلْتُ : إِنِّي رَجُلٌ مَظْلُومٌ مِنْ^(٦) جِهَتِهِ ، وَعَاتَبْتُ عَلَيْهِ فِي مَعَامَلَتِي ، وَشَدِيدُ الْفَيْضِ لِحِرْمَانِي ، وَإِنْ وَصَفْتُهُ أَرَزَيْتُ^(٧) مُنْتَصِفًا^(٨) ، وَانْتَصَفْتُ مِنْهُ مَسْرِفًا^(٩) ،

(١) دَهَمَهُ : دَحَرَجَهُ .

(٢) « وَمَا أَكْتُبُ » .

(٣) « وَالْمَجْكُوتُ » .

(٤) مَوْضِعُ هَذَا اللَّفْظِ فِي الْأَصْلِ حُرُوفٌ مَطْبُوسَةٌ تَتَعَنَّرُ قِرَاءَتَهَا ، وَسِيَاقُ الْكَلَامِ يَقْتَضِي مَا أَتَيْنَاهُ أَوْ مَا يَفِيدُ مَعْنَاهُ .

(٥) « أَمْرٌ » .

(٦) أَرَيْتُ : زِدْتُ .

(٧) وَرَدَ فِي الْأَصْلِ بَعْدَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ لَامٌ وَمِيمٌ ؛ وَلَهُمَا مِنْ زِيَادَاتِ النَّسَاجِ ، لِاسْتِقَامَةِ الْكَلَامِ بِدُونِهَا .

(٨) « مُشْتَرَفًا » ، وَقَدْ وَرَدَ بَعْدَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ فِي الْأَصْلِ حَاءٌ وَيَاءٌ ؛ وَلَهُمَا مِنْ زِيَادَاتِ النَّسَاجِ .

فلو كنت معتدل الحال بين الرضا والغضب ، أو عاريا منهما جملة ، كان الوصف أصدق ، والصدق به أخلق ؛ على أنى عملت رسالة في أخلاقه وأخلاق ابن العميد أودعتها نفسى الغزير ، ولفظى الطويل والقصير ، وهى فى المسودة ولا جسارة لى على تحريرها ، فإن جانبى مهيب ، ولكره ديب ، وقد قال الشاعر :

إلى أن يغيب^(١) المرء يُرجى ويُتقى ولا يعلم الإنسان ما فى الغيب

قال : دع هذا كله ، وأنسخ لى الرسالة من المسودة ، ولا يمننك ذاك فإن العين لا ترمقها والأذن لا تسمعها واليد لا تنسخها .

وبعد ، فما سألتك إلا وصفه بما جُبِلَ عليه ، أو بما كسب^(٢) هو بيديه من خير وشر ؛ وهذا غير منكر ولا مكروه ، لأمر الله تعالى ، فإنه مع علمه الواسع ، وكرمه السابغ ، يصف المحسن والمسيء ، ويُثنى على هذا وَيُنْثُو^(٣) على ذاك ؛ فأذكر لى من أمره ما خفى اللفظ به وسبق الخاطر إليه وحضر السبب له .

قلت : إن الرجل كثيرُ المحفوظ حاضرُ الجواب فصيحُ اللسان ؛ قد تنف من كل أدب خفيف أشياء ، وأخذ من كل فن أطرافا ؛ والغالب عليه كلام المتكلمين المعتزلة ، وكتابته مهجنة بطرائقهم ، ومناظرته مشوبة^(٤) بعبارة الكتاب ؛ وهو شديد التعصب على أهل الحكمة والناظرين فى أجزائها كالمهندسة والطب والتنجيم والموسيقى والمنطق والتعدد ؛ وليس [عنده]^(٥) بالجزء

(١) يغيب ، أى يموت . وفى الأصل « يعيش » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٢) « كتب » بالناء .

(٣) « يتنوع على ذلك » ، أى يخبر عنه بذنوبه ، يقال : « تناعى فلان ذنوبه » ، إذا أخبر بها عنه وأشاعها .

(٤) كذا فى معجم الأدياء . والذى فى الأصل : « مسترقة » .

(٥) لم ترد هذه الكلمة التى بين مربعين فى الأصل ؛ ومكانها كلمة مطبوعة تصنف قاءتسا .

الإلهي خبر، ولا له فيه عين^(١) ولا أثر؛ وهو حسن القيام بالتروض والقوافي؛ ويقول الشعر، وليس بذلك؛ وفي بديهته غزارة. وأما رويته^(٢) فغزارة؛ وطالمة الجوزاء، والشعرى قريبة منه؛ ويتشيع لمذهب أبي حنيفة ومقالة الزيدية، ولا يرجع إلى الرقة والرأفة والرحمة، والناس كلهم محبسون عنه، لجراته وسلطته واقتداره وبسطته؛ شديد العقاب لطيف الثواب، طويل العتاب؛ بنىء اللسان؛ يعطي كثيرا قليلا (أعني يعطي الكثير القليل)، مغلوب بحرارة الرأس، سريع النضب، بعيد الفينة^(٣) قريب الطيرة، حسود حقود حديد، وحسده وقف على أهل الفضل، وحفده سار إلى أهل الكفاية؛ أما الكتاب والمتصرفون فيخافون سلوته، وأما المنتجعون^(٤) فيخافون جفوته؛ وقد قتل خلقا، وأهلك ناسا، ونفى أمة، فحوة وتمثنا وتجبها وزهوا؛ وهو مع هذا يخدعه الصبي، ويغلبه النقي؛ لأن المدخل عليه واسع، والمآل إليه سهل؛ وذلك بأن يقال: مولانا يتقدم بأن أعاز شيئا من كلامه، ورسائل منشوره ومنظومه؛ فاجبت الأرض إليه^(٥) من فرغانة ومصر وتقليس إلا لاستفيد كلامه وأفصح به، وأتلم البلاغة منه؛ لكننا رسائل مولانا سور قرآن، وفقره فيها آيات فرقان؛ واحتجاجه من ابتدائها إلى انتهائها برهان فوق برهان؛ فسبحان من جمع العالم في واحد، وأبرز جميع قدرته في شخص.

(١) «جين ولا لبر».

(٢) كذا في معجم الأدباء ج ٢ ص ٢٧٦ الطبعة الأولى. والقى في الأصل: «بديته» ولا يستقيم مع العبارة السابقة.

(٣) «النية». والتصحيح عن معجم ياقوت. والفينة: الرجعة.

(٤) «المنكبطون».

(٥) «إلا من فرغانة» وقوله «إلا» زيادة من الناسخ.

فيلين عند ذلك ويزدوب ، ويلهَى عن كلِّ مَهْمٍ له ، وينسى كلَّ فريضة عليه
ويتقدم إلى الخازن ^(١) بأن يُخرج إليه رسائله مع الورق ^(٢) والورق
ويسهل ^(٣) له الإذن عليه ، والوصول إليه ، والتمكّن من مجلسه ؛ فهذا هذا .
ثم يعمل في أوقات كالמיד والفصل شعرا ، ويدفعه إلى أبي عيسى بن
المنعم ، ويقول : قد نخلتُك هذه القصيدة ، امدحني بها في جملة الشعراء ، وكن
الثالث من الهمج ^(٤) المُشدين ^(٥) . فيعمل أبو عيسى — وهو بنداوى محكك ^(٦)
قد شاخ على الخدائع وتحتك — ويُشيد ، فيقول له عند سماعه شعره في نفسه
ووصفه بلسانه ، ومدحه من تحبيره : أعد يا أبا عيسى ، فإنك — والله — مُجيد
زه يا أبا عيسى والله ، قد صفا ذهْنك ، وزادت قريحتك ، وتنقحت قوافيك ؛
ليس هذا من الطراز الأول حين أنشدتنا في العيد الماضي ، مجالسنا تُخرج الناس
وتهب لهم الذكاء ، وتزيد لهم الفطنة ، وتحول الكودن ^(٧) عتيقا ، والمحمر ^(٨)
جوادا ؛ ثم لا يصرفه عن مجلسه إلا بجائزة سنتيه ؛ وعطية هنيئة ؛ ويغيب الجماعة
من الشعراء وغيرهم ، لأنهم يعلمون أن أبا عيسى لا يقرض مضراعا ولا يزن
بيتا ولا يذوق عروضا .

قال يوما : من في الدار ؟ ف قيل له : أبو القاسم الكاتب وأبن ثابت ؛ فعمل

(١) « الخازن » .

(٢) يريد بأحد الورقين : الفراغ الضرورية ، وهو بفتح الراء وكسرهما .

(٣) كذا في معجم الأدياء ج ٢ ص ٢٧٧ الطبعة الأولى . والنسب في الأصل : « ويهلم » ؛
وهو تحريف لا معنى له .

(٤) « الهمج » ، وفي حروفه قلب .

(٥) « المُشدين » وما أثبتناه من معجم الأدياء .

(٦) محكك ، أى مجرب مدرب .

(٧) الكودن : الفرس الهجين . والعتيق : عكسه .

(٨) المحمر : الفرس الهجين .

في الحال بيتين ، وقال لإنسان بين يديه : إذا أذنت لمُذِين فأَدْخُلْ بَمدِّها بساعة
وقل : « قد قلت »^(١) بيتين ، فإن رسمتَ لي إنشادها أنشدتُ « وأزعم أنك
بُدِدتَ بهما ، ولا تجزع من تأفُّي بك ، ولا تنزع من نُكْرِي عليك ، ودفعَ
البيتين إليه ، وأمره بالخروج إلى الصحن ؛ وأذن للرجلين حتى وصلا ؛ فلما
جلسا وأنسا^(٢) دخل الآخر^(٣) على تقييتهما^(٤) ، ووقف للخدمة ، وأخذ
يتلطفُ يَرِي أَنَّهُ يَقْرِضُ شِعْرا ؛ ثم قال : يا مولانا ، قد حضرني بيتان ، فإن
أنت أذنتَ لي أنشدتُ . قال : أنت إنسان أخرجتُ سخيْف ، لا تقول شيئا
فيه خير ، اكفني أمرَك وشِعْرَك . قال : يا مولانا ، هي بديهي ، فإن نكسرتني^(٥)
ظلمتني ؛ وعلى كلِّ حال فأسمع ، فإن كانا بارعين وإلا فعاملني بما تحب^(٦)
قال : أنت لجوج ، هات . فأنشد :

يَأْتِيهَا الصَّاحِبُ تَاجَ الْعَلَا لَا تَجْعَلُنِي نُهْزَةً الشَّامِتِ
بُلُوحِدٍ يُكْنَى أَبَا قَاسِمٍ وَمُحِبِّهِ^(٧) يُعْزَى إِلَى نَابِتِ

قال : قاتلك الله ، لقد أحسنت وأنت مسمى . قال لي أبو القاسم : فكدتُ
أُتَفَقَّأَ غِيظًا ، لأتَّى علمت أنه من قَعَلاته المعروفة ؛ وكان ذلك الجاهل لا يَقْرِضُ

(١) ورد في الأصل بعد قوله : « قلت » جيم وميم وهما زيادة من الناسخ ، لاستقامة الكلام بدونهما ، ولأنهما لم يردا في معجم الأدباء . ويلاحظ أن في هذه النسخة كثيرا من الحروف الزائدة .

(٢) كذا في معجم الأدباء . والذي في الأصل : « موانسا » ؛ وهو تحريف .

(٣) « الآخر » وما أُثبتناه عن معجم الأدباء .

(٤) « قيايتهما » ؛ وهو تحريف . « ودخل على تقييتهما » ، أي على أثرهما . ونفيشة

المضى : حينه وزمنه .

(٥) « تكسرتني » ؛ وهو تحريف . وفي معجم الأدباء « كسرتني » .

(٦) « يجب » .

(٧) « مجبر » بفتح الباء ، أي منسوب إلى مذهب الجبرية بالتحريك ، وهم فرقة يقولون :

ليس للعبد قدرة ، وإن الحركات الإرادية بمثابة الرعدة والرعدة .

بيتا . ثم حدثني الخادم الحديث بنصه .

والذي غلّطه في نفسه وحمله على الإعجاب بفضله والاستبداد برأيه ، أنه لم يُجَبِّه قط بتخطئة ، ولا قوبل بتسوية ؛ ولا قيل له : أخطأت أو قصرت أو لحنت أو غلّطت أو أخلت ، لأنه نشأ على أن يقال : أصاب سيّدنا ، وصدق مولانا ، وفه ذرّه ، ولله بلاؤه ، مارأينا مثله ، ولا سمعنا من يقاربه ، من (أبنُ عبدِ كان) مضافا إليه ؟ ومن (أبنُ ثوابه) مقيسا عليه ؟ ومن (إبراهيم بن العباس) الصولي [إذا أُجمع بينهما] ؟ من (صريع القواني) من (أشجع السلمي) إذا سلّك طريقهما ، ومتّج برشائهما ، وقَدَحَ بزَندهما ؟ قد أُستدرك مولانا على (الخليل) في القروض ، وعلى (أبي عمرو بن العلاء) في اللغة وعلى (أبي يوسف) في النضاء ، وعلى (الإسكافي) في الموازنة ، وعلى (أبنُ نوبخت) في الآراء والديانات ، وعلى (أبنُ مجاهد) في القراءات ؛ وعلى (أبنُ جرير) في التفسير ، وعلى (أرسطوطاليس) في المنطق ، وعلى (الكِندي) في الجزء ^(١) ، وعلى (أبنُ سيرين) في العبارة ، وعلى (أبي العيّناء) في البديهة ، وعلى (أبنُ أبي خالد) في الخطّ ، وعلى (الجاحظ) في الحيوان ، وعلى (سهل بن هرون) في الفقر ، وعلى (يوحنا) في الطب ؛ وعلى (أبنُ رَين) ^(٢) في الفردوس ، وعلى (عيسى بن دأب) في الرواية ، وعلى (الواقدي) في الحفظ ، وعلى (النجار) في البَدَل ^(٣) ، وعلى (أبنُ ثوابه) في التنفّقه ^(٤) ، وعلى (السريّ السّقطلي) في الخطرات والوساوس ، وعلى (مزبّد) ^(٥)

(١) يريد الجزء الذي لا يجزأ ، وهو ما يسمى بالجواهر الفرد .

(٢) « ابن رين » هو علي بن رين كان طبيبا مشهورا ، ألف كتابا اسمه فردوس الحكمة ، وكان يهوديا ثم أسلم على يد المعتصم .

(٣) البدل : اسم كتاب في الكلام لأبي عبد الله الحسين بن محمد النجار .

(٤) في معجم الأدباء « وعلى بن ثوابه في التنفّقه » .

(٥) هو أبو إسحاق مزبّد المدني اشتهر بنوادره المضحكة وبسرعة خاطره ولطيف ملحه .

في النوادر ، وعلى (أبي الحسن العروضي) في أستخراج المعنى ، وعلى (بنى برمك) في الجلود ، وعلى (ذى الرياستين) في التدبير ، وعلى (سطيع) في الكهانة ، وعلى (ابن الحميا خالد بن منان العبسي) في دعواه^(١) ؛ هو والله أولى بقول (أبي شريح أوس بن حجر التميمي) في (فضالة بن كلدة) :

الألمى الذى يظن بك الظن*
كأن قد رأى وقد سمعا

قد يسبق المدح إلى من [لا^(٢)] يستحقه ، ويصير المال إلى من لا يليق به أن يكون ميلا^(٣) حتى إذا وجد من كان لذلك مستحقا منحه ووُفر عليه .

فتراه عند هذا الهذر وأشباهه يتلو ويبتسم ، ويطيّر فرحا ويتقسم ويقول : ولا كذا^(٤) ؛ ثمرة السبق لهم ، وقصّرنا أن نلحقهم ، أو نقفوا أثرهم ونشق غبارهم أو نرد غمارهم . وهو في كل ذلك يتشاكى ويتحايل ، ويلوى شدقه ، وبيتلع ريقه ، ويرد كالأخذ ، يأخذ كالمتمتع ، ويفضّ في عرض الرضا ، ويرضى في كبوس الغضب ، ويتهاك ويتالك ، ويتقابل^(٥) ويتمايل ؛ ويحاكي المومسات ، ويخرج في أصحاب الساجات ؛ ومع هذا كله يظن أن هذا خاف على نقاد الأخلاق وجهابذة الأحوال ، والذين قد فرغهم الله لتتبع

(١) خالد بن سنان روى أنه كان نبيا وكان في زمن الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام وكان بأرض عبس . ولم نجد فيما بين أيدينا من الكتب من لقبه بابن الحميا ، وقد وردت كنيته في معجم الأدباء بأبي الحمياة .

(٢) لم ترد هذه الكلمة التي بين مربعين في الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

(٣) « ميتا » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى . والليل ، ذو المال .

(٤) « ولا كذا » : كلمة ظاهرها الرغبة في الاقتصاد في المدح ، وباطنها الحث على الإكثار منه .

(٥) « ويتقابل » ، أى تتقابل أجزاءه بعضها ببعض ، وذلك إذا استوى في مجلسه ولم يعمل إلى ناحية .

وقال ابن المرزبان : هو كثير السرقة ، سَيُّ الإِثْناق ، ردى القلب والعكس ، فَرُوقَةٌ^(١) في إيراده ، هزيمته قبل هُجُومِهِ^(٢) . [وإِحْجامُهُ^(٣)] أظهر من إقدامه . وقال الصابي : هو مجتهد غير موفَّق ، وفاضل غير منطَق^(٤) ولو خطا كان أسرع له ، كما أنه لما عدا كان أبطأ عليه ؛ وطباع^(٥) الجبليّ مخالف لطباع العراقيّ ، يشب^(٦) مقاربا فيقع بعيدا ، ويتناول صاعدا فيتقاعس قعيدا . وقال عليّ بن جعفر : ثم كانت الطبائع^(٧) ! هو يكذب نفسه بحسن الظن في البلاغة ، وطباعه تصدّق عنه بالتخلف ، فهو يشين اللفظ ويحيل المعنى ، فأما شينه اللفظ فبالجفوة والغلظة والإخلال والفجاجة ؛ وأما إحالته فبالإبعاد عن حومة القصيد والإرادة ؛ والعجب أنه يحفظ الطمّ والرّم^(٨) من النثر والنظم ؛ ثم إذا ادّعاها يقع دونهما سقوطا ، أو يتجاوزهما فُرُوطا^(٩) ؛ هذا مع الكبر المقوت والتشيع الظاهر ، والدعوى العارية من البينة العادلة .

(٦) وما أحسن ما كتب به أحمد بن إسماعيل بن الخصيب إلى آخر : الكبير — أعزك الله — معرض يستوى فيه النّبيّه ذِكرًا ، والخالل قَدْرًا ، ليس

(١) الفروقة : الشديد الفرق بالحريك ، وهو الفزع .

(٢) « هجومه » .

(٣) موضع هذه الكلمة في الأصل حروف مطبوسة تتعذر قراءتها ، والسياق يقتضي ما أثبتنا أو إثبات ما يفيد معناه .

(٤) غير منطوق ، أى غير بليغ النطق .

(٥) الطباع : الطبع ، يستعمل مفردا كما هنا وجما .

(٦) « بنسته »

(٧) يتعجب بهذه العبارة من أصل الطبائع التي تخالف صاحبها فتصدق عنه إذا كذب نفسه ، كما يدل على ذلك سياق الكلام الآتي .

(٨) الطم والرّم : العدد الكثير . يقال : جاء بالطم والرّم . والطم في الأصل : المساء الكثير ، أو ما ساقه الماء من غشاء . والرّم : الثرى . والذي في الأصل « الكظم وأكرم » وهو تحريف في كلتا الكلمتين .

(٩) الفروط : التقدم . وفي الأصل : « فروطا » وهو تصحيف .

أمامه حاجب يمنعه ، ولا دونه حاجز يحظره ؛ والناس أشد تحفظاً على الرئيس المحفوظ ، وأكثر اجتناءً لأفعاله ، وتتبعاً لمعاييه ، وتصفاً لأخلاقه ، وتنقيراً^(١) عن خصاله منهم عن خامل لا يُعبأ به ، وساقط لا يُكترث له ؛ فيسير عيب الجليل^(٢) يقدح فيه ، وصغير الذنب يكبر منه ، وقليل الذم يسرع إليه ؛ ولابن هندو في هذا المعنى :

العيب في الرجل المذكور مذكور والعيب في الخامل المستور مستور
كفوفة^(٣) الظفر تخفى من مهاتها ومثلها في سواد العين مشهور
وقال الزهيري : قد نجم بأصبهان ابن لعباد في غاية الرقاعة والوقاحة والخلاعة وإن كان له يوم ، فسيشقى به قوم ، سمعته يقول هذا سنة أئمتين وخمسين في مجلس من الفقهاء .

وقال ابن حبيب : قال بعض الحكماء : إن للنفس أمراضاً كأعراض البدن إلا أن فضل أمراض النفس على أمراض البدن في الشر والضرر كفضل النفس على البدن في الخير ؛ وصاحبنا^(٤) يعني — ابن عباد — مريض عندنا ، صحيح عند نفسه ، زيف بنقدها ، جيد بنقده ؛ ولو قامت^(٥) الشوق على ساقها ، وتناصف المتعاملون فيها ، ولم يقع إكراه في أخذ ولا إعطاء ، عُرِف البهرج^(٦) الذي

(١) « وتنكيراً » ؛ بالكاف .

(٢) « الجليل » .

(٣) « فوفة » ، وهو تصحيف . والفوف بفاءين : الياء الذي يكون في الأظفار الواحدة فوفة .

(٤) موضع هذه الكلمة في الأصل حروف مطبوسة لم يظهر منها غير الواو والصاد والألف .

(٥) « قامت » ، واللام زيادة من الناسخ .

(٦) « التهريج » . والبهرج : الردى .

أبلغ من ابن يوسف^(١) ، وأغزر وأحفظ وأرؤى وأجمل ركيته ، وأعذب مؤردا ، وأبعد من التفاوت ؛ وليس ابن يوسف من ابن عبّاد في شيء .

فأما ابن العميد فإني سمعت ابن الجمل يقول : سمعت ابن ثوبة يقول : أول من أفسد الكلام أبو الفضل ، لأنه تخيل مذهب الجاحظ وظن أنه إن تبعه لحقه ، وإن تلاه أدركه ، فوقع بعيدا من الجاحظ ، قريبا من نفسه ؛ ألا يعلم أبو الفضل أن مذهب الجاحظ مدبر بأشياء لا تلتقي عند كل إنسان ولا تجتمع في صدر كل أحد : بالطبع والمنشأ والعلم والأصول والعادة والعمر والفراغ والعشق^(٢) والمنافسة والبلوغ ؛ وهذه مفاتيح قلما يملكها واحد ، وسواها^(٣) مغالِق قلما ينفك منها واحد .

وأما أبنته ذو الكفایتين ، فلو عاش كان أبلغ من أبيه ، كما كان أشعر منه ؛ ولقد تشبّه بالجاحظ فأفتضح في مكاتبتة لإخوانه ، ومجانته في كلامه ومسائله لمعلمه التي دلتنا على سرقة وغارته^(٤) وسوء تأتیه^(٥) ، في تسرّره وتغطّيه ؛ ومن شاء سمح نفسه ؛ وكان مع هذا أشدّ الناس أدعاء لكل غريبة ، وأبعد الناس من كل قريبة ؛ وهو نزر^(٦) المعاني ، شديد الكلف باللفظ ؛ وكان أحسدّ

(١) ابن يوسف الذي يريد هو أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف أحد أعيان الكتاب في دولة بني بويه ، تقلد ديوان الرسائل لمضد الدولة طول أيامه ، وتقلد الوزارة بعده دفعت لأولاده ، وهو الذي دس لابن سعدان عند صنعام الدولة حتى سجنه ثم قتله . وفي الجزء الثاني من اليتيمة نماذج من رسائله .

(٢) يريد بالعشق هنا : رغبته وميله إلى ما يزاوله من صناعة الكتابة

(٣) « ووباها » .

(٤) « وغارته » .

(٥) « تأليه » .

(٦) « يزور » .

الناس لمن خَطَّ بالقلم ، أو بَلَّغَ باللسان ، أو فَلَجَّ^(١) في المناظرة ، أو [فَكَّه^(٢)] بالنادرة ، أو أغْرَبَ في جواب ، أو أُنْسَعَ في خطاب ؛ ولقد لقي الناسُ منه الدواهيَ لهذه الأخلاق الخبيثة ؛ وقد ذكُرْتُ ذلك في الرسالة ، وإذا بُيِّضَتْ وقت^(٣) عليها من أولها إلى آخرها إن شاء الله ؛ وأنصرفت .

الليلة الخامسة

- (١) قال لي ليلة أخرى : ألا تتم ما كتبنا به بدأنا . قلت : بلى .
فأما أبو إسحاق^(٤) فإنه أَحَبَّ^(٥) الناس للطريقة المستقيمة ، وأمضاهم على الصحبة الوسطى ، وإنما يُنَقِّمُ عليه قَلَّةُ نصيبه من النحو ؛ وليس ابن عباد في النحو بذلك ؛ ولا كان أيضا ابن العميد إلا ضعيفا ؛ وكان يذهب عنه الشيء اليسير . وأبو إسحاق معانيه فلسفية ، وطباعه عراقية ، وعادته محدودة ؛ لا يَثْبُ ولا يَرَسُب ، ولا يَكِلُّ ولا يَكْهُم^(٦) ، ولا يلتفت وهو متوجه ، ولا يتوجه وهو ملتفت . وقال^(٧) لنا : إمامي ابن عبد كان^(٨) ، وهو قد أوفى عليه ، وإن كان

(١) فلج : فاز على خصمه وظفر به .

(٢) موضع هذه الكلمة في الأصل حروف مطبوسة تتعذر قراءتها ؛ وما أثبتناه أقرب إلى ما ظهر من حروفها .

(٣) « ووقت » . والواو زيادة من الناسخ .

(٤) يريد بأبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي كان كاتب الإنشاء ببغداد عن الخليفة وعن من الدولة البويهية ، وتقلد ديوان الرسائل سنة ٣٤٩ وهم عليه عضد الدولة مكاتبات صدرت منه ، فلما ملك عضد الدولة أراد قتله فشفعوا فيه فأطلقه ، وألف له كتاب « الناجي » في أخبار بني بويه ، وأريد على الإسلام فأبى وظل على دين الصابئة إلى أن مات سنة ٣٨٤ كما روى ابن خلكان . وقال ابن النديم إنه مات قبل سنة ٣٨٠ .

(٥) « جم » وسياق العبارة الآتية بعد يقتضى ما أثبتنا .

(٦) يكهم : يضيف .

(٧) وقال ، أي أبو إسحاق الصابي .

(٨) « ابن عبد كان » هو محمد بن عبد كان ، كان كاتباً للدولة الطولونية ، وكان بليفا مقرسلا فصيحاً ، وله ديوان رسائل .

الرأى وقضية العقل ، لكان مملاً في مصطبة على شارع ، أوفى دار ؛ فإنه يخرج الإنسان بتفهمه وتشاؤمه ، وأستحقاره وأستكباره ، وإعادته وإبدائه ، وهذه أشكال تُعجب الصبيان ولا تنفرهم من المعلمين ، ويكون فرحهم بها سبباً للملازمة والحرص على التعلم والحفظ والرواية والدراسة .

(٤) قال : هذا قدرٌ كافٍ إلى أن تبيض الرسالة ؛ هات مُلحة الوداع . قلتُ : قال أبو الميناء : قال أبو دعلج : قال المهدي : بايع ؛ قلتُ : أبايعكم [علام ؟ قال^(١)] : على ما بويع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم صفين . قال كرز أبو سيار المسمى : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يدرك صفين ، إنما كانت صفين بين علي ومعاوية . فقال دوست بن رباط الفقيمي أبو شعيب : قد علم الأميرُ هذا ، ولكن أحبّ التسهيل على الناس ، وأنصرفت .

الليلة السادسة

(١) ثم حضرته ليلة أخرى فأول ما فاتح به المجلس أن قال : أتفضل العرب على المعجم أم المعجم على العرب ؟

قلتُ : الأمم عند العلماء أربع : الروم ، والعرب ، وفارس ، والهند ؛ وثلاث من هؤلاء عجم ، وصنّب أن يقال : العرب وحدها أفضل من هؤلاء الثلاثة ، مع جوامع ما لها ، وتفاريق ما عندها . قال : إنما أريد بهذا القُرْس . قلتُ : قبل أن أحكم بشيء من تلقاء نفسي ، أروى كلاماً لابن المقفع ، وهو أصيل في القُرْس عريق في المعجم ، مفضل بين أهل الفضل ؛ وهو صاحب (اليتيمة) القائل :

(١) ما بين المربعين لم يرد بالأصل ؛ والسياق يقتضيه .

تركت أصحاب الرسائل بعد هذا الكتاب في ضحاح من الكلام . قال : هات على بركة الله وعونه . قلت : قال شبيب بن شبة : إنا لوقوف في عرصة اليربد — وهو موقوف الأشراف ومجتمع الناس وقد حضر أعيان المصر — إذ طلع ابن المقفع ، فافينا أحد إلّا هسن له ، وأرتاح إلى مساء لته ، وسررنا بطلعته ؛ فقال : ما يفتكم على متون دوابكم في هذا الموضع ؟ فوالله لو بعث الخليفة إلى أهل الأرض يبتنى مثلكم ما أصاب أحدا سواكم ، فهل لكم في دار ابن برثن في ظل ممدود ، وواقية من الشمس ، واستقبال من الشمال ، وترويح للدواب والظلمان ، وتتمتع الأرض فإنها خير بساط وأوطأ ، ويسمع بعضنا من بعض فهو أمد للجلس ، وأدرك للحديث . فسارعنا إلى ذلك ، ونزلنا عن دوابنا في دار ابن برثن تنقسم الشمال ، إذ أقبل علينا ابن المقفع ، فقال : أى الأم أعقل ؟ فقلنا أنه يريد الفرس ، قلنا : فارس أعقل الأم ، نقصد مقاربتة ، ونتوخى مصانعة . فقال : كلاً ، ليس ذلك لها ولا فيها ، هم قوم علّموا فتعلّموا ، ومثّل لهم فامتثلوا وأقتدوا^(١) وبُدّوا بأمر فصاروا إلى أتباعه ، ليس لهم استنباط ولا أستخراج . قلنا له : الرّوم . فقال : ليس ذلك عندها ، بل لهم أبدان وثيقة وهم أصحاب بناء^(٢) وهندسة ، لا يعرفون سواها ، ولا يحسنون غيرها .

قلنا : فالصين . قال : أصحاب أثاث وصنعة ، لا فكر لها ولا روية . قلنا : فالترك . قال : سباع الهراش . قلنا : فالهند . قال : أصحاب وهم وغرقة^(٣) وشعبذة وحيلة . قلنا : فالزنج . قال : بهائم هاملة^(٤) . فرددنا الأمر إليه . قال : العرب .

(١) « وامتدوا » .

(٢) « بقاء » ، وهو تحريف .

(٣) في الأصل : « الحرق » . والشعبذة والشعوة : واحد ، وهي أخذ كالسحر ترى

العين بنير ما عليه أصله في رأى العين .

(٤) هاملة ، أى مهلة . وفي الأصل : « هائلة » .

فللفُرس السياسة والآداب والحدود والرسوم ؛ وللرُوم العلم والحكمة ؛ وللهند الفكر والروية والخفة^(١) والسحر والأناة ؛ وللتُّرك الشجاعة والإقدام ؛ ولزَنج الصبر والكّد والفرح ؛ وللعرب النجدة والقرى والوفاء والبلاء والجود والذمام والخطابة والبيان .

ثم إن هذه الفضائل المذكورة ، في هذه الأمم المشهورة ، ليست لكل واحد من أفرادها ، بل هي الشائعة بينها ؛ ثم في جملتها^(٢) من هو عارٍ من جميعها ، وموسوم بأضدادها ، يعني أنه لا تخلو الفُرس من جاهل بالسياسة ، خالٍ من الأدب ، داخلٍ في الرعاع والهمج ؛ وكذلك العرب لا تخلو من جبانٍ جاهلٍ طيَّاشٍ بخيلٍ عبيٍّ^(٣) وكذلك الهند والرُوم وغيرهم ؛ فعلى هذا إذا قوبل أهلُ الفضل والكمال من الرُوم بأهل الفضل والكمال من الفُرس ، تلاقوا على صراطٍ مستقيم ، ولم يكن بينهم تفاوتٌ إلّا في مقادير الفضل وحدود الكمال ، وتلك لا تخص^(٤) بل تُلمّ . وكذلك إذا قوبل أهلُ النقص والذليلة من أمة بأهل النقص والخساسة من أمة أخرى ، تلاقوا على نهج واحد ، ولم يقع بينهم [تفاوتٌ]^(٥) إلّا في الأقدار والحدود ؛ وتلك لا يُلْتَفَت إليها ، ولا يعار^(٦) عليها ؛ فقد بان بهذا الكشف أنّ الأمم كلّها تقاسمت الفضائل والنقائص بأضطرار الفطرة ، وأختيار الفكرة . ولم يكن بعد ذلك إلّا ما يفتازعه الناس بينهم بالنسبة الترايبية ، والعادة المنشئية

(١) في الأصل : « المفة » ، ولم نجد من معانيها ما يناسب السياق . ولعل صوابه ما أثبتنا . ويريد بالهفة : الشعوذة ، فإنها بخفة في اليد . وقد سبق وصف الهنود بذلك .

(٢) « أجلتها » .

(٣) « غي » .

(٤) في الأصل : « يحصل بل تسلّم » ومعنى الكلمتين لا يناسب السياق . ويريد أنها لا تخص أمة دون أمة ، بل تجمع الأمم كلّها .

(٥) موضع هذه الكلمة حروف مطبوسة في الأصل تتعذر قراءتها .

(٦) يعار : يعاب .

والهوى الغالب من النفس الغضبية، والنزاع الهاجج من القوة الشهوية .
وها هنا شيء آخر، وهو أصل كبير لا يجوز أن يخلو كلامنا من الدلالة عليه
والإيحاء إليه .

[وهو أن ^(١)] كل أمة لها زمان على ضدها ^(٢) ، وهذا بين مكشوف إذا
أرسلت وهمك في دولة يونان والإسكندر ، لَمَّا غَلَبَ وساس ومَلَك ورأس وفتق
ورَتَق ورَسَمَ ودَبَّرَ وأمر ، وحَثَّ وزجر ، ومحا وسطر ، وفعل وأخبر ؛ وكذلك
إذا عطفت إلى حديث كسرى أنوشروان وجدت هذه الأحوال بأعينها ، وإن
كانت في غُلفٍ غيرِ غُلفِ الأول ، ومعارضٍ غيرِ معارضِ المتقدم ؛ ولهذا قال
أبو مسلم صاحبُ الدولة حين قيل له : أى الناس وجدتهم أشجع ؟ فقال : كل
قوم في إقبال دولتهم شجعان . وقد صدق ؛ وعلى هذا كل أمة في مبدأ سعادتها
أفضلُ وأمجَدُ وأشجعُ وأمجَدُ وأسخى وأجودُ وأخطبُ وأنطقُ وأزأى وأصدق ؛
وهذا الاعتبار ينساق من شيء عامٍ لجميع الأمم ، إلى شيء شاملٍ لأمة أمة
إلى شيء حاورٍ لطائفةٍ طائفة ، إلى شيء غالبٍ على قبيلةٍ قبيلة ، إلى شيء معتادٍ
في بيتٍ بيت ، إلى شيء خاصٍ بشخصٍ شخص وإنسانٍ إنسان ؛ وهذا التحولُ
من أمةٍ إلى أمةٍ ، يشير ^(٣) إلى فيض جود الله تعالى على ^(٤) جميع بريته وخليقته
بحسب أستجابتهم لقبوله ، واستعدادهم على تطاول الدهر في نيل ذلك من فضله
ومن رَقَى إلى هذه الرتبة بعين لا قَدَى بها ، أبصر الحق عياناً بلا مِرْيَةٍ ، وأخبر

(١) هذه التكملة التي بين مربعين لم ترد في الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

(٢) ضدها ، أى لها زمان تكون لها فيه الدولة والغلبة على عدوها . وفي الأصل :
« ضد هذا » وقوله : « ذا » زيادة من الناسخ كما يدل عليه سياق الكلام الآتي .

(٣) « وهو يشير » . والظاهر أن قوله « وهو » زيادة من الناسخ .

(٤) « إلى » .

عنه بلا [فريّة^(١)] ؛ ومتى صدق نظرك في مبادئ الأحوال وأوائل الأمور
وضوح لك هذا كله كالنهار إذا متّع^(٢) ، وأستنار كالقمر إذا طلع ؛ ولم يبق
حينئذ ريب في عرفان الحق وحصول الصواب ، إلا ما يكتات بالهوى ، ويسمّع
بالتعصب ، ويحبّ اللجاج ، ويخرج إلى المحك^(٣) ؛ فهناك يطيح^(٤) المعنى
ويضلّ المراد ، فإذا آثرت أن تعرف صحة هذا الحكم وصواب هذا الرأي ،
فاسمع ما أرويه : قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : انصرف العباس بن مرداس
السلمي من مكة فقال : « يا بني سلّم ، إني رأيت أسرا ، وسيكون خيرا ، رأيت
بني عبد المطلب كأن قدودهم الرماح الردينية^(٥) ، وكان وجوههم بدور اللجّة
وكان عمائمهم فوق الرجال ألوية ، وكان منطلقهم مطرؤ الوبل على المحل ؛
وإن الله إذا أراد أن يعمّر^(٦) غرسا له غرسا ، وإن أولئك غرس الله ؛ فترقبوا ثمرته
وتوكفوا^(٧) غيثه ، وتقيّثوا ظلاله ، واستبشروا بنعمة الله عليكم به . » ولقد قرع
العباس بهذا الكلام باب الغيب ، وشعر بالمستور ، وأحسن بالخافي ، وأطلع عقله
على المستتر ، وأهتدى بلطف هاجسه إلى الأمر المزمع ، والحادث المتوقع ؛ وهذا
شئ فاش في العرب ، لعلول وحديثها ، وصفاء فكرتها ، وجودة بنيتها
وأعتدال هيتها ، وصحة فطرتها ، وخلاء ذرعها ، وأتقاد طبعها ، وسعة لغتها
وتصاريف كلامها في أسمائها وأفعالها وحروفها ، وجولانها في اشتقاقاتها ، وما أخذها

(١) هنا كلمة مطبوسة الحروف في الأصل تتمنر قراءتها . واستقامة الكلام تقتضي
ما أثبتنا أو ما يفيد هذا المعنى .

(٢) متع النهار : ارتفع وبلغ غاية ارتفاعه قبل الزوال .

(٣) المحك : المنازعة والتماهى في اللجاج .

(٤) « يطيح » .

(٥) الرماح الردينية : نسبة إلى ردينة ، وهي امرأة من العرب كانت تقوم الرماح .

(٦) « أعمرا » .

(٧) الحرفان الأولان من هذه الكلمة في الأصل مطبوسان تتمنر قراءتهما بموسيقا

الكلام يقتضي ما أثبتنا . ومعنى « توكفوا غيثه » ارتقبوه وانتظروه .

البديعة في أستعاراتها ، وغرائب تصرفها في اختصاراتها ، ولطف كنياتها في مقابلة تصرفيحاتها ، وفنون تبجيحها^(١) في أكناف مقاصدها ، وعجيب مقاربتها^(٢) في حركات لفظها ؛ وهذا وأضعافه مسلم لهم ، وموفر عليهم ، ومعروف فيهم ومنسوب إليهم ، مع الشجاعة والتجدة والذمام^(٣) والضيافة والفطنة والخطابة والعصية والأنفة والحفاظ والوفاء ، والبذل والسخاء ، والتهاك في حب الثناء والتكلم^(٤) الشديد عن النعم والمجاء ؛ إلى غير ذلك مما خُصت به في جاهليتها قبل الإسلام ، مما لا سبيل إلى دفعه وجحوده ، والبهت فيه ، والمكابرة عليه ؛ وقد سمعنا لغات كثيرة — وإن لم نستوعبها — من جميع الأمم ، كلغة أصحابنا العجم والروم والمند والترك وخوارزم وصقلاب وأندلس والزنج ، فما وجدنا شيء من هذه اللغات نصوع^(٥) العربية ، أعنى الفرج التي في كلماتها ، والقضاء الذي نجده بين حروفها ، والمسافة التي بين مخارجها ، والمعادلة التي ندوقها في أمثلتها ، والمساواة التي لا تُجحد في أبيتها ؛ وإذا شئت أن تعرف حقيقة هذا القول ، وصحة هذا الحكم ، فألاحظ عرض^(٦) اللغات التي هو بين أشدها تلابسا وتداخلًا ، وترادفًا وتماثلًا^(٧) وتعضدًا^(٨) ، وإلى ما بعدها مما هو أسلس حروفاً ، وأرق

(١) تبجيحها ، أى التماهي .

(٢) « مقاربتها » .

(٣) « الذمام » .

(٤) التكل بالتمريك : لغة في التكل ، أى التكرار عن الشيء والتعنى عنه .

(٥) وردت هذه الكلمة في الأصل مطبوسة الحرفين الأولين ، ولم يظهر منها غير الواو والعين .

(٦) « عرض » .

(٧) تماثل الكلام : تراكمه وتوالي بعضه فوق بعض . وكان زهير لا يماثل بين الكلام

أى لا يكرره .

(٨) في الأصل : « وتعضد » بالفاء والضاد ؛ ولم نجد من معاني التعضد ما يناسب

السياق ، ولعل صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه خطه على التعضد ، إذ مؤدى الكلمتين واحد .

لفظاً ، وأخفُ اسماً ؛ وألطفُ أوزاناً^(١) ، وأحضرُ عِياناً ؛ وأحلى مَحَرَجاً وأجلى منهجاً^(٢) وأعلى^(٣) مَدَرَجاً ؛ وأعدلُ عدلاً ، وأوضحُ فضلاً ، وأصحَّ وصلاً إلى أن تنزل^(٤) إلى لغة بعد لغة ، ثم تنتهي إلى العربية ، فإنَّكَ تحكم بأن المبدأ الذي أشرنا إليه في العوائص والأغماص ، سرى^(٥) قليلاً قليلاً حتى وقف على العربية في الإفصاح والإيماض .

وهذا شيء يجده^(٦) كلٌّ من كان صحيحَ البنية ، بريثاً من الآفة ، متنزّها عن الهوى والعصبيّة ، محباً للإنصاف في الخصومة^(٧) ، متحرّياً للحقّ في الحكومة ، غير مسترقّ^(٨) بالتقليد ، ولا مخدوع بالإلف ، ولا مسخرّ^(٩) بالعادة ، وإني لأعجب كثيراً ممّن يرجع إلى فضل واسع ، وعلمٍ جامع ؛ وعقلٍ شديد ، وأدبٍ كثير ، إذا أبى هذا الذي وصفته ، وأنكر ما ذكرته ؛ وأعجب أيضاً فضلَ عجبٍ من الجيّهانيّ^(١٠) في كتابه وهو يسبّ العرب ، ويتناول

(١) « أوزاناً » .

(٢) في الأصل : « وأخطر » ومعناه لا يناسب السياق . ويريد بقوله : أحضر عياناً : أنها شديدة الظهور .

(٣) « منهجكم » .

(٤) « ولعلا » .

(٥) « تترك » .

(٦) « سرى » ؛ والتاء زيادة من الناسخ .

(٧) لم يظهر من هذه الكلمة في الأصل غير المال والماء . وسياق الكلام يقتضى إثباتها على هذا الوجه .

(٨) « الخصوصية » .

(٩) في الأصل : « مستغزاً » . ولعل صوابه ما أثبتنا .

(١٠) « مستخرّنا » .

(١١) الجيّهاني : نسبة إلى جيّهان مدينة بخراسان . وقد شهر بهذه النسبة اثنان : أحدهما أبو عبد الله أحمد بن محمد بن نصر وزير السامانية ببخارى ، كان أديباً فاضلاً من الكتب كتاب آيين نامه وكتب أخرى ؛ وجيّهاني آخر اسمه محمد بن أحمد كان كذلك وزيراً للسامانيين . =

أعراضها ويحيط من أقدارها ، ويقول : يا كلون اليرابيع والضباب والجُرْذَان والحَيَّات ويتعاورون ^(١) ويتساورون ، وَيَتَهَاوُونَ ويتفاحشون ، وكأنَّهم قد سُلِّخُوا من فضائل البَشَر ، ولبسوا أَهْبَ الخنازير . قال : ولهذا كان كسرى يسمَّى ملك العرب : « سَكَّان شاه » ، أى ملك الكلاب . قال : وهذا ^(٢) لشدة شبههم بالكلاب وجرائها ، والذئاب وأطْلَافُها ^(٣) وكلاما كثيرا من هذا الصَّوْب أرفع قدره عن مثله ، وإن كان يضع من نفسه بفضل قوله . أتراه لا يعلم لو نزل ^(٤) ذلك القفر وتلك الجزيرة وذلك المكان الخاوى وتلك الفياض والتموamy ، كل كسرى كان فى الفرس ، وكل قيصر كان فى الروم ، وكل بلهور ^(٥) كان بالهند ، وكل يقفور كان بخراسان ، وكل خاقان كان بالترك وكل أخشاد ^(٦) كان بفرغانة وكل صَبْهِيذ ^(٧) كان من أسكنان ^(٨) وأردوان

== قال فيه ياقوت : كان أديا فاضلا شهما جسورا . وقد ترجم لكليهما ياقوت . وقال ابن النديم فى الأخير : لمة من رؤساء المتكلمين الذين يظهرون الإسلام ويطنون الزندقة ويصنفون فى نصرية الأئيمية . والظاهر أن الأخير هو المراد هنا .

(١) يتساورون ، أى يذكر بعضهم عورة بعض .

(٢) « ولهذا » ؟ واللام زيادة من الناسخ .

(٣) أطلاؤها : أولادها .

(٤) فى الأصل : « كوتر » وبعد الراء حرف مطموس يشبه أن يكون « لاما » .

(٥) بلهور : لقب لكل عظيم من ملوك الهند ، مثل به سيويه فى كتابه ، وفسره السيرافى .

(٦) أخشاد وأخشيد لقب كان للملك فرغانة ، ولهذا لقب الرضى بالله العباسى محمد بن

طنج صاحب مصر والشام بالأخشيد ، لأنه كان فرغانيا . وفرغانة مدينة وكورة واسعة وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان .

(٧) فى الأصل : « شبه » بالشين ؛ وفيه تحريف وتقص حرفين إذ لم نجد المعنى المناسب

فيما راجعناه من معجمات اللغتين العربية والفارسية ، ولعل صوابه ما أثبتنا ، فقد ورد فى شفاء الفليل أن صبهيد معناه الأمير ؛ وهو معرب ورد فى شعر جرير . وفى كتاب الألفاظ الفارسية المعربة أن صبهيد بالفارسية معناه قائد العسكر وهو مركب من كلمتين « سبه » أى عسكر و « بد » أى صاحب .

(٨) لعله « أشكيشان » كما فى معجم البلدان ، وهى من قرى أصبهان . وأردوان :

ويقال فيه : أردوال ، بلدة صغيرة بين واسط والجبل وبلاد خوزستان .

ما كانوا يقدون هذه الأحوال لأن من جاع أكل ما وجد ، وطيم ما لحق ^(١) ،
 وشرب ما قدر عليه ، حباً للحياة ، وطلباً للبقاء ، وجزعاً من الموت ، وهرباً من
 ألقناء . أتري أنوشروان إذا وقع إلى فيافي بني أسد وبر ^(٢) (وبار ^(٣)) وسفوح
 طيبة ^(٤) ، وزمل يبرين وساحة هبير ^(٥) ، وجاع وعطش وعري ، أما كان
 يأكل اليزبورع والجُرذان ؛ وما كان يشرب بول الجمل وماء البئر ، وما أسن في
 تلك الوهدات ؟ أو ما كان يلبس البرجد ^(٦) والخبيصة ^(٧) والسمل ^(٨) من الثياب
 وما هو دونه وأخشن ؟ بلى والله ، وآكل حشرات الأرض ونبات الجبال ، وكل
 ما حمض ومَرَّ ، وخُبث وضرَّ ، هذا جهل من قائله ، وخيف من متعيله ؛ على أن
 العرب — رحمك الله — أحسن الناس حالاً وعيشاً إذا جادت بهم السماء ، وصدقتهم
 الأنواء ^(٩) ؛ وأزدانت الأرض ، فهذلت الثمار ، وأطردت الأودية ، وكثر اللبن
 والأقط ^(١٠) والجبن واللحم والرطب والتمر والقمح ، وقامت لهم الأسواق ، وطابت

(١) « بالحق » .

(٢) وبار : أرض واسعة يبلد اليمن زهاء ثلثة فرسخ في مثلها ، وهي ما بين الشحر
 إلى تخوم صنعاء .

(٣) طيبة : بلدة عند زرود . ويريد سفوح الجبال التي هناك .

(٤) الهبير : رمل قرب زرود بطريق مكة . وفي الأصل : « هبير » بتقديم الياء على الباء
 ولم نجد فيها راجعاً من الكتب .

(٥) البرجد : كساء غليظ من صوف أحر . وقال بعضهم : هو كساء ضخم مخطط يصلح
 للخباء وغيره .

(٦) الخبيصة : كساء أسود مربع له علبان .

(٧) السمل من الثياب : الخلق البالي .

(٨) الأنواء : الأمطار ؛ الواحد نوء . وأصل النوء سقوط نجم في المغرب وطلوع
 نجم بحاله من ساعته في المشرق ، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى هذه
 الأنواء .

(٩) الأقط : شيء يتخذ من الخبيض الفنى يطبخ ثم يترك حتى يعسل . وقيل : من
 لبن الحليب .

المزابع وفشا الخصب ، وتَوَالَى التَّنَاج ، وأتصلت الميرة ، وصدق المصاب ^(١) وأَرْفَعَ ^(٢) المنتجع ، وتلاقى القبائل على المحاضر ^(٣) ، وتَقَاوَلُوا ^(٤) وتضايفوا ، وتعاقدوا وتعاهدوا ، وتزاوروا وتناشدوا ؛ وعقدوا الذَّم ، ونطقوا بالحِكم ؛ وقرؤا الطُّرَاق ووصلوا العُفاة ، وزَوَّدُوا السَّابِلَةَ ، وأرشدوا الضَّالَّ ، وقاموا بالَحَمَّالَاتِ ^(٥) وفكَّروا الأَسْرَى ، وتداعوا ^(٦) الجَفَلَى ، وتعاَفُوا النَّقْرَى ، وتنافسوا في أفعال المعروف ؛ هذا وهم في مساقط رهوسهم ، بين جبالهم ورمالهم ، ومناشئ آبائهم وأجدادهم ، وموالدِ أهلهم وأولادهم ، على جاهليتهم الأولى والثانية ، وقد رأيت حين هبت ريحهم وأشرقت دولتهم بالدعوة ، وانتشرت دعوتهم بالملَّة ، وعزت ملتهم بالنبوة ، وغلبت نبوتهم بالشرعية ، ورسخت شريعتهم بالخلافة ، ونُصِّرَتْ خلائقهم بالسياسة الدينيَّة والذَّنيويَّة ، كيف تحوَّلت جميع محاسن الأمم إليهم وكيف وقعت فضائل الأجيال عليهم من غير أن طلبوها وكَدَّحُوا ^(٧) في حيازتها أو تعبوا في نيلها ، بل جاءتهم ^(٨) هذه المناقبُ والمفاخر ، وهذه النوادرُ من المآثر عفا ^(٩) ، وقطنت بين أطناب بيوتهم سهوا رهوا ^(١٠) ؛ وهكذا يكون كلُّ شيء

(١) المصاب : المقصد . يريد المكان الذي يقصدونه للاتباع ، من صاب يصوب إذا قصد .

(٢) أرفع له الماش : وسعه .

(٣) المحاضر : المناهل ، لحضور القبائل واجتماعها عليها ، الواحد محضر بفتح الميم والضاد .

(٤) « وتقاوَلُوا » بالفتح والزاي ؛ وهو تصحيف .

(٥) الحَمَّالَات بفتح الحاء : الديات والفرامات يحملها قوم عن قوم .

(٦) تداعوا الجفلى ، أى دعا بعضهم بعضا إلى الطعام دعوة عامة لا تخصيص فيها .

والنقري : الدعوة الخاصة ، قال طرفة : (نحن في المشتاة ندعو الجفلى * لا ترى الآدب فينا ينتقر) وتعاَفُوا أى كرهوا ، من عاف الميء يافه .

(٧) « وقدحوا » بالفتح .

(٨) « جلتهم » .

(٩) « حقوا » ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(١٠) سهوا رهوا ، أى عفوا بلام مشقة . يقال : آناه هذا الأمر سهوا رهوا ، أى في سهولة ورفق .

تولاه الله بتوفيقه ، وساقه إلى أهله بتأييده ، وحلّى مستحقّيه بأختياره ؛ ولا غالب لأمر الله ، ولا مبدّل لحكم الله ، ولذلك قال الله تعالى : (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) . والله في خلقه أسرار ، تتصّرف بها دوائر الليل والنهار ، وتذلّلها تجارى الأقدار ، حتى يُنتهى بمحبوبها ومكروها إلى القرار .

عزّ إلها معبودا ، وجلّ ربّا محودا مقصودا . وبعد ، فالنبي لا شك فيه من وصف العرب ، ولا جاحد له من حالها ، أنه ليس على وجه الأرض جيلٌ من الناس ينزلون القفر ، وينتجعون السحابَ والقطرَ ؛ ويمالجون الإبلَ والخليلَ والنعيمَ وغيرها ، ويستبدّون في مصالحهم بكلّ ما عنّ وهان ، وبكلّ ما قلّ وكثّر ، وبكلّ ما سهّل وعسّر ؛ ويرجون الخير من السماء في صَوْبِهَا^(١) ، ومن الأرض في نباتها ؛ مع مراعاة الأوان بعد الأوان ، وثقةً بالحال بعد الحال وتبصرةً فيما يُفعل ويُجتنب ؛ ما للعرب فيما قدّمنا وصفه ، وكرّرنا شرحه من علمهم بالخِصْبَ والجَدْبَ ، واللّين والقسوة ، والحرّ والبرّد ، والرياح المختلفة والسحابِ الكاذبة ، والمخايلِ الصادقة ، والأنواءِ المحمودة والمذمومة ، والأسبابِ القريبةِ العجيبة .

وهذا لأنهم مع توحّشهم مستأنسون ، وفي بواديهم حاضرون ، فقد اجتمع لهم من عادات الحاضرة أحسنُ العادات ، ومن أخلاق البادية أظهُرُ الأخلاق . وهذا المعنى على هذا النظم قد عدّمه أصحاب المَدُن وأربابُ الحَضَر ، لأن الدناءة والرقة والكيس والهمين والخلافة والخداع والحيلة والمكر والخبّ تغليب

(١) « صَوْبُهَا » بالناء ؛ وهو تصحيف .

على هؤلاء وتَمْلِكهم ، لأن مدارَ أسرهم على المعاملات السيئة ، والكذب في الحس^(١) ، والخلف في الوعد .

- (٤) والعَرَب قد قدَّسها الله عن هذا الباب بأسره ، وجَبَلها على أشرف الأخلاق بقدرته ؛ ولهذا تجد أحدهم وهو في بَتٍ^(٢) حافيا حاسرا يذكر الكرم ، ويفتخر بالحمدة ، وينتحل النجدة ، ويَحْتَمِل الكَلَّ^(٣) ، ويضحك في وجه الضيف ويستقبله بالبشر ، ويقول : * أحذنه إن الحديث من القرى * ثم لا يقنع بئث العُرف وفعل الخير والصبر على النوائب حتى يحضَّ الصغير والكبير على ذلك ويدعو إليه ، ويستنهضه نحوه ، ويكلفه مجهوده وعفوه .

وقد قيل لرجل منهم في يوم شاتٍ وهو يمشى في سَمَلٍ^(٤) : أما تجد البرد يا أخا العرب ؟ فقال : أمشى الخَيْرَ لِي^(٥) ويكفيني حَسْبِي . والفارسي لا يُحْسِن هذا النمط ، ولا يذوق هذا المعنى ولا يَحْمَلُ هذه اللطيفة ؛ وكذلك الرومي والمهندئي وغيرهما من جميع العَجَم .

- (٥) ومما يدل على تحضرهم في باديتهم ، وتبذيرهم في تحضرهم ، وتحليلهم بأشرف أحوال الأسرى ، أسواقهم التي لهم في الجاهلية ، مثل دومة^(٦) الجندل بقرى

(١) في الأصل : « الحسة » والتاء زيادة من الناسخ .

(٢) في الأصل : « بيت » والياء زيادة من الناسخ . والبت : كساء غليظ من صوف

أو وبر .

(٣) الكل : الضعيف ؛ يقال هو يحمل الكل ، أي يمون الضعفاء الذين لا يستطيعون الكسب ويقوم بأمرهم .

(٤) السمل من الثياب : الخلق البالي .

(٥) « الحترلى » وهو تصحيف . والحيزلى : مشية فيها تناقل وانكسار ، كالخوزلى .

(٦) دومة الجندل : حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبل طى وبينها وبين دمشق

سبع مراحل ، وكانت منازل لكثافة من كلب .

كلب^(١) وهي النصف بين العراق والشام ، كان ينزلها الناس أول يوم من شهر ربيع الأول ، فيقيمون أسواقهم بالبيع والشراء ، والأخذ والعطاء ؛ وكان يمشرون أكيدر^(٢) دومة ، وربما غلبت على السوق كلب فيمشرون^(٣) بعض رؤساء كلب ؛ فيقوم سوقهم إلى آخر الشهر ، ثم ينتقلون إلى سوق هجر^(٤) ، وهو المشقر^(٥) في شهر ربيع الآخر ، فتقوم أسواقهم ؛ وكان يمشرون المنذر بن ساوى أحد بني عبد الله بن دارم ، ثم يرحلون نحو عمان^(٦) ، فتقوم سوقهم بديار دبا^(٨) ، ثم بصحار^(٩) ، ثم يرحلون فينزلون إرم^(١٠) ، وقرى الشحر^(١١) فتقوم أسواقهم أيتاما ، ثم يرحلون فينزلون عدن أبين ، ومن سوق عدن تشتري اللطائم^(١٢) وأنواع الطيب ، ولم يكن في الأرض أكثر طيبا ، ولا أحذق صناعا للطيب من عدن ؛ ثم يرحلون فينزلون الراية من حضرموت ، ومنهم من

(١) في الأصل : « كليب » والياء زيادة من الناسخ .

(٢) أكيدر ، هو صاحب دومة الجندل .

(٣) يمشرون ، أى يأخذ منهم العشر .

(٤) مدينة هجر : قاعدة البحرين . وقيل : ناحية البحرين كلها هجر . قال ياقوت : وهو الصواب .

(٥) المشقر : حصن بالبحرين قديم كان لعبد القيس على حصنا لهم آخر يقال له : الصفا قبل مدينة هجر .

(٦) ذكر صاحب بلوغ الأرب أن هذه السوق كانت تقوم في أول يوم من جادى الآخرة .

(٧) عمان : كورة عربية على ساحل البحر ، وهي في شرق هجر .

(٨) في الأصل : « دبا » وهو تحريف . قال ياقوت : « دبا سوق من أسواق العرب بعمان ، وهي مدينة قديمة مشهورة لها ذكر في أيام العرب وأخبارها وأشعارها ، وكانت قديما قسبة عمان » .

(٩) صحار : بلدة بعمان كانت فيما مضى قسبة هذه الكورة ، وهي على البحر وتلى الجبل .

(١٠) إرم : فلاة قرب عدن كما في كتاب صفة جزيرة العرب .

(١١) الشحر : صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن بين عدن و عمان .

(١٢) اللطائم : نوافج السك ، أى سرره ، الواحد لطيمة .

يجوزها ويرد صنعاء ، فتقوم أسواقهم بها ، ومنها كانت تُجلب آلة الخزز والأدم والبرود ، وكانت تُجلب إليها من معافر^(١) ، وهي معدن البرود والخبر^(٢) ثم يرحلون إلى عكاظ وذى المجاز في الأشهر الحرم ، فتقوم أسواقهم بها ، فيتناشدون ويتحاجون ويتحادون ، ومن له أسير يسمى في فدائه ، ومن له حكومة أرتفع إلى الذى يقوم بأمر الحكومة من بنى تميم ، وكان آخرهم الأقوع بن حابس ؛ ثم يقفون بعرفة ، ويقضون ما عليهم من مناسكهم ؛ ثم يتوجهون إلى أوطانهم . وهذه الأسواق كانت تقوم طول السنة ، فيحضرها من قرب من العرب ومن بعد . هذا حديثهم ، وهم همّل لا عنّ لهم إلا بالسودد ، ولا معقل لهم إلا السيف ، ولا حصون إلا الخليل ، ولا غفر إلا بالبلاغة .

- (٦) ثم لما ملكوا الدّور والقصور والجنان والأودية والأنهار والمعادن والقلاع والمدن والبلدان والسهل والجبل والبر والبحر ، لم يبعدوا عن شأو^(٣) من تقدم بألاف سنين ، ولم يعجزوا عن شيء كان لهم ؛ بل أبرؤا عليهم وزادوا ، وأغربوا وأفادوا ؛ وهذا الحكم ظاهر معروف ، وحاضر مكشوف ؛ ليس إلى مرده سبيل ولا لمجاهده^(٤) ومنكره دليل .

فليستحي الجيهاني^(٥) بعد هذا البيان والكشف والإيضاح ، بالإنصاف من القذع والسفّه اللذين حشا بهما كتابه ، وليرفع نفسه عما يشين العقل ، ولا تقبله حكّام العدل ؛ وصاحب العلم الرصين ، والأدب المسكين ؛ لا يسلط

(١) في الأصل : « معافر » والباء زيادة من الناسخ . ومعافر : مخلاف باليمن تنسب إليه الثياب المعافرية .

(٢) في الأصل : « والخبر » ؛ وهو تصحيف .

(٣) وردت هذه الكلمة في الأصل هكذا : شا « و » والصواب ما أثبتنا .

(٤) « مجاهدة » ؛ وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « الجاني » .

خصته على عرضه بلسانه ، ولا يستدعى مرّ الجواب بتعرضه ويرضى بالميسور في غالب أمره ؛ فإن المصيبة في الحق ربّما خذلت صاحبها وأسلمته ؛ وأبدت عورته ، واجتلبت مساءته ^(١) ؛ فكيف إذا كانت في الباطل ونعوذ بالله أن نكون لفضل أمة من الأمم جاحدين ، كما نعوذ به أن نكون بنقص أمة من الأمم جاهلين . فإن جاحد الحق يدلّ من نفسه على مهانة ، وجاهل النقص يدلّ من نفسه على قصور ؛ فهذا هذا ؛ وفي الجملة المسئلة ، والدعوة المرسلّة ، أن أهل البرّ وأصحاب الصّحارى الذين وطّأهم الأرض ، وغطّأهم السماء ، هم في العدد أكثر وعلى بسيط الأرض أجول ، ومن الترفّه والرفاهية أبعد ، وبالحول والقوة أعلّق وإلى الفكرة والفتنة أفرّغ ^(٢) ، وعلى المصالح والمنافع أوقع ، ومن التّخايز آتّف وللقبائح أعْيِف ؛ وهذا للدّواعى الظاهرة ، والحاجات ^(٣) الضرورية ، والملائق الخاصة ^(٤) على الألفة والمودة ، والشّدائد المؤذية ، والموارض اللازبة ^(٥) ؛ ولهذا يقال : عيبُ الغنى أنه يورث البلادة ، وفضيلة الفقر أنه يبعث الحيلة ؛ وهذا معنى كريم ، لا يُقرّ به إلاّ كلُّ نقّاب عليم .

(٢) وقال الجيهانيّ أيضا : بما يدلّ على شرفنا وتقدّمنا وعزّنا وعلوّ مكاننا ، أن الله أفاض علينا النعم ، ووسّع لدينا القسّم وبوّأنا الجنان والأرياف ، ونعّمتنا وأترّفنا . ولم يفعل هذا بالعرب ، بل أشقّاهم ^(٦) وعذبهم ، وضيق عليهم وحرّمهم ،

(١) « ماته » ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « أفرع » .

(٣) في الأصل : « وإلى الحاجات » وقوله « إلى » زيادة من الناسخ .

(٤) في الأصل : « الحاضرة » والراء زيادة من الناسخ .

(٥) اللازبة ، أى التاجية الشديدة .

(٦) « سقام » .

وَجَمَعَهُمْ فِي جَزِيرَةِ حَرَجَةٍ ، وَرُقْمَةٍ صَغِيرَةٍ ، وَسَقَامٍ^(١) بَارْتَقَ ضَاخٍ ؛ وَبِهَذَا يُعْمَرُ
أَنَّ الْخُصُوصَ بِالنِّعْمَةِ وَالْمَقْصُودَ بِالنِّكْرَامَةِ فَوْقَ الْمَقْصُودِ بِالْإِهَانَةِ .

فَأُطَالُ هَذَا الْبَابَ بِمَا ظَنُّ أَنَّهُ قَدْ ظَفَرَ بِشَيْءٍ لَا جَوَابَ عَنْهُ ، وَلَا مُقَابِلَ
لَهُ ؛ وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ لِمَا خَفِيَ عَلَى غَيْرِهِ وَتَجَلَّى لَهُ ، بَلْ قَدْ خَصَّتِ الْعَرَبُ بَعْدَ
هَذَا بِأَشْيَاءٍ تَطُولُ حَسْرَةُ^(٢) مَنْ فَاتَتْهُ عَلَيْهَا ، وَلَا يَفِيدُ أَلْفَاتُهُ بِالْفَيْظِ إِلَيْهَا ؛ وَقَدْ
دَلَّ كَلَامُهُ عَلَى أَنَّهُ جَاهِلٌ بِالنِّعْمَةِ ، غَافِلٌ عَمَّا هُوَ سِرُّ الْحِكْمَةِ .

وَعِنْدَهُ أَنَّ الْجَاهِلَ إِذَا لَبَسَ الثَّوْبَ النَّاعِمَ ، وَأَكَلَ الْخُبْزَ الْخَوَّارِيَّ^(٣)
وَرَكِبَ الْجَوَادَ ، وَتَقَلَّبَ عَلَى الْحَشِيَّةِ ، وَشَرِبَ الرِّحِيقَ ، وَبَاشَرَ الْحَسَنَاءَ ، هُوَ
أَشْرَفُ مِنَ الْعَالِمِ إِذَا لَبَسَ الْأَطْيَارَ ، وَطَعِمَ الْمُسَبَّ ، وَشَرِبَ الْمَاءَ الْقَرَّاحَ ، وَتَوَسَّدَ
الْأَرْضَ ، وَقَنَعَ بِالْيَسِيرِ وَرَخِيَ الْعَيْشَ ، وَسَلَا عَنْ الْفُضُولِ ؛ هَذَا خَطَأٌ مِنَ
الرَّأْيِ ، وَمَرْدُودٌ مِنَ الْحُكْمِ ، عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى أَوَّلًا ، ثُمَّ عِنْدَ جَمِيعِ أَهْلِ الْفَضْلِ
وَالْحِجَابِ ، وَأَصْحَابِ التَّقَى وَالنُّهَى ؛ وَعَلَى طَرِيقَتِهِ أَيْضًا أَنَّ الْبَصِيرَ أَشْرَفُ مِنَ
الْأَعْمَى ، وَالْفَنَى أَفْضَلُ مِنَ الْفَقِيرِ .

أَلَا يَعْلَمُ أَنَّ الْمَدَارَ عَلَى الْعَقْلِ الَّذِي مَنَ حُرْمُهُ فَهُوَ أَنْقَصُ مِنْ كُلِّ فَقِيرٍ ،
وَعَلَى الَّذِينَ الَّذِينَ مِنْ عَرِيٍّ مِنْهُ فَهُوَ أَسْوَأُ حَالًا مِنْ كُلِّ مُوسِرٍ ؛ وَنِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى
صُرِيِّينَ : أَحَدُ الضَّرْبَيْنِ عَمٌّ بِهِ عِبَادَةٌ ، وَغَمْرٌ بِفَضْلِهِ خَلِيقَتُهُ ، بَدْءًا بِلَا أُسْتَحْقَاقٍ
وَذَلِكَ أَنَّهُ خَلَقَ وَرَزَقَ وَكَفَلَ وَحَفِظَ وَنَعَشَ وَكَلَأَ وَحَرَسَ وَأَمَهَّلَ وَأَفْضَلَ
وَوَهَّبَ وَأَجْزَلَ ؛ وَهَذَا هُوَ الْمَدْلُ الْخَلُوطُ بِالْإِحْسَانِ ، وَالتَّسْوِيَةُ بِالْمَعْمُومَةِ بِالتَّفَضُّلِ

(١) وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْأَسْلِ سَاقِطًا مِنْهَا الْحَرْفُ الْأَخِيرُ ، وَهُوَ الْفَافُ ، وَأَرْتَقَ ،
أَيُّ أَكْدَرَ مِنْ رَتَقَ الْمَاءِ مِنْ بَابِ نَصَرَ وَفَرَحَ إِذَا كَدَرَ . وَضَاحٌ ، أَيُّ مَتَرَضٌ لِلشَّمْسِ .

(٢) « حَرَهُ » .

(٣) الْخَوَّارِيُّ : لِبَابِ الدَّقِيقِ وَخَالِصِهِ .

والقدرةُ المشتملةُ على الحكمة ؛ والضرب الثاني هو الذي يُستحقّ بالعمل والأجتهاد والسعي والأرتياد ، والأختبار والأعتقاد ؛ ليكون جزاءً وثواباً ، ولهذا حَرَّمَ العاميَ الخائف ، وأثال الطائع الموافق ؛ فقد بان الآن أن المدار ليس بالجنان والترفع ، ولا بالذهب والفضة ، ولا الوبر والتدر .

وقد مر^(١) هذا الكلام كله فليَسْكُن من الجَهانيِّ جأشه ، وليفارق طيشه ؛ وليعلم أن من أنصف أعطى بيده ، وسلم الفضل لأهله ؛ فإن التواضع للحق رفعة والترفع بالباطل ضمة^(٢) .

(٨) وهما بقيّة يبنى أن يُتبصّر فيها ؛ من عَرَف النقص البحت ، والنقص المشوب بالزيادة ؛ والفضل الصّرف ، والفضل المزوج بالنقيصة لم يَجِدْ بالهوى الثغوى فضلاً ، ولم يَدْعِ للمصيبة الرديّة شرقاً ، ولم يُنكِر بالحسد مزية ؛ والخلق كلُّهم في نعم الله تعالى مشتركون ، وفي أياديهم مضموسون وبمواهبه متفاضلون ، وعلى قدرته متصرفون ؛ وإلى مشيئته صائرون ، وعن حكيمته مخبرون ، ولآلائه ذاكرون ، ولنعمائه شاكرون ، ولأياديهم ناشرون ، وعلى اختلاف قضائه صابرون ، ولثوابه بالحسنات مستحقّون ، ولعقابه بالسيئات مستوجبون ، ولعفوه برحمته منتظرون ، والله خيرٌ بما يعملون ، وبصير بما يُسرون وما يُعلنون مع الجماعة ، وأبو سليمان يقول : القرب^(٣) أذهب مع صفو العقل ؛ ولذلك هم^(٤) بذكر المحاسن أبده ، وعن أصدادها أنزه . ولو كانت رزقيتهم في وزن بديتهم ، كان الكمال ؛ ولكن لما عزّ الكمال فيهم ، عزّ

(١) « وقدم » .

(٢) « ضمة » .

(٣) « كقرب » .

(٤) في الأصل : « لهم » واللام زيادة من الناسخ .

أيضا^(١) في غيرهم من الأمم ، فالأمة كلها شرعٌ واحد في عدم الكمال إلا أنهم متفاضلون بعد هذا فيما نالوه بالخلق الأول ، وبالأختيار الثاني ؛ وأختلفت أبصارهم في هذا الموضع ، فأما ما مُنِعَ الإنسان في الأول فلا عتب عليه فيه ، لأنه لا يقال للأعمى : لِمَ لا تكون بصيرا ، ولا يقال للطويل : لِمَ لا تكون قصيرا وقد يقال للقصير : سَدِّ طَرَفَكَ ، وأَكْحِلْ عَيْنَكَ ، ومُدِّ^(٢) ناظِرَكَ ؛ كما يقال للطويل : تَطَامَن ، في هذا الزُّفَاقِ حتى تدخل ، وتَقَاصِرَ حتى تصل ؛ وأما ما لم يُمنعهُ الإنسان في الأول ، بل أُعْطِيَهِ وَوُهِبَ لَهُ ، فهو فيه مُطَالَبٌ بما عليه وله كما أنه مُطَالَبٌ بما له وعليه .

(٩) وقال الجبّهانيُّ أيضا : ليس للعرب كتاب إقليدس ولا المجسطى ولا الموسيقى ولا كتاب الفلاحة ، ولا الطب ولا العلاج ، ولا ما يجري في مصالح الأبدان ، ويدخل في خواص الأنفس .

فليعلم الجبّهانيُّ أن هذا كله لهم بنوع إلهي لا بنوع بشري ، كما أن هذا كله لغيرهم بنوع بشري لا بنوع إلهي ، وأعني بالإلهي والبشري الطباعي والصناعي ؛ على أن الإلهي^(٣) هؤلاء قد مازجه بشري هؤلاء ، وبشري هؤلاء قد شابه إلهي هؤلاء ؛ ولو علم هذا الزاري لعلم أن المجسطى وما ذكره ليس للفرس أيضا ، وما عندي أنه مُكابرٌ قيدعى هذا لهم . فإن قال : هو لليونان ، ويونان من العجم ، والفرس من العجم ، فأنا أُخرج^(٤) هذه الفضيلة من العجم إلى العجم فهذا منه حيفٌ على نفسه ، وشهادةٌ على نفسه ؛ لأنه لو فاختريونان لم يستطع أن

(١) رسمت هذه العبارة في الأصل هكذا : « عزا يضا » ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « وقد » بالغاف ؛ وهو تحريف وما أثبتناه أولى بالسياق .

(٣) في الأصل : « للهي » ؛ وهو تحريف .

(٤) في الأصل : « أخرج » ؛ وهو تصحيف .

يدعى هذا للفُرس ، ولا يمكنه أن يقول : نحن أيضا عجم ، وفضيلتكم في هذه الكتب والصناعة متصلة بنا ، وراجعة إلينا . ومتى قال جُبِهَ ^(١) بالمكروه وقوبل بالقُدْع ^(٢) ، وقيل له : صه ، ^(٣) كما يقال للجاهل — إن لم تقل له : « أخسأ » ، كما يقال — في كل ^(٤) الأحاديث ، وإن أغفلته ^(٥) ظلمتُ نفسي ؛ ومن حابي خصمه غلب .

(١٠) قال القاضي أبو حامد المروروذى ^(٦) : لو كانت الفضائل كلها بعقدها وسمعتها ، ونظمها ونثرها ، مجموعة للفُرس ، ومصبوبة على أروسهم ، ومعلقة بأذانهم ، وظالمة من جباههم ؛ لكان لا ينبغي أن يذكروا شأنها ، وأن يخرسوا عن دقها وجاها ، مع نيكهم الأمهات والأخوات والبنات فإن هذا شيء كريه بالطباع ، وضعيف بالسماع ، ومردود عند كل ذى فطرة سليمة ، ومستبشع في نفس كل من له جبة ^(٧) معتدلة . قال : ومن تمام طغيانهم ، وشدة بهتانهم ، أنهم زعموا أن هذا بإذن من الله تعالى ، وبشرية أتت من عند الله ، والله تعالى حرّم الخبائث من المطاعم فكيف حلل ^(٨) الخبائث من المنكوحات ؟

(١) لم يظهر من هذه الكلمة في الأصل غير الباء والماء والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٢) القُدْع : الشتم والرمى بالفحش وسوء القول .

(٣) في الأصل : « تأكل » ومعنى زيادة لا معنى لها .

(٤) في « كل » وهو تحريف لا يستقيم معناه .

(٥) « أغفلته » بالعين والقاف ؛ وهو تصحيف .

(٦) هو القاضي أبو حامد أحمد بن بشر البصرى المروروذى ، كان عالما بفنون العلوم الدينية والأدبية . قال فيه أبو حيان : « كان بحرا يتدفق حفظا للسير ، وقياما بالأخبار ، واستنباطا للمعاني ، وثباتا على الجدل وصبرا في الخصام » . وكان يقول فيه : « إنه أنبل من رأيته في عصرى » . توفي سنة ٣٦٢ .

(٧) « لكيم » ؛ وهو تحريف لا معنى له ، وسياق الكلام يقتضى إثبات ما يفيد معنى الجلبة كما أثبتنا وإن كان بعيدا عن الرسم الموجود في الأصل .

(٨) « على » .

قال : وكذبَ القوم ، لم يكن زرادشت نبيا ، ولو كان نبيا لذكره الله تعالى في عرض الأنبياء الذين نوه بأسمائهم وردد ذكرهم في كتابه ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « سُنُوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ » لأنه لا كتاب لهم من عند الله منزل على مُبَلِّغ عنه . وإنما هو خرافة خدعهم بها زرادشت بقوة التلّك الذي قبل ذلك منه وحملَ الناس عليه طوعا وكرها ، وترغيبا وترهيبا ؛ وكيف يبعث الله نبيا يدعو إلى الإهين أثنين ؟ وهذا مستحيل بالعقل ، وما خلق الله العقل إلا ليشهد بالحق للمُحَقِّق والباطل للمُبْطِل ؛ ولو كان شرعا لكان ذلك شائما عند أهل الكتابين ، أعنى اليهود والنصارى ؛ وكذلك عند الصابئين ، وهم كانوا أكثر الناس عناية بالأديان والبحث عنها ، والتوصل إلى معرفة حقائقها ، ليكونوا من دينهم على ثقة ؛ فكيف صارت النصارى تعرف عيسى ، واليهود تعرف موسى ؛ ومحمد — صلى الله عليه وسلم — يذكرها ويذكر غيرها ، كداود وسليمان ويحيى وزكريا ، وغير هؤلاء ، ولا يذكر زرادشت بالنبوة وأنه جاء من عند الله تعالى بالصدق والحق كما جاء موسى وعيسى^(١) لكنني بُعِثْتُ ناسخا لكل شريعة ، ومجددا لشريعة خصى الله بها من بين العرب .

قال : وهذا بيان نافع في كذبهم ؛ وإنما جاءوا إلى وهي فرقوه ، وإلى حرام بللعقل فأباحوه ، وإلى خبيث بالطبع فارتكبوه وإلى قبيح في العادة فاستحسنوه . وقد وجدنا في البهائم ما إذا أُنزِيَ الفحل منها على أمّه لم يطاوع ، وإذا أُكْرِه وخُدِع وعُرف غضب على أهله ونَدَّ عنهم ، وشرَّ رَ عليهم ؛ فإنا نقول في خُلُق لا ترضاه البهيمة ، ولا تطاوعه^(٢) فيه الطبيعة ، بل ياباه حسه مع كُلوله^(٣)

(١) يلاحظ أن موضع هذه النقطة كلام ساقط من الأصل فيما يظهر لنا .

(٢) تطاوعه ، أى تطاوع الفحل .

(٣) وردت هذه الكلمة في الأصل هكذا : « ككوكه » ؛ وهو تعريف .

وتبرّد شهوته مع اشتغالها ، ويرضاه هؤلاء القوم مع عُجبهم بمقولهم ، وكبرهم في أنفسهم .

ولو كان زرادشت أقام لهم على هذه الحُصْلة اللّثيمة والفُعلة الذميمة كلّ آية وكلّ برهان ، ونثر عليهم نجومَ السماء ، وأطّلع لهم الشمس من المغرب ، وقتت لهم الجبال ، وغَيّض لهم البحار ، وأرام الثريا تمشي على الأرض تخترق السكك وتشهد له بالصدق ، لكان من الواجب بالعقل والنيرة والحكمة وبالأفّة وبالتفّرّز وبالتعرّز ألاّ يجيبوه إلى ذلك ، ويشكّوا في كل آية يرون منه ، ويقتلوه ، ويُنكّلوا به .

ولكن يمثّل هذا العقل قبلوا من مزدك ما قبلوه مرّة ، ولو عاملوا زرادشت بما عاملوا به مزدك ما كان الأمر إلا واحدا ، ولا كان الحق إلا منصورا ، ولا كان الباطل إلا مقهورا ، ولكن اتفق على مزدك ملك عاقل فوضع باطله ، واتفق لزرادشت ملك ركيك فرفع باطله ؛ وما نزع الله عنهم الملك إلا بالحق ، كما قال تعالى : (فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ) . ثم قال : وبعد ، فكل شيء خارج من الحكمة الإلهية والعقلية والطبيعية فهو ساقط بهرج ، ومردود مردول ، إذا فعله جاهل عُذِر بالجهل ، وإذا أتاه عالم عُذِل للعلم .

قال : وكانت العرب بهذا الخلق الذميم ، وهذا الفعل اللثيم ، لو فعلته أعذر ، لأنهم أشد غلّة من غيرهم وأكثر تهيجا ، وأقوى على البضاع ، وأوثب على النساء يدلك على هذا غزلهم وعشقهم ونظمهم ونثرهم و فراغهم وشهوتهم ، وترام مع هذه الدواعي والبواعث لم يستحسنوا هذا ولم يفعلوه ، ولو أكرههم على هذا مكروه ودعاهم إليه داع لما أطاعوه ، ولذلك لم ينبجهم منهم ناجم بالحيلة

فدعا إلى هذا ؛ ولو كان لكان أولَ مَنْ دُقَّ رأسُه بالعَد ، ويُعج بطئه بالخنجِر ؛ وما منعهم من هذا إلا الأُنس الكريمة ، والطباع المعتدلة ، والشكائم الشديدة ، والأرواح العيِّفة ، والعادات الرضيّة ، والضرائب الطيّبة ؛ وكان وأد البنات عندهم أنقى للعاير ، وأطرَدَ للقبائح من هذا أَلَدَى أُستَحسسه زرادشت وقيل منه الفرس ، وهم يَدْعُونَ الحُكْم والعِلْم والعَزَم والعزم ، ولقرط جهلهم وغلبة شهوتهم غفلوا عما يجوز أن يكون الله سبحانه مبيحا له أو حاضرا ، أو مطلِقا أو مانعا ، أو محلا أو محرّما ؛ هيات ما كلف الله أهلَ العقل القيامَ بالدين والتصفّحَ للحقّ^(١) من الباطل إلا لما شرّفهم به في العاجل ، وعرضهم له في الآجل ؛ والمأقبة للمتقين .

قال أبو الحسن الأنصارى^(٢) — وكان حاضرا — الهند أوضح عذرا في هذا الحديث لأنهم جعلوه من باب القربة في بيوت الأصنام ، وبلغوا مرادهم بهذه الخديعة ، ولم ينسبوا إلى الله شيئا منه ، ولا أستجازوا الكذبَ عليه ، ولا علّقوه أيضا على نبيّ من عند الله ، بل رأوه صوابا بالوضع^(٣) ثم طابت أنفسهم من هذا الفعل بالمران والمادة . وبعد ؛ فمقولهم مدخولة ، والبارع منهم قليل ، وهم إلى الإفك^(٤) والوهم والسّحر أميل ، وفي أبوابها أدخل ؛ ثم قال أبو الحسن : انظر إلى جهل زرادشت في هذا الحُكْم وإلى ضعف عقول الفرس في قبولهم منه هذا

(١) « بالحق » بالباء ، والسياق يقتضى اللام كما أثبتنا .

(٢) كنّا بالأصل ولله الأنطاكى ، فإننا لم نجد قيا بين أيدينا من الكتب من يلقب بالأنصارى . وأبو الحسن الأنطاكى هو أبو القاسم علي بن أحمد أصله من أنطاكية ونزل بغداد ، وكان مهندسا حاسبا له مشاركة في علوم الأوائل مع فصاحة لسانه وعذوبة بيانه . مات بغداد سنة ٣٧٦ .

(٣) « لوضع » ولعل صوابه ما أثبتنا .

(٤) « الفكر » ؛ وهو خطأ من الناسخ .

العمل ، وخيّر بينها وبين عقول العرب ، فإنهم قالوا : « اغتربوا لا تُضَوُّوا »^(١) .
 وأستفاض هذا منهم حتى سَمِعَ من صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم ، وذلك
 أن الضوى مكروه ؛ والعرب قالت هذا بالإلهام ، لقراءتهم الصافية ، وأذهانهم
 الواقذة ، وطنيتهم الحرة ، وأعراقهم الكريمة ، وعاداتهم السليمة : وإنما شعروا
 بهذا لأن الضوى الواصل إلى الأبدان هو سارٍ في العقول ، ولكن الفرس عن
 هذا السر غافلون ، ولا يفطن لهذا وأمثاله إلا الأملطيون الأحمديون^(٢) ؛ ثم قال :
 أنشد الأحمي عن العرب قولاً قائلهم في مدح صاحب له :

فَقِي لم تلده بنتُ عمِّ قريبةٍ قيصوى وقديصوى رديد الأقاربِ
 قال : وقالت العرب : « أضواء حقّه » : إذا نقصه . قال : وقال آخر لولده :
 والله لقد كفيتك الضؤولة ، وأخترتُ لك الخؤولة .

وقال أيضا : العرب تقول : « ليس أضوى من القرائب ، ولا أنجب من
 القرائب » وقال الشاعر :

أنذرتُ من كان بعيدَ الممِّ تزويج أولادِ بناتِ الممِّ
 ليس بناجٍ من ضوى أو سقمٍ وأنت إن أطمعته لا ينبي
 وقال الأسدي يفتخر :

ولست^(٣) بضوى تموج عظامه ولادته في خالد بمسد خالد
 تردد^(٤) حتى عمه خال أمه إلى نسب أدنى من السرواحد

(١) اغتربوا لا تضووا ، أى تزوجوا في بباد الأنساب لا في الأقارب لئلا تضوى أولادكم
 أى تنحف وتنصف .

(٢) الأحمدي : الحاذق المشير للأمور القاهر لها لا يشذ عليه شيء . وفي الأساس :
 « رجل أحمدي » : يسوق الأمور أحسن مساق لعلها بها .

(٣) في الأصل : « وكنت » ، وهو تحريف ؛ ومقام الفخر يقتضى ما أثبتنا .

(٤) في الأصل : « تردده » والهاء زيادة من الناسج .

ثم قال : والعرب لم تُرد بهذا إلا نقص الذهن والعقل ، لأنها لو أرادت نقصان الجسم لكانت مخطئة ، لأنهم يريدون سمانة الجسم مع السلامة والصلابة . ثم قال : وعلى هذا طباع الأرض ، ولذلك يقال : إذا كثرت المؤتفكات ^(١) زكت الأرض ، لأنَّ الرياح إذا اختلفت حوّلت تراب أرض إلى أرض ، وإذا كان الأغتراب يؤثر من التراب إلى التراب ، فبالحرى ^(٢) أن يؤثر ^(٣) الإنسان في الإنسان بالأغتراب ، لأن الإنسان أيضا من التراب .

قال أبو حامد : فإظنك قوم يجهلون آثار الطبيعة ، وأسرار الشريعة ^(٤) ؟ ما أذلهم الله باطلا ، ولا سلبهم ملكهم ظالما ، ولا ضربهم بالخزي والمهانة إلا جزاء على سيرتهم القبيحة ، وكذبهم على الله بالجرأة والكابرة ، وما الله بظلام للعبيد .

فلما بلغ القول مداه قال ^(٥) : الله ^(٦) [دَرُّ] ^(٧) هذا النَّفْس الطويل والنَّفث ^(٨) الغزير ! لقد كنتُ قَرَمًا إلى هذا النوع من الكلام ، ففرغَ هَسَكَ لرسمه في جزء لا ينظر فيه ، وأشربَ النفسَ حلاوته ، وأستنتجَ العقيمَ منه ؛ فإنَّ الكلام إذا مرَّ بالسمع خلّق ، وإذا شارَفَه البصر بالقراءة من كتاب أَسَفٌ ؛ والحلْقُ بعيد المنال ، والمُسِفُّ حاضر العين ، والمسموع إذا لم يملكه الحفظ

(١) المؤتفكات : الرياح التي تهب الأرض ؛ أو التي تختلف مهابها .

(٢) في الأصل : « فيه لجرى » وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٣) في الأصل : « يوحش » ؛ وهو تحريف .

(٤) ورد في الأصل بعد قوله : « الفريسة » قوله « من الفريسة » وهي زيادة من

الناسخ لا تتسق مع الكلام .

(٥) أي الوزير .

(٦) « الله » والألف زيادة من الناسخ .

(٧) موضع هذه الكلمة في الأصل حرفان مطموسان ؛ وسباق الجملة يقتضى ما أثبتنا .

تذكر منه الشيء بعد الشيء باليوم الذي لا أنقاده ، والخيال الذي لا مرجح عليه . فقلت : أفضل سامعا مطيعا — إن شاء الله — .

الليلة السابعة

(١) ولما عدتُ إليه في مجلس آخر ، قال : سمعتُ صياحك اليوم في الدار مع ابن عبيد ، فقيم كنتما ؟ قلتُ : كان يذكر أن كتابة الحساب أنفع وأفضل وأعلق بالملك ، والسلطان إليه أحوج ، وهوبها أغنى من كتابة البلاغة والإنشاء والتحرير ، فإذا الكتابة الأولى جد ، والأخرى منزل ؛ ألا ترى أن التشادق والتفيهق والكذب والخداع فيها أكثر ؛ وليس كذلك الحساب والتحصيل والأستدراك والتفصيل . قال : وبعد هذا فتلك صناعة معروفة بالمبدأ ، موصولة بالناية ، حاضرة الجدوى ، سريعة المنفعة ؛ والبلاغة زخرفة وحيلة ، وهي شبيهة بالشراب ، كما أن الأخرى شبيهة بالماء . قال : ومن خسارة البلاغة أن أصحابها يُسترقعون ويُستحمقون ؛ وكان الكتاب قديما في دور الخلفاء ومجالس الوزراء يقولون : اللهم إنا نعوذ بك من رقاعة النشئين ، وحقاقه المعلمين ، وركاكة النحويين ، والنشئ^١ والمعلم والنحوي إخوة وإن كانوا لعلات ؛ والآفة تشملهم والمادة تجمعهم ، والنقص يفرهم ، وإن اختلفت منازلهم ، وتباينت أحوالهم قال : ولولم يكن من صنعة الإنشاء إلا أن للملكة العريضة الواسعة يُكتفى فيها بمنشئ واحد ، ولا يُكتفى فيها بمائة كاتب حساب^(١) وإذا كانت الحاجة إلى هذه أمتن ، كانت الأخرى في نفسها أخص ؛ وبعد ، فصالح أحوال

(١) لم يرد جواب « لو » للمعلم به ، أى لكن كتابة الحساب غرا على كتابة الإنشاء ، أو ما يفيد هذا المعنى .

العامة والخاصة معلقة بالحساب ؛ على هذه الجديلة^(١) والوتيرة يجري الصغار والكبار والعليّة والسفلة ، وما زال أهل الحزم والتجارب يحثون أولادهم ومن لهم به عناية على تعلّم الحساب ، ويقولون لهم : هو سلة الخبز . وهذا كلام مستفيض ؛ ومن عبّر عما في نفسه بلفظ ملحون أو محرّف أو موضوع غير موضعه وأتهم غيره ، وبلغ به إرادته ، وأبلغ غيره ، فقد كفى ؛ والزائد على الكفاية فضل والفضل يُستغنى عنه كثيرا ، والأصل يُفتقر إليه شديدا ، قال : ومن آفات هذه الكتابة أن أصحابها يُقرّفون بالريبة ، ويرُمون بالآفة ، كآل الحسن بن^(٢) وهب وآل ابن ثوبة . قال : هذه ملحمة منكّرة ؛ فما كان من الجواب ؟

- (٢) قلتُ : ما قام من مجلسه إلا بعد النلّ والقماءة ، وهكذا يكون حال من عاب القمر بالكلف ، والشمس بالكسوف ، وأنتحل الباطل ونصر البطل ، وأبطل الحق وزرى على الحق . قلتُ : أيّها الرجل ، قولك هذا كان يسلم لو كان الإنشاء والتحرير والبلاغة بآنية من صناعة الحساب والتحصيل والاستدراك وعمل الجماعة وعقد المؤامرة^(٣) . فأما وهي متصلة بها وداخلة في جملتها ومشتمة عليها وحاجية لها ، فكيف يطرد حُكْمُك وتسلم دعواك ؟ ألا^(٤) تعلم أن أعمال

(١) الجديلة : الشاكلة ؛ يقال : عمل على جديلته ، أى على شاكلكته .

(٢) يشير بهذه العبارة إلى ما فعله الواثق بالله مع الحسن بن وهب كاتبه ، فقد حبسه وأغرمه أربعة عشر ألف دينار ، كما حبس كتابا آخرين وقبض منهم أموالا جمة ، وذلك في سنة تسع وعشرين ومائتين . وإلى نكبة أبي الهيثم بن ثوبة سنة ثلاث وثلاثمائة ، فقد حبس حتى مات في حبسه بالكوفة بعد أن أخذ منه إسحاق بن عمران أموالا جزيلة لنفسه والسلطان . ويقال : إنه احتال على قتله خفية أن يقر عليه بما أخذ منه .

(٣) المؤامرة : عمل تجمع فيه الأوامر الخارجة في مدة أيام الطمع ، ويوقع السلطان في آخره بإجازة ذلك ؛ وقد تعمل المؤامرة في كل ديوان تجمع جميع ما يحتاج إليه من استئثار واستدعاء توقيع .

(٤) في الأصل : « ألا أن تعلم » « وأن » زيادة من الناسخ .

الدواوين التي يتفرد أصحابها فيها بعمل الحساب فقيرة إلى إنشاء الكتب في فنون ما يصفونه ويتعاطونه ؛ بل لا سبيل لهم إلى العمل إلا بعد تقدمة هذه الكتب التي مدارها على الإفهام البليغ والبيان للكشوف والأحتجاج الواضح ، وذلك يوجد من الكاتب المنشئ الذي عبته وعرضته ^(١) ، وهذه الدواوين معروفة ، والأعمال فيها موصوفة ؛ وأنا أحصيتها لك كي تعلم أنك غلط وعن الصواب فيها منحرف .

فنها ديوان الجيش ، وديوان بيت المال ، وديوان التوقيع والدار ، وديوان الخاتم ، وديوان القرض ^(٢) ، وديوان النقد والعمارة ودور الضرب ، وديوان النظام وديوان الشرطة والأحداث ؛ هذا إلى توابع هذه الدواوين مثل باب العين ^(٣) والمؤامرات ، وباب النوادر ^(٤) والتواريخ ، وإدارة الكتب ومجالس الديوان وقبل وبعد ، كما ^(٥) يلزم كاتب الحساب أن يعرف وجوه الأموال ^(٦) حتى إذا جباها وحصلها عمل الحساب أعماله فيها ، فلا يمكنه ^(٧) أن يجيئ ^(٨) إلا بالكتب البليغة والحجج اللازمة واللطائف المستعملة ، ومن تلك الوجوه التي ، وهو أرض العنوة وأرض الصلح وإحياء الأرض والقطائع والصفايا والمقاسمة والوضائع

(١) يقال : عبته بلسانه ، إذا تناوله بمكروه الكلام .

(٢) في الأصل : « القرض » بالصاد المهملة ؛ وهو تصحيف ، والمراد بالقرض : قرض الكتب المحتومة .

(٣) يريد بالعين : خراج العين ، وهو ما يقرر على البساتين والشجريات والكروم والمقايض ويسخر على حكم الضريبة عند إدراك كل صنف . وكان هذا في البلاد الشامية . انظر الجزء الثامن من نهاية الأرب ص ٣٦١ طبع دار الكتب المصرية .

(٤) لعل صوابه : « التقادير » أي تقادير ما تخرجه الأرض من غلة .

(٥) « فا » .

(٦) في الأصل : « الأعمال » وهو خطأ من الناسخ ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه قوله جدد : « حتى إذا جباها » .

(٧) في الأصل : « فيمكنه » . والسياق يقتضي زيادة « لا » النافية .

(٨) « يجيئ » .

وجزية رءوس أهل الذمة وصدقات الإبل والبقر والغنم وأخماسُ الفنائِم والمعادن والركاز^(١) والمال المدفون ، وما يخرج من البحر وما يؤخذ من التجار إذا مروا بالماشر^(٢) والألقطة والضالة وميراث من لا وارث له ومال^(٣) الصدقة ؛ إلى غير ذلك من الأمور المحتاجة إلى المكاتبات البالغة على الرسوم المعتادة والعادات الجارية ، كمهد يُنشأ في إصلاح البريد وتقسيط الشرب ، وكتاب في العبارة وإعادة ما نقص منها ، وفي^(٤) حَزْرِ الفلّة^(٥) والدياس^(٦) ، وفي الدوالي والدواليب والفرافات ، وفي القلب والقسمة ، وفي تقدير الخَصَر^(٧) المبكرة وفي المساحة وفي الطراز^(٨) ، وفي الجوالى^(٩) ، وفي قبض فرائض الصدقات ، وفي أفتتاح الخراجات ، إلى غير ذلك من كُتُب^(١٠) الحاسبين .

فإن قلت : « هذا كله مستغنى عنه » كبرت وبهتت ، لأن مدار المال ودوره ، وزيادته ووفوره على هذه الدواوين التي إما أن يكون حظّ البلاغة فيها أكثر ، وإما أن يكون أثر الحساب فيها أظهر ، وإما أن يتكافأ ؛ فعلى جميع الأحوال لا يكون الكاتب كاملا ، ولا لأسمه مستحقا ، إلا بعد أن ينهض

(١) الركاز ، هو دفين الجاهلية من الأموال .

(٢) الماشر ، هو الذي يأخذ منهم عقر ما معهم .

(٣) « وفي مال » .

(٤) في الأصل « في » بقوط واو العطف ؛ والسياق يقتضى إنباتها .

(٥) في الأصل « حرز العلم » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين لا يستقيم معناه ؛ والصواب ما أثبتنا . والحزر : التقدير بالظن .

(٦) دياس الحنطة ؛ دراستها .

(٧) « الحصر » .

(٨) الطراز : مقسم الماء في النهر كما ذكره . صاحب مفاتيح العلوم في الكلام على مصطلح

كتاب ديوان الماء . ثم قال : وتسمى مقاسم المياه في بلاد ما وراء النهر : البرقات والمزقات .

(٩) يريد بالجوالى : مال الجوالى ، وهو الجزية المضروبة على أهل الذمة ، والجوالى هم الذين

جلوا عن أوطانهم .

(١٠) « كسوة » .

بهذه الأتقال ، ويجمع إليها أصولاً من الفقه مخطوطة ^(١) بفروعها ، وآيات من القرآن مضمومة إلى سعته ^(٢) فيها ، وأخباراً كثيرة مختلفة في فنون شتى لتكون عُدّة عند الحاجة إليها ، مع الأمثال السائرة والآيات النادرة ؛ والفقر البديعة ؛ والتجارب المهودة ، والمجالس للشهود ، مع خط كتبر مسبوك ، ولفظ كوشي محوك ؛ ولهذا عنّ الكمال في هذه الصناعة ، حتى قال أصحابنا : ما نفلنّ أنّه أجمع هذا كله إلّا الجعفر بن يحيى فإن كتابته كانت سوادية ، وبلاغته سحباتية ، وسياسته يونانية ، وآدابه عربية ^(٣) ، وشمائله عراقية ؛ أفلا ترى كيف غرق الحساب في غمار هذه الأبواب ؟ ثم اعلم أن البليغ مُستلّ بلاغته من العقل ، وما أخذ فيها من التمييز الصحيح ، وليس كذلك الحساب في متناوله [فلو ^(٤)] ظنّ ظانّ بأن مدار الملك على الحساب — [فهو ^(٥)] صحيح — ولكن بعد بلاغة اللشئ ، لأن السلطان يأمر وينهى ويلطف ويخاطب ويحتج وينصف ويوعد ويعد ويضمن ويمنّي ويعلق الأمل ويؤكد الرجاء ويحسم المادة الضارة ويذيق الرعية حلاوة العدل ويجنبهم مرارة الجور ، ثم يحجى ، فإذا جى احتاج إلى الحساب حتى يكون بالحاصل عالماً ، ثمّ يتقدّم بتوزيع ذلك على الحساب حتى يكون من الغلط آمناً ، فانظر إلى المزلتين كيف أختلفتا ؟ وكيف حصلت المزية لإحدهما ؟ ولو أنصفت لعلت أنّ الصناعة جامعة بين الأمرين ، أعنى الحساب والبلاغة ؛ والإنسان لا يأتى إلى صناعة فيشقّها نصفين ويشرّف ^(٥) أحد النصفين على الآخر .

(١) « مخطوطة » .

(٢) إلى سعته فيها ، أى إلى تبحره في فهمها .

(٣) « عقلية » .

(٤) هاتان الكلمتان اللتان تحت هذا الرقم ليستا بالأصل ؛ والسياق يقتضى إثباتهما أو

إثبات ما يؤدّى معناهما .

(٥) « يسرف » .

وأما قولك : « إحدى الصناعتين هزل والأخرى جد » فبئسما سَوَّلَتْ لك نفسك على البلاغة ، هي الجد ، وهي الجامعة لثمرات العقل ، لأنها تُحقِّق الحق وتُبطل الباطل على ما يجب أن يكون الأمر عليه ؛ ثم تحقيق الباطل وإبطال الحق لأغراض تختلف ، وأغراض تأتلف ، وأمور لا تخلو أحوال هذه الدنيا منها من خير وشر ، وإباء وإذعان ، وطاعة وعصيان ، وعدل وعدول ^(١) ، وكفر وإيمان ، والحاجة تدعو إلى صانع البلاغة وواضع الحكمة وصاحب البيان والخطابة ؛ وهذا هو حدّ العقل والآخر حدّ العمل .

وأما قولك : « الإنشاء صناعة مجهولة المبدأ ، والحساب معروف المبدأ » فقد خَرَفْتَ ^(٢) ، لأنّ مبدأها من العقل ، وممرّها على اللفظ ، وقرارها في الخط ؛ وأنت إذا قلتَ هذا دَلَلْتَ من نفسك على أنّه ليس لك [ما] ^(٣) تبصر ^(٤) به هذا المبدأ الشريف وهذا الأوّل اللطيف .

وأما قولك : « والبلاغة زخرفة وهي شبيهة بالسراب » فقد أَوْضَحْنَا لك فيه ما كفى ، فإن لم يكف فانت محتاج إلى بيّنة أخرى .

وأما قولك : « إن أصحابها يُسْتَرْقَعُونَ » فهذا شنعٌ من القول ، ولو عرفت الصّدق ^(٥) فيه لم تنبس به ولم تنطق بحرف منه ، فإن فيه زرايةً على الساف الصالح والصدر الأوّل ، ولو وجب أن يُسْتَرْقَعَ البليغ إذا كان عاقلاً ، لوجب أن يُسْتَعْقَلَ العي ^(٦) إذا كان أحمق ؛ وهذا خُلف .

(١) يريد بالعدول : الجور ، من عدل عن الطريق عدولا إذا نكب عنه وانحرف .

(٢) « صدقت » .

(٣) هذه الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

(٤) « تبصر » .

(٥) « الصرف » .

(٦) « العي » .

وأما قولك : « المنشئ والعلم والنحو إخوة في الركابة » فإيتعلم الناس إلا من العلم والعالم والنحو وإن ندر منهم واحد قليل البضاعة من الحق .

وأما قولك : « إن الملكة تكتفي بمنشئ واحد » فقد صدقت ، وذلك أن هذا الواحد في قوته يفي بأحاد كثيرة ، وهؤلاء الأحاد ليس في جميعهم وفاء بهذا الواحد ، وهذا عليك لالك . لكن بقي أن تفهم أنك محتاج إلى الأساكفة أكثر مما تحتاج إلى المطارين ، ولا يدل هذا على أن الإسكاف أشرف من المطار ، والمطار دون الإسكاف ؛ والأطباء أقل من الخياطين ، ونحن إليهم أحوج ، ولا يدل على أن الطبيب دون الخياط .

وأما قولك : « ما زال الناس يحثون أولادهم على تعلم الحساب ويقولون : « هوسلة الخبز » فهو كما قلت ، لأن الحاجة إليه عامة للكبار والصغار ؛ وأشرف الصناعات يحتاج إليها أشرف الناس ، وأشرف الناس الملك ، فهو محتاج إلى البليغ والمنشئ والمحزر ، لأنه لسانه الذي به ينطق ، وعينه التي بها يبصر ، وعيته التي منها يستخرج الرأي ويستبصر في الأمر ، ولأنه بهذه الخاصة لا يجوز أن يكون له شريك ، لأنه حامل الأسرار ، والحديث بالمكنونات ، والمنفصلي إليه بينات الصدور .

وأما قولك : « من عبّر عما في نفسه بلفظ ملحون أو محرف وأفهم غيره فقد كفى » فكيف يصح هذا الحكم ويُقبل هذا الرأي ؟ والكلام يتغير المراد فيه باختلاف الإعراب ، كما يتغير الحكم فيه باختلاف الأسماء ، وكما يتغير المفهوم باختلاف الأفعال ؛ وكما ينقلب المعنى باختلاف الحروف ؛ ولقد قال رجل بالرمي كان نبيلاً في حاله جليلاً في مرتبته عظيماً عند نفسه : « أقصد حتى تنغذي بنا » . وهو يريد : « حتى تنغذي معنا » ؛ فأُنظر إلى هذا المُحال الذي ركبهُ بلفظه

وإلى المراد الذى جانتبه بجملة ؛ ولهذا نظائر غير خافية عليك ولا ساقطة دونك وكفى بالبلاغة شرفاً أنك لم تستطع تهجينها إلا بالبلاغة ، ولم تهتد إلى الكلام عليها إلا بقوتها ؛ فانظر كيف وجدت فى استقلالها بنفسها ما يُقَلِّها ويُقِلُّ غيرَها ؛ وهذا أمر بديع وشأن عجيب .

وأما قولك : « ومن آفاتنا أن أصحابها يُقرِّفون بالريبة ويُنالون بالسيب » فهذا ما لا يستحق الجواب ، وما يضرّ الشمس نباح الكلاب ؛ وصيانة اللسان عن هذا النوع أحسن ؛ قال الله تعالى : (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) ؛ وقال عمر بن الخطّاب — رضى الله عنه — لو كان المرء أقوم من قِدَحٍ لَوُجِدَ له غامر . وآل ابن وهب وابن ثوبة كانوا أنبل وأفضل وأعقل من أن يُظنَّ بهم ما لا يُظنُّ بخساس العبيد وسفهاء الناس ودأصة^(١) الرعية وسفلة العامة ؛ على أنا ما سمعنا هذا إلا فى مجلس ابن عباد ، منه وممن كان يَحِيطُ^(٢) فى هواه ، ويتحرى بمثل هذه الأحاديث رضاه ؛ وحسده لم فى صناعتهم يبعثه على هذه الأكاذيب عليهم ؛ فالمعجب أنه يظن أن كذبه على غيره ينفى الصدق عن نفسه ؛ ولو نزه^(٣) لسانه ومجلسه ومذهبه وأبوتَه لكان أولى به وأزینَ له ، ولكن النعمة والقدرة إذا عَدِمَتَا عقلا سائسا وحزما حارسا مودينا متينا وطريقا قويا أوردتا ولم تُصدرا وَخَذَلْنَا ولم تَنْصُرَا ؛ ونعود بالله من نعمة تَحَوُّرِ بلاء ، ومرحبا ببلاء يورث يقظة ويكون تمحيصا لما نقص من التقصير ؛ ولكن من هذا الذى يَشْرَبُ فلا يَسْكُرُ ولا يَهْتَمُّ ؟ ومن هذا الذى اذا سَكِرَ عَقَلَ ؟ ومن هذا الذى إذا سحا لا يعتقب من شرا به تُمارا يصدع الراس ويمكن الوسواس ؟

(١) الدأصة : الخساس الجبناء . والصورس أيضا .

(٢) فى الأصل : « يحيط » ؛ وهو تصحيف .

(٣) كله .

فقال : هذه جملة قائمة لمن أدعى دعواه أو نحا منجاء ؟ وأنى لك هذا ؟
 لَمْ لَا تُدَاخِلُ صَاحِبَ دِيْوَانٍ وَلَمْ تَرْضَ لِنَفْسِكَ بِهَذَا اللَّبُوسِ ؟ فقلتُ :
 « أنا رجلٌ حُبُّ السَّلامَةِ غَالِبٌ عَلَيَّ ، والقناعةُ بالطيفِ محبوبَةٌ عِنْدِي » .
 فقال : كُنَيْتَ عَنِ الْكُسْلِ بِحُبِّ السَّلامَةِ ، وعن الفُسُولَةِ بِالرَّضَا بِالْيَسِيرِ .
 قلتُ : إِذَا كُنَيْتُ لَا أَصِلُ إِلَى السَّلامَةِ إِلَّا بِالْفُسُولَةِ ، وَلَا أَتَحْتَمُّ الرَّاحَةَ إِلَّا
 بِالْكُسْلِ ، فَرَحِبَا بِهِمَا .

فقال : لكلِّ إنسانٍ رَأْيٌ واختيارٌ وعادةٌ ومَتَشَأٌ ومألوفٌ وقُرْآنٌ متى زُحِرِحَ
 عنها قَلْبٌ ، ومتى أَرِيعَ ^(١) على سواها فَرِقَ ؛ أَظُنُّ أَنَّهُ قَدْ نَصَفَ اللَّيْلَ . قلتُ :
 لَعَلَّهُ . قال : فِي الدَّعَةِ ؛ قَدْ خَبَأْتُ لَكَ مَسْأَلَةً ، وسألتُها عليك بمدَّها — إِنْ شَاءَ
 اللَّهُ تَعَالَى — وانصرفتُ .

الليلة الثامنة

وقال لي مرة أخرى : أَوْصَلَ وَهْبُ بْنُ يَمِيشِ الرُّقِّيَّ ^(٢) الْيَهُودِيَّ رِسَالَةً يَقُولُ
 فِي عَرَضِهَا بَعْدَ التَّقْرِيطِ الطَّوِيلِ الْعَرِيفِ : إِنْ هُنَا طَرِيقًا فِي إِدْرَاكِ الْفَلَسَفَةِ
 مِثْلُ مَسْلُوكَةٍ مُخْتَصَرَةٍ فَنَسِيحَةٍ ، لَيْسَ عَلَى سَالِكِهَا كَدٌّ وَلَا شَقٌّ فِي بُلُوغِ مَا يَرِيدُ
 مِنَ الْحِكْمَةِ وَنِيلِ مَا يَطْلُبُ مِنَ السَّعَادَةِ وَتَحْصِيلِ الْفَوْزِ فِي الْعَاقِبَةِ ؛ وَإِنْ أَصْحَابُنَا
 طَوَّلُوا وَهَوَّلُوا وَطَرَحُوا الشُّوْكَ فِي الطَّرِيقِ ، وَمَنَعُوا مِنَ الْجَوَازِ عَلَيْهِ غَشَامُهُمْ وَبَجَلَا
 وَلَوْثُمْ طِبَاعَ وَقَلَّةَ نَصَحِ وَإِتِمَاعِهَا لِلطَّالِبِ وَحَسَدًا لِلرَّائِبِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أَتَّخَذُوا
 الْمُنَطَّقَ وَالْمُهَنْدِسَةَ وَمَا دَخَلَ فِيهِمَا مَعِيشَةٌ وَمَكْسَبَةٌ ، وَمَا كَلَّةٌ وَمَشْرَبَةٌ ، فَصَارَ ذَلِكَ

(١) « أَرِيعَ » .

(٢) وَرَدَ هَذَا الْاسْمُ فِي الْمَقَابِسَاتِ ؛ وَكَانَ أَبُو حَيَّانَ يَسْأَلُ فِي مَسَائِلِ فِلَسْفِيَّةٍ .

كسور من حديد لطلاب الحكمة والمحبتين للحقيقة والمتصفحين لأئناء العالم وكلاما هذا معناه ، وإلى هذا يرجع مغزاه .

فكان من الجواب : قد عرفتُ مذهب ابن يعيش في هذا الباب ، وهو جارى ، وكتب هذه الرسالة على هذا الطراز بالأمس إلى الملك السعيد سنة سبعين^(١) ، وتقرَّب بها ، ونفعته بالمسألة والتفقد له ، فإنه شديد الفقر ، ظاهرُ الخصاصة ، لاصق بالدققاء^(٢) ؛ وللذى قاله وأدعاه ، وقصده وأنتحاه ، وجه واضح وحجة ظاهرة ؛ وللذى قاله أصحابنا — أعنى مخالفيه — وجهٌ أيضا وتأويل وللقولين أنصار وحماة ، وحفظة ورعاة .

قال : هاتِ — على بركة الله — فأتى أحب أن أسمع في هذا الخطب^(٣) كلِّ ما فيه وأكثر ما يتصل به ؛ فكان من الجواب أن ابن يعيش يريد بهذه الخطبة أن عمر الإنسان قصير ، وعلم العالم كثير ، وسيره^(٤) مغمور ؛ وكيف لا يكون كذلك وهو ذو صفائح مركبة بالوضع^(٥) المحكم ، وذو نضائد مزينة بالتأليف المحبب المتقن ؛ والإنسان الباحث عنه وعمما يحتويه ذو قوى متقاصرة ، وموانع معترضة ، ودواعٍ ضعيفة ، وإنه مع هذه الأحوال منتبه بالحس ، حالم بالعقل ، عاشق^(٦) للشاهد ، ذاهل عن الغائب ، مستأنس بالوطن الذى ألقه ونشأ فيه ، مستوحش من بلد لم يسافر إليه ولم يُلم به وإن كان صدَّر عنه^(٧) ، فليس له بذلك معرفة باقية ولا ثقة تامة ؛ وإن الأولى بهذا الإنسان

(١) سنى بعد الثلاثمائة .

(٢) الدققاء : الأرض لا نبات بها . والتراب . وهذه العبارة كناية عن الفقر الشديد .

(٣) الخطب : الشأن .

(٤) « وشره » .

(٥) « بالوصف » .

(٦) « عاشق » .

(٧) عنه ، أى عن البلد .

المنعوت بهذا الضعف والعجز أم يلمس مسلكا إلى سعادته ونجاته قريبا
ويعتصم بأسهل الأسباب على قدر جهده وطوقه ؛ وإن أقرب الطرق وأسهل
الأسباب هو في معرفة الطبيعة والنفس والعقل والإله تعالى ، فإنه متى عرف
هذه الجملّة بالتفصيل ، وأطلع على هذا التفصيل بالجملة ، فقد فاز الفوز الأكبر
ونال الملك الأعظم ، وكفى مؤونة عظيمة في قراءة الكتب الكبار ذوات
الورق الكثير ، مع العناية المتصلة في الدرس والتصحيح والنّصّب في المسألة
والجواب ، والتنقيح عن الحق والصواب ؛ وهذا الذي قاله ابن يعيش ليس بحيف
ولا خارج عن حقّ الحق ، وإن كان الأمر فيه أيضا صعبا وشاقا وهائلا
وعاملا ، ولكن ليس لكلّ أحد هذه القوة الفائضة ، وهذه الخصوصية الناهضة ؛
وهذا الاستبصار الحسن ، وهذا الطبع الوقاد ، والذهن المتقاد ، والقريحة الصافية
والاستبانة والتأمل ، لأن هذه القوة الإلهية ، فإن لم تكن إلهية فهي ملكية ؛
وإن لم تكن ملكية فهي أفق البشرية ؛ وليس يوجد صاحب هذا النعم
إلا في الشاذّ النادر ، وفي دهر مديد بين أمة جمّة القدد ؛ والفائق من كلّ
شيء والبائن من كلّ صنف عزيز في هذا العالم الوحشي ، كما أن الرديء
والفاسد معدوم في هذا العالم الإلهي ، ويمكن أن يقال بالمثل الأدنى : إن من
بتكلم بالإعراب والصحة ولا يلحن ولا يخطئ ويجري على السليقة الحميدة
والضريبة السليمة ، قليل أو عزيز ، وإن الحاجة شديدة لمن عدم هذه السجية
وهذا المنشأ إلى أن يتعلم النحو ويقف على أحكامه ، ويجري على منهاجه ، ويفي
بشروطه في أسماء العرب وأفعالها وحروفها وموضوعاتها ومستعملاتها ومهملاتها ؛
ومتى أتفق^(١) إنسان بهذه الحلية^(٢) وعلى هذا النّجار ، فلعمري إنه غني عن تطويل

(١) اتفق لإنسان ، أي وجد بطريق الاتفاق ، أي الصدقة .

(٢) لعله « الجبلّة »

النحويين كما يستغنى قارض الشعر بالطبع عن علم العروض ، وهكذا يستغنى صاحب تلك القوة التي أشار إليها ابن يعيش عن ذلك ، ولكن أين ذاك الفرد والشاذ والناذر ؟ فإن حضر فما تفعل معه إلا أن تقلده وتأخذ عنه وتتبعه .

وإنما المدار على أن تكون أنت بهذا الكمال حائزاً لهذه الغاية ، ولا سبيل لك إليها من تلقاء نفسك ، وإنما هو شيء يأتي من تلقاء غيرك ، فإذا بالضرورة وبالواجب ينبغي أن تخطو على آثار المنطقيين والطبيعيين والمهندسين بالزحف والقناء والتكلف والدؤوب حتى تصير متشبهاً بذلك الرجل الفاضل والواحد الكامل والبدیع النادر ؛ فقد بان من هذا القدر صواب ما أشار إليه ابن يعيش وأنكشف أيضاً وجه ما حث عليه مخالفوه ؛ ولا عيب على المنقوص أن يطلب الزيادة ببذل المجهود ، وإن الكامل مربوط بما منحه من العطية من غير طلب . وأما قوله في صدر كلامه : « إن القوم صدّوا عن الطريق وطرحوا الشوك فيه ، وأتخذوا نشر الحكمة فتحاً للمثالة ^(١) العاجلة » ، فما أبعد ، بل قارب الحق فإن متى ^(٢) كان يُبلى ورقة بدرهم مقتدرى وهو سكران لا يعقل ، ويتهم ، وعنده أنه في ربح ، وهو من الأخسرين أعمالاً ، الأسفلين أحوالاً .

ثم إنّي أيتها الشيخ — أحيالك الله لأهل العلم وأحبي بك طالبيه — ذكرتُ (٢) للوزير مناظرة جرت في مجلس الوزير أبي الفتح [الفضل بن ^(٤)] جعفر بن القرات بين أبي سعيد السيرافي وأبي بشر ^(٥) متى وأختصرتها ؛ فقال لي : اكتب هذه

(١) المثالة : حسن الحال ؛ ومنه قولهم : كلما زدت مثالة ، زادك الله رعاة ؛ والريالة : الحق .

(٢) « متى » .

(٣) انظر التعريف بأبي سعيد السيرافي في الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٥ من هذا الجزء .

(٤) هاتان الكلمتان لم تردا بالأصل وقد أثبتناهما عن معجم ياقوت . وأبو الفتح هذا كان وزير المقتدر الخليفة العباسي سنة عشرين وثلاثمائة .

(٥) موضع هذا الاسم مطبوسة في الأصل ؛ وقد أثبتناه هكذا نقلاً عن المقابسات

وأخذنا من الكلام الآتي . وأبو بشر متى ، هو ابن يونس الفثاني من أهل دير قتي . كان =

المنظرة على التمام فإن شيئاً يجري في ذلك المجلس النبوي بين هذين الشيخين بمحضرة أولئك الأعلام ينبغي أن يُنقِصَ سماعه ، وتُوعَى فوائده ، ولا يُتَهاوَنَ بشيء منه . فكتبت^(١) : حدثني أبو سعيد بلُغَ من هذه القصة . فأما علي بن عيسى الشيخ الصالح فإنه رواها مشروحة .

لما أنقذ المجلس سنة ست وعشرين وثلاثمائة ، قال الوزير ابن الفرات للجماعة — وفيهم الخالدي وأبن الأخشاد والسكتي وابن أبي بشر وأبن رباح وابن كعب وأبو عمرو قدامة بن جعفر والزهرى وعلي بن عيسى الجراح وابن فراس وابن رشيد وأبن عبد العزيز الهاشمي وابن يحيى العلوي ورسول ابن طنج من مصر والرزباني صاحب آل سامان^(٢) — : ألا^(٣) ينتدب منكم إنسان لمنظرة متى في حديث المنطق ، فإنه يقول : لا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل والصدق من الكذب والخير من الشر والحجة من الشبهة والشك من اليقين إلا بما حويناها^(٤) من المنطق وملكناه من القيام به ، وأستفدناه من واضعه على مراتبه وحدوده ، فاطلعنا عليه من جهة اسمه على حقائقه . فأحجم القوم وأطرقوا قال ابن الفرات : والله إن فيكم لَمَن يفي بكلامه ومناظرته وكسر ما يذهب إليه وإني لأعُدكم في العلم بحارا ، وللدّين وأهله أنصارا ، ولالحق وطلّابه منارا ؛ فما هذا الترامز والتغامز اللذان^(٥) تَجَلَوْنَ عنهما ؟ فرفع أبو سعيد السيرافي رأسه فقال : أعذر أيها الوزير ، فإن العلم المصون في الصدر غير العلم المروض في هذا

== نصرانيا علما بالمنطق ، وإليه انتهت رئاسة المنطقيين في زمنه ، نزل بغداد بعد سنة عشرين وثلاثمائة ، وكانت وفاته في سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة .

- (١) « وكنت » .
- (٢) « سامان » .
- (٣) « أن ينتدب » .
- (٤) « جربناه » .
- (٥) في الأصل : « اللذين » .

الجلس على الأسماع المصبيخة^(١) والميرون المحدث والعقول الحادة^(٢) والألباب الناقدة ؛ لأن هذا يستصحب الهيبة ، والهيبة مكمّرة ، ويحتلب الحياء ، والحياء مغلبة ؛ وليس البراز في معركة خاصة كالصاع^(٣) في بقعة عامة .

قال ابن الفرات : أنت لها يا أبا سعيد ، فأعتذارك عن غيرك يوجب عليك الانتصار لنفسك ، والانتصار في نفسك راجع إلى الجماعة بفضلك .
 قال أبو سعيد : مخالفة الوزير فيما رسمه هُجْنَة ، والأحتجازُ عن رأيه إخلاد إلى التقصير ؛ ونعوذ بالله من زَلَّةِ القَدَمِ ، وإياه نسأل حُسْنَ المعونة في الحرب والسِّلم ؛ ثم واجه متى [قال^(٤)] : حدّثني عن المنطق ما تعني [به] ؟ فإننا إذا فهمنا مرادك فيه كان كلامنا معك في قبول صوابه وردّ خطئه على سننٍ مرضيٍ وطريقة معروفة .

قال متى : أغنى به أنه آله من آلات الكلام يُعرف بها صحيح الكلام من سقيمه ، وفاسدُ المعنى من صالحه ، كاليزان ، فأتى أعرف به الرّجحان من النقصان ، والسائل^(٥) من الجانح .

قال أبو سعيد : أخطأت ، لأن صحيح الكلام من سقيمه يُعرف بالنظم المألوف والإعراب المعروف إذا كنّا نتكلّم بالعربيّة ؛ وفاسد المعنى من صالحه يُعرف بالعقل إذا كنّا نبحث بالعقل ؛ وهَبَّكَ عرفت الراجح من الناقص من

(١) « المنبجة » .

(٢) في الأصل : « الجامة » وهو تحريف . وفي معجم الأدباء ترجمة أبي سعيد السيرافي : الجامة ؛ وهو تحريف أيضا لا يستقيم به المعنى ، ولعل صوابه ما ألبتة .

(٣) الصاع : من صاع الشجاع أقرانه : إذا حل عليهم ففرق جمهم .

(٤) لم ترد هذه الكلمة التي بين مربعين في الأصل .

(٥) في الأصل : « والسائل » بالسين للهيلة ؛ وهو تصحيف . والسائل : المرتفع .

والجانح : اللائل .

طريق الوزن ، فمن لك^(١) بمعرفة الموزون أيما^(٢) هو حديد أو ذهب أو شبه^(٣) [أو رصاص]^(٤) ؟ فأراك بعد معرفة الوزن فقيرا إلى معرفة جوهر الموزون وإلى معرفة قيمته وسائر صفاته التي يطول عدّها ؛ فلي هذا لم ينفعك الوزن الذي كان عليه أعتادك ، وفي تحقيقه كان أجهادك ، إلّا نعمّا يسيرا من وجه واحد ، وبقيت عليك وجوه ، فأنت^(٥) كما قال الأول^(٦) :

* حفظت شيئا وغابت عنك أشياء *

وبعد ، فقد ذهب عليك شيء هاهنا ، ليس كل ما في الدنيا يوزن ، بل فيها ما يوزن ، وفيها ما يُكّال ، وفيها ما يُذرع ، وفيها ما يُمسح و [فيها ما]^(٧) يُحور وهذا وإن كان هكذا في الأجسام المُرئية ، فإنه على ذلك أيضا في المقولات المقررة ؛ والإحساسات^(٨) ظلال العقول تحكيها بالتقريب والتبعيد ، مع الشبه المحفوظ والمائلة الظاهرة . ودع هذا ؛ إذا كان المنطق وَصَّه^(٩) رجل من يونان على لغة أهلها واصطلاحهم عليها وما يتعارفونه بها من رسومها وصفاتها ، فن أين يلزم التُّرك والمُهند والفرس والعرب أن ينظروا فيه ويتخذوه قاضيا وسكيا لهم وعليهم ، ما شهد لهم به قبلوه ، وما أنكره رفضوه ؟

(١) « من ذلك » .

(٢) « أيما » .

(٣) الشبه بالتحريك : النحاس الأصفر .

(٤) الكلمة التي بين مربعين عن ياقوت .

(٥) في الأصل : « قال » ؛ وهو تحريف .

(٦) هو أبو نواس ؛ وأول البيت : فقل لمن يدعى في العلم فلسفة * حفظت شيئا الخ .

(٧) لم ترد هذه الكلمة التي بين مربعين في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن المقابسات

لأبي حيان .

(٨) « والاحتباس ظلال العقول تحكيها » .

(٩) « وصفه » .

قال متى: إنما لزم ذلك لأن المنطق بحث^(١) عن الأغراض المعقولة والمعاني المدركة، وتصفح للخواطر السائجة والسوانح الماحسة؛ والناس في المعقولات سواء ألا ترى أن أربعة وأربعة [ثمانية] سواء عند جميع الأمم، وكذلك ما أشبهه.

قال أبو سعيد: لو كانت المطلوبات بالعقل والمذكورات باللفظ ترجع مع شعبها المختلفة وطرائقها المتباينة إلى هذه المرتبة البينة في أربعة وأربعة وأنهما ثمانية، زال الاختلاف وحضر الاتفاق، ولكن ليس الأمر هكذا، ولقد موّهت بهذا المثال، ولكم عادة بمثل هذا التمويه؛ ولكن مع هذا أيضا إذا كانت الأغراض المعقولة والمعاني المدركة لا يوصل إليها إلا^(٢) باللغة الجامعة للأسماء والأفعال والحروف، أفليس قد لزمّت الحاجة إلى معرفة اللغة؟ قال: نعم. قال: أخطأت، قل في هذا الموضع: بلى. قال: بلى، أنا أقلدك في مثل هذا. قال: انت إذا لست تدعوننا إلى علم المنطق، إنما تدعو إلى تعلم اللغة اليونانية وأنت لا تعرف لغة يونان، فكيف صرت تدعوننا إلى لغة لا تقي بها؟ وقد عفت منذ زمان طويل، وباد أهلها، وأنقرض القوم الذين كانوا يتفاوضون بها، ويتفاهمون أغراضهم بتصاريدها؛ على أنك تنقل من السريانية، فما تقول في معان متحوّلة^(٣) بالنقل من لغة يونان إلى لغة أخرى سريانية، ثم من هذه إلى أخرى عربية؟

قال متى: يونان وإن بادت مع لغتها، فإن الترجمة حفظت الأغراض وأدّت المعاني، وأخلصت الحقائق.

(١) «بحث».

(٢) ورد في الأصل بعد قوله: «إلا» جيم وألف وذال، وهي زيادة ممن الناسخ والصواب حذفها.

(٣) «محوكة».

الخالفة ، وأنهم لو أرادوا أن يخطئوا لما قدروا ، ولو قصدوا أن يكذبوا ما استطاعوا وأن السكينة نزلت عليهم ، والحق تكفل بهم ، والخطأ تبرأ منهم ؛ والفضائل لصقت بأصولهم وفروعهم ، والذائل بمدت من جواهرهم وعروقهم ؛ وهذا جهل بمن يظنه بهم ، وعناد بمن يدعيه لهم ؛ بل كانوا كخيرهم من الأمم يصيبون في أشياء ويخطئون في أشياء ، ويعلمون أشياء ويجهلون أشياء ، ويصدقون في أمور ويكذبون في أمور ، ويحسنون في أحوال ويسئون في أحوال ؛ وليس واضع المنطق يونان بأسرها ، إنما هو رجل منهم ، وقد أخذ عن قبله كما أخذ عنه من بعده ؛ وليس هو حجة على هذا الخلق الكثير والجم النفير ، وله مخالفون منهم ومن غيرهم ؛ ومع هذا فالأختلاف في الرأي والنظر والبحث والمسألة والجواب سنخ^(١) وطبيعة ، فكيف يجوز أن يأتي رجل بشيء يرفع به هذا الخلاف أو يحلله أو يؤثر فيه ؟ [هيات^(٢)] هذا محال ، ولقد بقي العالم بعد منطقه على ما كان عليه قبل منطقته ؛ فأمسح وجهك بالسوة عن شيء لا استطاع لأنه منعقد بالفطرة والطباع ؛ وأنت لو فرغت بالك وصرفت عنايتك إلى معرفة هذه اللغة التي تتحاورنا بها ، وتجارينا فيها ، وتدارس أصحابك بمفهوم أهلها وتشرح كتب يونان بعادة أصحابها ، لعلت أنك غنى عن [معاني^(٣)] يونان كما أنك غنى عن لغة [يونان .

وها هنا مسألة ، تقول : إن الناس عقولهم مختلفة ، وأنصباؤهم منها متفاوتة . قال : نعم . قال : وهذا الاختلاف والتفاوت بالطبيعة أو بالأكتساب ؟ قال : بالطبيعة . قال : فكيف يجوز أن يكون هاهنا شيء يرتفع به هذا الاختلاف

(١) السنخ : الأصل . وقد وردت هذه الكلمة في الأصل مهمة الحروف من الخط .

(٢) الكلمة التي بين مربعين عن معجم الأدباء .

(٣) لم ترد هذه العبارة التي بين مربعين في الأصل . وقد أبتناها من اللغات س ٣

قال أبو سعيد : إذا سلمنا لك أن الترجمة صدقت وما كذبت ، وقومت وما حرّفت ، ووزنت ^(١) وما جرّفت ، وأنها [ما] ^(٢) أثاثت ولا حافت ، ولا نقصت ولا زادت ، ولا قدّمت ولا أخرت ، ولا أخلّت بمعنى الخاصّ والعامّ ولا [بأخصّ الخاصّ ^(٣) ولا] بأعمّ العامّ — وإن كان هذا لا يكون ، وليس هو في طبائع اللغات ولا في مقادير المصاني — فكأنك تقول : لا حجة إلا عقول يونان ، ولا برهان إلا ما وضعوه ، ولا حقيقة إلا ما أبرزوه .

قال متى : لا ، ولستهم من بين الأمم أصحاب عناية بالحكمة والبحث عن ظاهر هذا العالم وباطنه ، وعن كلّ ما يتصل به ويفصل عنه ، وفضل عنايتهم ظهر ما ظهر وأنتشر ما أنتشر وفشا ما فشا [ونشأ ما نشأ] من أنواع العلم وأصناف الصنائع ؛ ولم نجد هذا لنغيرم .

قال أبو سعيد : أخطأت وتعصبت ومِلت مع الهوى ، فإنّ عِلْمَ العالم مبثوث في العالم بين جميع من في العالم ، ولهذا قال القائل :

العلم في العالم مبثوث ونحوه الماقل محثوث

وكذلك الصناعات مفضوضة على جميع من على جَدَدِ ^(٤) الأرض ؛ ولهذا غلب علم في مكان دون علم ، وكثرت صناعة في بقعة دون صناعة ؛ وهذا واضح والزيادة عليه مشغلة ؛ ومع هذا فإنما كان يصحّ قولك وتسلم دعواك لو كانت يونانُ معروفةً من بين جميع الأمم بالمصمة الغالبة ، والقِطْنة الظاهرة ، والبنية

(١) في الأصل : « ووريت وما حرّفت » ، وهو تصحيف في كلتا الكلمتين . يقال جَرَفَ فلان المَاءَ ، أى باعه أو اشتراه جزاءً بلا كيل ولا وزن .
 (٢) هذه الكلمة التي بين مربعين لم ترد في الأصل .
 (٣) هذه العبارة التي بين مربعين لم ترد في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن المقاييس .
 (٤) الجدد بالتحريك : ما استوى من الأرض . وفي الأصل « جديد » ولم نجد من معانيه ما يناسب السياق .

الطبيعيّ والتفاوت الأصليّ؟ قال متى : هذا قد مر في جملة كلامك آنفا . قال أبو سعيد : فهل وصلته بجواب قاطع وبيان ناصع ؟ ودع هذا ؛ أسألك عن حرف واحد ، وهو دائر في كلام العرب ، ومعانيه متميّزة عند أهل العقل ؛ فأستخرج أنت معانيه من ناحية منطق أرسطاطاليس الذي تدلّ به وتبأى بتفخيمه ، وهو (الوار) ما أحكامه ؟ وكيف مواقفه ؟ وهل هو على وجه أو وجوه ؟ فبهت متى وقال : هذا نحو ، والنحو لم أنظر فيه ، لأنه لا حاجة بالمنطق إليه ، وبالنحو حاجة شديدة إلى المنطق ، لأنّ المنطق يبحث عن المعنى ^(١) [والنحو يبحث ^(٢) عن اللفظ] ، فإن مر المنطق باللفظ فبالعرض ، وإن عثر النحو بالمعنى فبالعرض والمعنى أشرف من اللفظ ، واللفظ أوضح من المعنى .

فقال أبو سعيد : أخطأت ، لأن الكلام ^(٣) والنطق واللغة واللفظ والإفصاح والإعراب والإبانة والحديث والإخبار والاستخبار ^(٤) والقرض [والتمنى ^(٥)] والنهي والحضّ والدعاء والنداء والطلب كلّها من واد واحد بالمشاكلة والمماثلة ، ألا ترى أنّ رجلا لو قال : « نطق زيد بالحق ولكن ما تكلم بالحق ، وتكلم بالفحش ولكن ما قال الفحش ، وأعرب عن نفسه ولكن ما أفصح ، وأبان للمراد ولكن ما أوضح ، أو فاة بمحاجته ولكن ما لفظ ، أو أخبر ولكن ما أنبا » ، لكان في جميع هذا محرّفا ومناقضا وواضعا للكلام في غير حقه ، ومستميلا للفظ على غير

(١) في الأصل : « اللفظ » ؛ وهو تبديل من الناسخ لا يستقيم به المعنى .

(٢) لم ترد هذه العبارة التي بين مربعين في الأصل ، وقد أثبتناها عن القابسات ، إذ

لا يستقيم الكلام بدونها .

(٣) في القابسات : « لأن النحو والمنطق » .

(٤) الظاهر أن في قوله « والاستخبار » تبديلا من الناسخ صوابه « والإنباء » بدليل

قوله في التمثيل الآتي « أو أخبر ولكن ما أنبا »

(٥) الكلمة التي بين مربعين عن مصمم الأدباء .

شهادة [من] عقله^(١) وعقل غيره ؛ والنحو منطق ولكنه مسلوخ من العربية والمنطق نحو ، ولكنه مفهوم باللغة ، وإنما الخلاف بين اللفظ والمعنى أن اللفظ طبعي والمعنى عقلي ؛ ولهذا كان اللفظ بائدا على الزمان ، لأن الزمان يقفو أثر الطبيعة [بأثر آخر^(٢) من الطبيعة] ولهذا كلف المعنى ثابتا على الزمان ، لأن مستمل المعنى عقل ، والعقل إلهي ؛ ومادة اللفظ طينية ، وكل طيني متهايف ؛ وقد بقيت أنت بلا أسم لصناعتك التي تنتحلها ، وآلتك التي تزهي بها ، إلا أن تستعير من العربية لها أسما فتعار ، ويسلم لك ذلك بمقدار ؛ وإذا لم يكن لك بد من قليل هذه اللغة من أجل الترجمة^(٣) فلا بد لك أيضا من كثيرها من أجل تحقيق الترجمة وأجتلاب الثقة والتوقى من الخلطة اللاحقة .

فقال متى : يكفيني من لغتكم هذه الأسم والفعل والحرف ، فإني أتبلغ بهذا القدر إلى أغراض قد هدبت بها لي يونان .

قال [أبو سعيد] : أخطأت ، لأنك في هذا الاسم والفعل والحرف فقير إلى وصفها وبنائها على الترتيب الواقع في غرائز أهلها ؛ وكذلك أنت محتاج بعد هذا إلى حركات هذه الأسماء والأفعال والحروف ، فإن الخطأ والتحريف في الحركات كالخطأ والفساد في المتحرّكات ، وهذا باب [أنت^(٤) وأصحابك ورهطك عنه في غفلة ؛ على أن هاهنا سرا ما علق بك ، ولا أسفر لعلك ؛ وهو أن تعلم أن لغة من اللغات لا تطابق^(٥) لغة أخرى من جميع جهاتها بمحدود

(١) « وغفلة » .

(٢) العبارة التي بين مربعين عن المقابسات ومعجم الأدباء .

(٣) « التجربة » .

(٤) هذا الكلام الذي بين هذين المربعين لم يرد في الأصل ؛ وقد أثبتناه عن المقابسات .

(٥) « تتطابق » .

صفاتها ، في أسمائها وأفعالها وحروفها وتأليفها وتقديمها وتأخيرها ، وأستعارتها وتحقيقها ، وتشديدها وتخفيفها ، وسعتها وضيقها ونظمتها ونثرها وسجعها ، ووزنها وميلها ، وغير ذلك مما يطول ذكره ؛ وما أظن أحدا يدفع هذا الحكم أو يشك في صوابه ممن يرجع إلى مُشكلة من عقل أو نصيب من إنصاف ، فمن أين يجب أن تثق بشيء تُرجِم لك على هذا الوصف ؟ بل أنت إلى تعرف اللغة العربية أحوج منك إلى تعرف الماعى اليونانية ؛ على أن الماعى لا تكون يونانية ولا هندية ، كما أن اللغات تكون فارسية وعربية وتركية ؛ ومع هذا فإنك تزعم أن الماعى حاصلة بالعقل والفحص والفكر ، فلم يبق إلا أحكام اللغة ، فلم تُزرى على العربية وأنت تشرح كتب أرسطوطاليس بها ، مع جهلك بحقيقتها ؟

وحدّثني عن قائل قال لك : حالى في معرفة الحقائق والتصفح لها [والبحث عنها ^(١)] حال قوم كانوا قبل واضع المنطق ، أنظر كما نظروا ، وأتدبّر كما تدبّروا ، لأنّ اللغة قد عرقتها بالمشأ والوراثه ، والماعى تقرت عنها بالنظر والرأى والأعتقاد والاجتهاد . ماتقول له ؟ أقول : إنه لا يصح له هذا الحكم ولا يستتب هذا الأمر ، لأنه لا يعرف هذه الموجودات من الطريق التى عرقتها أنت ؟ ولعلك تفرح بتقليده لك — وإن كان على باطل — أكثر مما تفرح باستبداده وإن كان على حق ؛ وهذا هو الجهل المبين ، والحكم المشين ^(٢) .

ومع هذا ، فحدّثني عن الواو ما حكمه ؟ فإني أريد أن أبين أن تفخيمك للمنطق لا يغنى عنك شيئا ، وأنت تجهل حرفا واحدا في اللغة التى تدعو بها إلى

(١) هذه العبارة التى بين مربعين لم ترد في الأصل ؛ وقد أئبناها عن معجم الأدباء لياقوت والمقابس للمؤلف .

(٢) في رواية أخرى « غير المستين » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

حكمة يونان ، ومن جهل حرفاً أمكن أن يجهل حروفاً ، ومن جهل حروفاً جاز أن يجهل اللغة بكاملها ، فإن كان لا يجهلها كلها ولكن يجهل بعضها ، فله يجهل ما يحتاج إليه ، ولا ينفعه فيه علم ما لا يحتاج إليه . وهذه رتبة العامة أو رتبة من هو فوق العامة بقدر يسير ؛ فلم يتأبى على هذا ويتكبر ، ويتوهم أنه من الخاصة وخاصة الخاصة ، وأنه يعرف سرّ الكلام وغامض الحكمة وحقّ القياس وصحيح البرهان ؟

وإنما سألتك عن معاني حرف واحد ، فكيف لو ثرت عليك الحروف كلها ، ومالبثتكم بمعانيها ومواضعها التي لها بالحق ، وآلتى لها بالتجوز ؛ سمعتم تقولون : إن « في » لا يعرف النحويون مواقعها ، وإنما يقولون : هي « للواء » كما [يقولون] : « إن الباء للإصاق » ؛ وإن « في » تقال على وجوه : يقال « الشيء في الإناء » « والإناء في المكان » « والسائس [في السياسة] » « والسياسة في السائس » .

أترى أن هذا التشقيق هو من عقول يونان ومن ناحية لغتها ؟ ولا يجوز أن يُعقل هذا بعقول الهند والترك والعرب ؟ فهذا جهلٌ من كل من يدعيه ، وخطأٌ من القول الذي أقاض فيه ؛ النحوي إذا قال « في » للواء^(١) فقد أفصح في الجملة عن المعنى الصحيح ، وكفى مع ذلك عن الوجوه التي تظهر بالتفصيل ؛ ومثل هذا كثير ، وهو كافٍ في موضع التَّكْنِيَةِ^(٢) .

فقال ابن القرات : أيها الشيخ الموفق ، أجهه بالبيان عن مواقع « الواو »

(١) في الأصل : « للوما » وما أثبتناه عن المقاييس ص ٧٧ إذ به يستقيم الكلام .

(٢) في الأصل : « التبكيت » وفي المصادر الأخرى « السكت » ؛ وفي كلا القطين تحريف لا يستقيم به المعنى ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا .

حتى تكون أشدَّ في إخمائه ، وحقق عند الجماعة ما هو عاجز عنه ، ومع هذا فهو مشنَّع^(١) به .

قال أبو سعيد : للواو وجوه ومواقع : منها معنى المطف في قولك : « أكرمت زيدا وعمرا » ومنها القسم في قولك : « والله لقد كان كذا وكذا » ومنها الاستثناء في قولك : « خرجتُ وزيد قائم » لأن الكلام بمدّه ابتداء وخير ومنها معنى رُبَّ التي هي للتقليل نحو قولهم^(٢) : * وقائم الأعماق خاوي المحترق * ومنها أن تكون أصلية في الأسم ، كقولك : واصلٌ واقِدٌ واقِدٌ ، وفي الفعل كذلك ، كقولك : وجِلَ يَوجِلُ ؛ ومنها أن تكون مقحمة نحو قول الله عز وجل . (فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهِ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ) ، أى ناديناه ؛ ومثله قول الشاعر^(٣) :

* فلما أجزنا ساحة الحمى وانتحى * المعنى : انتحى بنا ؛ ومنها معنى الحال في قوله عز وجل : (وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا) أى يكلم الناس في حال كهولته ؛ ومنها أن تكون بمعنى حرف الجر ، كقولك : استوى الماء والخشبة أى مع الخشبة .

قال ابن الفرات : [لمّى] : يا أبا بشر : أكان هذا في نحوك^(٤) .

ثم قال أبو سعيد : دع هذا ، ها هنا مسألة علاقتها بالمعنى العقلي أكثر من علاقتها بالشكل اللفظي ، ما تقول في قول القائل : « زيد أفضل الإخوة » ؟

(١) في الأصل والمقاييس « متشيع » . وفي معجم ياقوت « متشيع » . وفي كلا اللغتين تصحيف .

(٢) هذا الشعر من شعر رؤبة بن المبراج .

(٣) هذا الشعر صدر بيت لامرئ القيس ، وعجزه : بنا بطن خبت ذئب حفاف عقتل .

(٤) في المقاييس « في منطقك » ؟ وهى ألسب .

قال : صحيح . قال : فما [تقول ^(١)] إن قال « زيد أفضل إخوته » ؟ قال : صحيح .
قال : فما [الفرق بينهما [مع الصَّحَّة ^(٢)] فتلحَّح ^(٣)] وجنَّح وغمص بريقه .

فقال أبو سعيد : أفتبت على غير بصيرة ولا أستاذة ؛ للسَّألة الأولى جوابك عنها صحيح وإن كنت غافلا عن وجه محتمها ؛ والسَّألة الثانية جوابك عنها غير صحيح وإن كنت أيضا ذاهلا عن وجه بطلانها .

قال متى . بين لي ما هذا التهجين ؟

قال أبو سعيد : إذا حضرت الحلقة ^(٤) استفتدت ، ليس هذا مكان التدريس هو مجلس إزالة التلبيس ، مع من عادته التويه والتشبيه ؛ والجماعة تعلم أنك أخطأت ، فلم تدعى أن النحوى إنما ينظر في اللفظ دون المعنى ، والمنطقي ينظر في المعنى لا في اللفظ ؟ هذا كان يصح لو أن المنطقي كان يسكت ويميل ^(٥) فكره في المعانى ، ويرتب ما يريد بالوهم السامع والخاطر العارض والحدس الطارى ؛ فأما وهو يريد أن يبرر ^(٦) ماصح له بالاعتبار والتصفح إلى المتعلم والمُناظر ، فلا بد له من اللفظ الذى يشتمل على مراده ، ويكون طباقا لقرضه ، وموافقا لقصد ^(٧)ه .

قال ابن الفرات لأبى سعيد : تَمَّ لنا كلامك في شرح المسألة حتى تكون الفائدة ظاهرة لأهل المجلس ، والتبكيكُ عاملا في نفس أبى بشر .

(١) هذه العبارة الموضوعية بين مربين ساقطة من الأصل . وقد أثبتناها عن المقابسات وبها يستقيم المعنى .

(٢) هذه العبارة التى بين مربين لم ترد في الأصل . وقد أثبتناها عن المقابسات .

(٣) بلح : أعجمي وعجمي . وجنح ، أى مال .

(٤) « المختلفة » .

(٥) « ويميل » .

(٦) « يزن » .

(٧) « لقصد » .

فقال : ما أكره من إيضاح الجواب عن هذه المسألة إلا مَلَّلَ الوزير ؛
فإن الكلام إذا طال مُلٌّ .

فقال ابن الفرات : ما رغبتُ في سماع كلامك وبينى وبين التلّ علاقة ؛
فأما الجماعة فحرصها على ذلك ظاهر .

فقال أبو سعيد : إذا قلت : « زيد أفضل إخوته » لم يحز ، وإذا قلت :
« زيد أفضل الإخوة » جاز ؛ والفصل بينهما أن إخوة زيد هم غيرُ زيد ، وزيدٌ خارج
عن جملتهم . والدليل على ذلك أنه لو سأل سائل فقال : « من إخوة زيد » .
لم يحز أن تقول : زيد وعمرو وبكر وخالد [وإنما ^(١) تقول : بكر وعمرو وخالد]
ولا يدخل زيد في جملتهم ، فإذا كان زيد خارجا عن إخوته صار غيرهم ، فلم يحز
أن تقول : أفضل إخوته ، كما لم يحز أن تقول : « إن حمارك أفره ^(٢) البقال »
لأن الحمير غير البقال ، كما أن زيدا غيرُ إخوته ، فإذا قلت : « زيد خير الإخوة »
جاز ، لأنه أحد الإخوة ، والأسم يقع عليه وعلى غيره ، فهو بعض الإخوة ، ألا
ترى أنه لو قيل : « من الإخوة » ؟ عددته فيهم ، قلت : « زيد وعمرو وبكر
وخالد » فيكون بمنزلة قولك : « حمارك أفره الحمير » لأنه داخل تحت الأسم
الواقع على الحمير . فلما كان على ما وصفنا جاز أن يضاف إلى واحد منكور يدل
على الجنس ، فتقول : « زيد أفضل رجل » و« حمارك أفره حمار » فيدلّ « رجل »
على الجنس كما دلّ الرجال ؛ وكما في « عشرين درهما ومائة درهم » .

فقال ابن الفرات : ما بعد هذا البيان مزيد ، ولقد جلّ علم النحو عندي
بهذا الاعتبار وهذا الإسفار .

(١) هذه العبارة التي بين مربعين لم ترد في الأصل . وقد أثبتناها عن المقابسات إذ بها
يستقيم الكلام .

(٢) في المقابسات « أفضل » ؛ والمعنى عليها يستقيم أيضا .

فقال أبو سعيد : معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته ، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها ، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير وتوخي الصواب في ذلك وتجنب الخطأ من ذلك ، وإن زاغ شيء عن هذا النعت فإنه لا يخلو من أن يكون سائئاً بالأستعمال النادر والتأويل البعيد ، أو مردوداً لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرتهم . فأما ما يتعلق باختلاف لغات القبائل فذلك شيء مسلم لهم ومأخوذ عنهم ، وكل ذلك محصور بالتبع والرواية والسمع والقياس المطرد على الأصل المعروف من غير تحريف ، وإنما دخل العجب على المنطقيين لظنهم أن المعاني لا تُعرف ولا تُستوضح إلا بطريقهم ونظرم وتكلفهم ، فترجموا لغة هم فيها ^(١) ضعفاء ناقصون . وجعلوا تلك الترجمة صناعة ، وأدعوا على النحويين أنهم مع اللفظ لا مع المعنى .

ثم أقبل أبو سعيد على متى فقال : أما تعرف ^(٢) يا أبا بشر أن الكلام أسم واقع على أشياء قد أختلفت بمراتب ، وتقول ^(٣) بالمثل : هذا ثوب والثوب اسم يقع على أشياء بها صار ثوباً ، لأنه نُسجَ بعد أن غزل ، فسداته لا تكفي دون لُحْمَتِهِ ولُحْمَتُهُ لا تكفي دون سَدَاتِهِ ، ثم تأليفه ^(٤) كنسجه ، وبلاغته كقصارته ^(٥) ورقة سِلْكِهِ كَرِقَةِ لَفْظِهِ ، وَغِلْظُ غَزَلِهِ ككثافة حروفه ، ومجموع هذا كله ثوب ، ولكن بعد مقدمة كل ما يحتاج إليه فيه .

قال ابن القرات : سله يا أبا سعيد عن مسألة أخرى ، فإن هذا كلما توالى

(١) عبارة الأصل : « فترجموا لغتهم فهما » ؛ وهو تحريف .

(٢) رواية المقابسات : « ألا تعلم » والمعنى عليه يستقيم أيضا .

(٣) عبارة المقابسات : « مثال ذلك أن تقول » والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٤) كذا في المقابسات . والذي في الأصل : « بالنقل » ؛ وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « لنضارته » ؛ وهو تحريف .

عليه بأن أتعطأه ، وأنخفض أرتفاعه ، في المنطق الذي ينصره ، والحق الذي [١٧] يُبصره .

قال أبو سعيد : ما تقول في رجل يقول : « لهذا على درهم غير قيراط ؛ ولهذا الآخر على درهم غير قيراط » . قال : مالى علم بهذا التَّمط . قال : لست نازعا عنك حتى يصحّ عند الحاضرين أنك صاحب مخرقة وزرّق^(٢) ، هاهنا ما هو أخفّ من هذا ، قال رجل لصاحبه : « بكم الثوبان المصبوغان » ، وقال آخر : « بكم ثوبان مصبوغان » وقل آخر : « بكم ثوبان مصبوغين » يَبين هذه المعاني التي تضمّنها لفظٌ لفظ .

قال متى : لو ثرتُ أنا أيضا عليك من مسائل المنطق أشياء لكان حالك كحالي .

قال [أبو سعيد] : أخطأت ، لأنك إذا سألتني عن شيء أنظر فيه ، فإن كان له علاقة بالمعنى وصحّ لفظه على العادة الجارية أجبتُ ، ثم لا أبالي أن يكون موافقا أو مخالفا ، وإن كان غير متعلّق بالمعنى رددته عليك ، وإن كان متصلا باللفظ ولكن على وضعٍ لكم في الفساد على ما حشوتكم به كتبكم رددته أيضا لأنه لا سبيل إلى إحداث لنة في لغة مقرّرة بين أهلها .

ما وجدنا لكم إلّا ما أستعرتُم من لغة العرب [كالسبب والآلة^(٣)] والسلب والإيجاب والموضوع والمحمول والكون والفساد والمهمل والمخصور وأمثلة لا تنفع ولا تُجدي ، وهي إلى العيِّ أقرب ، وفي الفهاهة أذهب .

(١) لم ترد هذه الكلمة التي بين مربعين في الأصل . وقد أثبتناها عن المقايسات .

(٢) يريد بالزرّق : الخلع كما يستفاد من كتب اللغة فقد ورد في اللسان ومستدرک التاج

« رجل زراق » ، أى خداع . ولم يذكر في هذين الكتابين فعله ولا مصدره .

(٣) الزيادة التي بين مربعين عن المقايسات ومعجم الأدباء .

ثم أتم هؤلاء في منطقكم على نقص ظاهر ، لأنكم لا تقولون^(١) بالكتب ولا هي مشروحة ، فتدعون الشعر ولا تعرفونه^(٢) وتذكرون^(٣) الخطابة وأتم عنها في منقطع التراب ؛ وقد سمعت قائلكم يقول : الحاجة ماسة إلى كتاب البرهان . فإن كان كما قال فلم يقطع الزمان بما قبله من الكتب ، وإن كانت الحاجة قد مست إلى ما قبل البرهان ، فهي أيضا ماسة إلى ما بعد البرهان ، وإلا فلم صنف مالا يحتاج إليه ويستغنى عنه . هذا كله تخليط وزرق وتهويل ورعد وبرق .

وإنما بودكم^(٤) أن تشغلوا جاهلا ، وتستذلوا عزيزا ؟ وغايتكم أن تهولوا بالجنس والنوع والخاصة والفصل والعرض والشخص ، وتقولوا : الهلية^(٥) والأينية والماهية والكيفية والكمية والذاتية والعرضية والجوهرية والهيولية والصورية والأينية^(٦) والليسية والنفسية ؟ ثم تتناولون^(٧) فتقولون : « جئنا بالسحر » في قولنا : « لا » في شيء من « ب » و « ج » في بعض « ب » ، ف « لا » في بعض « ج » و « لا » في كل « ب » و « ج » في كل « ب » فإذا « لا » في كل « ج »^(٨) ؛ هذا بطريق الخلف ، وهذا بطريق الاختصاص .

(١) كذا في المقابسات . والذي في الأصل : « تقولون » ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « تدكرونه » ؛ وما أثبتناه عن المقابسات .

(٣) في المقابسات « وتدعون » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٤) في الأصل : « قولكم » ؛ وهو تحريف .

(٥) الهلية والأينية : نسبة إلى « هل » و « أين » الاستفهاميتين ؛ والنسبة في الألفاظ

التي بعدها معروفة .

(٦) الأينية والليسية : الإثبات والنفي .

(٧) في المقابسات : « يسمطون » أى بتشديد الطاء .

(٨) كذا في الأصل ، ولعل صحة العبارة : لا « أ » في شيء من « ب » و « ج » في

بعض « ب » ف « أ » إذن لا في « ج » و « أ » لا في كل « ب » و « ج » في بعض « ب »

ف « أ » إذن ليس في « ج » كما يقتضيه علم المنطق .

وهذه كلها خرافات وتُرَّهات ، ومغالق وشبكات ؛ ومن جاد عقله وحسن تمييزه ولطف نظره وثقوب رأيه وأنارت نفسه أستغنى عن هذا كله — بعون الله وفضله — وجودة العقل وحسن التمييز ولطف النظر وثقوب الرأى وإنارة النفس من منائح الله الهنيئة ، ومواهبه السنية ، يختص بها من يشاء من عباده وما أعرف لأستطالاتكم بالمنطق وجها ، وهذا الناشئ أبو العباس قد نقض عليكم وتتبع طريقته ، ويبين خطأكم ، وأبرز ضعفكم ، ولم تقدروا إلى اليوم أن تردوا عليه [كلمة واحدة ^(١)] مما قال ، وما زدتم ^(٢) على قولكم : لم يعرف غرضنا ولا وقف على مرادنا ، وإنما تكلم على وهم . وهذا منكم تحاجز ونكول ورضى بالعجز وكلول ، وكل ما ذكرتم في الموجودات فعليكم فيه ^(٣) أعراض هذا قولكم في « يفعل وينفعل » لم تستوضحوا فيهما مراتبهما ومواقعهما ، ولم تقفوا على مقاسمهما ، لأنكم قنعت فيهما بوقوع الفعل من « يفعل » وقبول الفعل من « ينفعل » ، ومن وراء ذلك غايات خفيت عليكم ، ومعارف ذهبت عنكم وهذا حالكم في الإضافة .

فأما البديل ووجهه ، والمعرفة وأقسامها ، والنكرة ومراتبها ، وغير ذلك مما يطول ذكره ، فليس لكم فيه مقال و [لا] مجال .

وأنت إذا قلت لاإنسان . « كن منطقيا » ، فإنما تريد : كن عقليا أو عاقلا أو عقل ما تقول ^(٤) لأن أصحابك يزعمون أن النطق هو العقل ؛ وهذا قول مدخول ، لأن النطق على وجوه أتم عنها في سهو .

(١) البارة التي بين مرابين عن المقابسات .

(٢) في الأصل : « زدتم » والكاف زيادة من الناسخ .

(٣) « عليه » .

(٤) « ما يكون » .

وإذا قال لك آخر: «كن محويًا لغويًا فصيحًا» فإنما يريد: افهم عن نفسك ما تقول، ثم رُم أن يفهم عنك غيرك.

وقدّر اللفظ على المعنى فلا يفضل عنه، وقدّر المعنى على اللفظ فلا ينقص منه؛ هذا إذا كنت في تحقيق شيء على ما هو به. فأما إذا حاولت قرّش المعنى وبسط المراد فأجل اللفظ بالروادف الموضحة والأشياء المقرّبة، والاستعارات الممتعة، وبين^(١) المعاني بالبلاغة، أعنى لوّح منها شيء حتى لا تصاب إلا بالبحث عنها والشوق إليها، لأن المطلوب إذا ظفر به على هذا الوجه عزّ وحلا، وكرّم وعلا؛ وشرح منها شيئاً حتى لا يمكن أن يُمتَرى [فيه] أو يُتسَبّ في فهمه أو يُمرّج عنه لأغماضه؛ فهذا المذهب يكون جامعاً لحقائق الأشياء ولأشياء الحقائق؛ وهذا باب إن استقصيته خرج عن نمط ما نحن عليه في هذا المجلس؛ على أنى لا أدرى أيؤثر فيك ما أقول أو لا؟

ثم قال: حدّثنا هل فصلتم [قط] بالمنطق بين مختلفين، أو رفضتم الخلاف بين اثنين؛ أترك بقوة المنطق وبرهانه اعتقدت أن الله ثالث ثلاثة، وأن الواحد أكثر من واحد، وأن الذي هو أكثر من واحد هو واحد، وأن الشرع ما تذهب إليه، والحق ما تقوله^(٢)؟ هيئات، هاهنا أمور ترتفع عن دعوى أصحابك وهذيانهم، وتديق عن عقولهم وأذهانهم.

ودع هذا، هاهنا مسألة قد أوقعت خلافاً، فأرفع ذلك الخلاف بمنطقتك. قال قائل: «لفلان من الحائط إلى الحائط» ما الحكم فيه؟ وما قدّر المشهود به لفلان؟ فقد قال ناس: له الحائطان معا وما بينهما. وقال آخرون:

(١) في معجم الأدباء: «وسدد».

(٢) «ما هو له».

له [النصف من كلٍ منهما . وقال آخرون ^(١) : له] أحدهما . هات الآن آيتك الباهرة ، ومعجزتك القاهرة ، وأتّى لك بهما ، وهذا قد بان بغير نظرك ونظري أحبابك .

ودع هذا أيضا ؛ قال قائل : « من الكلام ما هو مستقيم حسن ، ومنه ما هو مستقيم محال ، ومنه ما هو مستقيم قبيح ، ومنه ما هو محال كذب ، ومنه ما هو خطأ » . فسر هذه الجملة . وأعرض عليه عالم آخر ، فاحكم أنت بين هذا القائل والمعارض وأرنا قوة صناعتك التي تميز [بها] بين الخطأ والصواب ، وبين الحق والباطل ؟ فإن قلت : كيف أحكم بين اثنين أحدهما قد سمعتُ مقالته ، والآخر لم أحصلُ اعتراضه ؟ قيل لك : استخرج بنظرك الاعتراض إن كان ما قاله محتملا له ، ثم أوضح الحق منهما ، لأن الأصل مسموع لك ، حاصلٌ عندك وما يصحّ به أو يردُّ عليه يجب أن يظهر منك ، فلا تتعاسر ^(٢) علينا ، فإن هذا لا يخفى على [أحد ^(٣) من] الجماعة .

قد بان الآن أن مركّب اللفظ لا يحوز مبسوط العقل ؛ والمعاني معقولة ولها اتصال شديد وبساطة تامة ؛ وليس في قوة اللفظ من أى لغة كان أن يملك ذلك المبسوط ويحيط به ، وينصبّ عليه سورا ، ولا يدعُ شيئا من داخله أن يخرج ، ولا شيئا من خارجه أن يدخل ، خوفا من الاختلاط الجالب للفساد ، أغنى أن ذلك يخلط الحق بالباطل ، ويشبه الباطل بالحق ؛ وهذا الذى وقع الصحيح منه فى الأول قبل وضع المنطق ، وقد عاد ذلك الصحيح فى الثانى بعد ^(٤) المنطق ؛

(١) التكلفة التي بين مرعين لم ترد فى الأصل ؛ وقد أثبتناها عن المقابسات .

(٢) « تنقلش » .

(٣) كذا فى المقابسات . والذى فى الأصل : « على من حضرته » ؛ وهو تحريف

لا يستقيم به معنى الجملة .

(٤) فى المقابسات « بهذا » .

وأنت لو عرفتَ تصرفَ العلماء والفقهاء في مسائلهم ، ووقفتَ على غورهم في نظريهم وغوصهم في استنباطهم ، وحسنِ تأويلهم لِمَا يَرُدُّ عليهم ، وسعَفتَ تشقيقهم للوجوه المحتملة والكنائيات المفيدة والجهات القريبة والبعيدة ، لحقَّرتَ نفسك ، وأزدريتَ أصحابك ، ولكان مذهبوا إليه وتابَعوا عليه أقلَّ في عينك من الشُّها عند القمر ، ومن الحِصاة عند الجبل . أليس الكِنْدِيُّ وهو عَلمٌ في أصحابك يقول ^(١) في جواب مسألة « هذا » ^(٢) من باب عدّ . فمَدَّ الوجوه بحسب الاستطاعة على طريق الإمكان من ناحية الوم بلا ترتيب ، حتَّى وضعوا له مسائل من هذا الشكل وغالطوه بها وأرَوَّه أنها من الفلسفة الداخلة ، فذهب عليه ذلك الوضع ، فاعتقد فيه أنه [صحيح وهو ^(٣)] مريض العقل فاسد المزاج حائلُ الغريزة مشوَّشُ اللَّب .

قالوا له : أخبرنا عن أصطِكَالكِ ^(٤) الأجرام ، وتضاغط الأركان ؟ هل يدخل في باب وجوب الإمكان ؟ أو يخرج من باب فقدان إلى ما يَخْفَى عن الأذهان ؟ وقالوا له أيضا : ما نسبة الحركات الطبيعية إلى الصور الهَيُولائية ؟ وهل هي ملابسة للكيان في حدود النظر والبيان ، أو مزايِلَةٌ له مزايِلَةٌ على غاية الإحكام ؟ وقالوا له : ما تأثير فقدان الوجدان في عدم الإمكان عند امتناع الواجب من وجوبه في ظاهرٍ مالا وجوب له لاستحالته في إمكان أصله ؟ وعلى هذا فقد حُفِظ جوابُه عن جميع هذا على غاية الرِّكَاكَةِ والضعف [والفساد] والفسالة

(١) في الأصل : « يقولون » ، والوار والتون زيادة من الناسخ .

(٢) في الأصل : « عدم » ، وفي بعض المصادر الأخرى « عدة » وهي غير واضحة

للمعنى في كلتا الروايتين ؛ ولعلَّ الصواب ما أثبتنا .

(٣) لم ترد هذه العبارة التي بين مربعين في الأصل .

(٤) في الأصل : « استقصائك » ؛ وهو تحريف .

والسُّخْف . ولولا التوقُّ من التطويل لسردتُ ذلك كله ، ولقد مرَّ بي في خطِّه :
التفاوت في تلاشي الأشياء غيرُ مُحاطٍ به ، لأنَّه يلاقى الاختلاف في الأصول
والإتفاق في الفروع ؛ وكلُّ ما يكون على هذا النهج فالنِّكْرَةُ تُزاحم عليه
المعرفة ، والمعرفة تُناقض النِّكْرَةَ ، على أنَّ النِّكْرَةَ والمعرفة من باب الألبسةِ
العارية من ملابس الأسرار الإلهية ، لا من باب الإلهية العارضة في
أحوال البشرية .

ولقد حدثنا أصحابنا الصابئون عنه بما يضحك الشكلى ويُسِمُّ العدو
ويُفُ الصِّديق ، وما وُِث هذا كله إلَّا من بركات يوزان وفوائد الفلسفة والمنطق
ونسأل الله عصمة وتوفيقا نهتدى بهما إلى القول الراجع إلى التحصيل ، والفعل
الجارى على التعديل ، إنَّه سميع مجيب .

هذا آخرُ ما كتبتُ عن علي بن عيسى الرِّماني الشيخ الصالح بإملائه .
وكان أبو سعيد قد رَوَى لَمَّا من هذه القصة .

وكان يقول : لم أحفظ عن نفسي كلَّ ما قلتُ ، ولكن كتب ذلك أقوامٌ
حَضَرُوا في ألواح كانت معهم ومحابرُ أيضا ؛ وقد أختلَّ علي كثير منه .

قال علي بن عيسى : وتقوَّض المجلس وأهلُه يتعجَّبون من جأش أبي سعيد
الثابت ولسانه المتصرف ووجه التهلُّل وفوائده المتتابعة .

وقال الوزير ابن الفرات : عين الله عليك أيُّها الشيخ ، فقد نَدَّيتُ أكبادا
وأقررتُ عيوننا ، وبيَّضت وجوها ، وحُكَّت طرازا لا يبلِّه الزمان ، ولا يتطرَّق
إليه الحدثان .

قلت لعلي بن عيسى : وم كان سنُّ أبي سعيد ^(١) في ذلك الوقت ؟

(١) في الأصل : « علي بن عيسى » ؛ وهو خطأ من الناسخ .

قال : مولده سنة ثمانين ومائتين ، وكان له يوم المناظرة أربعون سنة ، وقد عَهِثَ الشَّيْبُ بِلَهَازِمِهِ^(١) مع السَّمْتِ وَالْوَقَارِ وَالذِّينِ وَالْجِدَّةِ ، وهذا شِعَارُ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْتِقَادِ ، وَقُلٌّ مِنْ تَظَاهُرِهِ أَوْ تَحَلُّيْ بِحَلِيَّتِهِ إِلَّا جُلٌّ فِي الْعِيُونِ وَعَظَمٌ فِي النُّفُوسِ ، وَأَحَبَّتْهُ الْقُلُوبُ ، وَجَرَتْ بِمَدْحِهِ الْأَلْسُنَةُ .

وقلت لِمُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى : أَمَا كَانَ أَبُو عَلِيٍّ^(٢) الْفَسَوِيُّ النَّحْوِيُّ حَاضِرَ الْمَجْلِسِ ؟ قَالَ : لَا ، كَانَ غَائِبًا ، وَحُدِّثَ بِمَا كَانَ ، فَكَانَ يَكْتُمُ الْحَسَدَ لِأَبِي سَعِيدٍ عَلَى مَا فَازَ بِهِ مِنْ هَذَا الْخَبَرِ الْمَشْهُورِ ، وَالثَّنَاءِ الْمَذْكُورِ .

فَقَالَ لِي الْوَزِيرُ^(٣) عِنْدَ مُنْقَطَعِ هَذَا الْحَدِيثِ : ذَكَرْتَنِي شَيْثًا قَدْ دَارَ فِي قَسِي مَرَارًا ، وَأَحْبَبْتَ أَنْ أَقِفَ عَلَى وَاضِحِهِ ؛ أَيْنَ أَبُو سَعِيدٍ مِنْ أَبِي عَلِيٍّ ، وَأَيْنَ عَلِيٌّ بْنُ عِيسَى مِنْهُمَا ، وَأَيْنَ ابْنُ الْمِرَاغِيِّ أَيْضًا مِنَ الْجَمَاعَةِ ؟ وَكَذَلِكَ التَّرْزُوبَانِيُّ وَأَبْنُ شَاذَانَ وَأَبْنُ الْوَرَّاقِ وَأَبْنُ حَتِيوَيْهِ ؟

فَكَانَ مِنَ الْجَوَابِ ، أَبُو سَعِيدٍ أَجَعَّ لَشَمْلِ الْعِلْمِ ، وَأَنْظَمَ لِمَذَاهِبِ الْعَرَبِ وَأَدْخَلَ فِي كُلِّ بَابٍ ، وَأَخْرَجَ مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ ، وَأَلْزَمَ لِلْجَادَةِ الْوَسْطَى فِي الدِّينِ وَالْخُلُقِ ، وَأَرَوَى فِي الْحَدِيثِ ، وَأَقْفَى فِي الْأَحْكَامِ ، وَأَقْفَى فِي الْفَتَوَى ، وَأَحْضَرُ بَرَكَةٍ عَلَى الْمُخْتَلَفَةِ ، وَأَظْهَرُ أَثَرًا فِي الْمُقْتَبَسَةِ . وَلَقَدْ كَتَبَ إِلَيْهِ نُوْحُ بْنُ نَصْرِ — وَكَانَ مِنْ أَدْبَاءِ مُلُوكِ آلِ سَامَانَ — سَنَةَ أَرْبَعِينَ^(٤) كِتَابًا خَاطَبَهُ فِيهِ بِالْإِمَامِ

(١) الْهَازِمُ : جَمْعٌ لِهَزْمَةٍ بِكَسْرِ اللَّامِ ، وَهِيَ مَجْتَمِعُ اللَّحْمِ بَيْنَ الْمَاضِغِ وَالْأُذُنِ ؛ أَوْ هِيَ الْعَظْمُ النَّاتِقُ فِي اللَّحْيَةِ تَحْتَ الْأُذُنِ ، وَهِيَ لِهَزْمَتَانِ ؛ وَيُرِيدُ هُنَا الشَّعْرَ النَّاتِبَ عَلَيْهِمَا .

(٢) أَبُو عَلِيٍّ الْفَسَوِيُّ ، هُوَ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْغَفَّارِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبَانَ الْهَارَمِيِّ النَّحْوِيِّ ، وَلَدَ بِمَدِينَةِ فَسَا سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَكَانَ إِمَامًا وَقَفَى فِي عِلْمِ النَّحْوِ وَلَهُ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ الْمَوْثُوقَاتِ الْوَاقِيَةِ النَّافَةِ ، وَتَوَفَّى فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثًا مِائَةً .

(٣) يُرِيدُ الْوَزِيرَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْهَارَمِيَّ .

(٤) أَيْ وَثَلَاثًا مِائَةً .

وسأله عن مسائل تزيد على أربعمائة مسألة ، الغالب عليها الحروف ، وباقى ذلك أمثال مصنوعة على العرب شك فيها فسأل عنها ؛ وكان هذا الكتاب مقرونا بكتاب الوزير البلعبي خاطبه فيه بإمام المسلمين ، ضمنه مسائل في القرآن وأمثالا للعرب مشكلة .

وكتب إليه الترمذيان بن محمد ملك الديلم من أذربيجان كتابا خاطبه فيه بشيخ الإسلام ، سأله عن مائة وعشرين مسألة ، أكثرها في القرآن ، وباقى ذلك في الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضوان الله عليهم .

وكتب إليه ابن حنزابة من مصر كتابا خاطبه فيه بالشيخ الجليل ، وسأله فيه عن ثلاثمائة كلمة من فنون الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن السلف .

وقال لي الدارقطني سنة سبعين : أنا جمعت ذلك لأبن حنزابة على طريق المعونة .

وكتب إليه أبو جعفر ملك سجستان على يد شيخنا أبي سليمان كتابا يخاطبه فيه بالشيخ الفرد ، سأله عن سبعين مسألة في القرآن ، ومائة كلمة في العربية وثلاثمائة بيت من الشعر ، هكذا حدثني به أبو سليمان ؛ وأربعين مسألة في الأحكام وثلاثين مسألة في الأصول على طريق التكميل .

قال لي الوزير : وهذه المسائل والجواب عنها عندك ؟ قلت : نعم . قال : في كم تقع ؟ قلت : لعلها تقع في ألف وخمسمائة ورقة ، لأن أكثرها في الظهور . قال : ما أحوجنا إلى النظر فيها والأستمتاع بها والأستفادة منها ! وأين الفراغ وأين السكون ؟ ونحن كل يوم ندفع إلى طائفة تسمى ماسلف ، وتوعد بالهامية

اللهم هذه ناصيتي بيدك ، فتولني بالعصمة ، وأخصني بالسلامة ، وأجعل عقبائي إلى الحسن .

ثم قال : صل حديثك .

قلت : وأما أبو علي^(١) فأشد تفرّدا بالكتاب^(٢) وأشد إكبابا عليه ، وأبعد من كل ما عداه مما هو علم الكوفيين ، وما تجاوز في اللغة كتب أبي زيد ، وأطرافا مما لغيره ؛ وهو متقد بالغيط على أبي سعيد ، وبالحسد له ، كيف تم له تفسير كتاب سيويه من أوله إلى آخره بغريبه وأمثاله وشواهد وأبياته (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) ، لأن هذا شيء ما تم للبرد ولا للزجاج ولا لابن السراج ولا لابن درستويه مع سعة علمهم ، وفيض كلامهم .

ولأبي على أطراف من الكلام في مسائل أجاد فيها ولم يأتل ، ولكنه قعد على الكتاب^(٣) على النظم المعروف .

وحدثني أصحابنا أن أبا علي أشتري شرح أبي سعيد في الاهواز في توجهه إلى بغداد سنة ثمان وستين — لاحقا بالخدمة المرسومة به ، والندامة^(٤) الموقوفة عليه — بألفي درهم ؛ وهذا حديث مشهور ، وإن كان أصحابه يأتون الإقرار به إلا من زعم أنه أراد النقض عليه ، وإظهار الخطأ فيه .

وقد كان الملك السعيد — رضى الله عنه — هم بالجمع بينهما فلم يقض له ذلك ، لأن أبا سعيد مات في رجب سنة ثمان وستين وثلاثمائة .

(١) يريد أبا علي الفسوي السابق ذكره .

(٢) يريد بالكتاب كتاب سيويه .

(٣) يريد بالكتاب كتاب سيويه . يقول : إنه اقتصر على دراسته على الطريقة المعروفة .

(٤) الندامة ، أى المناداة على المراب ، بدليل ما يأتي بعد في سطر (١) من صفحة ١٣٢ .

وأبو علي يشرب ويتخالم ويفارق هدى أهل العلم وطريقة الرابطين^(١)
وعادة المتنسكين .

وأبو سعيد يصوم الدهر ، ولا يصلي إلا في الجماعة ، ويقوم على مذهب
أبي حنيفة ، ويلى القضاء سنين ، ويتأله^(٢) ويتخرج ، وغيره بمنزل عن هذا ؛
ولولا الإبقاء على حرمة العلم ، لكان القلم يجري بما هو خاف ويضرب بما هو مجتم^(٣)
ولكن الأخذ بحكم الرواة أولى ، والإعراض عما يجلب اللائمة أخرى .

وكان أبو سعيد حسن الخط ، ولقد أراد الصيبري أبو جعفر على الإنشاء
والتهجير فاستعفى وقال : هذا أمر يحتاج فيه إلى دربة وأنا عار منها ، وإلى
سياسة وأنا غريب فيها * ومن القناء رياضة الهرم *

وحدثنا النصري^(٤) أبو عبد الله — وكان يكتب النوبة للمهلي — بحديث
مفند^(٥) لأبي سعيد هذا موضعه ، قال : كنت أخط بين يدي الصيبري أبي جعفر
محمد بن أحمد بن محمد ، فالتسنى يوما لأن أجيب ابن العميد أبا الفضل عن كتاب
فلم يجدي ، وكان أبو سعيد السيراقي بحضرته ؛ فظن^(٦) أنه بفضل علمه أقوم
بالجواب من غيره ، فتقدم إليه أن يكتب ويحجب ، فأطال في عمل نسخة كثير
فيها الضرب والإصلاح ، ثم أخذ يحرق ، والصيبري يقرأ ما يكتبه ، فوجده مخالفا

(١) الرباني : التأث العارف بالله . وفي الأصل : « الديانين » ولم نجده في كتب اللغة
بهذا المعنى .

(٢) تأله ، أى يتعبد ويتنسك .

(٣) مجتم : من ججم الكلام في نفسه إذا لم يبينه يريد به المستتر الخاف .

(٤) كذا في معجم الأدباء لياقوت ج ٨ ص ١٨٣ طبع الحلبي . والذي في الأصل :
البري ؛ وهو تحريف .

(٥) « معد » .

(٦) كذا في معجم الأدباء لياقوت ج ٨ ص ١٨٣ طبع الحلبي . والذي في الأصل : « فبان » .

لجاري العادة لفظاً ، مبيناً لما يريد^(١) ترتيباً .

قال : ودخلت في تلك الحال ، فتمثل الصيّمرى بقول الشاعر :

يا باري القوسِ برّياً ليس يُصلِّحه لا تظلم القوسَ ، أعطِ القوسَ باريها

ثم قال لأبي سعيد : خفف عليك أيها الشيخ وأدفع الكتاب إلى أبي عبد الله تليذك ليحبب عنه ، فحجل من هذا القول ، فلما أبتدأت الجواب من غير نسخة تحيّر متى أبو سعيد ، ثم قال : أيها الأستاذ ، ليس بمستنكر ما كان متى ، ولا بمستكثر ما كان منك ، إن مال النّبي لا يصحّ في بيت المال إلا بين مستخرج^(٢) وجهيّ ، والكتاب جهابذة الكلام ، والعلماء مستخرجوه . فقتبتم الصيّمرى وأعجبه ما سمع ، وقال : على كلّ حال ما أخلقتنا من فائدة .

وكان أبو سعيد بعيد القرين ، لأنّه كان يُقرأ عليه القرآن والفقه والشروط والقرائض والنحو واللغة والعروض والقوافي والحساب والمهندسة والحديث والأخبار وهو في كلّ هذا إماماً في الغاية وإماماً في الوسط .

وأما علي بن عيسى^(٣) فعلى الرتبة في النحو واللغة والكلام والعروض والمنطق ، وعيب به ، إلا أنّه لم يسلّك طريقاً واضح المنطق ، بل أفرّد صناعة ، وأظهر براعة ، وقد عمل في القرآن كتاباً قيساً ، هذا مع الدّين الثخين ، والعقل الرزين .

وأما ابن الراغبي^(٤) فلا يلحق بهؤلاء ، مع براعة اللفظ ، وسعة الحفظ ، وعزّة

(١) في معجم الأدباء : « لأتورة » .

(٢) مستخرج الأموال ، أي جانيها ومحصّلها . والجهيد : الناقد العارف بالجميل والردى .

(٣) يريد بطي بن عيسى أبا الحسن الرماني وهو إمام في العربية ، كان علامة في الأدب ،

إماماً في النحو ، بصيراً بالمغالطات ، معتزلاً ، مات سنة ٣٨٤ .

(٤) ابن الراغبي هو أبو الفتح محمد بن جعفر الهمداني وكان معلماً في دولة أبي منصور ،

وكان حافظاً نحوياً بليغاً إخبارياً في نهاية العرف والحرية ؛ وله من الكتب كتاب البهجة على

مثال كتاب الكامل .

النفس ، وبلل^(١) الريق ، وغزارة النَّفث ، وكثرة الرواية ؛ ومن نظر في كتاب
البهجة له عرف ما أقول ، واعتقد فوق ما أصف ، ونحل^(٢) أكثر مما أبذل .
وأما المرزباني^(٣) وابن شاذان وابن القرميضي وابن حيوية^(٤) فهم رواية
وحملة ليس لهم في ذلك نَقْطٌ ولا إجماع ، ولا إسراج ولا إجماع .

(٤) فقال : فصل حديثك [عن^(٥)] هؤلاء بمحدث أصحابنا الشعراء ، صف لي
جماعتهم ، وأذكر لي بضاعتهم ، وما خصّ كل واحد منهم . قلت : لست من
الشعر والشعراء في شيء ، وأكره أن أخطو على دَحْض^(٦) ، وأحتسى غير
محض . قال : دع هذا القول ، فما خُصْنَا في شيء إلى هذا الوقت إلا على غاية
ما كان في النفس ، ونهاية ما أفاد من الأنس ، فكان من الوصف :

أَمَّا السَّلاي^(٧) فهو حلو الكلام ، متسق النظام ، كأنما يتيسر عن ثغر النعام
خفي السركة ، لطيف الأخذ ، واسع المذهب ، لطيف المخارص ، جميل الملابس ؛
لكلامه لَيْطَةٌ^(٨) بالقلب ، وعبث بالروح ، وبرْدٌ على الكبد .

-
- (١) بلل الريق : كناية عن الاتساع في الكلام .
(٢) « نحل » الخ أي أضاف إليه من الفضائل أكثر مما أبذل في وصفه .
(٣) المرزباني ، هو أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى ، أصله من خراسان ، كان
من الأدباء الاخباريين المصنفين ، وله كتب كثيرة في الأدب والتاريخ عدها صاحب الفهرست
وقال : إنه كان صادق الهمجة ، واسع المعرفة بالروايات ، كثير السماع ، ومات سنة ٣٧٨ .
(٤) ابن حيويه ، هو محمد بن حيويه بن المؤمل ، عالم نحوي من أهل مهران مات سنة ٣٧٣ .
(٥) لم ترد هذه الكلمة في أصل .
(٦) على دَحْض ، أي على مزلة ومزلة للأقدام .
(٧) السلاي : من أشهر أهل العراق ، عربي الأصل من بني غزوم ، ولد بكرخ بغداد
سنة ٣٣٦ واتصل بالصاحب بن عباد وعضد الدولة البويهى وندحهما ، وقد روى له صاحب
التيبة كثيرا من شعره ، مات سنة ٣٩٤ .
(٨) لَيْطَةٌ بالقلب ، أي التوافق به وتعلق .

وأما الحاشي (١) فحليظ اللفظ ، كثير المقد ، يحب أن يكون بدوياً قطعاً ، وهو لم يتم حصرها ؛ غزير المحفوظ ، جامع بين النظم والنثر ، على تشابه بينهما في الجفوة (٢) وقلة السلاسة ، والبعد من المسلك ، بادي العورة فيما يقول ، لكأنما يُعبر ما يُخفى ، ويكدر ما يُصنى ، له سكرة في القول إذا أفاق منها خير (٣) وإذا خير سدر (٤) ؛ يتناول شاخصاً ، فيتضاد متعاضداً ؛ إذا صدق فهو مبین ، وإذا كذب فهو مشين .

وأما ابن جلابات (٥) فجنون الشعر ، متفاوت اللفظ ، قليل البديع ، واسع الحيلة ، كثير الزوق (٦) ، قصير الرشاء (٧) ، كثير النشاء (٨) ؛ غزوة نفاقه (٩) ونفقه نفاقه .

(١) هو محمد بن الحسين الحاشي ، مدح الخليفة القادر بالله ؛ وله الرسالة الحاشية التي شرح فيها ما جرى بينه وبين المتنبي ، مات سنة ٣٨٨ .

(٢) عبارة الأصل : « على تشابه بينهما في الهوة وقلة السياسة والبعد من الشكوك » ؛ وفي هذا الكلام تحريف لا يستقيم به المعنى في ثلاثة ألفاظ ؛ وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا .

(٣) خبر ، أي أصيب بالحجار ، وهو ألم في الرأس وصداع يقبض السكر . والكلام هنا على طريق الاستعارة .

(٤) سدر : تحير . أو لم يبال ما صنع ولم يهتم . وكلا التفسيرين يستقيم به المعنى .

(٥) في الأصل : « ابن الحليات » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا . وهو أبو الفاسم علي بن جلابات ، ذكره صاحب البيعة في الجزء الثاني ص ٢٧٠ وروى شيئاً من شعره .

(٦) في الأصل : « الرزق » ؛ وهو تحريف . وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا ، فانه بسدد الكلام في الشعر لا في الرزق . والرزق بالتحريك : جمع زاووق ، وهو ما يحسن به الفم ويرزين ، والمراد هنا ما يحسن به الشعر تحسناً ظاهرياً . والزاووق في الأصل :

الزريق ، وكان يدخل في التصاور ، ولذلك قالوا لكل مزين : مزوق .

(٧) الرشاء : الحمل الذي يستق به ، والمراد هنا قصر باريه في الشعر وقصوره عن الإطالة .

(٨) النشاء في الأصل : البالي من ورق الشجر المخالط زبد السيل . ويريد به هنا ما لا فائدة فيه ، ولا يعتد به .

(٩) النفاق بفتح النون : الرواج . ونفقه بتشديد الفاء : رواجه . والمراد رواج شعره وانتشاره بين الناس ، وعبارة الأصل : « عزه نفاقة ونفقه نفاقة » وفي كلتا الجملتين تصحيف . هنا لئلا يظن أنها على هذا الوضع لا يستقيم بهما السجع الذي يريده المؤلف كما يظهر .

وأما الخالق^(١) فأديب الشعر، صحيح النحت، كثير البديع، مستوى^(٢) الطريقة، متشابه الصناعة، بعيد من طفرة التعيير، قريب من فرصة التخيير؛ كان ذو الكفايتين يقدمه بالرمي، ويقبله على النشر والطنى.

وأما مسكويه^(٣) فلطيف اللفظ، رطب الأطراف، رقيق الحواشي، سهل المآخذ، قليل السكب، بطل السبك؛ مشهور المعاني، كثير التواني؛ شديد التوقي، ضعيف الترقى؛ يرد أكثر مما يصدر، ويتناول جهده ثم يتفصر؛ ويطير بعيدا ويقع قريبا، ويسقى من قبل أن يغرس، ويمتدح^(٤) من قبل أن يُنيه؛ وله بعد ذلك مأخذ كشذو^(٥) من الفلسفة، وتأثر^(٦) في الخدمة، وقيام برسوم الندامة^(٧)؛ وسنة^(٨) في البخل، وغرائب من الكذب؛ وهو حائل^(٩) العقل لشغفه بالكيباء.

وأما ابن نباتة^(١٠) فشاعر الوقت، لا يدفع ما أقول إلا حاسدا أو جاهلا

(١) هو أبو علي الحسن بن علي الخالغ شاعر من شعراء الوزير أبي نصر سابور بن أردشير وهو من شعراء النبوة.

(٢) في الأصل: «مستوسى»، وهو تحريف. وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا كما يقتضيه قوله بعد: «متشابه الخ».

(٣) انظر التعريف به في ص ٣٢ رقم ٥.

(٤) متج الدلو ومتج بها: استخرجها من البئر عند الاستقاء، وأما الحافز إمامة: بلغ الماء واستخرجه من الأرض. والكلام كله جار على طريق الاستعارة، يشير بهذه العبارة والتي قبلها إلى أنه يقدم ما حقه التأخير والعكس.

(٥) شدا شدوا، أخذ طرقة من العلم والأدب.

(٦) التأثر في التلطف.

(٧) الندامة بكسر النون: حرفة الندامة على الشراب.

(٨) وثيقة.

(٩) حائل العقل، أى متغير متحول من الاستواء إلى الموج.

(١٠) ابن نباتة السعدي، هو عبد العزيز بن محمد بن نباتة من شعراء سيف الدولة بن حمدان، واتصل كذلك بابن العميد ومدحه؛ وقد سنة ٣٢٧ ومات ببغداد سنة ٤٠٥.

أو معانِد ، قد لَحِقَ عَصَابَةٌ (سيف الدولة) وعدَا معهم ووراءهم ، حَسَنُ الْحَذَرِ على مثال سَكَّانِ البادية ، لطيفُ الأَتَمَامِ بهم ، خَفِيَ التَّغَاصُّ في واديهم ، ظاهرُ الإِطْلَالِ على نَادِيهم ؛ هذا مع شُعْبَةٍ من الجنون وطَائِفٍ من الوَسْوَاسِ .

وأَمَّا ابنُ حُجَّاجٍ ^(١) فليس من هذه الزُّمْرَةِ بشيء ، لأنَّه سَخِيفُ الطَّرِيقَةِ بَيِّدٌ مِنَ الْجِدِّ ، قَرِيعٌ فِي الْمَزَلِ ؛ ليس للعقل من شِعْرِهِ مِثَالٌ ^(٢) ، ولا له في قَرَضِهِ ^(٣) مِثَالٌ ؛ على أَنَّهُ قَوِيمُ اللَّفْظِ ، سَهْلُ الْكَلَامِ ، وَشَمَائِلُهُ نَائِيَةٌ بِالْوَقَارِ عن عَادَتِهِ الْجَارِيَةِ فِي الْخَسَارِ ؛ وهو شَرِيكَ ابْنِ سُكَّرَةٍ فِي هَذِهِ الْقِرَامَةِ ^(٤) ؛ وَإِذَا جَدَّ أَقْبَى ، وَإِذَا هَزَلَ حَكَّى الْأَفْصَى .

وله مع ذِي الْكِفَايَتَيْنِ مَنَاظَرَةٌ طَيِّبَةٌ . قال : ما هِيَ ؟ قلتُ : لما ورد ذُو الْكِفَايَتَيْنِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَهَزَمَ الْأَتْرَاكُ مَعَ أَفْتِكَيْنِ ^(٥) ، وَكَانَ مِنَ الْحَدِيثِ مَا هُوَ مَشْهُورٌ ، سَأَلَ عَنْ ابْنِ حُجَّاجٍ — وَكَانَ مَتَشَوِّقًا لَهُ لِأَنَّا كَانَ يُقْرَأُ عَلَيْهِ مِنْ قَوَافِيهِ ^(٦) ، فَأَحَبَّ أَنْ يَلْقَاهُ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ الْخَبِيرُ كَالْمَعَايِنَةِ ، وَالْمَسْمُوعُ وَالْمَبْصَرُ كَالْأَثَى وَالذِّكْرُ ؛ يَنْزِعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى تَمَامِهِ ؛ فَلَمَّا حَضَرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْتَبَسَهُ لِلطَّعَامِ ، وَسَمِعَ كَلَامَهُ ، وَشَاهَدَ سَمْتَهُ ، وَاسْتَحْلَى شَمَائِلَهُ ، فَقَامَ

(١) هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج ، شاعر ماجن في شعره مشهور ، اتصل بالوزير المهملبي وسابور بن أزدشير وعُضِدَ الدولة وابن عباد وابن السبيد ، لشعره منتخبات في اليتيمة وفي المتحف البريطاني وفي مكتبة باريس ؛ وقد مات سنة ٣٩١ .

(٢) « مثال » .

(٣) « عرسته » .

(٤) القِرَامَةُ : الخسران .

(٥) في الأصل : « الوركين » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا ههنا عن الكامل لابن الأثير وغيره .

(٦) في الأصل : « من فيه » بسقوط القاف والواو والألف ؛ ولعل الصواب ما أثبتنا إذ به يستقيم الكلام .

من مجلسه ؛ فلما خلا به قال : يا أبا عبد الله ، لقد والله تُهت^(١) عجباً منك ، فأما عَجَبِي بك فقد تقدّم ؛ لقد كنت أفلي ديوانك ، فأتيت لقاءك ، وأقول : من صاحب هذا الكلام ، أطيّش طائش ، وأخفّ خفيف ، وأغرّم غارم ؛ وكيف يجالس من يكون في هذا الإهاب ؟ وكيف يقارب من ينسلخ من ملابس الكتاب وأصحاب الآداب ؛ حتى شاهدتُك الآن ، فتهاكتُ على وقارك وسكون أطرافك ، وسكوت لفظك ، وتناسب حركاتك ، وفرط حيائك وناضر ماء وجهك ، وتماذل كُلك^(٢) ويمضك ؛ وإنك لمن عجائب خلق الله وطُرف عباده^(٣) ؛ والله ما يصدّق واحد أنّك صاحب ديوانك ، وأنّ ذلك الديوان لك ، مع هذا التنافي الذي بين شعرك وبينك في جدك . فقال أبو عبد الله : أيها الأستاذ ، وكان عجبى منك دون عجبك مني ، لو تقارنا على هذا لعلجت عليك بالتعجب منك . قال : لأنّي قلت : إذا ورد الأستاذ فسألني منه خلُقًا جافيا وفظًا^(٤) غليظا وصاحب رواسير^(٥) وآكل كوامخ^(٦) وجبليّا ديلميّا متكائبا متعاطيا ، حتى رأيْتُك الآن وأنت ألطف من الهواء ، وأرق من الماء ، وأغزل من جيل^(٧) بن معمر ، وأعذب من الحياة ، وأرزن من الطود ، وأغزر من

(١) تهت ، أى تحيرت .

(٢) في الأصل : « نجلك » ؛ وهو تحريف .

(٣) في الأصل من هذه الكلمة العين والباء ، ورسمت افاء بعيدة عنها .

(٤) « وعظما » .

(٥) في الأصل : « رواصير » .

(٦) الكوامخ : جمع كوامخ بفتح الميم ، وهو إدام يؤتم به يقال له : المرى ، ويقال : هو الردى منه ؛ وقيل : هو خبز يغلّ مرّ ب « كامه » بالفارسية ؛ وخصه بعضهم بالخللات التي تستعمل لتفتّح الطعام .

(٧) جيل بن معمر ، هو المعروف بجبيل بثينة العنبري .

البحر ، وأبهى من القمر ، وأندى من الغيث ، وأشجع من الليث ، وأنطق من سخبان ، وأندى من الغمام ، وأشد من السهام ، وأكبر من جميع الأنام .
فقال أبو الفتح وتبسم : هذا أيضا من ودائع^(١) فضلك ، وبواعث تفضلك .
ووصله وصرقه .

قال^(٢) : لم يكن هذا الحديث عندي .

وأما بشر بن هارون فليس من هذه الطبقة في شيء ، لكنه يقرص فيحز^(٣) ويسم فيهم ، ويخرج فيجيز^(٤) والمدهوون^(٥) منه كثير ؛ « وأصحابنا^(٥) يستحسنون قول ابن الحجاج في الوزير حين يقول :

لله در الحسين من قر ردت إليه وزارة الشمس

فقال : إن قبلت هذا منهم خفت أن يقال : ماح نفسه يقرئك السلام ؛
وما أصنع بهذا البيت وهو مضموم إلى كل بيت سخيف في القصيدة » .

ثم قال : وجب أن نصف قبل هذا عصابة العلماء ، فلم تركنا ذكرهم ونحن
لأنخلو في حديثهم من غرة لأئمة ، وفائدة نافعة ، وصواب زائد في العقل
وفضيلة على الأدب ، وحلم يزدان به في وقت الحاجة ، وحكمة يستعان بها في
داهية ؛ ورأى يكون مقبلا للتمييز عند تهجيرنا به .

(١) من ودائع فضلك ، أى من فضلك الذى تودعه لدينا فنحفظه لك ونؤديه إليك
جزاء وفا .

(٢) قال ، أى الوزير أبو عبد الله العارض .

(٣) فى الأصل : « يقرض فيخر » ، وهو تصحيف فى كلتا الكلمتين . ويريد بهذه
العبارة والعبارتين اللتين بعدها أن أثره بالغ غايته فى الهجاء .

(٤) المدهوون ، أى المبتلون بالدواهي منه .

(٥) الظاهر أن هذا الكلام الذى بين هاتين العلامتين مؤخر عن موضعه وموضعه
الكلام فى ابن حجاج السابق ذكره إذ لا مناسبة بينه وبين ما هنا .

قلتُ : أما أبو عبد الله الجُعَلُ (١) فقد شاهدته . قال : صدقت ، ولكن لم أقف على مذهبه ودُخْلِهِ وسيرته في اعتقاده .

قلتُ : كان الرجل ملتهب الخاطر ، واسع أطراف الكلام ، مع غشاة اللفظ ، وكان يرجع إلى قوَّة عجيبة في التدريس ، وطول نفس في الإملاء ، مع ضيق صدر عند لقاء الخصم ومُعارَكة القِرْن ، بعيد العهد بالمصاع والدفاع والوقاع ؛ وكان سببُ هذا الجبن والخَوَر قلة الضراوة على هذه الأحوال ؛ ولقد خَرَّيَ في مشاهد عظيمة .

وأما يتيهه فكان ضعيفا ؛ وأما سيرته فكانت واقفة على حب الرياسة وبذل المال والجاء إذا حضرا ، مع تعصب شديد لمن قدمه وأحبه ، وإنهاء مفرط على من عاداه ، وكان خَوْضُهُ في الدُول والولايات — ولهذا رغب عنه (٢) الواسطي وكان أخا ورع ودين — وقال (٣) : هذا منفر (٤) عن الدين والمذهب ، ودافع (٥) للناس عن القول بالحق ، وطارح للشبهة في القلوب . وكان يجهز بهذا وأشباهه ، ولكن كان جاه الرجل لا يُنتقص بهذا القدر وركنُه لا يتخلخل على هذا الهدى ، لأسباب انعدت له ، وأصحاب ذبوا عنه .

وأما ابن الملاح فشيخ حسن المعرفة بالمذهب ، شديد التوقى ، محمود القناعة

(١) في الأصل « جفل » ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا . والجعل ، هو أبو عبد الله الحسين بن علي ، أصله من البصرة وبها ولد سنة ٣٠٨ وانهت إليه الرياسة في علم الكلام في عصره ، وكان كذلك فقيها ، وله كتب في الكلام وكتب في الفقه ، من أشهر كتبه في الكلام كتاب نقض كلام الراوندى ونقض كلام الرازى . مات ببغداد سنة ٣٩٩ .

(٢) « فيه » .

(٣) وقال ، أى الواسطي .

(٤) « منفر » .

(٥) « ونافع » .

ظاهر الرضا ؛ تَذَلُّ (١) سيرته الجميلة على أنه حَسَنَ العقيدة .

وأما ابن العلم (٢) فَحَسَنَ اللسان والجَدَل ، صبور على الخصم ، كثيرُ الحيلة ظنين (٣) السرّ ، جميل العَلاتية .

وأما أبو إسحق النصيبي فذقيق الكلام ، يشكّ في النبوات كلّها ، وقد سمعتُ منه فيها شُبهاً ، ولُغته (٤) معقّدة ، وله أدب واسع ؛ ولقد أضلّ بهمذان كاتبُ فخر الدولة ابنَ المرزبان . وحمله على قلة الأكتراث بظلم الرعية ، وأراه أنه لا حرج عليه في غَيبِهم لأنهم بهائم ، وما خرج من الجبل حتى أفتضح .
وأما ابن خيران (٥) فشيوخ لا يعدو الفقه ، وفيه سلامة .

وأما الدّاركي (٦) فقد اتخذ الشهادة مكسبةً ، وهو يأكل الدنيا بالدين ، ويفلب عليه اللواط ، ولا يرجع إلى ثقة وأمانة ؛ ولقد تهتكت بنيسابور قديماً ، وببغداد حديثاً ؛ هذا مع القدامة والوخامة ؛ ولقد ندّ بجُعَلٍ (٧) غلام ، وهو اليوم قاضي الرى . وابن عباد يَكْنُفه ويقرّبه ليكون داعية له ونائباً عنه ، وليس له أصل وهو من سواد همذان ، وأبوه كان فلاحاً ، ولقد رأيته ، إلا أنه يأتي لابن عباد في سَمْتِه ولزوم ناموسه حتى خفّ عليه ، وهو اليوم قارون ؛ وقد علت رتبته في

(١) « يذل » .

(٢) ابن المكلّم ، هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان ، انتهت إليه رئاسة الشيعة الإمامية في الفقه والكلام والآثار ولد سنة ٣٣٨ .

(٣) ظنين ، أى متهم .

(٤) « ولّبه » .

(٥) هو أبو علي الحسين بن صالح بن خيران ، أحد فقهاء عصره ، ألف في الفقه كتاب « اللطيف » وكتاب « المقدمات » .

(٦) لعله يريد أبا القاسم الداركي ، نسبة إلى دارك ، قرية في أصفهان ، أحد فقهاء الشافعية وهو بغدادى ، أقام بنيسابور مدة ، وانتهى التدريس إليه ببغداد ، وأخذ عنه عامة شيوخها ؛ مات سنة ٣٧٥ .

(٧) في الأصل : « نذر » ؛ ولعل صوابه ما أبقنا . ويد : هرب .

الكلام حتى لا مزيد عليها ، إلا أنه مع ذلك نَقِلُ^(١) الباطن ، خبيث الخبء ، قليل اليقين ؛ وذلك أن الطريقة التي قد لزموها وسلكوها لا تقضى بهم إلا إلى . الشك والأرتياب ، لأن الذين لم يأت بكم وكَيْفٍ في كل باب ، ولهذا كان لأصحاب الحديث أنصار الأثر ، مزية على أصحاب الكلام وأهل النظر ؛ والقلب الخالي من الشبهة أسلم من الصدر المحشو بالشك والريبة ، ولم يأت الجدال بغير قط . وقد قيل : من طلب الدين بالكلام ألحد ، ومن تتبع غرائب الحديث كذب ، ومن طلب المال بالكيمياء أفتقر . وما شاعت هذه الوصية جُرَافا ، بل بعد تجربة كررها الزمان ، وتطاولت عليها الأيام ؛ يتكلم أحدهم في مائة مسألة ويورد مائة حجة ثم لا ترى عنده خشوعا ولا رقة ، ولا تقوى ولا دَمعة ؛ وإن كثيرا من الذين لا يكتبون ولا يقرءون ولا يحتجّون ولا يناظرون ولا يُكرّمون^(٢) ولا يفضلون خيّر من هذه الطائفة وألین جانبها ، وأخضع قلبا ، وأتقى لله عز وجل ، وأذكرُ للعاد ، وأيقن بالثواب والعقاب ، وأقلق من الهفوة ، وألوذ^(٣) بالله من صغير الذنب ، وأرجع إلى الله بالتوبة ؛ ولم أر متكلما في مدة عمره بكى خشية ، أو دمعت عينه خوفا ، أو أقلق عن كبيرة رغبة ؛ يتناظرون مستهزئين ويتحاسدون متعصبين ، ويتلاقون متخادعين ، ويصنّفون متحاملين ؛ جَذَّ الله عروقهم ، وأستأصل شأقتهم ، وأراح العباد والبلاد منهم ؛ فقد عظمت البلوى بهم ، وعظمت آفتهم على صغار الناس وكبارهم ؛ ودَبَّ داؤمهم ، وعسر دواؤمهم ؛ وأرجو ألا أخرج من الدنيا حتى أرى بنيانهم متضعضا ، وساكنه متجمجعا^(٤) .

(١) « نَقِلُ » . والنقل : الفساد السيئ .

(٢) « يلزمون ولا يفضلون » .

(٣) هذه الكلمة مطبوسة بالأصل .

(٤) متجمجعا ، أى ضاربا بنفسه الأرض من وجع .

قال : فما تقول في ابن الباقلاني ؟ ^(١) . قلت :

فما شرء ^(٢) الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تصبَحِينَا

يزعم أنه ينصر السنّة ويُفحِم المعتزلة وينشر الرواية ؛ وهو في أضعاف ذلك على مذهب الخُرُميّة ، وطرائق الملحّدة . قال : والله إن هذا لمن المصائب الكبار والمَحَن الغلاظ ، والأمراض التي ليس لها علاج .

ثم قال : إن الليل قد ولّى ، والنعماس قد طرق العين عابثا ؛ والرأى أن نستجِم لنشَط ، ونستريح لنتعب ؛ وإذا حضرت في الليلة القابلة أخذنا في حديث الخلق والخلق — إن شاء الله — وأنا أزودك هذا الإعلام ليكون باعثاً لك على أخذ العتاد بعد أختماره في صدرك ، وتَحِيل الحال به عندمخوضك وفيضك ولا تجبن جبن الضعفاء ، ولكن قل وأتسع مجاهرا بما عندك ، منقفا مما معك . وانصرفت .

الليلة التاسعة

- (١) وعدت ليلة أخرى فقال : فأتحمّ الحديث معك ، فهايت ما عندك . فكان من الجواب : أن أخلاق أصناف الحيوان الكثيرة مؤتلفة في نوع الإنسان ، وذلك أن الإنسان صفو الجنس الذي هو الحيوان ، والحيوان كدّر النوع الذي هو الإنسان والإنسان صفو الشخص الذي هو واحد من النوع ، وما كان صفوا ومُصاصا ^(٣) بهذا النظر أنتظم فيه من كل ضرب من الحيوان خلق وخلقاً وأكثر ،

(١) ابن الباقلاني ، هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني أحد أعلام المتكلمين ، ومن أكبر أنصار مذهب الأشعرى ، ومؤلف كتاب « إيجاز القرآن » مات سنة ٤٠٣ .

(٢) البيت لعمرو بن كلثوم ؛ وهو هنا على طريق التل .

(٣) المصاص : المصاراة .

وظهر ذلك عليه وبطن^(١) أيضا بالأقل والأكثر والأغلب والأضعف ، كالكمون الذى فى طباع السبع والقارة ، والثبات الذى فى طباع الذئب ، والتحرز الذى فى طباع الجاموس من بنات الليل ، والحذر الذى فى طباع الخنزير ، والتقدم الذى فى طباع الفيل أمام قطيعه تمثلا بصاحب المقدمة .

وكذلك ضد ذلك فى الخنزير تمثلا بصاحب الساقة ، والحراسة التى فى طباع الكلب ، وكأوب الطير إلى أوكارها التى تراها كالمعاقل وغيرها بالدغل^(٢) والأشب والفياض .

ولهذا قال بعض الحكماء : خذ من الخنزير بُكورَه فى الحوائج ، ومن الكلب نُصحَه لأهله ، ومن المرأة لطفَ نفسها عند المسألة .

وقالت الترك : ينبغى للقائد العظيم أن يكون فيه عشر خصال من ضروب لحيوان : سخاء الديك ، وتحنن الدجاجة ، ونجدة الأسد ، وحيلة الخنزير وروغان الثعلب ، وصبر الكلب ، وحراسة الكركى ، وحذر الغراب ، وغارة الذئب ، وسمن بمرأ^(٣) ، وهى دابة بخراسان تسمن على التعب والشقاء .

ولما وهب الإنسان الفطرة^(٤) ، وأعين بالفكرة ؛ ورُفِدَ بالعقل ، جمع هذه الخصال وما هو أكثر منها لنفسه وفى نفسه ، وبسبب هذه المزية الظاهرة فضل جميع الحيوان حتى صار يبلغ منها مراده بالتسخير^(٥) والإعمال واستخراج المنافع منها وإدراك الحاجات بها ؛ وهذه المزية التى له مستفادة بالعقل ، لأن العقل ينبوع العلم ، والطبيعة ينبوع الصناعات ، والفكر بينهما مستعمل منهما ومؤدب بعضها

(١) « وِظَن » .

(٢) الدغل والأشب : الشجر الكثير اللثف بعضه يعض .

(٣) كذا ورد اسم هذه الدابة فى الأصل . ولم نجده فيما بين أيدينا من الكتب .

(٤) « الفكرة » .

(٥) « بالتجريب والاقال » .

إلى بعض بالفيض الإمكانى والتوزيع الإنسانى ؛ فصوابُ بديهيةِ الفكرة من سلامة العقل ، وصوابُ رويةِ الفكرة من صحة الطباع ، وصحة الطباع من موافقة المزاج ، وموافقة المزاج بالمدد^(١) الاتفاقى والاتفاق النيبى ؛ أعنى بهذا أن وجه الحادث المجهول عندنا اتفاق ، ووجه الحادث المعلوم عند الله عز وجل غيب ؛ فلو ظهر هذا الغيب لبطل الاتفاق ، ولو بطل الاتفاق لارتفع الغيب .

فانقسمت الأحداث [بين ما هو]^(٢) على جديلة^(٣) واحدة معروفة ، وبين نادر لا يدوم المهد به ، فدلّ ما ظهر وأستمرّ على ما جاد به وذهب ، ودلّ ما غاب وأستتر على ما تفرّد به وغلب .

ولما كان الحيوان كله يعمل صنائعه بالإلهام على وتيرة قائمة ، وكان الإنسان يتصرف فيها بالاختيار ، صحّ^(٤) له من الإلهام نصيب حتى يكون رفدًا له فى اختياره ، وكذلك يكون النحل أيضا ، صحّ له من الاختيار قسط فى إلهامه حتى يكون ذلك مُعينًا له فى اضطراره ، إلّا أن نصيب الإنسان من الإلهام أقلّ كما أن قسط سائر الحيوان من الاختيار أنزَرَ^(٥) ؛ وثمرة اختيار الإنسان إذا كان مُعانًا بالإلهام أشرف وأدوم وأجدى^(٦) وأقع وأبقى وأرفع من ثمرة غيره من الحيوان إذا كان صرفودًا بالاختيار ، لأن قوة الاختيار فى الحيوان كالطلم كما أن قوة الإلهام فى الإنسان كالظلم .

ومراتب الإنسان فى العلم ثلاث تظهر فى ثلاثة أنفس ، فأحدهم مُلهم

(١) « الندد » .

(٢) هذه التكملة التى بين مربعين ساقطة من الأصل ، والسياق يقتضئها .

(٣) الجديلة : الشاكلة يقال : هم على جديلة واحدة ، أى على شاكلة واحدة .

(٤) « وصح » .

(٥) « أكثر » .

(٦) « وأحد » .

فَيَتَعَلَّمُ^(١) ويعمل ، ويصير مبدأً للمقتبِسِينَ منه ، المقتبِدين به ، الآخذين عنه ، الحاذِين على مثاله ، السَّارِّين على غِرازه ، القافِين على آثاره ؛ وواحد يتعلَّم ولا يُكَلِّمُ فهو يَمِائِلُ الأوَّل في الدرجة الثانية ، أعنى التعلُّم ؛ وواحد يتعلَّم ويُكَلِّمُ ، فتجتمع له مائتان الخَلَّتَان ، فيصير بقليل ما يتعلَّم مُكثِّراً للعمل والعلم بقوة ما يُكَلِّمُ ويعود بكثرة ما يلهم مصفياً لكل ما يتعلَّم ويعمل .

والكلام في هذه المواضع ربَّما جَمَعَ فلم يمكن كفه ، فينبغي أن يضح العذر إذا عرض تفاوتٌ في الترتيب ، ودخل الخلُّ من ناحية التقريب .

وقال أبو سليمان لنا في هذه الأيام : [الإنسان^(٢)] بين طبيعته وهي عليه وبين نفسه وهي له ، كالمنتهب المتورِّع ، فإن استمد من العقل نوره وشعاعه قوًى ما هو له من النفس ، وضمَّف ما هو عليه من الطبيعة [وإلا فقد قوًى ما هو عليه^(٣) من الطبيعة] وضمَّف ما هو له من النفس .

وحكى لنا فقال : كان للحكماء الأولين مَثَلٌ يضربونه ويكتبونه في هَيَّا كَلِمِهِم ومتعبداً بهم وهو : « المَلَكُ للوَكَلِ بالدنيا يقول : إن ههنا خيراً وههنا شراً ، وههنا ما ليس بخير ولا شر ، فمن عرف هذه الثلاثة حقَّ معرفتها تَخَلَّصَ مِنِّي ، ونجا سليماً ، وبقي كريماً ، وملك نعيماً عظيماً » .

ومن لم يعرفها قتلته شرٌّ قسلة ، وذلك أني لا أقتله قتلاً وحياً^(٤) يستريح به مِنِّي ، ولكن أقتله أولاً فأولاً في زمان طويل ، بحسرات على قوَّتِ مأمول

(١) في الأصل : « فيلهم » ؛ وهو تحريف صواب ما أثبتنا بدليل قوله بعد في القسم الثاني « فهو يَمِائِلُ الأوَّل في الدرجة الثانية أعنى التعلُّم » .

(٢) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

(٣) « له » .

(٤) وحياً ، أى سرياً .

بعد مأمول ، وبلايا يكون بها كالمغلول المكبول .

قال ^(١) : هذا كلام شريف في أعلى ذروة الحكمة ، لكنك خلّيت يدك من طُرْف الحديث في الخُلُق . قلتُ : إذا طاب الحديث بأسرّ سال السجّية ووقع العلّمانية لها الإنسان عن مبادئه ، وسال مع الخاطر الذي يستهويه ، ولتحفظ الإنسان في قوله وعمله من الخطل والزلل حدّ إذا بلغه كل الخاطر وأختل .

ثم نعود فنقول : أخلاق الإنسان مقسومة على أنفسه الثلاث : أعنى النفس الناطقة ، والنفس الغضبية ، والنفس الشهوانية ، وسمات هذه الأخلاق مختلفة بعرض واسع .

ويمكن أن يقال في نعتها على مذهب التقريب : إنها بين المحمودة وبين المذمومة ، وبين المشوبة بالحمد والذم ، وبين الخارجة منها . فمن أخلاق النفس الناطقة — إذا صفت — ^(٢) البحث عن الإنسان ثم عن العالم ، لأنه إذا عرف الإنسان قد عرف العالم الصغير ، وإذا عرف العالم قد عرف الإنسان الكبير ، وإذا عرف العالمين عرف الإله الذي بجوده وجد ما وجد ، وبقدرته ثبت ما ثبت ، وبحكمته ترتب ما ترتب ؛ وبمجموع هذا كله دام ما دام .

بهذا البحث يتبين له ما تشتمل عليه القوة الغضبية والقوة الشهوية فإن توابع هاتين القوتين أكثر ، لأنهما بالتركيب أظهر ، وفي ^(٣) الكثرة أدخل وعن الوحدة أخرج ؛ فإذا ساستهما الناطقة حدّفت زوائدهما ، ونفّت فواضلهما

(١) قال ، أى الوزير .

(٢) « صفت » .

(٣) « وعن » .

وَوَفَّتْ نَوَاقِصَهُمَا ، وَذَيْلَتِ قَوَالِصَهُمَا^(١) أَعْنَى إِذَا رَأَتْ غُلْمَةً فِي الشَّهْوِيَّةِ أَخَذَتْ نَارَهَا ، وَإِذَا وَجَدَتْ السَّرْفَ^(٢) فِي الْغَضَبِيَّةِ قَصَّرَتْ عِنَانَهَا^(٣) ؛ غَيْنُثُذْ يَقُومَانِ عَلَى الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، فَيَعُودُ السَّفَهَ حِلْمًا أَوْ تَحَالُمًا ، وَالْحَسَدَ غِبْطَةً أَوْ تَغَابُطًا وَالغَضَبُ كَغُلْمًا أَوْ تَكَاظُمًا ، وَالنَّيْثُ رُشْدًا أَوْ تَرَاشُدًا ، وَالطَّيْشُ أَنَاةٌ أَوْ تَأْنِيَا^(٤) وَصَرَفَتْ هَذِهِ الْكُومَانَ فِي التَّكَامِينِ — إِذَا سَارَتْ سَوَرَتُهَا ، وَثَارَتْ ثَوَرَتُهَا — عَلَى مَنَاجِجِ الصَّوَابِ ، تَارَةً بِالْعِظَةِ وَاللُّطْفِ ، وَتَارَةً بِالزَّجْرِ وَالصَّنْفِ وَتَارَةً بِالْأَثَقَةِ وَكِبَرِ النَّفْسِ ، وَتَارَةً بِإِشْعَارِ^(٥) الْحَزْرِ ، وَتَارَةً بَعْلَوِ الْهَمَةِ ؛ وَهَنَاكَ يَصِيرُ الْعَفْوُ عِنْدَ الْقَادِرِ أَلَدٌّ مِنَ الْأُنْتِقَامِ ، وَالْعَفَافُ عِنْدَ الْمُسَائِجِ أَلَدٌّ مِنَ قَضَاءِ الْوَطَرِ ، وَالْقَنَاعَةُ عِنْدَ الْمُحْتَاجِ أَشْرَفُ مِنَ الْإِسْفَافِ ، وَالصَّدَاقَةُ عِنْدَ الْمُتَوَتِّرِ آثَرٌ مِنَ الْعِدَاوَةِ ، وَالذَّارِاءَةُ عِنْدَ الْمُحْفَظِ^(٦) أَطْيَبُ مِنَ الْمَارِاءَةِ .

وَفِي الْجُمْلَةِ ، الْخُلُقُ الْحَسَنُ^(٧) مُشْتَقٌّ مِنَ الْخُلُقِ ، فَكَمَا لَا سَبِيلَ إِلَى تَبْدِيلِ الْخُلُقِ كَذَلِكَ لَا قُدْرَةَ عَلَى تَحْوِيلِ الْخُلُقِ ، لَكِنْ الْحِصْنُ^(٨) عَلَى إِصْلَاحِ الْخُلُقِ وَتَهْذِيبِ النَّفْسِ لَمْ يَقَعْ مِنَ الْحِكْمَاءِ بِالْعَبَثِ وَالتَّجْزِيفِ ، بَلْ لِمَنْفَعَةٍ عَظِيمَةٍ مُوجُودَةٍ ظَاهِرَةٍ ، وَمِثَالُهُ أَنَّ الْحَبْشَى يَتَدَلَّكَ بِالْمَاءِ وَالْفُسُولُ لَا لِيَسْتَفِيدَ^(٩) بِيَاضًا ، وَلَكِنْ

(١) ذيلت قوالصهما ، أى طولت ما قصر وتفيض منهما .

(٢) « السرف » .

(٣) « عنلاتها » .

(٤) « تأنيا » .

(٥) « بإشعار » .

(٦) « التحفظ » .

(٧) الظاهر أن قوله « الحسن » زيادة من الناسخ . فسياق الجملة يقتضى أنه يريد الخلق الحسن وغيره .

(٨) « لكراحص » .

(٩) « يستفيد » .

ليستفيد ثناء شديداً^(١) بالبياض ؛ ويقال للمهذار : « أَكْفُفْ » لا يكف^(٢) عن النطق ، ولكن ليؤثر الصمت .

ويقال للموتور : « لَا تَحْقِدْ » لا يزول عنه ما حَقَّقَ^(٣) عليه ، ولكن ليتكلف الصبر ويتناسى الجزاء على هذا أبداً .

وقد تقرّر بالحكمة الباحثة عن الإنسان وطرائق ما به وفيه أن أحواله مختلفة ، أعنى أن كل ما يدور عليه ويحور إليه^(٤) مقابل بالصد^(٥) أو شبيه بالصد كالحياة والموت ، والنوم واليقظة ، والحسن والقبيح ، والصواب والخطأ ، والخير والشر ، والرجاء والخوف ، والعدل والجور ، والشجاعة والجبن ، والسخاء والبخل ، والحلم والسفَه ، والطيش والوقار ، والعلم والجهل ، والمعرفة والنكرة والعقل والحُجْمُ ، والصحة والمرض ، والأعتدال والانحراف ، والعفة والفجور والتنبه والغفلة ، والذكور والنسيان ، والذكاء والبلاهة ، والغبطة والحسادة والدمائة والكزازة^(٦) ، والحق والباطل ، والنقي والرّشيد ، والبيان والحصر والثقة والأرتياب ، والطمانينة والثّمة ، والحركة والسكون ، والشك واليقين والخلاعة والوقار ، والتوقّي والتهوّر ، والإلف والمَلَل ، والصدق والكذب والإخلاص والنفاق ، والإحسان والإساءة ، والنصح والنش ، والمدح والذم وعلى هذا الجرّ والسّحب^(٧) ؛ ولعل هذه الصفات بلا آخر ولا انقطاع .

(١) « تشبها » .

(٢) « لتكفى عنه » .

(٣) « طيق » .

(٤) « ويجوز عليه » .

(٥) « بالصدأ » .

(٦) « الكرامة » بالمهملتين .

(٧) « الجراء والسحب » .

فما ينبغي أن يُعنى الإنسانُ الحبُّ للتبصرة، المؤثرُ للتذكرة، الجامع للنافع له، النافى^(١) للضارِّ به في هذه الأحوال التي وصفناها بأسمائها معرفةً — ما استطاع — باجتلاب^(٢) محمودها واجتناب مذمومها، وتمييزه بما يمكن^(٣) فيه أو تقليله، أو إطفاء جهرته، أو أجتناء ثمرته، والطريق إلى هذا التمييز واضح قريب، كأن^(٤) ننظر إلى الحياة والموت فتعلم أن هذين ليسا من الأخلاق ولا مما يعالج بالاجتهاد، وإلى النوم واليقظة فتعلم أنهما ضروريان للبدن من وجه، وغير ضروريين من وجه، فتتفنى^(٥) منهما ما خرج عن حدِّ الضرورة وتُسَلِّم البدن ما دخل في حدِّ الضرورة؛ ولا يكثر^(٦) الإنسانُ نومه ولا سهره، ولكن يطلب العدل بينهما بقدر جهده.

فأما الحسن والقبيح فلا بدَّ له من البحث اللطيف عنهما حتى لا يجهور^(٧) فيرى القبيحَ حسناً والحسنَ قبيحاً، فيأتى القبيحَ على أنه حسن، ويرفض الحسنَ على أنه قبيح؛ ومناشئُ الحسن والقبيح كثيرة: منها طبيعي، ومنها بالعادة، ومنها بالشرع، ومنها بالعقل، ومنها بالشهوة، فإذا أعتبر هذه المناشئ صدق الصادق منها وكذب الكاذب، وكان أستحسانه على قدر ذلك ومثال ذلك الكبر فإنه معيب بالنظر الأول، لكنه حسن في موضعه بالعلّة^(٨) الداعية إليه، والحال الموجبة له.

(١) « الثاني » .

(٢) « اجتلاب » متعلق بـ « يعني » .

(٣) « يمكن » .

(٤) « كأنك » .

(٥) « فيستعمل » .

(٦) « يكون » .

(٧) « يجهوز » .

(٨) « بالظلية » .

وأما الصواب والخطأ فأمران عارضان للأقوال والأفعال والآراء ، وليساً
بمُخْلِقَيْنِ مُخْضَيْنِ ، ولكتهما موكولان إلى نور العقل ، فما أشرق^(١) عليه العقل
بنوره فهو صواب ، وما أفل^(٢) عنه العقل بنوره فهو خطأ .

وأما الخير والشر فهما في العموم والشمول ليسا بدون الصواب والخطأ
لهما مناهج بكل شيء ، ويغلبان على الأفعال ، وإن كان أحدهما عدماً للآخر .
وأما الرجاء والخوف فهما عرَضان للقلب بأسباب بادية وخافية ، ولا يدخلان
في باب الخلق من كل وجه [ولا يخرجان أيضاً بكل وجه] وهما كالإمادين
للإنسان قد أستُصْلِحَ لهما ، ورُبطَ قوامُهُ بقلبيهما وضعفهما .

وأما العدل والجور فقد يكونان خُلُقَيْنِ بِالْفِطْرَةِ ، ويكونان فِعْلَيْنِ بِالْفِكْرَةِ
وجانباهما بالفعل^(٣) ألصق ، وإلى الأُكْتِسَابِ أقرب .

وأما الشجاعة والجبن فهما خُلُقَانِ مُتَصِلَانِ بِالْخُلُقِ ، ولهذا يعزّ على الشجاع
أن يتحوّل جبانا ، ويتعذّر على الجبان أن يصير شجاعا ، وكذلك طرفاهما
داخلان في الخلق أعنى التهور والتوق^(٤) .

وأما السخاء والبخل فهما خُلُقَانِ مُحْضَانِ أَوْ قَرِيبَانِ مِنَ الْمَخْضِ ، ولهذا
تعلق الحمد والذم بهما وبأصحابهما ، والمدح والمجوسر^(٥) إليهما واتصلا بهما ؛

(١) « أشرف » .

(٢) « أفل » .

(٣) « بالفعل » .

(٤) في الأصل : « والجبن » ؛ وما أثبتناه هو المناسب لقوله : « وكذلك طرفاهما إذ
الجبن لا يكون طرفاً للجبن ، ويدل على صحة ما أثبتنا ذكره التوق بجانب التهور فيما سبق

في ص ١٤٩ س ١٤ .

(٥) « ريا » .

وقد يندم السخى على بذله كثيرا خوفا من الإملاق ، فلا يستطيع ذلك إذا أخذته الأريحية ، وحركته اللوذعية ؛ وقد يلوم البخيل نفسه كثيرا إذا سلقته الأسنة الحداد ، وجبه^(١) بالتوبيخ ، وشمخ^(٢) عند رؤيته الأنف ، وغضن^(٣) الجبين وأولم^(٤) بالعدل وقوبل ؛ ومع ذلك فلا يرشع إلا على بطاء وكلفة وتضجر ؛ والكلام فى هذين الخلقين طويل ، لأنهما أدخل فى تلاقى الناس وتعاطيهم فى عشرتهم ومعاملتهم .

وأما الحلم والسفة فهما أيضا خلقان ، والأخلاق تابعة للمزاج فى الأصل ، ولذلك قلنا : إن الخلق ابن الخلق ، والولد شبيه بوالده ؛ وفى الجملة ، كل ما يمكن أن يقال فيه للإنسان « لا تفعل هذا » ، « وأقلل من هذا وكف عنه » فإنه فى باب الأفعال أدخل ، وكل ما لم يجر أن يقال ذلك فيه فهو فى باب الأخلاق أدخل ، ثم لبعض هذا نسبة إلى الخلق أو الخلق ، إما ظاهرة غالبية وإما خفية ضعيفة .

وأما الطيش والوقار فهما يختلطان بالحلم والسفة ويجريان معهما ؛ فليس ينبغى أن ينشر الكلام ويطول الشرح .

وأما الجهل والعلم فليسا^(٥) من الأخلاق ولا من الخلق وإنما^(٦) يبرزان من صاحب الأخلاق والخلق للمزاج أثرين قويين^(٧) واحدهما عدم

(١) « وجه » .

(٢) « وسبح » .

(٣) « وعش » .

(٤) فى الأصل « واكيل بالعدل وقوتل » .

(٥) « فلما » .

(٦) فى الأصل : « وإنما كانا يبرزان » .

(٧) « أثر قوى » .

والآخر وجدان ، والعدم^(١) لا يكون أعدم من عدم ، والوجدان يكون أئين من وجدان .

وأما المعرفة والنكرة فهما في جوار العلم وضده ، ولكنهما أعلق بالحس وألصق بالنفسين ، أى الشهوية والنفسية .

وأما العقل والحُكم فليسا من الخلق ، والكلام في تفسير العقل مشهور^(٢) ، وعدمه الحق .

وأما الصحة والمرض فليسا أيضا من الأخلاق ، ولكنهما يوجدان في الإنسان بواسطة النفس ، إما في البدن ، وإما في العقل ، ولذلك يقال : أمراض البدن ، وأمراض النفس ، [وصحة البدن]^(٣) وصحة النفس .

وأما الاعتدال والانحراف فهما يدخلان في الخلق بوجه ، ويخلصان منه بوجه ، ويعتدأ أعراض البدن وأعراض النفس ، ويوصف بهما الإنسان ، على أن الانحراف المطلق لا يوجد ، والاعتدال المطلق لا يوجد ، ولكن كلاهما بالإضافة . وأما العفة والفجور فخلقان لما سَجَرَة^(٤) وهُمُود ، والحاجة تمس إلى العدل في استعمال العفة وتنفى^(٥) الفجور ، وإذا قويت العفة حالت عصمة ، وإذا غلب الفجور صار عدوانا .

وأما التنبيه والغفلة فقريبان من الخلق ويغلبان على الإنسان ، إلا أن فرط التنبيه موصول بالوَحْي ، وفرط الغفلة موصول بالبهيمية .

(١) « والعدو » .

(٢) « يستمر به » .

(٣) لم ترد هذه العبارة التي بين مربعين في الأصل ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٤) « سجرة » بالمهملة .

(٥) « وتنفى » .

وأما الذكر والنسيان فليسا بخُلُقَيْنِ محضَيْنِ ، ومنشؤهما بالمزاج ، وأحدهما من علائق النفس العالمة ، والآخر من علائق النفس البهيمية .
[وأما الذكاء والبلادة^(١)] فهما خُلُقَانِ ، ونعتهما كعنت الذِّكْر والنسيان ، إلا أن هذين^(٢) يعرضان في الحين^(٣) بعد الحين ، والأخريان^(٤) كالراسخين في الطينة .

وأما الغبطة والحسد فخلقان رُئِيسُ الأول منهما بأن تتمنى لنفسك ما أُوتِيَه صاحبُك [ورُئِيسُ الثاني بأن تتمنى زوال ما أُوتِيَه صاحبُك]^(٥) وإن لم يصل إليك . ورسوم هذه الأخلاق أسهل من تحديدها ، لكننا تركنا ذلك ، لأنَّ الكلام الذي كان يجري ، هو على مذهب الخدمة .

على أن مراتب هذه الأخلاق مختلفة ، فيبعد أن يعتمدا حد واحد ، وإنما اختلفت منازلها لأنهما^(٦) تارة تصفو بقوة النفس الناطقة ، وتارة تكدر بالقوتين الأخرين ؛ ولبعضها حِدَّة بالزيادة ، ولبعضها كَلَّة بالنقص ، فلم يكن التحديد يُفَصِّل^(٧) كلَّ ذاك ، فلم نخرج^(٨) على شيء عجزنا عنه قبل أخذنا فيه . وُتِمَّ بَقِيَّة ما علق بهذه الجملة ، فنقول :

وأما الدماعة والكزازة فخلقان محضان تابعان للمزاج ، ثم اللان يزيدهما قوَّة وضْعًا ؛ وهما للنعت أقرب ، كالسهولة والسر ؛ ولذلك يقال : « ما أَدَمَّتْ

(١) لم ترد هذه العبارة التي بين مربعين في الأصل .

(٢) هذين ، أى الذكر والنسيان .

(٣) « الجين بعد الجين » .

(٤) الأخريان ، أى الذكاء والبلادة . وفي الأصل « والأوليان » .

(٥) هذه العبارة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٦) « لأن » .

(٧) « بنقص » .

(٨) « يخرج » .

هذه الأرض » ، أى ما أَرخاها وأَليَها ؛ وفي التَّمَثَل : « دَمْتُ لَجَنِّكَ قَبْلَ النَّوْمِ ^(١) مُضْطَجِعًا » .

وأما الحق والباطل فليسا من الخُلُق ولا الخُلُق فى شىء ، وهما من نَتائِجِ المَعرِفَةِ والنَّكَرَةِ ، لأنَّكَ تَعرِفُ الحَقَّ وتَنكُرُ الباطِلَ ، وذلك لِأَغراضٍ تَتبعُهما ، ولِوَأحقِّ تَلتَبِسُ بهما .

وأما النِّقَى والرُّشْدُ فليسا من الخُلُق ، لكنهما من علائِقِ الأَفْعالِ الحَمِيدَةِ والنَّسِيمَةِ ؛ ولِلرأى والعَقْلِ ^(٢) فيهما مَدخَلٌ قوَى وحِظٌّ تامٌّ .

وأما البَيانَ والحَصَرَ فليس بينهما وبين الخُلُقِ عَلاقَةٌ ، وإنَّما يَتبعانِ الزَّواجَ رِيزيدَ فيهما وَيَنقُصُ الجُهدُ والتَّوَانى والِطَلَبُ والقُصورُ .

وأما الثِّقَّةَ والأَرْتِيابَ فمَخْلُقانِ يَغلبانِ يَنْفَعانِ وَيَضُرَّانِ وَيُحْمَدانِ وَيُذَمَّانِ أَلَا تَرى ^(٣) أَنَّهُ يُقالُ : لا تَثِقُ بِكُلِّ أَحَدٍ ، « ولا تَرْتَبِّ بِكُلِّ إِنسانٍ » وهَكَذا العُلَمائِنيةُ والتُّهَمَةُ ، لأنَّهما فى طَبيعِهما .

وأما الحَرَكةَ والسَّكونَ فليسا ^(٤) من حَدِيثِ الخُلُقِ فى شىءٍ ، لأنَّهما عَامَّانِ ^(٥) لِجَميعِ الأَحوالِ سِواءَ كانَ العَمَلُ مِباشِراً أَمْ كانَ مَعْتَقِداً ؛ وفى الحَرَكةِ والسَّكونِ كَلامٌ واسِعٌ ، وذلك أَنَّ هُنا حَرَكةً إلهِيَّةً ، وحَرَكةً عَقْلِيَّةً ، وحَرَكةً نَفْسِيَّةً ، وحَرَكةً طَبِيعِيَّةً ، وحَرَكةً بَدَنِيَّةً ، وحَرَكةً فَلَكيَّةً ، وحَرَكةً كَوْكَبِيَّةً ، وحَرَكةً

(١) فى الأَمَلِ « التَّربُّ » . وهذا صَدْرُ بَيْتٍ ، ومِجْزاهُ :

* لا تَسْلُكُن طَريقاً غَيرَ ما مَونُ *

(٢) « والعَقْدُ » .

(٣) « إِلا أَن تَرى » .

(٤) « فَلَيا » .

(٥) « عَلمانَ » .

كأنها سكون . فأما السكون فهو ضرب واحد ، لأنه في مقابلة كل حركة ذكرناها . فإذا اعتبرت هذه المقابلة في كل مقابل لحظ الانقسام في السكون ، كما وُجد الانقسام في الحركة .

والحركة أوضح برهان على كل موجود حسي ، والسكون أقوى دليل على كل موجود عقلي ؛ وهذا القدر كافٍ في هذا الموضع .
وأما الشك واليقين ، فن علائق النفس الناطقة ، ولهذا لا يقال في الحيوان الذي لا ينطق : له يقين وشك .

وأما الخلاعة والوقار ، فقد تقدم البحث عنهما ^(١) .
وأما التوقى والتهور ، فهما خلقان في جميع الحيوان ، ويغلبان على نوع الإنسان ، لأن العقل يبطل ^(٢) أحدهما ^(٣) ، والحس ^(٤) يغلب الآخر ^(٥) .
وأما الإلف والممل والمملول ، وإن كان جريان العادة قد وفر الحمد على الإلف ، والذم على الممل . وقد مدح زيد فقيل : هو ألوف . وذم عمر و فقيل : هو مملول .
وأما الصدق والكذب ، فن علائق النفس الناقصة والكاملة ؛ وقد يكونان ^(٦) [راسخين ^(٧)] فيلحقان بالخلق ، إلا أن الصدق ممدوح ، والكذب

(١) لاحظ أنه لم يرد فيما سبق ذكر للخلاعة والوقار ، ولا ما يفيد معناها .

(٢) « نطل » .

(٣) يريد بقوله « أحدهما » : التهور .

(٤) « الحسن » .

(٥) يريد بقوله : « الآخر » : التوقى .

(٦) « يكرآن » .

(٧) هذه الكلمة التي بين مربعين أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ، والسياق يقتضى إثباتها كما يرشد إليه ما يأتي بعد في صفحة ١٥٧ في الكلام على الإحسان والإساءة : « فإذا رسخ اعتيادهما استمالا خفتين » .

مذموم ، هذا فى النظر الأول ، وقد يعرض ما يوجب المصير إلى الكذب لينجى به ؛ فهما إذن بعد الحقيقة الأولى وقف على الإضافة ؛ وقد وجدنا من كَذَبَ لينتفع ، ولم نجد من صدَقَ ليكتسب الضرر .

وأما الإخلاص والنفاق ، فهما يلحقان بالخلق ، ولكنهما يصدران عن عقيدة القلب وضمير النفس .

وأما الإحسان والإساءة ، فهما يعتمدان الأفعال والأقوال ، فإذا رَسَخَ اعتيادها أستحالا خُلِقَين .

وأما النصح والنش ، فهما خُلِقَان ، وطرفاهما يتعلقان بالخلق . وكذلك الطمع واليأس ، والحب والبغض ، والأهيج والسؤ ، وما شاكل هذا الباب .

ولم يجر هذا كله فى المذاكرة بالحضرة ، ولكن رأيت من تمام الرسالة أن أضم هذا كله إلى حَوْمَتِهِ ^(١) ، وأبلغ الممكن من مقتضاه فى تتمته .

وقال ^(٢) لى : هاتِ الوداع ، فإن الليل قد هم بالإقلاع . قلت : قال أبو سعيد الذهبى الطيب : لو علم الذى يحمل الباذنجان أن على ظهره باذنجانا لصال على الثيران ^(٣) .

فضحك — أضحك الله سنه ، وحقق فى كل خير ظنه — وقال : إن كنت تحفظ فى غرائب أخلاق الحيوان شيئا فأذكره إذا حضرت ، فقد مر فى أخلاق الإنسان ما يكفى مجلس الإمتاع والمؤانسة ، فإذا ضم هذا إلى ذاك كان للإنسان فيه تبصر كافٍ ، وتذكر شافٍ . وصدق — صدق الله قوله —

(١) « حرمة » .

(٢) وقال ، أى الوزير .

(٣) « الثيران » .

لأن الإنسان أشرفُ الحيوان ، وإنما كان هكذا لأنه حاز جميع قوى الحيوان ثم زاد عليه بما ليس لشيء منه ، فصار رغباً له سائساً ، ومصرفاً له حارساً ، ونظراً إلى ما سُخِّرَ له منه فاعتبر ، وقاد^(١) نفسه إلى حسن ما رأى ، وعزَّه^(٢) عنها عن قبيح ما وجَدَ ، ولم يَجْزُ في الحكمة أن يُحَرِّم الإنسان هذا مع ما فيه من المواهب السنية ؛ والمنافع الهنية ، فإن قال قائل : فالملائكة إذن قد حُرِّمَتْ هذه الفضيلة ، فليعلم هذا القائل أن المَلَك لما خُلِقَ كاملاً لم يَكُنْ أن يَكُلَّ أن يَكُلَّ ويتكامل ويستكمل ، فصار كل شيء يطلبه ويتوقاه سبباً إلى كماله المُعَدَّ له وغايته المقصودة . فإن زاد فقال : فهلا خُلِقَ^(٣) كاملاً ؟ فليعلم أن كلامه على طريق الجدَل ، لأعلى طريق البحث عن المِلَل ، لأنه قد جهل أنه بالحكمة وجَبَ أن يكون الأمر مقسوماً بين ما يحوز الكمال بالجَبَلَة^(٤) ، وبين ما يَكْسِبُ الكمال بالتقصد .

ولما وجَبَ هذا بالحكمة سَرَتْ إليه القدرة ، وساج به الجود ، وأُشتملت عليه المشيئة ، وأحاطت به الحكمة ، وشاعت فيه الربوبية .

ولهنا زيادة في شرح الخُلُق يتم بها الكلام ؛ فليس من الرأي أن يقع الإخلال بذكرها ، لأنها مكشوفة ظاهرة ، وهي أن الإنسان إذا غلبت الحرارة عليه في مزاج القلب يكون شجاعاً بذلاً^(٥) ملتها ، سريع الحركة والغضب قليل الحقد ، زكى الخاطر ، حسن الإدراك .

وإذا غلبت عليه البرودة يكون بليداً ، غليظ الطباع ، ثقيل الروح .

(١) « وعاد » .

(٢) « من » .

(٣) خلق ، أى الإنسان .

(٤) « بالجيلة » .

(٥) « دالا » .

وإذا غلبت عليه الرطوبة يكون لين الجانب ، سمح النفس ، سهل التقبل كثير النسيان .

وإذا غلبت عليه اليبوسة يكون صابرا ، ثابت الرأي ، صعب القبول يضبط ويحتد^(١) ، ويمسك ويبخل ؛ وهذا النعت على هذا التنزيل — وإن كان مفهوما — فأسرار الإنسان في أخلاقه كثيرة وخفية^(٢) ، وفيها بدائع لا تكاد تنتهى ، ومجائب لا تنقضى ؛ وقد قال الأول :

كلُّ أمرٍ راجعٌ يوما لشيئته وإن تخلق أخلاقا إلى حين
وقال آخر :

إزجِعْ إلى خِيَمِكَ المعروفِ دَيْدَنُهُ إِنَّ التَّخْلُقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ
ولولا أن النزوع عن الخلق شاق لما قالوا : تخلق فلان .

وقد قيل أيضا : « وخالق الناس بخلق حسن » ، وعلى هذا يجرى أمرُ الضريبة والطبيعة والتَّحِيَّةِ والغريزة والتَّعِيِزَةِ والسَّجِيَّةِ والشَّيْمَةِ ، وربما قيل : الطبيعة أيضا ، ثم العادة تاليةٌ لهذه كلها ، أو زائدةٌ فيما نقص فيها ، وموقدةٌ لما سجد منها .

الليلة العاشرة

ولما عُدْتُ في الليلة الأخرى ونَمِمتُ بهذه الفضيلة ، تفضَّل وقال : ما فى العلم شيء إلا إذا بُدِءَ بالكلام فيه أتصل وتسلسل حتى لا يوجد له مَقْطَعٌ ولا مَنْفَذٌ ثم قرأتُ عليه نواذرَ الحيوان ، وغرائبَ ما كنتُ سمعتهُ ووجدتهُ ، فزاد عجبًا

(١) « ويحتد » .

(٢) « وخفية » .

وأنا أرويه في هذا المكان حتى يكون تذكرة وفائدة — إن شاء الله تعالى .
يقال : إن أسنان الرجل اثنتان وثلاثون سنا .
وأسنان المرأة ثلاثون سنا .
وأسنان الخصى ثمان وعشرون سنا .
وأسنان البقر أربع وعشرون سنا .
وأسنان الشاة إحدى وعشرون سنا .
وأسنان الثبّس ثلاث وعشرون .
وأسنان الغنز تسع عشرة سنا .
الذى ذكر من أصناف الحيوان أنه يكتسب معاشه ليلا : البومة والوطواط .
ومن الحيوان الوحش ما يستأنس سريعا : الفيل
ويحكى أن الحيوان الذى أسنانه قليلة عمره قصير ، والذى أسنانه كثيرة
عمره طويل .
الفيل إذا ولد نبتت أسنانه في الحال ، فأما أسنانه الكبار وأنيابه الكبار
فتظهر إذا شبّ وكبر .
قلب جميع الحيوان موضوع في الوسط من الصدر ما خلا الإنسان ، فإن
قلبه مائل إلى الجانب الأيسر .
الأفعى تبيض في رحمها ، ثم يصير هناك حيوانا .
الشعر المولود مع الإنسان شعر الرأس والأشعار والحاجبين .
وأول ما ينبت بعد ذلك شعر العانة وشعر الإبطين وشعر اللحية :
(إن خصى الإنسان قبل احتلامه لم ينبت في جسده الشعر الذى يتأخر نباته ،
وإن خصى بعد احتلامه فإن ذلك الشعر يزول ، ما خلا شعر العانة فإنه يبقى .

شعر الحاجبين ربما طال عند الكبير .
 وشعر الأشفار لا يطول .
 للأرانب في داخل أشداقها شعر ، وكذلك تحت أرجلها .
 القنفذ في فيه خمس أسنان في عمقه .
 والبرية منها تسفد قائمة وظهر الأثني لاصق بظهر الذكر .
 الرجال يشتاقون إلى الجماع في الشتاء ، والنساء في الصيف .
 الخنزير إذا تمت له من ولادته ثمانية أشهر ينزو على الأثني .
 الكلبة تحمل وتبقى ستين يوما ويوما ، وهذا أطول ما يكون ، ولا تضع
 قبل أن يتم حملها ستين يوما ، فإن وضعت قبل ذلك فإنها لا تربى ولا يبقى
 لها ولد .
 الفيل الذكر ينزو إذا تمت له خمس سنين ، وزمان هياجه ونزوه أيام الربيع
 والأثني تحمل سنتين ، ولا تضع إلا واحدا .
 إذا باض الطائر وما كان من أصنافه يخرج من البيضة الطرف العريض
 ثم يرق بمد ذلك .
 كل ما كان من البيض مستطيلا محدّد الطرف فهو يفرخ الإناث
 وما كان مستديرا عريض الأطراف يفرخ الذكور .
 وجرب من إناث الطير أنها إذا لم تجلس على البيض^(١) تمرض .
 القبج^(٢) إذا هاج ووقعت الأثني قبالة الذكر ، وهبت الريح من ناحية
 الذكر مقبلة إلى ناحيتها حملت من ساعتها .

(١) « الطير » .

(٢) القبج : الكروان .

الحمامة إذا نُفِثَتْ ريشة من ريشها احتبس بيضها أكثر مما لها بالطبع .
مبدأ خلق الفَرخ من بياض البيضة ، وغذاؤه من الصفرة ، فإذا خرج
فرخان كان أحدهما أكبر جُثَّةً من الآخر ، والذكر منهما من البيضة الأولى
ومن الثانية الأُنثى .

الفاخنة^(١) تعيش أربعين عاما .

والحَجَل^(٢) يعيش عشرين عاما .

الرَّخمة تُفرخ على صخور مشرفة عالية لا يغالها أحد ، ولا توجد رَحمة
وفراخها إلا في الفَرط^(٣) .

العقاب يجلس على البيض ثلاثين يوما ، وكذلك كل طائر عظيم الجثة
مثل الإوز وما أشبهه ، والمتوسط الجثة يجلس على البيض عشرين يوما ، كالحدأة
والبُرْاة وما أشبه ذلك .

إناث الغربان تجلس على البيض جلوسا دائما ، والذكر يأتيها بالطعم حينئذ .
الحَجَل تَمَلُّ عَشِينَ يجلس الذكر على واحد ، والأنثى على واحد .

الطاوس يعيش خمسا وعشرين سنة ، وفي هذه المدة تنتهي ألوان ريشه .
ويحضن بيضه ثلاثين يوما . قيل : وربما أكثر قليلا ، ويبيض في كل سنة
مرة واحدة ، وعدد بيضه اثنتي عشرة بيضة ، ويُلقِي ريشه في زمن الخريف
وبعدَه قليلا ، وذلك حين يُلقِي الشجر ورقه ، فإذا بدا أولُ الشجر وظهرت
فروعُه ، ونبت ورقه بدأ ريشه يَنْبُت .

(١) الفاخنة : ضرب من الحمام الطوق .

(٢) الحجل : طائر على قدر الحمام كالمطار والرجلين ، ويسمى دجاج البر ؛ وهو
صنفان : نجدي وتهامى ؛ فالنجدي أخضر اللون أحمر الرجلين ؛ والتهامى فيه بياض وخضرة .

(٣) الفرط : الجبل الصغير أو رأس الأكمة .

الثلثين^(١) له لبن ، ويُرضع ، ويحمل عشرة أشهر ، وتلد في الصيف ولا تلد في زمان آخر البتة ، وربما غلب تحت الموج في ثلث ثلاثين يوما لا يظهر ؛ وهو محب لغرضه يأكله .

الجمل الذكركر يكره قرب الفرس ويقاقله إذا تمكن منه .

الشاة إن مطرت بعد نزولها انتقض حملها .

الغنم إذا أنزيت والريح جنوب تضع أولادها إناثا ؛ وإن كانت المروق أتت تحت السن الكباش الفحول بيضا فإن إناث الغنم تضع حملانا بيضا ، وإن كانت المروق سودا فإنها تضع حملانا سودا . وإن كانت لونين تكون مختلفة ؛ وإن كانت شقرا خرجت شقرا .

الغنم إذا هاجت المسنة منها أولا فالسنة ذات خصب ، وإن هاجت الفتية أولا فالسنة رديئة على الغنم .

الكلب السلوقي [يوزو^(٢)] إذا تم له ثمانية أشهر ، والأنتى منها تحمل ستين يوما ، وربما زادت يوما أو يومين ، وجراؤها عني^(٣) اثنين وعشرين يوما . ومنها ما تحمل ثلاثة أشهر وتكون جراؤها عميا سبعة عشر يوما .

إناث الكلاب تطعمت في كل سبعة أيام وتبول جالسة ، ومنها ما ترفع رجلها عند البول .

ذكور الكلاب ترفع أرجلها للبول إذا تمت لها من ولادتها ثمانية أشهر وبعضها في ستة أشهر .

(١) الدلفين من دواب البحر ، اشتهر بأنه ينجي الفريق ؛ وصفته كالزرق للنفوخ وله رأس صغير جدا ، ولا يؤذى أحدا ، وهو كثير بأواخر نيل مصر .

(٢) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ، والسياق يقتضيها .

(٣) « على » .

ذكور الكلاب^١ السلوقية تعيش عشر سنين ، وإناثها اثنتى عشرة سنة ، ومن أجناسها ما تعيش عشرين سنة ، وإناثها كلها أطول أعماراً من الذكور .

قال أوميروس الشاعر : إن كلب إديوس هلك وهو ابن عشرين سنة .
وليس تلقى الكلابُ شيئاً من أسنانها سوى النابيين ، فإذا تمَّ للكلب أربعة أشهر أبقاها .

البقر تلقى أسنانها لستين ، وإذا كثر نزؤُ الذكور منها وحملُ الإناث يكون ذلك علامةً شتاء وجُودِ أمطار وخصب ، وإناثها تطمئ .

إناث الخيل تضع أولادها في أحد عشر شهراً ، أوفى الثانى عشر .
الحيات رعيّةٌ نهمةٌ ، قليلة شرب الماء ، لأنها لا تضبط أنفسها ، وإذا شمت الشراب فإنها تشتااق إليه جداً .

الأسد إذا بال رفع رجله كما يرفع الكلب .
البقر تشتهى شرب الماء الصافى النقى ، والخيل على الضد فإنها تشرب مثل الجلال الماء الكدّر الغليظ .

الغنم فى الخريف تشرب الماء الذى تصيبه ريج الشمال ، وذلك الوقت أوفق لها .

الذّراَج إذا هبّت الرّيح شمالاً تتزاوج^(١) وتخصّب ، وإن كانت جنوباً ساءت حالها ومرضت .

السّمك الذى يأوى إلى الشطوط من ناحية البرّ الذّ من الذى يأوى إلى البحج
وما كان منها مستطيل الجثّة فهو يُخصّب فى الصّيف وهبوب الشمال ؛ والعريض

(١) « تتراوح » .

الجمحة على ضد ذلك ، وأكثر ما يصاد السمك قبل طلوع الشمس لكلبه على الرعى ، وطلب الطَّم .

والسمك الجاسى الجلد يَنْصَب في السنة المطيرة ، لأن ماء البحر يحلو فيها . الكلب له ثلاثة أمراض : الكَلْب ، والدُّبْحَةُ^(١) — وهو القاتل لها — والنَّقرس .

والداء الذى يقال له الكَلْب يعرض للجمال أيضا ، فإذا كَلِبَ الجمل بَحَرَ ولم يؤكل لحمه .

الخيل إذا أَلَت حوافرها وقت تَنْصُل^(٢) نبت لها حافر آخر عاجلا ، لأن نباته يطلع مع نصول الحافر .

وعلاوة ذلك اختلاج الحصية اليمنى .

ويعرض للخيل داء شبيه بالكَلْب ، وعلامته استرخاء آذانها إلى ناحية أعرافها ، وامتناعها من المَلَف ، وليس لهذا الداء علاج إلا التسكين .

لا يكون فى بلد الهند خنزير . لا أنيس^(٣) ولا برى ، وفى أرض تُعرف بكذا يحجز البقر كما يحجز الغنم ، وفى أرض الثوبة تولد الكباش نابثة^(٤) القرون .

وإناث الكلاب السلوقية أسرع إلى الأدب من الذكور .

جميع أجناس الحيوان إناثها أقل جرأة وأجزع ، ما خلا الذئبة ، فإنها أصعب خلقا وأجراً من الذكور .

العقاب والتَّين يتقاتلان ، والعقاب تأكل الحيات حيثما وجدت .

(١) « والدحة » .

(٢) نصول الحوافر : خروجها من مواضعها .

(٣) « لا أنس ولا يرى » .

(٤) « ناثة » .

الغُذاف^(١) يخطف بيض البومة نصف النهار فيأكله ، لأن البومة لا تبصر بصراً حاداً في ذلك الوقت . فإذا كان الليل شددت البومة على بيض الغُذاف فأكلته . بين العنكبوت وبين الحرذون^(٢) شرٌّ ، لأن الحرذون يأكل العنكبوت . عصفور الشوك يقاتل الحمار ، لأن الحمار إذا مرّ بالشوك أفسد عشه ، فإذا نهق بالقرب منه وقع يبيضه ، وإن كان فيه فراخ خرجت منه ، فلهذه العلة يطير هذا العصفور حول الحمار وينقره .

الغراب يعادى الثور والحمار وينقرهما .

والحية تعادى الخنزير وأبى عرس ، لأنها يأكلان الحية حيث وجداها . الغُذاف مصادق للثعلب ، والثعلب مصادق للحية ، « والسبب^(٣) في عداوة العصفور للحمار أن معاش العصفور من بزر الشوك وفيه يبيض ، وهو وكره ، والحمار يرى ذلك الشوك إذا كان رطباً » .

البقر يكون في الجبال إذا ضلت بقرة تبعها الأخرى ، ولذلك الرعاة إذا لم يجدوا بقرة واحدة وعدموها طلبوا سائر البقر وفقدوها من ساعتهم .

الخليل إذا ضلت الأنتى منها أو هلكت ولما ولد فإن إناث الخليل ترضعه وتربيه ، وذلك أن جنس الخليل في طباعها حب أولادها .

الأيائل تلتقي قرونها في أماكن عميرة صلبة ، لا تترتقي لثلا تؤخذ ؛ ولذلك قيل في المثل : حيث تلتقي الأيائل قرونها ، فإذا ألفتها توقفت أن تظهر إلى أن تنبت ، كأنها قد ألفت سلاحها . وقيل : إنه لم يماين أحد القرن الأيسر من قرننها ، لأن فيه منفعة عظيمة .

(١) الغُذاف : غراب كبير يكون ضمن الجناحين .

(٢) الحرذون : دويبة شبيهة بالضفد ؛ وقيل : ذكر الضفد .

(٣) يلاحظ أنه قد سبق ما يفيد معنى هذه العبارة التي بين هاتين الملامتين .

وإذا وضعت أولادها أكلت مشائمها من ساعتها ، ولا يمكن أخذها لأنها تأكلها من قبل أن تقع على الأرض .

والأيلة تصاد بالصغير والغناء ، ويفعل ذلك رجلان أحدهما يغنى ويصفر ، والآخر يرشقها بالسهم ، فلا يصغها^(١) إلى الصغير والغناء لا تحذر السهام .

ويقال إن الأيل إذا كانت أذناه قائمتين فهو يسمع كل شيء ولا يخفى عليه ما يراد به ، وإن كانتا مسترخيتين خفي ذلك [عليه] .

الفهد إذا أكل المشبوبة التي تسمى خائقة^(٢) الفهود يطلب زبل الإنسان فيأكله ويتمالج به .

ابن عرس إذا قاتل الحية أكل السذاب مخالفة للحية .

اللقاق إذا خرجت من قتال بعضها بعضا تضع على الجرح صمغاً برياً .

يقال إن ذكور المصافير تبقى سنة فقط ، والدليل على ذلك — أنها من قبل أطواقها التي في أعناقها — لا تظهر في الربيع ، بل بعد ذلك بأيام ، لأنها لا تبقى شيئاً من الذكور التي كانت من العام الماضي ، فأما إناثها فهي أطول أعماراً .
إذا دنا الصياد من عش القبيج فخرج الأنتى من بين يديه وتطمعه في صيدها حتى تهرب فراخها ، ثم تطير وتدعو فراخها إليها .

وإناث القبيج تبيض خمس عشرة بيضة ، والذكر منها يطلب موضع يبيض أنثاه فيدحرجه — مخافة أن تقعد عليه وتشغل عنه — فيفسده ، وهي تحتال أبداً في الهرب منه وتُخفي موضع عُشها ، فتبيض في أماكن خفية ، ومتى^(٣) قصدها

(١) « ملاصقاً لها » .

(٢) « خائقة » .

(٣) « ومن » .

قامت عنه وأطعمت في نفسها حتى تبعد عن أماكن يبيضا ، فإذا بعد طارت
ثم أحتالت في الرجوع إليه .

المدهد يعمل عشه من زبل الإنسان ، فلذلك رائحته كريهة .

العقاب تصيد منذ حين الغداة إلى وقت الرواح ، فأما من أوان الرواح^(١)
إلى أن يترحل النهار فهي قاعدة في مكانها لا تتحرك .

ومنتار العقاب الأعلى ينشأ ويعظم ويتعقف حتى يكون ذلك سبب هلاكها
لأنها لا تنال به العلم ، فإذا فضلت للعقاب فضلة من طعمه وضعها في عشه
لحاجة فراخه إليها .

أصناف الطير الملققة الخالب لا تجلس على الصخر إلا في القروط ، لأن خشونة
الصخر مخالفة لتعقف مخالبا .

النحل تعمل عشاها في زمانين : في الربيع والخريف . والعسل الذي عمله
في الربيع أشد بياضا وأجود من الذي عمله في الخريف

وأضعف العسل يكون أبدا في أعلى الإباء ، والنقي الطيب في أسفله .

الأسد عظامه جاسية جدا ، وإن دلكت بعض عظامه ببعض خرجت منها
نار كما تخرج من الحجارة .

الحيوان الذي له شعر [في أشفار^(٢) عينيه] ليس في أشفار عينيه شعر إلا
الشعر الأعلى .

والنعامة لها أشفار في الجفنين الأعلى والأسفل .

(١) « الصبح » وهو تبديل وقع من الناسخ يناقض ما قبله .

(٢) هذه الكلمة التي بين مربعين لم ترد في الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

القفذ تبيض خمس مبيضات، وليس هو يبيض بالحقيقة، بل هو على صورة البَيْض، يُشبه الشحم.

قلب كل حيوان طرفه حاد، وهو أصلب من سائر جسده، وهو موضوع في وسط الصدر سوى الإنسان، فإنه مائل فيه إلى الناحية اليسرى، لأنه يكون بإزاء^(١) الجانب^(٢) الأيسر فيعادل الناحية اليمنى، فإن اليسرى من الإنسان أكثر بردا.

وليس في قلوب جميع الحيوان عظم إلا في الخيل، وفي جنس من البقر، فإن في قلب هذين عظاما دون غيرهما من الحيوان. وكل حيوان له قلب كبير يكون جزوعا. الكلاب الهندية تتولد من كلب وسبع شبيه بالكلب. والحمار حيوان بارد، ولذلك لا يكون الوحشي منها [إلا^(٣)] في المكان البارد.

ذكور البغال لا تشم أبوال إناثها كسائر ذوات الحافر.

بيض الطير فيه لونان : بياض وصفرة.

وبيض السمك فيه لون واحد.

إذا كانت الريح جنوبا كان المولود أنثى، لأن الجنوب إذا هبت رطبت وإذا أشملت كان المولود ذكرا.

عيون جميع الصبيان ساعة ولادتهم شُهل^(٤)، ثم تنتقل إلى الطباع الغالبة عليها.

(١) « بإزاء ».

(٢) « الجانب ».

(٣) هذه الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل؛ والسياق يقتضيها.

(٤) شهل : من الصهلة بضم الشين، وهو أن يتوب سواد العين زرقا؛ وقيل أن تشوب الحدقة حمرة وليست خطوطا.

وعيون جميع الحيوان لون واحد ، كالبقر فإن عيونها سود . وعيون البشر ^(١)
ألوان كثيرة .

صاحب العين الناتئة ^(٢) لا يُبصر ما بعد عنه بصرا جيّدا ، والغائرة تُبصر
ما بعد عنها ، لأن حركتها لا تتفرّق ولا تتبدّد .

الفهد ربما نكح الذبّ فيتولّد بينهما سبعٌ مختلف المنظر ، لا يتناول الناس
وبصيد الكلاب ويأكلها ويستخفي في البحر ، فإذا مرّ به أيلٌ مفاجأة وثب
عليه وأنشب ^(٣) مخالبه في أكتافه ومصّ دمه حتى يضعف الأيل ^(٤) ويسقط
فيجتمع عليه هذا الصنف من السباع فيأكله ، فإن أجتاز بها أسد نهضت عنه
وتركت الفريسة له تقرّبا إليه .

بأرض يونان يمرّى جمدة الصوف ، يقال لها : المعزى البرية ، فإذا
أصابت قرونها شيئا من قُضبان الكرم لم يَنْبِت ورقه ولا ثمره ، بل يحفّ مكانه
ويسقط ما عليه من الورق والثمر .

السُّلْحَفَة تخرج من البحر إلى الرمل فتَبْيِض فيه ، حتى إذا بلغ أوانه
وخرج أولادها ، فسا كان ناظرا إلى ناحية البحر كان بحريا ، وما كان وجهه
إلى ناحية البر كان برّيا .

والسُّلْحَف تمتنع من الذُّكران ، فيأتيها بعدد يحملها في فمه ، ويدنو منها ،
فإذا رأت ذلك العود سكنت له .

وما كان من السُّلْحَف بحريا فخرج إلى البر وأصابه حرّ الشمس لم يستطع

(١) « السر » .

(٢) « الثانية » .

(٣) « وأنشب » .

(٤) الأيل .

الرجوع إلى البحر وبقى حتى هلك . وما كان برتيا فوقع إلى ناحية البحر تَلَف ولم يستطع الرجوع إلى البرِّ وهلك .

الثعلب يهَيُّ عُشَّهُ ووَكَرَّهُ ذا سبعة أجرة ، فإذا^(١) طرقت الكلاب وغيرها مما يتخوف [في جحر^(٢)] خرج من غيره .

وإذا قارب الزرع أن يُسْنِلَ^(٣) دخل الثعلب فيه وتمكك فرحابه ، فيفسد ذلك الزرع ، ولذلك سَمِيَ أحتراق^(٤) الشعر : داء الثعلب ، لأنه^(٥) يُسْقِطُهُ كما يذهب ورق السنبل والشوكة .

القنفذ يعمد إلى الكرمه فيحترکہا فيقع منها العنب ، فيتمرغ فيه حتى يملأ شوكة ويعود إلى عُشِّه ، فإذا بصرت به جراؤه أطافت به تلتقط ذلك الحب من شوكة وتأكله .

الذئب إذا هَيَّيَّ من معاه وَرَّهْهُ وهَيَّيَّ من مَعَى الشاة وَتَرَّ ، ثم عَلَقًا بآلات اللامى ، ثم ضرب بهما ، صوت الممول من الذئب ، وخرس الوتر الممول من الشاة . وكل شاة يتناول الذئب من لحمها يكون لحمها حلوا لذيدا ، وكل جزء صوف تُهَيَّأ من الشاة التي قد تناول الذئب منها قِيلَ الثوب الممول منها مِنْ قِيلَ سُمُّ^(٦) أسنانه .

الكلب إذا مَرَضَ أَكَلَ حَلْفَاءَ رَطْبَةً .

(١) « كما إذا » .

(٢) هذه التكلة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

(٣) « يسيل » .

(٤) « اختراق » .

(٥) « لأنه » أى داء الثعلب ؛ « يسقطه » ، أى يسقط الشعر .

(٦) « سم » .

والأيل إذا مرض أكل حية .

والضبع إذا مرض أكل كلبا .

الأسد إذا أكل كلبا فإنه يكون قد خرس فيزول ذلك .

الرخة إذا ضعف بصرها بقرت مرارة إنسان

الأعز البرية [تألف^(١)] حيتانا بحرية ، وتدع الجبال وتسلك طريقا بعيدا حتى تأتي البحر لكان تلك الحيتان ، فلما عرفت ذلك الملاحون سلخوا جلود تلك الأعز ، ودنوا^(٢) بها من شاطئ البحر على ظهورهم ، فإذا نظرت^(٣) تلك الحيتان إليها خرجت مسرعة إليها فيصيدها الملاحون .

ليس من السباع شيء صلبه عظم واحد بلا خرز إلا الأسد والضبع .

من ربط على بدنه مناة^(٤) من أسنان الذئب ولبسه لم يخف الذئب .

والفرس الذي يعلق عليه شيء من أسنان الذئب يكون سريع الجرى .

المعزى البرية تكون صلبة القرون ، تأوى أطراف الجبال وما كان مشرفا من الصخور على أودية ، فإن بصرت بالصياد ألقت أنفسها من تلك الصخور لتفيا بقرونها ، فإن سقطت على غيرها هلكت ، وفي قرونها خرزات مستديرات على قدر ما يكون عدد سننها^(٥) .

والعجب أنها تحفظ إناثها عند الكبر وتتمهدها بالمطعم والمشرّب تحمله على أفواها .

(١) في الأصل : « الأعز البرية حيتانا » بقوط كلمة « تألف » أو ما يفيد معناها .

(٢) « وذبوا » .

(٣) [ظهرت] .

(٤) « شيتا » .

(٥) « سنوها » .

المعزى البرية إذا صيد شيء من سخالها تبعته ورضيت بالعبودية مع ولدها
وفي أطراف قرونها جحرة تنفّس منها ، فإن سُدتْ هلكَتْ مكانها .

الورشان^(١) يتحرّز بأن يضع ورق النار في عُشه .

والحدأة تضع في عُشها ورق الملق يتحرّز به .

الخطاف يضع في عشه قضيب كرفس .

التدرج^(٢) يضع في عُشه سرطاناً نهرياً .

جميع السباع والدواب عند المشى تقدّم اليد اليمنى والرجل اليسرى .

لا تكون الزرافة إلا في أرض قليلة الماء .

إذا هم أصحاب الخيل أن يُنزَوْ^(٣) حماراً على فرس جزّوا عُرفها فقتلوا^(٤) حينئذ
وتذلّ لكدم^(٥) الحمار لها .

يؤنان ثيران لها أربعة قرون لا ترضى بمجامعة البقر ، بل تجمّع إناث
الخليل ، ويتولد بينهما خيول عجيبة المنظر .

الجاموس لا ينام أصلاً وإن أرخى عينيه إرخاء سيراً ، لكنّه ساهر
الليل والنهار .

الجل إذا وقع على الناقة وقع الضراب سُتر عن الرجال ، فإن نظر إليه
رجل غضب .

قالت الروم : إن السنور يتولد من مجامعة الفهد لبعض السباع .

(١) الورشان : طائر شبه الحمام ، وهو نوبى وحجازى ، والنوبى أشجاءها صوتاً .

(٢) التدرج : طائر كالعراج حسن الصوت يفرّد في البساتين .

(٣) « يشترّوا » .

(٤) « فيفر » وهو عريف .

(٥) « لكدم » . والكدم : المض .

[لَا يَنَامُ^(١)] البوم إلا إغفاء^(٢) .

ومن العجب أن السنور يكون صافى العين كثير البريق عند أمتلاء الهلال وينقص ذلك الصفاء^(٣) والبريق عند نقصان الهلال .

الأفعى إذا جامعها الذكر وأسمه الأفعوان تحولت إليه ، فإن ظفرت به أكلت رأسه من شدة عشقه له .

ذكر المقرب اسمه عُقْرُبَان ، أسود صغير ، سريع المشى ، جاد^(٤) الذهب الحرذون^(٥) تفسيره بالعربية اللدى يخرج من الزعفران .

التمساح لا يكون إلا فى النيل ونهر بأرض الهند يقال له : الرئيس ويبيض كبيض الإوز ، وربما يؤلّد منه حراذين صغار ، ثم يكبر حتى يبلغ طوله عشر أذرع ، ويزداد طولاً كلما ازدادت سنو حياته .
وسنّه اليسرى نافعة لحمل النافس .

وذكر أنه يجامع ستين مرة فى حركة واحدة ومحل واحد .
الحمار الوحشى يتولد بين الفرس والفيل ، وله قرن ينبت من أنفه كأنه سيف ، وإن ضرب شجرة قطعها وبه يقاتل الفيل ويبعج^(٦) بطنه بقرنه ، ولم يعمّين من هذا الجنس أنثى قط .

فى البحر حوت يقال له : البوس ، يتولد من الصاعقة إذا كانت فى البحر

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضيه .

(٢) « إغفاء » .

(٣) « الصفا » .

(٤) « جاد » .

(٥) لم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا ما يفيد أن لفظ الحرذون غير عربى ولا أن تفسيره بالعربية ما ذكره المؤلف ، كما أننا لم نجد ذلك فيما بين أيدينا من الكتب المؤلفة فى الحيوان .

(٦) « وبعج » .

وإن وُضع ذلك الحوت بين اثنين فأكلّا منه تمّأباً ولا يمتد أحد على صاحبه ، ويتآخيان أحسن الإخاء .

كلب الماء أبداً ذئبه على ظهره واقع مع انطباق والتواء ، يرمى نبات الأرض ، وهو شديد الجزع من النار ، فإذا كان الليل خرج الصيادون بأيديهم شعل النار ، فيأتون بجثمتها ، وتلك لا تتحرك لجزعها من النار حتى تؤخذ ، وإن كان منها ذكر لم يجمع أنثى قط ، وإذا أرادت الجامعة فإنها تجتمع وتجلد^(١) فتفرخ .

وإن أخذ منها صياد بشبكة واحداً وثبت كلها حتى تدخل الشبكة آية فراق بعضها بعضاً .

ومن لبس جورياً من جلودها وبه نقوس انتفع به جداً .
وإذا ابتلى إنسان برعاف ثم أخذ قطعة من جلدها ، ثم أنقذ في ابن وأشتمه أنقطع ذلك الرعاف .

اليرابيع إذا اجتمعت في موضع ارتفع رئيس لها حتى يكون في موضع مشرف أو على صخرة أو تلّ ينظر منه إلى الطريق من كل ناحية ، فإن رأى أحداً مقبلاً أو سبها صر^(٢) بأسنانه وصوت ، فإذا سمعته انصرفت عن الموضع إلى جحرتها فإذا أغفل ذلك وعينت البقية سبها أو راجلاً قبل أن يراه ذلك الرئيس انصرفت إليه وقتلته لتضييعه أو غفلته .

وإذا كان حسن الرصد مضت اليرابيع فقطعت أطراً ما يكون من الخصرة وأطيب المشب فحملت بأفواها حتى تأتيه تحية وتكرمة .

(١) في الأصل « وتجلد وتفرخ » والمراد بالجلد هنا جلد مميرة .

(٢) « صر » .

وإذا كانت في جِحرَتها خرج الرئيس أولاً فيبصر الطريق ، فإن لم ير أحداً صرَّ بأسنانه وصوت لها لتخرج فترعى .

في البحر حوت يقال له : موفى ، ضعيف الجسد ، قليل القوة ، إذا جاع خرج إلى الشاطئ فاستلقى على الرمل فأقام شوكة في رأسه ، فإذا نظر إليه حوت آخر جاء مسرعاً لياً كله يظن ^(١) أنه ميت ، فيدخل بطنه تلك الشوكة فيقتله بها ويأكله .

وإذا ألقى الملاح صِنَارته ولقيت ذلك الحوت رعى مكانه بتلك الشوكة الحادة يد الملاح فتخدر ويطرح أداة صيده .

فإذا رأى الحوت أن الصنارة داخلته أضلاعه غلبت الظلمة على بصره ومات من ساعته .

وفي جلد هذا الحوت عجب ، وهو أن الصاعقة لا تدنو من جلده ، والملاحون ينطون سُنَنهم به عندما يتبينون ^(٢) الصواعق ووقوع المطر ، ويدنو هذا الحوت إلى طرف مقدم السفينة فيمسك بطرفه ^(٣) اللطيف ، فلو اجتمعت الرياح كلها بأشد هبوبها لم تستطع تحريك تلك السفينة ، فنأخذ من جلدها وسنمر به شراع السفينة لم يخف على سفينته ^(٤) غرقاً .

السريع الحضر أربعة : النمر والحريش ^(٥) وعنز الجبل وكباشها .
عدو الحيات أربعة : القنفذ والفيل والأيل والعقّاق .

(١) « فظن » .

(٢) وردت هذه الكلمة في الأصل هكذا : « سون » .

(٣) بطرفه ، أى طرف مقدم السفينة . واللطيف : العقيق .

(٤) « لسفيتها » .

(٥) الحريش : دابة صغيرة في جرم الجدى ساكنة جداً ، غير أن لها من قوة الجسم وسرعة الحركة ما يسجز الفئاس ؛ ولها في وسط رأسها قرن واحد مصبت مستقيم تناطح به .

الجبان اثنان : الأرنب والأيل .

ذو الزهو ثلاثة : الفرس والديك والطاوس .

ذو حدة السمع ثلاثة : الذئب والحمار والغُلْدُ ^(١) .

القادر في التزاوج ثلاثة : العصفور والحمام والمُتَقَقَّ ^(٢) .

ذو الشهوة ثلاثة : العصفور والثور والباشق ^(٣) .

لمتحارس بالليل اثنان : السكركي والبط .

نافى فراخه ثلاثة : النعام والغُذاف والعُقاب .

محب الظلمة ثلاثة : اليوم والحفّاش والغُلْدُ .

ذو حدة البصر ثلاثة : العقاب والظبي والباشق .

من أخذ لسان ضبع وسر به بين الكلاب لم تكلب عليه .

من مر بمكان كثير الضباع فأخذ بيده أصلاً من أصول عنب الحية هربت

منه . وعَنَب الحية هو الحنظل .

وذكر الحُبَارَى يقال له : الخَرَب .

إذا أراد إنسان أن يتزوج امرأة فليُنظر إلى أبيها وأخيها فإنها بَعِيَانِه ^(٤)

وبين يديه أحدهما .

(١) الحُلْد : دوية تحت الأرض ؛ وهي ضرب من الجرذان .

(٢) المُتَقَقَّ : طائر على قدر الحمامة وعلى شكل الغراب ، وجناحه أكبر من جناح الحمامة ، ذولونين : أبيض وأسود ، طويل القنب .

(٣) الباشق : ضرب من بزة الصيد ، وهو طائر خفيف الحمل شديد الملح ، يأكل ديناً ويستوحش حيناً .

(٤) الواو في قوله « وبين يديه » واو الحال ، أى كأنه يعاينها حال كون أحدهما مائلاً ن يديه يعاينها . وفي الأصل « بعيانه وبين يديه أحدهما » .

من الحيوان ما لا يشبه الولدَ الوالدَ كالديبة والنحل والدَّبَرُ^(١) .
 أما الديبة فتضع أولادها توائمَ لا صور لها حين تولد ، غير أن أمها تهيمُ
 ، وتسويها بلحسها إياها بالسُّتْها...^(٢)
 وأما الدَّبَرُ فإنها تلد دودا يتصوّر بعد ذلك .
 الضفادع والفيالم^(٣) والسرطانات لا ضرر عليها في ماء ولا ييس ، لكنهما
 عندها سيّان لا تهلك في برّ ولا تُخَنَّق في بحر .
 كلُّ ما أكل اللحم فهو ذو أسنان قواطع صلاب ، وأعناقٍ قصارٍ شداد ،
 ومخالبٍ وأظفارٍ حداد ، ومناقيرٍ معقّيةٍ جذابة .
 للأسد ثلاث طبائع : الأولى منها أنه إذا مشى فشمّ ريح الصيادين عَنّى
 على آثاره بذَنَبه لكيلا يتبعه الصيادون ويقفوا عليه في عرينه فيتصيدوه .
 والثانية أن القبوة تلد شبلها ميتاً ، فلا تزال تحرسه حتى يأتي أبوه في اليوم
 الثالث فينفخ في منخره فيبعثه .
 والثالثة أنه يفتح عينيه إذا نام وهما يقظتان .
 ومن تمسّح بشحم كَلَى الأسد ومشى بين السباع لم يخفها ولم تقربه ؛ وإن
 افترس^(٤) الأسدُ الفريسةَ ولم يأكلها ميّز أن ريحها منتنة جدا .
 وأصناف الحيوان التي تلغ الدم بالسُّتْها : الكلابُ والسنائير .

(١) « الدين » . والدبَر : الزناير .

(٢) « سورها » .

(٣) الظاهر أن هنا كلاماً سقط من النسخ ، إذ كان مقتضى السياق أن يتحدث عن النحل بعد الديبة .

(٤) الفيالم : ذكور السلاحف ، الواحد غيلم بفتح أوله .

(٥) « وإن لم يفترس » .

الأسد : تضع أولادها غيرَ منفتحة الميون ، وإنما تنفتح بعد ذلك .
 وأما الأسد^(١) خاصة فليس له من جنسه قرين ، ولا يرى شيئا من السباع
 كفؤا له فيصحبته ، ولا يقرب شيئا من بقايا فريسته بالأمس ولو جهده الجوع
 ويهر^(٢) زئيره كثيرا من الحيوان الذي هو أعظم منه جسما وقوة .
 وإنما تلد اللبؤة واحدا ويحرق^(٣) بطن أمه بأظفاره ويخرج منه .

الثعلب إذا جاع فلم يقدر على صيد عمده إلى أرض شديدة الحر وإلى
 موضع الطير^(٤) إذا حمى ، فاستلقى على ظهره ونظر إلى فوق ، ثم اختلس نفسه
 وأخذ به داخلا حتى ينتفخ انتفاخا شديدا فيحسبه الطير قد مات ، فيقع عليه
 ليأكل منه كما يأكل الجيفة ، فإذا اجتمع الطير انتفض سرعا وقبض على
 ما وجد فأكله ، لأنه ذو خب^(٥) ومكر ، كذلك طبيعته إن أصابه ضرر فآثر
 فيه آثارا وكلم فيه كلوما أخذ من صمغ شجرة تدعى قنطوريا^(٦) فأبرأها به .

القرود أهيأ الحيوان لقبول التعليم ، وهو لعوب غضوب سريع الحس ،
 لا يكون في بلد كثير السباع ، عدو لجميع الحيوان ، مليح الإهاب ، نهوش^(٧)
 خطوف ، إلا أنه إذا شبع نام في غاره ثلاثة أيام ، فإذا خرج صاح بصوت

(١) يريد قوله : « وأما الأسد خاصة » الخ أن هنا كلاما قبل ذلك في أصناف الحيوان

الذى له قرين من جنسه ، وسقط هذا الكلام من النسخ .

(٢) يهر ، أى يجعلها تصوت من الفزع والخوف .

(٣) « ويحرق » .

(٤) « البير » .

(٥) الحب بكسر الحاء وتشديد الباء : الخداع والمكر .

(٦) كذا في الأصل . والذي في ابن البيطار : قنطريون ؛ وهو صنفان : كبير وصغير ،
 فالكبير له ورق شبيه بورق الجوز أخضر مثل ورق الكرنب ؛ وله ساق شبيهة بساق الحماس
 طولها ذراعان أو ثلاث . وله شعب كثيرة من أصل واحد ، عليها رهوس شبيهة بالخشخاش الخ
 وهذا هو المراد هنا .

عالٍ تخرج منه رائحة طيبة ، فيجتمع إليه الحيوان لحسن صوته .
ومن أراد خنثه^(١) فليتمسح بشحم الضبع ويدخل عليه في غاره ، فإنه لا يمتنع ؛
خفيف الجرم ، حديد الشد^(٢) يقظان .
دابة يقال لها بالفارسية (درباست) إذا طلبه القانص^(٣) أستلقى لظهوره
وأراه أنه لا خصية له ، كأنه قد علم ما يطلب منه .
خلق الجبان من الحيوان الخائف سريع الحضر سريع الحركة ، وجعل
الصنف الجري العادي بطي ، الحضر^(٤) مبلدا .
الضبع مخالفة^(٥) لجميع أجناس الحيوان ، وذلك أنها تصير مرة ضبعا ذكرا
ومرة أنثى ، تلحق أحيانا كالذكر ، وتقبل اللقاح أحيانا كالأنثى .
وطبيعتها أنها إذا رأت الكلب في ليلة مقمرة مشت على الآثار ووطئت
ظله^(٦) فوق .
« ومن قتل ضبعا وأخذ لسانها ومر بين الكلاب لم تكلب^(٧) عليه ، ولم
تعرض له .
ومن مر بمكان كثير الضباع فأخذ بيده أصلا من حنظل ، أسكتها عنه
وهربت منه » .

(١) « قنله » .

(٢) « السر » .

(٣) « القانص » .

(٤) « الحذر » .

(٥) مخالف .

(٦) عبارة حياة الحيوان : الضبع إذا وطئت ظل الكلب في القمر وهو على سطح وقع الكلب فأسكتته .

(٧) يلاحظ أنه قد سبق ما يفيد معنى هذا الكلام الذي بين هاتين العلامتين في ص

القنفذ عدو الحيات ، إذا قبض على حية تركها تضررب على شوكة حتى تموت ، فإذا ماتت قطعها قطعاً .

الدب يقتل^(١) الثور ، والغالب عليه الانبحار في مغارته^(٢)

الفيل ليس له شهوة السَّقاء^(٣) ، فإذا أراد الولد أنى رياضاً وجناناً^(٤) فيها اللُّقاح^(٥) هو وإنائه فهيج له اللُّقاح برائحته وقوة حرارته شهوته قسافت ، فإذا ولدت ولدت قائمة ، لأن أوصالها ليست مواتية كأوصال التي تلد بركة وراضة غير أنها تلد في الماء حذراً على دَغْفِلِها أن يموت إذا وقع على الأرض ، فلذلك تدخل ساحل البحر حتى يبلغ الماء بطنها فتضع ولدها على الماء كالقراش الوثير والدَّكر في ذلك يحرسها وولدها من الحية .

ما أشدَّ عداوة الفيل للحية ؛ حيثما أصاب الفيل الحية وطئها وقتلها . وإن هو سقط على جنبه لم يستطع القيام ، إنما نومه إذا اتكأ على شجرة . ومن هناك — لما عَرَفَ أهل تلك البلاد^(٦) كيف نومه — يأتون الشجرة فينشرونها بالمنشار ، فإذا أتاها الفيل واتكأ عليها وقفاً على الأرض معا ، حينئذ يشتدَّ صياحه بصوت رفيع ، ويجمع إليه لذلك قبيلة كثيرة تحاول معاونته على النهوض والأنبعاث ، فلا تقدر على ذلك ، فتصيح جماعتها بصوت واحد جزعاً من ضعف حيلتها وعجزها حتى يأتي الفيل الذي هو في الجسم أصغر ، وفي

(١) في الأصل : « يصل » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه ما يأتي في

س ١٨٥ سطر ١٢ و ١٣ .

(٢) « مغارته » .

(٣) « الفساد » .

(٤) « وحصاناً » .

(٥) « اللقاح » باللفاف .

(٦) تلك البلاد ، أى التي تكون فيها القبيلة .

الحيلة أكبر منها ، فيدخل مشفره^(١) تحت القيل الساقط ، وتعمل كفعله جميعا في إدخال مشاويرها^(٢) تحته حتى تدغمه فينبعث ، وإنما كَوْنُ رأسُ القيل في عنق قصير ، وكَوْنُ له بدلَ المنق الطويل المشفر الطويل ليكتفى به من الضيق ؛ وبه يتناول طعامه وشرابه .

وخلقت قوائمها غير منفصلة ، لكنّها كالأساطين المصمتة والسواري الوثيقة لتحمل الكثير الثقيل ؛ ورُبِطَتْ بمراقيب صغار غير منحنية ولا منثنية على الأوصال ، لكن عظامه مفرغة إفراغا .

تطول أعمارها إلى ثلاثمائة سنة ؛ غير أنّ الجُرْذَان والبق تَلْقَى بالقبيلة فتؤذيها . السَّمْدَل^(٣) : دابة لا تخاف النار ، لأنها لا تحرقها ، وإن دخلت أخذوداً متأججا مضطربا بالنار لم تحفل بذلك ، وصارت النار التي تُبيد الأجسام مَبْعَثًا لهذه الدابة التهمينة الحقيرة ، تستلذّ التقلب فيها أستلذاذ القلب بالهواء البسيط وهبوب أرواحه^(٤) الطيبة ؛ ونضارة جلدها وتنقيته بالنار ، فيزداد بالنار حسن لون .

الأزنبُ من طباعها الجبن والخوف ، وهي كثيرة الولادة .

الكلب ذو لحص وأقتناء للأثر ، وبشمّه يسترشد^(٥) ويهتدى ويستدل إذا شمّ الموتى عرفه إن كان له أول غيره .

ومن طباعه الترضى والبصصة والمشاشة^(٦) لمن صرفه .

(١) « مشفره » .

(٢) « مشاويرها » .

(٣) السمدل : دابة دون الثعلب خلجية اللون ، جراء العين ، ذات ذنب طويل .

وقيل : طائر .

(٤) « وأرواح هبوبة » .

(٥) « يسترشد » .

(٦) « والمشاشة » .

ليس في الحيوان أشدّ حبا لصاحبه منه ، فإن أشار له ^(١) على صيد وثب ناصبا رأسه وافما ذنبه مستعدّا كالفرس ، البطل والشجاع النجد ، مع نشاطه في الطلب وهو يعلم أن الصيد ليس بمحاضر ، لكنّ ذلك منه حسن طاعة .
فأما حب بعض جراء الكلاب لبعض إذا كان أخاه لأمّ ولأب فما قد عهد وشوهد ، وذلك أنه حيث كان يُطرح لما الطعام في الوسط ، فلا يخطف واحد منها ذلك ، لكنها تتعاطاه بينها يسكون وتمكين بعضها لبعض ، غير مستأثرة به ولا محاربة عليه .

الفرس من طباعه الزهو والحرارة وشهوة الإناث للسفاد . وإن وطئ الفرس أثر وطء الذئب ارتعد وخرج الدخان من جسده كله .
الذئب إذا رأى الإنسان مبطلًا خطوه وهو ساكن سكّته ، فإن رآه خاف وجبن اجترأ ^(٢) وحمل عليه وكبسه .

وليس كلّ ذئب يعدو ، وليسكن هو الذي يكون ضاريا ؛ وفيه خلّتان : إحداهما أن يكون منفردا يمشى وحده ، والأخرى حدة سمّعه ، إن خفي عليه مكان الغنم أتى مكانا وعوى صوتين ^(٣) أو ثلاثة ، ثم سكّته منصتا لأصوات الكلاب التي مع الغنم ونباحها حين سمعت عواءه ^(٤) ، فإذا سمع نباح الكلاب شدّ ^(٥) مسرعا نحوها ، قاصدا إليها ؛ فإذا قرب من الغنم مال إلى ناحية أخرى خالية من تحرّس ^(٦) الكلاب فاخطف ما أمكنه خطفه من الغنم .

(١) عبارة الأصل ؛ « وضع أشلاءه » والكلمة الأولى زيادة من الناسخ ، وفي الثانية تحريف .

(٢) « واجترأ » .

(٣) « قوتين » .

(٤) « عداه » .

(٥) « مدّ » .

(٦) « محرّس » .

حمار الوحش إذا ولدت الأنتى الأولاد الذكور جاء الفحل فانتزع خصى
تلك الذكور وقطعها بأسنانه لسكيلا^(١) تُصَاد أو تُشَارِكه في طَرُوقَةٍ^(٢) ، إلا
أن الأنتى ربما وضعت ولدها في مكان غامض حتى يشتد جسمه وتصلب
خوافره ، ويقوى بالشدة على النجاة من الفحل ، ولهذا السبب يَقلُّ منها القحول .
الحَرِيش^(٣) دابة صغيرة في جرم الجدى ساكنة جدا ، غير أن لها من
قوة الجسم وسرعة الحضر ما يُعْجِزُ القناص^(٤) عنها ، ثم لها في وسط رأسها قرن
واحد منتصب مستقيم ، به تُناطح جميع الحيوان فلا يفلها شيء .

احتل لصيدها بأن تعرض لها فتاة عذراء وضيئة ، فإذا زاتها وثبت إلى
حجرها كأنها تريد الرضاع ، وهذه محبة فيها طبيعية ثابتة ، فإذا هي صارت
في حجر الفتاة أَرْضَعَتْها من ثديها على غير حضور اللبن فيها حتى تصير كالنشوان
من الخمر والوسنان من النوم ، فيأتيها القناص^(٥) على تلك الحال فيشد من
وثاقها على سكون منها بهذه الحيلة .

الايئل عدو الحيات إن قربت منه حية فأنجحرت في صدع صفا ملاً
الايئل فاه من القدير أو من حيث وجد فدفعه في ذلك الصدع ، ثم أجتذب
الحية إليه بالقوة حتى يقتلها ، وإن كانت فوق أنزلها ، وكذلك إن كانت
أسفل ، فإن كان جائعا أكل ما أصاب منها ، وإن لم يكن به جوع قتلها وتركها
فصارت الحيات ذوات السم الزعاف المُمِيت لكل من أصابه أو خالط بدنه

(١) يريد بقوله « لسكيلا تصاد » أنها إذا خصيت قويت على الجري فلا يقوى الصيادون
على اصطيادها .

(٢) يريد بالطروقة : الأتان التي يطرقها الفحل .

(٣) « الحرس » .

(٤) « القياس » .

(٥) « الناس » .

غذاء هذه الأيائل ، ويكون ملأماً لها لذذا عندها .
وإن دخن البيت الذي فيه الحيات بدخان حريق قرن الأيائل فررت
منه كلها خوفاً .

على أن الأيائل نفسها جبان شديد الرعب ، إذا أكل الحية بدأ بذنّها حتى
ينتهي إلى رأسها ، ثم يقطع بأسنانه ، وأكبر^(١) من ذلك [أنه] يتعلق
برءوسها وتبقى في الهواء . وتكثر فيه المِرّة^(٢) ويعطّش عطشاً شديداً فيعوج
إلى غدير الماء .

الغزال ، يقال : ليس في الحيوان أبصر من الغلّباء ؛ ويقال لها باليونانية
الغظارة والمبصرة .

الثور دابة عمول كدودٍ مقدّر جسمه بقدر قوّته . من طبيعته كثرة اللقي
وتوقّد شهوة السّفاد ، إن لم يخص لم يذلل للعمل ولم يسكن ولم يصحّ جسمه
لأنّ الغلّة تحمل^(٣) جسمه تنجّله ، والخصاء يقطع ذلك كله . وبينه وبين
الذئب^(٤) عداوة شديدة .

أعز^(٥) الجبل وكباشه وهي الأزواء والثّيائل هذا جنس متمرّد في الجبال
سريع الحُضر في الشواهي والتوقّل^(٦) فيها^(٧) وطبيعتها أن تلدّ توأماً .

(١) أي وأكبر مما مرّ من دلائل جبنه أنه لا يقطع رءوسها بأسنانه كما سبق ، بل
يتعلق بها فلا يأكلها خوفاً ولا يلقيها من فيه فتبقى رءوسها معلقة في الهواء . هذا ما يلوح لنا
من معنى هذه العبارة .

(٢) المرة : خلط من أخلاط البدن ، وهي الصفراء .

(٣) « تدخل » .

(٤) « الذئب » .

(٥) « أعز » . ولم نجد هذا الجمع في كتب اللغة .

(٦) التوقّل : الصعود .

(٧) « في الماء » .

قد يوجد من البهائم ما لا يحمل ، فأما أتى الخليل إذا كانت حاملا فوطئت
أثر الذئب بحافرها أجهضت حملها .

الحمار في طبيعته معرفة صوت الإنسان الذي اعتاد استماعه وإيناسه ، لا يضل عن
طريق مسلكه مرة ولا يخطئه ، إذا ضلّ راكبهُ الطريق هداه وحمله على الصحبة .
وأما حدة السمع ، فليس في البهائم فيما يُذكر أحدٌ سَمما منه .

اليامورة ^(١) دابةٌ وحشية نافرة ، لها قرنان طويلان ، كأنهما منشاران
تنشربهما الشجر ؛ إذا عطشت وردت الفرات وعليه غياطل ^(٢) وغياض ملتفة
أشجارها تفرغت من أغصانها غصونٌ طوال دقاق مشبكة ، فإذا شربت ربها
وأرادت الصّدر أشتت الاستتار ^(٣) والقُدو بين تلك الأشجار «ولجّت ^(٤) هناك»
فعلق قرّناها بتلك الغصون اللدنة المتينة ، وكلما عالجتها لتفلت أزدادت ارتباطا
فإذا ضجرت مما وقعت فيه عجت جزعا ، وسمع القناص صوتها فأتوها فقتلوها .
الجل : حقود ، يرتصد من ضاربه القرصة والخلوة لينتقم منه ؛ فإذا أصاب
ذلك لم يستبق صاحبه ، فأما ظهره فذو سنام مقبب يكون لكثرة الحمل
وأحتمال الثقل ، وأوصال ركبته وعراقيبه كبار صلاب ، وأوتارها وعروقها
متينة شديدة ، وعصبه وثيق لم يشتد ^(٥) بضغط التحام مفاصله وأتصالها ولم
يسترخ مطويا ^(٦) ، لكنها هيئت على الاعتدال ^(٧) ليهون عليه بذلك البروك

(١) « اليامورة » .

(٢) الغياطل : الكثير الملتف من الشجر والنبات .

(٣) « الانتيار » .

(٤) وردت هذه العبارة في الأصل مؤخرة عن هذا الموضع ؛ والسياق يقتضى وضعها هنا .

(٥) « لم يستبد » .

(٦) « مطويا » .

(٧) في الأصل « الاعتدال » ؛ وهو تحريف ؛ والمراد بالاعتدال هنا أن أعصابه ليست

شديدة ولا مسترخية ، بل هي بين ذلك .

والنهوضُ بعمله ، مع تسهيل الارتقاء عليه في ذلك .
البغال : نوعٌ هَجِينٌ قد أنبثنا أنه لا يلد ، إلا أنه أهدى للطريق ^(١) للناس
وأثبت حفظا .

الثيران وكل ذى قرن لا يأخذهُ الفُواق .
وأما سباع الطير وآكلات اللحم منها فصِلاب الأظفار ، حُجْنٌ ^(٢) المناقير
ذات حدة وقوة ، قوية الأجنحة .
والنواهض ^(٣) التي فيها القوادم أكثر طيرا .

الديك صِلَفٌ في طبيعته ، غير أن له مع ذلك إيقاظا للنائم بصياحه في آناء
الليل ، والتبشير بإقبال الصبح وطلوع الشمس ، يؤنس السيارات في السفر ^(٤)
بصياحه في الليل ، ويحترضهم على السير ، مع إيقاظه الفلاحين لعملهم ، والصنّاع
لصناعاتهم ، وإذا سمع المرضى صوته داخلهم من ^(٥) ذلك رَوْحٌ وخفةٌ من مرضهم .
الطاوس يحب الزينة ، غير عفيف الطبيعة ، يدعوه زهوه وحرصه على
التزيّن إلى نشر ذنبه وعقده كالطاق لتراه الأنتى بحسن زينته .

الكرّاكى تتحارس ^(٦) بالليل ؛ ويجمل الحارس منها يتردد في المحلة
ويهتف بصوت يسمع محذرا ^(٧) ، فإذا قضى نوبته أسترّاح وأعقبه الذى كان
مستريحا نائبا عنه حتى تقضى كلّها ما يلزمها من الحراسة ، فإذا طارت لم تطر
مستريحا نائبا عنه حتى تقضى كلّها ما يلزمها من الحراسة ، فإذا طارت لم تطر

(١) أهدى الطريق للناس ، أى أكثر هداية — لراكيه من الناس — إلى طريقه .

(٢) حجن المناقير ، أى معوجتها ، الواحد أحجن ، والأنتى حجناء .

(٣) النواهض : فراخ العقبان التي وفرت أجنحتها وقويت على الطيران ، الواحد ناهض .

وفي الأصل : « والنواهض » ولم نجد فيها راجعنا من كتب اللغة .

(٤) « يؤنس في السفر والسيارات (بصياحه) » .

(٥) « مع » .

(٦) « تتحارس » .

(٧) « محذرا » .

مقطعةً ، لكنها تطير نَسَقًا غير مشقعة ، يقدّمها واحد منها كالرأس والمهادى لها حتى تتلوه كلها لازمةً صفها ، ثم يعقبه بعده آخر متقدّم حتى يصير المتقدم الأول متأخرًا في آخرها ، وتنقسم كرامة المتقدم كلها بالسوية ؛ وفيها ما يبعد سفره وينتقل عن مصيفه إذا هجم الشتاء .

البط له بقطة حارسة تدل على حدة حسه .

الجراد معروف الحال .

العقاب تطلب عين^(١) الماء ، فإذا أصابتها تحلق طائرةً إلى حر الشمس وهو موضع دورانها فيحترق ريشها وما كان من جناح ، ثم تقوص في تلك العين فإذا هي قد عادت شابة^(٢) « وتذهب ظلمة عينها »^(٣) .

وأما الطريق^(٤) فيقتض الله له طائرا يقال له : قاس^(٥) فيضته إليه ولا يدعه يهلك ، ولكنه يقويا ويربيه مع أفراده .

وأجنحة العقبان مفصلة شبه ريشها .

وبصرها قوى بعيد تحت الشعاع المستنير .

ويقال : إنها أبصر الطير .

الحَجَل يأتي أعشاش نظرائه فيسرق بيضها ثم يحضنها ، فإذا تهرأت القراخ وطارت لحقت بأمتاتها .

البُوم مأواه ومحلّه الخراب ، يوافقه الليل ، لأنه بالليل بصير وبالنهار كليل ، مع حبه التوحد والخلوة بنفسه ، وبينه وبين الغربان عداوة ماتنقضى .

(١) « من » .

(٢) « مثابة » .

(٣) وردت هذه العبارة في الأصل قبل هذا الموضع .

(٤) يريد بالطريق : الملقى الذي لا يفدر على الطيران لضيقه من المرض ونحوه .

(٥) لم نجد اسم هذا الطائر فيما راجعناه من الكتب .

النَّسْرَ يَتَّخِذُ وَكَرَّهَ فِي الْمَكَاتِ لِعَالِي الْمَرْتَفِعِ ، وعليه يقع وفيه ينام كالراصد ، إما في ذِرْوَةِ الْجَبَلِ أَوْ فِي وَسْطِهِ مِنْ شِظَايَاهُ ^(١) وَثَنَايَاهُ وَمَوْضِعِ التَّمَنُّعَةِ . وَإِذَا حَمَلَتْ زَوْجَتَهُ مَضَى إِلَى الْهِنْدِ فَأَخَذَ مِنْ هُنَاكَ حَجْرًا كَهَيْئَةِ الْجَوْزَةِ إِذَا حُرِّكَ سَمِعَ بِهِ صَوْتَ حَجَرٍ آخَرَ — يَتَحَرَّكُ فِي وَسْطِهِ ^(٢) — كَصَوْتِ الْجَرَسِ ، فَإِنْ عَسَرَتْ عَلَى زَوْجَتِهِ الْوَلَادَةُ جَعَلَتْ ذَلِكَ الْحَجَرَ تَحْتَهَا وَعَلَتْ عَلَيْهِ فَيَذْهَبُ عَنْهَا الْقُسْرُ .

قال : ورأيت مرّةً أتى من جنس الطير مات زوجها فامتنت من الطعام والنوم ليالي ^(٣) كثيرة صارت فيها كالنائحة الباكية على زوجها بتنفس الصعداء وَزَقَرَاتِ الْحُزْنِ لَا تَلْقُطُ أَيَّامًا مُتَتَابِعَةً شَيْئًا .

البُزَاةُ مِنْ طَبِيعَتِهَا أَنْ تَدَاوِيَ أَنْفُسَهَا وَفِرَاحَهَا فَلَا تَمُوتُ ، لِأَنَّهَا تَسْتَعْمَلُ فِي بَعْضِ الْمَرَضِ وَالْدَاءِ ^(٤) نَبْعَةً تَعْرِفُهَا وَتَعْرِفُ طَبَّهَا ... « وَمِنْهُ مَا يَنْقُصُ وَيَزِيدُ » ^(٥) . النِّعَامُ : لَا يَعُولُ أَفْرَاحَهُ إِلَّا أَيَّامًا يَسِيرَةً ، ثُمَّ يُدْحِضُهَا ^(٦) وَيَطْرُدُهَا مِنْ عِنْدِهِ إِنْكَارًا لَهَا .

الْعُدَافُ لَا يَبْيِضُ وَلَا يُفْرِخُ مِنْ سَفَادٍ ، فَإِذَا أَفْرَخَتْ أَثْنَاهُ أَفْرَاحًا لَمْ يَزُقْهَا ^(٧) وَلَمْ يُطْعَمْهَا ، إِلَّا [أَنْ] ^(٨) [الْبَقَّ وَالْبَعُوضُ يَقَعُ عَلَيْهَا لِزَهْوَمَتِهَا وَتَنَ لِحْمِهَا ، فَتَفْتَحُ

(١) شِظَايَا الْجَبَلِ : قِطْعَ ضَخَامٍ تَنْقَلِعُ مِنْ عَرْضِهِ وَلَمْ تَنْفَصِلْ انْفِصَالًا تَامًا ، تَشْبِيهَا لَهَا بِالشِّظَايَا الْعُرُوفَةِ . وَثَنَايَاهُ : الْعُقَبَاتُ فِيهِ .

(٢) « صَوْتُهُ » .

(٣) « لَيَالٍ » .

(٤) « وَالْدَانِيَّةُ » .

(٥) لَمْ يَتَضَحَّ لَنَا وَجْهُ الْإِنِّصَالِ بَيْنَ هَذِهِ الْعِبَارَةِ وَمَا قَبْلَهَا ؟ فَلَمْ نَحْنَا كَلَامًا سَقَطَ مِنَ النَّاسِخِ .

(٦) يُدْحِضُهَا : يَدْفَعُهَا .

(٧) « يَذُقُّهَا » .

(٨) هَذِهِ السَّكْمَةُ سَاقِطَةٌ مِنَ الْأَصْلِ ؟ وَالسِّيَاقُ يَحْضِي لِتَبَاتِهَا .

أفواها وتبلى ما دخل فيها من ذلك البق ، فهو يمسكها ويقويها .
 أنحاء طَيْرَان الطير مختلفة كاختلاف الطير ، بعضها يطير قريبا من الأرض
 كالبط وما أشبهه ، وبعضها يرتفع ، غير أنه لا يُبعد ، كالحمام والفريزان ، وبعضها
 يحلق تحليقا ، كالنقاب والصقور ^(١) والأجادل والبُرّة .

وما كان من الطير بدنه أعظم من جناحه فهو قريب الطيران من الأرض ،
 لسرعة إحناء أجنحته واضطراره إلى الوقوع على الأرض .

البيضانى ^(٢) والأبث ^(٣) : هذا طائر يحب ولده ، فإذا تحرّكت فراخه
 ودرجت صربت وجهه بأجنحتها فيدعوه المعك والغضب المطبوعان فيه إلى
 قتلها ، فإذا ماتت اكتب عليها الأبوان وأقاما عليها شبه المائتم ثلاثة أيام ، ثم
 إن الأم في اليوم الثالث تشقّ جنبها حتى يَقَطُر دُمها على تلك الفراخ ، فيصير
 ذلك نشورا لما بعد موتها .

مالك الحزين ^(٤) ينشل الحيتان من الماء فيأكلها وهي طعامه ؛ لا يُحسِن
 السباحة ، فإن أخطأه أنتشال فجاع طرح نفسه على شاطئ النهر في بعض
 تخضاضه ، فإذا اجتمعت إليه السمك الصغار لتأكله أسرع [لأكل ^(٥)]
 ما يؤكل منه .

من الطير ما يكتفح من هبوب الريح ، لا يحتاج إلى تراوُّج ولا إلى سيفاد .

(١) « والنور » .

(٢) كذا ورد هذا اللفظ في الأصل ؛ ولم نجد في مراجعنا من كتب اللغة والكتب
 المؤلفة في الحيوان .

(٣) وردت هذه الكلمة في الأصل مهمة الحروف من النقط ؛ والصواب إثباتها على هذا
 الوجه . والأبث : طائر من طير الماء كلون الرماد ، طويل العنق ؛ وسمى أبث لبشته ،
 وهي بياض إلى الخضرة ، وهو من شرار الطير .

(٤) مالك الحزين : من طير الماء ، وهو البلشون ، طويل العنق والرجلين .

(٥) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها لم ترد في الأصل .

والخفاش له خصيتان كخصى الحيوان ، وله أربع قوائم وأسنان حداد
 كأَسنان ذوات الأربع ، يُرَضِع ولده من اللبن إرضاعا ، وجلده أملس .
 العفّاق لا يأوى تحت سقف ولا يستظل به ، ولكنه يهتئ وكزّه في المواضع
 المشرفة العالية والعراء الكاشف وجه الهواء الفسيح ؛ وطبيعته الزنا وخيانة
 الزوج ، فإذا باضت الأنثى بيضها حصنته بورق الذئب وغطته كيلا يقربه
 الخفاش ، فإن مسّه مرق^(١) البيض من ساعته وفسد .

النحل يلد من غير لقاح الذكور .

الحية إذا هربت وكلّ بصرها واسترخى جلدّها دخلت في صدع صفاة
 ضيق أو جُحر ضاغط يعسر عليها النفوذ فيه حتى ينسلخ عنها جلدّها فتأقّى
 عين الماء فتتنفس فيها حتى يقوى لحمها وينعصب ، فإذا هي فعلت ذلك عادت
 شابّة كما كانت . فإذا أرادت أن تفضى^(٢) عنها أكلت الرازيانج الرطب
 فاشتفت عيناها واحتد بصرها ، وإن ضربت ضربة بقصبة استرخت فلم تستطع
 الفرار ، فإن ثنيتها وثبت وسعت هاربة .

إن أنقع الحسك^(٣) في الماء ثم نضح ذلك الماء بين يدي جُحر الحية فرت
 من هناك .

وإن وُضِع في جُحرها أصل رَحْمٍ رطب فرت أيضا .

وإن رأت الحية إنسانا غريانا استحييت منه ولم تقربّه .

وإن رآته كاسيا^(٤) سحلت عليه بجراة شديدة ؛ وما أشدّ طلبها لثأرها ؛

وإن شدخ رأسها ماتت من ساعتها .

(١) مرق البيض : صار ماء وفسد . وفي الأصل : مرّت .

(٢) تفضى « . »

(٣) الحسك محرّكا : نبات له ثمرة شائكة مدعرجة تعلق بأصواف النمل .

(٤) كاسيا « . »

السَّمْسِيَّةُ ، وهي حَيَّةٌ حَرَاءٌ بَرَّاقَةٌ ، إذا كَبُرَتْ وأَصَابَهَا وَجَعُ الْعَيْنِ وَكَمِدَتْ^(١) التَّمَسَّتْ حَائِطًا مُقَابِلَ الْمَشْرِقِ ، فإذا تَبَدَّتْ الشَّمْسُ أَحَدَتْ إِلَيْهَا بَصَرَهَا قَدَرُ سَاعَةٍ فإذا دَخَلَ شُعَاعُ الشَّمْسِ عَيْنَهَا كَشَطَ عَنْهَا الْعَمَى وَالْإِظْلَامَ ، وَلَا تَزَالُ تَعْمَلُ ذَلِكَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ حَتَّى يَتَجَدَّدَ بَصَرُهَا تَامًا .
الْأَفْعَى تُزَاوِجُ دَابَّةً بَحْرِيَّةً ، تَأْتِي الْأَفْعَى شَفِيرَ الْبَحْرِ فَتَصَوِّتُ ، وَصَوْتُهَا مُهِيجٌ لِتِلْكَ الدَّابَّةِ الْبَحْرِيَّةِ .

من أحرق عقربا طَرَدَ بَرَانِحَةَ حَرِيْقِهَا عَقَارِبَ ذَلِكَ الْبَيْتِ .
فَأَمَّا مِحْمَةُ الْعَقَرَبِ فَهِيَ جَوْفَاءُ كَهَيْئَةِ الْمِزْمَارِ مَعْقِفَةُ الرَّأْسِ مَكُونَةٌ لِلدَّغِ ، فإذا ضَرَبَتْ شَيْئًا تَحَرَّكَتْ فَخَرَجَ سَمُّهَا وَجَرَى فِي مُحْتِمِهَا وَسَرَى فِي الْمَلْدُوغِ .
الْإِنَاثُ مِنْ بَنَاتِ عَرَسٍ إِنَّمَا تَلْقَحُ مِنْ أَفْوَاهِهَا وَتَلِدُ مِنْ آذَانِهَا .
من عادة هذا الجنس أن يسرق ما وَجَدَ من حِلْيَةِ الْذَهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَيَحْبِئُوهُ فِي جِجَرَتِهِ ، فَإِنْ وَجَدَ أَيْضًا فِي الْبَيْتِ حُبُوبًا^(٢) خَلَطَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ ، كَأَنَّهُ عَمَلُهُ غَمْلُ الطَّبَّاخِينَ فِي خَلْطِ التَّرَابِلِ .

الْفَارُ الْفَارَسِيُّ أَطْيَبُ رِيحًا مِنْ كُلِّ طَيِّبٍ .
وإن أخذ إنسان جرذا فربطه في بيت فَرَّتْ مِنْهُ الْجُرْذَانُ كُلُّهَا .
وإن وُضِعَ فِي جُحْرِ الْجُرْذِ الْبَرِيِّ وَرَقُ الدَّقْلِ^(٣) مَاتَ الْجُرْذَانُ .

(١) كَدَتْ هَيْهَاتُ ، أَيْ ذَهَبَ صِفَاؤُهَا ، مِنْ الْكُمَةِ ، وَهِيَ تَغْيِيرُ الْوَلَوْنِ وَذَهَابُ صِفَاتِهِ .
(٢) « جَنُوبًا » .

(٣) الدَّقْلُ ، نَبْتٌ مِنَ الطَّمِّ جَدَا ، وَهُوَ بَرِّيٌّ وَنَهْرِيٌّ ، فَوَرَقُ الْبَرِيِّ كَوَرَقِ الْخَمَاءِ بَلْ أَرْقَ ، وَقَضْبَانُهُ طَوَالٌ مُنْبَسِطَةٌ عَلَى الْأَرْضِ ، وَعِنْدَ الْوَرَقِ شَوْكٌ ، وَالنَّهْرِيُّ يَنْبُتُ فِي شَطُوطِ الْأَنْهَارِ ، وَشَوْكُهُ خَفِيُّ ، وَوَرَقُهُ كَوَرَقِ الْخَلَّافِ وَوَرَقُ الْوُزِّ ، مَرِيضٌ ، وَزَهْرُهُ كَلَّةُ كَالْوَرْدِ الْأَحْمَرِ ، وَحَلَّةٌ يَشْبَهُ الْخَرْثُوبَ .

الدودة الهندية هي دودة القز ، لها في رأسها قرنان ، ثم تتحول بيضة
ثم تتصور في هيئة أخرى ، ذات جناحين عريضين منتصبين ، وصناعتها
دمقس الحرير .

النمل عمول مواظب ، فإذا جمع الحب قطعته كيلا يئيب إذا أصابه الندى
والبلية ، ويخرج منه ويسطه عند فم الجحر ، فإذا يبس أدخله .
ومن جرب طبائع النمل أدرك علم أزمان المطر والصحو .
من أراد أن يقتل النمل فليدق الكبريت والحبق^(١) ويذرهما في جحره
ولا يولد من تزواج^(٢) ، ولكنه يخرج منه شيء قليل صغير فيقع في الأرض
فيصير بيضا ، ثم يتصور من البيض بالهيئة التي ترى ، وإذا شمت الورد مؤت
وأجنحتها مذبحة لا صفة بها .

البق والبعوض لا يحتاج لهما ، وإنما تنجّل^(٣) من عفن الماء ووسخه وتننه .
ومن وضع غصن العنب في موضع تحت سريره لم يقر به بق ولا بعوض .
ومن أراد ألا يتأذى بالبراغيث فليحفر في وسط البيت حفرة ويملاها
دم تيس فإن البراغيث تجتمع هناك .

وإن وضع في الحفرة ورق دفل مانت البراغيث .
الخلد غير ذى عينين ، دائم الحفر في غير نفع ؛ وطعامه من أصول النبات
وعروقه أذهابة في الأرض ، فهو يصيب ذلك في خلال حفره .

يقال : إن في بلد كذا نهرا ماؤه في البحر منحدرًا إليه على حال طبيعته

(١) الحبق محرّكة : نبات طيب الرائحة ، حديد الطعم ، ورقه كورق الخلاف ، منه سهلى
ومنه جبلى ، وهو الذى يقال له : الفوتنج . وقال أبو حنيفة : إنه يشبه الريحانة التى تسمى
النتام ، ويكثر نباته على الماء ، وهو أنواع كثيرة .

(٢) « يراوح » .

(٣) تنجل ، أى تولد .

ولذلك يصحب السفن متلذذا بأصوات الناس ، فإذا رأى الحوت الأعظم يريد الاحتكاك بها وكسرها ، وثب الزامور ودخل أذنه ، فلا يزال زاسرا فيها حتى يفر الحوت إلى الساحل يطلب خزفا أو صخرة ، فإذا أصاب ذلك لا يزال يضرب به رأسه حتى يموت .

وركّاب السفينة يخبّونه ويظلمونه ويتفقّدونه ، ليدوم إلفه لهم وصحبته لسفيتهم ، ويسلّوا به من ضرر السمك العادي .
وإذا ألّقوا شبكة ليصطادوا السمك فوقع فيها الزامور خلوه حيا وأخذوه^(١) وأعتقوا لكرامته أصناف السمك الواقع في الشبكة أحياء .

وإني [قرأت^(٢)] هذا الفصل على الوزير — كبت الله كل شأني له — في ليلتين ، فتمجّب وقال : ما أوسع رحمة الله ؛ وما أكثر جُند الله ؛ وما أغرب صنع الله . قلتُ : نعم ؛ وما أغفل الإنسان عن حقّ الله الذي له هذا الملك المبسوط^(٣) ، وهذا القلّك المربوط ؛ وهذه العجائب التي تصعد^(٤) فوق العقول التامة بالأعتبار والأختبار بعد الأختبار ؛ وإنما بثّ الله تعالى هذا الخلق في عالمه على هذه الأخلاق المختلفة والخلق المتباينة ، ليكون للإنسان المشرف^(٥) بالعقل طريقا إلى تعرّف خالقها ، وبيان لصحّة توحيد له بما يشهد من أعاجيبها ،

(١) عبارة الأصل « وأخذوا أصناف السمك » ، وقوله : « وأخفوا » واقعة في غير موقعها ، وقد أبتناها في الموضع اللائق بها لاستقامة الكلام بذلك .

(٢) عبارة الأصل « وأن هذا الفصل على الوزير كتب الله » ، وفيها همس وتحرّيف كما هو ظاهر .

(٣) المبسوط .

(٤) « تصد » .

(٥) المشرف .

ست ساعات ، وفي الست الثانية يحتبس ماؤه في ينبوعه ويرى جوفه ناضبا^(١)
قد يبس .

ونهر آخر يجري في كل سبع سنين نهر كبريت ، ولا يكون فيه سمك ، لأن
مائه يتغير في كل يوم ثلاث مرات ، وينبعث^(٢) منه شبه نور ليس له رأس .
وأهل الشام إذا أرادوا أخذه ألغوه في سفينة ، ولا يستطيعون قطعه
بفأس ولا كسره بحجر ، إنما يؤتى بالماء المُنْتِن ودم الحيض فيخلطان جميعا
ثم يفضحان عليه ، فإذا وقما عليه تحلل وتكثل كتلا^(٣) صغارا ، وتُسْتَعْمَل في
أشياء يُنتَفَع بها .

عين النار تنبع منها نازة تضيء بالليل للسيارات فلا تطلقا^(٤) ولا تحتاج إلى
شئ يمسكها ، لكنها محفوظة بالحجارة ؛ إن حمل إنسان منها شعلة قبس إلى
موضع لم توقد .

البحر الميت يقال له ذلك لأنه يموت فيه كل حي .

السرطان ينسلخ جلده في السنة سبع مرات ، ويتخذ بجُحره بايين :
أحدهما شارع إلى الماء ، والآخر إلى اليبس ؛ وإذا سلخ جلده مدَّ عليه الشارع
إلى الماء لكيلا يدخل السمكُ فيأكله ؛ إلا أنه يدع الذي إلى اليبس مفتوحا
فتصيبه الريح وما ينفع لَحْمَه ويعصمه ، فإذا اشتدَّ لحه وعاد إلى حاله فتحَّ
ذلك المسدود وسلك في الماء وطلب طعمه وما يقيم حياته .

الزامور حوت صغير الجسم ألف لأصوات الناس ، مستأنسٌ بأسماعها

(١) « ناضبا » .

(٢) « ينبعث » .

(٣) « وتكثل كيلا » .

(٤) « يطفئها » .

ونيل لرضوانه بما يتزود من عبّره التي يجد فيها ، وليكون له موقظٌ منها ، وداعٍ حادٍ^(١) إلى طاعة من أبدأها وأبرزها ، وخلطها وأفردّها .

فقال : قد كنت قلت : إنه يجري كلامٌ في النفس منذ ليالٍ ، فهل لك في ذلك ؟ .

قلتُ : أشدّ الميل^(٢) وأوحاه ، لكن بشرط أن أحكي ما عندي ، وأروى ما حصلتُ من هذه العصابة بسماعى وسؤالي . فقال : نستأنف^(٣) الخوض في ذلك — إن شاء الله — فإن النعسة^(٤) قد حدثت العين ، فأنا كما قال :

قد جعل النعاسُ يغرّ نديني^(٥) أدفعه عني ويسرّ نديني

أنشدني أبياتا ودّعني بها ، ولتكن من سراة^(٦) نجد ، ليشتّم منها ريحُ الشيخ والقيصوم .

فأنشدته لأعرابي قديم :

مُطِرْنَا فلما أن رَوِينَا تهادرت شقاشقُ منها رائبٌ وحليبٌ^(٧)
ورامت^(٨) رجالٌ من رجالِ ظلامَةٍ وعادت دُحُولُ بيننا ودُئوبٌ^(٩)

(١) « صام » .

(٢) « المثل » .

(٣) « نستأنف » .

(٤) « النفس » .

(٥) يغرّ نديني ويسرّ نديني ، يريد أن النعاس يغلّبه ويملؤه . وفي الأصل : « يغرّ نديني » بالعين المهملة . ولم يرد في اللسان فائل هذا الشعر .

(٦) « سراة » .

(٧) تهادرت أي تساقطت . والشقاشق : جمع شقشقة ، وهي جرة البعير معروفة ، وكنتي بتهدار الشقاشق عن الحصومة بين القوم وتنمر بعضهم لبعض . يقول : لما أخصبت أرضنا تنمر بعضنا لبعض وتهبأ كل فريق منا لحاربة فريق ، كما يدل على ذلك البيت الذي يليه .

(٨) « رابت » .

(٩) الدحول : جمع دحل يفتح الذال ، وهو الثأر .

وَنَصَّتْ رِكَابٌ لِلصَّبَا فَتَرَوَّحَتْ لَمَنْ بِمَا هَاجَ الْحَبِيبَ حَبِيبٌ^(١)
 وَطَائِنٌ^(٢) فِئَاءَ الْحَى حَتَّى كَانَهُ رَجَاً^(٣) مَنَهْلٍ مِنْ كَرْهِنٍ نَخِيبٍ
 بَنَى عَمَّنَا لَا تَعْبَلُوا يَنْضَبُ الثَّرَى غَلِيلًا وَيَشْفِي الْمُسْرِفِينَ طَبِيبٌ^(٤)
 فَلَوْ قَدْ تَوَلَّى النَّبْتَ وَامْتَرِثَ الْقَرْىَ وَحُثَّتْ رِكَابُ الْحَى حِينَ تَوُوبُ^(٥)
 وَصَارَ^(٦) عَيُوفَ الْخُودِ وَهِيَ كَرِيمَةٌ عَلَى أَهْلِهَا — ذُو جِدَّتَيْنِ قَشِيبٌ^(٧)
 وَصَارَ الَّذِي فِي أَنْفِهِ خُنْزُوانَةٌ^(٨) يُنَادَى إِلَى دَاعِي الرَّدَى فَيُجِيبُ
 أَوْلَشْكَ أَيَّامٌ تُبَيِّنُ مَا الْفَتَى أَكَابَ^(٩) سَكَيْتٌ^(١٠) أَمْ أَشْمٌ نَجِيبٌ
 فَجَبَّ وَقَالَ : هَذَا جَنَى غَرَمٍ قَدْ جُذَّ أَصْلُهُ ، وَنَزِيحٌ قَلِيبٍ قَدْ غَارَ مَدُّهُ
 وَجَزُرُهُ ، وَانصرفت .

- (١) وَنَصَّتْ رِكَابٌ لِلصَّبَا ، أَيْ رَفَعَتْ أَعْنَاقَهَا لِرِيحِ الصَّبَا تَسْتَرَوِّحُهَا . وَفِي الْأَصْلِ : « وَفَضَّتْ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
 (٢) « وَطَائِنٌ » .
 (٣) رَجَا الْبُتْرُ : نَاحِيَتُهُ . وَفِي الْأَصْلِ : « وَحَا » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالنَّخِيبُ : الْمُنْخُوبُ ، أَيْ الْمَنْزُوعُ الْجُوفُ . وَفِي الْأَصْلِ : « يَجِيبٌ » . شَبَّهَ فَنَاءَ الْحَى وَقَدْ وَطَّنَتْهُ هَذِهِ الرِّكَائِبُ بِجَانِبِ مَنَهْلٍ مَنْخُوبٍ الْجُوفِ مَهْدَمٍ مِنْ كَثْرَةِ مَا تَطَوَّاهُ أَقْدَامُ الْوَرَادِ .
 (٤) فَضُوبُ الثَّرَى : كُنَايَةٌ عَنِ التَّقَاعُلِ بَيْنَ الْقَوْمِ ، قَالَ جَرِيرٌ :
 فَلَا تَوْبَسُوا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ الثَّرَى فَإِنَّ الدِّيَّ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مَثَرَى
 (٥) امْتَرِثَ الْقَرْىَ : امْتَجَعَتْ وَطَلَبَتْ مِنْهَا الْمِيرَةَ .
 (٦) صَارَهُ يَصُورُهُ ، أَيْ ضَمَّهُ إِلَيْهِ وَأَمَلَهُ نَحْوَهُ . يُشِيرُ إِلَى حُلُولِ الْجَدْبِ وَإِرْخَاصِ الْفَقْرِ أَقْدَارَ الْعَالِيَةِ ، فَيَسْتَطِيعُ مِنْ لَهُ ثَوْبِينَ أَنْ يَضُمَّ إِلَيْهِ أَكْرَمُ الْعَاقِلِ الْكَرِيمَةِ عَلَى قَوْمِهَا بِمَا لَهُ مِنْ إِسِيرٍ غَنَى وَإِنْ اتَّضَعَ لِسَبِّهِ .
 (٧) « مَشِيبٌ » .
 (٨) الْخُنْزَوَانَةُ : الْكَبَرُ .
 (٩) « أَكَانَ » .
 (١٠) السَكَيْتُ : الَّذِي يَمْحَى ، آخِرُ خَيْلِ الْحَلْبَةِ .

الليلة الثالثة عشرة^(١)

(٢) فلما حضرت ليلةً أخرى قال : هات . قلتُ : إن الكلام في النفس صعب ، والباحثون عن غيبها وشهادتها وأثرها وتأثيرها في أطراف متناوذة^(٣) وللنظر فيهم مجال ، وللولم عليهم سلطان ، وكلُّ قد قال ما عنده بقدر قوته ولحظه ، وأنا آتي بما أحفظه وأرويه^(٤) ، والرأى بعد ذلك إلى العقل الناصح والبرهان الواضح .

قال بعض الفلاسفة : إذا تصفّحتنا أمرَ النفس لحفظناها^(٥) تفعل بذاتها من غير حاجة إلى البدن ، لأن الإنسان إذا تصوّر بالعقل شيئاً فإنه لا يتصوره بآلة كما يتصور الألوان بالعين والروائح بالأنف ، فإن الجزء الذي فيه النفس من البدن لا يسخن ولا يبرد ولا يستحيل من جهة [إلى]^(٦) أخرى عند تصوّره بالعقل ، فيظنّ الظانّ منّا أنّ النفس لا^(٧) تفعل بالبدن ، لأنّ هذه الأمور ليست بجسم ولا أعراض جسميّة .

وقد تعرف النفس أيضاً الآت من الزمان والوحدة واليقظة ، وليس لأحد أن يقول : إن النفس تعرف هذه الأشياء بحسّ من الإحساس ، ففعل النفس

(١) يلاحظ أننا ذكرنا في الليلة السابقة أنّها الليلة الحادية عشرة ، والصواب أنها ليلتان الحادية عشرة والثانية عشرة ، كما يتبين ذلك من قوله : « في ص ١٩٥ س ١٠ : « ولما قرأت هذا الفصل على الوزير كتب الله كل شأني له في ليلتين » ولهذا جعلنا هذه الليلة الثالثة عشرة .

(٢) متناوذة ، أى متقابلة .

(٣) « وأرومه » .

(٤) « لحفظها » .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٦) في الأصل : « إنما » والتعليل الآتي بعد يقتضى أداة النفي كما أميتنا .

إذن يفارق البدن ، وتأليف البرهان أن يكون على أن يقال : للنفس أفعال تخصها خلوة من البدن ، مثل التصور بالعقل ، وكل ما له فعل يخصه دون البدن فإنه لا يفسد بفساد البدن عند المفارقة .

وقال أيضا : وجدنا الناس متفقين على أن النفس لا تموت ، وذلك أنهم يتصدقون عن موتاهم ، فلو أنهم يتصورون أن النفس لا تموت ، ولكنها تنتقل من حال إلى أخرى إما إلى خير وإما إلى شر ؛ ما كانوا يستغفرون لهم ، وما كانوا يتصدقون على موتاهم ويزورون قبورهم .

وقال أيضا : النفس لا تموت ، لأنها أشبه بالأمر الإلهي من البدن ، إذ كان يدبر البدن ويرأسه .

والله جلّ وعزّ المدبر لجميع الأشياء ، والرئيس لها . والبدن أشبه شيء بالشيء الميت من النفس إذ كان البدن إنما يحيا بالنفس .

وقال أيضا : النفس قابلة للأضداد ، فهي جوهر ، فالفائدة أن النفس جوهر .

وقال : النفس ليست بهيولى ، فلو كانت هيولى لكانت قابلة للعظم ، فليست النفس إذا بهيولى .

وقال : ليست النفس بجسم ، لأن النفس نافذة في جميع أجزاء الجسم الذي له نفس ، والجسم لا ينفذ في جميع أجزاء الجسم ^(١) ؛ ولا هيولى ، لأن النفس لو كانت هيولى لكانت قابلة للمقادير والعظم ^(٢) ، وفائدة هذا أن النفس جوهر على طريق الضرورة .

(١) « النفس » .

(٢) يلاحظ أن هذا الكلام مكرر مع ما سبق من قوله : النفس ليست بهيولى الخ .

وقال آخر : حركة كل متحرك تنقسم قسمين : أحدهما من داخل ، وهو
قسمان : قسم كالطبيعة التي لا تسكن البتة ، كحركة النار مادامت نارا ، وقسم هو
كحركة^(١) النفس تهيج أحيانا وتسكن أحيانا ، وكحركة جسد الإنسان التي تسكن
إذا خرجت نفسه وصار جيفة .

والقسم الآخر من خارج ، وهو قسمان : أحدهما يدفع دفعا كما يدفع السهم
ويُطْلَقُ عن القوس ، والآخر يُجَرُّ جُرًّا كما تُجَرُّ العجلة والجيفة .

وقال : فنقول : ليس يَخْفَى أَنَّ جسدنا ليس مدفوعا دفعا ولا مجرورا جُرًّا
و[لنا]^(٢) كان كل مدفوع أو مجرور متحرك من خارج متحرك كما لا محالة
من داخل ، فالجسد إذن متحرك من داخل اضطرابا .

وقال : إن كان جسدنا متحرك كما من داخل ، وكان كل متحرك من داخل
إما متحرك كما حركة طبيعية لا تسكن ، وإما نفسية تسكن .

فليس^(٣) يَخْفَى أَنَّ حركة جسد الإنسان ليست بدائمة لا تسكن ،
بل ساكنة [لا]^(٤) تدوم ، وكانت حركة كل ما سكنت حركته فلم تدم ليست
حركة طبيعية لا تسكن ، بل نفسية من قبل نفس متحركة وتحسسه .

وقال : إن كانت النفس هي التي تُعْجِي الإنسان وتحركه ، وكان كل
متحرك يحركه غيره حيا قائما موجودا ، فالنفس إذا حية قائمة موجودة .

وقال أيضا : النفس جوهر لا عرض ، وحدّ الجوهر أنه قابل للأضداد
من غير تغيير ، وهذا لازم للنفس ، لأنها تقبل العلم والجهل ، والبر والفجور

(١) « حركة » .

(٢) هذه الكلمة سائطة من الأصل .

(٣) في الأصل : « وقال ليس » . والظاهر أن قوله : « وقال » زيادة من الناسخ .

(٤) لم ترد هذه الكلمة في الأصل .

والشجاعة والجلب ، والعفة وضدّها ، وهذه أشياء أضداد ، من غير أن تتغيّر في ذاتها ، فإذا كانت النفس قابلةً لحدّ الجهر ، وكان كلُّ قابلٍ لحدّ الجوهر جوهرًا فالنفس إذا جوهر .

وقال : قد استبان أن النفس هي المحيية الحركة للجسد الذي هو الجوهر و[لما] كان كلُّ محيٍّ محركًا للجوهر جوهرًا فالنفس إذا جوهر .

وقال : لا سبيل أن يكون المُحيي الحركة جوهرًا ويكون المحيى الحركة غير جوهر ، فإذا كانت هي المحيية الحركة للجسد ، وكان لا يمكن أن يكون المحيى الحركة للموجود غير موجود ، فالنفس إذا لا يمكن [أن تكون^(١)] غير موجودة .
وقال : إن كانت النفس بها قوَى وحياة الجسد ، فيمتنع أن يكون قوامها بالجسد ، بل بذاتها التي قامت بها حياة الجسد .

وقال : إن كانت النفس قائمة بذاتها التي قامت بها حياة الجسد ، فما كان قائمًا بذاته فهو جوهر ، فالنفس إذا جوهر .

وقد أملى علينا أبو سليمان كلامًا في حديث النفس هذا موضعه ، ولا عذر في الإمساك عن ذكره ليكون مضمومًا إلى غيره ، وإن كان كلُّ هذا لم يجز على وجهه بحضرة الوزير — أبقاه الله ومد في عمره — لكن الخوض في الشيء بالقلم مخالف للإفاضة باللسان ، لأن القلم أطولُ عِنا من اللسان ، وإفشاء^(٢) اللسان أخرج من إفشاء القلم ، والفرض كله الإفاضة ، فليس يكثر الطويل .

قال : ينبغي أن نعرف باليقظة التامة أن فينا شيئًا ليس بجسم له مدّات ثلاث : أعنى الطول والعرض والسّمك ، ولا يجزأ من جسم ولا عرض من

(١) هذه العبارة أو ما يقيد معناها ساقطة من الأصل . والسياق يقتضى إثباتها .

(٢) « وقضاء » .

الأعراض ، ولا حاجة به إلى قوة جسميّة ، لكنّه جوهر مبسوط غير مُدرك بحسّ^(١) من الإحساس . ولما وجدنا فينا شيئا غير الجسم وضدّ أجزائه بحدّته وخاصّته ، ورأينا له أحوالا تُباين أحوال الجسم حتّى لا تُشارك في شيء منها وكذلك وجدنا مباينته للأعراض ، ثم رأينا منه هذه المباينة للأجسام والأعراض إنّما هي من حيث كانت الأجسام أجساما والأعراض أعراضا ؛ قضينا أنّها هنا شيئا ليس بجسم ولا جزء من الجسم ، ولا هو عرض ، ولذلك لا يقبل التغيّر ولا الحيلولة ، ووجدنا هذا الشيء أيضا^(٢) يطلع على جميع الأشياء بالسواء ولا يباله فتور ولا ملال ، ويتضح هذا بشيء أقوله : كلّ جسم له صورة فإنّه لا يقبل صورة أخرى من جنس صورته الأولى البتّة إلّا بعد مفارقتها الصورة الأولى ، مثال ذلك أنّ الجسم إذا قبل صورة أو شكلا كالتثليث ، فليس يقبل شكلا آخر من التربيع والتدوير إلّا بعد مفارقة الشكل الأول . وكذلك إذا قبل نقشا أو مثالا فهذا حاله ، وإن بقي فيه من رسم الصورة الأولى شيء لا يقبل الصورة الأخرى^(٣) على النظم الصحيح ، بل تُنقش فيه صورتان ، ولا تتمّ واحدة منهما ، وهذا يطرّد في السَّمْع^(٤) وفي الفضة وغيرها إذا قبل صورة تُنقش في الخاتم ؛ ونحن نجد النفس تقبل الصوَر كلّها على التمام والنظام من غير نقص ولا عجز ، وهذه الخاصّة ضدّ الخاصّة الجسم ، ولهذا^(٥) يزداد الإنسان بصيرة كلّما نظر وبحث وأرتأى وكشّف .

(١) « يحسّ » .

(٢) هذه الكلمة وردت في الأصل في غير موضعها اللاتق بها من العبارة ؛ والسياق يقتضى وضعها في هذا الموضع .

(٣) « الأولى » .

(٤) « السمع » .

(٥) « ولها ما » .

ويتضح أيضا عن كُتُب^(١) أن نفس ليست بعرَض ، لأنَّ العَرَض لا يوجد إلَّا في غيره ، فهو محمول لا حامل وليس هو قِوَامًا ، وهذا الجوهر الموصوف بهذه الصفات هو الحامل لما لها أن تَحْمِلَ ، وليس له شبه من الجسم ولا من العَرَض .

وكان يقول : إذا صدق النظر ، وكان الناظر جاريًا من الهوى ، وصحَّ طلبه للحق بالعشق الغالب ، فإنه لا يخفى عليه الفرق بين النفس المحرَّكة للبدن ، وبين البدن المتحرِّك بالنفس .

قال : ولما عرضت الشبهة لقوم قصر نظرهم ، ولم يكن لهم لحظ ولا أطلاع فظنوا أنَّ الرباط الذي بين النفس والبدن إذا انحَلَّ فقد بطلَ جميعا .

وهذا ظنٌّ فيه عَسَفٌ ، لأنهما لم يكونا في حال الارتباط على شكل واحد وصورة واحدة ، أعنى أنَّهما تَبَايَنَا^(٢) في تصاحُبهما وتَصاحُبًا في تَبَايُنهما^(٣) .

ألا تَرَى أنَّ البدن كان قِوَامُهُ ونظامُهُ وتَمَامُهُ بالنفس ؟ هذا ظاهر .

وليس هذا حُكْمُ النَّفْسِ في شأنها مع البدن ، لأنها واصلته في الأول عند مسقط النطفة ، فما زالت تربيته وتغذيته وتُحييه وتُسَوِّيه حتَّى بلغ البدنُ إلى ما تَرَى ، ووُجِدَ الإنسانُ بها ، لأنَّ النفس وحدها ليست بإنسان ، والبدن وحده ليس بإنسان ، بل الإنسان بهما إنسان ، فإذا الإنسان نصيبه من النفس أكثر من نصيبه من البدن .

وهذه السكثرة توجد في الأول من ناحية شرف النفس في جوهرها ، وتوجد في الثاني من جهة صاحب النفس الذي هو الإنسان بما يستفيذه من المعارف

(١) « ونصح أيضا عن كسب » .

(٢) « تباينا » .

(٣) « تباينهما » .

الصحيحة، ويضمته إلى الأفعال الواجبة الصالحة، فأمر المعارف الصحيحة معرفة الله الواحد الحق باليقين الخالص، وأمر الأفعال الواجبة الصالحة العبادة له والرضوان عنه.

وغاية المعرفة الاتصال بالمعروف، وغاية الأفعال الواجبة الفوز بالنعم والخلود في جوار الله، وهذا هو الصراط المستقيم الذي دعا إلى الجواز عليه كل من رجع إلى بصيرة وآوى إلى حُسن سيرة.

فأما من هو عن هذا كله عم^(١) وعمّا يجب عليه ساء، فهو في قطع النعم، وإن كان متقلّباً في أصناف النعم.

(٢) وكان يقول كثيراً: الناس أصناف في عقولهم: فصنف عقولهم مغمورة بشهواتهم، فهم لا يبصرون بها إلا حظوظهم المعجلة، فلذلك يكذبون^(٢) في طلبها وتثليها، ويستعينون بكلّ وسع وطاقة على الظنّ.

وصنف عقولهم منتهبة^(٣)، لكنّها مخلوطة بسبّات^(٤) الجهل، فهم يحرضون على الخير واكتسابه، ويخطئون كثيراً، وذلك أنّهم لم يكملوا في جيلتهم الأولى وهذا نعت موجود في العباد الجهلة والعلماء الفجرة، كما أنّ النعت الأول موجود في طالبي الدنيا بكلّ حيلة ومحالة.

وصنف عقولهم ذكّية متهبة، لكنّها عميّة عن الآجلة، فهي تدأب في تئيل الحظوظ بالعلم والمعرفة والوصايا اللطيفة والسُّمة الربّانية، وهذا نعت موجود في العلماء الذين لم تثلج صدورهم بالعلم، ولا حقّ عندهم الحق اليقين؛ وقصّروا

(١) « عم » .

(٢) « يكذبون » .

(٣) « منه » .

(٤) « سيئات » .

بن حال أبناء الدنيا الذين يشهرون في طلبها السيوف الحداد ، ويطيلون إلى نيلها سواعد الشداد^(١) فهم بالكيد والحيلة يسعون في طلب اللذة وفي طلب الراحة^(٢) .
وصنف عقولهم مضئئة بما فاء عليها من عند الله تعالى باللفظ الخفي ،
الأصطفاء السنّي ، والأجتهاء الزكي ، فهم يحملون بالدنيا ويستيقظون بالآخرة ؛
تترام حضورا وهم غيّب ، وأشياءا وهم متباينون .

وكل صنف من هؤلاء مراتبهم مختلفة ، وإن كان الوصف قد جمعهم باللفظ .
وهذا كما تقول : « الملوك ساسة » ، ولكل واحد منهم خاصّة » ؛ وكما يقولون :
« هؤلاء شعراء ولكل واحد منهم بحر » ؛ « وهؤلاء بلغاء ولكل واحد منهم
أسلوب » ؛ وكما تقول : « علماء ، ولكل واحد منهم مذهب » .

وعلى هذا أبو سليمان — حفظه الله — إذا أخذ في هذا الطريق أطرب ،
لسعة صدره بالحكمة ، وفيص صوبه من المعرفة ، وصحة طبيعته بالفطرة .

وقال : إنّا بعد هذا المجلس تركنا صنفاً لم نرسمه بالذكر ، ولم نعرض له^(٣)
بالاستيفاء ، وهم الهمج الرّاع الذين إن قلت : « لا عقول لهم » كنت صادقا ، وإن
قلت : « لهم أشياء شبيهة بالعقول » كنت صادقا ؛ إلا أنهم في العدد ، من جهة
النسبة العنصريّة والجبلة الطينيّة والفطرة الإنسيّة ، وفي كونهم في هذه الدار عمارة
لها ومصالح لأهلها ؛ ولذلك قال بعض الحكماء : « لا تسبوا الفوغاء فإنهم يُخرجون
الغريق ويُطفئون الحريق ويُؤنسون الطريق ويشهدون الشوق » .

فضحك — أضحك الله ثغره ، وأطال عمره ، وأصلح شأنه وأمره — فقال :

(١) « السداء » .

(٢) « البرحة » .

(٣) « عليه » .

وكالإشارة في الحلم ، وليست حلما ولا أُنْتَبَها في الحقيقة ، لأن هذين نعتان محمودان في عالم السيلان والتبدل ، جاريان على التخيل والتجوز بزوائد لا ثبات لها ونواقص لا مبالاة بها ، رُوحَانِيَّة في رُوحَانِيَّة ، كما يقال : « هذا صفو هذا » ؛ و « هذا صفو الصفو » ومن لحظ هذه الكيفية^(١) وبُوشِر صدره بهذه الحقيقة أَسْتغْنَى عن رسوم محدودة بألف ولام ، وحقائق مكنونة في عرض الكلام ؛ وإذا جهلنا أشياء هي لأهل الأنس^(٢) بلغات قد فُطروا عليها ، وعبارات أنسوا بها ، كيف نجد السبيل إلى الإفصاح والإشارة إليها .

فهذا باب واضح ، والطمع في نيله نازح ؛ وإذا كان التمثال صعبا^(٣) في الموضع الذي عمدنا إليه ، فكيف يكون حالنا في البحث عما في حيز الالوهية وبمحبوبة الربوبية ، ولا كون هناك ولا ما نسبته للكون ؛ وأقوى ما في أيدينا أن نتعلل بالوجود ، فالموجود والوجدان والجود ، وهذه كلها غليظة بالإضافة إلينا وفوق الدقيقة بالإضافة إلى أعيانها .

قلّ هذا ، الصمت أوجد للراد من النطق ، والتسليم أغفر بالبغيه من البحث .

قال البخارى^(٤) : فشئ كهذا^(٥) بدقيقه وإشكاله ، وغموضه وخفائه ، كيف يظهر على جبهة بشرية وبنية طينية وكتمة مادية وكيفية عنصرية ؟ .

فقال : يا هذا ، إنما يشع من هدم السكينة على قدر ما أستودع صاحبها من

(١) « الكفة » .

(٢) يريد الأنس بمعرفة الله . وفي الأصل « أندلس » .

(٣) « صفا » .

(٤) البخارى ، هو أبو العباس البخارى تلميذ أبي سليمان النطقى وصديقه ، كثير السؤال والمجادلة له ، كما يتبين مما حكاه أبو حيان عنه في المقالات .

(٥) « فقا هذا » .

قد جرى في حديث النفس أكثر مما كان في النفس ، وفيه بلاغ إلى وقت ، وأظن الليل قد تغطى^(١) بصلبه ، وناء بكلكله ؛ وانصرفت .

الليلة الرابعة عشرة

(١) ومَرَّ بعد ذلك في عرض السَّمر : ما تقلدَ أمرؤُ قِلادةً أفضلَ من سَكينة .
 فقال : ذَكَرْتَنِي شَيْئاً كُنْتُ مَهْتَباً بِهِ قَدِيماً ، وَالْآنَ قَرَعْتَ إِلَى بَابِهِ ؛ مَا السَّكِينَةُ ؟
 فَإِنِّي أَرَى أَصْحَابَنَا يَرُدُّونَ هَذَا الْأَسْمَ وَلَا يَبْسُطُونَ الْقَوْلَ فِيهِ . فَكَانَ مِنَ الْجَوَابِ :
 سَأَلْتُ أَبَا سَلِيمَانَ عَنِ السَّكِينَةِ مَا هِيَ ؟ فَقَالَ : السَّكَاةُ كَثِيرَةٌ : طَبِيعِيَّةٌ ، وَنَفْسِيَّةٌ
 وَعَقْلِيَّةٌ ، وَإِلَهِيَّةٌ . وَمَجْمُوعَةٌ مِنْ هَذِهِ بِأَنْصِبَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَمَقَادِيرٍ مُتَفَاوِتَةٍ وَمَتَبَاعِدَةٍ .
 وَالسَّكِينَةُ الطَّبِيعِيَّةُ اعْتِدَالُ الْمَزَاجِ بِتَصَالِحِ الْأُسْطَقْسَاتِ ، تَحْدِثُ بِهِ لِصَاحِبِهِ
 شَارَةً تُسَمَّى الْوَقَارَ ، وَيَكُونُ لِلْعَقْلِ فِيهَا أَثَرٌ بَادٍ ، وَهُوَ زِينَةُ الرِّثْوَاءِ الْمَقْبُولِ .
 وَالسَّكِينَةُ النَّفْسِيَّةُ مِمَّا تَلَّةُ الرِّوَايَةِ لِلْبَدِيهِةِ ، وَمَوَاطَاةُ الْبَدِيهِةِ لِلرِّوَايَةِ ، وَقَصْدُ
 النَّيَاةِ بِالْمُهَيْتَةِ الْمُتَنَاسِبَةِ ، يَحْدِثُ بِهَا لِصَاحِبِهَا تَمَتُّ ظَاهِرٌ وَرُتُونٌ دَائِمٌ وَإِطْرَاقٌ
 لَا أُجُومُ^(٢) مَعَهُ ، وَغَيْبَةٌ لَا غَفْلَةٌ مَعَهَا ، وَشَهَامَةٌ^(٣) لَا طَيْشٌ فِيهَا .
 وَالسَّكِينَةُ الْعَقْلِيَّةُ حُسْنُ قَبُولِ الْأَسْتَفَاضَةِ بِنِسْبَةِ تَامَةٍ إِلَى الْإِفَاضَةِ ؛ وَمَعْنَى
 هَذَا أَنَّ الْقَابِلَ مُسْتَفَرِّقٌ بِقُوَّةِ الْمَقْبُولِ مِنْهُ ، وَبِهَذِهِ الْحَالِ يَحْدِثُ لِصَاحِبِهَا هَدًى
 يَشْتَمِلُ عَلَى وَزْنِ الْفِكْرِ فِي طَلَبِ الْحَقِّ مَعَ سَكُونِ الْأَطْرَافِ فِي أَنْوَاعِ الْحَرَكَاتِ .
 وَالسَّكِينَةُ الْإِلَهِيَّةُ لَا عِبَارَةَ عَنْهَا عَلَى التَّحْدِيدِ ، لِأَنَّهَا كَالْحُلْمِ فِي الْإِتْبَاهِ

(١) يشير إلى قول امرئ القيس يخاطب الليل :

فقلت له لِمَا تَمَطَّى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل
 كنى بذلك من طول الليل .

(٢) « وجوم » .

(٣) « وشهامة » .

نور العقل ، وقبس النفس ، وهبة الطبيعة ، وصحة المزاج ، وحسن الاختيار وأعتدال الأفعال ، وصلاح العادة ، وصحة الفكرة ، وصواب القول ، وطهارة السرّ ومساواته للعلائية ، وغلبته بالتوحد ، وانتظام كلِّ صادر منه ووارد عليه . وهاهنا تتجلى الحيلة البشريّة ، وتتبدّد الحيلة الطليّنية ، وتبيد الكميّة المادّيّة وتنفو الكيفيّة^(١) العنصريّة ، ويكون السلطان والولاية والتصريف والسياسة كلّها لتلك السكينة التي قدّمنا وصفنا لها ، واشتدّ وجدنا بها ، وطال شوقنا إليها ودام تحديقنا نحوها ، وأتصل رُؤُونا إليها ، وتناهت نَجْوانا بذِكْرها .

وهذا هو الخلع الذي سمعتَ بذِكْره ، واللباس الذي سألتَ عنه ، أعنى خلع ما أنت منه إنسان ، وليسَ ما أنت به ملك . [الله] المستغاثُ منكم ، ما أشدّ بلواي بكم ، لِمَ تتحرّكون إلا إلى ما لا سكون لكم فيه ؟ ولِمَ تسألون عمّالا أطلع لكم عليه ؟ سلوا ربكم أعيناً بصيرة ، وآذاناً واعية ، وصدوراً طاهرة ، وقوّة متتابة ، فإنكم إذا مُنِحتموها هُديتم لها ، وإذا حُرِمتموها قُطِعتم دونها ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله .

قال البخارى : وقد تركنا يا سيّدنا حديث السكينة المجموعة من هذه الجملة بأنصباة مختلفة .

فقال : لا عجب أن يُنشأ العالمُ بكلِّ ما فيه في هذه الحومة^(٢) التي لُذنا بها وحاولنا الوصولَ إليها ؛ وأى شيء أعجَب^(٣) في هذا المقام ، رسم أو قوام ، أو ثبات أو دوام ، إلا^(٤) له نصيب من عناية الله تعالى الكريم .

(١) « الكمية » .

(٢) « الحومة » .

(٣) عبارة الأصل : « أعجب له » ، ويلوح أن قوله « له » زيادة من الناسخ .

(٤) عبارة الأصل : « إلا ماله » وقوله : « ما » زيادة من الناسخ .

نعم ، والسكينة المجموعة من كل ما سلف القول فيه تقاسمها نوع الإنسان بالزيادة والنقصان ، والعموض والبيان ، والقلة والكثرة ، والضعف والقوة ، وهذا يتبين بأن تقسيم الطيش والحدة والمجلة والخفة على أحبابها ، فتجد التفاتاً ظاهراً .

وكذلك إذا قسمت الهدوء والقرار والسكون والوقار على أهلها ، فإنك تجد التباين مكشوفاً والاختلاف ظاهراً .

ثم قال : أما السكينة التي هي في أعلى المراتب فهي لأشخاص هم فوق البشر ، وليس لهم نسبة من الخلق إلا الخلقة الحسنة والعشرة البشرية ، وإلا فهم في ذروة عالية ، ومحلة إلهية .

قال : وأما السكينة التي تلي هذه فهي للأنبياء على اختلاف حظوظهم منها لأنها مراتب تنقسم بين المنام واليقظة انقساماً متفاوتاً بالعرض الحامل للصدق والتشبيه بالصدق ، وللحق وللقرب من الحق ، وللصحيح والتألي للصحيح ، ثم يختلف بيانهم عن^(١) ذلك بالتمريض والإيضاح ، والكناية والإفصاح ، والتشبيه والاستعارة .

قال : فأما السكينة التي تتلو هذه فهي التي تظهر على طائفة تخلف الأنبياء ، وذلك أن بقايا قوام يرثها الذين محبوبهم ، واستضاءوا بنورهم ، وفهموا عنهم ، ولقنوا منهم ، ودخلوا في زمرتهم ، وحاكوم في الشئائل والأخلاق ، وسلكوا منهاجهم في القياد والسياق ، وصلحوا سفراء بين الأبدن ، كما كانوا سُبُجَاء^(٢) للأقربين ، وهم الذين يفسرون الغامض ، ويوضحون المشكل ، ويسطرون العلوي ، ويشرحون المكني ، ويبرزون المراد والمعنى ، ويوطدون الأساس ،

(١) « ما بهم على » .

(٢) « سراً » . والسبجاء : الأصدقاء الأصفياء .

ويرفعون الالتباس ، وينفون الوحشة ويحدثون الإيناس .
 وأما السكينة الباقية فهي مفوضة على أتباع هؤلاء بالسَّهام العلوية ، والمقادير
 الصلئية ، والمناسيب العقلية ، من غير جَوْر ولا حَيْف ، ولا انحراف ولا ميل .
 قال البخاري : أهي — أعنى السكينة — فى معنى فاعلة أو مفعولة ؟ فقال :
 القضاء أمرض ^(١) مما تظن ، وإن كان فى غاية العرض ؛ والذروة أعلى من أن
 ترام وإن كان الإنسان يطلبها بالبسط والقبض .
 هى بوجه فى معنى فاعلتها إذا شعرت بتأثيرها ، وبوجه آخر فى معنى مفعولة إذا
 شعرت بتأثرها .

وبوجه آخر ، ليست من هذين القبيلين فى شىء إذا لحظتها فى معانيها قبل
 تأثيرها وتأثرها ، وأنت تعتبر حد الفاعل والمفعول من شكل اللفظ ووزن الترتيب ،
 بشائع العادة وقائم العرف ، والسكينة وراء هذا كله بالحق والواجب والصحة والتمام
 فإنها صراط الله للمخصوصين بالاستقامة عليه ، فإذا شهدت الخصوص بها كانت
 عبارتك عن الملحوظ منها مشاكلةً لعبارتك عن أخلاق رضىة وأحوال مرضية ،
 وإذا شهدت ذلك المعنى من معانى الحق كانت عبارتك متلجلجة لا نظام لها
 ولا تعادل ولا أتساق على العادة الجارية والحال الطارئة ؛ فأحق ما ينبغى لطالب
 الحكمة واللائذ بهذه الحومة أن يبحث وينظر ، ويكشف وينقّر ، ويستقصى ويستبصر ^(٢)
 ويسأل ويستبصر ؛ حتى إذا بلغ هذه الآفاق ، وشهد هذه الأعلام ، ووجد الصواب
 الذى لا شوب فيه ، وصادف اليقين الذى لا ريب معه ، وعرف الاستبانة التى تنفى
 عن البيان ، وذاق المعنى الذى هو فوق العيان ، أمسك واتمى ، ووقف واستغنى

(١) « القضاء أغض » .

(٢) « ويصبر » .

لا لِعَرَضٍ ظلامٍ غَشِيَةٍ ، ولكن لسلطانٍ شُعاعٍ مَلَكَةٍ ؛ لأن ذلك النور محيط بكل شيءٍ دونه ، ومستَوِلٍ على كلِّ شيءٍ تحته .

وكان يقول في هذا الفن إذا جدَّ به الكلام وبدأ منه المكتوم وشرد عنه الخاطر ما لا يُوعَى بحفظ ، ولا يُروى بلفظ .

وإنما كان أصحابنا ينتظرون منشوره بهذه الحروف لفظاً لينظموا منه شذراً وعقداً ، وكانوا إذا تلاقوا اشتروا في تقويم ذلك كله ، وتعاونوا على تحبيره ، وتصادقوا [على] مفهومهم منه ، وتجنبوا المنازعة والشغب عليه ، وأخذوا بالعفو والممكن منه ، لئلا يفوتهم المعنى ، ولا يتحيرون في المنتهى .

(٢) وسأله الأندلسي في هذا المجلس عن الأُمِّ وأحوالها ، ونقصها^(١) وكملها ؛ فقال : اشتريت الأُمِّ في جميع الخيرات والشرور ، وفي جميع المعاني والأمور : اشتراكاً أتى على أول التفاوت ووسطه وآخره ، ثم استبدت كلُّ أمة بقوالب ليست لأختها ، واشتراكهم فيها كالأصول واستبدادهم كالفروع ، وفيما اشتروا فيه الحمود والذموم .

ولم يَجْزُ في الحكمة الإلهية غيرُ هذه القسمة ، لأن الاشتراك لو سبق بلا تفاوت لم يكن اشتراكاً ، والتقسام لو عَرِيَ من الاتفاق لم يكن تقاسماً ، فصار ما من أجله يفرقون ، به يجتمعون ، وما من أجله ينتظمون ، به ينتثرون .

فعلى هذا اشتروا في الأخلاق واللغات ، والعقائد والصناعات ، وجرَّ المنافع ودفع التضرَّات ، مع اختلافهم فيها بنوع ونوع .

ألا ترى أنَّ لغة الهند غيرُ لغة الروم ، وكذلك الصناعة والمقيدة وما يجري مجراها ، إلا أنَّهم مع هذه الأصول والقواعد تقاسموا أشياء بين الفطرة والتبني ،

(١) « ونقصها » .

وبيّن الاختيار والتقدمة ، فصار الاستنباط والغوص والتنقيب والبحث والاستكشاف والاستقصاء والفكر [ليونان^(١)] والوم والحُدس والظن والحيلة والتحيل والشعبنة [لهند^(٢)] والحصافة^(٣) واللفظ والاستعارة والإيجاز والأتساع والتصرف والسّحر باللسان للعرب ؛ والروية والأدب والسياسة والأمن والترتيب والرسوم والعبودية والثرثورية للفرس .

فأما الترك فلها الشجاعة . والعرب تشاركها إما بالزيادة وإما بالمساواة ؛ وليس للترك بعد هذا حظ ولا دراية إلا بقسط من الظل من الشخص .
والعرب مع منطقتها البارع لها المزية المعروفة على الترك بعد^(٤) في السياسة وإن كانت قاصرة ؛ وأما الزّنج والسودان فغلبت عليها الفسولة وشاكلت البهائم الضعيفة ، كما شاكلت الترك السّباع القويّة .

قيل له : إن أبا زيد قد عمل كتابا في أخلاق الأمم . قال : قد رأيت وقرأته وقد أفاد ، وكل من تكلم على^(٥) طريقة الحكماء الذين يتوخّون من الأمور لبابها ، ويصرفون عنها قشورها ، فله السابقة والتقدّم على من يخطئ كفلان وفلان . ومن جحد بلاغة العرب في الخطابة وجوّلائها كل مجال وتميّزها باللسان فقد كابر ، ومن أنكر تقدّم يونان في إثارة المعاني من أماكنها وإقامة الصناعات بأسرها ، وبحثها عن العالم الأعلى والأوسط والأسفل فقد بهت .
ومن دفع مزية الفرس في سياستها وتديراتها وترتيب الخاصة والعامة بحق مالها وعليها فقد عاند .

(١) يلوح لنا أن هاتين الكلمتين اللتين بين مربعين ساقطتان من الأصل كما يدل على ذلك ما يأتي بعد من قوله : « ومن أنكر تقدم يونان في إثارة المعاني » إلخ كما يدل عليه أيضاً كلام سبق في المفاضلة بين العرب وغيرهم من الأمم في أوائل هذا الجزء .

(٢) « والحصافة » .

(٣) كلمة « في » زيادة منا يدل عليها المعنى .

(٤) في الأصل « غير طريقة » .

وهكذا مَنْ دفع ما للهند ، فليس من شخص وإن كان زريًا قميثًا إلا وفيه
مِرَّةٌ كامنٌ لا يَشْرُكُه فيه أحد ، وإذا كان هذا في شخص على ما قلنا ، فكيف
إذا نظرتَ إلى ما يحويه النوع . وهكذا إذا أرتقيتَ إلى الجنس ، وهذا لأن
عَرَضَ الجنس أوسعُ من عَرَضِ النوع ، كما أن عَرَضَ النوع أوسعُ من عَرَضِ
الشخص ، وليس دون الشخص تحت ، كما أنه ليس فوق الجنس فوق ^(١) . وأما
انقسام هذه الثلاثة على هذا فليكون فضاء العالم غاصًا بالطرف والوسط والأفق
وليكون سَجًّا بالغًا من المصدر إلى المورد .

وعلى هذا لولا الجنس لم يُوجد نوعٌ ، ولولا النوع لم يوجد شخص .
وكذلك العكس .

قال أبو سعيد الطيب : ألعالم العلويُّ أجناس وأنواع وأشخاص ؟ قال :
كيف يخلو العالم العلويُّ من هذا التقسيم ، وإنما هذا الذي لحقنا في العالم السفلي
حكايه ذلك العالم العلويِّ حَذَوِ النمل بالنمل والقُدَّة بالقُدَّة . فقال له مستزيذا :
فهل في البسائط الإلهية أجناس وأنواع وأشخاص ؟ فقال : لا ، إلا أن يتخذ
شيءٌ من هنالك قراره في معارض العالم السفليِّ بقوة العالم العلويِّ ، وذلك كالبرق
إذا خَطَفَ ، والتسيم إذا لطف .

قال : فهل ينال البسائط نقصٌ بالإخبار بالأجزاء المركبة عنها كما ينال
المرَكِّبات كمالٌ بالأجزاء البسيطة عنها ؟

فقال ، لا ، لأن ماعلا يؤثر ولا يقبل التأثير ؛ وما سفلي يتأثر . ألا ترى أن
ماعلا من الكواكب لا يتصل بشيء دونه ، وما سفلي منها يتصل بما علا عنه .
وقال له أيضا : إذا قلنا : الرُّوحانيات ، فإذا ينبغى أن يُلاحظ منها ؟ فقال : (٤)

(١) تحت .

الروحانيات على أقسام ؛ فقسم منها متبدّد في المركّبات من الحيوان والجماد ، وقسم منها مكثّف للحيوان والجماد ، وبحسب هذا الأكتناف هو أبسط وألطف من القسم الأوّل المتبدّد ؛ وقسم منها فوق القسم المكثّف ، وهو الذي منه مادّة المحيط ؛ وقسم آخر فوق هذا الممتدّ ، ثم فوق هذا ما لا يملكه وهم ، ولا يُدرّكه فهم ؛ وذلك أنه في جناب القدس وحيث لا مرّام لشيء من قوَى الجنّ والإنس .

(٥) وسألت أبا سليمان فقلت : إن عليّ بن عيسى الرّمانيّ ذكر أن التمكن من القبيح قبيح ، لأن التمكن من الحسّن حسن . فلو كان التمكن من القبيح قبيحا مع كونه من الحسّن حسنا كان حسنا قبيحا ؛ وهذا تناقض ؛ كيف صحّة هذا الذي أومأ إليه ؟

فقال : أخطأت ^(١) ، لأن التمكن وحده اسم مجرد لشيء محدّد ، والأسماء المحدّدة دلالتها على الأعيان لا على صفات الأعيان أو ما يكون من الأعيان أو ما يكون في الأعيان .

والتمكن معتبرا يضاف إليه ويناط به ، فإن كان من القبيح فهو قبيح لأنه علّة القبيح ، وإن كان من الحسّن فهو حسن لأنه سبب الحسّن .

وهذا كما تقول : هذا الدرهم نافع أو ضار ؟ فيقال : إن صرفته فيما ينبغى فهو نافع ، وإن أتقته فيما لا ينبغى فهو ضار ، وكذلك السيف في الآلات ، وكذلك اللفظ في الكلمات ، والإضافة قوّة إلهيّة سرت في الأشياء سريانا غريزيا قاهرا متملكا قاسرا ، فلا جرم لا ترى حسيا أو عقليا أو وهما أو ظنيا أو علميا أو عرقيا أو عمليا أو حلميا أو يقظيا إلا والتصاريف سارية فيها ، والإضافة حاكمة عليها . وهذا لأن الأشياء بأسرها مصيرها إلى الله الحق ، لأن مصدرها من الله

الحق ، فالإضافة لازمة ، والنسبة قائمة ، والمشابهة موجودة . ولولا إضافة بعضنا إلى بعض ما أجتمعنا ولا أفرقنا ، ولولا الإضافة يبقنا الغالبة علينا ما تفاهمنا ولا تعاوننا .

قال : إذا كنا بالتضاييف نتوالى ، فبأى شيء بعده نتمادى ^(١) ؟ قال : هذا أيضا بالإضافة ، لأن الإضافة ظل ، والشخص بالظل يأناف ، وبالظل يختلف . وقال : ويزيدك بيانا أن العدم والوجود شاملان لنا ، سائران فينا فبالوجود نتصادق ، وبالعدم نتفارق .

وسأل ^(٢) مرة عن الطرب على الفناء والضرب وما أشبههما .
(٦) فكان من الجواب : قيل لسقراط فيما ترجمه أبو عثمان الدمشقي . لم طرب الإنسان على الفناء والضرب ؟ فقال : لأن نفسه مشغولة بتدبير الزمان من داخل ومن خارج ، وبهذا الشغل هي محجوبة عن خاص مآلها

فإذا سمعت ألفناء أنكشف عنها بعض ذلك الحجاب ، فتحنت إلى خاص مآلها من المثالات الشريفة والسعادات الروحانية من بعد ذلك العالم ، لأن ذلك وطنها بالحق .

فأما هذا العالم فإنها غريبة فيه ، والإنسان تابع لنفسه ، وليست النفس تابعة للإنسان ، لأن الإنسان بالنفس إنسان ، وليست النفس نفسا بالإنسان ، فإذا طربت النفس — أعنى حنت ولحظت الروح الذى لها — تحركت وخفت فأرتاحت واهتزت .

ولهذا يطرح الإنسان ثوبه عنه ، وربما مرّقه كأنه يريد أن ينسل من إهابه

(١) « تنقاد » .

(٢) سأل ، أى الوزير .

أنه لا بدن له ، فيكون له عَرَضٌ ، والعَرَضُ كله للممكن بالنعمة الذي سلف من الكثرة والقلة والمساواة .

ولهذا تعلقت التكاليف به في ظاهر الحال وبادئ الأمر وعارض الشان ، وأستولى الوجود عليه بباطن الحال وخفى الأمر وراتب^(١) الشان . لكن هذا الفصل الذي اشتمل على الظاهر والباطن ليس ينكشف للحس كما ينكشف للعقل .

ولما كنا بالحس أكثر — وإن كنا لا نخلو في هذه الكثرة من آثار العقل — لزمنا الاعتراف بعوائد الممكن وعلائقه ، والعمل عليه ، والرجوع إليه إذا أمرنا أو نهينا أو ائتمرنا [أو اتهمنا]^(٢) .

ولما ظهر لنا بإزاء هذا الذي كنا به أكثر أن لنا شعبا آخر نحن به أقل وهو العقل يشهد لنا بأن صورة الوجوب أستولت من مبدأ الأمر إلى منقطعه الذي هو في عَرَضِ الواجب إلى آخر المتنوع .

وكما لزمنا الاعتراف الأول لنكون به عاملين ومستعملين ، ورافعين وواضعين ، ولأئمين ومُلمومين ، ونادمين ومُندمين ؛ كذلك لزمنا الاعتراف بسلطان الواجب الذي لا سبيل إلى عزله ، ولا محيص عن الإقرار به ، ولا فكاك من أطرادِه بنير دافع أو مانع .

واتصل كلامُ ابن عيش على تقطُّع في عبارته التي ما كانت أداته تواتيه فيها ، مع تدقق خواطره عليها ؛ فقال : الرؤيا ظِلٌّ أَلَيَقْظَةُ ، وهي واسطة^(٣) بين

(١) « ورأيت » .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

الذى لصيق به ، أو يُقِلَّت من حصاره الذى حُبِس فيه ، ويهرول إلى حبيبه الذى قد تمجلى له وبرز إليه .

إلا أن هذا المعنى على هذا التضيد إنما هو للفلاسفة الذين لهم عناية بالنفس والإنسان وأحوالها .

وأما غيرهم فطربهم شبيه بما يعترى الطيرَ وغيرها ، وأنصرفت .

الليلة الخامسة عشرة

(١) وجرى مرة كلامٌ فى الممكن ، فحكيتُ عن ابن يعيش الرقى فصلا سمعته يقوله ، لا بأس برسمه فى هذا الموضع ، فإن التشاور فى هذا الحرف دائم متصل وينبغى لنا أن نبحث عنه بكل زحف وخبو^(١) ، وبكل كدٍ وعَفْو .

قال : الممكن شبيه بالرؤيا لا بدن له يستقل به ، ولا طبيعة يتحيز فيها . ألا ترى أن الرؤيا تنقسم على الأكثر والأقل والتساوى ، وكما أن الرؤيا ظلٌّ من ظلال اليقظة ، والظلُّ ينقص ويزيد إذا قيس إلى الشخص ؛ كذلك الممكن ظلٌّ من ظلال الواجب ، فطورا يزيد تشابها للواجب ، وطورا ينقص تشاكها للممتنع ، وطورا يتساوى بالوسط .

قال : والواجب لا عرض له ، لأنه حد واحد ، وله نصيب من الوحدة بدليل أنه لا تغير له ولا حيولة لا بالزمان ولا بالمكان ولا بالحدثان ولا بالطبيعة ولا بالوهم ولا بالعقل ، بل العقل ينقاد له ، والطبيعة تسلم إليه ، والوهم يفرق منه وصورة الواجب لا يحدسها الظن ، ولا يتحكم فيها تجويز ، ولا يتسلط عليها دامن ولا ناسخ ، وهذا الحكم يطرد على الممتنع ، لأنه فى مقابلته على الضد ، أعنى

(١) « حبو وزحف » .

اليَقَظَة والنوم ، أعنى بين ظهور الحِسِّ ^(١) بالحركة ، وبين خفائه بالسكون .
قال : والنوم واسطة بين الحياة والموت ، والموت واسطة بين البقاء الذى
يتصل بالشهود ^(٢) وبين البقاء الذى يتصل بالخلود .

قال : وهذا نعتٌ على تسهيل اللفظ وتقريب المراد والتصوّر ؛ والثقة شوك
القتاد ، وأزدرأء العَلَمِّ والصاب ، للجواجز القائمة والموانع المعترضة من الإلف
والتمشأ وغير ذلك مما يطول تعديده ويشق أستقصاؤه .

فقال ^(٣) : هذا كلامٌ ظريف ، وما خلتُ أن ابنَ يعيش مع فدامته ^(٤) ،
وَوَخَامَتِهِ يسحب دَيْلَهُ في هذا المكان ، ويُجرى جِوَادَهُ بهذا العِنان .

قلتُ له : إنَّ له مع هذه الحالِ سَرائىَ بَمِيدة ، ومَقاصدَ عالية ، وأطرافاً
من المعانى إذا اعتلقه دَلٌّ عليها ، إما بالبيان الشافى ، وإما بما يكون طريقاً إلى
الوهم الصافى .

وقلتُ : لقد مرَّ له اليومَ شيءٌ جرى بينه وبين أبى الخير اليهودى ^(٥)
أستفيد ^(٥) منه .

قال : وما ذاك ؟ أنثرَ علينا دُرَرَ هذه الطائفة التى نميل إليها بالأعتقاد
وإن كنّا نقع دونها بالأجتهاد ؛ ونسأل الله أن يرحمَ ضَعْفَنَا الذى منه بُدِئْنَا ^(٦)
وبدَّلْنَا قوَّةَ بها نَجِدُ قُرْبَنَا فى آخرنا .

(١) « والحركة » .

(٢) « بالشهود » .

(٣) فقال ، أى الوزير .

(٤) « فدامته » باللفاف .

(٥) فى الأصل « ما استفيد » و « ما » زيادة من الناسخ .

(٦) « وورينا » . وبدئنا ، أى خلقنا .

قلت : ذكر أن العقل لا غناء ^(١) له في الأشياء التي تغلب عليها الحيلولة والسيلان والتطوّل ، كما أن الحس لا ينفذ في الأمور التي لا تطوّر لها بالحيلولة والتطوّل ، ولذلك عرفت الحكمة في الكائنات الفاشيات ^(٢) ، وخفيت العلل والأسباب في بدوّها وخفيتها وتبدّدّها وتألّفها ، لكنّ هذا الفرق والخفاء مسلّمان للقُدرة المستعملية والمشيئة النافذة .

قال : ولهذا الترتيب سرٌّ ^(٣) به حسن هذا النعت ، وإليه انتهى هذا البحث وذلك أن خفاء ما خفي بحقّ الأول الحق ، وبدوّ ما بدا من نصيب أطلاق للذي ^(٤) لا يحتمل غير هذا الثقل ، ولو خُفّف عنه هذا للحقّ الإنسان البهائم ، ولو ثقل عليه هذا للحقّ الملائكة ، فكان حينئذ لا يكون إنسانا ، وقد وجب في الأصل أن يكون إنسانا كاملا بالنصب والدأب ، ويمتعض من أن تكون صورة الإنسان عنده معارة ، لأنه في الحقيقة حيوان غير ناطق ، بل يجتهد بسمعه وكده أن يصير إنسانا فاضلا ، ويكون في فضله وكأله ملكا ، أغنى بالمشاكهة الإرادية لا بالمشاكهة النوعية .

قال : وغاية الحكمة منها للباشرين لها أن المعرفة تقف على خيولتها ولسيلانها فقط ، لا على تصفّح أجزائها ، لأن الترتيب فيها يستحيل مع الزمان . ألا ترى أن الرقم على الماء لا صورة له ، لأن صفحة الماء لا ثبات لها ، وكذلك الخطّ في الهواء ، وكذلك الكائنات البائذات ^(٥) لا صورة لها ، لأنها لا ثبات

(١) « غناء » .

(٢) « الفاسدات » .

(٣) « سرّه » .

(٤) « الذي » .

(٥) « البائذات » .

لها ، وأنت إذا وجدت شيئاً لا ثبات له لم تضمّ إليه شيئاً آخر لا ثبات له طمعاً في وقوع الثبات بينهما ، هذا ما لا يدين به وهم ، ولا ينقاد له ظنّ ؛ ولو ساغ هذا لساغ أن يُجمع بين ما له ثبات ، وبين ما له أيضاً ثبات ، فيحدث هناك سَيِّلانٌ وأستحالة .

(٤) وقال : وصِفُ العقلُ بشهادة الحسّ ، كما يكون وصف الحسّ بشهادة العقل إلا أن شهادة الحسّ للعقل شهادة العبد للمولى ، وشهادة العقل للحسّ شهادة المولى للعبد ؛ على أن هاتين الشهادتين لا يطردان ولا يستمرّان ، لأن لكل واحد من الحسّ والعقل تفرّداً بخاصّ ماله ، ولذلك ما وُجد حيوانٌ لا عقل له البتة ، ووُجد في مقابلته حتى لا حسّ له .

ثم قال : بل العقل يحكم في الأشياء الروحانية البسيطة الشريفة من جهة الصوَرِ الرفيعة ، والعلائقُ التي بين المعقولات والحسوسات مانعت العقل ، والعاقل من خلص^(١) الباقيات الخالديات الدائمات القائمات الثابتات من حومة الكائنات الفاسدات البائئات^(٢) المذهبات الحائلات الزائلات المائلات البائئات .

ودخل في هذا التلخيص ضربٌ من الشكّ والتمازى والخصومة والتعاضد والتعنّت إلى اختلاف عظيم ، ووقفتُ عن الحكم بعد اليقين .

(٥) وقال — أدام الله سعاده — ما السَّجِيَّةُ^(٣) ؟ قلت : سمعتُ الأندلسيّ يقول : فلان يَبْشَى على سَجِيَّتِهِ^(٣) ، أى طبعه^(٣) .

(٦) قال : هل يقال : ظفرتُ عليه ؟ قلتُ : قد قال شاعري .

وكانت قريش لو ظفروا عليهم شفاء لما في الصدر والنقص ظاهرُ

(١) « في تخليص » .

(٢) « البائئات » .

(٣) وردت هذه الكلمات الثلاث التي تحت هذا الرقم في الأصل هكذا « البه »

« حسه » . « لفظه » . والتعريف فيها ظاهر .

قال : هذا حسن . قلت : الحروف التي تتعدى إلى الأفعال ، والأفعال التي تتعدى بالحروف ؛ يراعى فيها السماع فقط لا القياس .

هذا كان مذهب إمامنا أبي سعيد ؛ وقد جاء أيضا « ظفر به » ؛ وجاء « سخرت به ومنه » .

ومن لا أتساع له في مذهب العرب يظن أن « سخرت به » لا يجوز وهو صحيح . حكاه أبو زيد .

قال : كيف يقال في جمّل به غدة ؟ فكان من الجواب : جمّل مُنَدَّ . قال : فكيف يُجمع ؟ فكان الجواب بأنه في القياس ظاهر ، ولكن السماع قد كفى . قال الشاعر — وهو خراش بن زهير :

فَقَدْ تَكْمُو^(١) وَلَحْظُكُمُو إِلَيْنَا بِيْطُنٍ عُكَاطَ كَالْإِبِلِ الْغِدَادِ^(٢)
ضَرَبْنَاهُمْ بِيْطُنٍ عُكَاطَ حَتَّى تَوَلَّوْا طَالِعِينَ مِنَ النَّجَادِ
وقال — حرس الله نفسه — من لقبه^(٣) الخُرَيسِيّ إلى أيّ شيء يُنسب ؟
فكان من الجواب : يقال : رجل خُرَاسَانِيّ وخُرَيسِيّ وخُرَاسِيّ، فنُسبت^(٤)
إلى رجل نزلها^(٥) فاشتهرت به .

فقال : القّدال كيف يجمع ؟ فكان من الجواب أن فعّالاً وفعيلاً وفُعّالاً وفعيلاً وأخوات تُجمع في الأقلّ على أفِعة ، يقال : حِمَارٌ وأَحْمَرَةٌ ، وَغُرَابٌ وأَغْرَبَةٌ ، وَقَدَالٌ وأَقْدَلَةٌ ، وَعُمُودٌ وأَعْمَدَةٌ .

(١) في اللسان مادة (غدد) : « عدمتكم ونظرتكم »

(٢) في كتب اللغة مادة (غدد) أن غداداً جمع (غاد) لا جمع سماعي (لُغْد) كما تفيدُه عبارة المؤلف .

(٣) « له » .

(٤) أي نسبت كورة خراسان إلى رجل اسمه خراسان ، كما في كتب اللغة .

(٥) ورد في الأصل بمد قوله « نزلها » هذه الكلمة : « سه » مهملّة الحروف من النقط ؛ ولم نبتين الصواب فيها .

قال : نسيت^(١) أسألك عن المسألة الأولى — أعنى العُرسى — من أين لك تلك الفتيا ؟

فكان من الجواب : قرأته على أبي سعيد الإمام في شرحه كتاب سيدييه .
قال : برزت غليلي ، فإنَّ الحجَّة في مثل هذا متى لم تكن بأهلها كانت متلجلجة .

قال : أنشدني شيئاً نختم به المجلس ، فقد مررت طرائف .
فأنشدته لهُمارة بن عقيل في بنت^(٢) له :

حُبِّكَ يَأْذَاتُ الْأُنَيْفَ الْأَكْشَمَ^(٣) حُبٌّ تَسَاقَاهُ مُشَاسُ^(٤) أَعْظَمِي
وَدَبٌّ بَيْنَ كَبِدِي وَخَزَمِي وَسَاطَهُ^(٥) اللَّهُ بِلَحْمِي وَدَمِي
فَلَيْسَ بِالْمَذْقِرِ وَلَا الْمَكْتَمِ وَلَا الَّذِي إِنْ يَتَقَادَمَ يُسَامِ
لَقَدْ تَزَلَّتْ مِنْ فَوَادِي — فَأَعْلَى — مَنْزِلَةَ الشَّيْءِ الْمُحِبِّ الْمُكْرَمِ
وَانصَرَفُ .

الليلة السادسة عشرة

(١) ثم عُدْتُ وقتاً آخر فقال : كنت حكيت لي أَنَّ العَامِرِي صَنَّفَ كِتَاباً
عنوانه (بِإِقْذَابِ الْبَشَرِ مِنَ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ) ، فكيف هذا الكتاب ؟

قلتُ : هذا الكتاب رأيته بخطه عند صديقنا وتلميذه أبي القاسم الكاتب
ولم أقرأه على العَامِرِي ، ولكن سمعتُ أبا حاتم الرازي يقرؤه عليه ، وهو كتاب

(١) « لست » .

(٢) هذه الكلمة في الأصل مهلة الحروف من التقط .

(٣) الأكسم : المقطوع ، يريد وصفها بصغر الأنف حتى كأنه قد قطع منه جزء .

(٤) اللعاس : كل عظم لا مغ فيه .

(٥) ساطه : خلطه .

تقيس ، وطريقة الرجل قوية ، ولكنه ما أنقذ البشر من الجبر والقدر ، لأن الجبر والقدر اقتسما جميع الباحثين عنهما والناظرين فيهما .

قال : لم قيل الجبر والقدر ولم يُقَلَّ الإيجاب .

فكان الجواب : أن الإيجاب^(١) لغة قوم ، والجبر لغة تميم ، يقال : جبر الله الخلق وأجبر الخلق ، وجبر بمعنى جبل ؛ واللام تماقب الراء كثيرآ .

قال : فتكلم في هذا الباب بشيء يكون غير ما قاله العامري ، واتقد له إن كان الحق فيما ذهب إليه ودل عليه .

فكان من الجواب : أن من لحظ الحوادث والكوائن والصوادر والأوتار من معدن الإلهيات أقر بالجبر وعزى نفسه من العقل والأختيار والتصرف والتصرف ، لأن هذه وإن كانت ناشئة من ناحية البشر ، فإن منشأها الأول إنما هو من الدواعي والبواعث والصوارف والموانع التي تنسب إلى الله الحق ؛ فهذا هذا .

فأما من نظر إلى هذه الأحداث والكائنات والأختيارات والإرادات من ناحية المباشرين الكاسبين الفاعلين الحداثيين اللائمين للمؤمنين المكافئين ، فإنه يعلقها بهم ويُلصِقها برقابهم ، ويرى أن أحدا ما أتى إلا من قبل نفسه وبسوء اختياره وبشدة تقصيره وإيثار شقائه ؛ والملاحوظان صحيحان واللاحظان مصيبان ، لكن الاختلاف لا يرتفع بهذا القول والوصف ، لأنه ليس لكل أحد الوصول إلى هذه الغاية ، ولا لكل إنسان اطلاع إلى هذه النهاية .

فلما وقعت البيئونة^(٢) بين الناظرين بالطبع والنسبة لم يرتفع القال والقيل

(١) « من الإيجاب » ، « ومن » زيادة من الناسخ .

(٢) « السوية » .

من ناحية القول والصفة ، فهذا هذا .

قال — أطلال الله بقاءه — فما الفرق بين القضاء والقدر ؟

فكان من الجواب : أن أبا سليمان قال : إن القضاء مصدره من العلم السابق ، والقدر مؤرده بالأجزاء الحادثة .

فقال : لم ورد في الأثر ؟ : « لا تخوضوا في القدر فإنه سرُّ الله الأكبر » .

فكان من الجواب : أن أبا سليمان قال لنا في هذه الأيام . إن الناموس ينطق بما هو أستاذ صلاح عالم ، ليكون النفع به شائماً في سكون النفس وطيب القلب وروح الصدور .

فإن كان هذا هكذا فقد وضح أن حكمة هذا السرِّ طيبة ، لأن عجز الناظرين يفضي بهم إلى الحيرة ، والحيرة مضلة ، والمضلة هلكة . وإذا كانت الراحة في الجهل بالشئ ، كان التعب في العلم بالشئ ، وكما علم لو بدا لنا لكان فيه شقاء عيشنا ، وكما جهل لو ارتفع منا لكان فيه هلاكنا ؛ [والعلم] ^(١) والجهل مقسومان بيننا ومفوضان علينا على قدر احتمال كل واحد منا للذي سبق إليه وعلق به ، ألا ترى أن علمنا لو أحاط بموتنا متى يكون ؟ وعلى أي حال تحدث العلة ^(٢) أو المحنة أو البلاء ؟ لكان ذلك مفسدة لنا ، ومحنة شديدة علينا .

فأنظر كيف زوى الله الحكيم هذا العلم عنا ، وجعل الخيرة فيه لنا . ألا ترى أيضاً أن جهلنا لو غلب علينا في جميع أمورنا لكان فساد ذلك في عظم الفساد الأول ، والبلاء منه في معرض البلاء المتقدم ، فمن هذا الذي أشرف على هذا الغيب المسكون والسر الخزون فينفل عن الشكر الخالص ، والاستسلام الحسن ، والبراءة من كل حول وقوة .

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

(٢) في الأصل : « أو العلة » ، « وأو » زيادة من الناسخ .

فالأستعداد ممن له الخلق والأمر ، أغنى الإبداء والتكليف ، والإظهار والتشريف ، والتقدير والتصريف .

- (٢) قال : هذا فنٌ حسنٌ ، وأظنك لو تصديت للقصص والكلام على الجميع ^(١) لكان لك حظٌ وافرٌ من السامعين العاملين ، والخاضعين والمحافظين .
- فكان من الجواب : أن التصدي للعامة خلوة ^(٢) ، وطلب الرفعة بينهم ضعة ، والتشبه بهم نقيصة ؛ وما تعرض لهم أحد إلا أعطاهم من نفسه وعلمه وعقله ولؤنته ونفاقه وريائه أكثر مما يأخذ منهم من إجلالهم وقبولهم وعطائهم وبذلهم .
- وليس يقف على ألقاصٍ إلا أحد ثلاثة .

إما رجل أبله ، فهو لا يدري ما يخرج من أمِّ دماغه .

وإما رجل عاقلٌ فهو يزدرية ^(٣) لتعرضه لجهل الجهال ، وإماله نسبة ^(٤) إلى الخاصة من وجه ، وإلى العامة من وجه ، فهو يتذبذب عليه من الإنكار الجانِب للهجر ، والأعتراف الجانِب للوصل ، فالقاص ^(٥) حينئذ ينظر إلى تفرغ الزمان لمداواة هذه الطوائف ، وحينئذ ينسلخ من مهاتمه النفسية ، ولذاته العقلية ، وينقطع عن الأزدِياد من الحكمة بمجالسة أهل الحكمة ، إما مقتبساً منهم ، وإما قابساً لهم ؛ وعلى ذلك فما رايت من انتصب للناس قد ملك إلا درهما وإلا ديناراً أو ثوباً ؛ ومناصبه شديدة المائليه وعُداته .

قال : إن الليل قد دنا من فجره ، هاتِ ملحّة الوداع .

(١) يريد بالجميع ، العامة .

(٢) يريد بالخلوة هنا معنى التبذل والامتهان . يقال : خلق الثوب بتثليث اللام خلوة وخلقة : إذا بلى .

(٣) يزدان به .

(٤) ورد في الأصل بمد هذه الكلمة قوله : « له » وهي زيادة من الناسخ .

(٥) « فالعاص » .

قلتُ : قال يعقوب صاحب (إصلاح المنطق) :
 دخل أهرابي الحمام فزلق فأشجَّ ، فأنشأ يقول :
 وقالوا تَطَهَّرْ إِنَّهُ يَوْمٌ مُجَمَّةٌ فَرُحْتُ مِنْ الْحَمَامِ غَيْرَ مُعْلَمٍ
 تَرَدَّيْتُ مِنْهُ [إشارياً] ^(١) شَجَّ مَقَرِّقٍ بَقَلَسِينَ إِنِّي بَشَسَ مَا كَانَ مَتَجَرِّقٍ
 وما يُحْسِنُ الْأَعْرَابُ فِي السُّوقِ مِشْيَةً فَكَيْفَ بَيْتٍ مِنْ رَخَامٍ وَمَرَمٍ
 يقول لى الأنباطُ إِذْ أَنَا نَازِلٌ ^(٢) « به لا بَطْلِي بِالصَّرِيمةِ أَعْفَرِ » ^(٣)
 وقال — حرس الله نفسه — كنتُ أَرَوِي قافية هذا البيت « أعفرا » ،
 وهذه فائدة كنتُ عنها في ناحية ؛ وأنصرفت .

(٧) قد رأيتُ أيتها الشيخ — حاطك الله — عند بلوغى هذا الفصل أن أختم
 الجزء الأول بما انتهى إليه ، وأشفقته بالجزء الثانى على سياج ما سلف نظمته
 ونثره ، غير عاجز على ترتيب يحفظ صورة التصنيف على المادة الجارية لأهله ،
 وهذرى فى هذا واضح لمن طلبه ، لأن الحديث كان يجرى على عواهنه بحسب
 السامع والداعى .

وهذا الفن لا ينظم أبداً ، لأن الإنسان لا يملك ما هو به وفيه ، وإنما يملك
 ما هو له وإليه .

وهذا فصل يحتاج إلى نفسٍ مكيد ، ورأى يصدر عن تأييد وتسديد ^(٤) ؛
 والسلام ، والحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين ،
 وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

(١) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ؛ وبقيت البيت تحتضى ما أمبنا .

(٢) « تارك » .

(٣) هذا مثل يضرب فى العبادة بالرجل . يريدون أن المكروه ينزل به ولا ينزل بطي
 أعفَر ؛ كأنه من الحسة والهوآن بحيث يفصل عليه الظي الأعفر .

(٤) فى نسخة ميلانو بعد قوله : « وتسديد » ما نصه : أنشئت هذه الرسالة فى رجب
 سنة أربع وسبعين وثلاثمائة .

فهرست الأعلام

الواردة في الجزء الأول من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي

(١)

ابن الجمل — ٣ : ٦٦
ابن الحجاج = أبو عبد الله الحسين بن أحمد
ابن الحجاج
ابن حنبل = أبو القاسم بن حنبل
ابن حنبل — ٨ : ١٣٠
ابن حيوة = محمد بن حيوة بن المؤمل
ابن خلكان — ٢١ : ٦٧
ابن الحارث = أبو الحارث الحسن بن سوار
ابن خيران = أبو علي الحسين بن صالح بن
خيران
ابن دارة — ١٤ : ٤٦
ابن درستويه — ٩ : ١٣١
ابن رباح — ٦ : ١٠٨
ابن ربن = علي بن ربن
ابن رشيد — ٨ : ١٠٨
ابن الرومي = أبو الحسن علي بن العباس
ابن جريج
ابن زرة = أبو علي عيسى بن إسحاق
ابن زرة
ابن السراج = أبو بكر محمد بن السري
ابن سهل
ابن سمدان — ١٣ : ٤٣، ١٩ : ٤٢
١٧ : ٦٦
ابن سكرة — ٧ : ١٣٧
ابن السناك = أبو العباس محمد بن صبح
الكوفي

إبراهيم بن العباس الصولي — ٧ : ٥٨
إبراهيم بن هلال أبو إسحاق الصابي —
١٣ : ٦١، ٦٧ : ٦٧ و ١٧ *
ابن أبي نصر — ٦ : ١٠٨
ابن أبي خالد — ١٣ : ٥٨
ابن أبي طالب = علي بن أبي طالب
ابن أبي طالب الجرائسي الكاتب صواب
أبو طالب = أبو طالب
ابن الأثير — ٢١ : ١٣٧، ٢٤ : ٥٠
ابن الأخشاد — ٦ : ١٠٨
ابن الباقلي = أبو بكر محمد بن الطيب القاضي
ابن برن — ٦ : ٧١
ابن برمويه = الحسن بن برمويه
ابن بقية الوزير — ١ : ٤٢
ابن بكش — ٤ : ٣٨
ابن البيطار — ٢١ : ١٧٩
ابن ثابت — ١٥ : ٥٦
ابن ثوبة أبو الهيثم — ٦٦ : ٦٦، ٥٨ : ٦٦
٩ : ١٠٣ * ١٨ : ٩٧ و ٨ : ٩٧
ابن جلة الكاتب — ١٣ : ٤٧، ٨ : ٤٢
٨ : ٤٨
ابن جرير — ١١ : ٥٨
ابن جليات = أبو القاسم علي بن جليات

ابن مسكويه — ١٨ : ٣٥
 ابن العلم = أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان
 ابن المقفع — ١٧ : ٧٠ ، ٩ : ٦٥ ، ١٧ : ٧٠ ،
 ٣ : ٧٣ ، ٤ : ٧١
 ابن مكينا = أبو علي بن مكينا
 ابن الملاح — ١٥ : ١٤٠
 ابن موسى — ١٠ : ٥٧
 ابن الناظر أبو منصور — ٨ : ٤٢ و ٩
 ابن نباتة السدي = عبد العزيز بن محمد الشاعر
 ابن النديم — ٢٣ : ٢٠ ، ٦٧ : ٢١ ،
 ١١ : ٧٩
 ابن نوبخت — ١٠ : ٥٨
 ابن هارون — ٧ : ٤٨
 ابن هندو — ٦٣ : ٥
 ابن الوراق — ١١ : ١٢٩
 ابن وهب — ١٠ : ٣
 ابن يحيى الملو — ٨ : ١٠٨
 ابن يعقوب — ٤ : ٣٨
 ابن يبيش الرقي — ٣ : ١٠٥ ، ١٢ : ١٠٤ ،
 ٧ : ٢١٦ ، ٢ : ١٠٧ ، ٧ : ١٠٦
 ٧ : ٢١٨ ، ١٧ : ٢١٧
 ابن يونس القنائي = أبو بصرى بن يونس
 أبو إسحاق الصابي = إبراهيم بن هلال الكاتب
 أبو إسحاق مزبذ المدني — ١٧ : ٥٨
 و ٢٣ *
 أبو إسحاق النصيلي — ٤ : ١٤١
 أبو بصرى بن يونس القنائي — ١٠ : ٧
 ١٣ و ١٧ و ٢٤ * ١٠ : ١٠٨
 ١١٢ ، ١ : ١١١ ، ٨ : ١٠٩
 ١٠ : ١١٥ ، ١ : ١١٤ ، ٧
 ١٠ : ١١٨ ، ١٤ : ١١٩ ، ٦ : ١٥
 ١١ : ١٢٢ ، ١١ : ١٢١
 أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث —
 ٥ : ١٥

ابن السمع = أبو علي بن السمع
 ابن سيرين — ١٣ : ٥٨
 ابن سيف الكاتب الراوية — ٨ : ٢٨
 ابن شاذان — ٣ : ١٣٤ ، ١١ : ١٢٩
 ابن شاهويه عامل صمصام الدولة — ٤٣ :
 ٥ و ١١ ، ٤ : ٤٨ ، ٣ : ٥٣
 ابن شاهويه الفقيه = أبو بكر محمد بن أحمد
 ابن علي
 ابن طنج — ٨ : ١٠٨ ، ١٩ : ٧٩
 ابن عباد = أبو القاسم إسماعيل الصباح
 ابن عباد
 ابن بدران — ٧ : ٤٣ ، ٤ : ٣٨
 ابن عبد العزيز الهاشمي — ٨ : ١٠٨
 ابن عبدكان = محمد بن عبدكان
 ابن عبيد الكاتب — ٦١ : ٤٨ ، ١٣ : ٦١ ،
 ٥ : ٩٦ ، ١٥
 ابن العميد = أبو الفضل بن العميد
 ابن الفرات الوزير أبو الفتح الفضل بن
 جعفر — ٥ : ١٠٨ ، ١٦ : ١٠٧ ،
 ١١٨ : ١١٨ ، ١١٧ : ٤ : ١٠٩
 ٣ : ١٢٠ ، ١٤ : ١١٩ ، ١٤ : ١٢١
 ١٧ : ١٢٨ ، ١٧ : ١٢١
 ابن فراس — ٧ : ١٠٨
 ابن القاسم = علي بن القاسم
 ابن القرميني — ٣ : ١٣٤
 ابن قوسين — ٤ : ٣٨ و ١٩ *
 ابن كعب — ٧ : ١٠٨
 ابن لالا — ٤ : ٣٨
 ابن دق = بصرى بن دق
 ابن مجاهد — ١١ : ٥٨
 ابن الحيا = خالد بن سنان العيسى
 ابن المديني — ٢٥ : ٢٦
 ابن المرائي = أبو الفتح محمد بن جعفر
 ابن المرزيان كاتب غفر الدولة — ١ : ٦٢ ،
 ٦ : ١٤١

٢٠، ١١٠، ٢٢٢، ٢٠٧، ٢٢ : ٢٢
 أبو الخير الحسن بن سوار المعروف بابن
 الحمار — ٣٢ : ١ و ١١ * ٣٣ :
 ١٤، ٣٥ : ٦
 أبو الخير اليهودي — ٢١٨ : ١٢
 أبو دعلج — ٧٠ : ٦
 أبو زكرياء — ٣٥ : ١١
 أبو زكرياء = يحيى بن عدى
 أبو زيد اللغوي — ١٣١ : ١٥، ٢٢١، ٢٢٦ :
 أبو زيد أحمد بن سهل البلخي — ٢٦ : ٢
 ١٥ * ٢١٢ : ١١
 أبو سعيد بهرام بن ازدشير — ٤٣ : ٦
 ١٥ * ٤٤ : ٤٨، ٤٨ : ٥
 أبو سعيد الذهبي الطيب — ١٥٧ : ١٤،
 ٢١٣ : ١٠
 أبو سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن
 الرزيان — ٢٥ : ٢ و ١٧ * ٢٧ :
 ٢، ٢٨، ٥٥ : ٧٩، ١٨ : ١٠٧،
 ١٧، ١٠٨ : ٣، ١٠٩ : ٤،
 ١١١، ٤٤ : ١١٢، ١ : ١١٤،
 ٢، ١١٥ : ١٢، ١١٨ : ٣،
 ١١٩ : ٣، ١٢٠ : ١٢١، ١ :
 ١٢٢، ٣ : ١٢٨، ١٢ : ١٢٩،
 ٦، ١٣١ : ٦، ١٣٢ : ٣،
 ١٣٣ : ٤، ٢٢١ : ٣، ٢٢٢ : ٣،
 أبو سليمان المنطقي محمد بن طاهر — ٢٩ :
 ٢ و ١٣ * ٣١ : ١٠، ٣٣ :
 ٤، ٣٥ : ٦، ٣٩ : ٧، ٤٠ :
 ١٦، ٤٢ : ٦، ٨٨ : ١٦،
 ١٣٠ : ١٣، ١٤٦ : ٨، ٢٠١ :
 ١٣، ٢٠٥ : ١٠، ٢٠٦ : ٧،
 ٢٠٧ : ٢١، ٢١٤ : ٧، ٢٢٤ : ٣،
 أبو شريح أوس بن حجر التميمي الشامي —
 ٥٩ : ٣

أبو بكر القومسي — ٣٢ : ١ و ١٤ *
 ٣٤ : ١١
 أبو بكر محمد بن أحمد بن علي بن شاهويه
 الفقيه — ٩٠ : ٢١ *
 أبو بكر محمد بن السري بن سهل المعروف
 بابن السراج النحوي — ٢٧ : ٢ و ١٤ *
 أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي القاضي —
 ١٤٣ : ١ و ١٨ *
 أبو جعفر الصيمري — ١٣٢ : ٧،
 ١٣٣ : ٢
 أبو جعفر ملك سجستان — ١٣٠ : ١٣
 أبو حاتم الرازي — ١٤٠ : ١٩، ٢٢٢ : ١٧
 أبو حامد أحمد بن بقر المروزي — ٩٠ :
 ١٩ و ٦ * ٩٥ : ٧
 أبو الحسن أحمد بن جعفر جعظة القاصر —
 ٢٨ : ٨ و ١٩ *
 أبو الحسن الأنصاري صوابه الأنطاكي وهو
 أبو القاسم علي بن أحمد — ٩٣ : ١٠ و ١٩
 أبو الحسن المروزي — ٥٩ : ١
 أبو الحسن علي بن العباس بن جريج (ابن
 الروي) — ٢٧ : ٣ و ١٧ *
 أبو الحسن علي بن عيسى الرماني — ١٠٨ :
 ٣، ١٢٨ : ١١، ١٢٩ : ٥،
 ١٣٣ : ١٣ و ٢٠ * ٢١٤ : ٧
 أبو الحسن الفلكي — ٦٨ : ١٧
 أبو الحسن محمد بن يوسف العامري — ٣٥ :
 ٣٦، ١ : ١٥ و ٢٢٢ * ١٤،
 ٢٢٣ : ٦
 أبو حنيفة (الإمام) — ٥٥ : ٣، ١٣٢ : ٤
 أبو حنيفة اللغوي — ١٩٣ : ٢٠
 أبو حيان التوحيدى — ١ : ٢، ١٩ :
 ٣، ١١ : ٧، ٢٦ : ١٧،
 ٢٩ : ١٤، ٣٢ : ١٤، ٣٦ : ١٧،
 ٥٠ : ٢٥، ٩٠ : ٢٠، ١٠٤ :

أبو عثمان الجاحظ — ٥ : ٢٠٨ ، ١٤ : ٤٦٦

أبو عثمان العسقي — ١٠ : ٢١٥

أبو علي أحمد بن محمد مسكويه — ١ : ٣٢

و ١٦ : ٣٠ ، ٣ : ٣٦ ، ٢ : ٤٨٠

١٤ : ١٣٦

أبو علي الحسن بن علي الخالغ — ١٣٦ :

١ و ١٢ *

أبو علي الحسين بن صالح بن خيران —

١٤١ : ٨ و ٢٠ *

أبو علي بن السمع — ١٣٢ : ١ و ١٣ *

أبو علي عيسى بن إسحاق بن زرعة —

٣٢ : ٩ و ٨٠ ، ٣٣ : ٤٨ ، ١٣ :

أبو علي الفسوي النحوي الحسن بن أحمد —

١٢٩ : ٥ و ١٩ ، ١٣١ : ٤ ،

١ : ١٣٢

أبو علي بن مكينا — ٤٣ : ٦ و ٢١ ،

٤٤ : ١١ ، ٤٨ : ٦

أبو عمرو بن الملا — ٥٨ : ٩

أبو عمرو قدامة بن جعفر — ١٠٨ : ٧

أبو عيسى بن المنجم — ٥٦ : ٤

أبو العيلاء — ٥٨ : ١٣ ، ٧٠ : ٦

أبو الفتح بن العميد = ذو الكفارين

أبو الفتح علي بن أبي الفضل محمد بن

العميد

أبو الفتح الفضل بن جعفر = ابن الفرات

الوزير

أبو الفتح محمد بن جعفر المندائي بن المراهي —

١٢٩ : ١٠ ، ١٣٣ : ١٧ و ٢٢ *

أبو الفضل بن العميد الكاتب — ١٦ :

١٤ ، ١٧ : ١٥ ، ٣٢ : ١٧ ، ٣٥ :

٣٦ ، ١٨ : ٦١ ، ١٢ : ٦٦ ، ٣ : ٦٧ ، ٩ : ٦٨ ، ١٥ : ١٣٢ ،

١٢ ، ١٣٦ : ٢٦

أبو شعيب دوست بن رباط القيمي — ٧٠ : ٩

أبو طالب الجراسي — ٦٨ : ١٤ و ١٦

أبو العباس — ١٢٤ : ٥

أبو العباس البخاري تلميذ أبي سليمان النطنج

— ٢٠٧ : ١٥ و ٢١ ، ٢٠٨ :

١٤ ، ٢١٠ : ٤

أبو العباس البرد — ٢٧ : ١٥ ، ١٣١ : ٨

أبو العباس محمد بن صباح الكوفي المعروف

بإبن السبك — ١٤ : ٥ و ١٥ *

١٥ : ٤ ، ٢٢ : ٣

أبو عبد الله تلميذ أبي سعيد السيرافي —

١٣٣ : ٤ و ٥

أبو عبد الله الجيهاني أحمد بن محمد بن نصر —

٧٨ : ١١ و ٢٥ ، ٨٥ : ١٥ ،

٨٦ : ١٤ ، ٨٨ : ٥ ، ٨٩ : ٩

أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج

القاهر — ٤٨ : ٧ ، ١٣٧ : ٤

و ١٤٠ : ١٥ ، ١٣٨ : ١ ، ١٣٩ : ٨

أبو عبد الله الحسين بن علي الجبل — ١٤٠ :

١ و ١٦ *

أبو عبد الله الحسين بن محمد النجار — ٥٨ :

١٦ و ٢١ *

أبو عبد الله بن طاهر — ٤٣ : ٦ و ٢٢ *

٤٥ : ٣ ، ٤٨ : ٦

أبو عبد الله العارض الحسين بن أحمد بن

سمعان الوزير — ٢ : ١٩ ، ٤ :

١١ و ٢٣ ، ١٢٩ : ٢٢ ، ١٣٩ :

٩ و ١٨

أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن المعلم —

١٤١ : ٢ و ١٦ *

أبو عبد الله النصري — ١٣٢ : ١٠

أبو هيب الله المروزي محمد بن عمران —

٤١ : ٥ ، ١٢٩ : ١٠ ، ١٣٤ :

٣ و ١٥ *

٥ : ٥٠ ، ١٣ : ٤٨ ، ٤ : ٤٧
 و ٢٢ : ٥١ ، ٧ : ٥٢ ، ٢ : ٥٣
 ٢٣ : ٢٢٦
 أبو يوسف الفقيه — ١٠ : ٥٨
 أحمد بن بصر للروروذي = أبو حامد
 أحمد بن بصر
 أحمد بن جعفر جعطة = أبو الحسن أحمد
 ابن جعفر
 أحمد بن سهل البلخي = أبو زيد أحمد
 ابن سهل
 أحمد بن محمد — ٢ : ٦٤
 أحمد بن محمد مكويه = أبو علي أحمد بن محمد
 أحمد بن محمد بن نصر الجيهاني = أبو عبد الله
 الجيهاني أحمد بن محمد
 أخشاد — ١٠ : ٧٩
 إديوس — ٣ : ١٦٤
 أرسطوطاليس — ٥٨ : ٣٦ ، ١٨ : ٥٨
 ٩ : ١١٦ ، ٤ : ١١٤ ، ١٢
 استانباس — ٢٠ : ٦١
 إسحاق بن إبراهيم القوصلي — ٦ : ٧٦
 إسحاق بن عمران — ١٩ : ٩٧
 الأسدى — ١٥ : ٩٤
 الإسكافي — ١٠ : ٥٨
 الإسكندر — ٥ : ٧٥
 إسماعيل بن عباد = أبو القاسم إسماعيل
 صاحب بن عباد
 أشتيج السلمي — ٨ : ٥٨
 الأصمى — ٧ : ٩٤
 أفككين — ١٠ : ١٣٧
 الأقرع بن حابس — ٥ : ٨٥
 أقليدس — ٩ : ٨٩
 امرؤ القيس — ١٨ : ٢٠ ، ٢٠ : ١١٨
 الأندلسي — ١٦ : ٢٠ ، ٩ : ٢١١
 أنوشروان — ٣ : ٨٠ ، ٧ : ٧٥

أبو القاسم إسماعيل صاحب بن عباد —
 ٣ : ١٣ و ٢٣ ، ٢٤ : ١٤ و ٢٣ ،
 ٥٣ : ٢ ، ٦١ : ١٥ ، ٦٣ : ١٣ ،
 ٦٤ : ٦ ، ٦٦ : ٢ ، ٦٧ : ٨ ، ٦٩ :
 ١٩ ، ١٠٣ : ١١ ، ١٣٤ : ٢٢ ،
 ١٣٧ : ١٦ ، ١٤١ : ١٢
 أبو القاسم بن حولة — ١٥ : ٢٤
 و ٢١ *
 أبو القاسم الباركي — ٩ : ١٤١ و ٢٢ *
 أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف —
 ٤٢ : ١٩ ، ٤٨ : ٤ ، ٦١ : ١٢ ،
 ٦٦ : ١ و ١٥ *
 أبو القاسم عبيد الله بن الحسن غلام زحل —
 ٣٨ : ١٧ و ٣ *
 أبو القاسم علي بن جليات — ٧ : ١٣٥
 و ١٧ *
 أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى الجراح —
 ٣٢ : ٢٣ و ٣٦ : ١١
 أبو القاسم الكاتب غلام أبي الحسن
 العامري — ٣٥ : ٥ ، ٥٦ : ١٥ ،
 ٥٧ : ١٢ ، ٢٢٢ : ١٦
 أبو محمد الحجاج بن يوسف — ٢ : ٤٧
 أبو مسلم الخراساني صاحب الدولة —
 ٩ : ٧٥
 أبو منصور = ابن الناطر
 أبو نصر خورشاذه — ١٦ : ٥١ *
 أبو نصر سابور — ٢٢ : ٤٣
 أبو نصر الفارابي — ٣٢ : ٢١ *
 أبو نواس — ١١٠ : ٢٠ *
 ٣ : ٩٧ و ٨ : ١٨ و ١٠٣ : ٩
 أبو الوفاء علي بن يحيى السامري —
 ٣٨ : ٢
 أبو الوفاء المهندس محمود بن محمد بن يحيى —
 ٢ : ١٩ ، ٧ : ١٩ ، ٤١ : ١٢ .

(ح)

الحجاج بن يوسف = أبو محمد الحجاج
ابن يوسف

الحراني — ٣٨ : ٥

الحسن بن أحمد بن عبد الغفار = أبو علي
القنوي

الحسن بن برمويه — ٤٢ : ٨ و ١٨ *

٤٣ : ٣

الحسن بن سوار = أبو الخير الحسن بن سوار
الحسن بن عبد الله المرزبان = أبو سعيد

السيرافي

الحسن بن علي الخالغ = أبو علي الحسن بن
علي الخالغ

الحسن بن وهب — ٩٧ : ٧

الحسين — ١٣٩ : ٩

الحسين بن أحمد بن الحجاج الشاعر = أبو
عبد الله الحسين بن أحمد

الحسين بن أحمد بن سعدان الوزير =
أبو عبد الله العارض

الحسين بن صالح بن خيران = أبو علي الحسين
ابن صالح

الحسين بن علي الجعل = أبو عبد الله الحسين
ابن علي

الحسين بن محمد النجار = أبو عبد الله الحسين
ابن محمد

(خ)

خاقان — ٧٩ : ٩

خالد بن سنان العبسي — ٥٩ : ٣ و ١٥ *

خالد بن صفوان — ٢٣ : ٢

الخالدي — ١٠٨ : ٦

خراسان — ٢٢١ : ٢٢ *

الأهوازي — ٤٨ : ١٤

أوميروس الشاعر — ١٦٤ : ٣

(ب)

باقل — ٦١ : ١٧

البخاري المحدث — ٢٦ : ٢٤

البخاري = أبو العباس البخاري تلميذ
أبي سليمان

البديهي — ٣١ : ٩

بهر بن متى — ٣٢ : ٢٢

بهر بن هارون — ١٣٩ : ٦

البلعمي الوزير — ١٣٠ : ٣

بلهور — ٧٩ : ٩

بندار الفني — ٤٢ : ٩

بهاء الدولة البويهی — ٣٢ : ١٨ *

بهرام بن أزدشير = أبو سعيد بهرام
ابن أزدشير

(ث)

ثابت — ٥٧ : ١٢

(ج)

جابر بن حيان — ٣٥ : ١١

الجاحظ = أبو عثمان الجاحظ

جعظلة = أبو الحسن أحمد بن جعفر

الجراح = أبو القاسم عيسى بن علي

الجراسي = أبو طالب الجراسي

جرير — ٧٩ : ٢٤، ١٩٧ : ١٦

جعفر بن يحيى — ١٠٠ : ٦

جيل بن مضر صاحب بثينة — ١٣٨ : ١٤

الجهاني = أبو عبد الله أحمد بن محمد بن نصر

الجهاني = محمد بن أحمد

زكرياء (عليه السلام) — ١٢: ٩١
 الزهري — ٧: ١٠٨
 : هير بن أبي سلمى الشاعر — ٢٥: ٤٥ *
 ٢١: ٧٧
 الزهري — ٨: ٦٣

(س)

سابور بن أردشير — ١٦: ١٣٧
 سابور = أبو نصر سابور
 سبحان — ٢: ١٣٩
 السرى السقطي — ١٧: ٥٨
 سطيج — ٢: ٥٩
 سقراط — ٩: ٢١٥
 سكان شاه — ٤: ٧٩
 السلامي — ١٠: ١٣٤
 سليمان (عليه السلام) — ١٢: ٩١
 سليمان بن عبد الملك — ٦: ٢٧
 سهل بن هارون — ١٤: ٥٨
 سيويه — ٧: ١٣١، ١٨: ٧٩، ٣: ٢٢٢
 السيرافي = أبو سعيد السيرافي
 سيف الدولة بن حمدان — ٢٥: ١٣٦، ١: ١٣٧

(ش)

شبيب بن شبة — ٢: ٧١
 شرف الدولة البويهى — ١٦: ٥١
 شهرزاد — ٢٢: ٢٣ *

(ص)

الصابي = أبو إسحاق إبراهيم بن هلال

خراش بن زهير — ٩: ٢٢١
 الحليل بن أحمد — ٩: ٥٨
 خواشاذه = أبو نصر خواشاذه

(د)

الدارقطني — ١١: ١٣٠
 داود (عليه السلام) — ١١: ٩١
 دوست بن رباط الفقيمي = أبو شعيب
 دوست بن رباط

(ذ)

ذو الرمة الشاعر — ١٨ و ١٠: ٢٢
 ذو الرياستين (ابن سينا) — ٢: ٥٩
 ذو الكفارين أبو الفتح طي بن أبي الفضل
 محمد بن العميد — ١٢: ٣ و ٢٠: *
 ١٠: ٦٦، ١٣٦، ٣: ١٣٧
 ٣: ١٣٩، ١٠ و ٩

(ر)

الرازي = أبو حاتم الرازي
 الراوندي — ١٩: ١٤٠
 ردينة — ٢٢: ٧٦
 الرشيد = هارون الرشيد
 الرضى بالله العباسي — ١٩: ٧٩
 الرماني = أبو الحسن علي بن عيسى
 ركن الدولة البويهى — ٢١: ٣
 روية بن العجاج — ١٩: ١١٨

(ز)

الزجاج — ٨: ١٣١
 زرادشت — ٩١: ٩٢، ٣: ٩٣، د

علم الجارية — ٩ : ٤٢
 على بن أبي طالب — ٩ : ٧٠ ، ٢١ : ١٠
 على بن أبي الفضل محمد أبو الفتح بن العبد =
 ذو الكفارين أبو الفتح على
 على بن أحمد الأنطاكي = أبو الحسن
 الأنصاري

على بن جعفر — ٦ : ٦٢
 على بن جليات = أبو القاسم على بن
 جليات

على بن ربن — ٥٨ : ١٥ ، ١٩ *
 على بن العباس بن جريج = أبو الحسن على
 ابن العباس

على بن عيسى الجراح الوزير — ٣٢ :
 ١٤ : ٦٨ ، ٢٣

على بن القاسم — ١٦ : ٦١
 على بن يحيى السامري = أبو الوفاء على
 ابن يحيى

عمارة بن عقيل — ٧ : ٢٢٢
 عمر بن الخطاب — ٨ : ٢١ ، ١٠٣ : ٨

عمر بن عبد العزيز — ٩ : ٢٦
 عمرو بن كلثوم — ٢٠ : ١٤٣ *

عمير بن شليم التغلبي الملقب بالقفاطى — ٢٢ :
 ١٤ و ٢٢ *

عنزة العيسى — ٢٠ : ١١ *
 عيسى بن إسحاق = أبو على عيسى
 ابن إسحاق

عيسى بن دأب الأخبارى — ١٥ : ٥٨
 عيسى بن على بن عيسى الجراح = أبو
 القاسم عيسى

عيسى (عليه السلام) — ١٥ : ٥٩

(غ)

غزال الراص — ٩ : ٤٢

الصاحب بن عباد = أبو القاسم إسماعيل

الصاحب بن عباد

الصافى — ٣ : ٣٨

صبيد — ١٠ : ٧٩

صريح النوائى — ٧ : ٥٨

صمصام الدولة بن عضد الدولة بن بويه —

٤ : ٢٤ ، ٤٢ : ١٨ ، ٤٣ : ١٢ ،

١٧ : ٦٦ ، ١٧ : ٥١

(ط)

طرفة — ٢٠ : ٨١ *

(ع)

عباد أبو الصاحب — ٨ : ٦٣

العباس بن مرداس — ٦ : ٧٦

عبد العزيز بن محمد بن نباتة السمدى —

١٣٦ : ١١ و ٢٥ *

عبد العزيز بن يوسف = أبو القاسم

عبد العزيز بن يوسف

عبد الله بن دارم — ٦ : ٨٤

عبد الله بن مصعب — ٥ : ٤١

عبد الله بن مروان — ٧ : ٢٦

عبيد الله بن الحسن = أبو القاسم غلام زحل

عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود —

١٠ : ٢٦

عروة بن الورد — ١ : ٦١

عن الدولة البويهى — ١٨ : ٦٧

المسجدى — ١٤ : ٤٨

عضد الدولة بن بويه — ٣ : ٢٢ ، ٣٠ : ١٩ ،

٣٢ : ١٨ ، ٤٢ : ٢٢ ، ٤٣ : ٢١ ،

٦٦ : ١٦ ، ٦٧ : ١٨ ، ١٣٤ : ٢٢ ،

١٣٧ : ١٦

مقي = أبو بصير مقي بن يونس القناني
محمد (صلى الله عليه وسلم) — ١٥ : ٥٩ .
٢ : ٩١

محمد بن إبراهيم — ٥ : ٦٩
محمد بن أحمد الجيهاني — ٢٥ : ٧٨
محمد بن أحمد بن علي بن شاهويه الفقيه =
أبو بكر محمد بن أحمد بن علي
محمد بن جعفر الممداني = أبو الفتح محمد
ابن جعفر
محمد بن الحسين الحاتمي — ١ : ١٣٥ ،
* ١٠ و

محمد بن حيويه بن المؤمل — ١١ : ١٢٩
* ١٣٤ ، ٣ : ١٨ و
محمد بن السري بن سهل = أبو بكر محمد
ابن السري
محمد بن صبح الكوفي = أبو العباس محمد
ابن صبح
محمد بن طاهر = أبو سليمان النطقي محمد
ابن طاهر
محمد بن طنج = ابن طنج
محمد بن الطيب الباقلائي القاضي = أبو بكر
محمد بن الطيب
محمد بن عبد كان — ١٢ : ٦٧ ، ٦ : ٥٨
* ٢٥ و

محمد بن عمران = أبو عبيد الله المرزباني
الأديب
محمد بن محمد بن النعمان = أبو عبد الله محمد
ابن محمد بن النعمان
محمد بن يوسف العامري = أبو الحسن
محمد بن يوسف
محمود بن محمد بن يحيى = أبو الوفاء المهندس
المرزباني بن محمد ملك الديلم — ١٤ : ٦٨ ،
٥ : ١٣٠
المرزباني صاحب آل سامان — ٩ : ١٠٨

هلام زحل = أبو القاسم عبيد الله بن الحسن
هليلان بن عقبة بن نهيس = ذو الرمة

(ف)

غفر الدولة أبو الحسن علي بن بويه — ٤ :
١٧ : ٦٠ ، ١٢
فضالة بن كعدة — ٤ : ٥٩
الفضل بن جعفر = ابن القرات

(ق)

قايوس — ٩ : ٥١
القادر بالله الخليفة — ١٠ : ١٣٥
قارون — ١٤ : ١٤١
قدامة بن جعفر = أبو عمرو قدامة بن جعفر
قس بن ساعدة — ١٧ : ٦١
القس نظيف النفس الرومي — ٢ : ٣٢
* ١٩ ، ٣ : ٣٧
القنطاري = عمير بن شبيب القنطاري
القنطاري — ١٨ : ٣٨ ، ١٠ : ٣٢
القناني = أبو بصير مقي
القوي — ٣ : ٣٨
قيصر — ٨ : ٧٩

(ك)

الكنتي — ٦ : ١٠٨
كريز أبو سيار المسمعي — ٧ : ٧٠
كسري — ٨ و ٣ : ٧٩
كسري أنوشروان = أنوشروان
الكندي — ٥ : ١٢٧ ، ١٢ : ٥٨

(م)

المعني — ١١ : ١٣٥

(هـ)

هارون الرشيد — ١٤ : ١٦ ، ٢٢ : ٣
المروى — ٦٩ : ١٢

(و)

الواثق بالله الخليفة — ٩٧ : ١٦
الواسطي — ١٤٠ : ١١
الواقدي — ٥٨ : ١٦
وهب بن يعنى الرقي = ابن يعنى

(ى)

ياقوت — ٥٥ : ٢٠ ، ٧٩ : ١١ ، ٨٤ :
١٤ ، ١٠٧ : ٢١ ، ١١٠ : ١٨ ،
١١٦ : ٢٠ ، ١١٨ : ١٧ ،
١٣٢ : ٢٠
يعني (عليه السلام) — ٩١ : ١٢
يعني بن عدي أبو زكريا — ٣٢ : ٢
و ٢١ * ، ٣٧ : ٦
يقوب بن السكيت — ٢٢٦ : ١
يقفور صوابه قُفُور — ٧٩ : ٩
يوحنا — ٥٨ : ١٥

مزدك — ٩٢ : ٩

مكويه = أبو علي أحمد بن محمد

المسيح (عليه السلام) — ١٥٠ : ١٢

معاوية بن أبي سفيان — ١٠ : ٢١ *

١٥ : ٧٠ ، ٥٥ : ٩

المتصم الخليفة — ٥٨ : ٢٠ *

المرى صوابه المكيبرى — ٣٨ : ٣

المنذر الخليفة العباسي — ١٠٧ : ٢٢ *

المنذر بن ساوى — ٨٤ : ٥

المنذر الخليفة — ٧٠ : ٦

المهاجر الوزير — ١٣٢ : ١٠ ، ١٣٧ : ١٦

موسى (عليه السلام) — ٩١ : ١١

مؤيد الدولة أبو منصور بويه — ٣ : ٢٤ *

٤ : ١٣ ، ٦٠ : ١٧

(ن)

النبي = محمد صلى الله عليه وسلم

النجار = أبو عبد الله الحسين بن محمد

نصر الدولة — ٣٢ : ١٤

نصر غلام خواشاهه — ٥١ : ٢

النصري = أبو عبد الله النصري

النصبي = أبو إسحاق النصبي

نظيف = النفس نظيف النفس الرومي

تم فهرست الأعلام

فهرست أسماء الأماكن

الواردة في الجزء الأول من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي

١٣، ١٣٦ : ٢٦، ١٤٠ : ١٩،

١٤١ : ١٠ و ٢٣

بلاد الجبال — ٣ : ١٧، ٤ : ١٠

بوزجان — ٥٠ : ٢٣

البيت العتيق — ٢٤ : ٩

البيارستان — ٥١ : ٧

(ت)

تركستان — ٧٩ : ٢١

تفليس — ٥٥ : ١٣

(ج)

جبل طى — ٨٣ : ٢٢

جزجان — ٥١ : ٩

جزيرة العرب — ٨٤ : ٢٤

جيهان — ٧٨ : ٢٤

(ح)

حضر موه — ٨٤ : ١٠

(خ)

خراسان — ٢٦ : ١٦، ٤١ : ١٥،

(١)

أرجان — ٤ : ٩ و ١٩

أرم — ٨٤ : ٧ و ٢٤

أردوال = أردوان

أردوان — ٧٩ : ٢٨

أسكنان — ٧٩ : ١٠

أصبهان — ٦٣ : ٨، ٧٩ : ٢٧،

١٤١ : ٢٢

أندلس — ٧٧ : ٩

أنطاكية — ٩٣ : ١٩

الأهواز — ٤ : ١٩، ١٣١ : ١٢

(ب)

باب الجسر — ٥١ : ٦

بابهان = أرجان

باريس — ١٣٧ : ١٧

بحر الهند — ٨٤ : ٢٥

البحرين — ٨٤ : ١٤ و ١٦

بخارى — ٧٨ : ٢٥

البصرة — ١٤٠ : ١٧

بنباد — ٣ : ١١، ١٤ : ١٦، ٢٥ :

١٨، ٢٨ : ٢١، ٢٩ : ٣٥ و ١٣،

٣٢ : ١٣ و ٢٠، ٤١ : ١٨،

١٩ : ٩٣ و ٢٠، ١٨ : ١٣١ :

(ش)

الشام — ٧٩ : ٢٠ ، ٢١ : ١٠
 ٨٣ : ٢٢ ، ٨٤ : ١ ، ١٩٤ : ١
 الشجر — ٨٠ : ٦٣ ، ٨٤ : ٧ و ٢٥

(ص)

صحر — ٨٤ : ٧ و ٢٣
 الصفا — ٨٤ : ١٦
 صفين — ٧٠ : ٧
 صنماء — ٨٠ : ١٤ ، ٨٠ : ١
 الصين — ٧١ : ١٦

(ط)

طهران — ٣ : ١٨
 طيبة — ٨٠ : ٤ و ١٥

(ع)

عدن — ٨٤ : ٨ و ٢٤ و ٢٥
 العراق — ١٠ : ٢١ ، ٢٢ : ١٣ ، ٥٠
 ٢٣ : ٨٤ ، ١ : ١٣٤ ، ٢١ : ٢٣
 مرقاة — ٨٥ : ٦
 عكاظ — ٨٥ : ٣ ، ٢٢١ : ١٠ و ١٠
 عمان — ٤٣ : ١٢ ، ٨٤ : ٦ و ١٩ و ١
 ٢٢ و ٢٣ و ٢٥

(ف)

فارس — ٤ : ١٩
 فرغانة — ٥٥ : ١٣ و ٢٢ ، ٧٩
 ١٠ و ١٩ و ٢٠

٧٨ : ٢٤ ، ٧٩ : ٩ ، ١٣٤ : ١٥ ،

١٤٤ : ١٣ ، ٢٢١ : ٢٢

خوارزم — ٧٧ : ٩

خوزستان — ٤ : ١٩ ، ٧٩ : ٢٨

(د)

دار الكتب المصرية — ٩٨ : ١٩
 دارك — ١٤١ : ٢٢
 دبا — ٨٤ : ٧ و ٢٠
 دمشق — ٨٣ : ٢٣
 دومة الجندل — ٨٣ : ١٤ و ٢٢ ، ٨٤ :
 ١٢ و ٣

(ذ)

ذو المجاز — ٨٥ : ٣

(ر)

راغة = الرى
 الراية — ٨٤ : ١٠
 الرى — ٣ : ١١ و ١٧ و ٢٤ ، ٣٥ : ٥٠
 ٣٦ : ١ ، ٥١ : ٨ ، ١٣٦ : ٣ ،
 ١٤١ : ١٢

(ز)

زرود — ٨٠ : ١٥

(س)

سجستان — ٤٢ : ٦ ، ١٣٠ : ١٣
 سر من رأى — ٦٩ : ٦
 سنجان — ٤١ : ١٥ و ٢١

نيسابور — ٢٢ : ٤ ، ٢٣ : ٥٠ ،
١٤١ : ١٠ و ٢٢

(هـ)

هجر — ٨٤ : ٤ و ١٤ و ١٧
مندان — ٥٣ : ١٢ ، ١٣٤ : ١٨ ،
١٤١ : ٥٠ و ١٣
الخير — ٨٠ : ١٦
الهند — ٧٩ : ٩ ، ١٦٥ : ١٣ ،
١٧٤ : ٨

(و)

واسط — ٢٨ : ٢١ ، ٧٩ : ٢٨
ويار — ٨٠ : ٣

(ي)

يبرين — ٨٠ : ٤
اليمن — ٨٤ : ٢٥ ، ٨٠ : ١٣
يونان — ١٧٠ : ١٠ ، ١٧٣ : ١١

(ك)

كرخ بغداد — ١٣٤ : ٢١
الكوفة — ١٤ : ١٧ ، ٩٧ : ١٩

(م)

ماوراء النهر — ٩٩ : ٢٣
للتحف البريطاني — ١٣٧ : ١٧
للدنّة — ٨٣ : ٢٢
مدينة السلام = بغداد
مرو — ٤١ : ٢١
للقفر — ٨٤ : ٥ و ١٦
مصر — ٥٥ : ١٣ ، ٧٩ : ٢٠ ،
١٠٨ : ٩
مكة — ٨٠ : ١٦
مكتبة باريس — ١٣٧ : ١٦

(ن)

نجد — ١٩٦ : ٩
التوبة — ١٦٥ : ١٤

فهرست القبائل والأمم والفرق
الواردة في الجزء الأول من كتاب الإمتاع والمؤانسة
لأبي حيان التوحيدي

١١٧: ١٤، ١٣٧، ١٠: ١٤٤،
١٠، ٢١٢، ٦ و ٨ و ٧

(ج)

الجاهلية — ٩٩ : ١٤
الجبرية — ٥٧ : ٢٤

(ح)

الحكام — ١٤٦ : ١٢، ١٤٨، ١٣

(خ)

الحرثية — ١٤٣ : ٤

(ر)

الروم — ٧١ : ١٤، ٧٤، ١ : ١٧٣،
١٧، ٢١١، ١٩

(ز)

الزبدية — ٥٥ : ٣
الزنج — ٧١ : ١٨، ٧٤، ٢ : ٧٧،
٩، ٣٦٢، ٩

(ا)

آل النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) =
٥ : ١

آل ابن ثوبة — ٩٧ : ٨، ١٠٣ : ٩

آل ابن وهب — ١٠٣ : ٩

آل سامان — ١٠٨ : ٩، ١٢٩ : ١٦

الأتراك = الترك

أهل القمة — ٩٩ : ٢٤

(ب)

البصريون — ٢٥ : ١٩

البغداديون — ١٩ : ١٣ و ١٨

بنو أسد — ٨٠ : ٣

بنو تميم — ٨٥ : ٥

بنو عبد الله بن دارم — ٨٤ : ٦

بنو عبد المطلب — ٧٦ : ٨

بنو مخزوم — ١٣٤ : ٢١

(ت)

التابعون — ٢٥ : ٢

الترك — ٧١ : ١٧، ٧٤، ٢ : ٧٧،

٩، ٧٩ : ٩، ١١٠ : ١٣

٩١ : ٩٤ ، ٩٢ : ٩٦ ، ٩٤ : ٩١
 ٣ و ٧ و ٩ و ١١ ، ٩٥ : ١٠٦ ،
 ١٩ : ١١٠ ، ١٣ : ١١٤ ،
 ٣ : ١١٧ ، ١٤ : ١٢٢ ، ١٦ ،
 ١٢٩ : ١٢ : ١٣٠ ، ٤ و ٤ ،
 ٢١٢ : ٤ و ٦ و ٨ و ١٤ و ٢١ ،
 ٢٢١ : ٥

المراقبون — ٦٤ : ٢

(ف)

الفرس — ٧١ : ١١ ، ٧٤ : ١ و ٧ و ١٠ ،
 ٨٩ : ١٥ و ١٧ ، ٩٠ : ٩٣ ، ١ : ٩٣ ،
 ٥ و ١٦ ، ٩٤ : ٥ ، ١١٠ : ١٣ ،
 الفلاسفة — ٢٦ : ١٥ ، ١٩٨ : ٧

(ق)

الفرامطة — ٤٤ : ٣ ، ٤٨ : ٥

(ك)

كلب — ٨٣ : ٢٣ ، ٨٤ : ١ و ٣ و ٤
 كناية — ٨٣ : ٢٣
 الكوفيون — ١٣١ : ٥

(م)

المتكلمون — ١٤٣ : ١٨
 المستزلة — ٥٤ : ١٤ ، ١٤٣ : ٣
 الملحدة — ١٤٣ : ٤
 المنطقيون — ١٠٨ : ١٨ ، ١٢١ : ٨
 المهندسون — ١٠٧ : ٦

(س)

السامانيون — ٧٨ : ٢٦
 السودان — ٢١٢ : ٩

(ش)

الشافعية — ١٤١ : ٢١
 الشيعة الإمامية — ١٤٢ : ١٦

(ص)

الصابثون — ٦٧ : ٢١ ، ٩١ : ٨ ،
 ١٢٨ : ٧
 الصبابة — ٢٥ : ٢
 صقلاب — ٧٧ : ٩
 الصوفية — ٧ : ٨ ، ٥١ : ١٩

(ط)

الطبيعيون — ١٠٧ : ٦

(ع)

عيس — ٥٩ : ١٦
 العجم — ٤٧ : ٢ ، ٧٠ : ١٢ و ١٧ ،
 ٧٧ : ٨ ، ٨٣ : ١٢ ، ٩٠ : ١
 العرب — ٢٤ : ٩ ، ٢٥ : ٣ ، ٤٧ :
 ٢ ، ٥٠ : ١٧ ، ٧٠ : ١٢ و ١٣
 ١٤ و ١٥ ، ٧١ : ١٨ ، ٧٢ :
 ٥ ، ٧٤ : ٣ و ٨ ، ٧٦ : ١٤ و ٢٢ ،
 ٨٠ : ٢٣ ، ٨٢ : ٨ ، ٨٣ : ٣ و ١٠ ،
 ٨٤ : ٢٠ و ٢١ ، ٨٥ : ٧ ،
 ٨٦ : ١٦ ، ٨٨ : ١٦ ، ٨٩ : ٩

١١٧ : ١٤ : ١٧٤ : ٨ : ٢١١ :
٢ : ٢١٢ : ١٩

(٥)

اليهود — ٩١ : ٨ و ١٠
يونان — ٧٥ : ٥ : ٨٩ : ١٦ و ١٨ :
١٧٠ : ١٠ : ١٧٣ : ١١ :
٢ : ٢١٢

(ن)

النحويون — ١٠٧ : ١ : ١١٧ : ٩ :
١٠ : ١٢١
النصارى — ٩١ : ٨ و ١٠

(هـ)

الهنود — ٧٤ : ١٨ : ٧٧ : ٩ :
٧٩ : ٩ : ٩٣ : ١٠ : ١١٠ : ١٣ :

فهرست أسماء الكتب

الواردة في الجزء الأول من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي

تهذيب الأخلاق — ٣٢ : ١٧

(ح)

حياة الحيوان — ١٨٠ : ٢١
الحيوان للجاحظ — ١٤ : ٥٨ ، ٢ : ٥

(ذ)

ذيل تجارب الأمم — ٤٢ : ١٧ ، ٤٣ : ٢٠

(ر)

الرسالة الحاتمية — ١٣٥ : ١٠

(ع)

عيون الأخبار — ٢٧ : ٢٤
عيون الأنباء — ٤١ : ١٨

(ف)

فردوس الحكمة — ٥٨ : ١٩
فضيلة علم الأخبار — ٢٦ : ١٦
الفلاحة — ٨٩ : ١٠
الفهرست — ١٣٤ : ١٦

(١)

آيين نامه — ٧٨ : ٢٥
الأجوبة — ٣٦ : ١٦
أخبار بني بويه — ٦٧ : ٢٠
أخبار الحكماء — ٣٨ : ١٨ ، ٥٠ : ٢٤
إصلاح المنطق — ٢٢٦ : ١
إنجاز القرآن — ١٤٣ : ١٩
الألفاظ الفارسية العربية — ٧٩ : ٢٤
ألف ليلة وليلة — ٢٣ : ٢١
إنقاذ البصر من الجبر والقدر — ٢٢٢ : ١٥
إساغوسى — ٣٥ : ٤

(ب)

البدل — ٥٨ : ١٦ و ٢١
بلوغ الأرب — ٨٤ : ١٨
البهجة — ١٣٣ : ٢٣ ، ١٣٤ : ٢

(ت)

التأسي في أخبار بني بويه — ٦٧ : ١٩
تاريخ ابن الأمير = الكامل لابن الأمير
تاريخ الحكماء — أخبار الحكماء
تجارب الأمم — ٣٢ : ١٧

معجم البلدان — ٧٩ : ٢٧ ، ٨٤ : ٤
 للمعجم الفارسي الإنجليزي — ٦١ : ١٩
 مفاتيح العلوم — ٩٩ : ٢٢
 مفردات ابن البيطار — ١٧٩ : ٢١
 المقابسات — ١١٤ : ١٨ و ٢٠ ، ١١٥
 ١٩ و ٢١ ، ١١٦ : ٢٠
 المقدمات — ١٤١ : ٢١
 الموسيقى — ٨٩ : ٩

(ن)

نقض كلام الراوندي — ١٤٠ : ١٩
 نقض كلام الرازي — ١٤٠ : ١٩
 نهاية الأرب — ٩٨ : ١٩
 النوادر — ٢٦ : ١٧

(هـ)

هزار أفسان — ٢٣ : ٨ و ١٩

(ي)

يخيمة الدهر — ١٣٤ : ٢٣ ، ١٣٥
 ١٨ ، ١٣٦ : ١٣ ، ١٣٧ : ١٧

(ق)

قاميغورياس — ٣٥ : ٤

(ك)

الكامل لابن الأثير — ٥٠ : ٢٤ ، ١٣٣ :
 ٢٤ ، ١٣٧ : ٢١
 كتاب إقليدس ٨٩ : ٩
 ككتاب الجيهاى فى الطمن على العرب —
 ٧٨ : ١١
 كتاب سيويه — ٧٩ : ١٨ ، ١٣١ :
 ٧ و ١٩ و ٢٠ ، ٢٢٢ : ٣

(ل)

لسان العرب — ١٢٢ : ٢٠ ، ٢٢١ : ١٨
 اللطيف — ١٤١ : ٢١

(م)

المجسطى — ٨٩ : ٩ و ١٥
 مستدرك التاج — ١٢٢ : ٢٠
 معجم الأدباء — ٢٤ : ٢١ ، ٣٥ : ١٧ ،
 ٥٤ : ٢١ ، ٥٥ : ١٨ و ٢٠

استدراك

اطلع صديقنا السيد محمد كرد علي على تجارب الجزء الأول من كتاب الإمتاع والمؤانسة بعد أن مثلت للطبع ، فكتب عليها الملاحظات الآتية ، ونحن نسجلها لحضرته مع شكرنا الجزيل له على هذه المعاونة العلمية القيمة .

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣	٨	أُبعدُ	أُبعدَ
٣	١٣	عابسا	عابتا
١٠	٦	يُفْتَقَرُ	يُفْتَقِرُ
١٠	٨	بفكاهتك	بفهاهتك
١٢	٢	زهراتها	زهرتها
١٢	٩	وعيوب	وغيوب
١٣	٩	طلب	طيب
١٦	٩	يحرصون	ويحرصون
٢١	١	محاوبة	محاابة
٢٦	١٠ و ٩	والله إني لأشتري المحادثة من عبيد الله شاذ	والله إني لأشتري ليلة من ليالى عبيد الله شاذ
٣٥	٣	السامري والمري	السامري والصييري ، (وقد
٣٨	٣	مخارق النجوم	ذكرنا هذا التصويب في فهرست الأعلام أيضاً) .
٣٩	٤		مخارف النجوم

صفحة	سطر	خطاً	صواب
٣٩	١٥	عنده الصناعة	هذه الصناعة
٤٠	١٣	يميز	يَعْتَبِرُ
٤٠	١٩	النفس الفلكية	النفس الكلية
٤١	١	» »	» »
٤١	١٣	قال	قلت
٤٤	٦	تأجيل	تهجين
٥١	٩ و ٨	إلى قابوس وجرجان	إلى قابوس بجرجان
٥٧	١٤	أنه من فعلاته	أنها من فعلاته
٥٨	٤	يقال	يقال [له]
٦٨	١٦	ابن أوى طالب	أبو طالب
٧٠	١	في دار	في دار [لِتَانٍ] . (والثاني :
			الدهقان ؛ أوزعيم الإقليم)
٧٢	١٣	ويتجنّون به على الدناءة	ويتجنّبون به الدناءة
٧٩	٩	يقفور	فُفُور
٨٣	١٠	ويكفيني	ويدفني
٨٦	١١	للمؤذية	المؤذبة
٨٦	١٣	نَقَاب	نَقَات
٨٨	٢	والاختيار	والاختيار
٨٨	١٦	مع الجماعة وأبو سليمان يقول	وأبو سليمان يقول مع الجماعة
١٠٠	١١	وينصف	وينصف

صفحة	سطر	خطاً	صواب
١٠١	٩	خَرَفَتْ	خَرَفَتْ
١٠٢	٢٠ و ٢١	تَتَغَذَّى	تَتَغَذَّى
١١٣	١٥	بِإِدَاءِ	بِإِدَاءِ
١٣٦	١١	يَذْفَعُ	[لا] يَذْفَعُ
١٥٨	١٥	بِذَّالًا	بِذَّالًا
١٩٦	٧	حَدَّثَ الْمَيْنَ	جَذَبَتِ الْمَيْنَ
١٩٧	٢٠ ح	تُوبِينَ	تُوبَانَ
٢٠٨	١٠	لَمْ تَتَحَرَّكُونَ	لَمْ [لا] تَتَحَرَّكُونَ
٢١٨	٤	وَالثَّقَةُ شَوْكُ الْقِتَادِ	و [دون] الثَّقَةُ شَوْكُ الْقِتَادِ
٢٢٠	٧	لَا يَطْرِدَانِ وَلَا يَسْتَمِرَّانِ	لَا تَطْرِدَانِ وَلَا تَسْتَمِرَّانِ
٢٢٣	١	قَوِيَّةٌ	قَوِيَّةٌ

وقد تفضل فحتم هذه الملاحظات بالجملة الآتية :

« هذا ما أردت تقييده ، ومن هذه الملاحظات ما يرد عليه بأيسر سبيل ، ومنه ما هو من هنات مطبعية لا يخلو منها كتاب ، ومن رأى النسخة الوحيدة التي جرى عليها الطبع من كتاب الإمتاع والمؤانسة يهني الأستاذين ناشريه على ما وُقِّعَ له من تقويم غلطاته وسقطاته ونحريافته ، والمصمة لله وحده » .



كتاب

الامتاع والموائمة

تأليف

أبي حيان التوحيدي

وهو مجموع مسامرات في فنون شتى
حاضر بها الوزير ابا عبد الله العارض في نحو اربعين ليلة

المجلد الثاني

صححه وضبطه وشرح غريبه

أحمد أمين و أحمد الزين



دار مكتبة الحياة
للطباعة والنشر والتوزيع

تنبيهات

١ - لم ننشر فهارس الموضوعات في هذا الجزء وسابقه اعتياداً على أننا سننشر فهرساً عاماً للموضوعات كلها في آخر الكتاب .

٢ - كان اعتيادنا في الطبع على النسخة الكاملة الوحيدة للشار إليها في الحواشي بحرف ا . وهناك قطع قليلة غير مرتبة الصفحات ولا كاملة الأجزاء ، تبلغ خمسي الكتاب تقريباً ، ومن ثم جعلناها نسخة إضافية ، وقد نجد فيها بعض الزيادات فنضمه بين مربعين من غير تنبيه عليه . فليلاحظ ذلك .

احمد أمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) أيها الشيخ — أطالَ اللهُ يَدَكَ في الخيرات ، وزادَ في هِمَّتِكَ رَغْبَةً في
أصطناعِ المَكْرُمات ، وأجراكَ على أحسنِ العادات في تقديمِ طُلَّابِ العِلْمِ وأَهْلِ
الْيَبُوتات — قد فرغتُ في الجزء الأول على مَارسَمَتِ في القيامِ به ، وشرَفْتَنِي
بالخَوْضِ فيه ، وسَرَدْتُ في حواشيه أعيانَ الأحاديث التي خَدَمْتُ بها مجلسَ
الوزير ، ولم آلُ جُهْدًا في روايتها وتقويمها^(١) ولم^(٢) أحتجْ إلى تَعْمِيَةِ شَيْءٍ منها ،
بل زَبَرَجْتُ كثيرًا منها بِنَاصِعِ اللفظ ، مع شرحِ الغامِضِ وصِلَةِ المَحذُوفِ
وإتمامِ المَنقُوصِ ، وحَمَلْتُهُ إِلَيْكَ على يدِ (فائقٍ) الغلام ، وأنا حريصٌ على أن
أتبعه بالجزء الثاني ، وهو يصلُ إِلَيْكَ في الأسبوع إن شاء الله تعالى .

(٢) وأنا أسألكَ ثانيةً على طريق التوكيد ، كما سألتك أولاً على طريق الاقتراح ،
أن تكون هذه الرسالة مَصُونَةً عن عُيُونِ الحاسدين العَيَّايين ، بعيدةً عن تناوُلِ
أَيْدِيِ المَفسِدِينَ المَنافِسِينَ ؛ فليس كلُّ قائلٍ يَسْلَمَ ، ولا كلُّ سامعٍ يُنصِفُ ،
ولا كلُّ مُتَوَسِّطٍ يُصلِحُ ، ولا كلُّ قادمٍ يُفَسِّحُ له في المجلس عند القُدوم .

والبَلِيَّةُ مضاعفةٌ من جهةِ النَّظَرِ في الصناعة ، وللحسدِ ثَوْرانٌ في نفوسِ
هذه الجماعة ؛ وقلٌّ من يَجْهَدُ جُهْدَهُ في التقربِ إلى رئيسٍ أو وزيرٍ ، إلا جَدَّ في
إبعاده من مَرامِهِ كلُّ صغيرٍ وكبيرٍ ؛ وهذا لأنَّ الزمانَ قد استحالَ عن المَعهودِ ،

(١) هذه الكلمة مطبوسة في (١) .

(٢) في (١) ولولم أحتج ، وقوله : « لو » زيادة من الناسخ .

وجفا عن القيام بوظائف الديانات وعادات أهل الرواة ؛ لأمرٍ شرَّحها يطول ؛
وقد كان الناس يتقلبون في بسيط^(١) الشمس ؛ (أعنى الذين) فَرُبَّتْ عَنْهُمْ ،
فعاشوا بنور القمر ، (أعنى الرواة) فأفل دُونهم ، مَبَقُوا في ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ،
(أعنى الجهل وقلة الحياء) فلا جَرَمَ أَغْضَلَ الدَّاءُ ، وَأَشْكَلَ الدَّوَاءُ ، وَغَلَبَتْ
الْحَيَرَةُ ، وَقَدَّ الْمُرْشِدُ ، وَقَلَّ الْمُسْتَرْشِدُ ؛ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .
وَأَرْجِعْ إِلَى مَا هُوَ الْغَرَضُ مِنْ نَسْخِ مَا تَقَدَّمَ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ .

الليلة السابعة عشرة

(١) فلما عُدْتُ إِلَى الْمَجْلِسِ قَالَ : مَا تَحْفَظُ فِي تَفْعَالٍ وَتِفْعَالٍ ، فَقَدْ اشْتَبَهَا ؟ وَفَرَعْتُ
إِلَى ابْنِ عُيَيْنَةَ الْكَاتِبِ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَقْنَعٌ ، وَأَلْقَيْتُ عَلَى مِسْكُونِهِ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ
فِيهَا مَطْلَعٌ ؛ وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى دُثُورِ الْأَدَبِ وَبَوَارِ الْعِلْمِ وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الْكَدْحِ
فِي طَلَبِهِ . فَقُلْتُ :

قال شيخنا أبو سعيد السِّيرَافِيُّ الْإِمَامُ — نَصَرَ اللَّهُ وَجْهَهُ — : الْمَصَادِرُ
كُلُّهَا عَلَى تَفْعَالٍ بَفَتْحِ التَّاءِ ، وَإِنَّمَا تَجِيءُ تَفْعَالٌ فِي الْأَسْمَاءِ ، وَلَيْسَ بِالكَثِيرِ .
قال : وَذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ اللُّغَةِ مِنْهَا سِتَّةَ عَشَرَ اسْمًا لَا يُوجَدُ غَيْرُهَا . قال : هَاتِيهَا .
قلتُ : مِنْهَا التَّبَيُّانُ وَالتَّلَقُّاءُ ، وَمِرَّةٌ تَهْوَأُ مِنَ اللَّيْلِ ؛ وَتَبْرَاكُ^(٢) ، وَتَمَشَارُ^(٣)
وَتَرْبَاعٌ ، وَهِيَ مَوَاضِعٌ ؛ وَتَمْسَاحٌ لِلدَّابَّةِ الْمَعْرُوفَةِ ؛ وَالتَّمْسَاحُ الرَّجُلُ الْكَذَّابُ أَيْضًا .

(١) كذا ورد هذا اللفظ في كلا الأصلين ولعل المراد ببسيط الشمس ضوءها التبسيط .
(٢) في كلتا النسختين « وتنزل » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا نقلًا عن ياقوت .
وتبراك : ماء لبنى الصبر وقيل موضع بمحذاة تشار .
(٣) في كلتا النسختين « وتمشاء » ؛ وهو تحريف ؛ والتصويب عن ياقوت . وتمشار
موضع بالدهناء .

وتجفاف وتمثال وتمراد^(١) بيت الحمام ، يَلْفَاق ، وهو ثوبان يُلْفَقَان . وتَلْقَام : سريعُ اللَّقْم .

ويقال : أنت الناقةُ على تَضْرَابِها ، أى على الوقت الذى ضَرَبَها الفحلُ فيه ، وتَضْرَاب كثيرُ الضَّرْب [وتَقْصَار]^(٢) ، وهى المِخْنَقَةُ ؛ وتَنْبِال ، وهو القصير .

قال : هذا حَسَنٌ ، فما تقولُ فى تَذْكَار ؟ فإنَّ الخوض فى هذا المثلِ إنما كان من أجلِ هذا الحَرْفِ ، فإنَّ أصحابنا كانوا فى مجلس الشَّرَاب ، فأَخْتَلَفُوا فيه ؟ قلتُ : هذا مَصْدَرٌ ، وهو مفتوح .

ثم قال : اجْمَعْ لى حُرُوفًا نظائرَ لهذا من اللغة ، وأشرح^(٣) ما نَدَرَ منها ، وعَرِّضَ الشَّكَّ لكثير من الناس فيها .

قلتُ : السمع والطاعة مع الشَّرَفِ بالخدمة .

وقال أيضاً : حدثنى عن شىء هو أهمُّ من هذا لى وأخطرُ على بالى ، إني (٢) لا أزال أسمع من زيد بن رِفَاعَةَ قولاً ومذهباً لا عهد لى [به]^(٤) وكنيةً عما لا أحقُّه ، وإشارةً إلى ما لا يتوضَّح شىء منه ، يذكرُ الحروف ويذكرُ النُّقْطَ ، ويرزُعم أن الباء لم تُنْقَطْ من تحت واحدةٍ إلا بسبب ، والتاء لم تُنْقَطْ من فوق اثنتين إلا لعلَّة ، والألف لم تُعَرَّ إلا لغرض . وأشبه هذا ؛ وأشهد^(٥) منه فى عَرَضِ ذلك دَعْوَى يتعاضم بها ويتنفَّج^(٦) بذكرها ؛ فما حديثه ؟ وما شأنه ؟

(١) فى كتب اللغة أن التمراد هو بيت صغير فى بيت الحمام لمبيضه .

(٢) لم ترد هذه الكلمة فى كلتا النسخين ، وقد أثبتناها عن كتب اللغة .

(٣) فى « ب » : « وتوخ » .

(٤) لم ترد هذه الكلمة فى (١) .

(٥) « وأشهر » فى كلتا النسخين .

(٦) يتنفج : يفخر بما ليس فيه . وفى كلتا النسخين « يتنفخ » .

وما دُخِلَتْهُ؟ وما خَبَرُهُ؟ قد بلغني أنك تغشاه وتجلس إليه، وتُكْثِرُ عنده، وتُورِّقُ له، ولك معه نوادرٌ مضحكة، ونوادرٌ معجبة. ومن طالت عِشْرَتُهُ لإنسان صدقتْ خِبرَتُهُ به، وأنكشَفَ أمرُهُ له، وأمكنَ إطلاعُهُ على مستكنٍ رأيهِ وخافِ مَذْهَبِهِ وعويصِ طريقتِهِ.

قلتُ: أيُّها الوزير، هو الذي تعرِّفه قَبْلِي قديماً وحديثاً بالتريية والأختبار والأستخدام، وله منك الأُخُوَّةُ^(١) القديمة والنسبة المعروفة.

قال: دَعْ هذا وصِفْه لِي. قلتُ: هناك ذِكْرٌ غالبٌ، وذِهنٌ وقادٌ، ويَقْظَةُ حاضرة، وسَوَاحُجٌ متناصرة^(٢)، ومَتَّسَعٌ في فُنُونِ النِّظَمِ والنَّثْرِ، مع الكتابة البارعة في الحساب والبلاغة، وحفظ أيام الناس، وسماع المقالات، وتبصُّر في الآراء والديانات، وتصرُّف في كلِّ فنٍّ: إمَّا بالشدو^(٣) الموهوم، وإمَّا بالتبصُّر المفهم، وإمَّا بالتناهي المفهم. فقال: فعلى هذا ما مذهبُهُ؟ قلتُ: لا يُنسب إلى شيء، ولا يُعرَف برَهْطٍ، لجَيْشَانِه بكلِّ شيء، وغَلِيَانِه^(٤) في كلِّ باب. ولأختلاف ما يبدو من بسْطَةِ تَبْيَانِه، وسطوته بلسانه^(٥)، وقد أقام بالبصرة زماناً طويلاً، وصادَفَ بها جماعةً جامعةً لأصناف العلم وأنواع الصناعة؛ منهم أبو سليمان محمد بن مُعْشَرِ البَيْسَتِيِّ^(٦)، ويُعرَف بالمقدسي، وأبو الحسن علي بن

(١) في «ب» الآصرة. والآصرة ما عطفك على إنسان من ود أو رحم أو نحوهما.

(٢) متناصرة، أي ينصر بعضها بعضاً.

(٣) بالشدو، أي أخذ العلم وتلقيه.

(٤) في كلتا النسختين «وعليانه».

(٥) في (١) «بسلطانه».

(٦) في كلتا النسختين «ابن مسعر البستي»، وهو تحريف والبيستي نسبة إلى بستي

من قري الرى.

هارون الزنجاني^(١)، وأبو أحمد المهرجاني^(٢) والعوفى وغيرهم، فصحبهم وخدمهم؛ وكانت هذه العصابة قد تآلفت^(٣) بال عشرة، وتصافت بال صداقة، وأجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة، فوضعوا بينهم مذهباً زعموا أنهم قروا به [الطريق] إلى الفوز برضوان الله والمصير^(٤) إلى جنّته، وذلك أنهم قالوا: الشريعة قد دُست بالجهالات، وأختلطت بالضلالات؛ ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة، [وذلك] لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية، والمصلحة الاجتهادية.

وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال؛ وصنفوا خمسين رسالة في جميع أجزاء الفلسفة: علميها وعمليها، وأقردوا لها فهرستاً وسموها رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، وكتبوا أسماءهم، وبثوها في الوراقين، ولقنوها للناس، وأدعوا أنهم ما فعلوا ذلك إلا ابتغاء وجه الله عز وجل وطلب رضوانه ليخلصوا الناس من الآراء الفاسدة التي تضرّ النفوس، والعقائد الخبيثة التي تضرّ أصحابها، والأفعال المذمومة التي يشقى بها أهلها؛ وحشوا هذه الرسائل بالكلم الدينيّة والأمثال الشرعيّة والحروف^(٥) المختلّة والطُرُق الموهمة.

قال: هل رأيت هذه الرسائل؟ قلت: قد رأيت جملة منها، وهي مبثوثة من كل فنٍ نتفا بلا إشباع ولا كفاية، وفيها خرافات وكنائيات وتلفيقات

(١) في (١) الريحاني.

(٢) المهرجاني: نسبة إلى مهرجان من قرى أسفرايين أو مهرجان قنق، وهو كورة، وفي كلتا النسختين «المهرجوني».

(٣) في (١): «بالت».

(٤) كذا في «ب»، والذي في (١) «والفوز» مكان قوله: «والمصير». وهو خطأ من الناسخ.

(٥) الحروف: الكلمات.

وتلزيقات ؛ وقد غَرَقَ الصَّوَابُ فيها لغلبة الخطأ عليها ؛

(٢٧) وحلتُ عِدَّةٌ منها إلى شيخنا أبى سليمان المنطقى السَّجِسْتَانِىَّ (محمد بن بهرام) ^(١) وعرضتها عليه ونظر فيها أياما واختبرها طويلا ؛ ثم ردّها على وقال :
تَعَبُوا وما أَغْنَوْا ، وَنَصَبُوا وما أَجَدُوا ، وَحَامُوا وما وَرَدُوا ، وَغَنَوْا وما أَطْرَبُوا ،
وَنَسَجُوا فَهَلَكُوا ، وَمَشَطُوا فَفَلَقُوا ^(٢) ؛ ظَنُّوا ما لا يَكُون ولا يُمْكِن ولا
يُسْتَطَاع ؛ ظَنُّوا أَنَّهُمْ يُمْكِنُهُمْ أَنْ يَدُسُّوا الفَلَسَفَةَ — التى هى عِلْمُ النُّجُومِ وَالْأَفْلاكِ
وَالْمَجَسِّطِىِّ وَالْمَقَادِيرِ وَأَنَارِ الطَّبِيعَةِ ، وَالْمُوسِيقِىِّ التى هى مَعْرِفَةُ النِّغَمِ وَالْإِيْقَاعَاتِ
وَالنَّقَرَاتِ وَالْأَوْزَانِ ، وَالْمَنْطِقِ الَّذِى هُوَ أَعْتَبَارُ الْأَقْوَالِ بِالْإِضَافَاتِ وَالْكَمِّيَّاتِ
وَالْكَيْفِيَّاتِ — فى الشَّرِيعَةِ ، وَأَنْ يَضُمُّوا ^(٣) الشَّرِيعَةَ لِلْفَلَسَفَةِ .

وهذا مرامٌ دُونَهُ حَدَدٌ ^(٤) ؛ وقد توفّرَ على هذا قَبْلَ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ كَانُوا أَحَدًا
أَنْبِيَاءًا ، وَأَحْضَرَ أَسْبَابًا ، وَأَعْظَمَ أَقْدَارًا ، وَأَرْفَعَ أخطارًا ، وَأَوْسَعَ قُوًى ، وَأَوْثَقَ
عُرًا ، فَلَمْ يَتِمَّ لَهُمْ ما أَرَادُوهُ ، وَلَا بَلَّغُوا مِنْهُ ما أَمَّلُوهُ ؛ وَحَصَلُوا على لُؤْثَاتٍ قَبِيحَةٍ ،
وَلَطَخَاتٍ فَاضِحَةٍ ، وَأَلْقَابٍ مُوحِشَةٍ ، وَعَوَاقِبَ مُخْزِيَةٍ ، وَأَوْزَارٍ مُثْقَلَةٍ .

فقال له البخارى أبو العباس : ولمَ ذلك أيها الشيخ ؟

قال : إِنَّ الشَّرِيعَةَ مأخُودَةٌ عن الله — عزَّ وجلَّ — بوساطة السِّفَرِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
الْخَلْقِ مِنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ ، وَبَابِ الْمُنَاجَاةِ ، وَشَهَادَةِ الْآيَاتِ ، وَظُهُورِ الْمَعْجَزَاتِ ،
على ما يوجِبُهُ الْعَقْلُ تَارَةً ، وَيُجَوِّزُهُ تَارَةً ، لِمَصَالِحِ عَامَّةٍ مُتَّقِنَةٍ ، وَمُرَاشِدَةٍ تَامَّةٍ .

(١) فى كلتا النسختين : « ابن إبراهيم » .

(٢) فى (١) : « ففلقوا » وفى (ب) : « فملقوا » ؛ وهو تصحيف . وفلقوا ، أى جعلوا

الشعر شديد الجموعة . يقال : شعر مفلقل ، إذا كان كذلك .

(٣) فى (ب) : « يطبقوا » .

(٤) دونه حدد ، أى دفع ومنع .

مُبَيَّنَةٌ ؛ وفي أثنائها ما لا سبيلَ إلى البحثِ عنه ، والقَوْصِ فيه ؛ ولا بدَّ من التسليم للداعى إليه ، والمنبئِ عليه ؛ وهناك يَسْقُطُ (لَمْ) وَيَبْطُلُ (كَيْفَ) ، وَيَزُولُ (هَلَّا) ويذهبُ (لَوْ) و(لَيْتَ) في الرَّجْحِ ، لأنَّ هذه الموادَّ عنها تحسومة ، وأعتراضات المعترضين عليها مردودة ، وأرتياب المرتابين فيها ضارٌّ ، وسكون الساكنين إليها نافع ؛ وجمَلَتُها مُشْتَمِلَةٌ على الخير ، وتَقْصِيلُها مَوْصُولٌ بها على حُسْنِ التَّقَبُّلِ ، وهى متداوِلةٌ بين متعلِّق بظاهر مكشوف ، ومُخْتَجِّمٌ بتأويلٍ معروفٍ ؛ وناصرٍ باللغة الشائعة ، وحامٍ بالجدل المبين ، وذابٍّ بالعمل الصالح ، وضاربٍ للمثل السائر ، وراجعٍ إلى البرهان الواضح ، ومُتَقَفٍّ في الحلال والحرام ، ومُسْتَنِدٍ إلى الأثر والخبر المشهورين بين أهلِ المِلَّةِ ، وراجعٍ إلى اتفاقِ الأُمَّةِ .

وأساسُها على الوَرَعِ والتَّقْوَى ، ومُنْتَهَاها إلى العبادَةِ وطلَبِ الزُّلْفَى .
ليس فيها حديثُ المُنْجَمِ في تأثيراتِ الكواكب وحركاتِ الأفلاكِ ومقاديرِ الأجرامِ ومطالعِ الطَّوَالِغِ ومغاربِ الفواربِ .

ولا حديثُ تشاؤمِها وتياؤمِها ، وهُبُوطِها وصُعُودِها ، ونَحْسِها وسَعْدِها ، وظُهورِها واستِئْشَارِها ، ورُجُوعِها واستقامتِها ، وتربيعِها وتثليثِها ، وتسديسِها ومُقَارَنَتِها .
ولا حديثُ صاحبِ الطبيعةِ الناظرِ في آثارِها ، وأشكالِ الأسْطَقْسَاتِ ، بثبوتِها واقتراحِها ، وتصريفِها في الأقاليمِ والمعادنِ والأبدانِ ، وما يتعلقُ بالحرارةِ والبرودةِ والرطوبةِ واليبوسةِ ؛ وما الفاعلُ وما المُنْفَعِلُ منها ؛ وكيف تمازجُها وتزاورُجُها ، وكيف تنافرُها وتسايرُها ؛ وإلى أين تَسْرِي قُوَاهَا ، وعلى أى شىء يَاقِفُ مُنْتَهَاها .
ولا فيها حديثُ المهندسِ الباحثِ عن مقاديرِ الأشياءِ ونَقْطِها وخطوطِها وسُطُوحِها وأجسامِها وأضلاعِها وزواياها ومقاطعِها ، وما الكُرَّةُ ؟ وما الدائِرَةُ ؟ وما المُسْتَقِيمُ ؟ وما المُنْحَنَى ؟

ويقولون : مُطَرْنَا بنوؤ المِجْدَح ، فهذا كما ترى ، والمِجْدَحُ : الدَّبران .
ثم قال : ولقد اختلفت الأُمَّةُ ضروباً من الأختلاف في الأصول والقروع ،
وتنازَعوا فيها فُنُوناً من التنازع في الواضح والمُشْكل من الأحكام ، والحلال
والحرام ، والتفسير والتأويل ، والعِيان والخبر ، والعادة والأصْلاح ؛ فما فَرَعُوا
في شيء من ذلك إلى منجَمٍ ولا طيبٍ ولا منطقيٍّ ولا مُهندِسٍ ولا مُوسِقيٍّ
ولا صاحب غزِيرةٍ وشَقْبَذَةٍ وسِخْرِ وكِيمياء ، لأن الله تعالى تَمَّ الدين بنبيه
صَلَّى الله عليه وسلم ، ولم يُخَوِّجْهُ بعد البيان الوارد بالوَحْيِ إلى بيانٍ
موضوعٍ بالرأى .

قال : وكما لم نجد في هذه الأُمَّة من يَفْزَعُ إلى أصحاب الفلسفة في شيء من
دينها ، فكذلك أُمَّة عيسى عليه السلام وهي النصارى ، وكذلك المجوس .
قال : ومما يَزِيدُكَ وضوحاً وَيُرِيكَ عَجَباً أَنَّ الأُمَّةَ اختلفت في آرائها
ومذاهبها ومقالاتها فصارت أصنافاً فيها وَفَرَقاً ؛ كالمُرْجِئة والمعتزلة والشيعة
والشُّنَّة والخوارج ، فما فَرَعَتْ طائفةٌ من هذه الطوائف إلى الفلاسفة ، ولا
حَقَّقَتْ مقالاتها بشواهدهم وشهادتهم ، ولا أَشْتَغَلَتْ بطريقهم ، ولا وَجَدَتْ عندهم
ما لم يكن عندها بكتاب ربِّها وأثر نبيِّها .

وهكذا الفقهاء الذين اختلفوا في الأحكام من الحلال والحرام منذ أيام
الصِّدْرِ الأوَّل إلى يومنا هذا لم نجدْهم تظاهروا بالفلاسفة فَأَسْتَنْصَرُوهم ، ولا قالوا
لهم : أعينونا بما عندكم ؛ واشهدوا لنا أو علينا بما قَبَلَكم .

قال : فأين الدِّينُ من الفلسفة ؟ وأين الشيء المأخوذ بالوَحْيِ النَّازل ، من
الشيء المأخوذ بالرأى الزائل ؟

فإذ أدلُّوا بالعقل فالعقل مَوْهَبَةٌ من الله جلَّ وعزَّ لكلِّ عبد ، ولكن بقَدْرِ

ولا فيها حديثُ المنطقيِّ الباحثِ عن مراتب الأقوال ، ومناسِبِ الأسماء والحروف والأفعال ؛ وكيف أرتباطُ بعضها ببعض على موضوع رجل من يونان حتى يصحَّ بزعمه الصدق ، ويُنبَذَ الكذب .

وصاحبُ المنطق يرى أنَّ الطبيبَ والمنجمَّ والمهندسَ وكل من فاه بلفظٍ وأمَّ غرضاً فقراء إليه ، محتاجون إلى ما في يديه .

قال : فعلى هذا كيف يسوِّغ لإخوان الصفاء أن ينصبوا من تلقاء أنفسهم دعوةً تجمع حقائق الفلسفة في طريق الشريعة ؟

على أن وراء هذه الطوائف جماعة أيضاً لهم مأخذٌ من هذه الأغراض ، كصاحب الغزمية وصاحب الطلسم وعابر الرؤيا ومدَّعي السِّحر وصاحب الكيمياء ومستعمل الوهم . قال : ولو كانت هذه جائزةً وممكنةً لكان الله تعالى نَّبَّه عليها ، وكان صاحبُ الشريعة يُقومُ شريعته بها ، ويكملها باستعمالها ، ويتلافى نقصها بهذه الزيادة التي يجدها في غيرها ، أو يحضُّ المتفلسفين على إيضاحها [بها] ويتقدم إليهم بإتمامها ، ويفرض عليهم القيام بكل ما يُدبِّ به عنها حسب طاقتهم فيها ، ولم يفعل ذلك بنفسه ، ولا وَكَّله إلى غيره من خلفائه والقائمين بدينه ؛ بل نهى عن الخوض في هذه الأشياء ، وكرَّه إلى الناس ذِكْرَها ، وتوعَّدَهم عليها ، وقال : من أتى عمراً أو طارماً ^(١) أو حازياً ^(٢) أو كاهناً أو منجماً يطلب غيب الله منه فقد حارب الله ، ومن حارب الله حُرِبَ ، ومن غلبه غلب ، حتى قال :

« لو أنَّ الله حبَسَ عن الناس القطرَ سبعَ سنينَ ثم أرسله لأصبحت طائفةٌ

به كافرين » .

(١) الطارق : الذي يطرق الحصى مستخبراً لما به عن الغيب .

(٢) الحازي : الذي ينظر في الأعضاء وفي خيلان الوجه يتكهن . ومنه قولهم : على

الحازي وقت ، أي على الحيز ؛ والحازي أيضاً : الذي يزجر الطير .

ما يدرك به ما يعلوه ، كما لا يخفى به عليه ما يتلوه ، وليس كذلك الوحي ، فإنه على نوره المنتشر ، وبيانهِ الميسر .

قال : وبالجملة ، النبيُّ فوقَ الفيلسوف ، والفيلسوفُ دون النبي ؛ وعلى الفيلسوف أن يتبع النبي ، وليس على النبي أن يتبع الفيلسوف ، لأن النبي مبعوث ، والفيلسوف مبعوث إليه .

قال : ولو كان العقلُ يكتفي به لم يكن للوحي فائدةٌ ولا غناء ، على أن منازل الناس متفاوتةٌ في العقل ، وأنصباؤهم مختلفةٌ فيه ؛ فلو كنا نستغنى عن الوحي بالعقل كيف كنا نصنع ، وليس العقلُ بأسره لواحدٍ منا ، وإنما هو لجميع الناس ، فإن قال قائلٌ بالعبث والجهل : كلُّ عاقلٍ موكولٌ إلى قدرٍ عقله ، وليس عليه أن يستفيد الزيادة من غيره ، لأنه مكفيٌّ به ، وغيرُ مُطالبٍ بما زاد عليه .

قيل له : كفالك تماديا في هذا الرأي أنه ليس لك فيه موافق ، ولا عليه مطابق ؛ ولو استقلَّ إنسانٌ واحدٌ بعقله في جميع حالاته في دينه ودنياه لاستقلَّ أيضاً بقوة في جميع أحواله في دينه ودنياه ، ولكان وحده يفي بجميع الصناعات والمعارف ، وكان لا يحتاج إلى أحدٍ من نوعه وجنسه ؛ وهذا قولٌ مرذولٌ ورأيٌ مخذولٌ .

قال البخاري : وقد اختلفت أيضاً درجاتُ النبوة بالوحي ، وإذا ساغ هذا الاختلاف في الوحي ولم يكن ذلك ثلماً له ، ساغ أيضاً في العقل ولم يكن مؤثراً فيه .

فقال : يا هذا ، اختلافُ درجات أصحاب الوحي لم يخرجهم عن الثقة والطمأنينة بمن أصطفاهم بالوحي ، وخصهم بالمناجاة ، وأجتباهم للرسالة ، وأكملهم بما ألبسهم من شعار النبوة ؛ وهذه الثقة والطمأنينة مفقودتان في الناظرين بالعقول المختلفة ،

لأنهم على بُعدٍ من الثقة والطمأنينة إلا في الشيء القليل والنزير اليسير؛ وعوارُ هذا الكلام ظاهر، وخطلُ هذا المتكلم يبين .

قال الوزير: أفا سمع شيئاً من هذا المقدس؟ قلت: بلى قد ألقيتُ إليه هذا وما أشبهه بالزيادة والنقصان، والتقديم والتأخير، في أوقات كثيرة بمحضرة حمزة الوراق في الوراقين، فسكت، وما رآني أهلاً للجواب؛ لكن الحريري غلام ابن (٤) طرارة هيّجه يوماً في الوراقين بمثل هذا الكلام، فاندفع فقال: الشريعة طبُ المرضى، والفلسفة طبُ الأصحاء، والأنبياء يطبّون للمرضى حتى لا يتزايد مرضهم، وحتى يزول المرض بالعافية فقط. فأما الفلاسفة فإنهم يحفظون الصحة على أصحابها حتى لا يعتريهم مرض أصلاً، فبين مدبّر المريض ومدبّر الصحيح فرق ظاهر وأمر مكشوف، لأن غاية مدبّر المريض أن ينتقل به إلى الصحة، هذا إذا كان الدواء ناجعاً، والطبّع قابلاً، والطبيب ناصحاً. وغاية مدبّر الصحيح أن يحفظ الصحة، وإذا حفظ الصحة فقد أفاده كسب الفضائل، وفرغها، وعرضه لاقتنائها؛ وصاحب هذه الحال فائز بالسعادة العظمى، ومتبوّى الدرجة العليا؛ وقد صار مستحقاً للحياة الإلهية؛ والحياة الإلهية من الخلود والديمومة والسرمديّة.

فإن كسب من يبرأ من المرض بطبّ صاحبه الفضائل أيضاً؛ فليست (١) تلك الفضائل من جنس هذه الفضائل، لأن إحداها تقليدية، والأخرى برهانية؛ وهذه مظنونة، وهذه مستيقنة (٢)، وهذه روحانية، وهذه جسميّة، وهذه دهرية، وهذه زمانية.

(١) في ب « قلت »؛ وهو تحريف .

(٢) في ب « مستقمة »؛ وهو تحريف .

وقال أيضاً : إنما جَمَعْنَا بين الفلسفة والشرِعة لأن الفلسفة معترِفةٌ بالشرِعة ، وإن كانت الشرِعةُ جاحدةً لها ؛ وإنما جَمَعْنَا أيضاً بينهما لأن الشرِعة عامة ، والفلسفةُ خاصّة ، والعامةُ قوامُها بالخاصّة ، كما أن الخاصّةُ تمامُها بالعامة ؛ وهما متطابقتان إحداهما على الأخرى ، لأنها كالظاهرة التي لا بدّ لها من البطانة ، والبطانة التي لا بدّ لها من الظاهرة .

فقال له الحريري : أمّا قولك طِبُّ المَرَضَى وطِبُّ الأصمّاء وما نسقت عليه كلامك فمَثَلٌ لا يعبرُ به غيرُك^(١) ومن كان في مُشْكل ، لأن الطيب عندنا الحاذق في طِبِّه هو الذي يجمع بين الأمرين ، أعنى أنه يُرى المريض من مرضه ، ويحفظُ الصّحيح على صحته ؛ فأما أن يكون ها هنا طبيبان يعالج أحدهما الصحيح ، والآخرُ يعالج المريض ، هذا ما لم نعهذه نحن ولا أنت ؛ وهو شيءٌ خارجٌ عن العادة ، فمَثَلُكَ مردودٌ عليك ، وتشنيعُك فاضحٌ لك ، وكلُّ أحدٍ يعلمُ أن التدبير في حفظ الصّحة ودفعِ المرض — وإن كان بينهما فرق — واحد ، فالطبُّ يجمعهما ، والطيب الواحد يقوم بهما وبشرائطهما .

وأما قولك في الفصل الثاني : إن إحدى الفضيلتين تقليدية ، والأخرى برهائية ، فكلامٌ مدخول ، لأنك غلطت على نفسك ؛ ألا تعلمُ أن البرهانية هي الواردة بالوحي ، الناطمة للرُّشد ، الداعيةُ إلى الخير ، الواعدةُ بحسن المآب ؛ وأن التقليدية هي المأخوذة من المقدّمة والنتيجة ، والدعوى التي يُرجع فيها إلى من ليس بحجة ، وإنما هو رجلٌ قال شيئاً فوافقه آخرٌ وخالفه آخرٌ ، فلا الموافق له يرجعُ إلى الوحي ، ولا الخالف له يستند إلى حق ؛ والعجب أنك جعلت الشرِعة من باب الظن ، وهي بالوحي ، وجعلت الفلسفة من باب اليقين ، وهي من الرأي .

(١) في (١) « عليه » .

وأما قولك : هذه رُوحانيّة — تعني الفلسفة — وهذه جسميّة — تعني الشريعة — فزخرفة لا تستحقّ الجواب ، ولمثل هذا فليعمل المزخرفون ؛ على أنا لو قلنا : بل الشريعة هي الرُوحانيّة ، لأنها صَوْتُ الوحي ، والوحي من الله عزّ وجل ، والفلسفة هي الجسميّة ، لأنها برزت من جهة رجل باعتبار الأجسام والأعراض ، وما هذا شأنه فهو بالجسم أشبه ، وعن لطف الروح أبعد [لما أبعدنا] .

وأما قولك : الفلسفة خاصّة والشريعة عامّة ، فكلام ساقط لا نور عليه ، لأنك تشير به إلى أن الشريعة يعتقدونها قوم — وهم العامة — والفلسفة ينتحلها قوم — وهم الخاصة — فلمَ جعّمت رسائل إخوان الصفاء ودعوتهم الناس إلى الشريعة وهي لا تلزم إلا للعامة ، ولمَ تقولوا للناس : مَنْ أحبَّ أن يكون من العامة فليتنحل بالشريعة ، فقد ناقضتم ، لأنكم حشّوتم مقالكم بآيات من كتاب الله تزعمون بها أن الفلسفة مدلول عليها بالشريعة ، ثم الشريعة مدلول عليها بالمعرفة ، ثم هانت تدّكر أن هذه للخاصّة ؛ وتلك للعامة ؛ فلمَ جعّمت بين مفرقين ، ومرتقم بين مجتمعين ؛ هذا والله الجهل المبين ، والخرق المشين .

وأما قولك : إنا^(١) جمعنا بين الفلسفة والشريعة^(٢) لأن الفلسفة معترفة بالشريعة ، وإن كانت الشريعة جاحدة للفلسفة ، فهذه مناقضة أخرى^(٣) ، وإني أظن أن حسك كليل ، وعقلك عليل ، لأنك قد أوضحت عذر أصحاب الشريعة ، إذ جحدوا الفلسفة ، وذلك أن الشريعة لا تدّكرها ، ولا تحض على الذنونة^(٤) .

(١) في (١) « إذا » وهو تحريف .

(٢) ورد بعد قوله : الشريعة في (١) « وما » وهي زيادة من الناسخ لا معنى لها .

(٣) في (١) « للأخرى » وهذان اللامان زيادة من الناسخ .

(٤) « النوبة » .

بها ؛ ومع ذلك فليس لهم علمٌ بأنَّ الفلسفة قد حَثَّتْ على قبول الشريعة ، ونهت عن مخالفتها ، ومتمتها بالناموس الحافظ لصلاح العالم^(١)

ثم قال الحريري : حدثني أيها الشيخ : على أيَّ شريعةٍ دلت الفلسفة ؟ أعلى اليهودية ، أم على النصرانية ، أم على المجوسية ، أم على الإسلام ، أم ماعليه الصائبون ؟ فإنَّها هنا من يتفلسف وهو نصرانيٌّ كابن زُرعة وابن الخمار وأمثالهما ، وها هنا من يتفلسف وهو يهوديٌّ ، كأبي الخير بن يعيش ، وها هنا من يتفلسف وهو مسلمٌ ، كأبي سليمان والنوشجاني وغيرهما ؛ أفنقول إن الفلسفة أباحت لكل طائفة من هذه الطوائف أن^(٢) تدين بذلك الدين الذي نشأت عليه ؟ ودع هذا ليخاطبَ غيرك ، فإنك من أهل الإسلام بالهندي والجبيلة والتنشيط والوراثية ؛ فما بالنا لا نرى واحداً منكم بأركان الدين ، ويتقيد بالكتاب والسنة يُراعى معالي الفريضة ووظائف النافلة ؟ وأين كان الصدر الأول من الفلسفة ؟ أفعلى الصحابة ، وأين كان التابعون منها ؟ ولم خفي هذا الأمر العظيم — مع^(٣) ما فيه من الفوز والنعيم — على الجماعة الأولى والثانية والثالثة إلى يومنا هذا وفيهم الفقهاء والزهاد والعباد وأصحاب الورع والتقوى ، والناظرون في الدقيق ودقيق الدقيق وكلُّ ما عاد بخير عاجل وثواب آجل ، هيئات^(٤) لقد أسرَّ رثم الحسوف في الارتقاء^(٥) وأستقيم بلا دلو ولا رشاء ، ودَلَلْتُ على فسولتكم وضعف منَّتكم

(١) ورد في (١) جد قوله : « العالم » قوله : « قبله » ولا معنى لها هنا .

(٢) في (١) « لمن تدين » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (١) « على مع ما فيه » ؛ وقوله : « على » زيادة من الناسخ .

(٤) في (١) « ما هنا هيئات » ؛ وقوله : « ما هنا زيادة من الناسخ .

(٥) الارتقاء : أخذ الرغوة ، وهذا مثل يضرب لمن يظهر أمراً وهو يريد خلافه ، أو لمن يظهر طلب القليل وهو يريد الكثير ، وقد سئل النبي في رجل قبل أم امرأته فقال : يسرَّ حسوا في ارتقاء ، وقد حرمت عليه امرأته .

وأردتم أن تقيموا ما وَضَعَهُ اللهُ ، وتضعوا ما رَفَعَهُ اللهُ ، والله لا يُغَالِبُ ؛ بل هو غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ، فَعَالٍ لِمَا يُرِيدُ .

قد حاول هذا الكَيْدُ خَلْقٌ في القديم والحديث ، فنكصوا على أعقابهم خائبين ، وَكُتِبُوا لُجُوهَهُمْ خَاسِرِينَ ؛ منهم أَبُو زَيْدِ الْبَلْخِيّ ؛ فَإِنَّهُ أَدْعَى أَنَّ الفَلَسَفَةَ مُقَاوَدَةٌ ^(١) لِلشَّرِيعَةِ ، وَالشَّرِيعَةُ مُشَاكَلَةٌ لِلْفَلَسَفَةِ ، وَأَنَّ إِحْدَاهُمَا أُمٌّ وَالْأُخْرَى ظِلٌّ ، وَأَظْهَرَ مَذْهَبَ الزَّيْدِيَّةِ ، وَأَنْقَادَ لَأَمِيرِ خِرَاسَانَ الَّذِي كَتَبَ لَهُ أَنَّ يَعْمَلُ فِي نَشْرِ الْفَلَسَفَةِ بِشَفَاعَةِ الشَّرِيعَةِ ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَيْهَا بِاللُّطْفِ وَالشَّفَقَةِ وَالرَّغْبَةِ ، فَشَتَّتَ اللهُ كَلِمَتَهُ ، وَقَوَّضَ دِعَامَتَهُ ، وَحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِرَادَتِهِ ، وَوَكَّلَهُ إِلَى حَوَالِهِ وَقَوَّعَتَهُ ، فَلَمْ يَتِمَّ لَهُ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ .

وكذلك رَأَى ^(٢) أَبُو تَمَامِ النَّيْسَابُورِيُّ ، وَخَدَمَ الطَّائِفَةَ الْمَعْرُوفَةَ بِالشَّيْعِيَّةِ وَلَجَأَ إِلَى مَطَرُفِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَزِيرِ مُرْدَاوَيْجٍ ^(٣) الْجَبَلِيِّ لِيَكُونَ لَهُ بِهِ قُوَّةٌ ، وَيَنْطَلِقَ بِمَا فِي نَفْسِهِ مِنْ هَذِهِ الْجَلَّةِ ، فَمَا زَادَتْهُ إِلَّا صِغَرًا فِي قَدْرِهِ ، وَمَهَانَةً فِي نَفْسِهِ ، وَتَوَارِيًا فِي بَيْتِهِ ؛ وَهَذَا بَعِيْنُهُ قَصْدُ الْعَاصِرِ فَمَا زَالَ مَطْرُودًا مِنْ صُتُوعٍ إِلَى صُتُوعٍ يُنْذَرُ دَمُهُ وَيُرْتَصَدُّ قَتْلُهُ ، فَمَرَّةً يَتَحَصَّنُ بِفَنَاءِ ابْنِ الْعَمِيدِ ، وَمَرَّةً يَلْجَأُ إِلَى صَاحِبِ الْجَيْشِ بَنِيْسَابُورٍ ، وَمَرَّةً يَتَقَرَّبُ إِلَى الْعَامَّةِ بِكُتُبٍ يَصْنَعُهَا فِي نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ يُتَّبَعُ وَيُقْرَفُ بِالْإِلْحَادِ ؛ وَيَقْدِمُ الْعَالَمَ وَالْكَلَامَ فِي الْهَيُولَى وَالصُّوْرَةِ وَالزَّمَانِ وَالْمَكَانِ ، وَمَا أَشْبَهَ هَذَا مِنْ ضُرُوبِ الْهَذْيَانِ الَّتِي

(١) مقاوذة للشريعة ، أى مساوقة لها ؛ يريد أنها تسير معها فى قود واحد . وفى ب :

« مقارئة » .

(٢) فى (١) « أم »

(٣) فى كلتا النسختين : « ابن أحرر وزير مردايج » ؛ وهو تحريف .

ما أنزل الله بها كتابه ، ولا دعا إليها رسوله ، ولا أفاضت فيها أمته .
ومع ذلك يُبناغي صاحب كل بدعة ؛ ويجلس إليه كل منهم ؛ ويلقي
كلامه إلى كل من أدعى باطناً للظاهر وظاهراً للباطن .

وما عندي أن الأئمة الذين ^(١) يأخذ عنهم ويقتبس منهم ، كأرسطوطاليس
وسقراط وأفلاطون ، رهط الكفر ذكروا في كتبهم حديث الظاهر والباطن ،
وإنما هذا من نسج القداحين في الإسلام ، الساترين على أنفسهم ما هم فيه من
التهم ؛ وهذا بعينه دبره المهجريون ^(٢) بالأمس ، وبهذا دندن ^(٣) الهجون
بقزوين وبثوا الدعاة في أطراف الأرض ، وبذلوا الرغائب وفتنوا ^(٤) النفوس .

وقد سمعنا تأويلات هذه الطوائف لآيات القرآن في قوله عز وجل :
(انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب) وفي قوله تعالى : (باطنه فيه الرحمة
وظاهره من قبله العذاب) وفي قوله تعالى : (عليها تسعة عشر) وفي قوله
تعالى : (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) إلى
غير ذلك مما يطول ويؤول ^(٥) فدعونا ^(٦) من التورية والحيلة والإيهام والكناية عن
شيء لا يتصل [بالإرادة ، والإرادة لشيء لا يتصل] بالتصريح ، فالناس أُنقذ
لأديانهم وأحرص على الظفر ببغيتهم ^(٧) من الصيارفة لدنانيرهم ودراهمهم .

فلما أنبهر المقدسي بما سمع وكاد يتفري إهابه من الغيظ والعجز وقلة الحيلة

- (١) في كلتا النسختين : « الدين » ، وهو تحريف .
(٢) في كلتا النسختين « الهجون » .
(٣) يقال : دندن الذباب : إذا صوت وطن . ودندن الرجل إذا نغم ولم يفهم منه كلام .
(٤) في كلتا النسختين : « وقتلوا » .
(٥) يقول : من عال الشيء فلاناً إذا ثقل عليه وغلبه وأهمه .
(٦) في كلتا النسختين : « قد عنونا » ؛ وهو تحريف .
(٧) في (١) « بنصبيهم » .

قال : الناس أعداء ما جهلوا ، ونشر الحكمة في غير أهلها يورث العداوة ويطرح^(١) الشحاء ويقدح زند الفتنة .

ثم كرر الحريري كره المدلل وعطف عطفة الواثق بالظفر ، فقال : يا أبا سليمان ، من هذا الذي يُقرُّ منكم أن عصا موسى انقلبت حية ، وأن البحر أنفلك ، وأن يداً خرَجَت بيضاء من غير سوء ، وأن بشراً خلق من تراب ، وأن آخر ولدته أثنى من غير ذكر ، وأن ناراً مَوْجَّعة طُرح فيها إنسان فصارت له برداً وسلاماً ، وأن رجلاً مات مائة عام ثم بُعث فنظر إلى طعامه وشربه على حالهما لم يتغيَّرا ، وأن قبراً تفقأ عن ميت حي ، وأن طيناً دُبِّرَ^(٢) فنُفخ فيه فطار ، وأن قرا انشق ، وأن جذعاً حن ، وأن ذنباً تكلم ، وأن ماء نبع من أصابع فروى منه جيش عظيم ، وأن جماعة شيعت من تريدة في قدر جسم قطاة ؟

وعلى هذا ، إن كنتم تدعون إلى شريعة من الشرائع التي فيها هذه الخوارق والبدائع فاعترفوا بأن هذه كلها صحيحة ثابتة كائنة لا ريب فيها ولا مرية ، من غير تأويل ولا تدليس ، ولا تغليل ولا تلبيس ، وأعطونا خطكم بأن الطبائع تفعل هذا كله ، والمواد تواتي له ، والله تعالى يقدر عليه ؛ ودعوا التورية والحيلة والغيلة^(٣) والظاهر والباطن ، فإن الفلسفة ليست من جنس الشريعة ، ولا الشريعة من فن الفلسفة ، وبينهما يرمى الرامي ويهمل الهامي ؛ على أننا ما وجدنا الديانين من المتألهين من جميع الأديان يذكرون

(١) يطرح الشحاء ، أى يلقيها في القلوب .

(٢) دبر ، أى صنع كهية الطير .

(٣) الغيلة : الخديعة .

ويتحلى بهما مُفْتَرِقَيْنِ في مكانين على حالين مُخْتَلَفَيْنِ ، ويكونَ بالدينِ مُتَقَرِّبًا إلى الله تعالى ، على ما أَوْضَحَهُ له صاحبُ الشريعة عن الله تعالى ، ويكونَ بالحكمة مُتَصَفِّحًا لِقُدْرَةِ الله تعالى في هذا العالمِ الجامعِ للزينة الباهرة لكل عين ، المُحَيِّزَةِ لكل عقل ، ولا يَهْدِمُ أَحَدَهُمَا بِالْآخَرِ . أعنى لا يَجْتَحِدُ ما أُلْقِيَ إليه صاحبُ الشريعة مُجْمَلًا وَمُفَصَّلًا ، ولا يَغْفُلُ عما استَخَزَنَ الله تعالى هذا الخلقَ العظيمَ عَلَى ما ظَهَرَ بِقُدْرَتِهِ ، وَأَشْتَمَلَ بِحِكْمَتِهِ ، وَاسْتَقَامَ بِمَشِيئَتِهِ ، وَانْتَظَمَ بِإِرَادَتِهِ وَاسْتَمَّ بِعِلْمِهِ ؛ ولا يَقْتَرِضُ عَلَى ما يَتَبَعُدُ في عَقْلِهِ ورَأْيُهُ من الشريعة ، وبدائع آياتِ الثبوتِ بأحكامِ الفلسفة ، فَإِنَّ الفَلَسَفَةَ مأخُوذةٌ من العَقْلِ المقصورِ عَلَى الغاية ، والدِّيانَةِ مأخُوذةٌ من الوَحْيِ الواردِ من العِلْمِ ^(١) بِالْقُدْرَةِ .

قال : وَلَعَمْرِي إِنَّ هذا صَعْبٌ ، وَلَكِنَّه جَماعُ الكَلَامِ ، وَأَخْذُ المُسْتَطاعِ ، وَغَايَةُ ما عَرَضَ له الإِنسانُ المُؤَيَّدُ بِاللَّطائِفِ ، المُزاحِ بالعللِ وَبِضُرُوبِ التَّكْلِيفِ . قال : وَمَنْ فَضَلَ ثَمَّةَ اللهِ تعالى عَلَى هذا الخَلْقِ أَنَّهُ نَهَجَ لَهُمُ سَبِيلِينَ وَنَصَبَ لَهُمُ عَمَلِينَ ، وَأَبَانَ لَهُمُ تَجْدِيدِينَ ^(٢) لِيَصِلُوا إلى دارِ رِضوانِهِ إِمَّا بِسُلُوكِها وإِمَّا بِسُلُوكِ أَحَدِها .

فقال له البخارى : فَمَلَّا دَلَّ اللهُ على الطَرِيقَيْنِ الَّذِينَ رَسَمَتَهُما في هذا المَكَانِ ؟ قال : دَلَّ وَبَيَّنَّ ، وَلَكِنَّكَ عَمِمَ ، أَمَا قال : (وَمَا يَعْقِلُها إِلَّا العالِمُونَ) ؟ وَفِي فَحْوَى هذا وما يَعْلَمُها إِلَّا العالِمُونَ ؟ فَقَدْ وَصَلَ العَقْلُ بِالْعِلْمِ ، كما وَصَلَ العِلْمُ بِالْعَقْلِ ، لِأَنَّ كَمالَ الإِنسانِ بِهِما ، أَلَا تَرى أَنَّ العاقلَ متى عُرِّيَ مِنَ العِلْمِ قَلَّ انتِفاعُهُ بعقلِهِ ؟ كَذَلِكَ العالِمُ متى خُلِيَ مِنَ العَقْلِ بَطَلَ انتِفاعُهُ بعِلْمِهِ ، أَمَا قال : (وَمَا يَتَذَكَّرُ

(١) في كلتا النسختين : « العقل » .

(٢) السبيلين والعلمين والتجديدين إلى العقل والعلم .

أن أصحاب شرائعهم قد دَعَوْا إلى الفَلَسَفَةِ وأَمَرُوا بِطَلْبِهَا وَاقْتَبَاسِهَا مِنَ الْيُونَانِيِّينَ
 هذا موسى وعيسى وإبراهيم ودَاوُدَ وسليمان وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى إلى محمد — صلى الله عليه
 وسلم — لم نَحْقُقْ مَنْ يَعَزُّو إِلَيْهِمْ شَيْئًا مِنْ هَذَا الْبَابِ ، وَيُعَلِّقُ عَلَيْهِمْ هَذَا الْحَدِيثَ .
 قال الوزير : ما عَجِبِي مِنْ جَمِيعِ هَذَا الْكَلَامِ إِلَّا مِنْ أَبِي سُلَيْمَانَ فِي هَذَا
 الاسْتِحْقَاقِ وَالتَّغَضُّبِ ، وَالْإِحْتِشَادِ وَالتَّعَصُّبِ ؛ وَهُوَ رَجُلٌ يُعْرِفُ بِالْمَنْطِقَةِ ،
 وَهُوَ مِنْ غِلْمَانِ يَحْيَى بْنِ عَدِيٍّ النَّصْرَانِيِّ ، وَيَقْرَأُ عَلَيْهِ كُتُبُ يُونَانَ ، وَتَفْسِيرَ
 دَقَائِقِ كُتُبِهِمْ بِغَايَةِ الْبَيَانِ .

(٥) فقلت : إِنَّ أَبَا سُلَيْمَانَ يَقُولُ : إِنَّ الْفَلَسَفَةَ حَقٌّ لَكِنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الشَّرِيعَةِ
 فِي شَيْءٍ ، وَالشَّرِيعَةُ حَقٌّ لَكِنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْفَلَسَفَةِ فِي شَيْءٍ ، وَصَاحِبُ الشَّرِيعَةِ
 مَبْعُوثٌ ، وَصَاحِبُ الْفَلَسَفَةِ مَبْعُوثٌ إِلَيْهِ ، وَأَحَدُهُمَا مَخْصُوصٌ بِالْوَحْيِ ، وَالْآخَرُ
 مَخْصُوصٌ بِبَحْثِهِ ، وَالْأَوَّلُ مَكْفِيٌّ ، وَالثَّانِي كَادِحٌ ، وَهَذَا يَقُولُ : أُمِرْتُ وَعُلِّمْتُ ،
 وَقِيلَ لِي ، وَمَا أَقُولُ شَيْئًا مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي ؛ وَهَذَا يَقُولُ : رَأَيْتُ وَنَظَرْتُ وَاسْتَحْسَنْتُ
 وَاسْتَقْبَحْتُ ؛ وَهَذَا يَقُولُ : نَوَّرَ الْعَقْلَ أَهْتَدَيْتُ بِهِ ؛ وَهَذَا يَقُولُ : مَعِيَ نَوْرُ خَالِقِ
 الْخَلْقِ أَمْشِي بِضِيَّائِهِ ؛ وَهَذَا يَقُولُ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَقَالَ الْمَلَكُ ؛ وَهَذَا يَقُولُ :
 قَالَ أَفْلَاطُنٌ وَسُقْرَاطُ ؛ وَيُسْمَعُ مِنْ هَذَا ظَاهِرٌ تَنْزِيلٌ ، وَسَائِعُ تَأْوِيلٌ ، وَتَحْقِيقُ
 سُنَّةٌ ، وَاتِّفَاقُ أُمَّةٍ ؛ وَيُسْمَعُ مِنَ الْآخِرِ الْهَيُولَى وَالصُّورَةُ وَالطَّبِيعَةُ وَالْأُسْطَقْسُ
 وَالذَّاتِيَّ وَالْعَرَضِيَّ وَالْأَيْسِيَّ وَاللَّيْسِيَّ ، وَمَا شَاكَلَ هَذَا مِمَّا لَا يُسْمَعُ مِنْ مُسْلِمٍ
 وَلَا يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ وَلَا مَجُوسِيٍّ وَلَا مَانَوِيٍّ .

ويقول أيضاً : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَفَلَسَفَ فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُعْرِضَ بِنَظَرِهِ عَنْ
 الدِّيَانَاتِ ، وَمَنْ اخْتَارَ التَّدْيِينَ فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُعَرِّدَ ^(١) بَعَايَتَهُ عَنِ الْفَلَسَفَةِ

إلا أولوا الألباب) ؟ أما قال : (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ) ؟ أما قال :
 (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ) ؟ أما ذمَّ قوماً حين قال : (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) ؟ أفما قال : (أَوْ مَن كَانَ مَنِيئًا فَأَحْيَيْنَاهُ
 وَجَعَلْنَاهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا) !
 أما قال : (وَكَايْنٍ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَثُرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا
 مُعْرِضُونَ) ؟ أما قال : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى
 السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) ؟ وكتاب الله عز وجل مُحِيطٌ بهذا كله ، وإنما تقاد إلى
 طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بعد هذا فيما لا يناله عقلك ، ولا يبلغه ذهنك ،
 ولا يتلو إليه فكرك ، فأمرك باتباعه والتسليم له ، وإنما دخلت الآفة من قوم
 دهرين مُلْحِدِينَ رَكَبُوا مطية الجدل والجهل ، ومالوا إلى الشغب بالتعصب ،
 وقابلوا الأمور بتحسينهم وتقييهم وتهجينهم ، وجعلوا أن وراء ذلك ما يفوت
 ذرعتهم ، ويتخلف عن لحاقه رأيهم ونظرهم ، ويعمى دون كنه ذلك بصرهم ؛
 وهذه الطائفة معروفة ، منهم صالح بن عبد القدوس ، وابن أبي العوجاء ، ومطر بن
 أبي الفيث ، وابن الراوندي ، والحصري ، فإن هؤلاء طأخوا في أودية الضلالة ،
 وامتنعوا إلى جهلهم أصحاب الخلاعة والمجانة .

فقال البخاري : فما الذي تركت بهذا الوصف للذين جمعوا بين الفلسفة
 والديانة ؛ ووصلوا هذه بهذه على طريق الظاهر والباطن ، والحقى والجلي ، والبادى
 والمكتوم ؟ قال : تركت لهم الطويل العريض ، القوم زعموا أن الفلسفة مواطن
 للشرية ، والشرية موافقة للفلسفة ؛ ولا فرق بين قول القائل : قال النبي ، وقال
 الحكيم ، وأن أفلاطن ما وضع كتاب التواميس إلا لنعلم كيف نقول ؟ وبأى

شئ نبحت ، وما الذى نُقدِّم وتؤخر ، وأن الثبوة فرعٌ من مروع الفلسفة ، وأن
الفلسفة أصلُ علم العالم ، وأن النبىَّ محتاجٌ إلى تنعيم ما يأتى به من جهة الحكيم ،
والحكيم غنى عنه ؛ هذا وما أشبهه ؛ وأنَّ صاحبَ الدين له أن يُعيِّنَ
ويورثَ ويُشيرَ ويُكنِّى حتى تتمَّ المصلحةُ ، وتنتظمَ الكلمة ، وتتفقَ الجماعة ،
وتثبتَ الشئنة ، وتحلوا المعيشة ، وحتى قال قائل منهم : « أوائلُ الشريعة أمورٌ
مُبتدعة ، ووسائلها سننٌ مُتَّبعة ، وأواخرها حقوقٌ منتزعة » وإنَّ هذا التَّعَنُّتَ من
قولى : « إنَّ الشريعةَ إلهية ، والفلسفة بشرية » ، أعنى أنَّ تلك بالوحى ، وهذه
بالعقل ، وأنَّ تلك موثوقٌ بها ومطمأنٌّ إليها ، وهذه مشكوكٌ فيها مضطربٌ عليها .

قال له البخارى : فلمَ لمَ ينهج صاحبُ الشريعة هذه الطريق ، وكان يزول
هذا الخصاص ، وينتفى هذا الظن ، وتكسدُ هذه السُّوق ؟ فقال : إنَّ صاحبَ الشريعة
مستغرقٌ بالنور الإلهى ، فهو مخبوس على ما يراه ويُبصره ، ويحده وينظره ،
لأنه مأخوذ بما شهده بالعيان وأدركه بالحسِّ وناله بوجدانية الصدر عن كل ما عداه ،
فهذا يدعو إلى اقتباس كماله الذى حصل له ، ولا يستعد بدعوته إلا من وفق
لإجابته ، وأذعن لطاعته ، واهتدى بكلمته ، والفلسفة كمال بشرى ، والدين
كمال إلهى ، والكمال الإلهى غنى عن الكمال البشرى ، والكمال البشرى
فقيرٌ إلى الكمال الإلهى ، فهذا هذا ، وما أمر الله عزَّ وجلَّ بالأعتبار ، ولا حثَّ
على التدبُّر ، ولا حرَّك القلوب إلى الاستنباط ، ولا حَبَّبَ إلى القلوب البحث فى
طَلَبِ المكنونات ، إلا ليكونَ عبادُه حُكَّاءَ أَلْبَاءَ أَتْقِيَاءَ أَذْكِيَاءَ ، ولا أمرَ
بالسُّليم ولا حَظَرَ التُّلُوَّ والإفراط فى التَّعَمُّقِ إلا ليكونَ عبادُه لاجئين إليه
مُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ ، مُعْتَصِمِينَ بِهِ ، خَائِفِينَ مِنْهُ ، رَاجِينَ لَهُ ، يَدْعُوهُ خَوْفاً وطمعاً ،

وَيَعْبُدُونَهُ رَغْبًا وَرَهْبًا ، فَبَيْنَ مَا بَيْنَ حِرْصًا عَلَى مَعْرِفَتِهِ وَعِبَادَتِهِ ، وَطَاعَتِهِ وَخِدْمَتِهِ ، وَأَخْفَى مَا أَخْفَى لَتَدُومَ حَاجَتُهُمْ إِلَيْهِ ، وَلَا يَقَعُ الْغِنَى عَنْهُ ، وَبِالْحَاجَةِ يَقَعُ الْخُضُوعُ وَالتَّجَرُّدُ ، وَبِالِاسْتِغْنَاءِ يَغْرِضُ التَّجَبُّرَ وَالتَّمَرُّدُ ؛ وَهَذِهِ أُمُورٌ جَارِيَةٌ بِالْعَادَةِ ، وَثَابِتَةٌ بِالسَّيَرَةِ الْجَائِزَةِ وَالْعَادِلَةِ ؛ وَلَا سَبِيلَ إِلَى دَفْعِهَا وَرَفْعِهَا وَإِنْكَارِهَا وَجَعْدِهَا ، فَلِهَذَا لَزِمَ كُلٌّ مِنْ أَدْرَكَ بِعَقْلِهِ شَيْئًا أَنْ يَتَمَّ نَقْصَهُ بِمَا يَجِدُهُ عِنْدَ مَنْ أَدْرَكَ مَا أَدْرَكَ بِوَحْيٍ مِنْ رَبِّهِ .

وقال أيضاً : مما يُؤَكِّدُ هذه الجملة أَنَّ الشَّرِيعَةَ قَدْ أَتَتْ عَلَى مَقْضُولٍ كَثِيرٍ ، بنور الوحي المنير ، ولم تأتِ الفلسفةُ على شَيْءٍ مِنَ الْوَحْيِ لَا كَثِيرٍ وَلَا قَلِيلٍ :

قال : وَلَيْسَ لِيُونَانَ نَبِيٌّ يُعْرِفُ ، وَلَا رَسُولٌ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ صَادِقٌ ، وَإِنَّمَا كَانُوا يَفْزَعُونَ إِلَى حُكَّائِهِمْ فِي وَضْعِ نَامُوسٍ يَجْمَعُ مَصَالِحَ حَيَاتِهِمْ وَنِظَامَ عَيْشِهِمْ وَمَنَافِعَ أَحْوَالِهِمْ فِي عَاجِلَتِهِمْ ، وَكَانَتْ مَلُوكُهُمْ تُحِبُّ الْحِكْمَةَ وَتُؤَثِّرُ أَهْلَهَا ، وَتَقْدِّمُ مَنْ تَحَلَّى بِجُزْءٍ مِنْ أَجْزَائِهَا ، وَكَانَ ذَلِكَ النَامُوسُ يُعْمَلُ بِهِ وَيُرْجَعُ إِلَيْهِ ، حَتَّى إِذَا أَبْلَاهُ الزَّمَانُ ، وَأَخْلَقَهُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، عَادُوا فَوَضَعُوا نَامُوسًا آخَرَ جَدِيدًا بِزِيَادَةِ شَيْءٍ عَلَى مَا تَقَدَّمَ أَوْ نَقْصَانٍ ، عَلَى حَسَبِ الْأَحْوَالِ الْغَالِبَةِ عَلَى النَّاسِ ، وَالْمَغْلُوبَةِ بَيْنَ النَّاسِ ، وَلِهَذَا لَا يُقَالُ : إِنَّ الْإِسْكَانْدَرَ فِي أَيَّامِ مُلْكِهِ حِينَ سَارَ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ كَانَتْ شَرِيعَتُهُ كَذَا وَكَذَا ، وَكَانَ يَذْكُرُ نَبِيًّا يُقَالُ لَهُ : فُلَانٌ ، أَوْ قَالَ : أَنَا نَبِيٌّ ، وَلَقَدْ وَقَعَ دَارًا وَغَيْرَهُ مِنَ الْمُلُوكِ عَلَى طَرِيقِ الْقَلْبَةِ فِي طَلَبِ الْمُلْكِ ، وَحِيَازَةِ الدِّيَارِ وَجَبَايَةِ الْأَمْوَالِ وَالسَّيِّ وَالْفَارَةِ ، وَلَوْ كَانَ لِلنَّبِوَةِ ذِكْرٌ وَلِلنَّبِيِّ حَدِيثٌ لَكَانَ ذَلِكَ مَشْهُورًا مَذْكُورًا ، وَمُؤَرَّخًا مَعْرُوفًا .

قال الوزير : هذا كلامٌ عجيبٌ ما سمعتُ مثله على هذا الشرح والتفصيل ، قلتُ :

إنَّ شيخنا أبا سليمان غزيرُ البحر ، واسع الصدر ، لا يُغلقُ عليه في الأمور الرُّوحانية والأنباء الإلهية والأسرار الغيبيَّة ، وهو طويلُ الفكرة ، كثير الوحدة ، وقد أوتي مزاجا حسن الاعتدال ، وخاطراً بعيد المنال ، ولسانا فسيح المجال ، وطريقته هذه التي أجتباها مكتنفةً بمعارضاتٍ واسعة ، وعليها مداخلُ الخصائمه ، وليس يفي كلُّ أحدٍ بتلخيصه لها ، لأنه قد أفرزَ الشريعة من الفلسفة ، ثم حثَّ على انتحالها معا ، وهذا شبيهٌ بالمناقضة . وقد رأيتُ صاحباً لمحمد بن زكرياء في هذه الأيام ورد من الرميِّ يقال له : أبو غانم الطبيب يُشادُّه في هذا الموضع ويضيقُه ، ويُلزِمُه القول بما يُنكره على الخصم ، وإذا أُذِنَتْ رَسَمْتُ كلامهما في ورقات . قال الوزير : قد بان الغرض الذي رمى إليه ، وتقليبه بالجلد لا يزيده إلا إغلاقاً ، والقصدُ معروف ، والوقوفُ عليه كافٍ ، ومع هذا فليتَ حفظنا منه كان يتوفر بالتلاقي والاجتماع ، لا بالرواية والسماع ، هاتِ فائدة الوداع ، فقد بلغت في المؤانسة غاية الإمتاع .

(٧) قلت : أكره أن أختمَ مثل هذه الفقر الشريفة بما يشبه المزَلَّ وينافي الجِدَّ ، فإن أُذِنَتْ رَوَيْتُ ما يكون أساساً ودِّعامة لما تقدَّم . قال : هاتِ ما أحببت ، فما عهدنا من روايتك إلا ما يشوقنا إلى رؤيتك .

قلت : قال ابن المقفَّع : عملُ الرَّجلِ بما يَعْلَمُ أنه خطأ هوَى ، والهوى آفةُ العفاف ، وتركه العملُ بما يَعْلَمُ أنه صوابٌ تهاوُن ، والتهاوُن آفةُ الدِّين ، وإقدامه على ما لا يَعْلَمُ أصوابٌ هو أم خطأ لحاج ، واللَّجاجُ آفةُ الرأى .

قال — حَرَسَ الله نفسه — : ما أَكْثَرَ رَوْنَقَ هذا الكلام ! وما أَعْلَى رُتْبَتَه في كُنْه العقل ! اُكْتُبْهَ لنا ، بل اُجْمَعْ لِي جُزْءاً لطيفاً من هذه الفقر ، فإنها تُروِّحُ العقلَ في النِّئِنَّة بعد النِّئِنَّة ، فإنَّ نورَ العقل ليس يَشِيعُ في كلِّ

وقت ؛ بل يَشِعُّ مِرَّةً وَيَبْرِقُ مِرَّةً ، فإذا شَعَّ عَمَّ نَفْعُهُ ، وإذا بَرَقَ خَصَّ نَفْعُهُ
وإذا خَفِيَ بَطَلَ نَفْعُهُ . قلت : أفعلُ . فقال : إن كان معك شيءٌ آخرُ فاذكُرْهُ ،
(٨) فإنَّ الحديثَ الحَسَنَ لا يُمَلُّ ، وما أَحَسَنَ ما قال خالدُ بنُ صَفْوَانَ ، فإنه قيل
له : أتمَلُّ الحديثَ ؟ قال : إنما يُمَلُّ العَتِيقُ . قال : صدق خالد : إنَّ الحديثَ
لا يُمَلُّ من الزَّمانِ ^(١) إلا فيما يليه ^(٢) ، وإلا فكيف يُمَلُّ في أوَّلِ زمانه وفاتحته
أوانه ، وإنما المَلَلُ يَعْزِضُ بِتَكَرُّرِ الزَّمانِ وَضَجَرِ الحِسِّ وَنِزاعِ الطَّبعِ إلى
الجديد ، ولهذا قيل : لكلُّ جَدِيدٍ لَذَّةٌ .

(٩) فحَكَيْتُ أَنَّهُ لَمَّا تَقَلَّدَ كِسْرَى أَنُوشِروَانَ مَمْلَكَتَهُ عَكَفَ عَلَى الصُّبُوحِ
وَالْعَبُوقِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ وَزِيرُهُ رُقْعَةً يَقُولُ فِيهَا : إِنَّ فِي إِدْمَانِ المَلِكِ ضَرراً عَلَى
الرَّعِيَّةِ ، والوجهُ تخفيفُ ذلك والنظرُ في أُمُورِ المَمْلَكَةِ . فَوَضَعَ عَلَى ظَهْرِ الرُّقْعَةِ
بِالفارسيَّةِ بما تَرَجَّمَتْهُ : يا هذا ، إذا كانت سُبُلُنَا آمِنَةً ، وسيرتُنَا عادِلَةً ، والدُّنْيَا
بِاستقامتنا عَامِرَةً ، وَعَمَلُنَا بِالْحَقِّ عَامِلَةً ، فَلِمَ نَمْنَعُ فَرَحَةً عاجِلَةً ؟

قال : من حَدَّثَكَ بهذا ؟ قلت : أَبُو سُلَيْمَانَ شَيْخُنَا ، قال : فكيف كان
رِضاهُ عن هذا المَلِكِ في هذا القول ؟ فقلت : أَعْتَرَضَ فَقَالَ : أَخْطَأُ مِنْ وَجْهِهِ ،
أَحَدُهَا أَنَّ الإِدْمَانَ إِفْرَاطٌ ، والإِفْرَاطُ مَذْمُومٌ ؛ وَالْآخَرُ أَنَّهُ جَهْلٌ أَنَّ أَمْنَ السَّبِيلِ
وَعَدْلَ السَّيْرِ وِعِمَارَةَ الدُّنْيَا وَالْعَمَلَ بِالْحَقِّ مَتَى لَمْ يُؤَكَّلْ بِهَا الطَّرْفُ السَّاهِرُ وَلَمْ
تُحَاطَ بِالْعَنَايَةِ التَّامَّةِ ، وَلَمْ تُحَفَظْ بِالْأَهْتَامِ الجَالِبِ لِنِوَامِ النِّظَامِ ، دَبَّ إِلَيْهَا النِّقْصُ
وَالنِّقْصُ بَابٌ لِلانْتِقَاضِ ، مُزْعَزِعٌ لِلدُّعَاةِ ، وَالْآخَرُ أَنَّ الزَّمانَ أَعَزُّ مِنْ أَنْ

(١) من الزمان ، أى في وقت من الزمان .

(٢) في نسخة فاتحته . وفي نسخة ما تحته ؛ وهو تحريف في كليهما ؛ وسياق الكلام

الآتى بعد يقتضى ما أثبتنا .

يُنْزِلُ فِي الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ وَالتَّلَذُّذِ وَالتَّمَتُّعِ ، فَإِنْ فِي تَكْمِيلِ النَّفْسِ النَّاطِقَةِ
بِاِكْتِسَابِ الرُّشْدِ لَهَا وَإِبْعَادِ الْغَيِّ عَنْهَا مَا يَسْتَوْعِبُ أَضْعَافَ الْعَمْرِ ، فَكَيْفَ إِذَا
كَانَ الْعُمْرُ قَصِيرًا ، وَكَانَ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ أَلْهَوًى كَبِيرًا ؟ وَالْآخِرُ أَنَّهُ ذَهَبَ عَلَيْهِ أَنَّ
الْخَاصَّةَ وَالْعَامَّةَ إِذَا وَقَفَتْ عَلَى أُسْتَهَارِ الْعَلِكِ بِالذَّاتِ ، وَأُنْهَمَا كَهْ فِي طَلَبِ
الشَّهَوَاتِ ، أَزْدَرَّتْهُ وَأُسْتَهَانَتْ بِهِ ، وَحَدَّثَتْ عَنْهُ بِأَخْلَاقِ الْخَنَازِيرِ وَعَادَاتِ الْحَمِيرِ
وَأَسْتَهَانَةُ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ بِالنَّاظِرِ فِي أَمْرِهَا وَالْقِيَمِ بِشَأْنِهَا مَتَى تَكَرَّرَتْ عَلَى
الْقُلُوبِ تَطَرَّقَتْ إِلَى اللِّسَانِ ، وَانْتَشَرَتْ فِي الْحَافِلِ ، وَالتَفَّتْ بِهَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ
وَهَذِهِ مَكْسُورَةُ الْهَيْبَةِ ، وَقَوْلَةُ الْهَيْبَةِ رَافِعَةٌ لِلْحَشْمَةِ ، وَارْتِفَاعُ الْحَشْمَةِ بَاعَثَ عَلَى
الْوُثْبَةِ ، وَالْوُثْبَةُ غَيْرُ مَأْمُونَةٍ مِنَ الْمَلَكَةِ ؛ وَمَا خَلَا الْمَلِكُ مِنْ طَامِعٍ رَاصِدٍ قَطُّ
وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ الْحَازِمِ أَنْ يَظُنَّ أَنَّهُ لَا ضِدَّ لَهُ وَلَا مُنَازِعَ ، وَقَدْ يَنْجُمُ الضَّدُّ
وَالْمُنَازِعُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ، وَمَا أَكْثَرَ خَجَلِ الْوَائِقِ ! وَمَا أَقَلَّ حَزْمِ الْوَائِقِ !
وَمَا أَقَلَّ يَقِظَةِ الْمَائِقِ ^(١) !

ثُمَّ قَالَ : وَعَلَى الضَّدِّ مَتَى كَانَ السَّائِسُ ذَا تَحْفُظٍ وَبَحْثٍ ، وَتَتَبُّعٍ وَحَزْمٍ
وَإِكْبَابٍ عَلَى لَمْ الشُّعْثِ وَتَقْوِيمِ الْأَوْدِ وَسَدِّ الْأَخْلَلِ وَتَعْرِفِ الْجَهُولِ وَتَحْقِيقِ
الْمَعْلُومِ وَرَفْعِ الْمُنْكَرِ وَبَثِّ الْمَعْرُوفِ ، احْتَرَسَتْ مِنْهُ الْعَامَّةُ وَالْخَاصَّةُ ، وَأُسْتَشْعِرَتْ
الْهَيْبَةُ ، وَالتَّزَمَتْ بَيْنَهَا النَّصْفَةُ ، وَكُفِّيتْ كَثِيرًا مِنْ مُعَانَاتِهَا وَمِرَاعَاتِهَا ، وَإِنْ كَانَ
لِلدَّوْلَةِ رَاصِدٌ لِلْغَرَةِ يَتَسَّرُ مِنْ نَفُوزِ الْحِيلَةِ فِيهَا ، لِأَنَّ اللَّصَّ إِذَا رَأَى مَكَانًا حَصِينًا
وَعَهْدَ عَلَيْهِ حُرَّاسًا لَمْ يَحْدِثْ نَفْسَهُ بِالتَّعَرُّضِ لَهُ ، وَإِنَّمَا يَقْصِدُ قَصْرًا فِيهِ ثُلْمَةٌ ،
وَبَابًا إِلَيْهِ طَرِيقٌ ، وَالْأَعْرَاضُ بِالْأَسْبَابِ ، وَإِذَا ضَعُفَ السَّبَبُ ضَعُفَ الْعَرَضُ ،
وَإِذَا انْقَطَعَ السَّبَبُ انْقَطَعَ الْعَرَضُ .

(١) المائِق : الأحمق الغر . وفي كلتا النسختين « الفائق » ؛ وهو تحريف .

قال — أدام الله أيامه — : هذا كلامٌ كافٍ شافٍ . وقال بسد ذلك :
حدَّثني عما تسمعُ من العامة في حديثنا .

(١٠) قلتُ : سمعتُ (باب الطَّاقِ) قوما يقولون : اجتمع الناس اليومَ على الشُّطِّ ،
فلما نزل الوزير ليركب المركبَ صاحوا وضجوا وذكروا غلاء القوت وعوزَ الطعام
وتعذُّر الكسبِ وغلبة الفقر وتهنُّكَ صاحبِ العيال ، وأنه أجابهم بجوابٍ
مرٍّ مع قُطوب الوجه وإظهارِ التبرُّمِ بالاستغانة : بعدُ لم تأكلوا النُّخالة .
قال : والله ما قلتُ هذا ، ولا خَطَرَ لي على بال ، ولم أَقَابِلْ عَامَّةَ جاهلةٍ
ضعيفةٍ جائمةٍ بمثل هذه الكلمةِ الخسْنة ، وهذا يقوله من طرح ^(١) الشرَّ وأحبَّ
الفسادَ وقصدَ التشنيعَ كلِّيَّ والإيحاشَ متى ، وهو هذا العدوُّ الكلب ، « يعني
ابنَ يوسف » كفاني الله شرَّه ، وشغله بنفسه ، ونكسَ كيدَه على رأسه ؛ والله
لأنظرنَّ لها وللفقراءِ بمالٍ أطلقه من الخزانة ، وأرسمُ ببيعِ الخبزِ ثمانية بدرهم ،
ويصلُ ذلك إلى الفقراءِ في كلِّ محلَّةٍ على ما يذكُرُ شيخُها ، ويبيعُ الباقون على
السَّعرِ الَّذي يَقوِّمُ لهم ، ويشترِيه الغنيُّ الواجدُ ؛ ففعل ذلك — أحسنَ الله جزاءَهُ —
على ما عرفتُ وشاهدتُ ، وأبلغتهُ بنشرِ الدُّعاءِ له في الجوامعِ والجامعِ بطولِ
البقاءِ ودوامِ القلاءِ وكبَّتِ الأعداءُ ونصُرِ الأولياءِ . ثم كتبتُ جزءاً من ألفِ قرآنٍ
على ما رَسَمَ من قَبْلُ ، فلما أوصلتهُ إليه قال لي : اقرأ ، قرأته عليه ، فقال :
صِلْ هذا الجزءَ بجزءٍ آخرَ من حديثِ النَّبيِّ — صلى الله عليه وسلم — والصَّحابةِ
وبجزءٍ من الشُّعْرِ ، وبشيءٍ من معاني القرآن ، فإنه مقدَّمٌ على كلِّ شيءٍ بحسبِ
ما رفعَ اللهُ من خطره ، وأحوجَ إلى فهمه ، ونَدَبَ إلى العملِ به ، وأثابَ على
التفكُّرِ فيه والتعجُّبِ منه .

(١) « طرح الشعر » أي ألغاه في القلوب ، وهذا تعبير قد سبق للمؤلف مثله في صفحة ١٧
سطر ٢ ، مريناً به هذا المعنى .

وَعَظَّ^(١) رَجُلٌ مِنْ (جُهَيْنَةَ) (عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ) فِي قِصَّةِ الْحُكُومَةِ ، قَالَ عَمْرُو (١١)
 لَهُ : مَا أَنْتَ وَذَاكَ يَا تَيْسَ جُهَيْنَةَ ؟ فَوَاللَّهِ مَا يَنْفَعُكَ الْحَقُّ ، وَلَا يَضُرُّكَ الْبَاطِلُ ،
 فَاسْكُتْ فَإِنَّ الظَّلْفَ لَا يَجْرِي مَعَ الْخَفِّ .
 وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِنَّ الْمَدُنَ تُبْنَى عَلَى الْمَاءِ وَالْمَرْعَى وَالْمُحْتَطَبِ
 وَالْحَصَانَةِ .

وقال الشاعر :

لَا حَ سُهَيْلٌ فِي الظَّلَامِ الدَّامِسِ كَأَنَّهُ نَارٌ بِكَفِّ الْقَابِسِ
 قَالَ رُبَيْعَةُ بْنُ عَامِرٍ بْنِ مَالِكٍ فِي عَمْرُو بْنِ الْإِطْنَابَةِ — حِينَ دَفَعَ أُخْتَهُ وَأَخَذَ
 أَخَاهُ وَكَانَ أَسِيرًا فِي قَوْمِهِ ، وَجَعَلَ دَفَعَ أَخِيهِ إِلَيْهِ صَدَاقَ أُخْتِهِ ، وَهُوَ الَّذِي
 تَسْمِيهِ الْعَرَبُ الْمَسَاهَاةَ^(٢) — : فَقَدْ حَزَمِي الَّذِي هُدَيْتُ لَهُ ، وَعَزَمِي الَّذِي أُرْشِدْتُ
 إِلَيْهِ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَسَاهَى بِهَا عَمْرُو وَرَاعَى إِفَالَهُ^(٣) فَرُبْدٌ وَتَمَرٌ بَعْدَ ذَلِكَ كَثِيرٌ
 وَكَانَتْ دِيَّةُ الْعَرَبِيِّ مِائَةً وَسُقْيٍ ، وَدِيَّةُ الْهَجِينِ خَمْسِينَ وَسُقْيَا ، وَدِيَّةُ الْمَوْلَى
 عَشْرَةٌ أَوْ سُقْيٍ ؛ وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَجْعَلُ دِيَّةَ الْمُعَمِّ الْمُخُولِ مِائَةً بَعِيرٍ ، وَدِيَّةَ الْمَوْلَى
 خَمْسَةً وَعِشْرِينَ بَعِيرًا .

(١) يلوح لنا أن هذه الفقر الآتية قد قرأها المؤلف على الوزير في ليلة أخرى غير
 الليلة السابعة عشرة السابقة وإن لم يرد في الأصول ما يدل على ذلك ؛ وإذن فتكون منه هي
 الليلة الثامنة عشرة ، واللييلة الآتية بعد هي اللييلة التاسعة عشرة ، إذ لا يقل أن يطلب الوزير إلى
 المؤلف كتابة هذه الفقر في ليلة فيكتبها ثم يقرأها في نفس الليلة أو لعله كتبها واكتفى بإرسالها
 إلى الوزير .

(٢) لعلهم سموا هذا النكاح بالمساهاة لما فيه من معنى المساهاة وهي المساهة وترك
 الاستقصاء في المعاشرة .

(٣) « الإفاله » : صغار الإبل ، الواحد أفيل .

وقال جرير :

رَأَيْتُ بَنِي بَنِيهِانَ أَذْنَابَ طَيِّءٍ وَلِلنَّاسِ أَذْنَابٌ تُرَى وَصُدُورُ
تَرَى شَرَطَ^(١) الْمِعْزَى مُهَوَّرَ نَسَائِهِمْ وَفِي شَرَطِ الْمِعْزَى لَهُنَّ مُهَوَّرُ
وقال خالد بن جعفر بن كلاب^(٢) :

بَلْ كَيْفَ تَكْفُرُنِي (هُوَازِنُ) بَعْدَمَا أَعْتَقْتُهُمْ فَتَوَالَدُوا أَحْرَارًا
وَقَتَلْتُ رَهْمَ زُهَيْرًا بَعْدَمَا جَدَعَ الْأَنْوَفَ وَأَكْثَرَ الْأَوْتَارَا
وَجَعَلْتُ مَهْرَ نَسَائِهِمْ وَدِيَارِهِمْ عُقْلَ^(٣) الْمُلُوكِ هَجَانِنًا وَبِكَارَا
وقال جندل بن صفير ، وكان عبدا :

وَمَا فَكَّ رِقِّي ذَاتُ دَلٍّ خَدَلَجٍ وَلَا سَاقَ مَالِي صُدُقَةٌ وَعُقُولُ^(٤)
وَلَكِنْ نَمَانِي كُلُّ أَيْبَضٍ خِضْرِمٍ^(٥) فَأَصْبَحْتُ أَذْرِي الْيَوْمَ كَيْفَ أَقُولُ

وقتل الكلبي عبد الله بن الجَوْشَنَ الْعَطْفَانِيَّ بِقَتْلِهِ ابْنَهُ الْجَرَّاحَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ
(رَوَّاد) ، وكانوا عرضوا عليه الدِّيةَ ، فقال :

شَفَيْتُ بَرَوَّادٍ غَلِيلاً وَجَدْتُهُ عَلَى الْقَلْبِ مِنْهُ مُسْتَمِرٌّ وَظَاهِرٌ

(١) « شرط المعزى » : صغارها .

(٢) كان من حديث هذا الشعر أن هوازن كانت لا ترى زهير بن جذيمة إلا ربا ، وكان يعسرهم فإذا كانت سوق عكاظ أتاها زهير بن جذيمة وأتته هوازن بالإتاوة ، فأته بمجوز مرة بنحى فيه يمن ، فذاقه فلم يرض طعمه ، فدفعها بقوس كانت في يده ، فسقطت على الأرض ، فأنكشفت ، ففضب قومها ، وآلى خالد بن جعفر أن يقتله ، فلم يزل يعد لذلك عدته حتى أمكنته الفرصة فقتله . في حديث طويل ليس هنا موضع ذكره (انظره في بلوغ الأرب ج ١) .

(٣) العقل : جمع عقال ، وهى النافذة الفتيحة الحسنة . والهجانن من الابل : البيض الكرائم .

(٤) الخدلج : المرأة المبتلثة الذراعين والساقين . والصدقة : المهر . والعقول : الديات ، واحده عقل .

(٥) « الخضرم » : السيد .

أَلَا لَيْتَ قَبْرًا بَيْنَ أَدَمَى ^(١) وَمُطْرِقٍ يُحَدِّثُهُ عَنِ الْأَحَادِيثِ خَابِرٌ
وَقَالُوا نَذِيهٌ مِنْ أَبِيهِ وَفَتَدَى فَقُلْتُ: كَرِيمٌ مَا تَذِيهِ الْأَبَاعِرُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَالَ يَذْهَبُ دَثْرُهُ ^(٢) وَتَنْبَرُّ أَقْوَالُ وَتَبْقَى الْمُحَايِرُ
أَدَمَى وَمُطْرِقٌ غَدِيرَانِ ^(٣) بَيْنَ فَذْكَ وَبِلَادِ طَى.

سئلت أبنَةَ الْخُسِّ هَلْ يَلْقَحُ الْبَازِلُ؟ قَالَتْ: نَعَمْ وَهُوَ رَازِمٌ، أَى وَإِنْ كَانَ
لَا يَقْدِرُ عَلَى الْقِيَامِ مِنَ الضَّعْفِ وَالْهَزَالِ. يُقَالُ: جَلُّ بَازِلٌ ^(٤) وَنَاقَةٌ بَازِلٌ،
وَيُقَالُ: ضَرَبَهُ قَبْرُكَه إِذَا أَبْرَكَهُ، وَتَبَرَّكَعَ، وَيُقَالُ: شِمُّ لَى هَذِهِ الْإِبِلَ،
أَى أَنْظَرُ لَى خَبَرَهَا.

وَيُقَالُ لَوْلَدٍ كُلُّ بَهِيمَةٍ إِذَا سَاءَ غِذَاؤُهُ: جَحِينٌ وَمُخْتَلٌ وَجَدَعٌ، وَكُلُّ
مَا غُذِيَ بِغَيْرِ أُمِّهِ يُقَالُ لَهُ: عَجِيٌّ، وَكَذَلِكَ الْجَحِينُ ^(٥) وَالْوَيْلُ وَالسَّحْلُ كُلُّهُ
السَّيِّئُ الْغِذَاءِ.

سئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ضَالَّةِ الْإِبِلِ، فَقَالَ: مَا لَكَ وَلَهَا؟ مَعَهَا
حِذَاؤُهَا ^(٦) وَسِقَاؤُهَا تَرِدُ الْمَاءَ وَتَأْكُلُ مِنَ الشَّجَرِ حَتَّى يَأْتِيَهَا «رَبُّهَا».
سئِلَ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — عَنْ ضَالَّةِ الْغَنَمِ، فَقَالَ: هِيَ لَكَ أَوْ لِأَخِيكَ أَوْ لِلذَّئْبِ.
قِيلَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَالْلَّقَطَةُ؟ قَالَ: «تَعْرِفُهَا سَنَةً وَنَحْصِي وَكَأَها وَوِعَاءُها»

(١) أَدَمَى «بضم الهمزة وفتح الدال، وسكنت للشعر».

(٢) «المال الدثر»: الكثير الوافر و«تنبر أقوال»، أى تبتقى.

(٣) فى اللسان أن أَدَمَى: أرض بظاهر اليمامة. وذكر ياقوت أقوالاً كثيرة فى تعيين هذا
الموضع منها ما يوافق ماورد فى اللسان. ومطرق: باليمامة أيضاً.

(٤) البازل: الذى فطر نابه، أى انشق بدخوله فى السنة التاسعة.

(٥) يلاحظ أن هذه الكلمة قد ذكرت فيما سبق.

(٦) يشير بقوله «معا حذاؤها» إلى أنها بعيدة المذهب قوة على المشى وقطع الأرض.
تشبيهاً لها بالسافر الذى معه حذاؤه وسقاؤه.

وعِفَاصُهَا^(١) وَعَدَدَهَا ؛ فَإِنْ جَاءَ صَاحِبُهَا فَأَدَّهَا إِلَيْهِ .

وَقَالَ أَبِي بْنُ كَعْبٍ : أَصَبْتُ مِائَةَ دِينَارٍ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : « أَحْفَظْ عِفَاصَهَا وَوِكَاءَهَا وَعَدَدَهَا فَإِنْ جَاءَ صَاحِبُهَا فَأَخْبِرْكَ بِعَدَدِهَا وَعِفَاصِهَا وَوِكَائِهَا فَأَدَّهَا إِلَيْهِ وَإِلَّا فَعَرَّفْهَا سَنَةً ، ثُمَّ اسْتَمْتِعْ بِهَا » .

قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِقُبَّةِ النَّخْلَتَيْنِ^(٢) قَالَ لَهُ الْأَنْصَارُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْ لَكَ فِي السَّبَاقِ ؟ قَالَ : نَعَمْ وَهُوَ يَوْمُئِذٍ عَلَى النَّوَاضِحِ^(٣) — وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسِيرُ فِي أُخْرِيَاتِ النَّاسِ ، وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ عَلَى الْعِصْبَاءِ نَاقَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ فِي أَوَّلِ النَّاسِ — فَقَالَ : أَيْنَ أُسَامَةُ ؟ فَتَنَادَى النَّاسُ حَتَّى بَلَغَ أُسَامَةُ الصَّوْتُ ، فَوَضَعَ السَّوْطَ فِي النَّاقَةِ فَأَقْبَلَتْ ، فَلَمَّا دَنَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الْأَنْصَارِ قَدْ أَرَادُوا السَّبَاقَ فَأَنْخِ نَاقَتَكَ حَتَّى تَرَعُو ، ثُمَّ عَلَّقِ الْخِطَامَ ثُمَّ سَابِقْهُمْ ؛ ففَعَلَ وَاسْتَبَقُوا ، فَسَبَقَتْ نَاقَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَعَلَ أُسَامَةُ يُكَبِّرُ وَيَقُولُ : سَبَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَسُولُ اللَّهِ يَقُولُ : سَبَقَ أُسَامَةُ ، فَلَمَّا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ لَهُ : أَقْصِرْ يَا أُسَامَةُ ، فَإِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الْأَنْصَارِ فِيهِمْ حَيَالٌ وَخَفِيزَةٌ .

(١٢) قَالَ : وَلَيْسَ لَشَيْءٍ مِنَ الْحَيَوَانِ سَنَامٌ إِلَّا الْبَعِيرُ ، وَلِبَعْضِ الْبَخَائِي سَنَامَانِ ، وَلِبَعْضِ الْبَقَرِ شَيْءٌ صَغِيرٌ عَلَى مَوْضِعِ الْكَاهِلِ . وَالْجَلُّ يَبُولُ إِلَى خَلْفٍ ،

(١) العفاس : وعاء من جلد يضع فيه المسافر نفقته .

(٢) القف : ما ارتفع من الأرض . ولم نجد مضافاً إلى النخلتين فيما راجعناه من الكتب فلعل في هذا الاسم تحريفاً .

(٣) النواضح : الإبل التي يستقي عليها .

وكذلك الأسد . وقضيبُ الجمل من عَصَبٍ ، وقضيبُ الإنسان من لحمٍ وغضروفٍ ، وقضيبُ الذئبِ والعلبِ من عظمٍ ، وقضيبُ ذَكَرِ الأرنابِ من عظمٍ على صورة الثَّقبِ كأنه نصفُ أنبوبةٍ مشقوقة . وفي قلب الثَّورِ عَظْمٌ ، وربما وُجد في قلبِ الجملِ . والمرأةُ تَلِدُ من قُبُلٍ ، والناقةُ من خَلْفٍ . وزمانُ نَزْوِ الجِمالِ في (شباط) . والإناثُ من الإبلِ تَحْمِلُ اثْنَيْ عَشَرَ شهرًا وتَضَعُ واحدًا وتَلْقَحُ إذا بلغت ثلاثَ سنين ، وكذلك الذَّكَرُ ، ثم تُقيمُ الأثني سَنَةً ثم يُنْزَى عليها .

وزعمَ صاحبُ المُنْطِقِ أَنَّ الجملَ لَا يُنْزَى على أُمِّه ، وإن اضْطُرَّ كَرِهَهُ .

قال : وقد كان رجلٌ في الدَّهْرِ السَّالِفِ سَرَّ الْأُمِّ بِثَوْبٍ ثم أَرْسَلَ بِكَرٍّ عليها ، فلما عَرَفَ ذلك لم يُتِمِّمْ وقطع ، وحَقَّدَ على الجَمَالِ فقتله .

قال : وقد كان للملكِ فَرَسٌ أَثْنَى ، وكان لها أَفْلاهُ (١) ، فأراد أن تَحْمِلَ من أَكْرَمِها ، فَصَدَّ عنها وكرَّها ، فلما سَتَرَتْ وَثَبَ فَرَكِبُها ، فلما رَفَعَ الثَّوْبُ ورآها هَرَبَ ومَرَّ حُضْرًا (٢) حتى ألقى نَفْسَهُ في بعضِ الأودِيَةِ فهلك ... (٣)

هذا كلامُ أمير المؤمنين على بن أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ .

قال حُذَيْفَةُ : كُنْ في الفتنَةِ كَابِنِ اللَّبُونِ ، لَا ظَهَرَ فَيُزَكَّبَ ، وَلَا لَبَنَ فَيُحْلَبَ .

قال ديوجانس : إِنَّ الْمَرْأَةَ تَلْقَنُ الشَّرَّ مِنَ الْمَرْأَةِ ، كَمَا أَنَّ الْأَفْعَى تَأْخُذُ السَّمَّ (١٣) مِنَ الْأَصِلَةِ .

(١) الأفلاء : جمع فلو بكسر الفاء ، وهو المهر الذي لم يبلغ الفطام .

(٢) الحضر بالضم : سرعة العدو .

(٣) ورد في « ب » مكتوباً على هامشها عند موضع هذه النقط ما يفيد أنه قد سقط من النسخة ثلاث ورقات .

وقال فيثاغورس : إن كثيراً من الناس يرون العمى الذى يعرض لعين
البدن فتأباه أنفسهم ، فأما عمى عين النفس فإنهم لا يرونه ولا تأباه أنفسهم ،
فلذلك لا يستحيون .

وقال أيضاً : كما أن الذى يسلك طريقاً لا يعرفه لا يدري إلى أى موضع
يؤديه ، كذلك الذى يسمع كلاماً لا يعرف الغرض فيه لا يرج منه
إلا التعب .

قيل لديوجانسي : أيهما أولى ، طلب الغنى ، أم طلب الحكمة ؟ فقال :
للدنيا الغنى ، وللآخرة الحكمة .

وقيل له : متى تطيب الدنيا ؟ قال : إذا تفلسف ملوكها وملاك فلاسفتها .

(١٤) قال الوزير — اسعده الله — عندي أن هذا الكلام مدخول ، لأن
الفلسفة لا تصح إلا لمن رَفَضَ الدنيا وفرَّغ نفسه للدار الآخرة ، فكيف يكون
الملك رافضاً للدنيا وقالياً لها ، وهو محتاج إلى سياسة أهلها والقيام عليها باجتلاب
مصلحتها ونفي مفسداتها ، وله أولياء يحتاج إلى تدبيرهم وإقامة أبنيتهم والتوسعة
عليهم ومواكبتهم ومشاربتهم ومُداراتهم والإشراف على سرهم وعلائيتهم ،
والمملك أتعَبُ من الطبيب الذى يجمع معالجة كثيرة بضروب الأدوية المختلفة
والأغذية المتباينة ؛ هذا والطبيب فقير إلى تقديم النظر في نفسه وبدنه ، ونفى
الأمراض والأغراض عن ظاهره وباطنه ، ومن كان هكذا ومن هو أكثر
منه وأشد حاجة وعلاقة كيف يستطيع أن يكون ملكاً وحكماً ؟ ولعل قائلًا
يظن هذا ممكناً ، ويكون الملك واعياً في الحكمة بالدعوى ، وقائماً بالملك على
طريق الأولى ، وهذا إلى التيات الأمر واختلاله واختلاطه في الملك والفلسفة

[أَقْرَبُ مِنْهُ إِلَى إِحْكَامِ الْأَصْلِ وَإِثْبَاتِ الْفَرْعِ . قَالَ : وَلِهَذَا] لَمْ نَجِدْ نَحْنُ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ نَظَرٍ فِي أَمْرِ الْأُمَّةِ عَلَى الزَّهْدِ وَالْتَقَى وَإِشَارِ الْبِرِّ وَالْهَدَى إِلَّا عِدَّةً قَلِيلًا ، وَالْجَوْسُ تَزْعُمُ أَنَّ الشَّرِيعَةَ مُعَرَّجَةٌ عَنِ الْمَلِكِ ، أَيْ الَّذِي يَأْتِي بِهَا لَيْسَ لَهُ أَنْ يُعَرِّجَ عَلَى الْمَلِكِ ، بَلْ لَهُ أَنْ يَكِلَ الْمَلِكُ إِلَى مَنْ يَقُومُ بِهِ عَلَى أَحْكَامِ الدِّينِ ، وَلِهَذَا قَالَ مَلِكُنَا الْفَاضِلُ : الدِّينُ وَالْمَلِكُ أَخَوَانُ ، فَالدِّينُ أَسُّ ، وَالْمَلِكُ حَارِسٌ ، فَالْأَسُّ لَهُ فَهُوَ مَهْدُومٌ ، وَمَا لِحَارِسٍ لَهُ فَهُوَ ضَائِعٌ .

فَقُلْتُ لَهُ : هَذَا بَابٌ إِنْ تَوَزَّعَ ^(١) الْقَوْلُ فِيهِ طَالَ ، وَإِنْ رُمِيَ بِالْقَصْدِ جَازَ ، وَالْأُمَّةُ كَلَامٌ كَثِيرٌ فِي الْإِمَامَةِ وَالْخِلَافَةِ وَمَا يَجْرِي بِجَرَى النِّيَابَةِ عَنْ صَاحِبِ الدِّيَانَةِ عَلَى فَنُونٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَجُمْلٌ مُتَعَدِّدَةٌ ، إِلَّا أَنَّ النَّظَرَ فِي أَحْوَالِ النَّاسِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَائِمًا بِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ ، حَامِلًا لِلصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ ، عَلَى طَرَائِقِهَا الْعُرُوفَةِ ، لِأَنَّ الشَّرِيعَةَ سِيَاسَةُ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ ، وَالْمَلِكُ سِيَاسَةُ النَّاسِ لِلنَّاسِ ، عَلَى أَنَّ الشَّرِيعَةَ مَتَى خَلَّتْ مِنَ السِّيَاسَةِ كَانَتْ نَاقِصَةً ، وَالسِّيَاسَةُ مَتَى عَرِيتْ مِنَ الشَّرِيعَةِ كَانَتْ نَاقِصَةً ، وَالْمَلِكُ مَبْعُوثٌ ، كَمَا أَنَّ صَاحِبَ الدِّينِ مَبْعُوثٌ ، إِلَّا أَنْ أَحَدَ الْبَعَثَيْنِ أَخْفَى مِنَ الْآخَرِ ، وَالثَّانِي أَشْهَرُ مِنَ الْأَوَّلِ ^(٢) . قَالَ — أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ — كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ أَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ قُلْتُ : إِنْ الْمَلِكُ مَبْعُوثٌ أَيْضًا ؟ فَإِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مَا ثَبَتَتْ فِي أَذْنِي قَطُّ ، وَلَا خَطَرَتْ لِي عَلَى بَالٍ ؛ قُلْتُ : قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي تَنْزِيلِهِ : (إِنْ اللَّهُ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا) . فَعَجِبَ وَقَالَ : كَأَنِّي لَمْ أَسْمَعْ بِهَذَا قَطُّ .

ذَكَرَ لِلْإِسْكَندَرِ سِوَهُ أَحْوَالِ رُؤَسَاءِ مَذْهَبِهِ لَمَّا كَانَ أَبُوهُ أَحْتَازَ أَمْوَالَهُمْ (١٠) وَسَلَبَ أَمْوَالَهُمْ . فَقَالَ : يَجِبُ لِلْآبَاءِ عَلَى الْأَبْنَاءِ إِزَالَةُ أَلْدَمِّ عَنْهُمْ ، [وَحَوُّ الْإِسْمِ ،

(١) فِي (١) «تَوَزَّعَ» .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : «وَالأَوَّلُ أَشْهَرُ مِنَ الثَّانِي» .

ستعطافُ ألقابِ عليهم ، ونشرُ الحمدِ عنهم ؟ وأمرَ بردُ أموالهم عليهم ، وزاد في الإحسان إليهم . وقال : قد بلغَ من فرطِ شفقةِ الآباءِ على الأبناء أن يُسيثوا إلى أنفسهم لتكونُ الإساءةُ سبباً للإحسانِ إلى أولادهم ، لأنهم يرون أولادهم كأفسهم لأنهم من أنفسهم .

قلت : أيها الوزير ، إني لأعجبُ من الإسكندرِ في الفعلِ الرَّشيدِ وأقولِ : السديد ، فهذا المنصورُ أبو جعفر صاحبُ الشهامةِ والصَّرامةِ أخذَ من وجوهِ العراقِ أموالاً بسخاوتهم أصحابها وأقرَّمهم ، وجعلها في خزائنه بعد أن كتبَ على تلك الخراطِ والظروفِ أسماءَ أهلها ، ثم وصى المهديَّ بردِّها على أصحابها بعد موته ، وبكذلك عليه ، وقال : يا بُنَيَّ ، إنما أريدُ بهذا أن أُحبِّبك إلى الناس ، ففعل المهديُّ ذلك ؛ فانشرَّ له الصَّيتُ وكثرَ اللطاءُ وعجَّت الأصوات ، وقال الناس : هذا هو المهديُّ الذي ورد في الأثر . قال : هذا هجَب .

وقال سُقراط : ينبغي لمن علم أن البدنَ هو شيءٌ جُعِلَ نافعاً للنفسِ مثلَ الآلةِ للصانع أن يطلبَ كلَّ ما يصيرُ البدنُ به أنفعَ وأوفقَ لأفعالِ النفسِ التي هي فيه ، وأن يهزُبَ من كلِّ ما يُصَيِّرُ البدنَ غيرَ نافعٍ ولا موافقٍ لاستعمالِ النفسِ له . قال أوميرؤس : لا ينبغي لك أن تؤثرَ عِلْمَ شيءٍ إذا عُمِرْتَ به غَضِبْتَ ، فانك إذا فعلتَ هذا كنتَ أنتَ القاذِفُ لنفسِكَ .

وقال ديوجانس : من القبيح أن تتحرى في أغذيةِ البدنِ ما يصلحُ له ولا يكون ضاراً ، ولا تتحرى في غذاءِ النفسِ الذي هو العِلْمُ لئلا يكون ضاراً . وقال أيضاً : من القبيح أن يكونَ الملاحُ لا يُطلقُ سفينته في كلِّ ربحٍ ، ونحن نطلقُ أنفسنا في غيرِ بحثٍ ولا اختبارٍ .

ذكر لنا أبو سليمان أن فيلسوفاً وَرَدَ مَدِينَةً فِيهَا فِيلَسُوفٌ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْمَدَنِيُّ
كَأْسًا مَلَأَى ، يُشِيرُ بِهَا إِلَى أَنَّ الِاسْتِغْنَاءَ عَنْهُ وَاقِعٌ عِنْدَهُ ، فَطَرَحَ الْقَادِمُ فِي الْكَأْسِ
إِبْرَةً ، يُعَلِّمُهُ أَنَّ مَعْرِفَتَهُ تَنْفُذُ فِي مَعْرِفَتِهِ .

وقال فيلسوفٌ يونانيٌّ : التَّقَلُّبُ فِي الْأُمُصَارِ ، وَالتَّوَسُّطُ فِي الْجَامِعِ ^(١) ،
والتَّصَرُّفُ فِي الصَّنَاعَاتِ ، وَاسْتِمَاعُ فَنُونِ الْأَقْوَالِ ، مِمَّا يَزِيدُ الْإِنْسَانَ بَصِيرَةً
وَحِكْمَةً وَتَجَرِبَةً وَيَقْظَةً وَمَعْرِفَةً وَعِلْمًا .

قال الوزير : مَا الْبَصِيرَةُ ؟ قُلْتُ : لَحَظُ النَّفْسِ الْأُمُورَ . قَالَ : فَمَا الْحِكْمَةُ ؟
قُلْتُ : مُبْلَغُ الْقَاصِيَةِ مِنْ ذَلِكَ اللَّحْظِ . قَالَ : فَمَا التَّجَرِبَةُ ؟ قُلْتُ : كَمَالُ النَّفْسِ بِلِحَازِ
مَا لَهَا . قَالَ : هَذَا حَسَنٌ .

قال أنكساغورس : كَمَا أَنَّ الْإِنَاءَ إِذَا أُمْتَلَأَ بِمَا يَسْعُهُ مِنَ الْمَاءِ ثُمَّ تَجْعَلُ فِيهِ
زِيَادَةً عَلَى ذَلِكَ قَاضٍ وَانْصَبَّ ، وَلَعَلَّهُ أَنْ يَخْرُجَ مَعَهُ شَيْءٌ آخَرُ ؛ كَذَلِكَ
الذَّهْنُ مَا أَمْكَنُهُ أَنْ يَضْبُطَهُ فَإِنَّهُ يَضْبُطُهُ ، وَإِنْ طُلِبَ [مِنْهُ] ضَبْطُ شَيْءٍ آخَرَ
أَكْثَرَ مِنْ وَسْعِهِ تَحَيَّرَ ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ يُضَيِّعُ عَلَيْهِ شَيْئًا مِمَّا كَانَ الذَّهْنُ ضَابِطًا لَهُ ،
وَهَذَا كَلَامٌ صَحِيحٌ ، وَإِنِّي لَا تَعْجَبُ مِنْ أَصْحَابِنَا إِذَا ظَنُّوا وَقَالُوا : إِنَّ الْإِنْسَانَ
يَسْتَطِيعُ حِفْظَ جَمِيعِ فَنُونِ الْعِلْمِ وَالْقِيَامَ بِهَا وَالْإِبْقَاءَ عَلَيْهَا ، وَلَوْ كَانَ هَذَا مَقْدُورًا
عَلَيْهِ [لَوُجِدَ ، وَ] لَوُجِدَ لِمَعْرِفٍ ، وَلَوْ عُرِفَ لَذِكْرِ ، وَكَيْفَ يَجُوزُ هَذَا وَقَلْبُ
الْإِنْسَانِ مُضْغَةٌ ، وَقُوَّتُهُ مَقْصُورَةٌ ، وَانْبِسَاطُهُ مُتَنَاهٍ ، وَاقْتِبَاسُهُ وَحْفَظُهُ وَتَصَوُّرُهُ
وَذِكْرُهُ مَحْدُودٌ ؟ وَلَقَدْ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الْمُهَدَّى الطَّبْرِيُّ قَالَ : قُلْتُ بَيْنَخَدَادِ الْأَبِيِّ
بِشْرٍ : لَوْ نَفَظْتَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَلْفَقِهِ مَعَ هَذِهِ الْأَبْرَاعَةِ الَّتِي لَكَ فِي الْكَلَامِ ، وَمَعَ هَذَا

اللسان الذى تحيّر فيه كلّ خصم . قال : أفعلُ ، قال . فكنتُ أقرأ عليه بالنهار مع المختلفة الكلام ، وكان يقرأ علىّ بالليل شيئاً من ألفقه ، فلما كان بعد قليل أقصرَ عن ذلك ، فقلت له : ما السبب ؟ قال : والله ما أحفظ مسألةً جليّةً فى ألفقه إلّا وأنسى مسألةً دقيقةً فى الكلام ، ولا حاجة لى فى زيادة شيء يكون سبباً لنقصان شيء آخر منى .

وسأل رجلٌ آخر أن يُقرضه مالا ، فوعده ثم غدر به ، فلامه الناس ، فقال : لأنّ يَحمرَّ وجهى مرّةً أحبُّ إلىّ من أن يصفرَّ مراهراً كثيرة .

وولّى أريوس ولايةً فقال له أصدقاؤه : الآن يظهر فضلك . فقال : ليست الولاية تُظهر الرجل ، بل الرجلُ يظهر الولاية .

وقال ديوجانس . الدنيا سوقُ المسافر ، فليس ينبغي للعاقل أن يشتري منها شيئاً فوق الكفاف .

وقيل لاسطفانس : من صديقك ؟ قال : الذى إذا صرّرتُ إليه فى حاجة وجدته أشدَّ مُسارعةً إلى قضائها منى إلى طلبها .

وقال أفلاطون : إن النفس لذّتين : لذّة لها مجرّدة عن الجسد ، ولذّة مشاركة للجسد ، فأما التى تنفرد بها النفس فهى العلم والحكمة ، وأما التى تُشارك فيها البدن فالطعام والشراب وغير ذلك .

وقيل لسقراط : كيف ينبغي أن تكون الدنيا عندنا ؟ قال : لا تستقبلوها بتمنٍ لها ، ولا تتبجّوها بتأسّف عليها ؛ فلا ذلك يُجدي عليكم ، ولا هذا راجعٌ إليكم . وقال سقراط : القنينة^(١) مخدومة ، ومن خدم غير نفسه فليس [بحر] .

(١) فى كلتا النسخين : « القينة » ؛ وهو تعريف ؛ والقينة : ما يقنى

وقال بعض ندماء الإسكندر له : إن فلاناً يسيء الثناء عليك ، فقال : أنا أعلم أن فلاناً ليس بشيرير ، فينبغي أن يُنظر هل ناله من ناحيتنا أمرٌ دعاه إلى ذلك ، فَبَحَثَ عن حاله فوجدَهَا رَثَةً ، فأمر له بصلَّة سنِّيَّة ، فبلغه بعد ذلك أنه يسطر لسانه بالثناء عليه في الحافل ؛ فقال : أما ترون أن الأمر إلينا أن يقال فينا خيرٌ أو شرٌ . قيل لطياناؤس : لم صِرتَ تسيء القول في الناس ؟ قال : لأنه ليس يمكنني أن أسيء إليهم بالفعل . وكان مرَّة في صحراء ، فقال له إنسان : ما أحسن هذه الصحراء ! قال : لو لم تحضُرْها أنت .

وقال غالوس : ما وجه الأهتمام بما إن لم يكن ^(١) أَجْزَى فَوْتُهُ ، وإن كان فالمنفعة به وبحضوره قليلة منقطعة .

وقال سُقْرَاط : ينبغي إذا وَعَظْتَ ألا تتشكَّلَ بشكل منتقمٍ من عدُوِّ ، ولكن بشكل من يُسَعِطُ أو يَكْوِي بعلاجه داء بصدق له ، وإذا وُعِظْتَ أيضاً بشيء فيه صلاحُك ، فينبغي أن تتشكَّلَ بشكل المريض للطبيب .

ركب مقاريوس في حاجة ، فمر بزيموس وقد تعلق به رجل يطالبه بمال اختدعه عنه وعليهما جماعة من الناس ، وهو يسأله تنجيم ذلك المال عليه نجومًا ليؤديه ، ويتضرَّعُ أشدَّ التضرُّع . فقال مقاريوس : ما طَلَبْتُكَ عند هذا الرجل ؟ فقال : أتاني فغدعني بالزُّهد والنُّسك عن مالي ، ووعدني أن يملأ بيتي ذهباً من صنعته ، فلم أزل في الأسترسال إلى ظاهره السليم حتى أقرني باطنه السقيم . فقال له مقاريوس : إن كلَّ مَنْ بَدَّلَ شَيْئاً إنما يَبْذُلُهُ على قَدَرٍ وَسِعِهِ ؛ وكان زيموس أَتاك على حاله التي هو عليها ، ولم يكن ليتسع لأكثر من ذلك القول ؛ وأما عملُ الذهب فَبَيِّنُ ظاهر ، لأن فقرَهُ يَدُلُّ على تجزئه وضعفه عنه ، ومن أَمَّلَ الغنى عند الفقير

(١) يلاحظ أن قوله : «يكن» هنا تامة ، أي إن لم يوجد ؛ وكذلك قوله : «كان» الآتي .

فغاية ما يمكن أن يبلغه أن يصير مثله ؛ وآخر ما يؤمل عند الفقير نيل الفقر .
 فقد أصبت ما كنت تحب أن تجده عند زيموس ؛ وهو حظ إن تمسكت
 به لم يغل بما تلف من مالك ، ولئن كان وعدك أن يفيدك مالا باطلا فلقد
 أفادك معدنا حقا ، من غير قصد إلى نفعك . ثم أقبل على زيموس وقال له :
 ما أبعد شبه معدنك من المعادن الطبيعية ! إن المعادن تلفظ الذهب ، ومعدنك
 هذا يتطلع الذهب ؛ ومن جاور معدنا منها أغناه ، ومن جاور معدنك أفقره ؛
 والمعادن الطبيعية تثمر من غير قول ، ومعدنك يقول من غير إثمار . فقال
 زيموس : أيها الفاضل ، لئن عبتني فلست بأول حكيم لقي من الناس الأذى .
 فقال له : أجل ، ولا آخرهم ولا أوسطهم ، لكنك من الجهال الذين لقي الناس
 منهم الأذى .

(١٦) فقال — أعلى الله قوله — : فهل لهذا الأمر — أغني الكيمياء — مَرَجوع ؟
 وهل له حقيقة ؟ وما تحفظ عن هذه الطائفة ؟

فكان الجواب ، أما يحيى بن عدي — وهو أستاذ هذه الجماعة — فكان
 في إصبعه خاتم من فضة يزعم أن فضته عملت بين يديه ، وأنه شاهد عملها
 عيانا ، وأنه لا يشك في ذلك .

وأما أصحابه كأبن زُرعة وابن الخمار ، فذكروا أن ذلك تم عليه من
 فعل لم يقطن له من بعض من أغتره من هؤلاء المحتالين الخداعين .

وأما شيخنا أبو سليمان فحصلت من جوابه على أنه ممكن ، ولم يذكر سبب
 إمكانه ولا دليل حقيقته .

وأما أبو زيد البلخي — وهو سيد أهل المشرق في أنواع الحكمة —

فذكر أنه مُحَالٌ ولا أَصْلَ له ، وأنَّ حِكْمَةَ اللَّهِ تعالى لا توجبُ صِحَّةَ هذا الأمر ، وأنَّ صِحَّتَهُ مَنفُودَةٌ عامَّةٌ ، (واللهُ لا يُحِبُّ الفَسَادَ) .

وأما مَسْكُوبُهُ — وما هو بين يديك — فيزعمُ أن الأمرَ حقٌّ وصحيح ، والطبيعةُ لا تمنعُ من إعطائه ، ولكنَّ الصَّنَاعَةَ شاقَّةٌ ، والطَّرِيقَ إلى إصابة المِقْدَارِ عَسِيرةً ، وجمعَ الأسرارِ صَعْبٌ وبعيد ، ولكنه غيرُ مُمْتَنِعٍ ؛ فقد مضى عُمرُهُ في الإكبابِ على هذا بالرئى أيامَ كان بناحية أبي الفضل ^(١) وأبى الفتح ابنه مع رَجُلٍ يُعْرَفُ بأبى الطَّيِّبِ ، شاهدتهُ ولم أجد عَقْلَهُ ، فإنه كان صاحبَ وَسْوَاسٍ وكذبٍ وَسَقَطٍ ، وكان مَخْدُوعاً في أوَّلِ أمره ، خادعاً في آخر عُمره .

وأبينُ ما سمعتهُ في هذا الحديث أنَّ الطبيعةَ فوق الصَّنَاعَةِ ، وأنَّ الصَّنَاعَةَ دون الطبيعة ، وأنَّ الصَّنَاعَةَ تتشَبَّهُ بالطبيعة ولا تكمل ، والطَّبيعةُ لا تتشَبَّهُ بالصَّنَاعَةَ وتكْمُلُ ، وأنَّ الطبيعةَ قُوَّةٌ إلهيَّةٌ ساريةٌ في الأشياءِ واصلهُ إليها ، عاملةٌ فيها بقدر ما للأشياء من القبول والاستحالة والأفعال والمواناة ، إما على التَّامِّ ، وإما على النقصان . وقيل : إنَّ الطبيعةَ لا تسلكُ إلى إبراز ما في المادَّةِ أبعدَ الطَّرِيقِ ، ولا تترُكُ أَقْرَبَ الطَّرِيقِ ، فلما كانت المادَّةُ هي التي تُعطى هذه الجواهرَ على قَدَرِ المُقابلاتِ العلويَّةِ والأشكالِ السماويَّةِ والموادِّ الشفليَّةِ والكائناتِ الأرضيَّةِ ، لم يَجْزُ أن تكون الصَّنَاعَةُ مُساويةً لها ، كما لم يَجْزُ أن تكون مُستعليةً عليها ، لأن الصَّنَاعَةَ بشريَّةٌ مستخرجةٌ من الطبيعة التي هي إلهيَّةٌ ، ولا سبيلَ لِقُوَّةِ بشريَّةٍ أن تنالَ قُوَّةَ إلهيَّةٍ بالمساواة ؛ فأما بالتشبيه والتقريب والتلخيص ، فيمكن أن يكون بالصَّنَاعَةِ شَيْءٌ كأنَّهُ ذَهَبٌ أو فضةٌ ، وليس هُوَ في

(١) يريد أبا الفضل بن العميد .

الحقيقة ، لا ذَهَبٌ ولا فِضَّةٌ ؛ وإذا كان ظُهور القطن بالطبيعة وظهور الثوب بالصناعة فليس لهذه أن تَعْرِضَ لهذه ، [ولا لهذه أن تَعْرِضَ لهذه] ؛ والأمور موزونة^(١) ، والصناعات متناهية ؛ فإن ادَّعَى في شيء من الصناعة ما يزيد عليها حتى تكون كأنها الطبيعة ، احتيج إلى بُرْهانٍ واضح ، وإلى عيان مصرَّح ، لأننا نعلم أنه ما من صناعةٍ ولا علمٍ ولا سياسةٍ ولا نِحْلَةٍ ولا حالٍ إلا وقد نُحِلَ عليها ، وزيد فيها وكُذِبَ من أجلها بما إذا طَلَبْتَ صِحَّتَهُ بالبرهان لم تجِدْ ، أو بالعيان لم تقدر .

(١٧) فأما أصحابُ القسَمِ ومن عُرِفَ بالعبادة والصَّلاح ؛ فقد ادَّعَى لهم أن الصُّرَّ يُصَيَّرُ لهم ذهباً ، وشيثاً آخر يصيرُ فضةً ، وأن الله عزَّ وجلَّ يُزَلِّزُ لهم الجبل ويُنْزِلُ لهم القطر ، ويُنبِت لهم الأرض ، وغير ذلك مما هو كالأيات للأنبياء الذين يأتون من قِبَلِ الله بالكُتُبِ والوصايا والأحكام والمواعظ والنصائح ، وربما يسمَّى كثيرٌ من الناس ما يظهرُ للزُّهَّاد والعُبَّاد من هذا الضرب كرامات ولا يسميها معجزات ، والحقائق لا تَنْقَلِبُ بالأسماء ، فإن المسمَّى بالكرامة هو المسمَّى بالمعجزة والآية .

والخَوْضُ في هذا الطَّرَفِ قديم ، وفَصْلُهُ في الحقِّ شاقٌّ ، والتنازُعُ فيه قائمٌ ، والظنُّ يعملُ عمله ، واليقينُ غيرُ مَظْهُورٍ به ، ولا موصولٌ إليه ؛ والطبيعة قد أولت الناسَ بادِّعاء الغرائب ، وبَعَثَتْهُمْ على نُصْرَتِها بالوَفْقِ والخَرْقِ ، والتسهيل واللجاج ، والمواتاة والتحكك ، والله في طيِّ هذا العالمِ العُلُوِّ أسرارٌ وخفايا وغُيُوبٌ ومَكائِنٌ لا قُوَّةَ لأحد من البَشَرِ بالحِسنِّ ولا بالعقل أن يحوم حولها ، أو يبلغَ عُنفها ، أو يُدْرِكَ كُنْهها ، ومن تَصَرَّفَ عَرَفَ ، ومن عَرَفَ سَلِمَ ، والسلام .

(١) كذا وردت هذه الكلمة في سكتنا النسخين .

وحكى لنا أبو سليمان أنَّ أرسطوطاليس كتب إلى رجل لم يُشْفَعْ^(١) في رجل سألَه الكلامَ له في حاجة : إن كنت أردتَ ولم تقدرَ فمُعدورٌ ، وإن كنت قدَرتَ ولم تُردْ فسوف ينجي . وقتٌ تريد ولا تقدر .

وقال بعض الحكماء : لا تُرهِّموا السُّقْلةَ فيعتادوا الكسلَ والراحة ، ولا تجرِّثوهم فيطلبوا السَّرفَ والشَّغبَ ، ولا تأذنوا لأولادهم في تعلُّمِ الأدب فيكونوا لرداءةِ أصولهم أذهن^(٢) وأغوص ، وعلى التعلُّمِ أصبر ؛ ولا جرم فإنهم إذا سادوا^(٣) في آخر الأمر خربوا بيوتَ العليَّةِ أهل الفضائل .

وقال فيلسوف : للنفس خمسُ قُوَى : الحسَّ والوهم والذهن والاختبار (١٩) والفكر .

فأما الحسُّ فلحاقُ الأشياء بلا فحص ، ولا يحتاج في ذلك اللِّحاق إلى شيء . آخر ، إلا أن يكون ممنوعاً بمانع ، وذلك إذا وجد شيئاً أبيض حكم بأنه أبيض بلا فكر ولا قياس .

وأما الوهم ، فإنه يقع على الأشياء بتوسط الحسِّ .
وأما الاختبار فيوافق الفكر ، كقولك : النفسُ لامتوت ، فهذا قولٌ اختباريٌّ بعد الفكر ، فإن كان هذا هكذا فالاختبار ليس بقياس ، ولكنه أُنقُ القياس .
وأما الذهن فإنه لا يهجم على أوائل الأشياء .
وقال آخر شبيهاً بهذا الكلام ، ولا بأس أن يكون مضموماً إليه ، ليكون شمل القاعدة أكثر نظاماً وأقرب مراماً .

(١) يشفعه : يقبل شفاعته

(٢) أذهن ، أى أجود ذهنًا ، وفي (١) « أدهى » ، وفي ب « أذهب » ، وهو تصحيف في كليهما .

(٣) في كلتا النسختين : « ساروا » .

قال : ليس للحَوَاسِّ والحركاتِ فِعْلٌ دون أن تَبْعَثَهَا القُوَّةُ المميِّزة ، فذلك لا يُحَسُّ السُّكْرَانُ ولا النَّائم ، وكذلك أيضاً البهائم فإنها لا تصيحُ إلا بعد أن يَغرُضَ في فِكْرها شيء ، ولا تتحرَّكُ إلا بأنبعاثِ القُوَّةِ المميِّزة .

ولكل واحد من الحيوان ثلاثة أرواحٍ في ثلاثة أعضاء رئيسة : نفسية في الدماغ ، وحيوانية في القلب ، وطبيعية في الكبد .

وفي كل واحد منها قُوَّةٌ مميِّزةٌ بها يتم عمله ، فالتى في الدِّماغ هي العقل المميِّز الحارس للبدن ، ومنه ينبعث الحِسُّ والحركة ، [والتي] في القلب تنبعث منها الحرارة الغريزية في جميع البدن ؛ وزعموا أن تلك الحرارة هي الروح ؛ والتى في الكبد هي موضع الهضم والنضج ، وهي التى تنضج الطعام وتغيره وتحيله دماً وتوزعُ في كلِّ عضو ما هو ملائمٌ له ، وبالجاذبة تجذبُ ، وبالحابسة تحبسُ ، وبالهاضمة تهضمُ ، وبالدافعة تدفعُ .

فأما الدِّماغ فينقسم ثلاثة أقسامٍ يَحْجُزُ بينها أغشية ، أحدها في مقدِّم الرأس موضع التخيل ، والثانى في وسط الرأس موضع العقل والفكر والتمييز ، والثالث في مؤخر الرأس موضع الحفظ والذكر والقبول ؛ فكلُّ واحد مما ذكرنا يخدم الآخر ، وإن ضَعُفَ أحدها ضَعُفَ لضعفه الآخر ، وباعتدالهنَّ وسلامتهنَّ قوامُ البدنِ والنفس .

ولكل واحدٍ منها آلة بها يستعين على خِدمة الآخر .

قال : فكما أن الرِّحَى إذا نقصت شيئاً منها أو زدت أفسد الطحن ؛ إما بزيادة أو نقصان ، كذلك سائرُ خَدَمِهِ وآلاتِهِ .

وقال : الدِّماغ مَسْكَنُ العقل ، وخَدَمُهُ الحِسُّ والحركة ؛ والقلب مَسْكَنُ

الحرارة الفريزية ، وخدمته العروق الضواري ؛ والكبد مسكن النضج والهضم ، وخدمتها العروق غير الضواري .

وقال : النار تحرق ، فإذا كانت موجودة فالدخان والرماد موجودان ، والدخان رماد لطيف ، والرماد دخان كثيف .

وقال أبو سليمان : ذكر بعض الباحثين عن الإنسان أنه جامع لكل ما تفرق في جميع الحيوان ، ثم زاد عليها وفضل بثلاث خصال : بالعقل والنظر في الأمور النافعة والضارة ، وبالمنطق لإبراز ما استفاد من العقل بوساطة النظر ، وبالأيدى لإقامة الصناعات وإبراز الصور فيها مماثلة لما في الطبيعة بقوة النفس . ولما انتظم له هذا كله جمع الحيل والطلب والهرب والمكاييد والحدار ، وهذا بذل الشرعة والخفة التي في الحيوان ، واتخذ بيده السلاح مكان الناب والمخالب والقرن ، واتخذ الجن لتكون وقاية من الآفات ، والعقل ينبوع العلم ، والطبيعة ينبوع الصناعات ، والفكر بينهما قابل منهما ، مؤدٍ من بعض إلى بعض ، فصواب بديهية الفكر من صحة العقل ، وصواب روية الفكر من صحة الطباع .

(٧٠) وقال أبو العباس : الناس في العلم على ثلاث درجات ، فواحد يلهم فيعلم فيصير مبدأ ، والآخر يتعلم ولا يلهم فهو يؤدّي ما قد حفظ ، والآخر يجمع له بين أن يلهم وأن يتعلم . فيكون بقليل ما يتعلم كثيراً بقوة ما يلهم .

وقال : الإنسان بين طبيعته — وهي عليه — ونفسه — وهي له — منقسم ؛ فإن اقتبس من العقل قوى نوره ما هو له من النفس ، وأضعف ما هو عليه من الطبيعة ، فإن لم يكن يقتبس بقى حيراناً أو مهوراً .

أَلْقَحَهَا ؛ فَمِنْ مَنْ وَلَدَ يَنْمُو بَيْنَهُمَا فِي بَطْنٍ وَاحِدٍ .

وقال فيلسوف : إِنَّ البَعُوضَةَ تَحْيَا مَا جَاعَتْ وَإِذَا شَبِعَتْ مَاتَتْ .

وقال ديوجانس : إِنْ تَكُنْ مِلْحًا يُضْلِحْ ، فَلَا تَكُنْ ذُبَابًا يُفْسِدُ .

وقيل لـديوجانس : مِنْ أَيْنَ تَأْكُلُ ؟ فَقَالَ : مِنْ حَيْثُ يَأْكُلُ عَبْدٌ لَهُ رَبٌّ .

وقال ديوجانس : كُنْ كَالْعُرْسِ تُرِيدُ الْبَيْتَ خَالِيًا .

قيل لـأرسطوطاليس : إِنْ فَلَانًا عَاقِلٌ . قَالَ : إِذَا لَا يَفْرَحُ بِالْدُنْيَا .

وقيل لـفيثاغورس : مَا أَثْمَلَكَ فَلَانًا لِنَفْسِهِ ! قَالَ : إِذَا لَا تَعْرِعُهُ شَهْوَتُهُ ،

وَلَا تَخْدَعُهُ لَذَّتُهُ .

وقيل لـأسقليبيوس : فَلَانٌ لَهُ هِمَّةٌ . قَالَ إِذَا لَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ بِدُونِ الْقَدْرِ .

ومَدَحَ رَجُلٌ ثِيُودُورُوسَ عَلَى زُهْدِهِ فِي الْمَالِ قَالَ : وَمَا حَاجَتِي إِلَى شَيْءٍ

الْبَحْتِ يَأْتِي بِهِ ، وَاللَّوْثُ يَحْفَظُهُ ، وَالنَّفَقَةُ تُبَدِّدُهُ ، إِنْ قَلَّ غَلَبَكَ الِهْمُ بِتَكْثِيرِهِ ،

وَإِنْ كَثُرَ تَسَمَّكَ فِي حِفْظِهِ ، يَحْسُدُكَ مِنْ فَاتِهِ مَا عِنْدَكَ ، وَيَخْدَعُكَ عَنْهُ مَنْ

يَطْمَعُ فِيهِ مِنْكَ .

وقال سُقْرَاتُ : مَا أَحَبُّ أَنْ تَكُونَ النَّفْسُ عَالِمَةً بِكُلِّ مَا أَعِدَّ لَهَا ؛ قِيلَ :

وَلِمَ ؟ قَالَ : لِأَنَّهَا لَوْ عَلِمَتْ طَارَتْ فَرَحًا وَلَمْ يُنْتَفِعْ بِهَا .

وقال ديوجانس : الْقَلْبُ ذُو لَطَافَةٍ ، وَالْجَسْمُ ذُو كَثَافَةٍ ، وَالْكَثِيفُ

يَحْفَظُ اللَّطِيفَ كَضَوْءِ الْمَصْبَاحِ فِي الْقِنْدِيلِ .

وقال افلاطون : الْعِلْمُ مَصْبَاحُ النَّفْسِ ، يَنْفِي عَنْهَا ظُلْمَةَ الْجَهْلِ ، فَمَا أَثْمَنُكَ

أَنْ تُضِيفَ إِلَى مَصْبَاحِكَ مَصْبَاحَ غَيْرِكَ فَأَفْعَلُ .

قال أبو سليمان : مَا أَحْسَنُ الْمَصْبَاحِ إِذَا كَانَ زَجَاجُهُ نَقِيًّا ، وَضَوْؤُهُ ذَكِيًّا ،

وَزَيْتُهُ قَوِيًّا ، وَذُبَالُهُ سَوِيًّا .

وقال سُقراط : الكلام اللطيف ، ينبؤ عن الفهم الكثيف .
وحَكَّى لنا أبو سليمان قال : قيل لفيلسوف : ما بال المريض إذا داوَاهُ الطبيبُ
ودخل عليه فرح به وقبل منه وكافاه على ذلك ، والجاهل لا يفعل ذلك بالعالم
إذا علمه ويَبِّن له ؟ فقال : لأنَّ المريضَ عالمٌ بما عند الطبيب ، وليس الجاهل
كذلك ، لأنَّه لا يَعْلَمُ ما عند العالم .

وقال ديوجانس لصاحبه : أما [تَعَلَّمْ] أنَّ الحمامَ إذا كان سَمائِيًّا كان أغلى
ثمنًا ، وإذا كان أَرْضِيًّا كان أقلَّ ثمنًا^(١) .

قال — أبقاه الله — هذا مَثَلٌ في غاية الحُسْنِ والوضوح .
[وقال ديوجانس^(٢) : المأكول للبدن ، والموهوب للعباد ، والمحفوظ للعدو .
وقال فيلسوف : التهاون باليسير أساسٌ للوُتُوع في الكثير .
وقال أفلاطون : مَثَلُ الحكيم كَمَثَلِ النملة تَجَمُّع في الصيف للشتاء ، وهو
يجمع في الدنيا للآخرة .

وقال فيلسوف : من يصف الحكمة بلسانه ولم يتحلَّ بها في سرِّه وجهه فهو
في المَثَلِ كَرَجُلٍ رَزِقَ ثوبًا فأخذ بطرفه فلم يلبسه .
وقال السيد المسيح : إنَّ أَسْتَطَعْتَ أَنْ تَجْعَلَ كَنزَكَ حَيْثُ لَا يَأْكُلُهُ الشَّوْسُ ،
وَلَا تَدْرِكُهُ اللَّصُوصُ ، فَأَنْعَلْ .]

قال فيلسوف : إذا نازعك إنسانٌ فلا تُجِبْهُ ، فإنَّ الكلمة الأولى أَثْقَى
وإِجَابَتُهَا فَحْلُهَا ، وَإِنْ تَرَكْتَ إِجَابَتَهَا بَتَرْتَهَا وَقَطَعْتَ نَسْلَهَا ، وَإِنْ أَجَبْتَهَا

(١) يلوح لنا أن في هذه الفقرة نقصاً سقط من الناسخ في كلتا النسختين .
(٢) آخر هذه الزيادة التي نقلناها عن ب بعض كلمات مطبوسة لم استطع تمييزها ، فلم
ثبتها ، فانظرها في هامش الورقة رقم ٢٠٤ من هذه النسخة .

قيل لسقراط : ما أحسنُ بالمرء أن يتعلّمه في صِغره ؟ قال : ما لا يَسْعُه أن يَجْهَلَه في كِبَرِه .

قال أبو سليمان : ومن هاهنا أخذَ مَنْ قال : يَحْسُنُ بالمرءُ التعلُّمُ ما حَسَنَتْ به الحياة .

قيل لهوميروس : ما أصْبَرَكَ على غَيْبِ الناسِ لك ! قال : لأنّا أَسْتَوَيْنَا في الغَيْبِ ، فأنا عندهم مِثْلُهم عِنْدِي .

وقيل للإسكندر : أيّ شيء أنتَ به أَسْرُ ؟ قال : قُوَّتِي على مكافأة من أَحْسَنَ إِلَيَّ بأَحْسَنَ مِنْ إحسانه .

[وقال ديوجانس : إن إقبالَكَ بالحديث على من لا يَفْهَمُ عنكَ بمنزلةٍ من وَضَعَ المائدةَ على مَقْبَرَةٍ] .

ورأى ديوجانس رجلاً يأكل ويتنَزَّع^(١) ، ويُكْثِرُ ، فقال له : يا هذا ، ليست زيادة القوة بكثرة الأكل ، وربما وَرَدَ على بدنك من ذلك الضررُ العظيم ، ولكنَّ الزيادة في القوة بمجودة ما يقبل بدنك منه على الملاءمة .

وقال ديوجانس : الذهبُ والفضةُ في الدار بمنزلة الشمس والقمر في العالم . قال أبو سليمان : هذا مليح ، ولكن ينبغي أن تَبْقَى الشمس والقمر فأنهما يُكْسِفَانِ فيكونان سبباً لفساد كثير ، ويذوبان^(٢) ويُحْمَيَانِ فيكونان ضارَّين . وقال أفلاطون : موت الرؤساء أصلحُ من رآسة السُّفلة .

وقال : إذا نَحَلَ النَّاسُ بِالنَّاسِ كَثُرَ الإِرْجَافُ به

وقال سنولون : العلمُ صغير في الكميَّة ، كبير في الكيفيَّة

(١) يتنزع ، يكثر ويفرط ، (٢) يذوبان ، أي ، هب والفضة .

وقال أبو سليمان : يعنى أن القليل منه إذا استعملته على وجهه كان له إتمام .
 ونفع فائض ودرّ سائح ، وغاية محمودّة ، وأثر باق . وهذه كلّها كيفيات من
 تلك الكمّية .

وقال أفلاطون : لا يسوسُ النفوسَ الكثيرةَ على الحقِّ والواجبِ من
 لا يُمكنه أن يسوسَ نفسه الواحدة .

وقال سُقراط : النفسُ الفاضلةُ لا تَطْفئُ بالفرحِ ، ولا تجزعُ من الترحِ ، لأنها
 تنظرُ في كلّ شيءٍ كما هو ، لا تسلبُه ما هو له ولا تُضيفُ إليه ما ليس منه ؛
 والفرحُ بالشئِ إنما يكونُ بالنظرِ في محاسِنِ الشئِ دون مساوئه ، والترحُ إنما
 يكونُ بالنظرِ في مساوئِ الشئِ دون محاسِنه ؛ فإذا خلصَ النظرُ من شوبِ الغلطِ
 فيما يُنظرُ فيه انتفى الطغيانُ والجزعُ ، وحصلَ النظامُ وريح^(١) .

قال ديوجانس : ينبغي للإنسان أن ينظرَ في المرأة ، فإن كان كخبه حسناً
 استقبحَ أن يُضيفَ إليه فعلاً قبيحاً ، وإن كان وجهه قبيحاً وذلك أن
 يضيف قبيحاً إلى قبيح حتى يتضاعفَ القبح .

وقال إبيقراط : منزلةُ لطافة القلبِ في الأبدانِ بمنزلةُ لطافة الناظرِ في الأجفانِ .
 وقال : للقلبِ آفتان : وهما النَمُّ والهمُّ ، فالنَمُّ يعرضُ منه النومُ ، والهمُّ
 يعرضُ منه السهرُ ، وذلك أن الهمَّ فيه فِكْرٌ في الخوفِ مما سيكون ، فنه
 يغلبُ السهرُ ؛ والنمُّ لا فِكْرَ فيه ، لأنه إنما يحدثُ لما قد مضى وكان .

وقال أفلاطون : من يصحبُ السلطانَ فلا يجزعُ من قسوته ، كما لا يجزعُ
 الغواصُّ من ملوحة البحرِ .

قال أبو سليمان : هذا كلامٌ ضرره أكثرُ من نفعه ، وإنا نفقه صاحبه

(١) ربح ، أى ثبت ودام .

بالمثال ، والمثالُ يَسْتَجِيبُ للحقِّ كما يَسْتَجِيبُ للباطل ، والمعول على ما ثَبَتَ بالدليل ، لا على ما يُدَّعى بالتَّمْثِيل ، وقد يَجِبُ أَنْ يُجْتَنَبَ جَانِبُ السُّلْطَانِ بِغَايَةِ لَأَسْتَطَاعَةِ وَالْإِمْكَانِ ، إِلَّا إِذَا كَانَ الدَّهْرُ سَلِيمًا مِنَ الْآفَاتِ الْغَالِبَةِ . فَقَالَ لَهُ الْأَنْدَلُسِيُّ : وَمَا صُورَةُ الزَّمَانِ الْخَالِي مِنَ الْآفَاتِ ؟ فَقَالَ : أَنْ يَكُونَ الدِّينُ طَرِيقًا ^(١) ، الدَّوْلَةُ مَقْبَلَةً ، وَالْخَضْبُ عَامًّا ، وَالْعِلْمُ مَطْلُوبًا ، وَالْحِكْمَةُ مَرْغُوبًا فِيهَا ، وَالْأَخْلَاقُ طَاهِرَةٌ ، وَالِدَعْوَةُ شَامِلَةٌ ، وَالْقُلُوبُ سَلِيمَةٌ ، وَالْعَامَلَاتُ مُتَكَافِئَةٌ ، وَالسِّيَاسَةُ مَغْرُوسَةٌ ، وَالْبَصَائِرُ مُتَقَارِبَةٌ . فَقَالَ : هَذَا لَوْ صَحَّ لَأَرْتَفَعَ الْكُفْرُ وَالْفُسَادُ الْإِذَانُ وَهَمَا سَوْسُ هَذَا الْمَكَانِ ، فَقَالَ : غَلَطْتَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، فَإِنَّ الْكُفْرَ وَالْفُسَادَ يَكُونَانِ عَلَى حَالِهِمَا ، وَلَكِنَّهُمَا يَقَعَانِ عَلَى مَعْلُومَيْنِ لِلصُّورَةِ الثَّابِتَةِ ، وَالسِّيَاسَةِ الْعَامَّةِ الْغَالِبَةِ ، كَأَنَّكَ لَا تَحْسُ بِالْفَرْقِ بَيْنَ زَمَانٍ خِصْبِ الْأَرْضِ وَجَدْبِهَا ؛ وَكَمَا أَنَّ لِلْأَرْضِ خِصْبًا وَجَدْبًا ؛ كَذَلِكَ لِلْأَحْوَالِ وَالْأَدْيَانِ وَاللَّدُولِ صَلَاحٌ وَفُسَادٌ ، وَإِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ ، وَزِيَادَةٌ وَنُقْصَانٌ ؛ وَلَوْ كَانَ مَا خِلْتَهُ لَازِمًا ، لَكُنَّا لَا نَتَمَقَّقُ مَلِكًا عَادِلًا ، وَلَا سَائِسًا فَاضِلًا ، وَلَا نَاطِرًا نَاطِلًا ، وَلَا مَدْبِرًا عَالِمًا ؛ وَكَانَ هَذَا لَا يُعْرَفُ وَلَا يُعْهَدُ ، وَيَكُونُ فِي غُرُضِ الْمَحَالِ كَوْنُهُ وَوُجُودُهُ ؛ وَلَيْسَ الْأَمْرُ هَكَذَا فَقَدْ عَهِدْنَا مِثْلُ أَبِي جَعْفَرٍ بِسُجِسْتَانَ ، وَكَانَ وَاللَّهِ بَصِيرًا خَبِيرًا ، عَالِمًا حَكِيمًا ، يَقِظًا حَذِيرًا ، يَخْلُقُ وَيُفَرِّقُ ، وَيَرِيشُ وَيُبْرِئُ ، وَيَكْسُو وَيُعْرِى ، وَيُنَرِّضُ وَيُبْرِئُ ، وَهَكَذَا مِثْلُ أَبِي جَعْفَرٍ بِالْأَمْسِ مَلِكِ الْعِرَاقِ فِي حِرَامَتِهِ وَصِرَامَتِهِ وَقِيَامِهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ ، بِنَظَرِهِ وَتَنْدِيرِهِ ؛ وَكَذَلِكَ قَدْ عَهِدَ النَّاسُ قَبْلَنَا مِثْلَ هَذَا ، فَلِمَ يَقَعُ التَّعَجُّبُ مِنْ شَيْءٍ عَلَيْهِ مَدَارُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .

وَقَالَ دِيوجَانِسُ لِصَاحِبِ لَهُ : أُطَلِّبُ فِي حَيَاتِكَ هَذِهِ الْعِلْمَ وَالْمَالِ تَمَلِّكْ بِهِمَا

(١) طرأ : يريد غضبًا ناصعًا .

الناس ، لأنك بين الخاصة والعامة ، فالخاصة تعظمك لفضلك ، والعامة تعظمك لمالك^(١) .

وقال أفلاطون : إن الله تعالى بقدر ما يُعطى من الحكمة يَمْنَع الرزق ؛ قال أبو سليمان : لأنَّ العلمَ والمالَ كضرتين قلما يجتمعان ويصطلحان ، ولأنَّ حظَّ الإنسان من المال إنما هو من قبيل النفس الشهوية والسبعية ، وحظه من العلم إنما هو من قبيل النفس العاقلة ، وهذان الحظان كالتعاندين والضدين . قال : فيجب على الحصيف والمميز أن يعلم بأن العالم أشرف في سنخه وعنصره ، وأوليه وآخره ، وسفّره وحفّره ، وشهادته [ومتغيّبه^(٢)] من ذى المال ؛ فإذا وهب له العلم فلا يأس على [المال الذى يُجزى منه اليسير ، ولا يُلهب نفسه على [فوته حشرة وأسفا ؛ فالعلم مُدبّر ، والمال مُدبّر ؛ والعلم نفسى ، والمال جسدى ، والعلم أكثر خصوصية بالإنسان من المال ، وآفات صاحب المال كثيرة وسريعة ، لأنك لا ترى عالماً سُرِق علمه وترك فقيراً منه ؛ وقد رأيت جماعة سُرقت أموالهم ونُهبت وأُخذت ، وبقي أصحابها محتاجين لا حيلة لهم ؛ والعلم يزكو على الإنفاق ، ويضعّب صاحبه على الإنفاق ؛ ويهْدِي إلى القناعة ، ويُسبِلُ السَّترَ على الفاقة ؛ وما هكذا المال .

(١) عبارة « ب » ، فالخاصة تفضلك بما تعلم ، والعامة تعظمك بما تملك .

(٢) لم ترد هذه الكلمة في كلا الأصلين .

الليلة الثامنة عشرة^(١)

وقال مرةً : تعالَ حَتَّى نَجْعَلَ ليلَتنا هذه مُجَوِّيةً ، ونأخذَ من الهَزَلِ بنصيبٍ وافرٍ ، فإنَّ الجِدَّ قد كدَّنا ، ونالَ مِن قُوانا ، وملأنا قَبْضاً وكرْباً ، هاتِ ما عندَكَ ، قلتُ : قالَ حَسَنونُ المَجْنونُ بالسكوفة يوماً — وقد اجتمعَ إليه المُجَنِّانُ يَصِفُ كُلُّ واحدٍ منهم لذاتِ الدُّنيا — فقال : أَمَا أَنَا فَأَصِفُ ما جَرَّ بَتُّهُ ؛ فقالوا : هاتِ ؛ فقال : الأَمْنُ والعافيةُ ، وصَنَعُ الصُّلحِ الزُّرقِ ، وحَكُّ الجَرَبِ ، وأَكْلُ الرُّثْمانِ في الصَّيفِ ، والطلَّاءُ في كُلِّ شَهرينَ ، وإِتيانُ التَّساءِ الرُّغنِ والصَّبِيانِ الرُّعْرُ^(٢) ، والمَشْيُ بلا سَراويلَ بين يَدَيِ من لا تَحْتَشِمُهُ ، والعَرَبَدَةُ على الثَّقِيلِ ، وقَلَّةُ خِلافٍ من تَحْبُهُ [والتَّمَرُّسُ]^(٣) بالحقِّ ومُواخاةُ ذَوِي الوفاءِ ، وتركُ معاشرَةِ السَّفَلَةِ وقال الشاعرُ :

أَصْبَحْتُ مِنْ سُفْلِ الْأَنامِ . إِذِ بَغْتُ عِرْضِي بِالطَّعامِ .
أَصْبَحْتُ صَفْعاناً^(٤) لَثِي . مَ النَّفْسِ مِنْ قَوْمٍ لثامِ .
فِي أَسْتِ أُمِّ رَبَّاتِ الْحِيا . مِ ومن يَحِنُّ إِلَى الْحِيا مِ .

(١) هذا المدح حسباً هو وارد في (١) وقد سبق لنا استظهار غير ذلك في الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٧ فانظرها . ويلاحظ أن المؤلف قد آتى في هذه الليلة ببعض من المجون الساقط والنواذر المتنبلة ، ولولا الأمانة العلمية والإخلاص للتاريخ لحذفنا أكثرها واكتفينا بما لطف ورق ولم ينب عنه النوق . على أن المؤلف قد اعتذر عن ذلك في آخر الليلة من ٦٠ مستنداً إلى أقوال بعض الصحابة

(٢) الزعر : جمع أزعمر ، وهو الذي لا شعر له .

(٣) في الأصل « والتري » ؛ وهو تحريف إذ لا يناسب معناه سياق ما يأتي بعد . والتمرس بالحق الاحتكاك بهم لإظهار ما عندهم من الحماقة تفكها بهم .

(٤) صفعاناً ، أى يصفع من الناس لدنائه وخسته .

نفسى تحنّ إلى الهلا م^(١) الموتُ من دون الهلام
 مِن لَحْمٍ جَذِي رَاضِعٍ رَخِصِ^(٢) المفاصلِ والعظامِ
 هذا لأولاد الخطا يا والبغايا والحرامِ
 حَيّ القُدورَ الراسيا تِ وإن صَمِنَ عن الكلامِ
 وقِصاعُهُنَّ^(٣) إذا أتيد نَكَ طالُحاتِ بالسّلامِ
 لَهْفِي على سِكِّباجَةٍ^(٤) تَشْفِي القلوبَ من السّقامِ
 يا عاذلي أَسْرَفْتَ في عَذَلِ الخَلِيعِ المُسْتَهَامِ
 رَجُلٌ يَغْفُضُ إذا نَصَحَ تَ له على فأسِ اللّجامِ^(٥)
 دَعِ عَذْلَ من يَغْفِي العَذُو لَ ولا يُصِيخُ إلى التّلامِ
 خَلَعَ العِذارَ وراحَ في ثوبِ المعاصي والأثامِ
 شَيْخٌ يُصَلِّي قاعِداً وَيَنِيكَ عَشْراً من قِيامِ
 وَيَعَافُ نَيْكَ الغانِيا تِ وَيَشْتَبِي نَيْكَ العَلامِ
 وَتَراهُ يُرْعَدُ حينَ يُذْ كُرُ عنده شَهْرُ الصَّيامِ
 خَوْفاً من الشَّهْرِ المَعْذُوبِ نَفْسَهُ في كُلِّ عامِ
 سَلِسُ القِيادِ إلى التّصا بِي والمَلاهي والحَرامِ
 مَنَ للرَّوَّةِ والقُتُوَّةِ بعدَ مَوْتِي والتّدامِ
 مَنَ للسّماحِ وللرّما حَ لَدَى الهَراهِزِ والحُسامِ

(١) الهلام : مرق السكباج يبرّد ويصنّى من الدهن .

(٢) رخص المفاصل : لينها .

(٣) جعل ما في القصاص من التريد واللحم كأنه تحية وتسليم على من تقبل عليه .

(٤) السكباجة : مرق يعمل من اللحم والخل ؛ وهو فارسي معرب .

(٥) فأس اللجام : الحديدة القائمة في حنك الدابة .

مَنْ لِلَّوِاطِ وَلِلْحُلَا قِي^(١) وَلِلْمَلِكِ الْعِظَامِ
 كان محمد بن الحسن البصري جاني متقرا في كلامه ، فدخل الحمام يوماً ،
 فقال للقيم : أين الجليلة التي تسليح بها الضويطة^(٢) من الإخقيق ؟ قال : فضع
 القيم قهقهة النورة وخرج هارباً ، فلما خرج من الحمام وجهه إلى صاحب
 الشرطة ، فأخذ القيم وحبسه ، فلما كان عشاء ذلك اليوم كتب إليه القيم
 رقيقة يقول فيها : قد أبرمتني للحبوسون بالمسئلة عن السبب الذي حبستك له ،
 فأبأ خلتني وإما عرفتهم . فوجه من أطلقه ، وأتصل الخبر بالفتح ، فحدث
 المتوكل ، فقال : ينبغي أن يُغنى هذا القيم عن الخدمة في الحمام . وأمر له
 بمائتي دينار .

قال^(٣) : وكان بالبصرة مخنث^(٤) ويعشق بعض الماهلية ، فلم يزل الخنث به
 حتى أوقعه ، قال : فلقيته من غد فقلت له : كيف [كانت وقعة الجفرة^(٥) عندكم
 البارحة ؟ فقال : لما تداخت [الأشخاص ، ورق الكلام ، والتفت الساق بالساق ،

(١) الحلاق : قلة شيع الأتقان والمرأة من إتيانهما .

(٢) الضويطة : الحذاء في أصل الحوض . والإخقيق : الشق في الأرض . فله أراد الجليلة
 التي يزال بها الوسخ من الجسد (مجازاً) . وفي كلتا النسختين « الطوطة من الإخقيق » ؟ وهو
 تصحيف ؟ إذ لم نجد له معنى يناسب السياق ؟ فقلل الصواب ما أثبتنا .

(٣) يلاحظ أنه قد سقط من النسخ اسم القائل هنا إذ لم يسبق له ذكر .

(٤) أي يجمع بين المتعاشقين .

(٥) الجفرة : موضع بالبصرة كانت به وقعة سنة سبعين بين عبد الملك بن مروان ومصعب
 ابن الزبير ، وكان على جيش عبد الملك خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وخليفة مصعب بن
 الزبير على البصرة عبد الله بن عبيد الله بن معمر التيمي ، ودامت هذه الوقعة أربعين يوماً ،
 وكان النصر فيها لأهل البصرة . وفي كلتا النسختين « الحفرانة » ؟ وهو تحريف . وفي الكلام
 تورية كما لا يخفى .

وُلِّطَخَ باطنها بالبُرَاق ، وفُرِعَ البَيْضُ^(١) بالذُّكُور ، وجَعَلَتِ الرِّيحُ تَمُورُ^(٢) ؛
صَبَرَ الكَرِيمُ فلم يَجْزَعْ ، وسَلَّمَ طائِعاً فلم يُخَدِّعْ ؛ ثم انصرف القومُ على سِلْمٍ ، بأَفْضَلِ
غُفْمٍ ؛ وشَفِيتِ الصدور ، وسكنت حَرَارَةُ النفوس ، ومات كُلُّ وَجْدٍ ، وأُصِيبَ
مَقْتَلُ كُلِّ هَجْرٍ ، وأُتْصَلَ الحَبَلُ ، وانعَقَدَ الوَصْلُ . قال : فلو كان أَعَدَّ هذا
الكلامَ لِمَسْتَلَّتِي قَبْلَ ذَلِكَ بَدَهْرٍ لَكَانَ قَدْ أَجَادَ .

وقال أبو فرعون الشاشي :

أَنَا أَبُو فِرْعَوْنَ فَأَعْرِفْ كُنِّيَتِي حَلَّ أَبُو عَمْرٍة وَسَطَ حُجْرَتِي
وَحَلَّ نَسْجُ العَنْكَبُوتِ بُرْمَتِي أَغْشَبَ تَنْوِيرِي وَقَلَّتْ حِنْطَتِي
وَحَالَفَ القَمْلُ زَمَانًا لِحَيَّتِي وَضَعَفَتْ مِنْ الهُزَالِ ضَرْطَتِي
وَصَارَ تُبَّانِي^(٣) كِفَافَ خُصْيَتِي أَيْرُ حِمَارٍ فِي حِرٍّ أَمْ عِيشَتِي

[أبو عمر : صاحبُ شُرْطَةِ الحُتَاتِرِ بْنِ عُبَيْدٍ ، كَانَ لَا يَنْزِلُ بِقَوْمٍ إِلَّا
اجْتَنَحَهُمْ ، فَصَارَ مِثْلًا لِكُلِّ شُؤْمٍ وَشَرٍّ . وَيُقَالُ أَيْضًا : إِنَّ أَبَا عَمْرٍة أَسْمُ
الجُوعِ ، هَكَذَا حَدَّثَنِي بِهِ أَبُو الحَسَنِ البَصْرِيُّ] .

وَأُنْشَدَ بِشَرِّ بْنِ هَارُونَ فِي أَبِي طَاهِرٍ :

أَبَا عَبْدِ الإِلَهِ وَأَنْتَ حُرٌّ مِنَ الْأَحْرَارِ مَنزُوعُ القِلَادَةِ

(١) يشير إلى قول مهلهل بن ربيعة :

فَلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمَعُ مِنْ بِحَيْرٍ حَلِيلُ البَيْضِ تَفْرِعُ بِالذُّكُورِ
يُرِيدُ الشَّاهِرَ بِالذُّكُورِ : السِّيفُ ، وَبِالْبَيْضِ : الَّتِي تَلْبَسُ عَلَى الرَّأْسِ فِي الْحَرْبِ . وَفِي الْكَلَامِ هُنَا
تَوْرِيَّةٌ لَا تَخْفَى عَلَى ذِي فَهْمٍ .

(٢) تَمُورُ ، أَيْ تَضْطَرِبُ .

(٣) التَّبَّانُ : سَرَاوِيلُ صَغِيرٍ يَسْتَرُ الْمُوَرَّةَ الْمُنْطَظَةَ . وَكِفَافُ الشَّيْءِ : مِثْلُهُ . يَقُولُ :

لَئِنْ سَرَاوِيلَهُ بِمَقْدَارِ خُصْيَتَيْهِ ، يُشِيرُ إِلَى قَرْنِهِ وَقَلَّةِ مَقْدَرَتِهِ عَلَى تَوْسِيعِ سَرَاوِيلِهِ .

أعزَّ الله القاضي ؛ قل له : ما رأيت ؟ يُعرِّفه ^(١) ؛ فكفَّ الرَّجُلُ ، وأخذَ يبيدُ
وليه وانصرف ^(٢) .

قال : وسمعتُ آخرَ يقول لشاطر ^(٣) : أُسْكُتْ ، فإنَّ نهرًا جرى فيه الماء
لا بدَّ أن يعودَ إليه . فقال له الآخر : حتى يعودَ إليه الماء [تكون] قد
ماتت صفادُعه .

ومن كلام الشُّطَّار : أنا البُغْلُ الحُرُون ، والجَمَلُ المائِج ، أنا القيل المُغْتَلِم
لو كلَّني عدوِّي لعقدتُ شَعرَ أنفِهِ إلى شَعرِ أَسْتِهِ حتى يَشُمَّ فُساءه ، كأنَّه القُنْفُذَةُ .
وقال بعضُ القصَّاص : في التَّيْبِيزِ شَيْءٌ لا من الجنَّة (الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ
عَنَّا العَرْنَ) والتَّيْبِيزُ يُذْهِبُ الحَزْنَ .

قال ^(٤) وسمعتُ ماجنةً تقول : ضُرَّ وسُرَّ ، وقُدَّ وازقُدَّ ، واطرَّخ وافتَرَّخ .
قال ابن أبي طاهر : دعا مَرَّةً قومًا وأمر جاريته أن تبخُرَهم ، فأدخلت يدها في
ثوب بعضهم فوجدتُ أَيْرَه قائمًا ، فجعلت تمرُّسُهُ وتلعَّبُ به وأطالت ؛ فقال
مولايها : أيش آخرُ هذا العود ؟ أما أحترق ؟ قالت : يا مولاي ، هو عُنْقَدَةٌ .

قال مزِيد : كان الرجلُ فيما مضى إذا عَشِقَ الجارية راسَلَهَا سَنَةً ، ثم رَضِيَ
أن يَمُضَغَ العَلَكَ الَّذِي تَمُضَغُهُ ، ثم إذا تَلَاقَا تَحَدَّثَا وتَنَاشَدَا الأشعار ، فصار
الرجلُ اليوم إذا عَشِقَ الجارية لم يكن له هَمٌّ إلا أن يرفعَ رِجْلَهَا كأنَّه أشْهَدَ
على نِكَاحِهَا أبا هُرَيْرَةَ .

(١) يعرفه ، أى يعرف مارأى ، أى يذكر العلامات التى رآها فى هذا الموضع .

(٢) يلاحظ أن آخر هذه القصة وكثيراً من ألفاظها مطموس الحروف فى نسخة (ب) ؛
وهى التى وردت فيها وحدها ، فلتراجع فى هامش ورقة ٢١٠ من هذه النسخة .

(٣) الشاطر ، هو من أعيان أهله خبثاً .

(٤) يلاحظ أنه لم يذكر هنا اسم القائل ؛ فلعله سقط من الناسخ إذ لم يسبق له ذكر .

سَأَلْتُكَ بِالْإِلَهِ لِتُخَيِّرَنِي أَجْهَلَكَ مُسْتَفَادٌ أَمْ وَلَادَةٌ ؟
فَإِنْ يَكُ فَيْكَ مَوْلُودًا فَعُذْرٌ وَإِنْ يَكُ حَادِثًا لَكَ بِأُسْتِفَادَةٍ
فَوَاعِجِبَا يَزِيدُ النَّاسُ فَضْلًا وَأَنْتَ تَزِيدُ نَقْصًا بِالزِّيَادَةِ !

حكى الشولى : حدثنا ميمون بن مهران قال : كان معنا محنتٌ يلقب
مِشْمِشَةً — وكان أميًا — فكتب بحضرة رجلٍ إلى صديق له كتابًا ، فقال
الحنت : أكتب إليه : مِشْمِشَةُ يقرأ عليك السلام ؛ قال : قد فعلتُ — وما
كان فعل — قال : أرني ؛ قال : هذا أسمك ؛ قال : هيهات ، اسمي في
الكتاب شبه داخل الأذن ، فعجبنا من جودة تشبيهه .

قال نضلة : مررت بكناسين أحدهما في البئر والآخر على رأس البئر ، وإذا
ضجّة ، فقال الذى فى البئر : ما الخبر ؟ فقال : قبض على علي بن عيسى ؟ فقال :
من أقعدوا بدله ؟ قال : ابن القرات ؛ قال : قاتلهم الله ، أخذوا المصحف ووضعوا
بدله الطنبور .

[كتب أبو العيناء إلى ابن مكرم : قد أصبت لك غلاماً من بنى ناعظ ،
ثم من بنى ناشرة ، ثم من بنى نهْد . فكتب إليه : أثبتنا بما تعدنا إن كنت
من الصادقين .

وقدِمَ رجلٌ مع امرأة إلى القاضى ومعهما طفلٌ ، فقالت : هذا أبنة ، فقال
الرجل : أعز الله القاضى ما أعرفه ؛ فقال القاضى : اتق الله فإن النبى صلى
الله عليه وسلم يقول : الولد للفراش ، وللعاهر الحجر ، فهذا وأمه على فراشك ؛
قال الرجل : ما تنايكنا إلا فى الأست ، فإن ابن لى ولد ؟ فقالت المرأة :

قال ابن سيرين : كانوا يَشْتَقُونَ من غير ريبة ، فكان لا يُسْتَنَكِرُ مِنَ الرَّجُلِ أَنْ يَحْيَىٰ فَيُحَدِّثَ أَهْلَ الْبَيْتِ ثُمَّ يَذْهَبَ . قال هشام : ولكنهم لا يَرْضَوْنَ الْيَوْمَ إِلَّا بِالْمَوَاقِعَةِ .

قال الأصمعي : قلتُ لأعرابي : هل تعرفون العشقَ بالبادية ؟ قال : نعم ، أَيْكُونُ أَحَدٌ لَا يَتَرَفَهُ . قلتُ : فما هو عندهم ؟ قال : الْقُبْلَةُ وَالضَّعَّةُ وَالشَّعَّةُ ، قلتُ : ليس هو هكذا عندنا . قال : وكيف هو ؟ قلتُ : أَنْ يَتَخَذَ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ فَيُبَايِعَهَا . فقال : قد خَرَجَ إِلَى طَلَبِ الْوَلَدِ .

قال يَشْرُبُ بْنُ هَارُونَ :

إِنْ أَبَا مُوسَى لَهُ لِحْيَةٌ تَدْخُلُ فِي الْجُحْرِ بِلَا إِذْنِ
وَصُورَةٍ فِي الْعَيْنِ مِثْلُ الْقَذَى وَنَفْمَةٍ كَالْوَقْرِ فِي الْأُذُنِ
كَمْ صَفْقَةٍ صَاحَتْ إِلَى صَافِعٍ بِالنَّعْلِ مِنْ أَخْذَعِهِ : خُذْنِي
وقال لنا أبو يوسف : قال جحظة : حضرتُ مجلساً فيه جماعةٌ من وُجُوهِ
الْكِتَابِ ، وَعِنْدَنَا قَيْنَةٌ مُحْسِنَةٌ حَاضِرَةٌ النَّادِرَةِ ، فَقَالَ لَهَا بَعْضُهُمْ : بِحَيَاتِي
عَلَيْكَ غَفَى لِي :

لَسْتُ مَعِي وَلَسْتُ مِنْكَ فَدَعْنِي وَأَمْضِ عَنِّي مُصَاحِبًا بِسَلَامٍ
قَالَتْ : أَهَكَذَا كَانَ أَبُوكَ يَفْنِيكَ ؟ فَأَخْجَلَتْهُ .

اشْتَرَى مَدِينِي رُطْبًا ، فَأَخْرَجَ صَاحِبُ الرُّطْبِ كَيْلَجَةً صَغِيرَةً لِيَكِيلَ بِهَا ،
فَقَالَ الْمَدِينِيُّ : وَاللَّهِ لَوْ كَلَّتْ بِهَا حَسَنَاتِي مَا قَبِلْتُهَا .

سَلَّ أَبُو عُمَارَةَ قَاضِيَ الْكُوفَةِ : أَيُّ بَنِيكَ أَثْقَلُ ؟ قَالَ : مَا فِيهِمْ بَعْدَ الْكَبِيرِ
أَثْقَلُ مِنَ الصَّغِيرِ إِلَّا الْأَوْسَطُ .

اجتمع جماعةٌ عند جامع الصيدناني ، فقال أحدهم : ليس للمخمور أنفع من سلحه ، فقال جامع : أخذتها والله من قمي .

قال رجل لرؤبة : أتهمز الخُرأ ؟ قال : يا صبيك يا ابن الخبيثة .

وقف أعرابيٌّ على قوم يسألهم ، فقال لأحدهم : ما أسمك ؟ قال : مانع ؛ وقال للآخر : ما أسمك ؟ قال : مُحَرَز ؛ وقال للآخر : ما أسمك ؟ قال : حافظ ؛ قال : قبّحكم الله ، ما أظن الأفعال إلا من أسمائكم .

[من كلام العامة : « منارة الإسكندرية عندك خشخاشة فارغة » (١)]

قال جَحْظَة : قرأتُ على فصٍّ ماجنةٍ : ليلة عُرِيتُ ؛ فقبوا بالأيثر كُسي . وعلى فصٍّ ماجنةٍ أخرى ؛ السحقُ أخفى والنَّيكُ أشفى .

وقال جُحَا لأبي مسلم صاحب الدعوة : إني نذرتُ إن رأيتُك أن آخذ منك ألفَ درهم . فقال : رأيتُ أصحاب النذور يُعطون لا يأخذون ، وأمرَ له بها (٢) .

قال السري : رأيتُ المُخَنَّث الذي يعرف بالغريب (٣) ، وإنسانٌ من العامة قد آذاه وطال ذلك ، فالتفت إليه وقال له : يا مشقوق ؛ تلك زائفة ، وقيصك مقرون الحاجبين ، وإزارك صدَفُ أزرق ، وأنت تتلأهى بأولاد الملوك والأمراء . قال السري : فنجعل العاقبي ومرة ، فقلت له : فسّر لي هذا الغريب . فقال : [مضى إلى ثعلب . فقلت : ليس هذا من عمله ؛ فسّره لي . قال : النعل الزائفة (٤)] [للتي

(١) موضع هذه النقط في «ب» كلام مطموس لم نستطع قراءته . فليراجع في هامش ورقة ٢١١ من النسخة المذكورة .

(٢) في «ب» بألف درهم .

(٣) بالغريب ، أي بالغريب من الألفاظ . هذا ما يظهر لنا من سياق القصة ، أو لعله لقبه .

(٤) لعل ذلك مأخوذ من زافت الحمامة تزوف إذا سحبت ذنبها على الأرض ونفرت جناحيها . والذي في كلتا النسخين : النعل الزائفة ؛ ولم نجد له معنى فيما راجعناه من الكتب ؛ فعمل الصواب ما أمبئنا .

تَجْرُفُ التَّرَابَ جَرَفًا ، والقَمِيصُ المَقْرُونُ ، هو الخَلَقُ [الذي في كَتِفَيْهِ رَقْعَتَانِ أَجُودُ مِنْهُ ، فَمَا تُفْصِحَانِ بَيَانًا ، وَالْإِزَارُ صَدْفُ أَرْزَقٍ ، أَيْ مَخْرَقٌ مُفْتَتٌ . فَقُلْتُ : قَوْلُكَ : يَامَشْقُوقُ ؟ قَالَ : قَطِيعُ الظَّهْرِ .

قِيلَ لِلشَّعْبِيِّ : أَيْجُوزُ أَنْ يَصِلَ فِي الْبَيْعَةِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . وَيَجُوزُ أَنْ يُخْرَأَ فِيهَا . وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ : الْقُبْلَةُ رَسُولُ الْجَمَاعِ .

وَقَالَ الرَّشِيدُ لِلجَّعْفَرِ : كَيْفَ مَائِدَةُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى ، يَعْنِي الْبَرْمَكِيَّ . قَالَ : شِئْرٌ فِي شِئْرٍ ؛ وَصَفَفْتُهُ مِنْ قَشْرِ الْخَشْخَاشِ ، وَبَيْنَ الرَّغِيفِ وَالرَّغِيفِ مَضْرِبُ كُرَّةٍ ؛ وَبَيْنَ اللَّوْنِ وَاللَّوْنِ فَتْرَةٌ نَبِيٌّ . قَالَ : فَنَ يُحْضَرُهَا ؟ قَالَ : الْكِرَامُ الْكَاتِبُونَ ؛ فَضَحَكَ وَقَالَ : لَحَاكَ اللَّهُ مِنْ رَجُلٍ .

قَالَ نَضْلَةُ : دَخَلْتُ سَاقِيَةً فِي الْكَرْنَجِ فَتَوَضَّأْتُ ؛ فَلَمَّا خَرَجْتُ تَعَلَّقَ السَّقَاءُ بِي وَقَالَ : هَاتِ قِطْعَةً ؛ فَضَرَطْتُ ضَرْطَةً وَقُلْتُ : خَلَّ الْآنَ سَبِيلِي فَقَدْ نَقَضْتُ وَمُضَوْنِي ؛ فَضَحَكَ وَخَلَانِي .

وَعَدَّ رَجُلٌ بَعْضَ إِخْوَانِهِ أَنْ يُهْدِيَ إِلَيْهِ بَغْلًا ؛ فَنَطَالَ مَطْلُهُ ، فَأَخَذَ قَارُورَةً وَبَالَ فِيهَا وَجَاءَ إِلَى الطَّيِّبِ وَقَالَ : انْظُرْ إِلَى هَذَا الْمَاءِ ، هَلْ يُهْدَى إِلَيَّ بَعْضُ إِخْوَانِي بَغْلًا .

حَدَّثَنَا ابْنُ الْخَلَّالِ الْبَصْرِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ الْيَعْقُوبِيِّ يَقُولُ : رَأَيْتُ عَلَى بَابِ الْمَرْبَدِ خَالِدًا الْكَاتِبَ وَهُوَ يَنَادِي : يَا مَعْشَرَ الظُّرَفَاءِ ، وَالْمُتَخَلِّقِينَ بِالْوَفَاءِ ؛ أَلَيْسَ مِنَ الْعَجَبِ الْعَجِيبِ ، وَالنَّادِرِ الْغَرِيبِ ، أَنْ شِعْرِي يُزَنِّي بِهِ وَيُلَاطُ مِنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَأَنَا أَطْلُبُ دَرَاهِمًا فَلَا أُعْطَى ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

أَحْرَمُ مِنْكُمْ بِمَا أَتَوَلُّوْا وَقَدْ نَالَ بِهِ الْعَاشِقُونَ مَنْ عَشِقُوا
صِرْتُ كَأَنِّي ذُبَالَةٌ نُصِبَتْ تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ

وسمعتُ الملاجينَ المعروفَ بالغُرَابِ يقولُ : ويلَكَ أَيُّشَ في ذَا ؟ لَا تَخْتَلِطِ الحِنَطَةُ
بالشَّعِيرِ ، أَوْ يُصَنِّعُ البَاذِنْجَانُ قُرْعًا ، أَوْ يَتَحَوَّلُ الفُجْلُ إِلَى البَاقِلَاءِ ، وَيَصِيرُ
الْخَرْنُوبُ إِلَى الْأَرَنْدَجِ ^(١) .

وسمعتُ دَجَاجَةً الحَفَّتَ يَقُولُ لِآخَرٍ : إِنَّمَا أَنْتَ بَيْتٌ بِلَا بَابٍ ، وَقَدَمٌ بِلَا سَاقٍ ،
وَأُغْمَى بِلَا عَصَا ، وَنَارٌ بِلَا حَطَبٍ ، وَنَهْرٌ بِلَا مَغْبَرٍ ، وَحَاطٌ بِلَا سَقْفٍ .

وَشَتَمَ آخَرَ فَقَالَ : يَا رَأْسَ الْأَفْعَى ، وَيَا عَصَا الْمُكَارِي ، وَيَا بُرْنُسَ الْجَائِلِيْقِ ^(٢) ،
يَا كَوْدَنَ ^(٣) الْقَصَّارِ ، يَا يَيْرَمَ ^(٤) النَّجَّارِ ؛ يَا نَاقُوسَ النَّصَارَى ؛ يَا ذَرُورَ الْعَيْنِ ،
يَا تَخْتَ ^(٥) الثِّيَابِ ، يَا طُفْنَ الرُّمَحِ فِي الثُّرُسِ ؛ يَا مَفْرَقَةَ الْقُدُورِ ، وَمِكَنَسَةَ
الدُّورِ ؛ لَا تُبَالِي أَيْنَ وَضِعتُ ؟ وَلَا أَى جُحْرٍ دَخَلْتُ ؟ وَلَا فِي أَى خَانٍ نَزَلْتُ ،
وَلَا فِي أَى حِمَامٍ عَمِلْتُ ؛ إِنْ لَمْ تَكُنْ فِي الْكُوَّةِ مِتْرَسًا فَتَفْتَحِ لِلصُّوَصِ الْبَابَ ؛
يَا رَحَى عَلَى رَحَى ؛ وَوِعَاءٌ فِي وَِعَاءٍ ، وَغِطَاءٌ عَلَى غِطَاءٍ ، وَدَاءٌ بِلَا دَوَاءٍ ؛ وَغَمَى
عَلَى غَمَى ؛ وَيَا جُهْدَ الْبَلَاءِ ؛ وَيَا سَطْحًا بِلَا مِيزَابٍ ، وَيَا عَوْدًا بِلَا مِضْرَابٍ ، وَيَا فَمَا
بِلَا نَابٍ ، وَيَا سِكِّينًا بِلَا نِصَابٍ ، وَيَا رَعْدًا بِلَا سَحَابٍ ، وَيَا كُوَّةً بِلَا بَابٍ ؛
وَيَا قِميصًا بِلَا مِئْزَرٍ ، وَيَا جِسْرًا بِلَا نَهْرٍ ، وَيَا قُرْعًا عَلَى قُرْعٍ ؛ وَيَا شَطَّ الصَّرَاةِ ^(٦)

(١) هذه الكلمة مهملة الحروف من النقط في الأصل ؛ وقد أثبتناها على هذا الوجه لاتفاق
الخرنوب والأرنديج في اللون . والأرنديج : الجلد الأسود ؛ وهو مربوب .

(٢) الجائليق : من رؤساء النصارى ، معروف .

(٣) الكودن : البفل .

(٤) ييرم النجار : عتله .

(٥) تخت الثياب : ما تصان فيه .

(٦) الصراة : نهر بال عراق .

ويا قَصْرًا بلا مِسْنَاهُ^(١) ويا وَرَقَ السَّكْمَاءِ^(٢) ، يا مَطْبِخًا^(٣) بلا أَفْوَاهٍ^(٤) ؛ يا ذَنْبَ
القَارِ ، يا قِدْرًا بلا أَبْزَارٍ ، يا رَأْسَ الطُّومَارِ ، يا رَسُولًا بلا أَخْبَارٍ ؛ يا خَيْطَ
البَوَارِي^(٥) ، يا رَحَى فِي صَحَارِي ، يا طَاقَاتٍ بلا سَوَارِي .

دخل أبو نواس على عِنَانٍ جَارِيَةٍ النَّاظِفِيَّ فَقَالَ لَهَا :

لَوْ رَأَى فِي الْبَيْتِ جُجْرًا لَنَزَا حَتَّى يَمُوتَا^(٦)
أَوْ رَأَى فِي الْبَيْتِ ثَقْبًا لَتَحَوَّلَ^(٧) عَنْكَبُوتَا

فَأَجَابَتْهُ :

زَوَّجُوا هَذَا بِأَلْفٍ وَأُظْنُ الْأَلْفَ ثَوْتًا
قَبْلَ أَنْ يَنْقَلِبَ الدَّاءُ ۚ فَلَا يَأْتِي وَيُوتِي

فَقَالَ — أَدَامَ اللَّهُ دَوْلَتَهُ ، وَبَسَطَ لَدَيْهِ نِعْمَتَهُ — قَدَّمَ هَذَا الْفَنَّ عَلَى غَيْرِهِ ،
وَمَا ظَنَنْتُ أَنْ هَذَا يَطْرُدُ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ ، وَرَبَّمَا عَيْبَ هَذَا النَّمَطُ كُلَّ الْعَيْبِ ،
وَذَلِكَ ظُلْمٌ ، لِأَنَّ النَّفْسَ تَحْتَاجُ إِلَى بَشَرٍ . وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ يَقُولُ
فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الْخَوْضِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْفِقْهِ وَالْمَسَائِلِ : أَحْصُوا ، وَمَا أَرَاهُ
أَرَادَ بِذَلِكَ إِلَّا لَتَعْدِيلِ النَّفْسِ لثَلَاثَ يَلْحَقَهَا كَلَالُ الْحِدَّةِ ، وَلِتَقْتَبِسَ نَشَاطًا فِي
الْمُسْتَأْنَفِ ، وَلِتَسْتَعِدَّ لِقَبُولِ مَا يَرِدُ عَلَيْهَا فَتَسْمَعَ ؛ وَالسَّلَامُ .

(١) المسناة : الرفقة ، من السناء بالمد ، وهو العلو والرفعة .

(٢) السكامة مخففة : السكامة بالهمز .

(٣) في الأصل . « مصرجا » ؛ وهو تحريف .

(٤) الأفواه : التوابل .

(٥) البوارى بتشديد الياء : ضرب من الحصر تعمل من البردى معروفة بمصر إلى اليوم .

(٦) في كتاب أخبار أبي نواس لابن منظور : اجتمع أبو نواس مع عنان فأقبل عليها وقال :

لو رأى في السقف صدمًا لنزا حتى يموتا

(٧) كذا وردت هذه الكلمة في الأصل . ولا يخفى أن تسكين الفعل لضرورة الشعر .

الليلة التاسعة عشرة

- (١) وَرَسَمَ بِمَجْمَعِ كَلَامِ بَوَارِعَ ، قِصَارِ جَوَامِعَ ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ أَشْيَاءَ كَفْتُ
أَسْمُهَا مِنْ أَفْوَاهِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ عَلَى مَرَّةٍ الْأَيَّامِ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ ، وَفِيهَا قَرَعْتُ
لِلْحِسِّ ، وَتَنْبِيهٌ لِلْعَقْلِ ، وَإِمْتِنَاعٌ لِلرُّوحِ ، وَمَعُونَةٌ عَلَى اسْتِفَادَةِ الْيَقِظَةِ ، وَانْتِفَاعٌ
فِي الْمَقَامَاتِ الْخِطْفَةِ ، وَتَمَثُّلٌ لِلتَّجَارِبِ الْخَلْفَةِ ؛ وَامْتِثَالٌ لِلْأَحْوَالِ الْمُسْتَأْنَفَةِ .

من ذلك :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ » مِفْتَاحُ الْمَذَاهِبِ . الْبِرُّ يَسْتَعْبِدُ الْحُرَّ . الْقَنَاعَةُ عِزُّ الْمُفْسِرِ .
الْصَّدَقَةُ كَنْزُ الْمُوسِرِ . مَا انْقَضَتْ سَاعَةٌ مِنْ أَمْسِكَ إِلَّا بَبْضَعَةٍ مِنْ نَفْسِكَ .
دِرْهَمٌ يَنْفَعُ خَيْرٌ مِنْ دِينَارٍ يَضُرُّ . مِنْ سَرِّهِ الْفَسَادُ ، سَاءَ الْبَعَادُ . الشَّقِيُّ مَنْ
جَمَعَ لِقَائِهِ فَضَّنَ عَلَى نَفْسِهِ بِخَيْرِهِ . زِدْ مِنْ طَوْلِ أَمَلِكَ فِي قِصَرِ عَمَلِكَ . لَا يُغْنِيكَ
صِحَّةُ نَفْسِكَ ، وَسَلَامَةُ أَمْسِكَ ، فَمُدَّةُ الْعُمُرِ قَلِيلَةٌ ، وَصِحَّةُ النَّفْسِ مُسْتَحِيلَةٌ . مَنْ
لَمْ يَقْتَبِرْ بِالْأَيَّامِ ، لَمْ يَنْزَجِرْ بِالْمَلَامِ . مَنْ أَسْتَفْنَى بِاللَّهِ عَنِ النَّاسِ ، أَمِنَ مِنْ
عَوَارِضِ الْإِفْلَاسِ . مَنْ ذَكَرَ الْمَنِيَّةَ ، نَسِيَ الْأُمْنِيَّةَ . الْبَخِيلُ حَارِسُ نِعْمَتِهِ ،
وِخَازِنُ وَرَثَتِهِ . لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْ دُنْيَاهُ ، مَا يُعِينُهُ عَلَى عِمَارَةِ آخِرَاهُ . مَنْ
أُرْتَدَى بِالْكَفَافِ ، اكْتَسَى بِالْعَفَافِ . لَا تَخْذَعَنَّكَ الدُّنْيَا بِخَدَائِعِهَا ، وَلَا
تَفْتِنَنَّكَ بَوْدَائِعُهَا . رَبُّ حُجَّةٍ ، تَأْتِي عَلَى مُهْجَةٍ ؛ وَرُبَّ فُرْصَةٍ ، تُؤَدِّي إِلَى
غُصَّةٍ . كَمْ مِنْ دَمٍ ، سَفَكَهُ فَمَ . كَمْ إِنْسَانٍ ، أَهْلَكَهُ لِسَانُ . رَبُّ حَرْفٍ ،
أَدَّى إِلَى حَتْفٍ . لَا تُفْرِطْ ، فَتَسْقُطَ . الزَّمِ الصَّمْتَ ، وَأَخْفِ الصَّوْتَ .
مَنْ حَسُنَتْ مَسَاعِيهِ ، طَابَتْ مَرَاغِيهِ . مَنْ أَعَزَّ فُلْسُهُ ، أَذَلَّ نَفْسُهُ . مَنْ طَالَ

عُدُوَّهُ ، زَال سُلْطَانُهُ . مَنْ لَمْ يَسْتَظْهِرْ بِالْيَقَظَةِ ، لَمْ يَنْتَفِعْ بِالْحَفَظَةِ . مَنْ
اسْتَهْدَى الْأَعْمَى عَمَى عَنِ الْمُهْدَى . مَنْ اغْتَرَّ بِمِحَالِهِ ، قَصَرَ فِي أَحْيَالِهِ .
زَوَال الدُّوَل ، بِاصْطِنَاع السُّقَل . مَنْ تَرَكَ مَا يَعْنِيهِ ، دُفِعَ إِلَى مَا لَا يَعْنِيهِ .
ظَلَمَ الْعُمَالُ ، مِنْ ظُلْمَةِ الْأَعْمَالِ . مَنْ اسْتَشَارَ الْجَاهِلَ ضَلَّ ، وَمَنْ جَهِلَ مَوْضِعَ
قَدَمِهِ زَلَّ . لَا يَغْنُوكُ طُولُ الْقَامَةِ ، مَعَ قِصَرِ الْأُسْتِقَامَةِ ، فَإِنَّ الدَّرَّةَ مَعَ
صِغَرِهَا ، أَنْفَعَ مِنَ الصَّخْرَةِ عَلَى كِبَرِهَا . تَجَرَّعَ مِنْ عَدُوِّكَ الْغُصَّةَ ، إِنْ لَمْ
تَنْلَ مِنْهُ الْفُرْصَةَ ، فَإِذَا وَجَدْتَهَا فَأُتْهِزْهَا قَبْلَ أَنْ يَفُوتَكَ الدَّرَكُ ، أَوْ يَصِيبَكَ
الْفَلَكَ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا دُولٌ تَبْنِيهَا الْأَقْدَارُ ، وَيَهْدِمُهَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ . مَنْ زَرَعَ
الْإِخْنَ ، حَصَدَ الْحِنَ . مَنْ بَعْدَ مَطْمَعِهِ ، قُرْبَ مَضْرَعِهِ . الثَّغْلَبُ فِي إِقْبَالِ
جَدِّهِ ، يَغْلِبُ الْأَسَدَ فِي اسْتِقْبَالِ شَدِّهِ . رُبَّ عَطَبٍ ، تَحْتَ طَلَبِ . اللِّسَانُ ،
رِقُّ الْإِنْسَانِ . مِنْ ثَمَرَةِ الْإِحْسَانِ ، كَثْرَةُ الْإِخْوَانِ ، مَنْ سَأَلَ مَا لَا يَجِبُ ،
أُجِيبَ بِمَا لَا يُجِبُ ، وَأُنْشِدْتُ :

وَلَيْسَ لَنَا عَيْبٌ سِوَى أَنْ جُودَنَا أَضَرَّ بِنَا وَالْبَاسَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
فَأَفْنَى النَّدَى أَمْوَالَنَا غَيْرَ ظَالِمٍ وَأَفْنَى الرَّدَى أَعْمَارَنَا غَيْرَ عَائِبٍ
أَبُونَا أَبٌ لَوْ كَانَ لِلنَّاسِ كُفْلُهُمْ أَبٌ مِثْلُهُ أَغْنَاهُمْ بِالْمَنَاقِبِ

(٢) قَالَ حَمِيدُ بْنُ الصَّيْغَرِيِّ لِابْنِهِ : أَحَبَّ السُّلْطَانَ بِشِدَّةِ التَّوَقُّى كَمَا تَصَحَّبَ
السَّبْعَ الضَّارِيَّ وَالْقِيلَ الْمُفْتَلِمَ وَالْأَفْعَى الْقَاتِلَةَ ؛ وَأَحَبَّ الصَّدِيقَ بِلِينِ الْجَانِبِ
وَالْتَوَاضُعِ ؛ وَأَحَبَّ الْعَدُوَّ بِالْإِعْذَارِ إِلَيْهِ وَالْحِجَّةِ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ ؛ وَأَحَبَّ الْعَامَّةَ
بِالْبِرِّ وَالْبِشْرِ وَاللَّطْفِ بِاللِّسَانِ .

وَقَعَ عَبْدُ الْحَمِيدِ الْكَاتِبُ عَلَى ظَهْرِ كِتَابٍ : يَا هَذَا ، لَوْ جَعَلْتَ مَا تَحْمِلُهُ الْقِرَاطِيسُ مِنَ الْكَلَامِ مَا لَأَحْوَيْتَ جَمَالًا وَحُزْنَ كَمَالًا .

وَوَقَعَ السَّفَاحُ مَرَّةً : مَا أَقْبَحَ بِنَا أَنْ تَكُونَ الدُّنْيَا لَنَا وَحَاشَيْتُنَا خَارِجُونَ مِنْهَا ، فَجَعَلَ أَرْزَاقَهُمْ ، وَزِدَ فِيهَا عَلَى قَدَرٍ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

قال الحسن بن علي : عنوان الشرف ، حسن الخلف .

وقال جعفر بن محمد — عليهما السلام — : إِنْ لَمْ تَجْفُ ، فَقَلِّمًا تَصْفُو .

وقال أعرابي : النخلة جذعها نَمَاءٌ ^(١) ، وليفها رِشَاءٌ ، وكرْبُها ^(٢) صِلَاءٌ ، وسَعَفُها ضِيَاءٌ ^(٣) ، وسَمَلُها غِذَاءٌ .

وقال الأصمعي : سمعت كَسَّاحًا ^(٤) يقول لِفَلامٍ له : أَلَمْ أَضَعْ إِزَارَكَ ، أَلَمْ أَصْنَعْ عُودَ مِجْرَفَتِكَ ؟ أَلَمْ أَجْعَلْكَ كَسَّاحًا عَلَى حِمَارَيْنِ ؟

وُجِدَ كِتَابٌ بِالْمِينِ فِيهِ : أَنَا فَلَانَةُ بِنْتُ فَلَانَ التُّبَيْعِيِّ ، كُنْتُ آكِلَ الْبَقْلِ الرَّطْبِ مِنَ الْهِنْدِ وَأَنَا بِالْمِينِ ، ثُمَّ جُعْنَا حَتَّى اشْتَرَيْنَا مَكْكُوكَ ^(٥) بَرٍّ بِمَكْكُوكِ دُرٍّ ، مِنْ يَوْسَافَ بْنِ يَعْقُوبَ بِمِصْرَ ، فَمِنْ رَأَيْنَا فَلَا يَفْتَرُّ بِالْأَلْبَانِيَا .

وقال علي بن أبي طالب — كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ — لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي ثَعْلَبَ يَوْمَ صِفِّينَ : أَأَتَرْتُمُ مُعَاوِيَةَ ؟ فَقَالَ : مَا أَتَرْتُنَاهُ ، وَلَكِنَّا أَتَرْنَا الْقَسْبَ ^(٦) الْأَصْفَرَ ، وَالْبَرَّ الْأَحْمَرَ ، وَالزَّيْتَ الْأَخْضَرَ .

(١) فِي الْأَصْلِ : «مَاء» ؛ وَالتَّوْنُ سَاقِطَةٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٢) الْكَرْبُ : أَصُولُ السَّفْرِ الْغُلَاطِ الْعَرِاضِ .

(٣) يُرِيدُ أَنْ نَارَ السَّفْرِ يَطْلُو لَهَا وَيَسْطَعُ ، فَهِيَ صَالِحَةٌ لِلِاسْتِغْنَاءِ دُونَ الْأَصْطِلَاءِ .

(٤) الْكَسَّاحُ : الْكَنْتَاسُ ؟ وَمِنْ يَنْظِفُ الْبُئْرَ وَالتَّهْرَ وَنَحْوَهَا

(٥) الْمَكْكُوكُ : مَكِّيَالٌ يَسَعُ صَاعًا وَنَعْفًا أَوْ نَعْفًا وَطَلًا إِلَى ثَمَانِ أَوَاقٍ .

(٦) الْقَسْبُ : التَّمَرُ الْيَابِسُ .

قيل للحسن بن عليّ — رضى الله عنه — لثما صالح معاوية : يا غار المؤمنين .
 فقال : العار خير من النار .

نظر الحجاج يوماً على المسائدة إلى رجل وجأ عنق رجل آخر ، فدعا بهما ،
 فقال للواحي : علام صنعت ؟ فقال : غصّ بعظم فخفت أن يقتله ، فوجأت عنقه
 فألقاه ؛ فسأل الآخر فقال : صدق ؛ فدعا بالطباخ فقال له : ألدع العظام في طعامك
 حتى يغصّ بها ؟ فقال : إن الطعام كثير ، وربما وقع العظم في التمرق فلا يزال .
 قال : تصب التمرق على المناخل . فكان يفعل ^(١) .

قال سلمة بن المحبق ^(٢) : شهدت فتح الأبلّة ، فوقع في سهمي قدر نحاس ،
 فنظرت فإذا هي ذهب فيها ثمانون ألف مثقال ، فكتبت في ذلك إلى عمر ،
 فأجاب بأن يحلف سلمة بأنه أخذها يوم أخذها وهي عنده ، فإن حلف سلمت إليه ،
 وإلا قسمت بين المسلمين ، قال : حلفت فسلمت إليّ ، فأصول أموالنا اليوم منها .
 قال بعض الحكماء : لا يصبر على الثروة إلا ذو طبيعة كريمة .

(٣)

أصاب عبد الرحمن بن مدين — وكان رجلاً صدق بخراسان — مالا عظيما
 فجهز سبعين مملوكا بدوابهم وأسلحتهم إلى هشام بن عبد الملك ، ثم أصبحوا معه

(١) عبارة الأصل : « نصيب المرق على المتأخر فكان نفعك » . وفيها تحريف ظاهر .
 والصواب ما أثبتنا .

(٢) في الأصل : « سلمة بن المحبي » . وهو تحريف . والتصويب عن الإصابة والقاموس .
 وضبط في القاموس بكسر الباء المشددة ، وفي الإصابة بفتحها .

(٣) موضع هذه النقط عبارة لابن السكك مهمة أكثر حروفها من النقط ، فلم
 نستطع تحقيق ألفاظها ، ونحن ثبتها هنا كما وردت في النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسي المحفوظة
 بدار الكتب المصرية (تحت رقم ١٢١٥ ز) في ص ٣٨٧ ونصها : « وقال ابن السكك لو خرج
 رجل في طلب السنان إلى الكوفة لهدده والدار في لعدوه بقاءه كان خفيفا على إخوانه لمرسه »

يومَ الرّحيل ، فلما أَسْتَوَى بهم الطريقُ نظرَ إليهم فقال : ما ينبغي لرجُل أن يتقرَّب بهؤلاء إلى غير الله . ثم قال : أذهبوا أتمّ أحراراً ، وما معكم لكم .

وقال أعرابي : مَنْ قِيلَ صِلْتِكَ فقد باعَكَ مِرْوَتَهُ ، وأَذَلَّ لَقَدْرِكَ عِزَّهُ .

كتبَ زيادُ بنُ عبدِ الله الحارثي إلى المهديّ :-

أنا ناديتُ عَفْوَكَ من قريبٍ كما ناديتُ سُخْطَكَ مِنْ بعيدٍ

وإنْ عاقبتَنِي فليسوءَ فِعْلي وما ظَلَمْتُ عَقوبَةَ مُسْتَقِيدٍ

وإنْ تَصَفَّحْ فإحسانٌ جَدِيدٌ عَطَفْتُ بِهِ عَلَى شُكْرِ جَدِيدٍ

وقال رجلٌ لمحمد بن نحرير : أَوْصِنِي ؛ فقال : ائِمْع ولا تتكلم ، وأَعْرِفْ

ولا تُعْرِفْ ، وأَجْلِسْ إلى غيرِكَ ولا تُجْلِسْهُ إِلَيْكَ .

وقال رجل لابن أسيد^(١) القاضي : إنْ أُمِّي تريد أن تومِيَ فَتَحْضُرْ وتَكْتُبْ ؛

فقال : وهل بَلَغَتْ مَبْلَغَ النِّسَاءِ ؟

ودخل صاحب المظالم بالبصرة على رجلٍ مُبْرَسَمٍ^(٢) وعنده طيبٌ يداويه ،

فأَقْبَلَ على الطيب وأهلِ المريض ، وقال : ليس دواء المَبْرَسَمِ إِلَّا الموتُ حتى يَقِلَّ حرارةُ صَدْرِهِ ، ثم حينئذ يعالج بالأدوية الباردة حتى يَسْتَبِيلَ .

وأَجْتَازَ به بائعُ دُرَاجٍ فقال : بكم تَبِيعُ الدَّرَاجَةَ ؟ فقال : بدرهم ؛ فقال له :

أَحْسِنْ . قال : كذا بَعْتُ . قال : نَأْخُذُ مِنْكَ اثْنَتَيْنِ بثلاثة . قال : هما لك .

قال : يا غلامُ خُذْ مِنْهُ ، فإنه يُسَهِّلُ التَّبِيعَ .

ودخل حَجَّاجُ بنُ هارون على نجاح الكاتب ، فذهب ليقبَل رأسَه ؛ فقال

(١) يلاحظ أن هذه الطرفة والست التي بعدها كان ألقى بها جميعاً باب المجون السابق .

(٢) مبرسم ، أي به برسام ، وهو علة يهذى فيها .

له : لا تفعل ، فإن رأسي مملوء بالذهن ، فقال : والله لو أن عليه ألف رطلٍ خراء لقبلته .

قدّم لأبن الحسحاس سكباجة^(١) فقال لصديق له : كل فإنها أم القرى . وعزى ابن الحسحاس صديقاً له ماتت أبنته ، فقال : من أنت حتى لا تموت أبنتك البظراء ! قد ماتت عائشة بنت^(٢) النبي صلى الله عليه وسلم .

أخذ يعقوب بن الليثي في أول أمره رجلاً فاستصفاه ، ثم رآه بعد زمان ، فقال له : أبا فلان ، كيف أنت الساعة ؟ قال له : كما كنت أنت قديماً . قال وكيف كنت أنا ؟ قال : كما أنا الساعة ؛ فأمر له بعشرة آلاف درهم .

قال ابن المبارك : إذا وُضِعَ الطعامُ فقد أُذِنَ لِلآكلِ . (٤)

وقال عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — إن العرب لا تصلح ببلاد لا تصلح بها الإبل .

وقال إبراهيم بن السندي : نظر رجلٌ من قریش إلى صاحب له قد نام في غداةٍ من غدوات الصيف طيبة النسيم ، فركضه برجله وقال : مالك تنام عن الدنيا في أطيب وقتها ، ثم عنها في أحبّ حالاتها ، ثم في نصف النهار لبعدك عن الليلة الماضية والآتية ، ولأنها راحة لما قبلها من التعب ، وجمام لما بعدها من العمل ، نمت في وقت الحوائج ، وتنبهت في وقت رجوع الناس ؛ وقد جاء : " قِيلُوا فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَا تَقِيلُ " .

(١) السكباجة : مرق يعمل من اللحم والحل .

(٢) يلاحظ أن قوله : « بنت النبي صلى الله عليه وسلم » هو موضع الفكاهة بجهل هذا

القاتل وغفلته .

وقال إبراهيم بن السُّنْدِي أَيْقَظَتْ أَعْرَابِيَّةٌ أَوْلَادَهَا صِغَارًا قَبْلَ الْفَجْرِ
فِي غَدَوَاتِ الرَّبِيعِ وَقَالَتْ : تَنْسَمُوا هَذِهِ الْأَزْوَاحَ ، وَأَسْتَنْشِقُوا هَذَا النَّسِيمَ ،
وَتَهْتَمُّوا هَذَا النَّعِيمَ ، فَإِنَّهُ يَشُدُّ مِنْ مُنْتِكِمِكُمْ .

ويقال في الوَصْفِ : كَأَنَّهُ مِجْرَاكُ نَارٍ ، وَكَأَنَّهُ الْجَأْمُ^(١) صَدَى .

وَإِذَا وَصَّوهُ بِالْقِصْرِ قَالُوا : كَأَنَّهُ عُقْدَةُ رِشَا ، وَأُبْنَةُ عَصَا . وَإِذَا كَانَ ضَعِيفًا
قَالُوا : كَأَنَّهُ قِطْعَةُ زُبْدٍ ، وَالْمَوْلَّدُونَ يَقُولُونَ : كَأَنَّهُ أُسْكُرُجَةٌ^(٢)

قال بعض السَّلَفِ فِي دُعَائِهِ : اللَّهُمَّ لَا أُحِيطُ بِنِعَمِكَ عَلَى نَاعِدِّهَا ، وَلَا
أُبْلَغُ كُنْهَ وَاحِدَةٍ مِنْهَا فَأُحَدِّثُهَا .

دَعَا عَطَاءُ السُّنْدِي فَقَالَ : أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِكَ الْوَاقِعِ ، الَّذِي لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ،
وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِكَ الْوَاسِعِ ، الَّذِي لَيْسَ لَهُ مَانِعٌ .

ودعا بعض السلف : اللَّهُمَّ إِنَّ قَلْبِي وَنَاصِيَّتِي بِيَدِكَ لَمْ تُمْلِكْنِي مِنْهُمَا شَيْئًا ،
وَإِذْ فَعَلْتَ ذَلِكَ فَكُنْ أَنْتَ وَلِيَّهُمَا ، فَأَهْدِنَا سَوَاءَ السَّبِيلِ .

ودعا بعضُ الصَّالِحِينَ : اللَّهُمَّ مَا كَانَ لِي مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّكَ قَضَيْتَهُ وَيَسَّرْتَهُ
وَهَدَيْتَهُ ، فَلَا حَمْدَ لِي عَلَيْهِ ؛ وَمَا كَانَ مِنِّي مِنْ سُوءٍ فَإِنَّكَ وَعَظْتَ وَزَجَرْتَ
وَنَهَيْتَ فَلَا عُذْرَ لِي فِيهِ وَلَا حِجَّةَ .

ودعا آخَرُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ سُلْطَانٍ جَائِرٍ ، وَنَدِيمٍ فَاجِرٍ ، وَصَدِيقٍ
غَادِرٍ ، وَغَرِيمٍ مَآكِرٍ ، وَقَرِيبٍ مُنَاكَرٍ^(٣) ، وَشَرِيكِ خَائِنٍ ، وَحَلِيفٍ

(١) الجأَم : إناء من فضة .

(٢) أسكرجة : صفحة صغيرة يوضع فيها السكامخ ، وهي فارسية .

(٣) مناكر ، أى محارب .

مَائِن ، وولِدِ جافٍ ، وخادم هَافٍ ، وحاسد مُلَانِظ ، وجارٍ مُلَاخِظ ، ورفيقٍ
كَسْلَان ، وخليِلٍ وَسْنَان ، و ^(١) ضَعِيف ، ومَرَزٍ كُوبٍ قَطُوف ^(٢) ، وزوجةٍ
مَبْدُورَةٍ ، ودارٍ ضَيِّقَةٍ .

قال المدائني : قال بعض السلف لابنه : اِسْحَظْ طَبْعَكَ بِالْعُيُونِ وَالْفَقَرِ ^(٣)
وإن قَلَّتْ ، فإن الشجرة لا يَشِينُهَا قَلَّةُ الْحَمَلِ إِذَا كَانَ ثَمَرُهَا نَافِعًا ،
وَأَكَلُهَا نَاجِعًا .

(١) وقيل للأوزاعي : ما كرامة الضيف ؟ قال : طلاقة الوجه .

قال مجاهد في قول الله تعالى : (ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ) قال : قِيَامُهُ
عليهم بنفسه .

وقال عمر بن عبد العزيز : ليس من المروءة أن تَسْتَخْدِمَ الضَّيْفَ .

وقال إبراهيم بن الجُنَيْد : كان يقال : أَرْزَعُ الشَّرِيفِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَأْتِيَ
مِنْهُمْ وَإِنْ كَانَ أَمِيرًا : قِيَامُهُ مِنْ مَجْلِسِهِ لِأَبِيهِ ، وَخِدْمَتُهُ لَضَيْفِهِ ، وَخِدْمَتُهُ لِلْعَالَمِ
يَتَعَلَّمُ مِنْهُ ، وَإِنْ سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ : لَا أَعْلَمُ .

حاتم كان يقول : العَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا فِي خَمْسَةِ أَشْيَاءَ ، فَأَنهَا مِنَ السَّنَةِ :
إِطْعَامُ الضَّيْفِ إِذَا حَلَّ ، وَتَجْهِيْزُ الْمَيِّتِ ، وَتَرْوِيجُ الْبِكْرِ ^(٤) ، وَقَضَاءُ الدَّيْنِ ،
وَالْتَوْبَةُ مِنَ الذَّنْبِ .

(١) هنا يياض بالأصل .

(٢) الركوب القطوف : الضيق الحظوظ .

(٣) أي جيون الكلام البليغ وفقره .

(٤) في رواية : « الكف » .

وقال : من أطعمَ الضَّيفَ لحماً وخُبْزَ حِنْطَةٍ وماءً بارداً فقد تَمَّ الضيافة .
وقال حاتم : المَزُورُ المرأى إذا ضاف إنساناً حدثه بِسَخَاوَةِ إبراهيم الخليل ،
وإذا ضافه إنسانٌ حدثه بِزُهدِ عيسى بنِ مريم .

وقال ميمون بن ميمون : من ضافَ البخيلَ صامت دابَّتُهُ ، واستغنى عن
الكَنِيفِ ، وأَمِنَ الثُّخْمَةَ .

وقال بعض السلف الصالح : لَأَنْ أَتَجَمَعَ إِخْوَانِي عَلَى صَاعٍ مِنْ طَعَامٍ أَحَبُّ
إِلَيَّ مِنْ عِتْقِ رَقَبَةٍ .

قال الأعشى : كان الربيعُ بنُ خَنِيمٍ يَصْنَعُ لَنَا الخَبِيصَ ^(١) ويقدمه ويقول :
اللهم اغْفِرْ لأَطْيَبِيهِمْ نَفْسًا ، وَأَحْسَنِهِمْ خُلُقًا ، وَأَرْحَمَهُمْ جَمِيعًا .

وقال أنسُ بنُ مالك : كل بيت لا يدخله الضَّيفُ لا تَدْخُلُهُ الملائكة .

ولما قرأته على الوزير — بلغه الله آماله ، وزكَّى أعماله ، وخَفَّفَ عن قلبه
أثقاله — قال : ما عَلِمْتُ أَنْ مِثْلَ هَذَا الْحَجْمِ يَحْوِي هَذِهِ الْوَصَايَا وَالْمَلَحَ ؟ .
وهذه الكلماتُ الثَّرَرُ ما فيها ما لا يَجِبُ أَنْ يُحْفَظَ ، والله لَكأنَّهَا بستان في زمان
الحريف ، لكلِّ عَيْنٍ فيه منظرٌ ، ولكلِّ يَدٍ منه مَقْطَفٌ ، ولكلِّ فَمٍ منه مَذاقٌ .
إذا فَرَّغْتَ فَأَضِيفْ لِي جزءاً أو جزءين أو ما ساعدَكَ عليه النشاط ، فإن موقعها
يَحْسُنُ ، وذِكْرُها يَجْمَلُ ، وأثرُها يَبْقَى ، وفائدَتُها تُرَوَّى ، وعاقبتُها تُحْمَدُ .
قلتُ : السَّمْعَ والطَّاعَةَ .

(٢) الخبيص : طعام كان يصنع من التمر والسن .

الليلة العشرون^(١)

وقال لي مرة [أخرى] : أكتب لي جزءاً من الأحاديث الفصيحة
 (١) الفيدة . فكتبت : قال مالك بن عمارة اللخمي . كنتُ أُجالِسُ في ظِلِّ
 الكتبة أيامَ الموسمِ عبدَ الملك بن مروان وقيصة بن ذؤيب وعروة بن
 الزبير ، وكنا نخوضُ في الفقهِ مرّةً ، وفي الدُّكرِ مرّةً ؛ وفي أشعارِ العربِ
 وآثارِ الناسِ مرّةً ؛ فكنْتُ لا أُجِدُّ عندَ أحدٍ منهم ما أُجِدُّ عندَ عبدِ الملك بنِ
 مروان من الاتساعِ في المعرفة والتصرُّفِ في فنونِ العلم والفصاحة والبلاغة ،
 وحُسنِ استماعِهِ إذا حَدَّثَ ، وحلاوةِ لفظِهِ إذا حَدَّثَ ؛ فخلوتُ معه ذاتَ ليلةٍ فقلتُ :
 واللهِ إني لستُ رَوِّ بكُ لما أُشاهدُهُ من كثرةِ تصرُّفِكَ وحُسنِ حَدِيثِكَ ،
 وإقبالِكَ على جَلِيسِكَ ؛ فقال : إنك إن تَعَشَّ قليلاً فستَرَى العيونَ طامحةً إليَّ
 والأعناقَ قاصدةً نحوي ، فلا عليك أن تُعَمِلَ إليَّ رَكابَكَ . فلما أَفَضْتُ إليه
 الخلافةَ شَخَّصْتُ أُرِيدُهُ ، فوافيته يومَ جُمعةٍ وهو يخطُبُ الناسَ ، فتصدَّيتُ له ،
 فلما وَقَعَتْ عينُهُ عليَّ بِسَرٍّ^(٢) في وجهي ، وأعرضَ عني ، فقلتُ : لم يُبَيِّنْني معرفةً
 ولو^(٣) عرفني ما أظهرَ نُكْرَةً . لكنني لم أَبْرَحْ مكاني حتى قُضِيَتِ الصلاةُ
 ودخلَ ، فلم أَلْبَثْ أنْ خَرَجَ الحاجِبُ إليَّ فقال : مالك بنُ عمارة ، فقامتُ ، فأخذَ
 بيدي وأدخلني عليه ، فلما رَأَى مَدْيَهُ إليَّ وقال : إنك تراءيتُ لي في موضعٍ
 لم يَجُزْ فيه إلا ما رأيتَ من الإعراضِ والانتباهِ ؛ فرحبتُ وأهلاً [وسهلاً] ،

(١) انظر الحاشية رقم ١ من ٢٧ من هذا الجزء .

(٢) في (١) « كسر » .

(٣) عبارة (ب) « أو مرهني وأظهر » الخ .

كيف كنت بعدنا؟ وكيف كان مسيرك؟ قلت: بخير، وعلّى ما يحبّه أمير المؤمنين. قال: أتذكر ما كنت قلت لك؟ قلت: نعم، وهو الذي أعملني إليك؛ قال: والله ما هو بميراث أدعينا، [ولا أثر وعينا]، ولكني أخبرك عن نفس خصالا سمت بها نفسى إلى الموضع الذى ترى، ما لاحت ذؤود ولا ذا قرابة قط، ولا شمت بمصيبة عدو قط، ولا أعرضت عن محدث حتى ينتهى، ولا قصدت كبيرة من محارم الله متلذذا بها واثبا عليها، وكنت من قریش فى بيتها، ومن بيتها فى وسطه، فكنت أمل أن يرفع الله منى، وقد فصل؛ يا غلام، برّته منزلاً فى الدار. فأخذ الغلام بيدي وقال: أنطلق إلى رحلك؛ فكنت فى أخفض حال، وأنتم بال؛ وكان يسمع كلامى وأسمع كلامه، فإذا حضر عشاؤه أو غداؤه أتانى الغلام وقال: إن شئت صرت إلى أمير المؤمنين فإنه جالس، فأمشى بلا حذاء ولا رداء فبرزت فجلستى، ويقبل على محادثتي، ويسألني عن العراق مرة، وعن الحجاز مرة، حتى مضت لى عشرون ليلة. فتغديت عنده يوماً، فلما تفرق الناس نهضت للقيام، قال: على رسلك أيها الرجل، أعي الأمرين أحب إليك: المقام عندنا، ولك النصفة فى المعاشرة والمجالسة مع المواساة، أم الشخوص ولك الحياء والكرامة؟ قلت: فارقت أهلى وولدى على أن أزور أمير المؤمنين، فإن أمرنى اخترت فناءه على الأهل والولد، قال: بل أرى لك الرجوع إليهم، فإنهم متطلعون إلى رؤيتك، فتجدد بهم عهداً ويجددون بك مثله، والخيار فى زيارتنا وللقام فيهم إليك، وقد أمرنا [لك] بعشرين ألف دينار، وكسوتناك وحملناك، أترانى ملأت يدك أبا نصر؟ قلت: يا أمير المؤمنين، أراك ذا كراماً لما رويت^(١) عن نفسك.

(١) فى الأصل: «ورئت».

قال: أجل، ولا خيرَ فيمن يَنسى إذا وَعَدَ؛ ودَّعَ إذا شئتَ صَحِبَتِكَ السلامة .
 قال الوزير : ما أحلَّى هذا الحديث ! هاتِ ما بعده ، قلتُ : قال يحيى بن
 (٢) أبى يعلى : لما قَدِمَ السَّالُّ من ناحيةِ عمرَ بنِ عبد العزيز — رحمه الله — على
 أبى بكر بن حزم ، قَسَمَهُ بين الناس في المدينة ، فأصاب كلُّ إنسانٍ خمسين
 دينارًا ، فدَعَتْنِي فاطمةُ بنت الحسين — عليه السلام — فقالت : أكتبْ ،
 فكتبتُ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، لعبدِ اللَّهِ عمرَ أمير المؤمنين من فاطمة بنت
 الحسين سلامُ [الله] عليك ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَّا
 بعد ، فأصَلَحَ اللَّهُ أمير المؤمنين وأَعَانَهُ عَلَى مَا تَوَلَّاهُ ، وَعَصَمَ بِهِ دِينَهُ ، فَإِنَّ
 أمير المؤمنين كَتَبَ إِلَى أبى بكر بن حزم أن يَقْسِمَ فِينَا مَا لَمْ مِنَ الْكِتَابَةِ ،
 ويتحرَّى بذلك ما كان يَصْنَعُ مِنْ قَبْلَهُ مِنَ الْأُمِّمَةِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ ، وقد
 بَلَّغْنَا ذَلِكَ ، وَقَسَمَ فِينَا ، فَوَصَّلَ اللَّهُ أمير المؤمنين ، وجزَّاه من والٍ خيرَ
 ما جَزَى أَحَدًا مِنَ الْوُلَاةِ ، فقد كانت أصَابَتُنَا جَفْوَةٌ ، وَأَحْتَجَجْنَا إِلَى أَنْ يَفْعَلَ
 فِينَا بِالْحَقِّ ؛ فَأَقْسَمُ بِاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ أَخْتَدَمَ مِنْ آلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ لَا خَادِمَ لَهُ ، وَأَكْتَسَى مَنْ كَانَ عَارِيَا ، وَأَسْتَقَرَّ مَنْ كَانَ لَا يَجِدُ
 مَا يَسْتَقَرُّ [به] . وَبَعَثْتُ [إِلَيْهِ] رَسُولًا .

قال يحيى : فحدَّثَنِي الرَّسُولُ قَالَ : قَدِمْتُ الشَّامَ (١) عَلَيْهِ ، فَقرأَ كِتَابَهَا وَإِنَّهُ
 لَيَحْمَدُ اللَّهَ وَيَشْكُرُهُ ، فَأَمَرَ لِي بِعَشْرَةِ دنانير ، وَبَعَثَ إِلَى فاطمةَ خَسَمَائَةَ
 دينار ، وقال : أَسْتَعِينِي بِهَا عَلَى مَا يُعْزُوكَ ، وَكُتِبَ إِلَيْهَا كِتَابًا يَذْكُرُ فِيهِ
 فَضْلُهَا وَفَضْلُ أَهْلِ بَيْتِهَا ، وَيَذْكُرُ مَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْحَقِّ .

(١) في (١) « العراق » ؛ وهو تبديل من الناسخ .

فرق الوزير عند هذا الحديث وقال : أذْكَرْتَنِي أَمْرَ الْعَلَوِيَّةِ ، وأخذ القلم ، وأستمدَّ من السواة ، وكتب في التذْكِرة شيئاً ، ثم أرسل إلى نقيب العلوية العمري في اليوم الثاني بألف دينار ، حتى تُفرَّقَ في آل أبي طالب ، وقال لي : هذا من بركة الحديث .

(٢) ثم قال : كيف تطاول هؤلاء القوم إلى هذا الأمر مع بُعدهم من رحمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقرب بني هاشم منه ؟ وكيف حدثهم أنفسهم بذلك ؟ إنَّ عَجَبِي من هذا لا يَنْقُضِي ، أَيْنَ بنو أمية وبنو مروان من هذا الحديث مع أحوالهم المشهورة في الدين والدنيا ؟

قلت : أيها الوزير ، إذا حُقِّقَ النظر واستُشِفَّ الأصل (١) لم يكن هذا (٢) عجيباً ، فإنَّ أعجاز الأمور تالية لصدورها ، والأسافل تالية لأعالها ، ولا يزال الأمر خافياً حتى يَنْكَشِفَ سببه (٣) فيزول التعجب [منه] ، وإنما بعد هذا على كثير من الناس ، لأنهم لم يُعَنِّوا به ويتعرَّفوا أوائله والبحث عن غوامضه ، ووضعوه في مواضعه ، وذهبوا مذهب التعصب .

قال : فما الذي خفي حتى إذا عُرِفَ سَقَطَ التعجب ولزم التسليم ؟ فكان من الجواب : لا خلاف بين الرواة وأصحاب التاريخ أن النبي صلى الله عليه وسلم تُوِّفِّي وَعْتَابُ بْنُ أُسَيْدٍ عَلَى مَكَّةَ ، وخالد بن سعيد على صنعاء ، وأبو سفيان ابن حرب على نجران ، وأبان بن سعيد بن العاص على البحرين ، وسعيد بن القسب الأزدي حليف بني أمية على جرش ونحوها ، والمهاجر بن أبي أمية

(١) في (١) « الأمر » .

(٢) في (١) « لم يكن بعيداً عجيباً » .

(٣) في (١) « حتى تنكشف نفسه » ؛ وهو تحريف .

المخزومي على كِنْدَةَ والصَّدِيف ؛ وعمر بنُ العاص على عُمان ، وعُثمان بن أبي العاص على الطائف . فإذا كان النبي — صلى الله عليه وسلم — أسس هذا الأساس ، وأظهر أمرهم لجميع الناس ؛ كيف لا يقوى ظنهم ، ولا ينبسط رجائهم ، ولا يمتد^(١) في الولاية أملهم ؟ وفي مقابلة هذا ، كيف لا يضعف طمع^(٢) بني هاشم ، ولا ينقبض رجائهم ، ولا يقصر أملهم ؟ وهي الدنيا ، والذين عارض فيها ، والعاجلة محبوبة ، وهذا وما أشبهه حدّد أنيائهم ، وفتح أبوابهم ؛ وأترع كآسهم ، وقتل أمراتهم ، ودلائل الأمور تسبق ، وتبشير الخبر تعرف .

قال ابن الكلبي : حدثني الحكم بن هِشام الثقفي قال : مات عبيد الله ابن جَحْش عن أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وكانت معه بأرض الحبشة ، فخطبها النبي صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ، فدعا بالقرشيين فقال : من أولاكم بأمر هذه المرأة ؟ فقال خالد بن سعيد بن العاص : أنا أولاهم بها . قال : فزوج نبيكم . قال : فزوجه ومهر عنه أربعمائة دينار ؛ فكانت أول امرأة مهّرت أربعمائة دينار ؛ ثم حُملت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومعها الحكم بن أبي العاص ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يكثر النظر إليه ، فقيل له : يا رسول الله ، إنك لتكثر النظر إلى هذا الشاب . قال : أليس ابن المخزومية ؟ قالوا : بلى ؛ قال : إذا بلغ بنو هذا أربعين رجلاً كان الأمر فيهم ، وكان مروان إذا جرى بينه وبين معاوية كلام قال لمعاوية : والله إني لأبو عشرة ، وأخو عشرة ، وعم عشرة ، وما بقي إلا عشرة حتى يكون الأمر في ؛ فيقول معاوية بن أبي سفيان : أخذها والله من عَيْنِ صافية .

(١) في (أ) : « يحذروا » ، وفي (ب) : « يحيد » ؛ وهو تصحيف في كليهما .

(٢) في (ب) : « أمل » .

فهذا — كما تَسْمَعُ — إن كان حقاً فلا سبيل إلى رَدِّه ، وإن كان مُفْتَعِلاً
 فقد صارَ داعيةً إلى الأمر الذي وَقَعَ النزاعُ فيه ، وجمال الخِصامُ عليه .
 وهما هنا شيء آخر .

قال القَعْقَاعُ بنُ عمرو : قلتُ لعلِّي بنُ أبي طالب — عليه السلام —
 ما حَمَلَكَمُ على خلافِ العباسِ بنِ عبدِ المطلبِ وَتَرَكْ رَأْيَهُ ؟ وهذا يَعْنِي به أن
 العباسَ كان قال لعلِّي — عليه السلام — في مرضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم :
 قم بنا إليه لِنَسْأَلَهُ عن هذا الأمرِ ، فإن كان لنا أَشْأَعُهُ في النَّاسِ ، وإن كان في
 غيرنا وَصَّى فِينَا ، وكان عليٌّ عليه السلام أباي على عمِّه العباسِ ولم يُطَاوِعْهُ —
 قال القَعْقَاعُ : قال أمير المؤمنين عليٌّ بنُ أبي طالب — عليه السلام — في جوابه
 لي : لو فَعَلْنَا ذَلكَ جَعَلَهَا في غَيْرِنَا بعدَ كَلَامِنَا لم نَدْخُلْ فِيهَا أَبَداً ، فأُحْبِبْتُ
 أن أَكُفَّ ، فإن جَعَلَهَا فِينَا فهو الذي نريد ، وإن جَعَلَهَا في غَيْرِنَا
 كان رَجَاءُ مَنْ طَلَبَ ذَلكَ مِنَّا مَمْدُوداً ، ولم يَنْقَطِعْ مِنَّا ولا من النَّاسِ . قال
 القَعْقَاعُ : فكان النَّاسُ في ذلكَ فرقتين : فرقةٌ تَحْزُبُ للعباسِ وتَدِينُ له ، وفرقةٌ
 تَحْزُبُ لِعَلِيِّ وتَدِينُ له . فهذا وما أَشْبَهَهُ يُضْعِفُ نفوساً ، ويرَفَعُ رُءُوساً ، وبعدَ فهذا
 البيتُ خُصَّ بالأمرِ الأوَّلِ ، أعني الدَّعْوَةَ والنَّبُوَّةَ والكِتَابَ العَزِيزَ ، فأما الدُّنْيَا
 فإِنهَا تَزُولُ من قومٍ إلى قومٍ ، وقد رُوِيَ ^(١) أبو سَفيانَ صَخْرُ بنَ حَرْبٍ وقد وقفَ
 على قبرِ حمزةَ بنِ عبدِ المطلبِ وهو يقول : رَحِمَكَ اللهُ يَا أَبَا عُمَارَةَ ، لقد قَاتَلْتَنَا على
 أمرٍ صارَ إلَيْنَا .

(١) حَكَاهُ في ب وعَبَارَةِ ١ وقد رَوَى أَنَّهُ وقفَ أبو سَفيانَ صَخْرُ بنَ حَرْبٍ على قبرِ

حمزةَ بنِ عبدِ المطلبِ وهو يقول .

فإن قال قائل : فقد وصل ^(١) هذا الأمرُ بعد مدّةٍ إلى [آل] النبيّ صلى الله عليه وسلم ؛ فالجواب : [صدّقت] ، ولكن لما ضَعُفَ الدِّينُ وتَحَلَّلَ ^(٢) رُكْنُهُ وتداوله الناسُ بالقلبة والقهر ، فتطاول له ناسٌ من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعجم وبِقُوَّتهم ونَهَضَتِهِم وعاداتِهِم في مساورة الملوك ، وإزالة الدُّوَل ، وتناول العِزِّ كيف كان ، وما وَصَلَ إلى أَهْلِ العَدَالَةِ والطَّهَارَةِ والزُّهْدِ والعبادة والورع والأمانة ، ألا ترى أن الحالَ أَسْتَحَالَتَ كَجَمَا : كِسْرَوِيَّةٌ وقِيَصْرِيَّةٌ ، فإين هذا من حديث النبوة الناطقة ، والإمامة الصادقة ؛ هذا الربيعُ — وهو حاجب المنصور — يضرب مَنْ شَمَّتَ الخليفةَ عند العطسة ، فيُشْكِي ذلك إلى أبي جعفر المنصور ، فيقول : أصابَ الرجلُ السُّنَّةَ وأخطأَ الأدبَ . وهذا هو الجهل ، كأنه لا يَعْلَمُ أَنَّ السُّنَّةَ أَشْرَفُ من الأدب ، بل الأدبُ كُلُّهُ في السُّنَّةِ ، وهي الجامِعةُ للأدبِ النبويِّ والأمرِ الإلهي ، ولكن لما غلبت عليهم العِزَّةُ ^(٣) ، ودَخَلَتِ التَّعَرُّفُ في آثافِهِم ، وظَهَرَتِ الْخُنْزَوَانَةُ ^(٤) بَيْنَهُم ، سَمَّوْا آيِنَ ^(٥) العِجَمِ أدبًا ، وقَدَّمُوهُ على السُّنَّةِ التي هي ثَمَرَةُ النبوة ، هذا إلى غير ذلك من الأمور المعروفة ، والأحوال المتعلّلة المتداولة التي لا وَجْهَ لِدِكْرِهَا ، ولا فائدةَ لتشرها ، لأنها مقرَّرةٌ في التاريخ ، ودائرةٌ في عُرْضِ الحديث .

ولما كانت أوائلُ الأمور على ما شَرَحْتُ ، وأواسِطُهَا على ما وَصَفْتُ ، كان من نتائجها هذه الفتن والمذاهبُ ، والتعصُّبُ والإفراطُ ، وما تَفَاقَمَ منها وزاد

(١) في (ب) : « صار » .

(٢) تحلل ركنه ، أي تزعزع وزال عن موضعه .

(٣) في كلتا النسختين « الحية » ؛ وهو تحريف .

(٤) الخنزوانة : الكبر .

(٥) آين السجم : عرفهم وعاداتهم ؛ وهي كلمة فارسية .

ونما وعلا وترأى ، وضافت الحيلُ عن تدارُكه وإصلاحه ، وصارت العامةُ مع جَهْلِها ، تجدُ قوَّةً من خاصَّتها مع عِلْمِها ، فسُفِكَت الدِّماءُ ، واستُبِيحَ الحرِّيمُ ، وشُقَّت الغاراتُ ، وخُرِّبَت الدِّياراتُ ، وكَثُرَ الجِدالُ ، وطالَ القِيلُ والقَالَ ، وفشَا الكَذِبُ والمُحالُ ، وأصْبَحَ طالبُ الحقِّ حَيْرَانُ ، ومحِبُّ السلامةِ مقصوداً بكلِّ لسانٍ وسِنانٍ ، وصارَ الناسُ أحراباً في النَحْلِ والأديانِ ، فهذا نُصَيْرِي^(١) ، وهذا أَشْجَصِي^(٢) ، وهذا جَارُودِي^(٣) ، وهذا قَطْعِي^(٤) ، وهذا جُبَّائِي^(٥) ، وهذا أَشْعَرِي^(٦) ، وهذا خَارِجِي^(٧) ، وهذا قَرْمَطِي^(٨) ، وهذا

(١) الصيرية : فرقة من غلاة الشيعة ، كانوا يؤلهون علياً ، وكان منهم ناس في زمن علي ابن أبي طالب عُذَّوْرَم . وينسبون إلى رجل اسمه نصير .
(٢) كذا ورد هذا اللفظ في (١) وحدها ؛ ولم نجد الأشعبيَّة فيها راجعناه من الكتب للمؤلفة في الفرق .

(٣) الجارودية : فرقة من الزيدية نسبت إلى أبي الجارود زياد بن أبي زياد ، وزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نس على إمامة علي بالوصف دون الاسم ، وكفروا بالصحابة وتركهم بيعة على .

(٤) القطبية ، ويقال لهم : الاثنا عشرية أيضاً ، وذلك لدعواهم أن الإمام المنتظر هو الثاني عشر ، وهؤلاء يسوقون الإمامة من جعفر الصادق إلى ابنه موسى ، ويقطعون بموت موسى ، وزعمون أن الإمام بعده سبط محمد بن الحسن الذي هو سبط علي بن موسى الرضا .
(٥) الجبائية والأشعرية : فرقان من التكلمين ، أولاهما تنسب إلى أبي علي الجبائي وكانت المعتزلة البصرية على مذهبه ، ثم انتقلوا بعده إلى مذهب أبي هاشم ابنه ، وسموا بد الهشمية ، وثانيتها تنسب إلى أبي الحسن الأشعري من أهل السنة .

(٦) القبيصة : فرقة من الخوارج ينسبون إلى رجل منهم اسمه شعيب ، ويقولون في القدر والاستطاعة والمشيخة قول الخازمية ، وهو موافق لقول أهل السنة في ذلك .

(٧) القرامط والفرامطة : طائفة مشهورة من الزنادقة أتباع الفلاسفة من الفرس الذين يعتقدون نبوة زرادشت ومزدك وماني ، وكانوا يبيعون المحرمات ، وكان ابتداء أمرهم في سنة مائتين وثمان وسبعين . راجع عقد الجمان للعيني في حوادث هذه السنة . ومن هذه الطائفة أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي ، وهو الذي أظهر مذهبهم ، وكان دُفَاةً ، فنفى عن بلده جُتَابَةً ، فخرج إلى البحرين وأقام بها تاجراً ، وجعل يستميل العرب بها ويدعوهم إلى نخلته حتى استجاب له أهل البحرين وما والاها ، وقتل سنة إحدى وثلاثمائة ، ثم ولي الأمر بعده ابنه أبو طاهر سليمان ، فكان من قتله حجاج بيت الله الحرام ، واقطاع طريق مكة في أيامه =

راوندي^(١) ، وهذا نجاري^(٢) ، وهذا زعفراني^(٣) ، وهذا قدرى^(٤) ، وهذا جبرى^(٥) ، وهذا لفظى^(٦) ، وهذا مستدركى^(٧) ، وهذا حارثى^(٨) ، وهذا رافضى^(٩) ، ومن لا يحصى عددها إلا الله الذى لا يُعجزه شيء ؛ لا جرم شمت اليهود والنصارى والمجوس بالمسلمين ، وعابوا وتكلموا ، ووجدوا أجراً وجصاصاً فبنوا ، وسمعوا فوق ما تمنوا [فرووا]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يزداد الأمر إلا ضُعبوبة ، ولا الناس إلا اتباع هوى ، حتى تقوم الساعة على شرار الناس » . وقال أيضاً : « بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود كما بدأ غريباً ، فطوبى للغرباء من أمتي » .

== بسبه ، والتصدى فى الحرم واثهاب الكعبة وقلة الحجر الأسود إلى القطيف والأحساء من أرض البحرين ، ماقد اشتهر ذكره ، وقد بقى الحجر الأسود عندهم لإحدى وعشرين سنة ، ثم رد ببذول بذلت لهم ، وقد استوفى الطبرى وابن الأثير وغيرهما أخبار هذه الطائفة فى كتبهم فارجع إليها ، وانظر حجم البلدان فى الكلام على « جنابة » بنسديد النون وتاج العروس « مادة جنب » .

(١) الراوندية هم أتباع الراوندى أبى الحسين أحمد بن يحيى بن اسحاق من أهل مرو سكن بخنداد وكان من متكلمي المعتزلة ، ثم فارقهم وترنق وألف فى الرد عليهم ؛ ومات سنة ٢٩٨ .
(٢) النجارية : أتباع الحسين بن محمد النجار ، وقد وافقوا أهل السنة فى أصول ، والفدرية فى أصول ، وافتردوا بأصول .

(٣) الزعفرانية : أتباع الزعفرانى الذى كان بالرى ، وهم فرقة من النجارية .
(٤) القدرية : فرقة تنفى القدر عن الله عز وجل وتقول إن العبد مخير فى أفعاله ، وليس للقدر دخل فيها .

(٥) الجبرية : فرقة تثبت القدر لله عز وجل وتقول : إن العبد مجبر على أفعاله ، وليس له اختيار فيها ، وإن أفعاله بمثابة الرعدة والرعدة .

(٦) كذا ورد هذا اللفظ فى كلتا النسختين ؛ ولم نجد فرقة بهذا الاسم ؛ فلمله يريد بها الظاهرية الذين يأخذون بظاهر اللفظ .

(٧) المستدركة : فرقة من النجارية يزعمون أنهم استدركوا ما خفى على أسلافهم .

(٨) الحارثية : فرقة من الإباضية ، ينسبون إلى حارث بن مزيد الإباضى ، وهم الذين قالوا فى باب القدر بمثل قول المعتزلة . وزعموا أيضاً أن الاستطاعة قبل الفعل ؛ وكفّرهم سائر الإباضية فى ذلك .

وقلتُ لأبن الجَلَاءِ الزَّاهِدِ بِمَكَّةَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثُمِائَةٍ : مَا صَفَةُ هَذَا الْغَرِيبِ ؟ فَقَالَ لِي : يَا بُنَيَّ هُوَ الَّذِي يَنْفِرُ مِنْ مَدِينَةٍ إِلَى مَدِينَةٍ ، وَمِنْ قُلَّةٍ إِلَى قُلَّةٍ ؛ [وَمِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ] وَمِنْ بَرٍّ إِلَى بَحْرٍ ، وَمِنْ بَحْرٍ إِلَى بَرٍّ ، حَتَّى يَسْلَمَ ، وَأَتَى لَهُ بِالسَّلَامَةِ مَعَ هَذِهِ النِّيرَانِ الَّتِي قَدْ طَافَتْ بِالشَّرْقِ وَالْغَرْبِ ، وَأَتَتْ عَلَى الْحَرِثِ وَالنَّسْلِ ، فَدَمَّتْ ^(١) كُلَّ أَفْوَةٍ ، وَأَسَكَّتْ كُلَّ نَاطِقٍ ، وَحَيَّرَتْ كُلَّ لَيْبٍ ، وَأَشْرَقَتْ كُلَّ شَارِبٍ ، وَأَمَرَّتْ عَلَى كُلِّ طَاعِمٍ ؛ وَإِنَّ الْفِكَرَ فِي هَذَا الْأَمْرِ لَمُخْتَلِسٌ لِلْعَقْلِ ^(٢) وَكَارِثٌ لِلنَّفْسِ ^(٣) ، وَمُحْرِقٌ لِلْكَبِدِ .

فَقَالَ الْوَزِيرُ : وَاللَّهِ إِنَّهُ لَكَذَلِكَ ، وَقَدْ نَالَ مِنِّي هَذَا الْكَلَامُ ، وَكَبُرَ عَلَيَّ هَذَا الْخَطْبُ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَقَدْ دَعَتْ عَيْنُهُ وَرَقَّ فَوَادُهُ وَهُوَ — كَمَا تَعْلَمُ — كَثِيرُ التَّأَلُّهِ ، شَدِيدُ التَّوَقُّي ، يَصُومُ الْأَثْنَيْنِ وَالْخَمِيسَ ، فَإِذَا كَانَ أَوَّلَ رَجَبٍ أَصْبَحَ صَائِمًا إِلَى أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ شَوَالٍ ، وَمَا رَأَيْنَا وَزِيرًا عَلَى هَذَا الدَّأْبِ وَبِهَذِهِ الْعَادَةِ ، لَا مَنَاقِفًا وَلَا مُخْلِصًا ^(٤) ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا) تَوَلَّاهُ اللَّهُ أَحْسَنَ الْوِلَايَةِ ، وَكَفَاهُ أَكْمَلَ الْكَفَايَةِ ، إِنَّهُ قَرِيبٌ مَجِيبٌ .

فَلَمَّا رَأَيْتُ دَمْعَتَهُ قُلْتُ : أَيُّهَا الْوَزِيرُ ، رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، [وَحُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ سَهَرَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ] وَحُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ غَضَّتْ عَنْ حَرَامِ اللَّهِ » ،

(١) دَمَّتْ ، مِنَ الْقِدَامَةِ ، وَهِيَ الْعَيَّ .

(٢) فِي (١) : « الْأَمْر » .

(٣) كَارِثٌ لِلنَّفْسِ : مِنْ كَرِثَ الْغَمَّ إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ .

(٤) فِي ١ : « وَلَا غَاصًا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

قال — أحسن الله توفيقه — : هو الهلاك إن لم يُنقِذ الله بفضله ، ولم يتغمَّد بقوته ؛ لو غرقت في البحر كان ^(١) رجائي في الخلاص منه أقوى من رجائي في السلامة مما أنا فيه . قلتُ : إذا علم الله من ضميرك هذه العقيدة ألبسك ثوب عفوهِ ، وحلَّك بشعارِ عافيته وولايته ، وكفالك كيدَ أعدائك ، وعصب بروسهم ما يريدونه بك (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)

قال : اجمع لي جزءاً من رقائق العباد وكلامهم اللطيف الحلو ، فإن مراميهم شريفة ، وسرايرهم خالصة ، ومواعظهم رادعة ، وذلك — أظن — للدين الغالب عليهم ، والثأله المؤثر فيهم ؛ فالصدق مقرون بمنطقهم ، والحق موصول بقصدهم ، ولست أجد هذا المعنى في كلام الفلاسفة ، وذلك — أظن أيضاً — لخوضهم في حديث الطبائع والأفلاك والآثار وأحداث الزمان . قلتُ : أفعل ، فكتبت تمام ما تقدّم به ، ثم كتبت بعد ورقات في حديث النساك .

(٤) قال عتبة بن المنذر السلمي : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الأجلين قضى موسى — عليه السلام — ؟ قال : أكثرهما وأوفاهما ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن موسى — عليه السلام — لما أراد فراق شُعيب أمرَ امرأته أن تسأل أباهما أن يعطيها من نتاج غنمه ما يعيشون به ، فأعطاهما ما وضعت غنمه من قالب ^(٢) لون ذلك العام ، فلما وردت الخوض وقفَ موسى بإزاء الخوض فلم تضدُّ منها شاة إلا ضربَ جنبها بعصاه ، فوضعت قوالب ألوان كلها ووضعت أثنيتين أو ثلاثة كل شاة ، ليس فيهن فشوش ^(٣) »

(١) في (١) : « كاف » ؛ وهو تحريف .

(٢) شاة قالب لون : إذا كانت على غير لون أمها .

(٣) الفشوش : الشاة التي ينفش لبنها من غير حب .

ولا ضُبوب^(١) ولا تَعْمُول^(٢) ولا كَيْشَة^(٣) تَفَوْتُ الكَف^(٤) فَإِنْ أَفْتَحْتُمْ الشَّامَ
وَجَدْتُمْ بِهَا بَقَايَا مِنْهَا ، فَاتَّخِذُوهَا ، وَهِيَ السَّامِرِيَّةُ .

قال جعفرُ بن أبي طالب للنَّجاشيِّ في حديثٍ : بعث الله [تعالى] رسولا
فينا نعرف صِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ ، فدعانا إلى الله [لنُوَحِّدَهُ] مَوْنَعِدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا
نَعْبُدُهُ ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ ، وَصَلَةِ الرَّحِمِ ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ ،
وَالْكَفِّ عَنِ الْحَارِمِ وَالِدِّمَاءِ ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزُّورِ ، وَأَكْلِ مَالِ
الْيَتِيمِ ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ .

وقال صاحب التاريخ : وَلَدَتْ لِعَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ — رضوان الله عليه —
أُمُّ كَلْثُومِ بِنْتُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ — عليه السلام — زَيْنَدًا وَرُقَيْيَةً ؛ وَأُمُّ
أُمِّ كَلْثُومِ فَاطِمَةُ بِنْتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال أنسُ بن مالك : صَلَّى النَّاسُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا
تُوُفِّيَ أَفْرَادًا لَمْ يُؤْمَرْ بِهِ عَلَيْهِ أَحَدٌ .

ولَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَمَانِ سِنِينَ ، هَلَكَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ ،
وهو شَيْبَةُ أَبُو الْحَارِثِ ، وَذَلِكَ بَعْدَ الْقِيلِ بَثْنِ سِنِينَ ، وَتَوَقَّيْتُ أَمَنَةَ أُمِّهِ وَهُوَ
ابْنُ سِتِّ سِنِينَ بِالْأَبْوَاءِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، كَانَتْ قَدِمَتْ بِهِ عَلَى أَحْوَالِهِ مِنْ بَنِي
عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ تُزِيرُهُ إِيَّاهُمْ ، فَمَاتَتْ وَهِيَ رَاجِعَةٌ إِلَى مَكَّةَ .

(١) في القاموس : الضُبوب : الدابة تبول وتعدو ؛ والشاة الضيقة الإحليل .

(٢) التعمول : الزائدة الأطباء ، وهي حملات الضرع .

(٣) الكيشة من الشياه : الصغيرة الضرع التي انكش ضرعها وتقلس .

(٤) في (١) : « بلون الكف » ؛ وهو تحريف . ووردت هذه الكلمة في

(ب) مطبوسة الحروف تتغير قراءتها . وتفوت الكف ، أي لا يمكن القبض على ضرعها
بالكف لصغره .

الليلة الحادية والعشرون

(١) وسأل مرة عن المغنى إذا راسله (١) آخر لم يجب أن يكون الله وأطيب ، وأحلى وأعذب ؟

فكان من الجواب : أن أبا سليمان قال في جواب هذه المطالب ما يمنع من اقتضاب قول وتكلف جواب ، ذكر أن المسموع الواحد إنما هو بالحس الواحد ، وربما كان الحس الواحد أيضا غليظا أو كدرا ، فلا يكون لنيله (٢) اللذة به (٣) بسط ونشوء ولذادة (٤) ، وكذلك [المسموع] ربما لم يكن في غاية الصفاء على تمام الأداء بالتقطيع [الذى هو نفس في الهواء ، فلا تكون أيضا إنالته للذة على التمام والوفاء ، فإذا نفي (٥) المسموع — أعني توحد (٦) النعم بالنعم — قوى الحس المذكور ، فال مسموعين بالصناعة ، ومسموعا واحدا بالطبيعة ؛ والحس لا يعشق الموادة (٧) والمناسبة والاتفاق إلا بعد أن يجدها في المركب ، كما أن العقل لا يعشق إلا بعد أن ينالها في فضاء البسيط (٨) ؛ فكلما قوى الحس باستعماله ، ألتذ صاحبه بقوة حتى كأنه يسمع ما لم يسمع بحس أو أكثر ، وكما أن الحس إذا كان كليلا [كان الذى يناله كليلا] ، كذلك الحس إذا كان قويا كان ما يناله قويا .

(١) راسله آخر ، أى تابعه في غناؤه مساندة له .

(٢) في كلتا النسختين : « فلا يكون نيله للذة » ؛ وهو تحريف .

(٣) به أى بالمسموع .

(٤) في كلتا النسختين : « وقسر وولاية » ولا معنى لهاتين اللفظتين هنا ؛ فلعن صوابهما ما أثبتناه أو ما يفيد معنيهما .

(٥) في كلتا النسختين : « فأذن الأنس المسموع » ؛ وهو تحريف لا معنى له ؛ ولعل صوابه ما أثبتناه أو ما يفيد معناه .

(٦) في كلتا النسختين : « توجد » ؛ وهو تصحيف .

(٧) في (ب) « المؤاخذة » وفي (أ) « الواحدة » ؛ وهو خطأ في كليهما .

(٨) في (أ) « بقاء النشيط » ؛ وهو تحريف .

قال : هذا كله موهوبٌ للحسّ ، فما للعقل في ذلك ؟ فإننا نرى العاقل (٢) تعذّبه دَهْشَةٌ وأَرْيَحِيَّةٌ وأَهْتَازٌ .

قلت : قد أتى على مجموع هذا ومعرفة أبو سليمان في هذا كرتَه لأبن الحمّار ، وذَكَرَ أَنَّ مِنْ شَأْنِ الْعَقْلِ الشُّكُّونَ ، وَمِنْ شَأْنِ الْحِسِّ التَّهَيُّجُ ، ولهذا يوصف العاقل بالوقار والسكينة ، وَمَنْ دُونَهُ يُوصَفُ بِالطَّيْشِ والعجرفة ، والإنسان ليس يَجِدُ الْعَقْلَ وَجْدَانًا فَيَلْتَذُّ بِهِ ، وَإِنَّمَا يَعْرِفُهُ إِنَّمَا جُمْلَةً وَإِنَّمَا تَفْصِيلًا ؛ أَعْنَى جُمْلَةً بِالرَّسْمِ وتفصيلًا بالجدّ ، ومع ذلك يَشْتَأِقُ إِلَى الْعَقْلِ ، وَيَتَمَنَّى أَنْ يَنَالَهُ ضَرْبًا مِنَ النَّيْلِ وَيَجِدَهُ نَوْعًا مِنَ الْوَجْدَانِ ، فَلَمَّا أَبْرَزَتِ الطَّبِيعَةُ الْمَوْسِيقِيَّ فِي عَرْضِ الصَّنَاعَةِ بِالْآلَاتِ الْمَهْيَاةِ ، وَتَحَرَّكَتِ بِالنَّاسِبَاتِ النَّائِمَةِ وَالْأَشْكَالِ الْمُتَفَقِّةِ أَيْضًا ، حَدَّثَ الْأَعْتَدَالُ الَّذِي يُشْعِرُ بِالْعَقْلِ وَطُلُوعِهِ وَأُنْكَشَافِهِ وَأَعْجَلَانِهِ ، فَهَرَّ (١) الْإِحْسَاسُ ، وَبَثَّ الْإِنْفَاسُ ، وَشَوَّقَ إِلَى عَالَمِ الرُّوحِ وَالنَّعِيمِ ، وَإِلَى مَحَلِّ الشَّرَفِ الْعَمِيمِ ، وَبَعَثَ عَلَى كَسْبِ الْفَضَائِلِ الْحِسِّيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ ، أَعْنَى الشَّجَاعَةَ وَالْجُودَ وَالْحِلْمَ وَالْحِكْمَةَ وَالصَّبْرَ ، وَهَذِهِ كُلُّهَا جَمَاعُ الْأَسْبَابِ الْمَكْمَلَةِ لِلْإِنْسَانِ فِي عَاجِلَتِهِ وَآجِلَتِهِ ؛ وَبِالْوَاجِبِ مَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، لِأَنَّ الْفَضَائِلَ لَا تُقْتَنَى إِلَّا بِالشَّوْقِ إِلَيْهَا ، وَالْحِرْصُ عَلَيْهَا ، وَالطَّلِبُ لَهَا ؛ وَالشَّوْقُ وَالطَّلِبُ وَالْحِرْصُ لَا تَكُونُ إِلَّا بِمَشَوِّقٍ وَبَاعِثٍ وَدَاعٍ ، فَلِهَذَا بَرَزَتِ الْأَرْيَحِيَّةُ وَالْهَزَّةُ ، وَالشَّوْقُ وَالْعِزَّةُ ؛ فَالْأَرْيَحِيَّةُ لِلرُّوحِ ، وَالْهَزَّةُ لِلنَّفْسِ ، وَالشَّوْقُ لِلْعَقْلِ ، وَالْعِزَّةُ لِلْإِنْسَانِ . وَمِمَّا يَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ أَخْصَصَ بِالنَّفْسِ مِنَ الْإِحْسَاسَاتِ الْبَاقِيَةِ ، لِأَنَّهُمَا خَادِمَا النَّفْسِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، وَمُؤَنَسَاها فِي الْخُلُوةِ ، وَمُمَدِّاها فِي النَّوْمِ وَالْيَقَظَةِ ؛ وَلَيْسَتْ هَذِهِ الرِّتَبَةُ لشيءٍ مِنَ الْبَاقِيَّاتِ ، بَلِ الْبَاقِيَّاتُ آثَارُهَا فِي الْجَسَدِ (٢) الَّذِي هُوَ مَطْيَاةُ الْإِنْسَانِ ،

(١) في كلتا النسختين « فقهر » وهو تحريف .

(٢) في (١) « في الحد » ؛ وهو تحريف .

لكن الفرق بين السمع والبصر في أبواب كثيرة : ألقها أن أشكال السموع مركبة في بسيط ، وأشكال البصر مبسطة في مركب .

قلت : وقد حكيتُ هذا لأبي زكرياء الصَّيِّمِريَّ فطربَ وأرتاح وقال :
ما أبعدَ نظرَ هذا الرجل ! وما أرقى لحظه ! وما أغزَّ جانبَه !

الليلة الثانية والعشرون

(١) وقال لي سرّة أخرى : إزولي شيئاً من كلام أبي الحسن العامريّ ، فإني أرى أصحابنا يردّونه ويذيلونه ، فلا يرون له في هذه العُصبة قدماً ، ولا يرفعون له في هذه الطائفة علماً .

قلت : كان الرجل لكزّازته وغلظِ طباعه وجفاء خلقه يُنفّر من نفسه ، ويُفريّ الناسَ بعرضه ، فإذا طُلِبَ منه الفنّ الذي قد خُصَّ به وطُولِبَ بتحقيقه وُجِدَ على غاية الفضل .

فن كلامه قوله : الطبيعة تتدرّج في رُفْعِها من الكلّيات البسيطة ، إلى الجزئيات المركبة ، والعقل يتدرّج من الجزئيات المركبة ، إلى البسائط الكلّية ، والإحاطة بالمعاني البسيطة تحتاج إلى الإحاطة بالمعاني المركبة ، لِيَتَوَصَّلَ بتوسطها إلى استنباطها^(١) ، والإحاطة بالمعاني المركبة تحتاج إلى الإحاطة بالمعاني البسيطة لِيَتَوَصَّلَ بتوسطها إلى تحقيق إثباتها^(٢) . وكما أن القوة الحسيّة عاجزة بطباعها عن استخلاص البسائط الأوائل ، بل تحتاج معها إلى القوة العاقلة ،

(١) في (ب) « أسباب إثباتها » وفي (أ) « إثبات اثباتها » وكلتا المبرتين غير ظاهرة المعنى ؛ ففعل الصواب ما أثبتنا .

(٢) في ب « ما ينالها » وفي (أ) « مسابقتها » وهو تحريف في كتابتها .

وإن قَوِيَتْ لصار العقلُ فَضْلاً — كذلك أيضاً القوَّة العاقلة لا تَقْوَى بذاتها على استثبات المركَّبات إلا من جهة القوة الحسَّاسة ، ولو قَوِيَتْ عليه لصار الحسُّ فَضْلاً [للعاقلة] .

قال : هذا كلامٌ بارِعٌ من صَدْرٍ واسع ، وأحبُّ أن تزيدني من نَمِّله . قلت : وقال أيضاً : الكلُّ مُفْتَقِرٌ إلى الجزئي لا لأن يصير بدَيْمُومَتَه محفوظاً [بل لأن يصيرَ بتوسطه موجوداً ، والجزئي مُفْتَقِرٌ إلى الكلِّ لا لأن يصير بتوسطه موجوداً ، بل لأن يصير بدَيْمُومَتَه محفوظاً] .

وقال : الحالُّ في جميع الشُّبُل — أعني مَسالك الأشياء في تَكُونِها^(١) صناعيَّة كانت أوتديريَّة أو طبعيَّة أو اتفائيَّة — واحدة ، مثاله أن الإنسان وإن أَلْتَذَّ بالستنبان^(٢) فلن يُعَدَّ موسيقاراً إلا إذا تحقَّق بمبادئه الأولى التي هي الطَّينيات وأنصاف الطَّينيات ، وكذلك الإنسان وإن أُسْتَطاب الحُلُو فلن يسمَّى حلوانياً إلا إذا عَرَفَ بسائطه وأسطقساته .

وقال : أَلْعَلُّ لا يحيط بالشَّيء إلا إذا عَرَفَ مبادئه القريبة والبعيدة والمتوسطة . وقال : نتوصَّل إلى كُرِّيَّة القمر بما نراه من أختلاف أشكاله ، أعني أنا نراه في الدَّوْرَةِ الواحدة هلالياً مرَّتين ومنصفاً مرَّتين وبدراً مرَّة واحدة ، وهذه الأشكال وإن كانت متقدِّمة عندنا فإن كونه كُرِّيًّا هو المتقدِّم بالذات . وقال : ما هو أكثر تركيباً فالحسُّ أقوى على إثباته ، وما هو أقلُّ تركيباً

(١) في كلتا النسخين « بالتكون » ، بالباء ؛ والصواب ما أثبتنا كما يظهر لنا .

(٢) في كلتا النسخين « الستنبان » ؛ وهو تحريف صواب ما أثبتنا نقلاً عن كتاب الألفاظ الفارسية المربَّعة ، والستنبان كلمة فارسية مركبة من كلمتين : دستان ، وهو من اصطلاحات أصحاب الموسيقى . وأصل معناه النعمة . وبان ، أى الذى يضرب به ؛ ويقال أيضاً دستانوان ، وهو مرَّبة الأول .

فالعقل أخلص إلى ذاته .

وقال : الأحداث — وهى الذوات الإبداعية — الوقوف على إثباتها يغنى عن البحث عن ماهياتها .

وقال : كل معنى يوجد بوجوده غيره لا يرتفع بارتفاع ذلك الذى هو غيره ، بل يرتفع غيره بارتفاعه ، فإنه أقدم ذاتا من غيره ، مثاله الجنس لا يرتفع بارتفاع واحد من أنواعه ، والأنواع ترتفع بارتفاع الجنس ، وكذلك حال النوع مع الشخص ، فالجنس أقدم من النوع ، والنوع أقدم من الشخص ، وأغنى بالجنس والنوع الطبيعيين لا المنطقيين .

وقال : معرفتنا أولا تتعلق بالأشخاص الجزئية ثم بتوسطها ثبتت الأجناس فإذا المتقدم بالذات غير المتقدم إلينا .

وقال : مسلك العقل فى تعرف المعانى الطبيعية مقابل لمسلك الطبيعة فى إيجادها ، لأن الطبيعة^(١) تتدرج من الكليات البسيطة إلى الجزئيات المركبة ، والعقل يتدرج من الجزئيات المركبة إلى البسائط الكلية .

قال أبو النضر نفيس : إنما كان هذا هكذا لأن الطبيعة متناولة من العقل والعقل مُناول للطبيعة ، فوجب أن يختلف الأمران ، فإن قال قائل : فهلا تم الأمران معاً بواحدٍ منهما ، أعنى الطبيعة أو العقل ؟ فالجواب أن أحدهما فى العلو ، والآخر فى السفلى ، فليس للعالى أن يهبط ، ولا للسافل أن يعلو ؛ فلما كان هذا محالاً توسط بينهما — أعنى العالى والسافل — المناولة والتناول حتى اتصل الأول بالثانى ، وغص الفضاء بينهما بضروب الأفراد والأزواج ، وانتظم

(١) قد سبق ما يفيد هذا المعنى فى أول كلام أبى الحسن العارفى فانظره .

الكل فلم يكن فيه خلل ، ولا دونه مأتى ، ولا وراءه متوهم .
 وقال : الإنسان مركب من الأعضاء الآلية بمنزلة^(١) الرأس واليدين
 والرجلين وغيرها ، ثم كل واحد من هذه الأعضاء مركب من الأعضاء المتشابهة
 الأنواع بمنزلة^(٢) اللحم والعظم والعصب والشریان ، ثم كل واحد من هذه الأعضاء
 مركب من الأخلط الأربعة التي هي الدم والبلغم والمريتان ، ثم كل واحد من
 هذه الأخلط مركب من الأسطقسات الأربع التي هي النار والهواء ، والأرض
 والماء ؛ ثم كل واحد من هذه الأسطقسات مركب من الهيولى والصورة .
 وقال : كما أن لكل عضو قوة تخصه بتدبيرها ، كذلك لجميع البدن قوة
 أخرى ضامنة لتدبيره .

قال : وقال الحكيم في كتاب « السماء »^(٣) : « علة الأنواع والأجناس ودوامها
 هي الفلك المستقيم ، وعلة كون الأشخاص وتجدد حُدُوثها هي الفلك المائل ، فأما
 الكليات المنطقية فإن طبيعتها هي القوة [القياسية المستتبّة لها] عند تكون^(٤) الحس
 على واحد منها . قال أبو النضر نفيس : هذا حكم بالوهم ، ورأى خرج من الظن ؛
 الفلك المستقيم والفلك المائل هما بنوع الوحدة ونسبة الاتفاق^(٥) ، فليس لأحدهما
 اختصاص بالأنواع والأجناس ، ولا بتجدد الأشخاص ، والدليل على هذا أن قائل^(٦)
 لو قلب^(٧) قال به ذلك لم يكن له عنه انفصال . ولرأى زلات ، كما أن للسان فلتات ،

- (١) يلاحظ أن تعبيره هنا بقوله « بمنزلة » في كلا الموضعين اللذين تحت هذا الرقم غير مناسب كما لا يخفى . والصواب أن يقول في كلا الموضعين : « التي هي » الخ .
 (٢) يعنى كتاب « السماء والعالم » لأرسطو .
 (٣) كذا في « ب » . والنسبة في (١) « عند تكرار الحس » .
 (٤) في (ب) : « الاختيار » .
 (٥) في (١) : « أن فلانا ؟ وهو تعريف » .
 (٦) في كلتا النسختين « لو قلت عليه ذلك » وهو تصحيح لا معنى له . وسياق الكلام يقتضى ما أبتناه .

والحكيم^(١) هَفَوَات ، كما أَنَّ الجِوَادَ عَثَرَات ؛ وما أَكْثَرَ من يَسْكُرُ فيقول في سُكْرِه ما لا يَعْرِف ، وما أَكْثَرَ من يَفْرُقُ^(٢) في النوم فيَهْدِي بما لا يدري ، ومن الذي حَقَّقَ عنده أَنَّ الفَلَكَ المستقيم هذا نَعْتُهُ ، والفَلَكَ المائلُ تلك صِفَتُهُ ؛ هذا توهمٌ وتلفيقٌ ، لا يَرْجِعُ مُدَّعِيَهُ إلى تحقيقٍ ، وقَوْلُ أبي الحسن هذا عن الحكيم تقليدٌ ، كما أَنَّ دَعْوَى ذاك الحكيم توهمٌ ، وَتَحْبَةُ الرُّجَالِ للرُّجَالِ فتنةٌ حَامِلَةٌ على قبول الباطل ، وَبُغْضُ الرُّجَالِ للرُّجَالِ فتنةٌ حَامِلَةٌ على رَدِّ الحقِّ ؛ وهذا أمرٌ قد طَالَ منه الضَّجيجُ ، وفُزِعَ إلى الله منه بالتَضَرُّعِ .

قال أبو الحسن : الموجود له حقيقةٌ واحدةٌ لا تُدْرِكُ إِلَّا عَقْلاً ، وليس له مَبْدَأٌ ، ولو كان له مَبْدَأٌ لَشَارَكَهُ المَبْدَأُ في طبيعة الوجود ، وليس بِمُتَحَرِّكٍ لَّأنَّهُ لا مُقَابِلَ لَهُ فيَتَحَرَّكُ إِلَيْهِ .

وقال أبو النضر نفيس : عَنَى بهذا الموجود الحقُّ الأوَّلُ الَّذِي هو عِلَّةُ الْعِلَلِ ، وهو الباريُّ الإلهُ ، وما أَنْصَفَ ، لَّأنَّهُ يجبُ أَنْ يَقْسِمَ الموجودَ بِأَنصافِهِ ، وَيَصِفَ مرتبةَ كُلِّ موجودٍ على ما هِيَ عليه وعلى ما هُوَ به حتى يَنْتَهِيَ [مِنْ] هذا الموجود^(٣) الأَعْلَى إلى آخر الموجودِ الأَسْفَلِ ، أو يَصِفَ الموجودَ الأَسْفَلِ حتى يَرْتَقِيَ إلى هذا الموجودِ الأَعْلَى ، فَإِنَّهُ لا شَيْءَ مِمَّا يَتَقَلَّلُ وَيُحْسَنُ إِلَّا وَلَهُ مِنْ هَذَا الوجودِ نصيبٌ به أَسْتَحَقُّ أَنْ يَكُونَ موجوداً ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ النِّصَبُ قَلِيلاً .

وقال : قد يوصفُ الشَّيْءُ بِأَنَّهُ واحدٌ بالمعنى وهو كثيرٌ بالأسماء ، ويوصفُ بِأَنَّهُ واحدٌ بالاسم وهو كثيرٌ بالمعنى ، ويوصفُ بِأَنَّهُ واحدٌ بالجنس وهو كثيرٌ بالأنواع ،

(١) كذا في ب والذى في (١) « وكما أن للحكيم » ؛ وهو تحريف .

(٢) في (١) « يعرف » ؛ وهو تصحيف .

(٣) عبارة (ب) : « حتى ينتهي من هذا الموجود إلى آخر الموجود الأعلى » ؛ وهي غير مستقيمة .

ويوصف بأنه واحد بالنوع وهو كثير بالشخص ، ويوصف بأنه واحد بالأصل وهو كثير بالأجزاء ، وقد نقول في شيء : إنه واحد بالموضوع وهو كثير بالحدود ، كالتفاحة الواحدة التي يوجد فيها اللون والطعم والرائحة ، وقد يكون واحداً في الحد وكثيراً في الموضوع ، كالبياض الذي يوجد في الثلج والقطن والإسفيداج ، وقد يكون كثيراً بالحد والموضوع كالعلم والحركة ، فإن موضوع هذا الجسم ، وموضوع ذاك النفس ، وحد أحدهما غير حد الآخر ، وقد يكون واحداً بالموضوع والحد بمنزلة السيف والضمصام ؛ وقد نقول أشياء تكون واحدة بالفعل ، وهي بالقوة كثيرة ، كالسراج الواحد ؛ فأما أن يكون واحداً بالقوة وكثيراً بالفعل من وجه واحد ، فلا يكون ، بل من جهات مختلفة .

قال أبو النضر نفيس : الواحد الذي ينقسم فتشأ منه الكثرة غير الواحد الذي لا ينقسم ، والكثير الذي يتوحد حتى يكون واحداً غير الكثير الذي لا يتوحد ، فالواحد الذي لا ينقسم علة الواحد المنقسم ، والكثير الذي يتوحد هو علة الكثير الذي [لا] يتوحد ، وبالحكمة الإلهية ما كان هكذا حتى يكون الكثير الذي يتوحد في مقابلة الكثير الذي لا يتوحد ، والواحد الذي ينقسم في مقابلة الواحد الذي لا ينقسم ، وهذه المقابلة هي عبارة عن صورة التمام الحاصل لكل ، وليست هي عبارة عن صورة مزاجية لصورة ، أو كثرة غالبية لكثرة ، المستغاث بالله من قصور العبارة عن الغاية ، وتقايس اللفظ عن المراد .

وقال (١) : يُعجبني من جملة الحكم الأمثال التي يضربونها ، والعيون (٢) التي يستخرجونها ، والمعاني التي يقرّبونها . قلت : صدقت ، مثل قول فيلسوف :

(١) وقال ، أي الوزير .

البدن للنفس بمنزلة الدُّكَّان للصانع ، والأعضاء بمنزلة الآلات ، فإذا أنكسرت
آلات الصانع وخُرب الدُّكَّان وانهدم ، فإن الصانع لا يَقْدِر على عمله الذي
كان يَعْمَلُهُ إِلَّا أَنْ يَتَّخِذَ دُكَّانًا آخَرَ ، وآلاتٍ جُددًا آخَرَ .

قال : أحب أن أسمع شيئاً من منشور كلامهم في فنون مختلفة .

قلت : قال فيلسوف : العاقل يَضِلُّ عَقْلُهُ عند محاورَةِ الأحمق . قال
أبوسليمان : هذا صحيح ، ومثاله ^(١) أَنَّ العاقل إذا خاطَبَ العاقلَ فهمَ وإن
أختلفت مرتبتهما في العقل ، فإنهما يَرْجِعَان إلى سِنخ ^(٢) العقل ، وليس كذلك
العاقل إذا خاطَبَ الأحمق ، فإنهما ضِدَّان ، والضدَّ يَهْرُبُ من الضدِّ ؛ وقد
قيل لأبي الهذيل العلاف — وكان مُتَكَلِّمَ زمانه — : إِنَّكَ لَتُنَاطِرُ النِّظَامَ
وَتَدُورُ بَيْنَ كَمَا نَوَاتٍ ، وأحسن ^(٣) أحوالنا إذا حَضَرْنَا أَنْ نَنْصَرِفَ شَاكِينَ فِي
الْقَاطِعِ مِنْ كَمَا وَلِلنَّقِطِ ، ونراك مع هذا يُنَاطِرُكَ زَنْجَوِيَه الحِمَالُ فيَقَطِّعُكَ فِي سَاعَةٍ .
فقال : يا قوم إن النظام معي على جادة واحدة لا ينحرف أحدنا عنها إِلَّا
بَقَدْرِ مَا يَرَاهُ صَاحِبُهُ فَيُذَكِّرُهُ انْحِرَافَهُ ، وَيَحْمِلُهُ عَلَى سَنَنِهِ فَأَمْرُنَا يَقْرُبُ ، وليس
هكذا زنجويوه الحِمَالُ فإنه يبتدىءُ معي بشيء ، ثم يَطْفِرُ إلى شيءٍ بِلَا وَاصِلَةٍ وَلَا
فَاصِلَةٍ ، وَأَبْقَى ، فَيُحْكِمُ عَلَى بِالْأَنْقِطَاعِ ، وَذَاكَ لِعَجْزِي عَنْ رَدِّهِ إِلَى سَنَنِ
الطَّرِيقِ الَّذِي فَارَقْتَنِي آنفًا فِيهِ .

وقال فيلسوف آخر : العادات قاهرات ، فمن أعتاد شيئاً في السِّرِّ فضحه

في العلانية .

(١) كان صواب العبارة أن يقول : « وذلك لأن العاقل » الخ ، إذ لا ينبغي أن الكلام
الآتي تعليل لما سبق لا مثال .

(٢) سنخ العقل : أصله .

(٣) في كلتا النسختين « قال أحسن » الخ وقوله « قال » زيادة من الناسخ .

قال أبو سليمان : وهذا صحيح ، لأن حقيقة العادة في ^(١) الشيء المهود عَوْدُهُ بعد عَوْدِهِ ، فهي — أعنى العادة — بالاستمرار الذي يقهر من اعتاده ، والخلوة حال ، والعلانية حال ، والعادة بمجردانها تهنّج في الحالين ولا تقريّ ؛ ولهذا ما قيل : العادة هي الطبيعة الثانية ؛ كأن الطبيعة عادة ، ولكنها الأولى بالحيّة ^(٢) ؛ والعادة طبيعة ولكنها الأخرى بحسن الاختيار أو بسوء الاختيار .

وقال فيلسوف : ما أكثر من ظنّ أن الفقير هو الذي لا يملك شيئاً كثيراً وهذا فقير من جهة العَرَض ، فأما الفقير الطبيعي فالدّى شهواته كثيرة وإن كان كثير المال ؛ كما أن الغني الطبيعي لا يحتاج إلى شيء وإن كان قليل المال ، أى الدّى ملك نفسه وقمعه شهواته وأحمد لهب إرادته ؛ وقد ظنّ قوم أن الذين منعوا من الشهوات ، ورضوا بالزهد في الدّات ، خانوا الناس وحالوا بينهم وبين حظوظهم ، وحرّموا ما هو لهم ، وصدّوهم عن محبوباتهم ؛ وهذا ظنّ خطأ ، وأى مُراد في هذا للواعظين والمزهدين ، والذين وصّوا وأشفقوا ، وردّعوا عن الخوض في لذات النفوس الغضبيّة والبهيميّة ؟ والله ما كان ذلك منهم إلا على طريق النصيحة والشفقة والإعذار والإنذار ، إلا أن يكون الذين ظنّوا هذا إنما ظنّوه لأنهم رأوا بعض المزهدين راغباً ، وبعض الناصحين غاشاً ، وبعض الآمرين مخالفاً ، وليس العمل على المحتال ، وعلى من آثر الغش في المقال ؛ ولكن المرجع إلى ما يدلّ عليه الحق ، ويشهد له العقل ، ويصحّ فيه البرهان ؛ أترى الفيلسوف غشّ في قوله لأصحابه : إقنعوا بالقوت ، وأنقّوا عن أنفسكم الحاجة ، ليكون لكم قربة إلى الله ، لأن الله غير محتاج ، فكلمّا احتجّتم أكثر كنتم

(١) في كلتا النسختين : « عن الشيء » .

(٢) في كلتا النسختين : « بالجملة » ؛ وهو تحريف .

منه أبعد ، وأهملوا من الشر والأيام ، وأطلبوا من الخير أعظمه ، وأبقاه وأدومته ؛ وأعرفوا الأبد ، وأطلبوا السرمد ، فإن من طلب الأبد ثم وجد بقي على الأبد ، ومن طلب الأمد ثم وجد فنى على الأمد .

الحاجة ذل ، والغنى عز ، والعز ضد الذل ؛ فمن طلب العز في العاجلة فقد طلب الذل وهو لا يدري ، ومن طلب العز في الآجلة فقد وجد العز وهو يدري .

في الحكمة ^(١) أن يقال : اصبر على الذل لتتال العز ، وليس في الحكمة أثبت على العز لتتال الذل ، هذا معكوس .

الليلة الثالثة والعشرون

(١) وكان الوزير رَسَمَ بكتابة لُعم من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأقرئت ذلك في هذه الورقات ، وهي :

قال صلى الله عليه وسلم : « أشد الأعمال ثلاثة : إنصاف الناس من نفسك ، ومواساة الآخر من مالك ، وشكر الله تعالى على كل حال » .

وقال الواقدي : لما غالط خالد بن الوليد عبد الرحمن بن عوف قال النبي صلى الله عليه وسلم — يا خالد : ذروا لي أصحابي ، لو كان لك أخذ ذهباً تنفقه قراريط في سبيل الله لم تدرك غدوة أوروحة من عبد الرحمن .

وقال عليه السلام : « إن أحدم إذا قام إلى الصلاة تبشيش ^(٢) الله إليه ، وإن آخرها أعرض عنه » .

(١) عبارة (ب) : « ويان الجملة أن يقال » .

(٢) التبشيش من افقه تعالى : الرضا والإكرام .

وقال عليه السلام : « إنما فذك^(١) طُعْمَةٌ أَطْعَمْنِيهَا اللَّهُ حَيَاتِي ، ثُمَّ هِيَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ » .

وقال عليه السلام : « الْمُقَوِّمُ قَدْ يَأْتِمُّ وَلَا يَغْرُمُ » .

وقال عليه السلام في دعائه : « اللَّهُمَّ أَتَجَمَّعْ عَلَى الْهُدَى أَمْرُنَا ، وَأَصْلَحْ ذَاتَ بَيْنِنَا ، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا ، وَاجْعَلْ قُلُوبَنَا كَقُلُوبِ خِيَارِنَا ، وَأَهْدِنَا سِوَاءَ السَّبِيلِ وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، وَاصْرِفْ عَنَّا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ، اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَأَرْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا وَمَعَاشِنَا ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَتِكَ ، وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ » .

وقيل له صلى الله عليه وسلم : إِنَّ فُلَانًا أُسْتُشْهِدَ ، فَقَالَ : « كَلَّا ، إِنْ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنَ الْغَنَائِمِ يَوْمَ حُنَيْنٍ اشْتَعَلَتْ عَلَيْهِ نَارًا » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَطْلَعَ مِنْ صُبْرِ^(٢) بَابٍ فَقُقِشَتْ عَيْنُهُ فَهِيَ هَدَرٌ » .

وقال صلى الله عليه وسلم لرجل يذبحُ شاةً : « أَزْهِفْ شَفْرَتَكَ ، فَإِذَا قَرَيْتَ فَارِخَ^(٣) ذَبِيحَتِكَ ، وَدَعَهَا تَحُبُّ وَتَشْغُبُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لِلدَّمِّ وَأَحْلَى لِلْعَظْمِ » .

وقال عليه السلام : « خَيْرُ النَّاسِ الْغَنِيُّ الْخَفِيُّ التَّقِيُّ » .

وقال : « التَّاجِرُ الصَّدُوقُ إِنْ مَاتَ فِي سَفَرِهِ كَانَ شَهِيدًا ، أَوْ فِي حَضَرِهِ كَانَ صَدِيقًا » .

(١) فذك : بلدة بخيبر .

(٢) صبر الباب وغيره بكسر الصاد وضمة : ناحيته وحرفه ؛ والذي في كلتا النسختين « صبير » ولم نجد له معنى يناسب السياق .

(٣) في كلتا النسختين « فَارِخ » ؛ وهو تحريف ؛ وما أثبتناه عن كتب الحديث .

وقال [صلى الله عليه وسلم] : « ظهرُ المؤمنِ مشجَبُهُ ، وبطنُهُ خِزَانَتُهُ ، ورجلُهُ مَطِيئَتُهُ ، وذخيرَتُهُ رَبُّهُ » .

وقال [صلى الله عليه وسلم] : « ما نقصَ مالٌ من صدقةٍ ، فتصدقوا ، ولا عفا رجلٌ عن مظلمةٍ إلا زادَهُ اللهُ عزًّا وجلًّا وعَفْوًا ، فاعفوا ؛ ولا فتحَ رجلٌ على نفسه بابَ مُسْتَلْةٍ إلا فَتَحَ اللهُ عليه سبعينَ بابًا من الفقرِ ، فاستعفوا » .
وقال عليه السلام : « أجودُ الأعمالِ الجودُ في العسرِ ، والقصدُ في العصبِ ، والعفوُ عندَ المقدرة » .

وقال عليه السلام : « إنَّ بينَ مِصْرَاعَيْ بابِ الجَنَّةِ مسيرةَ مائةِ عامٍ ، وليأتينَّ عليه يومٌ وهو كَطَيفِطٍ من الزحامِ » .

وَقَدَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولُ قَوْمٍ مِنْ بَنِي عَامِرٍ يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْمَرْغَى حَوْلَ الْمَدِينَةِ ؛ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّهَا دِيَارٌ لَا تَضِيقُ عَنْ جَارِنَا ، وَإِنْ جَارِنَا لَا يُظْلَمُ فِي دِيَارِنَا ، وَقَدْ أَلْجَأْتُمْ الْآزِمَةَ ^(١) ، فَنَحْنُ نَأْذِنُ لَكُمْ فِي الْمَرْغَى وَنُشْرِكُكُمْ فِي الْمَأْوَى ، عَلَى أَنَّ مَرْحَنَا ^(٢) كَسَرَحِكُمْ ، وَعَانَيْنَا كَعَانِيَكُمْ ^(٣) ، وَلَا تُعِينُوا عَلَيْنَا بَعْدَ الْيَوْمِ ؛ فَقَالَ : لَانَعِينَ عَدُوًّا مَا أَقْنَانِي جَوَارِكُ ، فَإِذَا رَحَلْنَا فَأِنَّمَا هِيَ الْعَرَبُ تَطْلُبُ أَثَارَهَا ، وَتَشْفِي ذُحُولَهَا ؛ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا بَنِي عَامِرٍ ، أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ اللُّؤْمَ كُلَّ اللُّؤْمِ أَنْ تَنْحَاشُوا عِنْدَ الْفَاقَةِ ، وَتَثْبُتُوا عِنْدَ الْعِزَّةِ ، فَقَالَ : وَأَبْيَكُ إِنْ ذَلِكَ لِلُّؤْمِ ، وَلَنْ نَبْغِيكَ غَائِلَةً بَعْدَ الْيَوْمِ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ أَشْهَدُ ، وَأُذِنُ لَهُمْ .
وَسُئِلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَيْفَ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ ؟ فَقَالَ : « فِي شَيْءٍ صَلَاسَةٍ الْجَرَسِ ، ثُمَّ يَنْفَعِمُ » .

(١) الآزمة : الشدة . (٢) السرح : المال السائب .

(٣) كذا وردت هذه الكلمة في كلتا النسختين .

وقد روى ابن الكلبي عن أبيه عن ابن صالح ، عن ابن عباس قال : لما كان يوم بدر ، قال عليّ — عليه السلام — للمقداد : أعطني فرسك أركبه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت تقاتل راجلاً خير منك فارساً . قال : فركه ووتر قوسه ورعى فأصاب أذن الفرس فصدمه ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى أمسك على فيه ، فلما رأى عليّ ضحكك غضب فسل سيفه ، ثم شدد على المشركين ، فقتل ثمانية قبل أن يرجع ، فقال عليّ — صلوات الله عليه — : لو أصابني شرٌّ من هذا كنت أهله حين يقول : «أنت تقاتل راجلاً خير منك فارساً» ، فعصيته .

وقال صلى الله عليه وسلم : «إن أماً عرفت الله وعبدته وطلب رضاه وخالف هواه لحقيق بأن يفوز بالرحمة» .

لما ورد محمد بن مسلمة على عمرو بن العاص من جهة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، صنع عمرو له طعاماً ودعاه إليه ، فأبى محمد ، فقال عمرو : أتحرم طعامي ؟ قال : لا ، ولكني لم أؤمر به . فقال عمرو : لعن الله زماناً عملنا فيه لابن الخطاب ، لقد رأيته وأباه وإني لفي شملة ما توارى أرساغهما ، وإن العاصي بن وائل لفي مقطعات الديباج مززرة^(١) بالذهب . فقال محمد : أما أبوك وأبو عمر فني النار ، وأما أنت فلولاً ما وليت لعمر لأفئيتك معتقلاً^(٢) عنزاً يسرك غزوها^(٣) ويسوءك بكوها^(٤) ، فقال عمرو : الجالس^(٥) أمانة ، فقال محمد : أما ما دام عمر حياً فنعم .

(١) في بعض الروايات «مزورة» بالواو قبل الراء ، أي مزينة .

(٢) في المقد الفريد «مقتعداً» .

(٣) كذا في المقد الفريد ج ١ يريد غزارة لبنا . والذي في الأصل «غروها» ،

وهو تحريف .

(٤) البكاء : قلة اللبن .

(٥) عبارة المقد الفريد «هي عندك بأمانة الله» .

دخل النبي صلى الله عليه وسلم على فاطمة — عليها السلام — يعودها من
هَلَّةٍ ، فبكت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يُبْكِيكِ ؟ فقالت : قِلَّةُ
العَلَمِ ، وشِدَّةُ الشَّغَمِ ، وكثرةُ الهم .

قال عبد الله بن مسعود : شرُّ الأمور محدثاتها ، وشرُّ الفتن غنى الإثم ،
وخيرُ الفتن غنى النفس ، والحمرُ جماعُ الإثم ، والدنيا حباله الشيطان ، والشبابُ
شُعْبَةٌ من الجنون .

قيل له : أقول هذا من تلقائك ؟ قال : لا ، بل من تِلْقَاءِ مَنْ فَرَضَ اللهُ
على طاعته .

وقال أبو ذرٍّ [رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ] : قال [لى] رسول الله — صلى الله عليه —
وسلم — يا أبا ذرٍّ : إني أراك ضعيفا ، وإني أحبُّ لك ما أحبُّ لنفسي ، لا تأمرنَّ
على اثنين ، ولا تولِّنَّ مالَ يتيم .

وقال أبو هريرة : عن النبي — صلى الله عليه وسلم — ستحرصون على
الإمارة ، وستكونُ حَسْرَةً وندامة يومَ القيامة ، فنعمت المُرْضِعة ، وبُئِست الفاطمة .
أبو أمانة يرفعُه ، قال : ما منَ رَجُلٍ يَلِي أمرَ عَشْرَةٍ إِلَّا يُؤْتَى به يومَ القيامةِ
مَغْلُولا أُلْقِيَ العِذل ، أو أوثقَ الجُور

قال العباس للنبي صلى الله عليه وسلم : أَمَرَنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَصِيبُ ^(١) .

قال عبد الله بن عمرو بن العاص : إنَّ رَجُلًا جاء إلى النجاشي فقال له :

(١) كذا وردت هذه العبارة في كلتا النسختين ؛ ولا معنى لقوله هنا « فأصيب » كما أن في
العبارة ناعيا سقط من النسخ ؛ وقد رواها صاحب العقد الفريد كاملة في الجزء الأول ص ٢٤
طبع لجنة التأليف ، فذكر أن العباس رضى الله عنه طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولاية ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عَمْرُو ، تحيها خير من ولاية لا تحصيها .

أَمْرَضَنِي أَلْفَ دِينَارٍ إِلَى أَجَلٍ ، فَقَالَ : مَنْ الْكَفِيلُ بِكَ ؟ فَقَالَ : اللَّهُ . فَأَعْطَاهُ الْأَلْفَ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْأَجَلَ أَرَادَ الرَّدَّ ، فَحَبَسَتْهُ الرِّيحُ ، فَعَمِلَ تَابُوتًا وَجَعَلَ فِيهِ الْأَلْفَ وَغَلَّغَهُ ، وَأَلْقَاهُ فِي الْبَحْرِ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ أَدِّ حِمَالَتَكَ ؛ فَخَرَجَ النَّجَاشِيُّ إِلَى الْبَحْرِ فَرَأَى سَوَادًا ؛ فَقَالَ : ائْتُونِي بِهِ . فَأَتَوْهُ بِالتَّابُوتِ ، فَفَتَحَهُ ، فَإِذَا فِيهِ الْأَلْفُ ، ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ جَمَعَ أَلْفًا بَعْدَ ذَلِكَ ، وَطَابَتِ الرِّيحُ ، وَجَاءَ إِلَى النَّجَاشِيِّ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ؛ فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ : لَا أَقْبَلُهَا مِنْكَ حَتَّى تُخْبِرَنِي بِمَا صَنَعْتَ فِيهَا . فَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي صَنَعَ ؛ فَقَالَ النَّجَاشِيُّ : قَدْ أَدَّى اللَّهُ عَنْكَ ، وَقَدْ بَلَغَتْ الْأَلْفُ فِي التَّابُوتِ ، فَأَمْسِكَ عَلَيْكَ أَلْفَكَ ^(١) .

رَأَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَجُلًا مَعَ آخَرٍ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا الَّذِي مَعَكَ ؟ قَالَ : أَبِي . قَالَ : فَلَا تَمْشِ أَمَامَهُ ، وَلَا تَجْلِسْ قَبْلَهُ ، وَلَا تَدْعُهُ بِاسْمِهِ ، وَلَا تَسْتَسِيبَ ^(٢) لَهُ . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : كَانَ جُرَيْجٌ يَتَعَبَّدُ فِي صَوْمَعَتِهِ ، فَأَتَتْ أُمُّهُ فَقَالَتْ : يَا جُرَيْجُ ، أَنَا أُمُّكَ ، كَلِّمْنِي ؛ فَقَالَ : اللَّهُمَّ أُمِّي وَصَلَاتِي ؛ فَأَخْتَارَ صَلَاتَهُ ، فَرَجَعَتْ ثُمَّ أَتَتْهُ ثَانِيَةً فَقَالَتْ : يَا جُرَيْجُ ، كَلِّمْنِي ، فَصَادَفَتْهُ يُصَلِّي فَقَالَ : اللَّهُمَّ أُمِّي وَصَلَاتِي ، فَأَخْتَارَ صَلَاتَهُ ، ثُمَّ جَاءَتْهُ فَصَادَفَتْهُ يُصَلِّي ، فَقَالَتْ : اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا ابْنِي قَدْ عَقَنِي فَلَمْ يَكَلِّمْنِي فَلَا تُمِيتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ الْمَوْسِمَاتِ ، وَلَوْ دَعَتْ عَلَيْهِ أَنْ يُفَقِّنَ لَفَتَنَ ؛ قَالَ : وَكَانَ رَاعِي ضَأْنٍ يَأْوِي إِلَى دَيْرِهِ ، فَخَرَجَتْ أَمْرَأَةٌ مِنَ الْقَرْيَةِ ، فَوَقَعَ عَلَيْهَا الرَّاعِي ، فَحَمَلَتْ فَوَلَدَتْ غُلَامًا ، فَقِيلَ لَهَا : تَمَنِّ هَذَا ؟ فَقَالَتْ : مِنْ صَاحِبِ هَذِهِ الصَّوْمَعَةِ ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ بِقُفُوسِهِمْ وَمَسَاحِيهِمْ

(١) يلاحظ أن هذه القصة لا تدخل في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي عنون به المؤلف هذا الباب وكذلك بعض القصص الآتية بعد .

(٢) أى لا تترضه للسب بأن تسب أحداً بأية فيسب الآخر أبالك .

فَبَسَرُوا بِهِ ، فَصَادَفُوهُ يَصِلُ ، فَلَمْ يَكَلِّهِمْ ، فَأَخَذُوا يَهْدِمُونَ دِيرَهُ ، فَزَلَّ وَتَبَسَّمَ
وَمَسَحَ رَأْسَ الصَّبِيِّ وَقَالَ : مَنْ أَبُوكَ ؟ قَالَ : أَبِي رَاعِي الضَّأْنِ . فَلَمَّا سَمِعَ
الْقَوْمُ ذَلِكَ رَاعَهُمْ ، وَعَجِبُوا ، وَقَالُوا : نَحْنُ نَبْنِي لَكَ مَا هَدَمْنَا بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ .
قَالَ : لَا ، أَعِيدُوهَا كَمَا كَانَتْ تُرَابًا ؛ ثُمَّ عَادَ .

وقال أبو الدرداء : لَا يُحَافِظُ عَلَى سُبْحَةِ الضُّحَى إِلَّا أَوَّابٌ .

وقال أيضاً : لَيْسَ عَلَى سَارِقِ الْحِمَامِ قَطْعٌ .

وقال : إِذَا اخْتَرْتُمْ أَرْضًا فَلَا تَخْتَارُوا أَرْمِينِيَّةً ، فَإِنَّ فِيهَا قِطْعَةً مِنْ عَذَابِ
اللَّهِ ، يَعْنِي الْبَرْذُ .

أَبُو هُرَيْرَةَ يَرْفَعُهُ : وَيْلٌ لِلْعُرَفَاءِ ، وَيْلٌ لِلْأَمْنَاءِ ، لِيَتَمَيَّنَّ أَقْوَامٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
أَنَّهُمْ كَانُوا مُتَعَلِّقِينَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ يَتَذَبَذَبُونَ مِنَ الثَّرَيَّا ، وَأَنَّهُمْ
لَمْ يَلَوْا عَمَلًا .

قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة : « لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ ،
فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيَتْهَا عَنْ مَسْئَلَةٍ وَكَلْتَ إِلَيْهَا ، وَإِنْ أُعْطِيَتْهَا عَنْ غَيْرِ مَسْئَلَةٍ
أُعِنْتَ عَلَيْهَا » .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَالْأَمِيرُ
رَاعٍ عَلَى النَّاسِ وَهُوَ مَسْئُولٌ أَقَامَ أَمْرَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ ضَيَّعَ ؛ وَالرَّأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِهَا
وَمَا وَلِيَتْ مِنْ زَوْجِهَا ، وَمَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ أَقَامَتْ أَمْرَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ ضَيَّعَتْ ؛ وَالْخَادِمُ
مَسْئُولٌ عَنْ مَالِ سَيِّدِهِ أَقَامَ أَمْرَ اللَّهِ فِيهِ أَمْ ضَيَّعَ » . هَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ عُثْبَةَ عَنْ
نَافِعٍ عَنْ أَبِي عُمَرَ .

قال عياض الأشعري : قَدِمَ أَبُو مُوسَى عَلَى عُمرَ وَمَعَهُ كَاتِبٌ لَهُ ، فَرَفَعَ

حِسَابَهُ ، فَأَعْجَبَ عَمْرُ . وجاء إلى عمر كتاباً ، فقال لأبي موسى : أين كتابك يقرأ هذا الكتاب على الناس ؟ قال : إنه لا يَدْخُلُ المسجد . قال : لم ؟ أَجُنُبٌ هو ؟ قال : إنه نصراني . قال : فَأَتَهَرَّه ، وقال : لا تُدْنِيهِمْ وقد أقصاهم الله ، ولا تُكْرِمْهُمْ وقد أهانهم الله ، ولا تأتمنهم وقد خَوَّنَهُم الله .

قال عبدُ الله بنُ نافع : جاء رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى النَّبِيِّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — يَخْتَصِمَانِ فِي مَوَارِيثَ بَيْنَهُمَا قَدْ دَرَسَتْ لَيْسَ بَيْنَهُمَا بَيِّنَةٌ ، فقال صلى الله عليه وسلم : إنكم لتختصمون إلي وإِنَّمَا [أَنَا بَشَرٌ ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ ، وَإِنَّمَا] أَقْضِي بَيْنَكُمْ عَلَى مَحْوٍ مَا أَسْمَعُ مِنْكُمْ ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِي شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنْ نَارٍ ، يَأْتِي بِهَا إِسْطِطَامًا^(١) فِي عُنُقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . قال : فَبَكَى الرَّجُلَانِ ، وقال كلُّ واحدٍ منهما : حَقِّي لِأَخِي ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : أَمَّا إِذْ قُلْتُمَا هَذَا فَأَذْهَبَا فَاسْتَمِهَا ، وَتَوَخَّيَا الْحَقَّ ، وَلْيَحْلُلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا صَاحِبَهُ . وفي رواية أخرى : اذْهَبَا فَاصْطَلِحَا .

ورَوَى أَنَّ عَبَّاسَ ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — كَتَبَ إِلَى النَّجَاشِيِّ أَصْحَمَةَ : سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيِّمُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ ، فَكَتَبَ النَّجَاشِيُّ : إِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النَّجَاشِيِّ أَصْحَمَةَ بْنُ أَبَجَرَ : سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَبَرَكَاتُهُ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : «الْكَافِرُ خَبٌّ^(٢) صَبٌّ^(٣) ، وَالْمُؤْمِنُ دَعِيبٌ لَعِيبٌ» . وقال رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — : اْعْدِلْ فَإِنَّكَ إِلَى الْآنَ

(١) الإسطام : مسمار النار ، وهي الحديدية التي تسعر بها .

(٢) الخب : الخداع . والضب : الحقد ؛ يريد ذا حقد ؛ ووصفه بالمصدر .

لم تعدل . قال : وَنَيْلِكَ ! إِذَا لَمْ أُعْدِلْ أَنَا فَمَنْ يَتَعَدَّلُ ؟ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الْوَاجِدَ ^(١) يُبَيِّحُ ظَهْرَهُ وَعِرْضَهُ » .

وقال عمر : رَدَّدِ الْخُصُومَ كَيْ يَضْطَلِّحُوا .

وقال عليه السلام : لَا تَخْلِفُوا بِأَيْمَانِكُمْ ، وَمَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ ، وَمَنْ حَلَفَ لَهُ فَلْيَقْبَلْ .

وقال : مَنْ حَلَفَ يَمِينًا كَاذِبَةً يَتَقَطَّعُ بِهَا مَالَ أَمْرِي مُسْلِمًا لِقَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَان .

وقال : مَنْ حَلَفَ يَمِينًا فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَلْيَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ ، وَلْيُكْفَرْ عَنْ يَمِينِهِ .

وقال — عليه السلام — لَا تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ .

حدثنا أبو السائب القاضي مُتَبِّعُ بْنُ عُيَيْدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَرِزُيَّانِ قَالَ : حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْمِقْرِيُّ قَالَ : كَانَ شَرِيكُ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى الْقَضَاءِ بِالْكُوفَةِ ، فَقَضَى عَلَى وَكِيلٍ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُصْعَبٍ بِقَضَاءٍ لَمْ يُوَافِقْ عَبْدَ اللَّهِ ، فَلَقِيَ شَرِيكًَا بِبَغْدَادَ ، فَقَالَ لَهُ : قَضَيْتَ عَلَى وَكِيلِي قَضَاءً لَا يُوَافِقُ الْحَقَّ . قَالَ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : مَنْ لَا تَفْكِرُ . قَالَ : قَدْ نَكِرْتُكَ أَشَدَّ التَّكْيِيرِ . قَالَ : أَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُصْعَبٍ . قَالَ : فَلَا كِبِيرَ وَلَا طَيْبَ . قَالَ : كَيْفَ لَا تَقُولُ هَذَا وَأَنْتَ تَشْتُمُ الشَّيْخَيْنِ . قَالَ : مِنَ الشَّيْخَانِ ؟ قَالَ : أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ . قَالَ : وَاللَّهِ لَا أَشْتُمُ [أَبَاكَ] وَهُوَ دُونَهُمَا ، فَكَيْفَ أَشْتُمُهُمَا وَهِيَ فَوْقُ وَأَنَا دُونَهُمَا ؟ .

(١) الواجد : ذو الوجد ، وهو الغضب . يريد أن الغضب ينسبه حفظ ما يجب عليه حفظه .

وقال عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ الْجُهَنِيُّ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ رَجُلٍ يُؤْتَى الدُّنْيَا وَيُوسَّعَ لَهُ فِيهَا وَهُوَ اللَّهُ عَلَى غَيْرِ مَا يُحِبُّ إِلَّا وَهُوَ مُسْتَدْرَجٌ ، لَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ، فَقَطَّعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ نَآوُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) . قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ : قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا وَهُوَ مُسْتَدْرَجٌ ، مَعْنَاهُ إِلَّا وَهُوَ مُسْتَدْعٍ هَلَكْتَهُ ، مَأْخُذٌ مِنَ الدَّارِجِ ، وَهُوَ الْهَالِكُ ، يُقَالُ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ دَبَّ وَدَرَجَ ، وَيُرَادُ بِدَرَجَ : هَلَكَ ؛ وَبَدَبَ : مَشَى .

وقال سعيد بن عامر بن حُزَيْمٍ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنَّ اللَّهَ أَتْنَاءَ عَلَى خَلْقِهِ يَضُنُّ بِهِمْ عَلَى الْقَتْلِ يُعِيشُهُمْ فِي عَافِيَةٍ ، وَيُمِيتُهُمْ فِي عَافِيَةٍ » .

قال نَاشِرَةُ بْنُ سُمَيٍّ : سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ يَوْمَ الْجَلَابِيَةِ : إِنِّي قَدْ نَزَعْتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ وَأَمَرْتُ أَبَا عُبَيْدَةَ ، فَقَالَ رَجُلٌ : وَاللَّهِ لَقَدْ نَزَعْتَ عَامِلًا أَسْتَعْمَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَعْمَدْتَ سَيْفًا سَلَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَوَضَعْتَ لَوَاءً شَدَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّكَ لَشَابٌّ قَرِيبُ الْقَرَابَةِ ، وَهَذَا الْقَائِلُ هُوَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ حَفْصِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ابْنِ عَمٍّ خَالِدٍ .

قال قَبِيصَةُ بْنُ الْمُخَارِقِ : نَهَى رَسُولُ اللَّهِ عَنْ الطَّرْقِ ^(١) وَالْعِيَانَةِ وَالْخَطِّ .

قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الصَّدَقَةُ عَلَى الْمَسَاكِينِ صَدَقَةٌ ، وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ : صِلَةٌ وَصَدَقَةٌ » .

قَبِيصَةُ بْنُ الْمُخَارِقِ وَزُهَيْرُ بْنُ عَمْرٍو قَالَا : لَمَّا نَزَلَتْ : (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ

(١) يريد بالطرق طرق الحمى وبالخط الخط في الرمل لاستطلاع النيب كما هو معروف .

الأقرين) ، انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رَضْمَةٍ^(١) من جَبَلٍ فعَلَا
أَعْلَاهَا حَجْرًا ، وقال : يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، يَا بَنِي فِهْرٍ ، إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ
رَجُلٍ رَأَى الْقَدُوءَ فَانْطَلَقَ يُرِيدُ أَهْلَهُ ، وَخَشِيَ أَنْ يَسْبِقُوهُ إِلَى أَهْلِهِ ، فَجَعَلَ
يَهْتَفُ وَاصْبَاحًا .

النُّهْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ وَقَبِيصَةُ قَالَا : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — :
« إِنْ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ ، وَلَكِنْ اللَّهُ إِذَا تَجَلَّى
لشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ خَشَعٌ » .

تَزَوَّجَ رَجُلٌ امْرَأَةً فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا ، وَلَمْ يُسَمِّ لَهَا صَدَاقًا ،
فَسُئِلَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ : لَهَا صَدَاقُ إِحْدَى نِسَائِهِ ، لَا وَكَسَ وَلَا شَطَطَ ، وَعَلَيْهَا
الْعِدَّةُ ، وَلَهَا الْمِيرَاثُ . فَقَامَ أَبُو سِنَانٍ فِي رَهْطٍ مِنْ أَشْجَعٍ ، فَقَالُوا : لَقَدْ قَضَى فِيهَا
بِقَضَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَرُوعَ بِنْتِ وَاشِقِ الْأَشْجَعِيَّةِ .

عُقْبَةُ السُّلَمِيُّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — : « إِذَا
تَبَايَعَتِ الْمَغَازِي وَكَثُرَتِ الْفَرَائِمُ وَاسْتَوْتَرَتْ بِالْفَنَائِمِ نَخِيرُ جِهَادِكُمُ الرِّبَاطُ » .

حِبَّانُ الْأَنْصَارِيُّ قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ
حُنَيْنٍ فَأَحَلَّ لَهُمْ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ [كَانَ نَهَاهُمْ عَنْهَا ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ] كَانَ
النَّاسُ يَحْلُلُونَهَا ، [أَحَلَّ لَهُمْ^(٢)] أَكَلَ لَحُومِ الْأَضَاحِيِّ ، وَزِيَارَةَ الْقُبُورِ
وَالْأَوْعِيَةِ^(٣) ، وَنَهَاهُمْ عَنْ بَيْعِ الْمَغَنَمِ حَتَّى يُقْسَمَ ، وَنَهَاهُمْ عَنِ النِّسَاءِ مِنَ السَّبَايَا

(١) الرضمة : الصخرة العظيمة .

(٢) لم ترد هذه العبارة في الأصول .

(٣) في الأصول : « والأدعية » ؛ وهو تحريف . ويريد بالأوعية أسقية النبيذ ، وذلك
أخذًا من قوله صلى الله عليه وسلم في حديث آخر « نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ،
ونهيكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث فأمسكوا ما بدا لكم ، ونهيكم عن النبيذ إلا في سقاء
فاضربوا في الأسقية كلها ، ولا تهربوا مسكرا » رواه مسلم .

أَلَا يُوطَأَنَّ حَتَّى يَضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ ، وَنَهَاهُمْ أَلَّا تَبَاعَ ثَمَرَةٌ حَتَّى يَبْدُو صَلَاحُهَا ، وَيُؤْمَنَ عَلَيْهَا مِنَ الْعَاهَةِ .

وَهَبُ بْنُ حَذِيفَةَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الرَّجُلُ أَحَقُّ بِمَجْلِسِهِ .
حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ قَالَ : لَعَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ .
قَالَ مَالِكُ بْنُ عُبَادَةَ النَّافِقِيُّ : مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ : لَا تُكْثِرْ هَمَّكَ مَا يُقَدَّرُ يَكُنْ ، وَمَا تُرْزَقُ يَأْتِكَ .

خَالِدُ بْنُ عَدِيٍّ الْجَهَنِّيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَنْ بَلَغَهُ مَعْرُوفٌ مِنْ أَخِيهِ مِنْ غَيْرِ مَسْئَلَةٍ وَلَا إِشْرَافٍ نَفْسٍ فَلْيَقْبَلْهُ وَلَا يَرُدَّهُ ، فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقُ سَأَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ .

رَافِعُ بْنُ مَكِيثٍ — أَخُو جُنْدَبِ بْنِ مَكِيثٍ — شَهِدَ الْحُدَيْبِيَّةَ قَالَ :
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « حُسْنُ الْمَلَائِكَةِ ^(١) نَمَازٌ ، وَسُوءُ الْخَلْقِ شَوْمٌ ، وَالصَّدَقَةُ تَدْفَعُ مِثْقَةَ السُّوءِ ، وَالْبِرُّ زِيَادَةٌ فِي الْعُمُرِ .
وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ يَوْمُ زِينَةٍ كَيَوْمِ الْفِطْرِ وَالنَّحْرِ .

خَبَابُ بْنُ الْأَرْتِ ^(٢) — وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ —
قَالَ : إِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى يَوْمًا إِلَى جِدَارٍ كَثِيرِ الْحِجَرَةِ إِنَّمَا ظَهَرَ أَوْ عَصَرَ ، فَلَمَّا صَلَّى خَرَجْتُ إِلَيْهِ عَقْرَبٌ فَلَدَغَتْهُ ؛ فَنَفْسِي عَلَيْهِ ، فَرَقَاهُ النَّاسُ فَأُفَاقَ ، فَقَالَ : « إِنْ اللَّهُ شَفَانِي وَلَيْسَ بِرُقِيَّتِكُمْ » .
قَالَ الْوَزِيرُ : مَا أَحْسَنَ هَذَا الْمَجْلِسَ .

(١) حسن الملائكة ، أى حسن صفة المرء أن يملكهم من ممالكه ومواليه .

(٢) فى الأصل « ابن الأزرق » وهو تحريف .

الليلة الرابعة والعشرون

(١)

وجرى حديث القيل ليلةً فأكثر من حضر وصفه بما لم يكن فيه فائدة
تُعاد ، ولا غريبة تُستفاد ؛ فحكيت : إن العلماء بطباع الحيوان ذكروا أن
القيلة لا تتولد إلا في جزائر البحار الجنوبية ، وتحت مدار بُرج الحمل ؛
والزرافة لا تكون إلا في بلاد الحبشة ، والسنور وغزال السنك لا يكونان إلا
في الصحارى الشرقية الشمالية ؛ وأما الصقور والنسور والبزاة وما شاكلها من الطير
[فإنها] لا تُفرخ إلا في رموس الجبال الشاخقة [والمقاب ^(١)] . والنعام لا تُفرخ
إلا في البرارى والقنار والقنارات . والوطواط والطيطوى ^(٢) وأمثالهما من الطير
لا تُفرخ إلا على سواحل البحار وشطوط الأنهار والبطائح والآجام ؛ والمصافير
والقواخيت وما شاكلها من الطير لا تُفرخ إلا بين الأشجار والدّحال ^(٣)
والقرى والبساتين .

وحدث ابن الأعرابي عن هشام بن سالم — وكان مُسنِّنا من رَهْطِ ذِي
الرَّيْمَةِ — قال : أَكَلْتُ حَيَّةً بَيْضَ مَكَّاءَ ^(٤) فَجَعَلَ الْمَكَّاءُ يَشْرِشِرُ ^(٥) عَلَى

(١) في ب التي قلت عنها هذه الزيادة وحدها : « والمقاب » . ولعل سوابه
ما أمبئنا ، إذ لم نجد المقاب فيها راجعاً من كتب الحيوان . وفي « كتاب حياة الحيوان » أن
من أنواع المقاب ما يأوى إلى الصحارى .

(٢) الطيطوى : طائر لا يفارق الآجام وكثرة اللباه ، لأن هذا الطائر لا يأكل شيئاً
من النبات ولا من اللحوم ، وإنما قوته مما يتولد في شاطئ النياض والآجام من دود التين .
والقدي في (ب) : « والوطوطى » ؛ والوطوطى هي الببغاء ، وهو غير مراد هنا .

(٣) الدّحال : جمع دحل ، وهو ثقب ضيق القم متسع الأسفل حتى يعقب فيه ؛ وربما
ثبت فيه السم .

(٤) المكاء : طائر أبيض يصفر ويصيح في الرياض .

(٥) يشرشر ، أى يرفرف ، كما ذكره السمعاني في حياة الحيوان في الكلام على المكاء .

رأسها ويذنون منها ، حتى إذا فتحت فاهاً تريده وممت به ألقى في فيها حسكة ؛
فأخذت بحلقها حتى ماتت .

وأنشد أبو عمرو الشيباني قول الأسدي :

إن كنت أبصرتني قُلًّا^(١) ومُضْطَلًّا فربما قَتَلَ المَكَّاهُ ثُعْبَانًا

فقال — حرس الله نفسه — من أين للحيوان غير الإنسان هذه القطنة
[وهذه الفضيلة] وهذه الجرأة وهذه الحيلة ؟ قُلتُ : شيخنا أبو سليمان يقول
في هذه الأيام — وقد جرى حديث الحيوان وعجائب أفاعيله — إن الإحساسات
التي للحيوان على أصنافه لها غرضٌ عظيم ، وبذلك الغرض لها تفاوتٌ [عظيم]
ظاهرٌ وخافٍ ، وأفعالٌ معهودة ونادرة ، ولها أخلاقٌ معروفة ، ومعارفٌ موصوفة ؛
ولولا ذلك ما كان يقال : أصولٌ من جمل ، وأغدرٌ من ذئب ، وأروغٌ من
ثعلب ، وأجبنٌ من صقر ، وأجمعٌ من ذرة^(٢) ، وآلفٌ من كلب ، وأهدى من قطاة ،
وأحذرٌ^(٣) من عقق ، وأزهى من غراب ، وأظلم^(٤) من حية . وأشدُّ عداوةً من
عقرب . وأخبثٌ من قرد ، وأحقُّ من حبارى ، وأكذبٌ من فاختة^(٥) ،

(١) في (١) : « مذ أو مضت ظلمًا » ، وهو تحريف . وفي (ب) : « قدا » ، وهو
تحريف أيضا ، إذ لم نجد من معاني القد ما يناسب السياق . والقل من الناس : بضم القاف
الفرد الذي لا أحده . والمضطلم : من الاضطلام ، وهو الاستئصال . فلعله يريد الذي استؤصلت
أهله ونصرأؤه وبقي فردا . (٢) النر : النمل الأحمر الصغير .

(٣) الذي وجدناه في كتاب حياة الحيوان في الأمثال التي قيلت في العقق : ألس من
عقق ، وأحق من عقق ؛ ولم نجد أنه قيل : أحذر من عقق كما هنا ؛ فلعل قوله
« أحذر » بحرف عن أحق . والعقق : طائر على قدر الحمامة ، وهو على شكل الغراب ،
وجناحه أكبر من جناحي الحمامة ، وهو طويل الذنب .

(٤) يقال ذلك للحية لأنها تأتى الجحر الذي لم تحفره بل حفره غيرها فتسكنه .

(٥) الفاختة : من الحمام ذوات الأظواء ، وتوصف بحسن الصوت ، ويصفونها بالكذب
لأنهم يزعمون أنها تقول في صباحها : « هذا أوان الرطب » (بضم الراء) والنخل لم يطلع بعد . قال الشاعر :

أكذب من فاختة تقول وسط الكرب
والطلع لم يبد لها : هنا أوان الرطب

وَالْأُمُّ مِنْ كَلْبٍ عَلَى جِيفَةٍ ، وَأَعْقٌ^(١) مِنْ ضَبٍّ ، وَأَبْرٌ^(٢) مِنْ هِرَّةٍ ، وَأَنْفَرٌ مِنْ ظَلِيمٍ^(٣) ، وَأَجْرَأُ مِنْ لَيْثٍ ، وَأَحَقْدُ مِنْ فِيلٍ ؛ وَعَلَى هَذَا .

قال : وكما أنَّ بين آحاد نوع الإنسان تفاوتاً في الأخلاق ، كذلك بين آحاد نوع الحيوان تفاوتٌ ، وكما أنه يزل بعضُ العقلاء فيركب ما لا يُظنُّ بمثله لعقله ، كذلك يزلُّ وَيَغْطُطُ بعضُ الحَقِيقِياتِ بما لا يُحَسَّبُ أنَّ مثله يَهْتَدِي إليه ، فليس العقلُ بِمُحَاطِرٍ عَلَى صاحبه أَنْ يَنْدَرَّ مِنْهُ ما يكون من الحيوان ، وأصنافُ الحيوان من الناسِ وغيرِ الناسِ تَتَقاسَمُ هذه الأخلاقُ بِضُرُوبِ المزاجِ المختلفةِ في الأزمانِ المتباعدة ، والأماكنِ المتنازحة ، تقاسماً محفوظَ النَّسَبِ بالطبيعة المستولية ، وإن كان ذلك التقاسمُ بِمَجْهُولِ النَّسَبِ لِلْعَمُوضِ الَّذِي يَغْلِبُ عَلَيْهِ ، وإذا عُرِفَ هذا الشرح وما أشبهه تمايزه وضوحاً ، زال التعجُّبُ الناشئُ من جهلِ العِلَّةِ وخفاءِ الأمرِ .

قال : ومن العَجَبِ أَنَا إِذَا قلنا : أروغ من ثعلب ، وأجبنُ من صقر ، وأَحَقْدُ من فيل ، أن هذا الرُّوْغُ وهذا الجُبْنُ وهذا الحِقْدُ في هذه الأصنافِ ليست لتكون^(٤) عُدَّةً لها مع نوع الإنسان ، ولكن لتتعاطى أيضاً بينها ، وتستعملها عند الحاجة إليها ؛ وكما يشبَّه إنسانٌ لآته^(٥) لَصِيٌّ بِالْفَأْرَةِ ، أَوْ بِالْفِيلِ لآته حَقُودٌ ، أَوْ بِالْجَمَلِ لآته صَوُولٌ ، كذلك يُشَبَّه كلُّ صَرْبٍ من الحيوان في فعله وخُلُقِه وما يَظْهَرُ من سِنِّهِ بأنه إنسان .

(١) يقال : أعقَّ من ضب ، لما يقال من أن أشاء تأكل أولادها .

(٢) يقال هذا المثل لأنهم يزعمون أن الهرة تأكل أولادها لشدة حبها لأم .

(٣) الظليم : ذكر النعام .

(٤) في كلتا النسختين ليست تكون والسياق يقتضى زيادة اللام كما أثبتنا .

(٥) في الأصول د بأنه ؛ وهو تحريف .

ويقال للبليد من الناس : كأنه حمار ؛ ويقال للذكي من الخيل : كأنه إنسان ؛ ولولا هذا التمازج في الأصل والجوهر ، والسنيخ والعنصر ، ما كان هذا التشابه في الفرع الظاهر ، والعادة الجارية بالخبر والنظر .

فقال^(١) : هذا كلام لا مزيد عليه .

وقالت العلماء : إن هذا الاعتبار واصل في الحقيقة إلى جنس النبات ، فإن (٢) النخل والموز لا ينبتان إلا في البلدان الدفئة والأرض اللينة التربة ، والجوز والفستق وأمثالهما لا ينبتان إلا في البلدان الباردة [والأرض] الجبلية . والذئب وأم غيلان في الصحارى والتفار ؛ والقصب والصصاف على شطوط الأنهار . قالوا : وهكذا أيضاً وصف الجواهر المعدنية ، كالذهب ، فإنه لا يكون إلا في الأرض الرملية والجبال والاحجار الرخوة . والفضة والنحاس والحديد لا تكون إلا في الأرض الندية والتراب اللين والرطوبات الدهنية ، والأملاح لا تنعقد إلا في الأراضي [والبقاع] السبخة ، والجص والاسفيداج لا يكونان إلا في الأرض الرملية المختلطة ترابها بالحصى ، والزاج لا يكون إلا في التراب الغصص ؛ وقد أحصى بعض من عني بهذا الشأن هذه الأنواع المعدنية فوجدها سبعة أنواع .

وقالوا : من الجواهر المعدنية ما هو صلب لا يذوب إلا بالنار الشديدة ، ولا يكسر إلا بالفأس كالياقوت والعقيق ؛ ومنها ترابي رخو لا يذوب ولكن ينفر^(٣) ، كالمِلح والزاج ، والطلق^(٢) ؛ ومنها مائي رطب ينفر^(٣) من النار

(١) فقال ، أي الوزير .

(٢) الطلق : حجر براق يتشظى إذا دق يتخذ منه مضاي للحمائم بدلاً من الزجاج ، ويحل بأن يجعل في خرقة مع حصوات ويدخل في الماء الفاتر ثم يحرك برفق حتى ينحل ويخرج من الخرقة في الماء ؛ ثم يصفي عنه الماء ، ويشمس ليجف .

(٣) في (١) يفر من النار .

كالزئبق، ومنها هوائى دُفنى تأكله النار، كالكبريت والزرنينخ؛ ومنها نباتى كالترجان، ومنها حيوانى كاللتر، ومنها طلّ مُتَعَقِد، كالعنبر والبادزهر، وذلك أن العنبر إنما هو طلّ يَقَعُ على سطح ماء البحر، ثم ينعقد فى مواضع مخصوصة فى زمانٍ مقدّر؛ وكذلك البادزهر^(١)، فإنه طلّ يَقَعُ على بعض الأحجار، ثم يَرَسَخُ فى خَلَلِهَا، وَيَغِيبُ فيها، وَيَتَعَقِدُ فى بِقَاعٍ مُخْصُوصَةٍ، فى زمانٍ معلوم، وكالترنجبين الذى هو طلّ يَقَعُ على صَرْبٍ من الشوك؛ وكذلك اللك فإنه يَقَعُ على نباتٍ مخصوصٍ يَتَعَقِدُ عليه؛ وكذلك اللتر فإنه طلّ يَرَسَخُ فى أصداف نوعٍ من الحيوان البحرى، ثم يَفْلُظُ ويَجْمَدُ وَيَتَعَقِدُ فيه؛ وكذلك الموميا، وهى طلّ يَرَسَخُ فى صخورٍ هناك ويميرُ ماء ثم يَزِيْزُ من مَسَامٍ ضَيِّقَةٍ وَيَجْمَدُ وَيَتَعَقِدُ^(٢).

والطلّ هو رطوبة هوائية تجمد من برد الليل، وتقع على النبات والشجر والحجر والصخر؛ وعلى هذا القياس جميع الجواهر المعدنية، فإن مادتها إنما هى رطوبات مائية، وأنداء ونحارات تتعقد بطول الوقوع ومر الزمان. وقالت الحكماء الأولون: ها هنا طبيعة تالف طبيعة أخرى، وطبيعة تلاق بطبيعة أخرى، وطبيعة تانس بطبيعة، وطبيعة تتشبه بطبيعة، وعلية

(١) الذى وجدناه فى مفردات ابن البيطار أن البادزهر حجر ينفع من السموم، ومنه الأصفر والأخضر والمنكت والمرب بخضرة وغير ذلك، ومعادنه يبلاد الصين والهند، ولم نجد أنه طل متعقد فى بعض الأحجار كما ذكره المؤلف هنا.

(٢) ذكر ابن البيطار من أنواع الموميا هذا النوع الذى ذكره المؤلف، فذكر أن هذا الاسم يقال على حجارة تكون بصنماء البين سود، وفيها أدنى تجويف، وهى لى الحفة تكسر فيوجد فى ذلك التجويف شيء سيال أسود، وتقل هذه الحجارة إذا كسرت فى الزيت فتتدف جميع ما فيها من تلك الرطوبة السوداء السيالة، كما ذكر أنواعا أخرى من الموميا فانظرها ثم.

تَقَهَّرُ طَبِيعَةٌ ، وَطَبِيعَةٌ تُخْبِثُ مَعَ طَبِيعَةٍ ، وَطَبِيعَةٌ تَطِيبُ مَعَ طَبِيعَةٍ ، وَطَبِيعَةٌ تُفْسِدُ طَبِيعَةً ، وَطَبِيعَةٌ تُعَمِّرُ طَبِيعَةً ، وَطَبِيعَةٌ تُبَيِّضُ طَبِيعَةً ، وَطَبِيعَةٌ تَهْرُبُ مِنْ طَبِيعَةٍ ، وَطَبِيعَةٌ تُبْغِضُ طَبِيعَةً ، وَطَبِيعَةٌ تُمَارِجُ طَبِيعَةً .

فَأَمَّا الطَّبِيعَةُ الَّتِي تَأْلَفُ طَبِيعَةً فَمِثْلُ الْمَاسِ فَإِنَّهُ إِذَا قَرُبَ مِنَ الذَّهَبِ لَزِقَ بِهِ وَأَمْسَكَهُ ، وَيَقَالُ : لَا يَوْجَدُ الْمَاسُ إِلَّا فِي مَعْدِنِ الذَّهَبِ فِي بِلَادِهِ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَشْرِقِ .

وَمِثْلُ طَبِيعَةِ الْمَغْنَاطِيسِ فِي الْحَدِيدِ ، فَإِنَّ هَذَيْنِ الْحَجَرَيْنِ يَابِسَانِ صُلْبَانِ ، وَبَيْنَ طَبِيعَتَيْهِمَا أُلْفَةٌ ، فَإِذَا قَرُبَ الْحَدِيدُ مِنْ هَذَا الْحَجَرِ حَتَّى يَشُمَّ رَائِحَتَهُ ذَهَبَ إِلَيْهِ وَالتَّصَقَّ بِهِ وَجَذَبَ الْحَدِيدَ إِلَى نَفْسِهِ وَأَمْسَكَهُ كَمَا يَقَعُّ الْعَاشِقُ بِالْمَعشُوقِ . وَكَذَلِكَ يَقَعُّ الْحَجَرُ الْجَاذِبُ لِلْحَزْزِ^(١) وَالْحَجَرُ الْجَاذِبُ لِلشَّعْرِ ، وَالْجَاذِبُ لِلتَّبَنِ ؛ وَعَلَى هَذَا الْمَثَالِ مَا مِنْ حَجَرٍ مِنْ أَحْجَارِ الْمَعْدِنِ إِلَّا وَبَيْنَ طَبِيعَتِهِ وَبَيْنَ طَبِيعَةٍ شَيْءٌ آخَرَ أَلْفٌ وَاشْتِيَاقٌ ، عُرِفَ ذَلِكَ أَوْ لَمْ يُعْرَفْ ؛ وَمِثْلُ هَذَا مَا يَكُونُ بَيْنَ الدَّوَاءِ وَالْعُضْوِ الْعَلِيلِ ، وَذَلِكَ أَنَّ مِنْ خَاصَّةِ كُلِّ عَضْوٍ عِلِيلٍ اشْتِيَاقُهُ إِلَى طَبِيعَةِ الدَّوَاءِ الَّتِي هِيَ ضِدُّ طَبِيعَةِ الْعِلَّةِ الَّتِي بِهِ ، فَإِذَا حَصَلَ الدَّوَاءُ بِالْقُرْبِ مِنَ الْعُضْوِ الْعَلِيلِ وَأَحْسَّ بِهِ جَذْبَتَهُ الْقُوَّةَ الْجَاذِبَةَ إِلَى ذَلِكَ الْعُضْوِ وَأَمْسَكَتْ الْمَمْسِكَةُ وَأَسْتَعَانَتْ بِالْقُوَّةِ الْمُدْبِرَةِ لَطَبِيعَةِ الدَّوَاءِ عَلَى دَفْعِ الطَّبِيعَةِ الْمُؤَلِّفَةِ لِلْعِلَّةِ وَقَوِيَّتْ عَلَيْهَا وَدَفَعَتْهَا عَنِ الْعُضْوِ الْعَلِيلِ كَمَا يَسْتَعِينُ وَيُدْفَعُ الْمُحَارِبُ وَالْخَاصِمُ بِقُوَّةٍ مِنْ يُعِينُهُ عَلَى خَصْمِهِ وَعَدُوِّهِ وَيُدْفَعُهُ عَنْ نَفْسِهِ ؛ وَأَمَّا الطَّبِيعَةُ الَّتِي تَقَهَّرُ طَبِيعَةً أُخْرَى فَمِثْلُ طَبِيعَةِ الشَّنْبَادِجِ^(٢) الَّتِي يَأْكُلُ الْأَحْجَارَ عِنْدَ الْحَكِّ

(١) فِي كَلَامِ الْأَصْلَيْنِ « لَعَمْرُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) الشَّنْبَادِجُ حَجَرٌ يَجْلُو بِهِ الصَّيْقَلُ السُّيُوفَ ، وَتَحْمِلُ بِهِ الْأَسْتَانَ ، هُوَ حَجَرٌ كَأَنَّهُ مَجْتَمِعٌ

مِنْ رَمْلِ خَشَنٍ .

أَكْلًا وَيُلِينُهَا وَيَجْعَلُهَا مَلْسَاءَ . ومثل طبيعة الأَشْرَبِ الوَسَخِ في الماسِ القاهرِ لسائرِ الأحجارِ الصُّلْبَةِ ، وذلكَ أَنَّ الماسَ لَا يَقْهَرُهُ شَيْءٌ مِنَ الأحجارِ ، وهو قاهرٌ لها كُلِّهَا ، ولو تُرِكَ عَلَى السُّنْدَانِ وطُرِقَ بِالْمِطْرَقَةِ لَدَخَلَ فِي أَحَدِهَا وَلَمْ يَنْفَكِرْ ، وإنْ جَعَلَ بَيْنَ صَفِيحَتَيْنِ مِنْ أَشْرَبٍ ^(١) وَضُمَّتَا عَلَيْهِ تَفَقَّتْ ؛ وَمِثْلُ طَبِيعَةِ الزُّبُقِ الطَّيَارِ الرَّطْبِ القَلِيلِ الصَّبْرِ عَلَى حَرَارَةِ النَّارِ ، إِذَا طُلِيَ بِهِ الْأَحْجَارُ المَعْدِنِيَّةُ الصُّلْبَةُ مِثْلُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنَّحَاسِ وَالْحَدِيدِ أَوْ هَنَآهَا وَأَرْخَاهَا حَتَّى يُمْكِنَ أَنْ تُنْكَسَرَ بِأَهْوَنِ سَعْيٍ ؛ وَتَتَفَقَّتْ قِطْعًا .

وَمِثْلُ الْكِبْرِيتِ الْمُتَنِّينِ الرَّائِحَةِ الْمَسْوُودِ لِلْأَحْجَارِ النَّيِّرَةِ الْبَرَّاقَةِ ، الْمَذْهِبِ لَأَلْوَانِهَا وَأَصْبَاغِهَا ، يُمْكِنُ النَّارُ مِنْهَا حَتَّى تَحْتَرِقَ فِي أَسْرَعَ مَدَّةٍ . وَالْعِلَّةُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْكِبْرِيتَ رُطُوبَةٌ دُهْنِيَّةٌ لَزِجَةٌ جَامِدَةٌ ، فَإِذَا أَصَابَتْهُ حَرَارَةُ النَّارِ ذَابَ وَالتَزَقَ بِأَجْسَادِ الْأَحْجَارِ وَمَا زَجَّهَا ، فَإِذَا تَمَكَّنَتِ النَّارُ مِنْهَا احْتَرَقَ وَأُحْرِقَ مَعَهُ تِلْكَ الْأَجْسَادُ يَاقُوتًا كَانَتْ أَوْ ذَهَبًا أَوْ غَيْرَهَا .

وَأَمَّا الطَّبِيعَةُ الَّتِي تَرَسُبُ ^(٢) فِي طَبِيعَةِ أُخْرَى وَتُنِيرُهَا ^(٣) ، فَمِثْلُ النَّوْشَادَرِ الَّذِي يَفُوصُ فِي قَعْرِ الْأَشْيَاءِ وَيَغْسِلُهَا مِنَ الْوَسَخِ .

وَأَمَّا الطَّبِيعَةُ الَّتِي تُعِينُ طَبِيعَةً أُخْرَى فَمِثْلُ الْبُورَقِ الَّذِي يُعِينُ النَّارَ عَلَى سَبْكِ هَذِهِ الْأَحْجَارِ الْمَعْدِنِيَّةِ الدَّائِبَةِ ، وَمِثْلُ الزَّاجَاتِ وَالشُّبُوبِ الَّتِي تَجَلُّوْهَا وَتُنِيرُهَا وَتَصْبُغُهَا ، وَمِثْلُ الْمَغْنِيسِيَا وَالْقَلِيِّ ^(٤) الْمُعِينَيْنِ عَلَى سَبْكِ الرَّمْلِ وَتَعْضِفِيَّتِهِ

(١) الْأَشْرَبُ : الرِّصَاصُ الْأَسْوَدُ .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « تَرِبُ طَبِيعَةٌ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ؛ وَمَا أُبَيِّنْتَاهُ هُوَ مَا يَقْتَضِيهِ سِيَاقُ الْكَلَامِ الْآتِي .

(٣) فِي ب « وَتُنِيرُهَا » . وَفِي (أ) « وَتُدِيرُهَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) الْقَلِيُّ وَيُقَالُ فِيهِ قَلِي كَالْيُ ، هُوَ شَبَّ الْعَصْفَرِ ، وَيَتَّخِذُ مِنْ حَرِيقِ الْحُمْصِ ، وَأَجُودُهُ الْمَتَّخِذُ مِنَ الْحَرَضِ ، وَهُوَ قَلِي الصَّبَاغَيْنِ وَبَقِيَّةُ أَنْوَاعِهِ تَسْتَعْمَلُ فِي صِنَاعَةِ الزَّجَاجِ (ابْنُ الْبَيْطَارِ) .

حتى يكونَ منه زُجاج ؛ وعلى هذا المثال جميعُ الأحجارِ المعدنية .
النارُ هي الحاكمة بين الجواهرِ المعدنية بالحق .

ويقال : من أذَمَنَ الأَكَلَ والشُّرِبَ في أوَانِي النحاسِ أَفْسَدَتْ مزاجه ،
وعَرَضَ له أمراضٌ صعبة ، وإن أُذِنِتْ^(١) أوَانِي النحاسِ من السَّمَكِ
سَمِئَتْ لها رائحةٌ كريهة وإن كُتِبَتْ آنيَةُ النحاسِ على سَمَكٍ مشويٍّ أو
مطبوخٍ بجزائره حَدَثَ منه سُمٌّ قاتل .

القلَمَى^(٢) قريبٌ من الفِضَّةِ في لونه ، ولكن يخالفها في ثلاثِ صفات :
الرائحةِ والرخاوةِ والصَّريِر ، وهذه الآفات دخلت عليه وهو في مقدِّره كما تدخلُ
الآفاتُ على الفلج وهو في بطن أمه ؛ فرخاوته لكثرةِ زَيْبِهِ ، وصريِّره^(٣)
لغلظِ كبريته .

ويقال : إن لونَ الياقوتِ الأصفرَ والذهبِ الإبريزَ ، ولونَ الزعفرانِ وما
شاكلها من الألوانِ المشرقةِ منسوبةٌ إلى نورِ الشمسِ وبريقِ شعاعها ، وكذلك
بياضُ النِّصَّةِ والملحِ والبُلُورِ والقُطُنِ وما شاكله من ألوانِ النباتِ منسوبةٌ إلى
نورِ القمرِ وبريقِ شعاعه ؛ وعلى هذا المثال سائرُ الألوانِ .

وقال أصحابُ النجومِ : السوادُ لِرُحْلِ ، والخُمْرةُ للمَرِيخِ ، والخُضرةُ للمُشْتَرَى ،
والزُّرْقَةُ للزُّهْرَةِ ، والصُّفْرَةُ للشمسِ ، والبياضُ للقَمَرِ ، والتَّلَوْنُ لِعُطَارِدِ .
ويقال : إن العلةَ الفاعلةَ للجواهرِ المعدنية هي الطبيعة ، والعلةُ الطينيةُ

(١) في كلتا النسخين : « أدهنت » ؛ وهو تحريف .

(٢) القلمى ، هو الرصاص الجيد . وفي نسخة « القلى » ؛ وهو تحريف إذ الأوصاف
التي ذكرها المؤلف هنا لا تنطبق على القلى الذي سبق التعريف به في الحاشية رقم ٤ من صفحة
١١٠ من هذا الجزء ، فانظرها ثم .

(٣) لسله : « ورائحته » إذ المعروف أن الكبريت سبب في الرائحة لافي الصرير .
ويلاحظ أنه قد قص التعليل لواحد من الثلاثة المذكورة قبل .

الزَّبَقُ والكَبَرِيتُ ؛ والعِلَّةُ الصُّورِيَّةُ دَوْرَانُ الْأَفْلَاكِ وحركاتُ الكَوَاكِبِ
حَوْلَ الْأَرْكَانِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي هِيَ النَّارُ وَالْهَوَاءُ وَالْمَاءُ وَالْأَرْضُ ؛ والعِلَّةُ التَّامِّيَّةُ
الْمَنَافِعُ الَّتِي يَنَالُهَا الْإِنْسَانُ وَالْحَيَوَانُ .

ويقال : إن الجواهر المعدنية ثلاثة أنواع : منها ما يكون في التُّرابِ والطِّينِ
وَالْأَرْضِ [السَّبِيخَةُ ، وَبِتَمِّ نَضْجِهِ فِي السَّنَةِ وَأَقْلَّ كَالْكِبَارِيتِ وَالْأَمْلَاحِ
وَالشُّبُوبِ وَالزَّاجَاتِ وَمَا شَابِهَهَا] ؛ ومنها ما يكون في قَعْرِ الْبَحَارِ وَقَرَارِ الْمِيَاءِ ،
وَلَا يَتِمُّ نَضْجُهُ إِلَّا فِي السَّنَةِ [أَوْ أَكْثَرَ] كَالدُّرِّ وَالْمَرْجَانِ ، فَإِنْ أَحَدَهُمَا نَبَتَ
وَهُوَ الْمَرْجَانُ ، وَالْآخَرُ حَيَوَانٌ ، وَهُوَ الدُّرُّ .

ومنها ما يكون في وَسْطِ الْحَجَرِ وَكُهُوفِ الْجِبَالِ وَخَلَلِ الرَّمَالِ فَلَا يَتِمُّ
نَضْجُهُ إِلَّا فِي السَّنِينَ ، كَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنَّحَاسِ وَالْحَدِيدِ وَالرَّصَاصِ وَمَا
شَاكَلَهَا ؛ وَمِنْهَا مَا لَا يَتِمُّ نَضْجُهُ إِلَّا فِي عَشْرَاتِ السَّنِينَ ، كَالْيَاقُوتِ وَالزَّبَرَجَدِ
وَالْعَقِيقِ وَمَا شَاكَلَهَا .

(٣) وَقَالَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ الْمَجْلِسَ — وَهُوَ الرَّجُلُ الْفَدْمُ الثَّقِيلُ — : إِنَّ الزَّارِعَ
لَا يَزْرَعُ طَالِبًا لِلْعُشْبِ ، بَلْ قَصْدُهُ لِلْحَبِّ ، وَلَا بَدَّ لِلْعُشْبِ مِنْ أَنْ يَنْبُتَ إِنْ
أَحَبَّ أَوْ كَرِهَ ، فَلِمَ ذَلِكَ ؟ قِيلَ لَهُ : قَدْ يَضَعُ الْمَقْصُودَ مَا لَيْسَ بِمَقْصُودٍ ، مِنْ
حَيْثُ لَا يَتِمُّ الْمَقْصُودُ إِلَّا بِمَا لَيْسَ بِمَقْصُودٍ ، وَالْعُشْبُ هُوَ فَضْلَاتُ الْحَبِّ ، وَبِهِ
صِفَاةُ الْحَبِّ وَتَمَامُهُ ، وَلَوْلَا^(١) الْقُوَّةُ الَّتِي تَصِفِي الْحَبَّ وَتُصَوِّرُهُ بِصُورَتِهِ الْخَاصَّةِ
بِهِ ، وَتَنْفِي كَدَّرَهُ وَتُحَصِّلُ^(٢) صَفْوَهُ لَكَانَ الْعُشْبُ فِي بَدَنِ الْحَبِّ ، وَحِينَئِذٍ
لَا يَكُونُ الْحَبُّ الْمُتَنَفِّعُ بِهِ الْخُصُوصُ بِأَسْمِهِ الْمَعْرُوفُ بَعَيْنِهِ ، بَلْ يَكُونُ شَيْءٌ

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « وَلَوْلَا أَنَّ الْقُوَّةَ » ، وَقَوْلُهُ : « أَنْ » زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَتُحْضِرُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

آخر ؛ فلما تميزت تلك الشوائب التي كانت ملازمة له من أجزاء الأرض والماء وآثار الهواء والنار ، خلص منتفعا به ، مفصودا بعينه ، فوجب بهذا الاعتبار أن يكون الحب بالذات ، والعشب بالعرض .

فقال — أدام الله دولته — هل تعرف الفرق بين الروح والنفس (١) في كلامها ؟ وهل في لفظها من نظمها ونثرها ما يدل على ما بينهما ، أو ما كشيء واحد لحقه أسمان ؟

فكان الجواب : إن الاستعمال يخلط هذا بهذا وهذه بهذا في مواضع كثيرة ، وإذا جاء الاعتبار أفرد^(١) أحدهما من الآخر بالحد والاسم ؛ وعلى هذا اتفق رأي الحكماء ، لأنهم حكّموا بأن الروح جسم لطيف منبث في الجسد على خاص ما له فيه (٢) فأما النفس الناطقة فإنها جوهر إلهي ، وليست في الجسد [على خاص ما له فيه] ولكنها مدبرة للجسد ؛ ولم يكن الإنسان إنسانا بالروح ، بل بالنفس ، ولو كان إنسانا بالروح لم يكن بينه وبين الحمار فرق ، بأن كان له روح ولكن لا نفس له . فأما النفسان الأخريان اللتان هما الشهوية والغضبية فإنهما أشد اتصالا بالروح منهما بالنفس ، وإن كانت النفس الناطقة تدبرهما وتمدّهما وتأمرهما وتنهاهما ؛ فهذا أيضا يوضح الفرق بين الروح والنفس ، فليس كل ذي روح ذا نفس ، ولكن كل ذي نفس ذور روح ؛ وقد وجدنا في كلام العرب مع هذا الفرق بينهما ، فإن [النابغة] قد قال للنعمان بن المنذر :

وأشدكنت نفسي بعد ما طار روحها وألبستني نعمي ولست بشاهد

(١) في كلتا النسختين « قرب » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به السياق .

(٢) في « ب » منه « مكان قوله : « فيه » .

وقال أبو الأسود :

لَعَمْرُكَ مَا حَشَاكَ اللَّهُ رُوحًا بِهِ جَشَعٌ وَلَا نَفْسًا شَرِيرَةً
قال : هذا من الفوائد التي كنتُ أحنُّ إليها ، وأستبَعِدُ الظَّفَرَ بها ، وما
أنفعَ المطَارَحَةَ والمُفَاتِحَةَ وَبَثَّ الشَّكَّ وأُستاحَةَ النَّفْسِ ، فَإِنَّ التَّغَاوُلَ عَمَّا تَمَسُّ^١
إليه الحاجةُ سواه أختيار ، بل سُوهُ توفيق .

وما أحسنَ ما قال بعضُ الحِلَّةِ : تَوَانَيْتُ في أَوَانِ التَّعَلُّمِ عن المسئلة عن
أشياء كانت الحاجةُ تَحْفِزُ إليها والكسلُ يَصُدُّ عنها ، فلما كَبُرَتْ أَفْنِتُ من
ذِكْرِها وعرضها على مَنْ عِلْمُهَا عنده ، فَبَقِيَتِ الجَهَالَةُ في نَفْسِي ، وَرَكَدَتِ
الْوَحْشَةُ بين قَلْبِي وَفِكْرِي .

ثم جَرَى في حديث النفس ذِكْرُ بعضِ العلماءِ فَإِنَّهُ قال : إِنَّ نَفْسَكَ هي
إحدى الأَنْفُسِ الجُزْئِيَّةِ من النفسِ الكَلِّيَّةِ ، لا هي بَعِينُهَا ، ولا منفصلةٌ عنها ،
كما أَنَّ جَسَدَكَ جُزْءٌ من جَسَدِ العَالَمِ لا هو كَلُّهُ ولا منفصلٌ عنه ؛ وقد مرَّ من
أمر النفسِ ما فيه إيضاحٌ تامٌّ وأُسْتَبْصَارٌ واسع ، وإن كان الكلامُ في نعت النفسِ
لا آخِرَ له ، ولا وقوفٌ عنه .

ولو قال قائلٌ : إِنَّ جَسَدَكَ هو كلُّ العَالَمِ لم يكن مُبْطِلًا ، لَأَنَّهُ شَبِيهٌ به ،
ومسلولٌ منه ، وبحقِّ الشَّبهِ يحكيه ، وبحقِّ الأَنسِلالِ يستمدُّ منه ؛ وكذلك النفسُ
الجزئيةُ هي النفسُ الكليةُ ، لأنها أيضاً مُشاكِةٌ لها ، وموجودةٌ بها ، فبحقِّ
الشَّبهِ أيضاً نَحْكِي حَالَهَا^(١) ، وبحقِّ الوجودِ تَبْقَى بقاءها ، فليس بين الجسدِ إذا
أُضيفَ إلى العَالَمِ ، والنفسِ إذا قِيسَتْ بالأُخْرَى فَرَقٌ ، إِلَّا أَنَّ الجَسَدَ معجونٌ

(١) في الأصل « تجد مالها » ولا معنى له ؛ ولعل الصواب ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

من الطينة، والنفس مدبرة بالقوة الإلهية؛ ولهذا أحتيج إلى الإحساس والمواد، وإلى الاقتباس^(١) والالتباس حتى تكون مدة الحياة الحسية بالغة إلى آخرها من ناحية الجسد، ويكون مبدأ الحياة النفسية موصولاً بالأبد بعد الأبد.

فقال — أدام الله سعاده — لو كان ما يمر من هذه الفوائد العرر والرامي الأطاف مرسوماً بسوادٍ على بياض، ومقيّداً بنفطٍ وعبارة، لكان له ربيع وإتاء، وزيادة ونماء.

فكان الجواب إن هذا غير متعذر ولا صعب إن نفس الله في البقاء، ومصرف هذه المعلوم التي تقسم الفكر بالعوارض التي لا تحتسب، والأسباب التي لا تعرف؛ فأما والأشغال على تكاثفها، والزمان على تلوثه فكيف يمكن ذلك؛ والعجب أنه يجري حرف من هذه الأمور الشريفة في هذه الأوقات الضيقة.

- (٥) ولقد قال أبو سليمان أمس: كيف نشاط الوزير — أدام الله سعاده — في شأنه، وكيف كان تقبله لرسالتي إليه، وتلطفي له، وخدمتي لدولته؟ قلت: ما نتم شيء يحتاج إلى الزيادة من فهم ودراية، وبيان وأستبانه، وهشاشة ورفق، وإطلاع وتأن؛ ولكن الوقت مستوعب بالتدبير والنظر، وكف العدو بالمداورة مرة، وبالإحسان مرة. فقال: الله يُبقيه، ويرينا ما نُحِبُّه فيه.
- وقال أيضاً أبو سليمان: كيف لا يكون ما تقلده ثقيلًا، وما تصدّي له عظيمًا، وما يباشره بلسانه وقلبه صعبًا، والأولياء أعداء، والأعداء جهال، والحض عليه من ورائه شديد، ونصيحته غاش، وثقته^(٢) مريب^(٣)، والشغب

(١) في ب « وإلى القياس ». (٢) في (١) ونفيه؛ وهو تحريف.

(٣) في كلنا النسختين « قريب »؛ وهو تحريف.

مَقْصِلٌ ، وَطَلَبُ الْمَالِ ^(١) لَا آخِرَ لَهُ ، وَالْمُضْطَنَعُ مُسْتَزِيدٌ ، وَالْحَرُومُ سَاخِطٌ ، وَالْمَالُ مَمْرُوقٌ ، وَالتَّجْدِيفُ ^(٢) مِنَ الطَّالِبِ وَقَعَ ، وَالتَّحْكُمُ بِالْإِذْلَالِ دَائِمٌ ، وَالْأَسْتِقَالَةُ مِنَ الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ زَائِدَةٌ ، وَالْكَلَامُ لَيْسَ يَنْفَعُ ، وَالتَّدْبِيرُ لَيْسَ يَقْمَعُ ؛ وَالْوَعْدُ هَبَاءٌ مَنثورٌ ، وَالْأَصْلُ مَقْطُوعٌ مَبْتُورٌ ؛ وَالسِّرُّ مَكْشُوفٌ ، وَالْعَلَانِيَةُ فَاضِحَةٌ ؛ وَقَدْ رَكِبَ كُلُّ هَوَاهُ ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِكْرٌ فِي عُقْبَاهُ ؛ وَأَخْتَلَطَ الْمُبْرَمُ ^(٣) بِالسَّحِيلِ ، وَضَاقَ عَلَى السَّالِكِ كُلِّ سَبِيلٍ ؛ وَمَنَابِعُ الْفَسَادِ وَمَنَابِتُ التَّخْلِيطِ كُلُّهَا مِنَ الْحَاشِيَةِ [الَّتِي] لَا تَعْرِفُ نِظَامَ الدَّوْلَةِ وَلَا أَسْتِقَامَةَ الْمَمْلَكَةِ ؟ وَإِنَّمَا سُؤْلُهُ ^(٤) تَعْجِيلُ حَظٍّ وَإِنْ كَانَ نِزْرًا ، وَأَسْتِلَابُ دِرْهَمٍ وَإِنْ كَانَ زَيْفًا ، وَلَعَمْرِي لَيْسَ يَكُونُ الْكَدْرُ إِلَّا بَعْدَ الصَّفْوِ ، كَمَا لَا يَكُونُ الصَّفْوُ إِلَّا بَعْدَ الْكَدْرِ ، هَكَذَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَالنُّورُ وَالظُّلَامُ ، هَذَا يَخْلُفُ هَذَا ، وَهَذَا يَتَلَوُّ هَذَا .

قَالَ : أَعْنَى بِهَذَا أَنَّهُ لَمَّا فَقِدَ الْمَلِكُ السَّعِيدُ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — بِالْأَمْسِ حَدَثَ هَذَا كُلُّهُ ، فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ زَمَّ وَخَطَمَ ، وَجَبَرَ وَخَطَمَ ، وَأَسَا وَجَرَحَ ، وَمَنَعَ وَمَنَعَ ؛ وَأَوْرَدَ وَأَصْدَرَ ، وَأَظْهَرَ وَسَتَرَ ، وَسَهَلَ وَوَعَّرَ ، وَوَعَدَ وَتَوَعَّدَ ، وَأَنْحَسَ وَأَسْعَدَ ، وَوَهَبَ زَمَانَهُ وَحَيَاتَهُ لِهَذَا ، لِأَنَّهُ جَعَلَ لِدَنَّتِهِ فِيهِ ، وَغَايَتَهُ إِلَيْهِ ، وَأَشْتَهَى أَنْ يَطِيرَ صَيْتُهُ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ فَيَسْمَعَ مَلُوكُهَا بِفِطْنَتِهِ وَحَزْمِهِ ، وَتَصْمِيمِهِ وَعَزْمِهِ ، وَجِدَّةِ وَتَشْمِيرِهِ ، وَرِضَاهُ فِي مَوْضِعِ الرِّضَا ، وَسُخْطِهِ فِي وَقْتِ الشُّخْطِ ، وَرَفْعِهِ لِمَنْ يَرْفَعُهُ بِالْحَقِّ ، وَوَضْعِهِ لِمَنْ يَضَعُهُ بِالْوَاجِبِ ؛ يُجْرَى الْأُمُورُ بِسَنَنِ الدِّينِ مَا أَسْتَجَابَتْ ، فَإِنْ عَصَتْ أَخَذَ بِأَحْكَامِ السِّيَاسَةِ الَّتِي هِيَ الدُّنْيَا ، وَلَمَّا كَانَتْ

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « الْمَالِ » .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَالتَّحْرِيفُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالتَّجْدِيفُ : الْكَفْرَانُ بِالنِّعْمَةِ .

(٣) الْمُبْرَمُ : الَّذِي أَحْكَمَ فَتْلَهُ . وَالسَّحِيلُ : ضِدُّهُ .

(٤) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « نَوْهًا » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

الأمور متلبسة بالدين والدنيا لم يَجْزُ للعاقل الخَصِيف ، والدبّر اللطيف أن يُعْمِل التدييرَ فيها من ناحية الدين خَسْب ، ولا من ناحية الدنيا فقط ، لأنّ دائرة الدين إلهية ، ودائرة الدنيا حسّية ، وفي الإحساس أحقادٌ لا بدّ من إطفاء نائرتها ، وصنائعٌ لا بدّ من تربيتها ، وموضوعاتٌ لا بدّ من إشالتها^(١) ومرفوعاتٌ لا بدّ من إزالتها ؛ وتدييراتٌ لا بدّ من إخفائها^(٢) ، وأحوالٌ لا بدّ من إبدائها ، ومقاماتٌ لا بدّ من الصبر على عوارض ما فيها ، وأمورٌ هي مسطورةٌ في كتب السياسات للحكماء لا بدّ من عرفانها والعمل بها والمصير إليها ، والزيادة عليها ؛ فليس الخبر كالعيان ، ولا الشاهد كالغائب ، ولا المتظنون كالمستيقن .

ثم قال : — أعنى أبا سليمان — وهذا كلّهُ منوطٌ بالتوفيق والتأييد اللذين إذا نزلا من السماء واتّصلا بمفرق السانس تضافت أحواله على الصلاح ، وانتشرت على النجاح ؛ وكفى كثيراً من مُهمومه ؛ ثم دعا للوزير بالبقاء التعديد ، والعيش الرغيد والجَدّ السعيد ؛ وأمن الحاضرون على ذلك ، وكانوا جمّاً غفيراً ، لا فائدة في ذكر أسمائهم والإشارة إلى أعيانهم ؛ وكلّهم لما سمعوا هذا الكلام الشريف عجبوا منه ، وعوّذوه وسألوه أن ينظّم لهم رسالةً في السياسة ؛ فقال : قد رسمتُ شيئاً منذ زمان ، وقد شاع وفشا ، وكتبته وحملته في جملة الهدية إلى قابوس بجرّجان ، فهذا — أيها الشيخ — نطأُ أبي سليمان وأنت عنه مشغول ، قد رَضِيتُ بترك النظر في أمره ، وبذلّ الجاه له فيما عاد يشأُنه ، والله ما هذا لسوء عهدك فيه ، ولا لحيلولة نيتك [عنه] ؛ ولكن قلّة حظه منك وإنحاء الزمان على كلّ من يجرى بحراه ، مع عوّز مثله في عصره ؛ وكيف تُتهم بسوء اعتقاد

(١) في كلتا النسختين : « أسالها » ؛ وهو تحريف ، وإشالة المعنى : رفعه .

(٢) في كلتا النسختين : « من إخفائها » ؛ وهو تصحيف .

وَقَلَّةَ حِفَاطٍ ، وَتَوَانٍ عَنْ رِعَايَةِ عَهْدٍ ، وَقِيَامٍ بِحَقِّ ، وَأَنْتَ مِنْ فَرَقِكَ إِلَى قَدَمِكَ
فَضْلٌ وَخَيْرٌ وَجُودٌ وَبِحْدٌ وَإِحْسَانٌ وَكَرَمٌ وَمَعُونَةٌ وَرَفْدٌ وَإِنْعَامٌ وَتَفَقُّدٌ وَتَعَهُدٌ
وَبَذَلٌ وَعُرْفٌ ؛ وَلَوْ كَانَ أَمْرُؤُكَ مِنَ الذَّهَبِ الْمَصْفَى لَكُنْتَهُ [وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ مِنَ
الرُّوحِ الصَّوْفِ لَكُنْتَهُ] ؛ وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ مِنَ الصِّيَاءِ الْحَاطِطِ لَكُنْتَهُ ؛ فَسُبْحَانَ
مَنْ خَلَقَكَ مِزْجًا بِلَا مَزَاجٍ ، وَصَفْوًا بِلَا كَدَرٍ ، وَوَاحِدًا بِلَا ثَانٍ ، لَقَدْ نَفَرَ^(١)
بِكَ الشَّرْقُ عَلَى الْغَرْبِ ، وَسَلَّمَتْ لَكَ بِلا خُصُومَةٍ وَلَا شَعْبٍ ، فَأَدَامَ اللَّهُ لَكَ مَا آتَاكَ
وَأَفَاضَ عَلَيْكَ مِنْ لَدُنْهِ مَا يُنَوِّرُ مَسْعَاكَ ؛ وَبَلَغَكَ السَّعَادَةُ الْعُظْمَى فِي عُقْبَاكَ ،
كَأَنَّكَ السَّعَادَةُ الصُّغْرَى فِي دُنْيَاكَ .

(٦) أَعْرِضْ أَيُّهَا الشَّيْخُ هَذَا الْحَدِيثَ عَلَى مَا تَرَى ، وَالْكَلَامُ ذُو جَيْشَانٍ ،
وَالصَّدْرُ ذُو غَلْيَانٍ ، وَالْقَلَمُ ذُو نَفْيَانٍ^(٢) وَمَتَدَفَّقُهُ لَا يُسْتَطَاعُ رَدُّهُ ؛ وَمُنْتَبِعُهُ
لَا يُقَدَّرُ [عَلَى] تَسْهِيلِهِ ، وَخَطْبُهُ غَرِيبٌ ، وَشَأْنُهُ عَجِيبٌ ؛ وَإِنَّمَا يَعْرِفُ دِقَّةَ
وَجِلَّةٍ مَنْ يَذُوقُ حُلُوهَ وَمُرَّةَ ، وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ ، فَإِنِّي أَذْكُرُكَ أَمْرِي لِتَحْفَظَهُ بِعَيْنِ
الرَّعَايَةِ ، وَأَعْرِضْ عَلَيْكَ حَدِيثِي لِتَحْفَظَهُ فِي صَحِيفَةِ الْعِنَايَةِ ؛ فَلَقَدْ أَمْسَيْتُ بَيْنَ
صَدِيقٍ يَشُقُّ عَلَى حُزْنِهِ لِي ، وَبَيْنَ عَدُوٍّ تَسُوهُنِي شِمَاتُهُ بِي ؛ وَقَدْ صَحَّحْتُ عِنْدِي أَنَّ
إِقْبَالَكَ عَلَى يَسْرٍ ، كَمَا أَنَّ إِعْرَاضَكَ عَنِّي عُسْرٌ ، وَأَرْجِعُ إِلَى تَمَامِ هَذَيْنِ الْجُزْأَيْنِ
وَإِنَّهُ أُخْرَى^(٣) .

(٧) وَأَمَّا حَدِيثُ الزُّهَادِ وَأَصْحَابِ النَّسْكَ ، فَإِنَّهُ كَانَ تَقَدَّمَ بِأَفْرَادٍ جُزْءٍ فِيهِ ،

(١) فِي (ب) « تَحْرِيكٌ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَوَرَدَ هَذَا اللَّفْظُ (أ) مَطْبُوسَ الْحُرُوفِ ؛
وَمَا أَثْبَتْنَاهُ هُوَ مُقْتَضَى السِّيَاقِ .

(٢) النَّفْيَانِ : مَنْ نَفَتِ السَّحَابَةُ الْمَاءَ إِذَا نَحْتَهُ . أَوْ مَنْ نَفَتِ الرِّيحُ التُّرَابَ إِذَا أَطَارَتْهُ .

وَفِي (أ) « نَفْيَانٌ » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ . وَفِي (ب) « رَمْيَانٌ » .

(٣) فِي « ب » وَاجْتِدَاءٌ آخَرٌ .

وقد أثبتته في هذا الموضع ، ولم أحب أن أعزله عن مجلته ، فإن فيه تنبيهاً حسناً ، وإرشاداً مقبولاً ، وكما قصدنا بالهزل الذي أفردنا فيه جزءاً آجماً للنفس قصدنا بهذا الجزء الذي عطفنا عليه إصلاحاً للنفس وتهذيباً للخلق ، واقتداءً بمن سبق إلى الخير واتباعاً لمن قصد النصيح ؛ وشرف الإنسان موقوف على أن يكون فاتحاً ليا ب من أبواب الخير على نفسه وعلى غيره ، فإن لم يكن ذلك فلا أقل [من أن يكون] مقتضياً لأثر من كان فاتحاً قبله ؛ ومن تقاعس عن هذين الأمرين فهو الخاسر الذي جهل قيمة نفسه ، وضل عن غاية حياته ، وحرِمَ التوفيق في إصابة رُشده ؛ والله المستعان .

قال ابن مسعود : لو عرفت البهائم ما عرقت^(١) ما أسكنتم سمينا .
وقال أبو هريرة : اللهم إني أسألك قلباً قاراً ، ورزقاً داراً ، وعملاً ساراً .
وقال بعض السلف : اللهم إني أسألك قلباً شاكراً ، ولساناً ذا كراً ، وبدوّاً صابراً .

وقال صالح بن مسمار : لا أدري أنعمته عليّ فيما بسط لي أفضل ، أم نعمته فيما زوى عني ، لأنه فيما بسط لي أحياني ، وفيما زوى عني حماني ، نظر لي بما يزيد على نظري لنفسى ، وآتاني من عنده أكثر مما عندي .

وقال الله عز وجل — لموسى — عليه السلام : حببني إلى عبادي .
قال : وكيف أحببك ؟ قال : ذكركم آلائي ونعمائي .

وقال شداد بن حكيم لبعض الواعظين : أي شيء تقول إذا جلست على المنبر ؟ قال : أذكركم آلاء الله لي شكروا ، وأذكركم جفائهم ليتوبوا ، وأخبرهم عن إبليس وأعدائه حتى يحذروا .

(١) في رواية : « ما مرقت من الموت ما أسكنتم منها سمينا » .

وقال بعضُ الصَّالحينَ : مَثَلُ الدُّنْيَا ونعيمها كخابيةٍ فيها سُمٌّ وعلى رأسها عَسَلٌ ، فمن رَغِبَ في العَسَلِ سَقِيَ من السُّمِّ ، ومَثَلُ شِدَّةِ الدُّنْيَا كمثلِ خابيةٍ مملوءةٍ من العسلِ وعلى رأسها قَطَرَاتٌ من سُمٍّ ، فمن صَبَرَ على أَكْلِها بَلَغَ إلى العسلِ .

جاء رجلٌ إلى حاتم الزَّاهدِ بنميميةٍ ، قال : يا هذا أَبْطَأْتَ عَنِّي وَجِئْتَ بثلاثِ جنائياتٍ ؛ بَفَضْتَ إلى الحبيبِ ، وشغَلْتَ قلبِي الفارغَ ، وَأَعْلَقْتَ نَفْسَكَ التَّهْمَةَ ، وَأَنْتَ آمِنٌ .

وكان خالد بنُ صَفْوَانَ يقولُ : قَبُولُ قولِ النَّامِ شرٌّ من النِّمِيةِ ، لأنَّ النِّمِيةَ دَلَالَةٌ ، والقَبُولَ إِجَازَةٌ ، وليس من دَلَّ على شيءٍ كمن قَبِلَ وَأَجَازَ .
وقال ابنُ السَّامِكِ الواعظُ : يُدْرِكُ التَّامُّ بنميميته ما لا يُدْرِكُ السَّاحِرُ بسِحره .

وقال معمرُ : ما نَزَلْتُ بعبدٍ نازِلَةٌ فكان مَفْزَعُهُ إلى الله إِلَّا فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ .
وقال عمرُ : ما أَسْأَلُ اللهَ الرِّزْقَ وقد فَرَّغَ مِنْهُ ، وَلَكِنْ أَسْأَلُهُ أَنْ يُبَارِكَ لِي فِيهِ .

وقال مالكُ بنُ دينارٍ : الجُلُوسُ مع الكَلْبِ خَيْرٌ من الجُلُوسِ مع رَفِيقٍ سَوٍ .
وقال أبو هريرة : تَهَادَوْا عِبَادَ اللهِ يَتَجَدَّدَ في قُلُوبِكُمْ الوُدُّ ، وَتَذْهَبَ السَّخِيمَةُ .
وقال حاتمُ : صَاحِبُ الضُّغْنِ غَيْرُ ذِي دِينٍ ، وَالْغَائِبُ ^(١) غَيْرُ ذِي عِبَادَةٍ .
والتَّامُّ غَيْرُ صَدُوقٍ ، وَالْحَاسِدُ غَيْرُ مَنْصُورٍ .

وقال بعضُ السَّلَفِ : مَنْ أَسْتَقَصَى عِيُوبَ النَّاسِ بَقِيَ بِلا أَصْدِقَاءَ .
وقال محمدُ بنُ واسعٍ : يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ مع الْمَرْأَةِ كما يَكُونُ أَهْلُ

(١) يريد بالغائب من يقتات الناس .

الجنون مع الجنون ، يَحْتَمِلُونَ [منه] كلَّ أذى ومَكْرُوه .
 قيل لمالك بن دينار [لو تزوجت ؛ قال : ^(١)] لو أَسْتَطَعْتُ لَطَلَقْتُ
 نفسي .

قال شقيق : اشتريتُ بطيخةً لأُمِّي ، فلما ذاقنها سَخَطَتْ . فقلت : يا أُمِّي ،
 على من تَرُدِّينَ القَضَاءَ وَمَنْ تَلُومِينَ ، أَحَارِثَهَا أَمْ مُشْتَرِيهَا أَمْ خَالِقَهَا ؟ فَأَمَّا حَارِثُهَا
 وَمُشْتَرِيهَا فَالْهَذَا ذَنْبٌ ، فَلَا أَرَاكَ تَلُومِينَ إِلَّا خَالِقَهَا .

ويقال : إِنَّ عَبْدًا حَبَشِيًّا نَاوَلَهُ مَوْلَاهُ [شَيْئًا يَا كُفْلَهُ] ، وقال : أُعْطِنِي
 قِطْعَةً مِنْهُ فَأَعْطَاهُ ، فَلَمَّا أَكَلَهُ وَجَدَهُ مُرًّا ، فقال : يَا غُلَامُ ، كَيْفَ أَكَلْتَ هَذَا
 مَعَ شِدَّةِ مَرَاتِرِهِ . قال : يَا مَوْلَايَ ، قَدْ أَكَلْتُ مِنْ يَدِكَ حُلُومًا كَثِيرًا ، وَلَمْ أُحِبَّ
 أَنْ أُرِيكَ مِنْ نَفْسِي كِرَاهَةً لِمَرَاتِرِهِ .

وأوحى اللهُ تعالى إلى عَزَبِرَ : إِذَا نَزَلَتْ بِكَ بَلِيَّةٌ لَا تَشْكُنِي إِلَى خَلْقِي
 كَمَا لَمْ أَشْكُكَ إِلَى مَلَائِكَتِي عِنْدَ صُعودِ مَسَاوِيكَ إِلَيَّ ، وَإِذَا أَذْنَبْتَ ذَنْبًا فَلَا
 تَنْظُرُ إِلَى صِغَرِهِ ، وَلَكِنْ أَنْظُرْ مِنْ أَهْدِيتهِ ^(٢) إِلَيْهِ .

وقال لقمان : إِنَّ الذَّهَبَ يُجَرَّبُ بِالنَّارِ ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يُجَرَّبُ بِالْبَلَاءِ .
 وقال بعضُ السَّلَفِ : عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ)
 وقال : (إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) . وقال : (أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ
 الْغُرُوفَةَ بِمَا صَبَرُوا) . وقال : (اصْبِرُوا وَصَابِرُوا) . وقال : (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ)
 بِمَا صَبَرْتُمْ) .

(١) هذه التكملة أو ما يفيد معناها ساقطة من كلا الأصلين ؛ والسياق يقتضي إلّاها .

(٢) من أهديته إليه ، يريد الله سبحانه وتعالى . وعبرة الأصل : « من أهداه إليك » ؛

وفيها تحريف ظاهر .

وقال الأوزاعي : المؤمن يُقِلُّ الكلامَ وَيُكثِرُ العملَ . والمُنافِقُ يُكثِرُ الكلامَ وَيُقِلُّ العملَ .

وقال فضيل بن عياض : الخَوْفُ ما دامَ الرجلُ صحيحاً أفضلَ ، فإذا نزل الموتُ فالرجاءُ أفضلُ .

وقال النبي — صلى الله عليه وسلم — إِيَّاكُمْ والخِيَانَةُ ، فإنها بَنَسَتْ البِطَانَةَ ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من رَدَّ عن عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ الله عَنْ وَجْهِهِ لَفَحَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وَرُويَ مِنْ وَفَى شَرٌّ لَقَلَقَهُ وَقَبِيحُهُ وَذَبَذَبَهُ فَقَدْ وَفَى شِرَّةَ الشَّبَابِ (١) .
وقيل لأبن المبارك : إِنَّكَ لَتَحْفَظُ نَفْسَكَ مِنَ الْغِيْبَةِ . قال : لو كنتُ مُغْتَاباً أَحَدًا لَأَغْتَبْتُ وَالِدِي ، لَأَنَّهُمَا أَحَقُّ بِحَسَنَاتِي .

وقال بعضُ الصَّالِحِينَ : لو أَنَّ رَجُلًا تَعَشَّى بِأَلْوَانِ الطَّعَامِ وَقَدْ أَصَابَ مِنَ النِّسَاءِ فِي اللَّيْلِ ، وَرَجُلًا آخَرَ رَأَى رُؤْيَا عَلَى مِثَالِ مَا أَصَابَ الْأَوَّلُ فِي الْيَقَظَةِ ، فَإِذَا مَضَيَا صَارَ الْحَالِمُ وَالْآخِرُ سَوَاءً .

وقال شقيق : مَنْ أَبْصَرَ ثَوَابَ الشَّدَّةِ لَمْ يَتَمَنَّ الْخُرُوجَ مِنْهَا .
وقال شقيق لأصحابه : أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ ، أَنْ يَكُونَ لَكُمْ شَيْءٌ عَلَى الْعِلْمِ ، أَوْ يَكُونَ شَيْءٌ عَلَى الْعِلْمِ عَلَيْكُمْ ؟ فَقَالُوا : بَلْ نَحِبُّ أَنْ يَكُونَ لَنَا عَلَى الْعِلْمِ . فَقَالَ : إِذَا كُنْتُمْ فِي الشَّدَّةِ يَكُونُ لَكُمْ عَلَى اللَّهِ ؛ وَإِذَا كُنْتُمْ فِي النِّعْمَةِ يَكُونُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ .
وقال بعضُ السَّلَفِ : شَتَانِ مَا بَيْنَ عَمَلَيْنِ : عَمَلٍ تَذْهَبُ لَدُنُّهُ وَتَبْقَى تَبِعَتُهُ ، وَعَمَلٍ تَذْهَبُ مَوْتُهُ وَيَبْقَى ذُخْرُهُ .

(١) القلق : اللسان . والقبب : البطن ، والذبذب : معروف .

(٢) في كلتا النسختين « بلا » ؛ وهو تحريف .

وقال الزقاشي في مواعظه : خذوا الذهب من الحجر ، واللؤلؤ من التزبلة .
وقال يحيى بن معاذ : العلم قبل العمل ، والعقل قائد الخير ، والهوى
مركب المعاصي ، والمال داء التكبر .

وقال : من تعلم علم أبي حنيفة فقد تعرض للسلطان ، ومن تعلم النحو
والعربية دله بين الصبيان ، ومن علم علم الزهاد بلغ إلى العرش .

وقال بعض الصالحين : إن العلماء يسقون الناس ، فبعضهم من الفئران
والحياض ، وبعضهم من العيون والقلوب ، وبعضهم من البحار الواسعة .

وقال حاتم : لا تنظر إلى من قال ، ولكن أنظر إلى ما قال .

وقال مالك بن دينار : إني لا أندر أن أعمل بجميع ما أقول .

وقال وهيب بن الورد : مثل عالم الشؤ كمثل الحجر يقع في الساقية فلا هو
يشرب الماء ، ولا يخلل عن الماء فيذهب إلى الشجرة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تأمن غير الدجال أخوف عليكم . قيل :
ومن هو ؟ قال : الأئمة المضلون .

وقال الثوري : نعوذ بالله من فتنة العالم الفاجر ، وفتنة القائد الجاهل .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « سيكون في أمتي علماء فساق ، وقراء جهال » .

وقال الثوري : العلم طيب الدين ، والمال داء ، فإذا رأيت الطيب يجر
الداء إلى نفسه فكيف يعالج غيره .

وقال عيسى بن مريم : ما ينفع الأعمى ضوء الشمس وهو لا يبصرها .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أشد الناس حسرة يوم القيامة عالم علم
الناس ونجوا به ، وأرثه هو بسوء عمله » .

وقال أحمد بن حَرْب : إن منازل الدنيا لا تُقَطَّع بالكلام ، فكيف يُقَطَّع طريقُ الآخرة بالكلام .

وقال أبو مسلم الخولاني : العلماء ثلاثة : رجلٌ عاشَ بعِلْمِهِ وعاشَ به الناسُ ، ورجلٌ عاشَ بعِلْمِهِ ولمَ يَعِشْ به الناسُ ، ورجلٌ عاشَ بعِلْمِهِ الناسُ وهلكَ هو .
وشاورَ رجلٌ محمد بن أسلم فقال : إني أريدُ أن أزُوجَ بنتي ، فَمِمَّنْ أزُوجُ ؟ قال : لا تُزُوجْها عالِمًا مفتونًا ، ولا كاسِبًا^(١) كاذبًا ، ولا عابِدًا شاكًا .

قيل^(٢) : نصَّحَ إبليسُ فقال : إِيَّاكَ والكِبَرُ ، فَإِنِّي تَكَبَّرْتُ فَلُعِنْتُ ؛ وَإِيَّاكَ والحِرْصَ فَإِنَّ أَبَاكَ حَرَصَ عَلَى أَكْلِ الشَّجَرَةِ فَأَخْرَجَ مِنَ الْجَنَّةِ ؛ وَإِيَّاكَ والحَسَدَ فَإِنَّ أَحَدَ بَنِي آدَمَ قَتَلَ أَخَاهُ بِالْحَسَدِ .

ومرَّ حاتمٌ بقومٍ يَكْتُبُونَ الْعِلْمَ فنَظَرَ إِلَيْهِمْ وقال : إن يكن معكم ثلاثةُ أشياءَ لَن تَفْلَحُوا . قالوا : وما هي ؟ قال : هَمٌّ أَمْسٍ ، وَأَعْتَامٌ^(٣) اليوم ، وَخَوْفُ الغَدِ .

وقال ابنُ عمرَ : كان في بني إسرائيل ثلاثةٌ خرجوا في وَجْهِ ، فأخذهم العَطرُ فدخلوا كهفًا ، فوقع حجرٌ عظيمٌ على باب الكهف ، وبقوا في الظلمة وقالوا : لا ينجينا إلا ما علمناه في الرءاء . فقال أحدهم : إني كنتُ راعيًا فأرحتُ وحَلَبْتُ ، وكان لي أبوان وأولاد وامرأةٌ فسقيتُ أولاد الوالدين ثم الأولاد ، فحُتُّ يوماً فوجدتُ أبويَّ قد ناما فلم أوقظهما لحرْمَتِهِمَا ولم أَسْقِ^(٤) الأولادَ ،

(١) هذه الكلمة لم يرد منها في كلا الأصلين غير سين وباء وألف وحرفين مطموسين في أولها ، ولعل الصواب فيها ما أثبتنا .

(٢) ورد في كلا الأصلين « قيل النصيح من إبليس قال إبليس » ؛ ولعل صواب العبارة ما أثبتنا .

(٣) في الأصول : « واغتنام » بالنون ؛ وهو تحريف .

(٤) في (١) : « أفق » ؛ وهو تحريف .

وبقيت قائماً إلى الصبح ؛ فإن كنت يا ربّ قَبِلْتَ هذا مِنِّي فأَجْعَلْ لَنَا فَرَجاً ،
فتحرّك الحَجَرُ ودخل عليهم الضَّوء .

وقال الثاني : إني كنتُ صاحبَ ضياعٍ ، فجاءني رجل بعد ما مَتَعَ النهار ،
وكان لي أَجْرَاءُ يَحْصِدُونَ الزَّرْعَ ، فاستأجرته ، فلما تمَّ عملهم أعطيتهم أجورهم ، فلما
بلغتُ إلى ذلك الرجل أعطيتُه وافيّاً كما أعطيتُ غيره ، فغضبوا وقالوا : تعطيه
مِثْلَ مَا أُعْطِينَا . فأخذتُ تلك الأجرة واشتريتُ بها عَجْوً^(١) ونَمِيّ حتى كَثُرَ
البَقَرُ ؛ فجاء صاحب الأجرة يَطْلُبُ فقلتُ : هذه البَقَرُ كُلُّهَا لك ، فسَلَّمْتُهَا إليه ،
فإن كنت يا ربّ قَبِلْتَ مِنِّي هذا الوفاء ففرِّجْ عَنَّا . فتحرّك الحَجَرُ ودخل منه
ضوءٌ كثير .

وقال الثالث : كانت لي بنتٌ عَمِّ فَرَاوَدْتُهَا ، فَأَبَتْ ، حتى أعطيتها مائة دينار
فلما أردتُ ما أردتُ اضْطَرَبْتُ وارتعدت . فقلتُ لها : مالِكِ ؟ فقالت : إني أخافُ
الله . فتركْتُهَا ورجعتُ عنها ، إلهي فإن كنت قَبِلْتَ ذلك مِنِّي ففرِّجْ عَنَّا . فتحرّك
الحَجَرُ وسَقَطَ عن باب الكهف وخرجوا منه يَمْشُونَ .

وقال حاتم : لو أَذْخَلْتُ السُّوقَ شَيْئاً كَثِيراً لما اشْتَرَى أَحَدٌ التَّهْزُولَ ،
بل يَقْصِدُ السَّمِينَ لِلذَّبْحِ .

وقال يحيى بن معاذ : في القلب عيونٌ يَهْيِجُ مِنْهَا الْخَيْرُ وَالشَّرُّ .

وقال بعض الصالحين في دعائه : اللهم إِنْ أَحَدَنَا لَا يَشَاءُ حَتَّى تَشَاءَ ، فأَجْعَلْ
مَشِيئَتَكَ لِي أَنْ تَشَاءَ مَا يُقَرِّبُنِي إِلَيْكَ ؛ اللهم إِنَّكَ قَدَّرْتَ حَرَكَاتِ الْعَبْدِ ، فلا
يَتَحَرَّكُ شَيْءٌ إِلَّا بِإِذْنِكَ ، فأَجْعَلْ حَرَكَاتِي فِي هَوَاكَ .

(١) العَجْوَلُ والعَجَلُ واحد .

وقال قاسم بن محمد^(١): لَأَنْ يَمِيشَ الرَّجُلُ جَاهِلًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَقُولَ مَا لَا يَعْلَمُ .
وقال الشعبي : لم يكن مجلسٌ أحبَّ إليَّ من هذا المجلس ، ولأنَّ أبعدَ^(٢)
اليوم عن بساطه أحبُّ إليَّ من أن أُحبَسَ فيه .

وقال حاتم : إذا رأيتَ من أخيك عيبًا فإن كتمته عليه فقد خنته ، وإن
قلته لغيره فقد أغبتَه ، وإن واجهته به فقد أوحشته ؛ قيل له : كيف أصنع ؟
قال : تكفى عنه ، وتعرضُ به ، وتجعله في جملة الحديث .

وقال : إذا رأيتَ من أخيك زلةً فاطلبْ لها سبعين وجهًا من العِلَلِ ، فإن
لم تجد فلمْ نفسك .

وقال إبراهيم بن جُنَيْد : إِتَّخِذْ مِرَّ آتَيْنِ ، وانظر في إحداها عيب
نفسِكَ ، وفي الأخرى محاسنَ الناس .

وقال يحيى بن مساذ : الدنيا دارُ خراب ، وأخربُ منها قلبُ من يعمُرُها ،
والآخرة دارُ عمران ، وأعمارُ منها قلبُ من يعمُرُها .

وقال ابن السماك : الدنيا كالمرُوسِ المجلُوة تشوّفتْ لخطاياها وفَتَنَتْ
بغرورها ، فالعيون إليها ناظرة ، والقلوبُ عليها والهة ؛ والنفوس لها عاشقة ، وهي
لأزواجها قاتلة .

وقال بعض العارفين : الدنيا أربعة أشياء : الفرحُ والراحةُ والحلاوةُ
واللذة ؛ فالفرحُ بالقلب . والراحةُ بالبدن ، واللذةُ بالخلق ، والحلاوةُ بالعين .

(١) كذا في (١) والذي في (ب) « محمد بن القاسم » .

(٢) ورد كلام الشعبي هذا في نسخة واحدة دون الأخرى . ويشير إلى فساد العلماء
وأنهم قد أصعبوا لا يرغب في الجلوس إليهم . والذي في النسخة « أقعد اليوم على بساطه » ؛
وهو تحريف .

وقال يحيى بن معاذ : الدنيا خمرُ الشيطان ، فمن سكر منها لم يُفِقْ إلا في مَسْكَنِ النّادمين .

وقال بعض السلف : الزهد خلعُ الراحة ، وبذلُ الجهد ، وقطعُ الأمل .
وقال الأنطاكي أحمد بن عاصم : الزُّهدُ هو الثَّقةُ بالله ، والتبرُّؤُ من الخلق ، والإخلاصُ في العمل ، وأحتمالُ الذُّل .

وقال داود — عليه السلام — في دعائه : يا رازق النّقاب في عُشه .
وقال بعضُ السّلف : لو كنتَ على ذنبِ الرّيح [لم] ^(١) تَفِرَّ مِنْ رِزْقِكَ .
وقال آخر : الإنسان بين رِزْقِهِ وأَجَلِهِ ، إلا أنه مخدوعٌ بِأَمَلِهِ ^(٢) .

وقال عيسى بن مريم عليه السلام : خلَقَكَ ربُّكَ في أربعِ مراتبَ ، فسكنتَ آمناً ساكناً في ثلاث ، وقلقتَ في الرابعة ، أولاهَا في بطنِ أُمِّكَ في ظُلُمَاتٍ ثلاث ، والثانية حينَ أخرجَكَ منه وأخرجَكَ لَكَ لبناً من بينِ فَرْثٍ ودمٍ . والثالثة إذا فُطِمتَ أَطعَمَكَ المَرِيَّ الشَّهِيَّ ، حتى إذا اشتدت عِظَامُكَ وبلغتَ تَمَامَكَ صِرْتَ خائناً وأخذتَ في السَّرِقَةِ والحيلة .

وقال أنس : رأيتُ طائراً أَكُمَهُ فَتَحَ فَأُجِئَتْ جَرَادَةٌ فَدَخَلَتْ قَمَهُ .
وقال عيسى — عليه السلام — يا ابنَ آدمِ اعتَبِرْ رِزْقَكَ بِطَيرِ السَّمَاءِ ، لَا يَزْرَعُنَّ وَلَا يَحْصُدُنَّ وَاللَّهُ السَّمَاءُ يَرْزُقُهُنَّ . فَإِنْ قُلْتَ : لَهَا أَجْنَحَةٌ فَأَعْتَبِرْ بِحُمُرِ الْوَحْشِ وَبَقَرِ الْوَحْشِ مَا أُسْمِنَهَا [وَمَا أُبْشِمَهَا] وَأَبْدَنَهَا !

وقال ابنُ السَّمَّاكِ لو قال العبد : يَا رَبِّ لَا تَرْزُقْنِي لَقَالَ اللَّهُ : بَلْ أَرْزُقُكَ

(١) هذه الكلمة لم ترد في نسخة (١) التي وردت فيها وحدها هذه العبارة .

(٢) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه العبارة : « بعله » . وما أُبْشِمَهَا هو

مقتضى السياق .

على رزغم أنفك ، ليس لك خالقٌ غيري ، ولا رازقٌ سِوَايَ ، إن لم أرزُقمك
فمن يرزُقمك ؟

وقيل لراهب : من أين تأكل ؟ فقال : إن خالقَ الرَّحَى يأتي بالطَّحِينَ .
وقال حاتم : الحمارُ يَعْرِفُ طريقَ التَّعْلَفِ ، والمناقبُ لَا يَعْرِفُ طريقَ السَّيَاءِ .
وقال إبراهيمُ بنُ أدهم : سألتُ راهبًا من أين تأكلُ ؟ قال : ليس هُذَا
الْعِلْمُ عِنْدِي ، ولكن سَلْ رَبِّي من أين يُطْعِمُنِي .

وقال حاتم : مَثَلُ الْمُتَوَكِّلِ مَثَلُ رَجُلٍ أَسْتَدَ ظَهْرَهُ إِلَى جَبَلٍ .
وقال بعضُ الأبرار : حَسْبُكَ مِنَ التَّوَكُّلِ أَلَّا تَطْلُبَ لِنَفْسِكَ نَاصِرًا
غَيْرَهُ ، وَلَا لِرِزْقِكَ خَازِنًا غَيْرَهُ ، وَلَا لِعَمَلِكَ شَاهِدًا غَيْرَهُ .
وقال عبدُ الحميد بنُ عبد العزيز : كَانَ لِأَبِي صَدِيقٍ وَرَاقٌ ، فَقَالَ لَهُ [أَبِي]
يَوْمًا : كَيْفَ أَصْبَحْتَ ؟ قَالَ : بِخَيْرٍ مَا دَامَتْ يَدَيَّ مَعِيَ ، فَأَصْبَحَ الْوَرَّاقُ وَقَدْ
شَكَتْ يَدُهُ .

قال أبو العالية : لَا تَتَّكِلْ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ فَيَكَاكَ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَلَا تَعْمَلْ
لِغَيْرِ اللَّهِ فَيَجْعَلَ ثَوَابَ عَمَلِكَ عَلَيْهِ .

وقال رجلٌ لِأَبِي ذَرٍّ : أَنْتَ أَبُو ذَرٍّ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : لَوْلَا أَنَّكَ رَجُلٌ
سَوْءٌ مَا أَخْرَجْتَ مِنَ الْمَدِينَةِ . فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : بَيْنَ يَدَيَّ عَقَبَةٌ كَوْوَدٌ إِنْ نَجَوْتُ
مِنَهَا لَا يَضُرُّنِي مَا قُلْتَ ، وَإِنْ أَقَعْتُ فِيهَا فَأَنَا شَرٌّ مِمَّا تَقُولُ .

وقيل لفضيل : إِنْ فَلَانًا يَفْعُ فَيْسِكَ . قَالَ : لَا غِيظَنَ مِنْ أَمْرِهِ ^(١) بِذَلِكَ
اللَّهِمَّ أَغْفِرْ لَهُ .

(١) من أمره بذلك ، يريد الشيطان .

وقال رجل لأبي هريرة : أنت أبو هريرة ؟ قال : نعم . قال : سارق الذريرة^(١) ؟ قال : اللهم إن كان كاذباً فأغفر له ، وإن كان صادقاً فأغفر لي ؛ هكذا أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال رجل لأبن مكرم : يا كافر . قال : وجب على الشكر ، حيث لم يخرج ذلك على لساني ، ولم تجب على إقامة الحجة فيه ، وقد طويت قلبي على حيلة^(٢) أشياء : قال : وما هن ؟ قال : إن قلت ألف مرة لا أجيبك مرة ، ولا أحقد عليك ، ولا أشكوك إلى أحد ، وإن نجوت من الله عز وجل بعد هذه الكلمة شفت لك . فتاب الرجل .

كان للحسن جاز نصراني ، وكان له كنيف على السطح ، وقد نعب ذلك في بيته ، وكان يتحلب منه البول في بيت الحسن ، وكان الحسن أمر يأناء فوضع تحته ، فكان يخرج ما يجتمع منه ليلاً ، ومضى على ذلك عشرون سنة ، فمرض الحسن ذات يوم فعاده النصراني ، فرأى ذلك ، فقال : يا أبا سعيد : منذ كرم تحملون مني هذا الأذى ؟ فقال : منذ عشرين سنة . فقطع النصراني زناره وأسلم .

وجاءت جارية لمصور بن مهران بمرقة فهاقها عليه ، فلما أحس بجرحها نظر إليها ، فقالت : يا معلم الخير أذكرك قول الله . قال : وما هو ؟ قالت : (وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظُ) قال : كظمت . قالت : وأذكرك (وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ) قال : قد عفوت . قالت وأذكرك (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) . قال : اذهبي فأنت حرة .

(١) الذريرة : ضرب من الطيب .

(٢) في كلتا النسختين : «خسة» ؛ ولعله محرف عما أثبتنا إذ لم يذكرنا بعد غير أربعة

أشياء ، أو لعل الخامسة قد سقطت من النسخ .

قال الحسن : ما جَزَعَةٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جَزَعَةٍ مُصِيبَةٍ رَدَّهَا صَاحِبُهَا بِصَبْرٍ ،
وَجَزَعَةٍ غَضَبٍ رَدَّهَا صَاحِبُهَا بِحِلْمٍ .

وكان محمد بن النكدر إذا غَضِبَ على غُلَامِهِ يقول : ما أَشْبَهَكَ بِسَيِّدِكَ !
وقال أبو ذرٍّ : كيف يكون حليماً من يَغْضَبُ على حِمَارِهِ وَسَخِلِهِ وَهَرَّةٍ .

ومات ابنُ للرَّشيدِ فَجَزَعَ جَزَعاً شَدِيداً ، فَوَعَفَهِ الْعُلَمَاءُ فَلَمْ يَتَعَطَّ ؛ فَدَخَلَ
مَغْنَتًا وَقَالَ : أَنَا ذَنْ لِي فِي الْكَلَامِ ؟ قَالَ : تَكَلَّمَ . فَكَشَفَ عَنْ رَأْسِهِ وَقَامَ بَيْنَ
يَدَيْهِ ، وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنَا رَجُلٌ ، وَقَدْ تَشَبَّهْتُ بِالنِّسَاءِ كَمَا تَرَى ، فَأَيُّ
شَيْءٍ كُنْتَ تَصْنَعُ لَوْ كَانَ أَبْنُكَ فِي الْأَحْيَاءِ وَكَانَ عَلَى صُورَتِي ، فَأَتَعَطَّ بِهِ
وَأَخْرَجَ النَّوَاحِلَ مِنَ الدَّارِ .

قال وَهْبٌ : مَكْتُوبٌ فِي الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ : إِنْ كُنْتُمْ تَرِيدُونَ رَحْمَتِي
فَارْحَمُوا عِبَادِي .

وقال جعفر بن محمد — عليهما السلام — حُسْنُ الْجَوَارِ عِمَارَةُ الدِّيَارِ
وَمَثَرَةُ الْمَالِ .

ولما قرأ هذا الْجُزْءُ — حَرَسَهُ اللَّهُ — ارتاح وقال : أين نحن من هذه
الطَّرِيقَةِ ، إِلَى اللَّهِ الْمُشْتَكَى .

الليلة الخامسة والعشرون

وقال — أدام الله دولته — ليلةً : أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ كَلَاماً فِي مَرَاتِبِ النِّظَمِ
وَالنَّثَرِ ، وَإِلَى أَيْ حَدِّ يَنْتَهِيَانِ ، وَعَلَى أَيْ شَكْلٍ يَتَفَقَّانِ ، وَأَيُّهُمَا أَجْمَعُ لَافْتَاةٌ ،
وَأَرْجَعُ بِالْعَائِدَةِ ، وَأَدْخُلُ فِي الصَّنَاعَةِ ، وَأَوَّلِي بِالْبَرَّاعَةِ ؟

- (١) فكان الجواب : إنَّ الكلامَ على الكلامِ صَعَبٌ . قال : ولم ؟ قلتُ : لأنَّ الكلامَ على الأمور المعتمدِ فيها على صُورِ الأمور وشُكولها التي تنقسم بين المعقول وبين ما يكون بالحسِّ ممكِنٌ ، وفَضاءُ هَذا مَتَّسِعٌ ، والمجالُ [فيه] مختلفٌ^(١) . فأمَّا الكلامُ على الكلامِ فإنَّه يَدُورُ على نفسه ، ويَلْتَبِسُ بَعْضُهُ بِبَعْضِهِ ؛ ولهذا شَقَّ النَّحْوُ وما أَشَبَّهُ النَّحْوَ من النُّطْقِ ، وكذلك النَّثْرُ والشُّعْرُ وعلى ذلك .

وقد قال الناس في هذين الفَنَّينِ ضروباً من القول لم يَبْغِدُوا فيها من الوَصْفِ الحَسَنِ ، والإنصافِ الحمود ، والتَّنَافُسِ المقبول ، إلَّا ما خالطَهُ من التعصُّبِ والتحكِّ ، لأنَّ صاحبَ هذين الخُلُقَينِ لا يَخْلُو من بعضِ السَّكَابَرَةِ والمُغالَطَةِ وَبَقَدَرِ ذلك^(٢) يَصِيرُ لَهُ^(٣) مَدْخَلٌ فيما يُرادُ تَحْقِيقُهُ من بيانِ الحِجَّةِ أو قُصُورِها^(٤) عما يُرامُ من البُلُوغِ بها ، وهذه آفةٌ مُعْتَرِضةٌ في أمورِ الدِّينِ والدُّنْيَا ، وَلَا مَطْمَعٍ في زَوَالِها ، لأنَّها ناشئةٌ من الطَّبَائِعِ المُخْتَلِفَةِ ، والعاداتِ السَّيِّئَةِ ، اِكْتَنَى^(٥) مع هذه الشُّوْكَةِ الحَادَّةِ ، والخُطَّةِ السَّكَادَةِ^(٦) ؛ أَقولُ ما وَعَيْتُهُ عن أربابِ هَذا الشَّانِ ، والمُنْتَمِينِ^(٧) لَهَذا الفنِّ ، وَإِنْ عَن شَيْءٍ لا يَكُونُ شَكْلًا لَذلك وَصَلْتُهُ بِهِ تَكْمِيلًا لِلشَّرْحِ ، وأُستيعاباً للبابِ ، وَصَمَدًا^(٨) لِلغَايَةِ ، وأَخْذًا بِالْحَيَاظَةِ ، وَإِنْ كَانَ الْمُنْتَهَى مِنْهُ غَيْرَ مَطْمُوعٍ فِيهِ ، وَلَا مَوْضُوعٍ إِلَيْهِ ؛ وَاللَّهُ الْمَعِينُ .

(١) في ب « يمكن » مكان قوله : « يختلف » .

(٢) في كلتا النسختين : « وبذلك القدر » ، وفي كلتا الكلمتين تقديم وتأخير وقعا من الناسخ ، وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا . وبشر « بذلك » إلى ما سبق من السكابرة والمغالطة .
(٣) كذا في ب والذي في (١) يصير ذلك . (٤) في كلتا النسختين « وقصور » .

(٥) في (١) « التي » ؛ وهو تحريف .

(٦) في كلتا النسختين « الكبرى » ؛ وهو تحريف . (٧) في (١) والقيمين بهذا الفن ؛ والمعنى عليه يستقيم أيضاً .
(٨) صمداً للغاية ، أى قصداً إليها .

(٢) قال شيخنا أبو سليمان : الكلام يَنْبَغُ في أوّل مبادئه إمّا مِنْ عَقْوِ البديهة ، وإمّا مِنْ كَدِّ الرّويّة ، وإمّا [أَنْ يَكُونَ] مَرْكَبًا مِنْهُمَا ، وفيه قُوَاهُما بالأكثر والأقلّ ؛ ففضيلة عَقْوِ البديهة أَنَّهُ يَكُونُ أَضْفَى ، وفضيلة كَدِّ الرّويّة أَنَّهُ يَكُونُ أَشْفَى ، وفضيلة المَرْكَبِ مِنْهُمَا أَنَّهُ يَكُونُ أَوفَى ؛ وَعَيْبُ عَقْوِ البديهة أَنَّهُ تَكُونُ صُورَةُ الْعَقْلِ فِيهِ أَقْلٌ ؛ وَعَيْبُ كَدِّ الرّويّة أَنَّهُ تَكُونُ صُورَةُ الْحِسِّ فِيهِ أَقْلٌ^(١) ، وَعَيْبُ المَرْكَبِ مِنْهُمَا بِقَدْرِ قِسْطِهِمَا : الْأَغْلَبِ وَالْأَضْعَفِ ؛ عَلَى أَنَّهُ إِنْ خَلَصَ هَذَا المَرْكَبُ مِنْ شَوَائِبِ التَّكَلُّفِ ، وَشَوَائِبِ التَّمَسُّفِ ، كَانَ بَلِيغًا مَقْبُولًا رَائِعًا حُلُومًا ، تَحْتَضِنُهُ الصُّدُورُ ، وَتَحْتَلِسُهُ الْأَذَانُ ، وَتَنْتَهِيهِ الْجَالِسُ ، وَيَتَنَافَسُ فِيهِ الْمُتَنَافِسُ بِفَسَدِ الْمُتَنَافِسِ ، وَالتَّفَاضُلِ الْوَاقِعِ بَيْنَ الْبُلْغَاءِ فِي النِّظْمِ وَالنَّثْرِ ، إِنَّمَا هُوَ فِي هَذَا المَرْكَبِ الَّذِي يُسَمَّى تَأْلِيْفًا وَرَصْفًا ؛ وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ تَكُونُ صُورَةُ الْعَقْلِ فِي [البديهة] أَوْضَحَ ، وَأَنْ تَكُونُ صُورَةُ الْحِسِّ^(٢) فِي الرّويّة [أَلْوَحَ] إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ مِنْ غَرَائِبِ آثَارِ النَّفْسِ وَنَوَادِرِ أَعْمَالِ الطَّبِيعَةِ ، وَالتَّدَارُ عَلَى الْعَمُودِ الَّذِي سَلَفَ نَشْئُهُ ، وَرَسَا أَصْلُهُ .

(٣) وَسمعتُ أبا عابِدٍ الْكَرْخِيَّ صَالِحَ بْنِ عَلِيٍّ يَقُولُ : النَّثْرُ أَصْلُ الْكَلَامِ ، وَالنِّظْمُ فَرْعُهُ ؛ وَالْأَصْلُ أَشْرَفُ مِنَ الْفَرْعِ ، وَالْفَرْعُ أَنْقَصُ مِنَ الْأَصْلِ ؛ لَكِنْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا زَائِنَاتٌ وَشَائِنَاتٌ ، فَأَمَّا زَائِنَاتُ النَّثْرِ فَهِيَ ظَاهِرَةٌ ، لِأَنَّ جَمِيعَ

(١) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ « أَكْثَرُ » ؛ وَهُوَ غَلَطٌ مِنَ النَّاسِخِ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا هُوَ الْمَعْرُوفُ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الْبَدِيْهِةِ وَالرُّوْيَةِ . أَوَّلُ الصَّوَابِ « الْعَقْلُ » مَكَانَ « الْحِسِّ » مَعَ بَقَاءِ كَلِمَةِ « أَكْثَرُ » .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ « الْعَقْلُ » مَكَانَ « الْحِسِّ » ؛ وَهُوَ خَطَأٌ مِنَ النَّاسِخِ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَفْهَمُ مِنْ سِيَاقِ الْكَلَامِ .

الناس في أوّل كلامهم يَقْصِدُونَ النَّثْرَ ، وإنما يتعرضون للنَّظْمِ في الثاني بداعية عارضة ، وسبب باعث ، وأمر معين .

قال : ومن شَرَفِهِ أيضاً أَنَّ الكُتُبَ القديمة والحديثة النازلة من السماء على ألسنة الرُّسُل بالتأييد الإلهي مع اختلاف اللغات كلها منشورة مَبْسُوطَةٌ ، مُتَبَايِنَةٌ الأوزان ، متباعدة الأبنية ، مختلفة التصاريف ، لا تنقاد للوزن^(١) ، ولا تدخل في الأعارض ؛ هذا^(٢) أمر لا يجوز أن يُقَابَلَهُ ما يَدْحُضُهُ ، أو يُعْتَرَضَ عليه بما يُحَرِّضُهُ^(٣) .

قال : ومن شَرَفِهِ أيضاً أَنَّ الوَحْدَةَ فيه أظهر ، وأثرها فيه أشهر ، والتكلف منه أبعد ، وهو إلى الصفاء أقرب ، ولا توجد الوَحْدَةُ غالباً على شيء إلا كان ذلك دليلاً على حُسْنِ ذلك الشيء وبقائه ، وبهائه ونقائه .

قال : ومن فضيلة النَّثْرِ أيضاً كما أَنَّه إلهي بالوَحْدَةِ ، كذلك هو طبيعي بالتبذأة ، والبدء في الطَّبِيعِيَّاتِ وَحْدَةً ، كما أَنَّ الوَحْدَةَ في الإلهيَّاتِ بَدْءٌ ، وهذا كلامٌ خطير .

قال : ألا تَرَى أَنَّ الإنسان لا يَنْطَلِقُ في أوّل حاله من لَدُنْ طِفْلَوِيَّتِهِ إلى زمانٍ مَدِيدٍ إلا بالمنثور المتبدّد ، والتيسور المتردّد ؛ ولا يُبْلَغُ إلا ذاك ، ولا يُنْغَى إلا بذاك ؛ وليس كذلك المنظوم ، لأنه صناعي ؛ ألا تَرَى أَنَّهُ دَاخِلٌ في حِصَارِ العروض وأسْرِ الوزن وقيدِ التأليف ، مع تَوَقُّي الكَسْرِ ، واحتمال أصناف الزَّحَافِ ، لأنه لما هَبَطَتْ دَرَجَتُهُ عن تلك الرِّبْوَةِ العالية ، دخلته الآفة من كل ناحية .

(١) في كلتا النسختين « لذوق » ؛ وهو تحريف .

(٢) عبارة ب « وهذا الفن » .

(٣) يحرّضه ، أي يفسده . وفي ب « يرحضه » ؛ وهو تحريف .

قال : فإن قيل : إن النظم قد سبق العروض بالذوق ، والذوق طباعى ؛ قيل فى الجواب : الذوق وإن كان طباعياً فإنه مخدوم الفكر ، والفكر مفتاح الصنائع البشرية ، كما أن الإلهام مستخدم للفكر ، والإلهام مفتاح الأمور الإلهية . قال : ومن شرف النثر أيضاً أنه مبرأ من التكلف ، مُنزه عن الضرورة ، غنى عن الاعتذار والافتقار^(١) ، والتقديم والتأخير ، والحذف والتكرير ، وما هو أكثر من هذا مما هو مدون فى كتب القوافى والعروض لأربابها الذين استنفدوا غايتهم فيها .

وقال عيسى الوزير : النثر من قبل العقل ، والنظم من قبل الحس ، وللدخول النظم فى طي الحس دخلت إليه الآفة ، وغلبت عليه الضرورة ، واحتيج إلى الإغضاء عما لا يجوز مثله فى الأصل الذى هو النثر .

وقال ابن طرارة — وكان من فصحاء أهل العصر بالعراق — : النثر كالحررة ، والنظم كالأمّة ، والأمّة قد تكون أحسن وجهاً ، وأدث شاملاً ، وأحلى حركات ؛ إلا أنها لا توصف بكرم جوهر الحرّة ولا بشرف عرقها وعتيق نفسها وفضل حياتها .

وقال : ولشرف النثر قال الله تعالى فى التنزيل : (إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا) ولم يقل : لُؤْلُؤًا مَّنْظُومًا ؛ ونجوم السماء منتثرة وإن كان انتشارها على نظام ، إلا أن نظامها فى حد^(٢) العقل ، وانتثارها فى حد^(٣) الحس ، "لأن الحكمة إذا غطيت نفسها^(٤) كانت الغلبة للصورة القائمة بالقدرة" .

(١) فى كلمتا اللسغتين : « والاعتقاد » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى الأصول « فى بلد » فى كلا الموضعين ؛ ولعل الصواب ما أثبتنا .

(٣) فى كلا الأصلين « فطنت » ؛ وهو تحريف . وورد بمد قوله « بالقدرة » قوله

« أبلغ » وهى زيادة من الناسخ لا مقتضى لها .

وقال أحمد بن محمد كاتب رُكن الدولة : الكلام المنشور أشبه بالوشى ، والمنظوم [أشبه] بالنثر الخطّ ، والوشى يروق ما لا يروق غيره .
ويقال : كُفّا في نثر فلان ، ولا يقال : [كُفّا] في نظام فلان .

وقال ابن هندو الكاتب : إذا نُظِر في النظم والنثر على أَسْتِعَابِ أحوالهما وشرائعهما ، والأطلاع على هَواديهما وتَواليهما كان أن المنظوم فيه نثر من وَجْه ، والمنثور فيه نظم من وَجْه ، ولولا أنهما يَسْتَهْمَانِ هذا النعت لما اُتْلَفَا ولا اُخْتَلَفَا .

وقال ابن كعب الأنصارى : مِنْ شَرَفِ النَّثْرِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَنْطِقْ إِلَّا بِهٖ أَمْرًا وَنَاهِيًا ، وَمُسْتَخْبِرًا وَمُخْبِرًا ، وَهَادِيًا وَوَاعِظًا ، وَغَضِيبًا وَرَاضِيًا ، وَمَا سَلَبَ النَّظْمُ إِلَّا لَهْبُوطِهِ عَنْ دَرَجَةِ النَّثْرِ ، وَلَا نُزّهَ عَنْهُ إِلَّا مَا فِيهِ مِنَ النَّقْصِ ، وَلَوْ تَسَاوَا لِنُطْقَ بِهِمَا ^(١) ، وَلَمَّا اُخْتَلَفَا خُصَّ بِأَشْرَفِهِمَا الَّذِي هُوَ أَجْوَلُ فِي جَمِيعِ الْمَوَاضِعِ ، وَأَجْلَبُ لِكُلِّ مَا يُطْلَبُ مِنَ الْمَنَافِعِ .
فهذا قليل من كثير نما يكون تبصرة لباعى هذا الشأن ، وَلَمَنْ يَتَوَخَّى حَدِيثَهُ عِنْدَ كُلِّ إِنْسَانٍ .

- (٤) وَأَمَّا مَا يُفَضَّلُ بِهِ النَّظْمُ عَلَى النَّثْرِ فَأَشْيَاءُ سَمِعْنَاهَا مِنْ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ كَانَتْ سَمَاوَاتُهُمْ دُرُورًا ، وَبِحَرِّ أَدَبِهِمْ مُتَلَاطِمًا ، وَرَوْضُ فَضْلِهِمْ مُزْدَهَرًا ، وَشَمْسُ حِكْمَتِهِمْ طَالِعَةٌ ، وَنَارُ بِلَاغَتِهِمْ مُشْتَعِلَةٌ ، وَأَنَا آتَى عَلَى مَا يَخْفَرُنِي مِنْ ذَلِكَ ، مَنَسُوبًا إِلَيْهِمْ ، وَنَحْسُوبًا لَهُمْ ، لِيَكُونَ حَقُّهُمْ بِهِ مَقْضِيًا ، وَذِكْرُهُمْ عَلَى مَرَّةٍ الزَّمانَ طَرِيًّا .

قال السلاّمى : من فضائل النظم أن صار [لنا] صناعة برأسها ، وتكلم

(١) في كلتا النسختين « عنهما » .

الناس في قوافيها ، وتوسَّعوا في تصاريدها وأعاريفها ، وتصرَّفوا في بحورها ،
 وأطلعوا على عجائب ما أُسْتُخِرَ فيها من آثار الطبيعة الشريفة ، وشواهد
 القدرة الصادقة ؛ وما هكذا النثر ، فإنه قَصُرَ عن هذه الذروة الشاخنة ، والقلة
 العالية ؛ فصار بذلك بذلةً لكافة الناطقين من الخاصة والعامة والنساء والصبيان .
 وقال أيضاً : من فضائل النظم أنه لا يُغنى ولا يُحْدَى [إلا بحمده] ولا يؤهل
 للحنِ الطنطنية^(١) ، ولا يُحَلَّى بالإيقاع الصحيح غيره ، لأن الطنطنات والنقرات ،
 والحركات والسكنات لا تتناسب إلا بعد اشتغال الوزن والنظم عليها ، ولو [كان]
 ضل [هذا] بالنثر كان منقوصاً ، كما لو لم يُفْعَلْ هذا بالنظم لكان محسوساً ؛
 والغناء معروفُ الشرف ، عجيبُ الأثر ، عزيز [القدر] ، ظاهرُ النفع في معاينة
 الروح ، ومُناغاةِ العقل ، وتنبيه النفس ، وأجتلاب [الطرب] وتفريج
 السكر ؛ وإثارة الهزّة ، وإعادة العزّة ، وإذكاء العهد ، وإظهار النجدة ،
 وأكتساب السلوة ؛ وما لا يحصى عدده .

ويقال : ما أحسن هذه الرسالة لو كان فيها بيتٌ من الشعر ، ولا يقال :
 ما أحسن هذا الشعر لو كان فيه شيءٌ من النثر ، لأن صورة المنظوم مخفوفة ،
 وصورة المنثور ضائعة .

وقال ابن نباتة : من فضل النظم أن الشواهد لا توجد إلا فيه ، والحجج
 لا تؤخذ إلا منه ، أعني [أن] العلماء والعُكَّاء والفُقهَاء والنحويين واللغويين
 يقولون : « قال الشاعر » ؛ و « هذا كثير في الشعر » ، و « الشعر قد أتى به » ،
 فلي هذا الشاعر هو صاحب الحجة ، والشعر هو الحجة .

وقال الخالغ : للشعراء حلبة ، وليس للبلغاء حلبة ، وإذا تنبَّعت جوائز

(١) الطنطنة : حكاية صوت الطنبور وشبهه .

الشُّعراء التي وَصَلَتْ إليهم من الخُلُفاء وولاءِ المُهود والأمراء والوُلاةِ في مقاماتهم المؤرَّخة ، ومجالسهم الفاخرة ، وأنديتهم المشهورة ، وجدَّتْها خارجةً عن الحُصْر ، بعيدةً من الإحصاء ؛ وإذا تَنَبَّغَتْ هذه الحال لأصحاب النثر لم تجد شيئاً من ذلك ؛ والناس يقولون : ما أكلَ هذا البليغَ لو قرَضَ الشعر ! ولا يقولون : ما أشعرَ هذا الشاعرَ لو قدَّرَ على النثر ! وهذا لِنَفْيِ الناظمِ عن النَّاثِر ، وفَقْرِ النَّاثِرِ إلى الناظم ؛ وقد قدَّمَ الناسُ أبا عليَّ البصيرَ على أبي القيناء ، لأنَّ أبا عليَّ جَمَعَ بين الفضيلتين ، وضربَ بالسَّيفَيْنِ^(١) في الحومتين ، وفازَ بالقُدْحَيْنِ المُعَلَّيْنِ^(٢) في المكاين .

- وقال لنا الأنصاريُّ : سمعتُ ابنَ ثوابَةَ الكاتب يقول : لو تصفَّحنا [ما صارَ إلى] أصحاب النثر من كُتَّابِ البلاغة ، والخطباء الذين ذُبُّوا عن الدولة ، وتكلَّموا في صنوف أحوالها وفنون ما جرى الليلُ والنهارُ به ؛ [ثمَّ] فِتَقَ به الرِّمَقُ ، ورَتَّقَ به الفَتَقُ ، وأَصْلَحَ به الفاسد ، ولمْ به الشَّعْثُ ، وقُرِّبَ به البعيد ، وُبُعِدَ به القريب ، وَحَقَّقَ به [الحقَّ] ، وأَبْطَلَ به [الباطل] ، لكان يوفِّي على كلِّ ما صار إلى جميع من قال الشعرَ ولالك القصيد ، ولَهَجَ بالقريض ، واستباحَ بالترسُّمة ؛ ووَقَّفَ مَوْقِفَ المَظْلُومِ ، وأنصَرَفَ انصرافَ المحروم ؛ وأين مَنْ يَفْتَخِرُ بالقريض ، وَيُدِلُّ بالنَّظْمِ ، وَيُبَاهِي بالبديهة ، من وزير الخليفة ، ومن صاحب السَّرِّ ، ومن ليس بين لسانه ولسان صاحبه واسطة ، ولا بين أذنه وأذنه حجاب ؟ ومتى كانت الحاجةُ إلى الشعراء كالخاجة إلى الوزراء ؟ ومتى قامَ وزير لشاعرٍ للخدمة أو للتَّكْرمة ؟ ومتى قدَّ شاعرٌ لوزير

(١) في كلتا النسختين ؛ « وضرب بالسَّيفَيْنِ في الحرمين » ؛ وهو تصحيف .

(٢) في كلتا النسختين : « المطين » ؛ وهو تحريف .

على رجاء وتأميل^(١) ! بل لا ترى شاعراً إلا قائماً بين يدي خليفة أو وزير أو أمير
باسط اليد ، ممدود الكف ، يستعطف طالباً ، ويستترحم سائلاً ؛ هذا مع الدلة
والهوان ، والخوف من الخبيبة والحرمان ، وخطر الرد عليه في لفظ يُمِرُّ ،
وإعراج يجرى ، واستعارة تعرض ، وكناية تعترض ، ثم يكون مقلّياً
مشيناً بما يظن به من الهجاء الذي ربما دلّاه في حومة الموت ، وقد برأ الله
تعالى بإحسانه القديم ومنه الجسم صاحب البلاغة من هذا كله ، وكفاه
مؤونة الغدير به ، والضرر فيه .

قال : وكان ابن ثوبة إذا جال في هذه الأكناف لا يلحق شأنه ، ولا
يُسَّقُ غبارُه ، ولا يُطعم في جوابه .

قال : وله مناظرات واسعة في هذا الباب مع جماعة من أهل زمانه ناقضوه
وعارضوه ، وكشفوه وواجهوه ؛ فثبت لهم ، وانتصف منهم ، وأرنب عليهم ،
ولم يُقلع عن مسالطهم^(٢) ومبالطهم إلى أن نكصوا على أعقابهم ، وراجعوا
ما هو أولى بهم .

(٦) قال أبو سليمان : المعاني للعقولة بسيطة^(٣) في محبوبحة النفس ؛ لا يحوم
عليها شيء قبل الفكر ، فإذا لقيها الفكر بالذهن الوثيق والفهم الدقيق
ألقى ذلك إلى العبارة ، والعبارة^(٤) حينئذ تتركب بين وزن هو النظم للشعر ،
وبين وزن هو سياقة [الحديث] ؛ وكل هذا راجع إلى نسبة صحيحة أو فاسدة ،

(١) في كلتا النسخين « على وجه وتأميل » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين .

(٢) في ١ « مصالبتهم » ، وفي ب « مصالبتهم » ؛ وما أبتناه هو أنسب بسياق العبارة .
والمسالطة معروفة . والمبالطة : المجادلة والمنازلة .

(٣) بسيطة ، أي مبسطة .

(٤) في ١ : « إلى السائدة والفائرة » ؛ وهو تحريف .

وصورة حسناء أو قبيحة ، وتأليف مقبول أو ممجوج ، وذوق خلو أو مر^(١) وطريق سهل أو وعر ، واقتضاب مفضل أو مردود ، واحتجاج قاطع أو مقطوع ، وبرهان مسنن أو مظلم ، ومتناول بعيد أو قريب ، ومسموع مألوف أو غريب .

قال : فإذا كان الأمر في هذه الحال على ما وصفنا فللنثر فضيلته [التي] لا تُفكر ، وللنظم شرفه [الذي] لا يُجحد ولا يُستَر ، لأن مناقب النثر في مقابلة مناقب النظم ، ومناقب النظم في مقابلة مناقب النثر ؛ والذي لا بد منه فيهما السلامة والدقة ، وتجنب العويص ، وما يحتاج إلى التأويل والتخليص .

وقد قال بعض العرب : خير الكلام ما لم يُحتج معه إلى كلام .
(٧) ووقف أعرابي^٢ على مجلس الأخفش فسمع كلام أهله في النحر وما يدخل معه ، فحار وعجب ، وأطرق ووسوس ، فقال له الأخفش : ما تسمع يا أبا العرب ؟ قال : أراكم تتكلمون بكلامنا في كلامنا مما ليس من كلامنا .

وقال أعرابي آخر :

ما زال أخذهم في النحوي^(٢) عجمي حتى سمعت كلام الزنج والرؤم .
وقال أبو سليمان : نحو العرب فطرة ، ونحونا فطنة ؛ فلو كان إلى الكمال سبيل لكانت فطرتهم لنا مع فطنتنا ، [أو كانت فطنتنا لهم] مع فطرتهم .

وقال : لما تميزت الأشياء في الأصول ، تلاقت ببعض التشابه في الفروع ، ولما تباينت الأشياء بالطبائع ، تألفت بالمشاكلة في الصنائع ، فصارت من

(١) في ١ : « أو كره » .

(٢) في كلتا النسخين : « يمجني » ؛ وسياق البيت يقتضي ما أثبتنا .

حيث أفرقت مُجْتَمِعَةً ، ومن حيثُ أُجْتَمِعتُ مفترقة ، لتكون قُدْرَةُ اللَّهِ — عَنْـ
وَجَلَّ — آتِيَةً عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، وحكمتُهُ موجودةٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، ومشيتُهُ نافذةٌ
فِي كُلِّ شَيْءٍ .

وقد أنشدَ بعضُ الأعراب ما يفتضى هذا المكانُ رسمُهُ فيه ، لأنه موافق
لما نحن فيه في ذِكْرِهِ ووصفه .

قال :

ما ذَا لَقِيتُ مِنَ الْمُسْتَعْرِيبِينَ وَمِنْ	تَأْسِيسِ نَحْوِهِمْ هَذَا الَّذِي ابْتَدَعُوا
إِنْ قُلْتُ قَافِيَةً فِيهِ يَكُونُ لَهَا	مَعْنَى يُخَالِفُ مَا قَاسُوا وَمَا وَضَعُوا
قَالُوا لَحْنَتْ وَهَذَا الْحَرْفُ مُنْعَفِضٌ	وَذَاكَ نَصْبٌ وَهَذَا لَيْسَ يَرْفَعُ
وَحَرَّشُوا بَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَاجْتَهَدُوا	وَبَيْنَ زَيْدٍ وَطَالَ الْقَرْبُ وَالْوَجَعُ
إِنِّي نَشَأْتُ بِأَرْضٍ لَا تَسْبُ بِهَا	نَارُ الْجَوْسِ وَلَا تُبْنَى بِهَا الْبَيْعُ
وَلَا يَطَا الْقِرْدُ وَالْخَنَزِيرُ سَاحَتَهَا	لَكِنْ بِهَا الْهَيْقُ وَالسَّيْدَانُ وَالصَّدْعُ ^(١)
مَا كُلُّ قَوْلِي مَعْرُوفٌ لَكُمْ فَخَذُوا	مَا تَعْرِفُونَ وَمَا لَمْ تَعْرِفُوا فَذَعُوا
كَمْ بَيْنَ قَوْمٍ قَدْ أَحْتَالُوا لِمَنْطِقِهِمْ	وَأَخْرَجُوا عَلَى إِعْرَابِهِمْ طَبَعُوا
وَبَيْنَ قَوْمٍ رَأَوْا شَيْئًا مُعَايَنَةً	وَبَيْنَ قَوْمٍ رَوَوْا بَعْضَ الَّذِي سَمِعُوا

فهذا هذا .

(أ) وقال أبو سليمان : البلاغة ضرورية : فمنها بلاغة الشعر [ومنها بلاغة الخطابة] ^(٢)

(١) الهَيْقُ : العظيم ، وهو ذكرا النعام ، والسَّيْدَانُ : القناب ، الواحد سيد بكسر السين ،
والصَّدْعُ من الوعول والظباء وحر الوحش والإبل : الشاب الفتي .

(٢) لم ترد هذه التكلفة في كلنا اللسطين ؛ وقد أثبتناها لا سيأتي بعد من الحديث عنها
عند تفصيل هذه الأنواع .

[ومنها بلاغة النثر ، ومنها بلاغة المثل ، ومنها بلاغة العقل] ، ومنها بلاغة البديهة ، ومنها بلاغة التأويل .

قال : فأما بلاغة الشعر فأن يكون نحوهُ مقبولا ، والمعنى من كل ناحية مكشوفاً ، واللفظ من الغريب بريئاً ، والكناية لطيفة ، والتصريح احتجاجاً ، والمؤانسة موجودة ، والمواءمة ^(١) ظاهرة .

وأما بلاغة الخطابة ^(٢) فأن يكون اللفظ قريباً ^(٣) ، والإشارة فيها غالبية ، والسجع عليها مستوتلياً ، والوهم في أضعافها ساجحاً ، وتكون فقرها قصاراً ، ويكون ركابها شوارداً إبل .

وأما بلاغة النثر فأن يكون اللفظ متناولاً ^(٤) ، والمعنى مشهوراً ، والتهذيب مستعملاً ، والتأليف سهلاً ، والمراد سليماً ، والزوائد عالياً ، والحواشي رقيقة ، والصفائح مصقولة ، والأمثلة خفيفة المأخذ ، والموادى متصلة ، والأعجاز مفضلة ^(٥) .

وأما بلاغة المثل فأن يكون اللفظ مقتضياً ، والحذف محتملاً ، والصورة محفوفة ، والمرعى لطيفاً ، والتلويح كافياً ، والإشارة مُعْنِيَةً ، والعبارة سائرة ^(٦) .
وأما بلاغة العقل فأن يكون نصيب المفهوم من الكلام أسبق إلى النفس من مسموعه إلى الأذن ، وتكون الفائدة من طريق المعنى أبلغ من ترصيع

(١) ف ب : والمراماة ، وفي أ : والمراقبة ؛ وهو تحريف في كلتا النسختين .

(٢) في كلتا النسختين « الكتابة » ؛ وهو تحريف ، لما فيه من التكرار ، لأنه سيحكم فيما بعد عن بلاغة النثر .

(٣) في كلتا النسختين : « غريباً » بالعين ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا .

(٤) في كلا الأصلين : « متبدلاً » ؛ وهو تحريف .

(٥) في أ « مقضاة » ؛ وهو تحريف .

(٦) ف ب « سافرة » .

اللفظ ، وتقنية الحروف ، وتكون البساطة فيه أغلب من التركيب ، ويكون المقصود ملحوظاً في عرض السنين^(١) ، والمرمى يتلقى بالوهم لحسن الترتيب .

وأما بلاغة البديهة فإن يكون أنحياش^(٢) اللفظ للفظ في وزن أنحياش^(٣) المعنى للمعنى ، وهناك يقع التعجب للسامع ، لأنه يهجم بفهمه على ما لا يُظن أنه يظهر به كمن يعثر بأموله ، على غفلة^(٤) من تأميله ، والبديهة قدرة روحانية ، في جبلة بشرية ، كما أن الرؤية صورة بشرية ، في جبلة روحانية .

وأما بلاغة التأويل فهي [التي] تخرج لعمومها إلى التدبر والتصمغ ، وهذان فييدان من المسوع وجوهاً مختلفة كثيرة نافعة ، وبهذه البلاغة يُتسع في أسرار [معاني] الدين والدنيا ، وهي [التي] تأولها العلماء بالاستنباط من كلام الله عز وجل وكلام رسوله — صلى الله عليه وسلم — في الحرام والحلال ، والحظر والإباحة ، والأمر والنهي ، وغير ذلك مما يكثر ؛ وبها تفاضلوا ، وعليها تجادلوا^(٥) ، وفيها تنافسوا ، ومنها استملوا ، وبها اشتغلوا ؛ ولقد فقدت هذه البلاغة لفقْد الروح كله ، وبطل الاستنباط أوله وآخره ، وجوّلان النفس واعتصار الفكر إنما يكونان بهذا النمط في أعماق هذا الفن ؛

(١) وردت هذه الكلمة في ا مهملة الحروف من النقط ، وفي ب « السبب » ؛ وهو غير واضح المعنى ، ولعل صوابه ما أثبتنا . والسنن : الطريق .

(٢) ق ب : « اختلاس » ، ولم نعين معناه ؛ ولعله محرف عما أثبتنا .

(٣) في ا ، ب « عقله » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق ، وفي (ا) أيضاً قبل هذه الكلمة قوله : « كمن يمر بمقوله » ، وهو تحريف كذلك .

(٤) في كلتا النسختين « في حلية » ، وهو تصحيف .

(٥) في ب « يحاولوا » ؛ وهو تحريف .

وها هنا تَنَثَّلُ^(١) الفوائد ، وتكثرُ العجائب ، وتَتَلَفَّحُ الخواطر ، وتَتَلَاخَقُ^(٢) المهيم ، ومن أَجْلِهَا يُسْتَعَانُ بِقُوَى^(٣) البلاغاتِ المتقدمة بالصِّفَاتِ المُمَثِّلَةِ^(٤) ، حتى تكون مُعِينَةً ورافدةً في إثارة المعنى المدفون ، وإثارة المرادِ المخزون .
وأمثلة^(٥) هذه الأبواب موجودة في الكتب ، ولولا ذلك لَرَسَمْتُ في هذا المكان لكل فنٍّ مثلاً وَشَكَّلْتُ شكلاً ، ولو فعلتُ ذلك لَكُنْتُ مُكَرِّراً لما قد سبقَ إليه ، ومتكلفاً ما قد لُقِّنَ من قَبْلِ . على أَنَّ الزُّهْدَ في هذا الشأن قد وَضَعَ^(٦) عَنَّا وعن غيرنا مَوْؤونةَ الخَوْضِ فيه ، والتعَنَّى به ، والتوفُّرُ عليه ، وتقديمه على ما هو أهمُّ^(٧) منه ، أَغْنَى طَلَبَ القوتِ الذي ليس إليه سبيل إلا يَبِيعَ الدينَ ، وإِخْلَاقِ المروءة ، وإِراقَةِ ماءِ الوجه ، وكَدِّ البدنِ ، [وتَجَرُّعِ الأُسى ، ومُقاساةِ الحُرقة ، ومَضِّ الحِرْمانِ] ، والصَّبْرِ على ألوانٍ وألوانٍ ؛ وألَّه المستعان .

وقد كان هذا البابُ يُتَنَافَسُ فيه أَوَّانَ كان للخلافةِ بهجةٌ ، وللنيابة عنها بهاءٌ ، وللديانةِ مُعْتَقِدٌ^(٨) ، وللمروءةِ عاشقٌ ، وللخيرِ مُنْتَمِزٌ ، وللصدقِ مُؤَثِّرٌ ، وللأدبِ شُرَاةٌ^(٩) ، وللبيانِ سُوْقٌ ، وللصَّوابِ طالبٌ ، وفي العلمِ راجبٌ ؛ فأما

(١) في أ « تتقابل » ؛ وهو تحريف .

(٢) في ب « توقي » ؛ وهو تحريف .

(٣) في أ المشتملة ؛ وهو تحريف .

(٤) يظهر أن هذا وما بعده من كلام المؤلف لا من تنمة كلام أبي سليمان .

(٥) في أ « رصع » ؛ وهو تحريف .

(٦) في أ « أعم » ؛ وهو تحريف .

(٧) في ب « مقد » ؛ وهو تحريف .

(٨) في كلتا النسختين « شارة » ؛ وهو تحريف .

[اليوم] واليدُ عنه ^(١) مقبوضة ، والدَّيْلُ دُونَهُ مشمَّر ، والمَتَحَلَّى بِجَمَالِهِ مَطْرُود ،
والمُبَاهَى بِشَرِّهِ مُبْتَد ، فَمَا يُصْنَعُ بِهِ ، وَلِلَّهِ أَمْرٌ هُوَ بِاللَّهِ .

(١) وقال ابنُ دُأْب : قال لي [ابن] موسى : اجتمعنا عند عبدِ اللّٰك بنِ مَرْوَانَ
فقال : أَيُّ الآدَابِ أَغْلَبُ عَلَى النَّاسِ ؟ فقلنا فَا كَثَرْنَا فِي كُلِّ نَوْعٍ ؛ فقال
عبدُ اللّٰك : مَا أَلْنَسَ إِلَى شَيْءٍ أَخْرَجُ مِنْهُمْ إِلَى إِقَامَةِ أَلْسِنَتِهِمُ الَّتِي بِهَا يَتَعَلَّوْنَ
الْقَوْلَ ، وَيَتَعَلَّطُونَ الْبَيَانَ ، وَيَتَهَادَوْنَ الْحُكْمَ ، وَيَسْتَخْرِجُونَ غَوَامِضَ الْعِلْمِ
مِنْ مَخَابِئِهَا ^(٢) ؛ وَيَجْمَعُونَ مَا تَفَرَّقَ مِنْهَا ؛ إِنَّ الْكَلَامَ فَارِقٌ لِلْحُكْمِ بَيْنَ
الْخُصُومِ ، وَضِيَاءٌ يَجْلُو ظُلْمَ الْأَغَالِيطِ ، وَحَاجَةٌ النَّاسِ إِلَيْهِ كَحَاجَتِهِمْ إِلَى مَوَادِّ ^(٣)
الْأَغْذِيَةِ .

وقد قال زهير :

لسانُ الفتى نصفٌ ونصفُ فؤادهُ فلمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ

قلنا : لَمْ يَقُلْهُ زُهَيْرٌ ، إِنَّمَا قَالَهُ زِيَادُ الْأَنْجَمِ ؛ فقال : لا ، قَالَهُ مِنْ هُوَ
أَعْظَمُ نَجْرَةً وَأَنْطَلَقَ لِسَانًا مِنْهُ ^(٤) .

وقال أبو العِيناء : سمعتُ العَبَّاسَ بنَ الْحَسَنِ الْقَلَوِيَّ يَصِفُ كَلَامَ رَجُلٍ
[فقال] : كَلَامُهُ سَمِخٌ ^(٥) سَهْلٌ ، كَأَن يَبْنِيهِ وَيَبْنِي الْقُلُوبَ نَسَبٌ ، وَيَبْنِي وَيَبْنِي الْحَيَاةَ

(١) عنه ، أَي عَنْ هَذَا الْبَابِ السَّابِقِ ذَكَرَهُ ، وَهُوَ التَّأْوِيلُ .

(٢) قِيَامُهَا بِجَانِبِهَا ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) قِيَامُهَا بِمَوَارِدِهَا ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) قِيَامُهَا بِقَوْلِهِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) قِيَامُهَا بِشَيْخٍ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

سبب ؛ كأنما هو تخفة^(١) قادم ، ودواء مريض ، وواسطة قلادة .
ورأيتُ أبا إسحاق الصابي وهو يجب من فضلِ قرأه من كتاب ورد
عليه ، وهو : أشعر قلبك يأسَ مجاوز^(٢) السبيل ، مقصّر عن الشوط .
وقال ابنُ ذكوان : سمعتُ إبراهيمَ بنَ العباس^(٣) الصولي يقول : مامعتُ
كلاماً مُحدثاً أَجَزَلَ في رقة ، ولا أَصْعَبَ في سهولة ، ولا أَبْلَغَ في إيجاز ، من
قولِ العباس بنِ الأخنف :

تَعَالَى نُجْدَدُ دَارِسَ الْمَهْدِ بَيْنَنَا كِلَانَا عَلَى طُولِ الْجَفَاءِ مَلُومُ
أُنَاسِيَّةٌ مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَقَاطِعَةٌ حَبَلَ الصَّفَاءِ ظَلُومُ
وفي الجملة ، أحسنُ الكلام مَارَقَ لَفْظُهُ ، وَلَطَفَ مَعْنَاهُ ، وتَلَاوَلَا رَوْنَقُهُ ،
وقامت صورته بين نظم كأنه نثر ، ونثر كأنه نظم ، يُطْمِعُ مشهوده بالسَّمْعِ ،
وَيَمْتَنِعُ مقصوده على الطَّبْعِ ؛ حتى إذا رامَه مُرْيِغٌ^(٤) حَلَقَ ، وإذا حَلَقَ^(٥)
أَسَفٌ ، أعنى يَتَبَعْدُ على المُحَاوِلِ بعُنفٍ ، وَيَقْرُبُ من المُتَنَاوِلِ بلُطْفٍ .

وما رأيتُ أحداً تَنَاهَى في وَصْفِ النثر بجميع ما فيه وعليه غيرَ قُدَامَةِ
ابنِ جعفر في المنزلة الثالثة من كتابه ؛ قال لنا علي بنُ عيسى الوزير : عرضَ
عليّ قُدَامَةُ كتابه سنة عشرين وثلاثمائة ؛ واختبرته^(٦) فوجدته قد بالغَ وأحسنَ ،
وتفرَّدَ في وَصْفِ فنونِ البلاغة في المنزلة الثالثة بما لم يشركه فيه أحد من

(١) في « حقه » .

(٢) في ب « مجاوزاً للشك مقصراً عن القنوط » ؛ وهو تحريف .

(٣) في ب « ابنُ ذكوان » ؛ وهو خطأ من الناسخ .

(٤) في ا « مرتفع » ؛ وهو تصحيف . والمرغ : الطالب .

(٥) إذا حلق ، أى المريح .

(٦) وردت هذه الكلمة في كلتا النسختين مهملة الحروف من النقط .

طريق اللفظ والمعنى ، مما يدل على المختار المُجْتَبَى والمُعَيَّب المُجْتَنَب . ولقد
شاكه^(١) فيه الخليل بن أحمد في وضع العروض ؛ ولكفى وجدته هين اللفظ ،
رَكِيكَ البلاغة في وصف البلاغة ، حتى كأن ما يصفه ليس ما يعرفه ،
وكان ما يدل به غير ما يدل عليه . والعرب تقول : [فلان] يدل
ولا يدل ، حكاه ابن الأعرابي ، وهذا لا يكون إلا من غزارة العلم ، وحسن
التصور ، وتوارد المعنى ، وتقدير الطبع ، وتصرف^(٢) القرينة . قال : ولولا
أن الأمر على ما ذكرت لكان ذلك الطريق الذي سلكه ، والفن الذي
ملكه ، والكنز الذي هجم عليه ، والنمط الذي ظفر به ؛ قد برز في
أحسن معرض ، وتحلى باللفظ كلام ، وماس في أطول ذيل ، وسفر عن
أحسن وجه ، وطلع من أقرب نفق ، وخلق في أبعد أفق .

وابن الراغبي يقول كثيراً — وهو شيخ من جلة العلماء ، وله سهم واف
في زمرة البلغاء — : ما أحسن معونة الكلمات القصار ، المشتعلة على الحكم
الكبار ، لمن كانت بلاغته في صناعته بالقلم واللسان ، فإنها توافيه عند الحاجة ،
وتستضجب أخواتها على سهولة ؛ وهكذا مصاريع أبيات الشعر ؛ فإنها تختلط
بالنثر متقطعة وموزونة ، ومنثرة ومنضودة .

قال [لى] ابن عبيد الكاتب : بلغني [هذا الوصف] عن هذا الشيخ ؛
فبلوته بالتتبع فوجدته على ما قال ؛ وما أشبه ما ذكره إلا بالضرورة^(٣) العدة^(٤)

(١) في (١) « سأل » ؛ وهو تحريف .

(٢) في كلا الأصلين « وتصور » ؛ وهو تحريف .

(٣) في كلتا النسختين : « وقد برز » والواو زيادة من الناسخ كما هو ظاهر .

(٤) الصرة : كيس الدرام والدنانير ؛ والذي في كلا الأصلين « الجرة » ؛ وهو تحريف

لا يستقيم به الكلام .

عند الإنسان ، لما يحتاجُ إليه في الوقت المهم والأمر المُلِمُّ ؛ فهذا هذا .
فقال — أدام الله دولته ، وكبت أعداءه — : قدَّم هذا الباب [فقد
أتى]^(١) على ما لم أظنَّ أنه يُؤتَى عليه ويُهتدى إليه — إذا شئتَ ؛ وأنصرفتُ .

الليلة السادسة والعشرون

ثم قال : وما أمثلةُ الكلماتِ القصارِ التي أوَمَّا إليها ذلك الشيخ ؟
فكان [من] الجواب : إنَّ هذا الباب واسع ، نحو قول القائل : ما خابَ من
أستخار ، ولا نديم من أستشار . كلُّ غريزٍ دَخَلَ تحتَ القدرة فهو ذليل .
غَنِمَ من أدبتهُ الحكمة ، وأحكمتَه التجربة . التضامن رائدُ التباين . المرء
ما عاشَ في تجريب .

الدهرُ [يومٌ ويومٌ] والعيشُ عَذْلٌ ولَوْمٌ

* وأكثرُ أسبابِ النَّجاحِ مع اليأسِ *

من لم يُقدِّمه حَزَمٌ آخرَه عَجَز . كم مستدرجٌ بالإحسان إليه ، ومُعْتَرٍ
بالبُسرِ^(٢) عليه . الحربُ^(٣) مَثْلَفَةُ العبادِ^(٤) مُذْهِبَةُ اللطائفِ والتَّلادِ .

* ليس المُقِلُّ عن الزَّمانِ براعى *

من ضاق صدرُهُ اتَّسعَ لسانه .

* وحسْبُكَ داءٌ أن تصحَّ وتسلا *

(١) هذه التكملة لم ترد في كلا الأصلين ، وسياق الكلام يقتضى إثباتها .

(٢) في كلتا النسختين « بالبسر » ؛ وهو تصحيف .

(٣) في (١) « الحزن » ؛ وهو تصحيف .

(٤) في (١) العيال ؛ وهو تحريف .

العِيَالُ سُوسُ الْمَالِ . الْمَوْتُ الْقَارِحُ خَيْرٌ مِنَ الزُّمَى الْقَاضِحِ . احذروا
فَقَادَ النَّعْمَ ، فَمَا كُلُّ شَارِدٍ مُرْدُودٌ . خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا . يَكْفِيكَ مِنْ شَرِّ
سَمَاعِهِ . الْكَرِيمُ لَا يَلِينُ عَلَى قَسَرٍ ، وَلَا يُقْتَسَرُ عَلَى يُسَرٍ . مَا أَدْرَكَ النَّعْمُ
ثَارًا ، وَلَا نَحَا عَارًا .

* وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ أَعْتَذَرَ *

* إِنَّ الْمَطَامِعَ فَقْرٌ وَالْغِنَى الْيَأْسُ *

* وَالْأَمْرُ تَحْقِيقُهُ وَقَدْ يَنْمَى *

* [رُبَّ كَبِيرٍ هَاجَهُ صَغِيرُ *

* ذَهَبَ الْقَضَاءُ بِحِيلَةِ الْأَقْوَامِ]

* وَقَدْ يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الْحَلِيمُ *

* وَإِذَا مَضَى شَيْءٌ كَانَ لَمْ يُفْعَلْ *

مَنْ عُرِفَ بِالْحِكْمَةِ لَاحِظَتُهُ الْعَيُونُ بِالْهَيْبَةِ . الْبِطْنَةُ تَذْهَبُ الْفِطْنَةُ ، إِنَّ
الْمُقَدَّرَةَ^(١) تَذْهَبُ الْحَفِيزَةُ . مَنْ ثَقُلَ عَلَى صَدِيقِهِ خَفَّ عَلَى عَدُوِّهِ . زِيَادَةُ
لِسَانٍ عَلَى عَقْلِ خُدْعَةٌ ، وَزِيَادَةُ عَقْلِ عَلَى مَنَظِقٍ هُجْنَةٌ .

* وَحَاجَةُ مَنْ عَاشَ لَا تَنْقُضِي *

مَنْ أَطَاعَ هَوَاهُ ، أُعْطِيَ عَدُوَّهُ مُنَاهُ .

* عِنْدَ الشَّدَائِدِ تَذْهَبُ الْأَحْقَادُ *

إِخْذَرِ صَرَاعَاتِ الْبَغْيِ وَفَلَتَاتِ الْمَزَاحِ .

(١) كَذَا فِي بَعْضِ الْأَمْثَالِ لِلْبَيْدَانِيِّ ، وَالَّذِي فِي الْأَمْثُولِ « الْفِطْنَةُ تَذْهَبُ » الْح ، وَهُوَ

تَدْيِيلٌ مِنَ النَّاسِخِ .

* ومن يسأل الصُّلوكَ أين مَذَاهِبُهُ *

« المرءُ يَعِجُزُ لَا المَحَالَةَ »

ذُلُّ الطالبِ يَقْدِرُ حاجَتِهِ ، إذا أزدَحَمَ الجوابَ خَفِيَ الصَّوابُ . الكريمُ للكريمِ مُجِلٌّ . موتٌ في قُوَّةٍ وعِزٍّ خَيْرٌ من حَيَاةٍ في ذُلٍّ وعِجْزٍ . عدلُ السلطانِ خَيْرٌ من خِصْبِ الزمانِ . من تَوَقَّى سَلَمٌ ، ومن تَهَوَّزَ نَدَمٌ ، من أَسْرَعَ إلى الناسِ بما يَكْرَهُونَ ، قالوا فيه ما لَا يَفْعَلُونَ . الضُّرُّ (١) خَيْرٌ من الفَاقَةِ ، عَمَى صامتٌ خَيْرٌ من عَمَى ناطقٍ . رَبُّمَا سَوَّدَ السَّالُ غَيْرَ السَّيِّدِ ، وَقَوَّى غَيْرَ الْأَيْدِ . وهل يَدْفَعُ رَبِّبَ النَّيَّةِ الْحَيْلُ .

* الموتُ حَتَمٌ في رِقَابِ العبادِ *

كَفَى بِالْإِمْرَارِ بِالذَّنْبِ عُذْرًا ، وبرجاءِ العَفْوِ شافِعًا . قَلِيلٌ يُوعَى ، خَيْرٌ من كثيرٍ يُنْسَى ، ليس على طولِ الخِلْدَمِ (٢) نَدَمٌ ، ومن وَرَاءَ المرءِ ما لم يَقْلَمِ . مَرُوءَتَانِ ظَاهِرَتَانِ : الرَّأْسَةُ (٣) والفَصَاحَةُ . من أَطَالَ الْأَمَلَ أَسَاءَ الْعَمَلَ . لَا تَكَلَّفْ ما كَفَيْتَ ، وَلَا تُضَيِّعْ ما وَلَيْتَ . احْتَمِلْ من أدَلَّ عَلَيْكَ ، وَأَقْبَلْ مِمَّنْ أَعْتَذَرَ إِلَيْكَ .

* إِنَّ الشَّجَاعَةَ مَقْرُونٌ بِهَا الْعَطَبُ *

* إِنَّ الْكِرَامَ عَلَى مَا نَابَهُمْ صَبْرٌ *

لَوْ سَكَتَ مَنْ لَا يَعْلَمُ سَقَطَ الْأَخْتِلَافُ . لَا عُذْرَ في عُذْرٍ . ليس من العدلِ

(١) في كلتا النسختين « الصبر » ؛ وهو تحريف .

(٢) في (١) « الحياة » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (١) « الرياش » .

سُرْعَةُ الْعَدْلِ . أَقْبَحُ عَمَلِ الْمُقْتَدِرِينَ الْإِنْتِقَامُ . شَرُّهُ مِنَ الْمَوْتِ ، مَا يُتَمَنَّى لَهُ الْمَوْتُ . مِنْ جَاعٍ جَشِيعٍ . الْمَسْكِينَةُ فِي الْحَرْبِ أَبْلَغُ مِنَ التَّجْدَةِ . لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ ، مَا أَصْلَحَ مَثْوَاكَ . مِنْ أَحَبِّ أَنْ يَطَاعَ ، لَا يَسْأَلُ مَا لَا يُسْتَطَاعُ ، إِذَا غَلَبَتْكَ نَفْسُكَ بِمَا تَفْظَنُ ، فَأَغْلِبْهَا بِمَا تَسْتَيْقِنُ . الرَّدُّ الْجَمِيلُ أَحْسَنُ مِنَ الْمَطْلِ الطَّوِيلِ . الْقَبْرِ خَيْرٌ مِنَ الْفَقْرِ . شَفِيعُ الْمَذْنِبِ إِقْرَارُهُ ، وَتَوْبَتُهُ أَعْتِزَارُهُ . صُحْبَةُ الْأَشْرَارِ ، تَوْرَثُ سُوءَ الظَّنِّ بِالْأَخْيَارِ ، لَا كَثِيرٌ مَعَ تَبْذِيرٍ ، وَلَا قَلِيلٌ مَعَ تَقْدِيرٍ . مِنْ صَانَ لِسَانَهُ نَجَا مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ .

- * وَلَرُبَّمَا نَفَعَ الْفَتَى كَذِبُهُ *
- * فَمَنْ يَمْدِدْ إِذَا ظَلَمَ الْأَمِيرُ *
- * إِذَا فَرَعَ الْفَوَادُ فَلَا رُقَادُ *
- * مَا الْعِلْمُ إِلَّا مَا وَعَاهُ الصَّدْرُ *
- * إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْإِخْوَانِ ذُو الْمَالِ *
- * إِنَّ الْفِرَارَ لَا يَزِيدُ فِي الْأَجْلِ *
- * إِنَّ الشَّفِيقَ بِسُوءِ ظَنِّ مُوَلِّعٌ *

لَا تَبْسُلْ عَلَى أَكْمَةٍ ، وَلَا تُفَشِّ سِرَّكَ إِلَى أُمَّةٍ . إِذَا أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَى الْمَرْءِ أَعَارَتْهُ مَحَاسِنَ غَيْرِهِ ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَنْهُ سَلَبَتْهُ مَحَاسِنَ نَفْسِهِ . فِي التَّجَارِبِ عِلْمٌ مُسْتَأْنَفٌ . قَدْ خَاطَرَ مَنْ أَسْتَغْنَى بِرَأْيِهِ . عَلَيْكَ لِأَخِيكَ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِ لَكَ . الْحَقُّ ظِلٌّ ظَلِيلٌ . الْمُدَّةُ قَرَابَةٌ مُسْتَفَادَةٌ . مُعْدِمٌ وَصُولٌ خَيْرٌ مِنْ مُكْثَرٍ جَافٍ . مِنَ الْفَرَاغِ تَكُونُ الصَّبُورَةُ . مَنْ نَالَ اسْتِطَالَ . فِي تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ عِلْمٌ جَوَاهِرِ الرِّجَالِ . الشُّكْرُ عِصْمَةٌ مِنَ النِّقْمَةِ . اللَّبُّ مِصْبَاحُ الْعِلْمِ . مَنْ رَكِبَ الْعَجَلَةَ ، لَمْ يَأْمَنْ السَّكْبَةُ . إِزَالَةُ الرِّوَاسِي ، أَيْسَرُ مِنْ تَأْلِيفِ الْقُلُوبِ . قَارِبُ النَّاسِ فِي عَقُولِهِمْ ،

تَسْلَمُ مِنْ غَوَائِلِهِمْ ، وَتَرْتَعُ فِي حَدَائِقِهِمْ . عَاشِرُ أَخَاكَ بِالْحُسْنَى . الْحَسَدُ أَهْلَكَ
الْجَسَدَ . خَذْ عَلَى خَلَائِقِكَ مِيثَاقَ الصَّبْرِ . خَيْرُ مَا رُمْتَ مَا يُنَالُ .

* كُلُّ أَمْرٍ فِي شَأْنِهِ سَاعِي *

[قد يُدِيرُكَ الْمَتَأَنَّى بِعَظْمِ حَاجَتِهِ وقد يكون مع المستعجل الزَّلُّ]
غَمُّ الْفَقِيرِ لَا يَكْشِفُهُ إِلَّا الْمَوْتُ . خِفَةُ الظَّهْرِ أَحَدُ الْيَسَارِينِ . أُصُولُ
الْأَسْقَامِ مِنْ فُضُولِ الطَّعَامِ . طَلَاقُ الدُّنْيَا مَهْرُ الْجَنَّةِ . مِنْ عِزِّ النَّفْسِ إِثَارُ
الْقَنَاعَةِ . التَّوَاضُّعُ بِالْفَقْرِ أَجْمَلُ ، وَالْكِبَرُ بِالْفَقْرِ أَسْمَجُ . مَنْ أَسْتَعَانَ بِغَيْرِ اللَّهِ
لَمْ يَزَلْ يَخْذُولَا . مَنْ لَمْ يَقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ مَا آتَاهُ طَالَ عَثْبُهُ عَلَى الدَّهْرِ .
عُجْبُ الْقَرَمِ بِنَفْسِهِ أَحَدُ حُسَادِ عَقْلِهِ . الْعِجْزُ وَالْتَوَانِي يُنْتِجَانِ الْفَاقَةَ . إِنْ
صَبِرْتَ صَبَرَ الْأَحْرَارُ ، وَإِلَّا سَلَوْتَ سُلُوَ الْأَعْمَارِ . الْعِلْمُ بِالْعَمَلِ يَنْمُو . مَعَاشَرَةُ
الْإِخْوَانِ تَجْلُو الْبَصَرَ ، وَتَطْرُدُ الْفِكَرَ . لَا تُوحِشْكَ الْغُرْبَةُ مَا أُنِسْتَ بِالْكَفَايَةِ ،
فَإِنَّ الْفَقْرَ أَوْحَشُ مِنَ الْغُرْبَةِ . الْغِنَى أُنْسٌ فِي [غَيْرِ] ^(١) الْوَطَنِ . الْغِنَى فِي الْغُرْبَةِ
مَوْصُولُ ، وَالْفَقِيرُ فِي الْأَهْلِ مَضْرُومُ . أَوْحِشُ قَرِينِكَ إِذَا كَانَ فِي إِيجَاشِهِ
أُنْسُكَ . إِذَا أَيْسَرْتَ فَكُلُّ أَهْلِ أَهْلِكَ ، وَإِنْ أَعَسَّرْتَ فَأَنْتَ غَرِيبٌ فِي قَوْمِكَ .
مِنْ أَخْلَاقِ الصَّبْيَانِ ، الْإِلْفُ الْأَوْطَانِ ، وَالْحَنِينُ إِلَى الْإِخْوَانِ . مَنْ لَمْ يَأْنَفْ ،
لَمْ يَشْرُفْ . خَيْرُ الْمَوَدَّةِ مَا لَمْ تَكُنْ حِذَارَ عَادِيَةٍ ، وَلَا رَجَاءَ فَائِدَةٍ . مَنْ حَمَلَ
الْأُمُورَ عَلَى الْقَضَاءِ اسْتَرَاخَ فِي الْإِتْبَالِ وَالْإِدْبَارِ حَتَّى يَنْتَهِيَا . لَوْ أَسْتَحْسَنَ
النَّاسُ مَا أَمَرَهُ الْعَقْلُ اسْتَقْبَحُوا مَا نَهَى عَنْهُ الْعَقْلُ . أَقْدَرُ النَّاسِ عَلَى الْجَوَابِ

(١) لم ترد هذه الكلمة في كلتا النسختين ؛ والسياق يقتضيها ، ويقوى ذلك الكلمتان
السابقة واللاحقة .

من لا يَغْضِبُ . الكلامُ في وقت السكوت عيٍّ ، والسكوتُ في وقت الكلام خرس . ألمٌ يهدمُ البدنَ ، وينغصُ العيشَ ، ويقربُ الأجلَ . الموتُ رقيبٌ غيرُ غافل . المرءُ نهَبُ الحوادث . إذا تمَّ العقلُ نقصَ الكلام . هبْ ما أنكرت لما عرفت ، وأغفر ما أغضبك لما أَرْضَاكَ . التَّيَّاسُ إحدى الرَّاحَتَيْنِ . المَطْلُ أحدُ العذابين . السَّكْطُ مرٌّ ، ولا يتجرَّعه إلا حُرٌّ . الرأى لا يصلحُ إلا بالشرِكة ، والملِكُ لا يصلحُ إلا بالتفرُّد . من كبرَ عنصرُهُ ، حسنَ محضرُهُ .

* وَلَرُبَّ مُطْمَعَةٍ ^(١) تَعُودُ رِيَا حَا *

* وَالْحَدُّ لَا يُشْتَرَى إِلَّا بِأَثْمَانِ *

* وَلَكِنْ نَكَءُ الْقَرْحِ بِالْقَرْحِ أَوْجَعُ *

من أزهَرَ بقول ، حقيقٌ أن يُشمر بفعل . السَّلامُ أرخى للبال ، وأبقى لِنفوس الرِّجال . حَسْبُكَ مِنْ عَقْلِكَ مَا أَوْضَحَ غَيْبَكَ مِنْ رُشْدِكَ . التسويفُ بطاعة الله أَعْتَرَارٌ ، وحياة المرء كالشيء المَعَارِ ^(٢) . من بَدَّلَ بعضَ عنايته لك ، فاجعل جميعَ شُكْرِكَ له .

* وَلِلْحُرِّ مِنْ مَالِ الْكَرِيمِ نَصِيبٌ *

اليومَ فَعَلَ ، وغَدًا ثَوَابُ .

الخير مختارٌ شهى المَطْلَبُ والشرُّ محذورٌ كَرِهَهُ مُجْتَنَبٌ

رُبَّ سَكُوتٍ مِنْ كَلَامٍ أَبْلَغُ وَرُبَّ قَوْلٍ مِنْ عَمُودٍ ^(٣) أَدْمَغُ

مَنْ سَلَّمَ النَّاسُ عَلَى ^(٤) لِسَانِهِ أَصْبَحَ مَنْصُورًا عَلَى سُلْطَانِهِ

(١) في (١) « مطمعة » ؛ وهو تحريف .

(٢) في كلتا النسختين « المعتاد » ؛ وهو تحريف .

(٣) يريد بالسود : القى يضرب به في الحرب .

(٤) على هنا بمعنى من .

من القليل يُجْتَمَعُ الكثيرُ رُبَّ صَغِيرٍ قَدَرُهُ كَبِيرُ
 من باع ما يَفْقَى بما يَبْقَى غَنِمَ وآثَرَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَى نَدِمَ
 قد يُحَرِّمَ الرَّاجِي وَيُعْطِي الْقَانِطُ وَيُبْعَدُ الْأَدْنَى وَيُدْنِي الشَّاحِطُ
 من لَمْ يَنْلِكِ الْبِرَّ^(١) فِي حَيَاتِهِ لَمْ تَبْسُكْ عَيْنُكَ عَلَى وَفَاتِهِ
 الْمَالُ مَا تُنْفِقُ لَا مَا تَجْمَعُ وَالزَّرْعُ مَا تَحْصُدُ لَا مَا تَزْرَعُ
 يَارُبَّ هَزَلٍ كَانَ مِنْهُ الْجِدُّ وَرُبَّ مَزْحٍ كَانَ مِنْهُ الْحَقْدُ
 الْبَحْرُ مُسْتَعْنٍ عَنِ الْفُرَاتِ

قال — أدام الله أيامه — هذا فنُّ مُوفٍ عَلَى الْغَايَةِ .

الليلة السابعة والعشرون

وقال — أدام الله أيامه — فِي لَيْلَةٍ أُخْرَى : كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ كَلَامًا^(١)
 فِي كُنْهِ الْأَتْفَاقِ^(٢) وَحَقِيقَتِهِ ، فَإِنَّهُ مِمَّا يَحَارُّ الْعَقْلُ فِيهِ ، وَيَزِلُّ حَزْمُ الْجَازِمِ مَعَهُ ،
 وَأَحِبُّ أَيْضًا أَنْ أَسْمَعَ حَدِيثًا غَرِيبًا فِيهِ ؛ فَكَانَ مِنَ الْجَوَابِ : إِنَّ الرِّوَايَةَ فِي هَذَا
 الْبَابِ أَكْثَرُ وَأَفْشَى مِنَ الْأُطْلَاعِ عَلَى سِرِّهِ ، وَالظُّفَرُ بِمَكْنُونِهِ ؛ فَقَالَ : هَاتِ
 مَا يَتَعَلَّقُ بِالرِّوَايَةِ . قُلْتُ : حَكَى لَنَا أَبُو سُلَيْمَانَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ أَنَّ ثِيوْدُْسِيُوسَ^(٣)
 مَلَكَ يُونَانَ كَتَبَ إِلَى كُنْتُسُ^(٤) الشَّاعِرِ أَنْ يَزُودَهُ^(٥) بِمَا عِنْدَهُ مِنْ [كَتَبَ]

(١) فِي (١) « مِنْ لَمْ يَبْكِيكَ لَكُنْ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) يَرِيدُ بِالْأَتْفَاقِ الْأُمُورَ الَّتِي تَحْدُثُ بِالصَّدَاقَةِ .

(٣) فِي (١) « قَوْمُودُوس » ، وَفِي ب « تُوْدُورُوس » ؛ وَالصُّوْبُ مَا أُثْبِتَتْهُ تَقْلَانِ عَنْ

كُتُبِ التَّارِيخِ . (٤) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ « إِيْنَسُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ « أَنْ يَزُودَهُ » بِالرَّاءِ ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ .

فلسفية ؛ فجمع ماله في عَيْيَّةٍ ضَخْمَةٍ ، وارتحل قاصداً نحوَه ، فلقى في تلك
البادية قوماً من قطاع الطريق ، فطَمَعُوا في ماله ومهْوا بِقَتْلِهِ ، فَنَاشَدَهُمُ اللهُ
أَلَّا يَقْتُلُوهُ وَأَن يَأْخُذُوا مَالَهُ وَيُحْلُوهُ ، فَأَبَوْا ، فَتَحَيَّرَ وَنَظَرَ يَمِينًا وَشِمَالًا يَلْتَمِسُ
مُعِينًا وَنَاصِرًا فَلَمْ يَجِدْ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، وَمَدَّ طَرْفَهُ فِي الْهَوَاءِ ، فَرَأَى
كَرَّاكِيَّ تَطِيرُ فِي الْجَوِّ مُحَلَّاتَةً ، فَصَاحَ : أَيُّهَا الْكَرَّاكِيُّ الطَّائِرَةُ ، قَدْ أُعْجِزَنِي
الْمَعِينُ وَالنَّاصِرُ ، فَكُونِي الطَّالِبَةَ بَدَمِي ، وَالْآخِذَةَ بِثَأْرِي . فَضَحَكَ اللُّصُوصُ ،
وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : هَذَا أَتَقَصُّ النَّاسَ عَقْلًا ، وَمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ لَا جُنَاحَ فِي
قَتْلِهِ ؛ ثُمَّ قَتَلُوهُ وَأَخَذُوا مَالَهُ وَأُقْسِمُوا وَعَادُوا إِلَى أَمَاكِنِهِمْ ؛ فَلَمَّا اتَّصَلَ
الْحَدِيثُ بِأَهْلِ مَدِينَتِهِ حَزِنُوا وَأَعْظَمُوا ذَلِكَ ، وَتَبِعُوا أَثَرَ قَاتِلِهِ وَاجْتَهَدُوا فَلَمْ يُبْغِثُوا
شَيْئًا وَلَمْ يَقْبِضُوا عَلَى شَيْءٍ ؛ وَحَضَرَ الْيُونَانِيُّونَ وَأَهْلُ مَدِينَتِهِ إِلَى هَيْكَلِهِمْ لِقِرَاءَةِ
التَّسَابِيحِ وَاللَّذَاكِرَةِ بِالْحِكْمَةِ وَالْعِظَةِ ، وَحَضَرَ النَّاسُ مِنْ كُلِّ قَطْرٍ وَأَوْبٍ ، وَجَاءَ
الْقَتْلَةُ وَأَخْتَلَطُوا بِالْجَمْعِ ، وَجَلَسُوا عِنْدَ بَعْضِ أُسَاطِينِ^(١) الْهَيْكَلِ ، فَهَمُّ عَلَى ذَلِكَ
إِذْ مَرَّتْ بِهِمْ كَرَّاكِيٌّ تَتَنَاضَعِي وَتَصِيحُ ، فَرَفَعَ اللُّصُوصُ أَعْيُنَهُمْ وَوَجَّهَهُمْ إِلَى
الْهَوَاءِ يَنْظُرُونَ مَا فِيهِ فَإِذَا كَرَّاكِيٌّ تَصِيحُ وَتَطِيرُ ، وَتَسَدُّ الْجَوَّ ؛ فَتَضَاحَكُوا ، وَقَالَ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : هَؤُلَاءِ طَالِبُو دَمِ كُنْتَسِ الْجَاهِلِ — عَلَى طَرِيقِ الْاسْتِهْزَاءِ —
نَسْمَعُ كَلَامَهُمْ بَعْضُ مَنْ كَانَ قَرِيبًا مِنْهُمْ فَأَخْبَرَ السُّلْطَانَ فَأَخَذَهُمْ وَشَدَّ عَلَيْهِمْ ،
وَطَالَبَهُمْ فَأَقْرَأُوا بِقَتْلِهِ ، فَقَتَلَهُمْ ؛ فَكَانَتِ الْكَرَّاكِيُّ الْمَطَالِبَةُ بِدَمِهِ ، لَوْ كَانُوا
يَعْقِلُونَ أَنَّ الطَّالِبَ لَهُمُ بِالْمُرْصَادِ .

وقال لنا أبو سليمان : إِنْ كُنْتَسِ وَإِنْ كَانَ خَاطِبَ الْكَرَّاكِيِّ فَإِنَّهُ أَشَارَ
بِهِ إِلَى رَبِّ الْكَرَّاكِيِّ وَخَالِقِهَا ، وَلَمْ يُطِلَّ اللهُ دَمَهُ وَلَا سَدَّ عَنْهُ بَابَ إِجَابَتِهِ ؛

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « أُسَاطِير » ؛ وَمَوْحِيْفٌ .

فسبحانه كيف يهَيِّئُ الأسباب ، ويفتتح الأبواب ، ويرفعُ الحجابَ بعد الحجاب .

فقال : هذا عجب :

قلتُ : قال لنا أبو سليمان : كلُّ ما جُهِلَ سبُّهُ من ناحية الحسبِ بالعادة ، ومن ناحية الطبيعة بالإمكان ، ومن ناحية النفس بالتهيئة ، ومن ناحية العقل بالتجوير ، ومن ناحية الإله بالتوفيق — فهو متعجوبٌ منه ، معجوزٌ عنه ، مسلمٌ لمن له القدرةُ المحيطة ، والمشيئةُ النافذة ، والحكمةُ البالغة ، والإحسانُ السابق .

ولقد حكى أبو الحسن الفَرَضِيُّ في أمر الاتفاق شيئاً ظريفاً عن بعض إخوانه (٢) قال : خرجنا إلى بعض المتنزهات ومعنا جَرٌّ^(١) نصيدُ به السَّمَانِي ، وكنا جماعة ، فقال حدثٌ كان معنا — وكان أصغرَنا سناً — : أتم تصيدون بجرٍّ^(١) ، وأنا أصيدُ بيدي ؛ يقول ذلك على جهة المزح ؛ فرمى بعد قليل فاتفق له أن أثارَ سَمَانِي ، فأسرع إليه ونحن لا نعلم أنه أخذ شيئاً ، فقلنا له على طريق العبث : احذر الخنزير — من غير أن نكون رأينا خنزيراً — فالتفت فرعاً وفرَّ^(٢) مؤلفاً ، فاتفق له أن رأى خنزيراً منه غير بعيد ، فأقبل إلينا مسرعاً هارباً من الخنزير والسَّمَانِي بيده وقد صاده .

وكنت في البادية في صفر سنة أربع وخمسين منصرفاً من الحج ومعي^(٣) جماعة من الصوفية ، فلحقنا جُهدٌ من عوز القوت وتَعَذُّر ما يُمسِك الروح في

(١) الجرّ : الحبل . وفي نسخة : « بحر » ، وهو الحبل الذي يجر به أيضا .

(٢) وردت هذه العبارة في كلا الأصلين مهمة أكثر حروفها من النقط ، وما أثبتناه هو أقرب الوجوه إلى ما في الأصول من الرسم وما يقتضيه السياق من الكلام .

(٣) في الأصل : « وبنى » ؛ وهو تحريف .

حديث طويل — إلا أَنَا وَصَلْنَا مِنْ زُبَالَةٍ^(١) — بالحيلة اللطيفة مِنَّا ، والصَّنْعُ الجميل من اللَّهِ تعالى — إلى شيء من الدقيق ؛ فانتعشتْ أَنْفُسُنَا بِهِ ، وَغَنِمْنَاهُ ، وَرَأَيْنَاهُ نَفْحَةً مِنْ نَفَحَاتِ اللَّهِ تَعَالَى الْكَرِيمِ ؛ فَجَعَلْنَاهُ زَادَنَا ، وَسِرَّنَا ؛ فَلَمَّا بَلَّغْنَا الْمَنْزَلَ قَعَدْنَا لِمُنَاسَرِيسِ ذَلِكَ الدَّقِيقِ ، وَلَقَطْنَا الْبَعَرَ وَدُقَاقَ الْحَطَبِ ، فَلَمَّا أَتَجَمْنَا عَلَى الْعَجْنِ وَالْمَلِكِ^(٢) لَمْ نَجِدِ الْحُرَاقَ^(٣) — وَكَانَ عِنْدَنَا أَنَّهُ مَعَنَا ، وَأَنَّنَا قَدْ اسْتَظْهَرْنَاهُ^(٤) — فَدَخَلْنَا حَيْرَةً شَدِيدَةً ، وَرَكِبْنَا غَمًّا غَالِبًا ، وَسَفَفْنَا مِنْ ذَلِكَ الدَّقِيقِ شَيْئًا ، فَمَا سَاغَ وَلَا قَبِلَتْهُ الطَّبِيعَةُ ، وَبِتْنَا لَيْلَتَنَا طَاوِينَ سَاهِرِينَ ، قَدْ عَلَانَا الْكَمَدُ ، وَمَلَسْنَا الْوُجُوهَ وَالْأَسْفَ ؛ فَقَالَ بَعْضُنَا : هَذَا لَمَّا وَجَدْنَا الدَّقِيقَ ١٩ وَأَصْبَحْنَا وَرُكْبَنَا قَدْ اسْتَرْخَتْ ، وَعَيُونُنَا قَدْ غَارَتْ ، وَأَحَدُنَا لَا يَحْدُثُ صَاحِبَهُ غَمًّا وَكَرْبًا ؛ وَهَذَا إِلَى مَا كُنَّا فِيهِ قَبْلُ بَزِيَادَةِ حَسْرَةٍ مِنَ النَّظَرِ إِلَى الدَّقِيقِ ؛ وَقَالَ صَاحِبُنَا لَنَا : نَزَمِي بِجِرَابِ الدَّقِيقِ [حَتَّى نُلْقِيَ حِمْلَهُ وَرَقْلَهُ فِي طَوْلِ هَذَا الطَّرِيقِ] ؛ فَقُلْنَا : لَيْسَ هَذَا بِصَوَابٍ ، وَمَا يَضُرُّنَا أَنْ يَكُونَ مَعَنَا ، فَلَعَلَّنَا أَنْ نَرَى رُكْبًا أَوْ نَلْقَى حَطَبًا . وَكَانَتْ الْبَادِيَةُ خَالِيَةً فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، لِرُغْبِ لَحِقِ قَوْمًا مِنْ بَنِي كِلَابٍ مِنْ جِهَةِ أَعْدَائِهِمْ ، فَلَمْ يَكُنْ يَحْتَازُ بِهَا [فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ] غَرِيبٌ . وَبَقِينَا كَذَلِكَ إِلَى الْيَوْمِ الثَّالِثِ ، وَنَحْنُ نُلَاحِظُ^(٥) وَنُجَاهِدُ فِي الْمَشْيِ ؛ فَلَمَّا كَانَ الْعَصْرُ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ كُنْتُ أَسِيرُ أَمَامَ الْقَوْمِ أَجْرَهُمْ^(٦) وَأَسْأَلُهُمْ ،

(١) زُبَالَةٌ : بلد بالطريق من الكوفة إلى مكة .

(٢) الْمَلِكُ : إتمام العجن .

(٣) الْحُرَاقُ : ما تقع فيه النار عند اقتلاعها من خرق ونحوها .

(٤) قَدْ اسْتَظْهَرْنَاهُ ، أَيْ جَعَلْنَاهُ مَعَنَا فَوْقَ أَظْهَرْنَا .

(٥) فِي كَلْمَا النِّسْخَتَيْنِ « نَرَا جَف » ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ لَا مَعْنَى لَهُ .

(٦) فِي كَلْمَا النِّسْخَتَيْنِ « أَجْرَهُمْ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

وكنْتُ كالخاطب^(١) لهم : « إذا عَثَرْنَا بِحُرَاقٍ^(٢) وظَفَرْنَا بِفَتِيلَةٍ » ؛ فَوَجَدُوا خِرْقَةً مَلْفُوفَةً فِيهَا حُرَاقٌ ، فَهَلَّلُوا وَكَبَّرُوا ، وَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ ؛ فَقُلْتُ كَالْمُعْجَبِ : مَا الْخَبَرُ ؟ قَالُوا : الْبُشْرَى ؛ قُلْتُ : وَمَا ذَلِكَ ؟ قَالُوا : هَذِهِ خِرْقَةٌ مُلِثْتُ حُرَاقًا ، فَلَا تَسْلُ عَمَّا دَهَانَا مِنَ الْفَرَحِ وَالِاسْتِثْشَارِ ؛ وَثَابَ إِلَيْنَا مِنَ الشَّرُّورِ وَالِارْتِيَاكِ ، وَزَالَ عَنَّا مِنَ الْأَنْخِرَالِ وَالْأُنْكَسَارِ ، وَقَعَدْنَا فِي مَكَانِنَا ذَلِكَ ، وَلَقَطْنَا الْبَحْرَ ، وَأَثَرْنَا الْوَقُودَ ، وَأَجَجْنَا نَارًا عَظِيمَةً ، وَمَلَكْنَا^(٣) الدَّقِيقَ كُلَّهُ مَلَكََةً وَاحِدَةً وَكَانَ أَرْبَعِينَ رِطْلًا ، وَكَانَ ذَلِكَ بِلَاغِنَا إِلَى الْقَادِسِيَّةِ ؛ فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنْهَا تَلَقَّانَا بَشَرٌ مِنْ أَهْلِهَا ، وَقَالُوا لَنَا : كَيْفَ سَلِمْتُمْ فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ مَعَ الْعَوَزِ وَالْخَوْفِ ؟ قُلْنَا : لَعَلَّ اللَّهَ يُقَرِّبُ كُلَّ بَعِيدٍ ، وَيَسَهِّلُ كُلَّ شَدِيدٍ ، وَيَصْنَعُ لِلضَّعِيفِ حَتَّى يَتَعَجَّبَ الْقَوِيُّ .

وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَجِدُ هَذَا الْقَوْلَ ، وَيُنْكِرُ هَذَا الْفَضْلَ ، وَيَرْجِعُ إِلَى دِينٍ وَثِيقٍ أَوْ وَاهٍ (إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ) .
وَحَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ هَازِمٍ الزَّنجَانِيُّ الْقَاضِي صَاحِبُ الْمَذْهَبِ قَالَ : اصْطَلَحَ رَجُلَانِ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ مَسَافِرَيْنِ : مَجُوسِيٌّ مِنْ أَهْلِ الرَّيِّ ، وَالْآخَرُ يَهُودِيٌّ مِنْ أَرْضِ جَبِّ^(٤) ؛ وَكَانَ الْمَجُوسِيُّ رَاكِبًا بَغْلَةً لَهُ عَلَيْهَا سَفْرَةٌ^(٥) مِنْ الزَّادِ وَالنَّفَقَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَهُوَ يَسِيرُ مَرْفُوعًا وَادِّعًا ، وَالْيَهُودِيُّ يَمْشِي بِلا زَادٍ وَلَا نَفَقَةٍ ؛ فَبَيْنَا هَا يَتَحَادَّثَانِ إِذْ قَالَ الْمَجُوسِيُّ لِلْيَهُودِيِّ : مَا مَذْهَبُكَ وَعَقِيدَتُكَ

(١) في (ب) « كالحاجب » .

(٢) في كلتا النسختين « نحن » ؛ وفيه تحريف ونقص ؛ وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا .

(٣) في الأصل : « ومللنا ... ملة » ؛ وهو تحريف .

(٤) في كلتا النسختين « جى » بالهملة ، وهو تصحيف . وجى : مدينة بناحية أصبهان تسمى

الآن شهرستان ، وكان لليهود محلة في طرفها ، فلما خربت جى بقيت محلتهم ، وهى اليهودية .

(٥) في كلتا النسختين : « في سفره » ؛ وهو تحريف .

يا فلان ؟ قال اليهودي : أعتقد أن في هذه السماء إلها هو إله بني إسرائيل ، وأنا أعبدُه وأقدسُه وأضرع إليه ، وأطلبُ فضلَ ما عنده من الرزق الواسع والعمر الطويل ، مع صحة البدن ، والسلامة من كل آفة ، والنصرة على عدوي ، وأسأله الخير لنفسى ولمن يوافقنى في دينى ومذهبي ، فلا أعبا بمن يخالفنى ، بل أعتقد أن من يخالفنى دمه لى يحل ، وحرام على نصرته ونصيحته والرحمة به . ثم قال للجوسى : قد أخبرتك بمذهبي وعقيدتى وما أشتمل عليه ضيبرى ، فخبزنى أنت أيضا عن شأنك وعقيدتك وما تدين به ربك ؟ فقال الجوسى : أما عقيدتى ورأى فهو أنى أريد الخير لنفسى وأبناء جنسى ، ولا أريد لأحد من عباد الله سوءا ، ولا أتمنى له ضرا ، لا لثوائفى ، ولا لخالفى . فقال اليهودي : وإن ظلمك وتمدى عليك ؟ قال : نعم ، لأنى أعلم أن في هذه السماء إلها خيرا عالما حكما لا تخفى عليه خافية من شيء ، وهو يجزى الحسن بإحسانه ، والمسىء بإساءته . فقال اليهودي : يا فلان ، لست أراك تنصر مذهبك وتحقق رأيك . قال الجوسى : كيف ذاك ؟ قال : لأنى من أبناء جنسك ، وبشر مثلك ، وترانى أمشى جائعا نصيبا مجهودا ، وأنت راكب وادع مرفقه شبعان . فقال : صدقت ، وماذا تبغى ؟ قال : أطعمنى من زادك ، وأحلنى ساعة ، فقد كَلتُ وضعت . قال : نعم وكرامة . فنزل ومد من سفرته وأطعمه وأشبعه ، ثم أركبه ، ومشى ساعة يحدثه ؛ فلما ملك اليهودي البغلة وعلم أن الجوسى قد أعيا ، حرك البغلة وسبته ، وجعل الجوسى يمشى ولا يلحقه ، فناداه : يا فلان ، قف لى وأنزل ، فقد انحسرتُ وأنهرت . فقال اليهودي : ألم أخبرك عن مذهبي وخبزتى عن مذهبك ، ونصرته وحقيقته ؟ فانا أريد أيضا أن أحقق مذهبى ، وأنصر رأى وأعتقداى . وجعل يحرك البغلة ، والجوسى يتفقوه على ظلم وينادى : قف

وَيَضُئِبُ^(١) مَا هَذَا وَصَفُهُ أَنْ يُتْرَكَ وَيُرْفَضَ وَيُزَالَ . فَرَحِمَهُ الْجُوسَى ، وَحَمَلَهُ مَعَهُ حَتَّى وَافَى الْمَدِينَةَ ، وَسَلَّمَهُ إِلَى أَوْلِيَائِهِ مُحَطَّمًا مُوجِعًا ، وَحَدَّثَ النَّاسَ بِحَدِيثِهِ وَقِصَّتِهِ ، فَكَانُوا يَتَعَجَّبُونَ مِنْ شَأْنِهِمَا زَمَانًا [طويلا] .

وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ لِلْجُوسَى [بَعْدُ] : كَيْفَ رَحِمْتَهُ بَعْدَ خِيَانَتِهِ لَكَ ، وَبَعْدَ إِحْسَانِكَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ الْجُوسَى : اِعْتَذَرَ بِحَالِهِ الَّتِي نَشَأَ فِيهَا ، وَدَأَبَ عُثْمَرَهُ فِي اعْتِقَادِهَا ، وَسَعَى لَهَا وَأَعْتَادَهَا ؛ وَعَلِمْتُ أَنَّ هَذَا شَدِيدُ الزَّوَالِ عَنْهُ ، وَصَدَّقْتُهُ وَرَحِمْتَهُ ، وَهَذَا بَنَى شُكْرَهُ عَلَى صُنْعِ اللَّهِ بِي حِينَ دَعَوْتُهُ عِنْدَ مَا ذَهَانِي مِنْهُ ، وَبِالرَّحْمَةِ الْأُولَى أَعَانَنِي رَبِّي ، وَبِالرَّحْمَةِ الثَّانِيَةِ شَكَرْتُهُ عَلَى مَا صَنَعَ بِي .

هَذَا كُلُّهُ سَرْدَنَاهُ اسَبَبَ الْأَمْرِ الَّذِي يَبْدُو مِنْ غَيْرِ جَنَانٍ ، وَالْعَارِضِ الَّذِي يَزُرُّ مِنْ غَيْرِ تَوْهْمٍ .

وَأَبُو سَلِيحَانَ يَقُولُ : الْأُمُورُ مَقْسُومَةٌ عَلَى الْحُدُودِ الطَّبِيعِيَّةِ وَالْقُوَى النَّفْسِيَّةِ وَالْبَسَائِطِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْغَرَائِبِ الْإِلَهِيَّةِ ؛ فَبِالْوَاجِبِ ، مَا كَانَ هَاهُنَا مَأْلُوفٌ لَهُ نِسْبَةٌ إِلَى الطَّبِيعَةِ ، وَنَادِرٌ لَهُ نِسْبَةٌ إِلَى النَّفْسِ ، وَبَدِيعٌ لَهُ نِسْبَةٌ إِلَى الْعَقْلِ ، وَغَرِيبٌ لَهُ نِسْبَةٌ إِلَى الْإِلَهِ ؛ وَالْفَلَتَاتُ فِي الْأَحْوَالِ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ ، أَعْنَى مَا يَتَخَلَّلُ هَذِهِ التَّرَائِبِ .

فَقَالَ [لَهُ] الْبُخَارِيُّ : أَيَقَالُ لِمَا يَصْدُرُ عَنِ الْإِلَهِ فَلْتَةٌ ؟ قَالَ : بِحَسَبِ مَصِيرِهِ إِلَيْنَا ، وَوَصُولِهِ إِلَى عَالَمِنَا ، لَا بِحَسَبِ صُدُورِهِ عَنِ الْبَارِي ، فَلَيْسَ هُنَاكَ هَذَا وَ[لَا] مَا يُشَبِّهُهُ ، لِأَنَّ هَذِهِ السَّمَاتِ لَحِقَتْ الْمَرْكَبَاتِ ، مِنَ الْأَوَائِلِ

(١) فِي (١) وَيَقْبُ ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

المُزْدَوِجات^(١)، والثَوَانِي المَكْرَرَات، والثَوَالِث المُحَقَّقَات، والرَّوَابِع المَتَمَّمَات،
والخَوَاسِ المَدْبَرَات، والسَّوَادِس المَضَاعِفَات، والسَّوَابِع الظَّاهِرَات، والثَوَامِن
المُعْقَبَات، والتَّوَاسِع العَالِيَّات، والعَوَاشِر الكَامِلَات؛ وما بَعْدَ العَوَاشِر دَاخِلٌ
فِي المَكْرَرَات.

قال له البخاريّ مستزيذاً: أكان^(٢) التَّوْفِيقُ مِنَ الاتِّفَاقِ؟ فقال: هما
يتَوَحَّدَانِ مِنْ وَجْهِ، وَيَقْتَرِفَانِ مِنْ وَجْهِ؛ فَوَجْهُهُ تَوَحُّدُهُمَا أَنَّ الاتِّفَاقَ وَلِيدُ
التَّوْفِيقِ، وَالتَّوْفِيقُ غَايَةُ الاتِّفَاقِ؛ وَوَجْهُهُ اقْتِرَافُهُمَا أَنَّ الاتِّفَاقَ يَنْزِلُ إِلَى الْحَسَنِ،
وَأَصْحَابُهُ يَشْتَرِكُونَ فِي التَّعَجُّبِ مِنْهُ، وَالِاسْتِطْرَافِ لَهُ؛ وَالتَّوْفِيقُ يُسْتَرُّ عَنْ
الْحَسَنِ؛ وَلِهَذَا لَا تُسَلِّكُ^(٣) مَسَالِكُهُ. وَأَمَّا الْوَفَاقُ وَالْمُوَافَقَةُ وَالتَّوْفِيقُ وَالاتِّفَاقُ
فَتَلَابِسَةُ الْمَعْنَى؛ وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْمَعْنَى وَالْمَعْنَى مَسَافَةٌ مُحْصَلَةٌ^(٤) حُسِبَ هَذَا
فِي حَيْزِ هَذَا، وَعُدَّ هَذَا فِي مُجْلَةٍ هَذَا.

وقال — أَبْقَاهُ اللَّهُ وَأَدَامَ أَيْامَهُ — : مَا الْيُمْنُ وَالْبَرْكََةُ؟ وَالْفَالُ وَالطَّيْرَةُ^(٥)
وَأَضْدَادُهَا؟

فكان الجواب: إِنَّ الْيُمْنَ عِبَارَةٌ عَنْ شَيْءٍ يَبْشُرُ بِهِ [وَيُبْتَنَى] ^(٥) وَيُرَادُ؛
وَيَقَالُ: فَلَانٌ مَيِّمُونَ النَّاصِيَةِ، وَمَيْسُورُ النَّاصِيَةِ؛ أَيْ هُوَ سَبَبُ ظَاهِرٍ فِي نَيْلِ
مَأْمُولٍ وَإِدْرَاكِ مَحْبُوبٍ؛ وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الْيَمِينِ، وَهُوَ الْقُوَّةُ؛ وَلِذَلِكَ يَقَالُ لِلْيَسَارِ:
شِمَالٌ، لِأَنَّهَا أَوْضَعُ مِنْهَا، وَتُسَمَّى أَيْضاً: الشُّؤْمَى. وَيَقَالُ: يُمْنٌ فَلَانٌ عَلَيْهِمْ،

(١) لعله « التَّوَحُّدَات ».

(٢) فِي (١) « فَإِنَّ التَّوْفِيقَ »؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ. وَهَمَزَةُ الِاسْتِفْهَامِ لَمْ تَرُدْ فِي الْأَصُولِ.

(٣) الَّتِي فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ « فَلِهَذَا لَا يَسْأَلُ مَالِكُهُ ».

(٤) فِي (١) « خَاصَّةٌ ».

(٥) فِي (١) « مَا يَرَادُ وَيُبْتَنَى ».

يا لهذا وأحلى ، ولا تتركنى فى هذا الموضع فإكفى السميعُ وأموت ضياعاً ،
وأزحى كما رحمتك . واليهودى لا يُلوى على ندائه وأستغاثته ، حتى غابَ
عن بصره ؛ فلما ينس المجوسى منه وأشقى على الملكة ، ذكرَ اعتقاده
وما وصف به ربه ، فرفع طرفه إلى السماء وقال : إلهى قد علمت أنى اعتقدتُ
مذهباً ونصرتُه ، ووصفتك بما أنت أهلُه ، وقد سمعت وعلمت ، فحق عند
هذا الباغى على ما مجدتك به ، ليعلم حقيقة ما قلت . فما مشى المجوسى إلا
قليلاً حتى رأى اليهودى وقد رمت به البغلة ، وأندقت عنقه ، وهى واقفة ناحية
منه تنتظر صاحبها ؛ فلما أدرك المجوسى بغلته ركبها ومضى لسبيله ، وترك
اليهودى مُعالجاً لكرب الموت ؛ فناداه اليهودى : يا فلان ، إرحنى واحلى
ولا تتركنى فى هذه البرية أهلك جوعاً وعطشاً ، وانصُرْ مذهبك ، وحق
اعتقادك . قال المجوسى : قد فعلت ذلك مرّتين ، ولكنك لم تفهم ما قلت لك
ولم تغفل ما وصفت . فقال اليهودى : وكيف ذلك ؟ قال : لأنى وصفت لك
مذهبي فلم تصدقنى فى قولى ، حتى حققتَه بفعلى ، وذاك أنى قلت : إن فى هذه
السماء إلهاً خيراً عادلاً لا يخفى عليه شيء ، وهو وليُّ جزاء المحسن^(١) بإحسانه ،
والمسئء بإساءته . قال اليهودى : قد فهمت ما قلت ، وعلمت ما وصفت . قال
المجوسى : فما الذى منعك من أن تتعظ بما سمعت ؟ قال اليهودى : اعتقادُ
نشأت عليه ، ومذهبُ تربيت به ، وصار مألوفاً مُعتاداً كالجيلة بطول الدأب
فيه ، وأستعمال أبينته^(٢) ، اقتداء بالآباء والأجداد والمعلمين من أهل ديني
[ومن أهل] مذهبى ، وقد صار ذلك كالأسِّ الثابت ، والأصل النابت ؛

(١) عبارة (١) جزاء المحسنين ويكافئ السيئين .

(٢) أبينته ، أى أصوله التى أبى عليها . وفى (١) « بنته » ؛ وهو تعريف .

وَشَوْمٌ ، وهو ميمونٌ ومشومٌ ؛ جُعِلَ الفِعْلُ على طريقِ ما لم يُسَمَّ فاعِلُهُ ،
لأنَّه شيءٌ موصولٌ به من غيرِ إرادته واختياره . وإنما نزعوا إلى قولهم : فلان
مشومٌ ليكون الفعل واقعاً به — أعنى للسكره — وإلا فهو شائمٌ في الأصل .
ويقال : شائمٌ فلانٌ قومه ، وكذلك يَمَنَّهُمْ ؛ وكأنَّهما قوتان علويتان تصحبان
مزاجين مختلفين ، وإذا أُعْتِدَ منهما هذان العَرَضان اللذان يصدران عن
هاتين القوتين العلويتين ، قيل : فلان [كذا] ، وفلان كذا .

وأما البركة فهي التمام والزيادة والرفع ، من حيث لا يوجد ^(١) بالحس
ظاهراً مكشوقاً يُشار إليه ، فإذا عُهِدَ من الشيء هذا المعنى خافياً عن الحس
قيل : هذه بركة ، واشتقاقها من البروك ، وهو الزوم والسعة ؛ ومن ذلك :
البركة . والبركة يوصف بها كلُّ شيء ، وليس لضدّها اسمٌ مشهور ، لذلك
يقال : قليلُ البركة .

وأما القائلُ ففسَّرَ بأنه جريان الذكر الجليل على اللسان مغزولاً عن
القصد ، إيماناً من القائل ، وإيماناً من السامع . وقد سمع النبي — صلى الله عليه
وسلم — لما نزل المدينة على أبي أيوب الأنصاري — أبا أيوب يقول لغلام
له : ياسالم يا غانم . فقال لأبي بكر : « سَلِمَتْ لَنَا الدَّارُ فِي غَنَمٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » . وهذا
مشهورٌ بين الناس .

وضدُّه الطَّيْرَةُ والإشعار ^(٢) . ويُروى أَنَّهُ نَهَى عن الطَّيْرَةِ ، وكان

(١) لا يوجد ، أى التمام وما عطف عليه .

(٢) لم نجد فيها راجعاً من كتب اللغة التي بين أيدينا من ذكر الإشعار بهذا المعنى
الذي أراده المؤلف هنا . غير أن المراد به يتضح مما نقلناه عن اللسان في الحاشية الآتية رقم ٣
من صفحة ١٦٤ من قصة عمر مع راي الجمار وتطير الرجل الهبي بما حدث ، فانظرها ثم .

يُحِبُّ الْقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَيْسَ لَهَا عِلَلٌ رَاتِبَةٌ ، وَلَا أَسْبَابٌ مُوجِبَةٌ ،
وَلَا أَوَائِلُ مَعْرُوفَةٌ ؛ وَلِهَذَا كُرِهَ الْإِفْرَاطُ فِي التَّطْيِيرِ وَالتَّعْوِيلِ عَلَى الْقَالَ ،
لَأَنَّهُمَا أَمْرَانِ يَصْحَحَانِ وَيَبْطُلَانِ ، وَالْأَقْلُ مِنْهُمَا لَا يُمَيِّزُ مِنَ الْآكْثَرِ ؛ وَلِلْمَزَاجِ
مِنَ الْإِنْسَانِ فِيهِمَا أَثَرٌ غَالِبٌ ، وَالْعَادَةُ أَيْضًا تُعَيِّنُ ، وَالْوَلَوَعُ يَزِيدُ ، وَالتَّحَفُّظُ مِمَّا
هَذَا شَأْنُهُ شَدِيدٌ . وَلَقَدْ غَلَبَ هَذَا حَتَّى قِيلَ : فَلَانٌ مَدَوَّرُ السَّكَبِ ، وَفَلَانٌ
مَشْنُومٌ ؛ وَحَتَّى تَعْدَى هَذَا إِلَى الدَّابَّةِ وَالِدَارِ وَالتَّعْبُدِ ؛ وَكُلُّ هَذَا ظَهَرَ فِي هَذِهِ
الدَّارِ حَتَّى لَا يَكُونَ الْعَبْدُ طُمَأْنِينَةً إِلَّا بِاللَّهِ ، وَلَا سُكُونٌ إِلَّا مَعَ اللَّهِ ، وَلَا
مَطْلُوبٌ إِلَّا مِنْ اللَّهِ ؛ وَلِهَذَا — عَزَّ وَجَلَّ — يُطْلَعُ الْخَوْفُ مِنْ ثَنِيَّةِ الْأَمْنِ ،
وَيُسَوِّقُ الْأَمْنُ مِنْ نَاحِيَةِ الْخَوْفِ ، وَيَبْعَثُ النَّصْرَ وَقَدْ وَقَعَ الْيَأْسُ ، وَيَأْتِي
بِالْفَرَجِ وَقَدْ أَشْتَدَّ الْبَأْسُ . وَأَفْعَالُ اللَّهِ تَعَالَى خَفِيَّةُ الْمَطَالِيعِ ، جَلِيَّةُ الْمَوَاقِعِ ،
مَطْوِيَّةُ الْمَنَافِعِ ؛ لِأَنَّهُ تَسْرِي بَيْنَ الْغَيْبِ الْإِلَهِيِّ ، وَالْعَيَانِ الْإِنْسَانِيِّ ، وَكُلُّ ذَلِكَ
لِيَصِحَّ التَّوَكُّلُ عَلَيْهِ ، وَالتَّسْلِيمُ لَهُ ، وَاللِّيَازُ بِهِ ، وَيَعْرَجَ عَلَى كَنَفِ مُلْكِهِ ،
وَيَتَّبِعُوا مَعَانِ^(١) خُلْدِهِ ، وَيُنَالُوا مَا عِنْدَهُ بِطَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ .

فَقَالَ الْوَزِيرُ — كَبِتَ اللَّهُ أَعْدَاءَهُ ، وَبَلَّغَهُ مُنَاهُ — : هَذَا كَلَامٌ لَيْسَ عَلَيْهِ
كَلَامٌ ، أَرَى الثُّعَاسَ يَخْطُبُ إِلَى عَيْنِي حَاجَتَهُ ، وَإِذَا شِئْتَ فَأَجْعَلْ لِي قِرَاءَةً مِنْ
هَذَا الضَّرْبِ الَّذِي مَرَّ مِنْ حَدِيثِ الطَّيِّرَةِ وَالْقَالَ وَالْأَتْفَاقِ .

الليلة الثامنة والعشرون

وَعُدْتُ لَيْلَةً أُخْرَى وَقَرَأْتُ عَلَيْهِ أَشْيَاءَ مِنْ هَذَا الْفَنِّ .

منها : عَقَدَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لِسَعِيدِ بْنِ عَمْرِو الْجُرَشِيِّ أَيَّامَ التَّرْكِ ، فَقَالَ (١)

(١) المَعَانِ : الْمَثَلُ .

سعيد : يا فَتْحُ ، يا نَصْرُ ، خُذَا اللّوَاءَ . فقال هشام : أَعْمَدًا قَلْتَ هَذَا ؟ قال : لا ، ولكنهما غلاماى دَعَوْتُهُمَا . قال هشام : هو الْفَتْحُ وَالنَّصْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وكان ذلك كذاكَ .

وكان عمرُ بنُ الخطّاب — رضى الله عنه — يَغْرِضُ ، فَرَّ بِهِ حَيَّةُ بنُ نَكَّاز ، فقال : لا حاجة لنا فى هذا ، هذا حَيَّةُ وأبوه يَنْكُزُ^(١) .

ورمى رجلُ الجِمارِ ، فأصابَ صَلَعةَ عمرَ بِمَحْصَاةٍ فَشَجَّهَ . فقال رجل : أَشْعِرْتَ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ^(٢) لا يقوم عمر هذا اللَّقَامَ أَبَدًا . فكان ذلك كذلك^(٣) .

وخرج رجل ينظر الحسن بن على — صلوات الله عليه — فلقى رجلاً ، فقال له : ما أَسْمُكَ ؟ قال : عِقَال . قال : إِبْنُ مَنْ ؟ قال إِبْنُ عَقِيل . قال : مِنْ بَنِي مَنْ ؟ قال : مِنْ بَنِي عُقَيْل . قال عَقَلْتَهُ عَقَلَك اللَّهُ .

(٢) هذا الجزء أيُّها الشيخُ — أَبْطَاكَ اللَّهُ ما تَمَتَّتِ البقاء — هو الجزء الثانى ،

والثالثُ يَتْلُوهُ ، وَالظَّنُّ الْجَلِيلُ بك ، يَمِدُّنا بِالْحَسَنِ مِنْكَ ، وقد علمتَ الْفَرَضُ فى جمع هذا كَلَّةٍ والتعب فيه ، وأَرْجُو أَلَّا يَحْبِيبَ الْأَمْلُ ، ولا يَبُورَ الْعَمَلُ ،

(١) يَنْكُزُ ، مِنْ النَكَزِ ، وهو لسع الحية بأُظْفُفِها ، ومنه أخذ اسم هذا الرجل « نَكَاز » كما أن النَكَازَ نوع من أخبث الحيات .

(٢) فى (١) « أَمِ الْمُؤْمِنِ » ؛ وهو تحريف .

(٣) وردت هذه الفصّة فى اللسان مادة شعر ونصّها : « أن رجلاً رمى الجمرات فأصاب صلته بمحجر فسال الدم فقال رجل أشعر أمير المؤمنين . ونادى رجل آخر يا خليفة ، وهو اسم رجل ، فقال رجل من بني لهب : ليقتلن أمير المؤمنين . فرجع فقتل فى تلك السنة . ولهب قبيلة من اليمن فيهم عيافة وزجر . وتشاءم هذا اللهيب بقول الرجل : أشعر أمير المؤمنين فقال : ليقتلن ، وكان مراد الرجل أنه اعلم بسلان الدم عليه من الشجة كما يشعر الهدى إذا سيق للنحر . وذهب به اللهيب إلى القتل ، لأن العرب كانت تقول للبلوك إذا قتلوا : أشعروا وتقول لسوقة الناس : قتلوا . ولا قال الرجل : أشعر أمير المؤمنين جعله اللهيب قتلاً فبما توجه له من علم العيافة وإن كان مراد الرجل أنه دى كما يدى الهدى إذا أشعر . وحقت طيرته ، لأن عمر رضى الله عنه لما صدر من الحج قتل « والإشعار : الإدماء بطن أو روى أو وجع بمحديدة . اهـ »

وإن كان ذلك لا يخلو من بعض الخلل والزلل . فإذا أخذت بحكم الفضل الذي هو عادتك وديدتك مع الصغير والكبير ، والقريب والبعيد ، فاز قذحي ، وصدق نوثي ، وصح زجري وقالي . حرس الله نفسك ، وصان نعمتك ، وكبت كل عدو لك .

الجزء الثالث من كتاب الإمتاع والمؤانسة

بسم الله الرحمن الرحيم

- (١) أيها الشيخ وصل الله قولك بالصواب ، وفعلك بالتوفيق ، وجعل أحوالك كلها منظومةً بالصلاح ، راجعةً إلى حميد العاقبة ، متألقةً بشوارد الشُّرور ، ووفرَ حظَّك من المدح والثناء ، فإنهما ألدُّ من الشَّهْدِ والسُّلْوَى ، ومدَّ في عمرك لكسب الخير ، وأستدامة النعمة بالشُّكر ؛ وجعل تلذذك باصطناع المعروف ، وعرفك عواقب الإحسان إلى المُستحقِّ وغير المستحق ، حتى تكلف بيت الجليل ، وتُشغفَ بنشر الأيادي ، وحتى تجدَ طعم الثناء ، وتطربَ عليه طربَ النَّشْوَانِ على بديع الفناء . لا طرب^(١) البرداني على غناء علوة جارية (٢) ابن علويه في درب السلق^(٣) إذا رفعت عقيرتها ففتت بأبيات السُّرُوى^(٤) :

بالورد في وجنتيك من لطمك ومن سقاك المدام لم ظلمك ؟
[خلأك لا تستفيق من سُكرٍ توسعُ شتاً وجفوة خدَمك]
مُعقرب الصُّدغ قد ثملت فما يمنع من ثم عاشيقك فك ؟

(١) في (١) « ولا طرب » .

(٢) في كلتا النسخين « السلق » ، والياء زيادة من الناسخ . ودرب السلق محلة يشداد .

(٣) في ب « السُّرُوى » بالمجبة .

[تَجَرُّ فَضْلَ الْإِزَارِ مُنْخَرِقَ النَّفْلَيْنِ قَدْ لَوَّثَ الثَّرَى قَدَمَكَ
أَظْلَى مِنْ حَيْرَةٍ وَمِنْ دَهْشٍ أَقُولُ لِمَا رَأَيْتُ مَبْتَسِمَكَ]
بِاللَّهِ يَا أَقْحَوَانَ مَضْحَكَهِ عَلَى قَضِيبِ الْعَقِيقِ مَنْ نَظَّمَكَ ؟
وَلَا طَرَبَ ابْنُ فَهْمٍ ^(١) الصُّوفِيُّ عَلَى غَنَاءِ « نَهَايَةِ » جَارِيَةِ ابْنِ الْغَنِيِّ إِذَا
انْدَفَعَتْ بِشَدُوهَا ^(٢) :

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ فِي بَغْدَادَ لِي قَرَأَ بِالكَرَّخِ مِنْ فَلَكَ الْأَزْرَارِ مَطْلَعُهُ
وَدَّعْتُهُ وَبَوْدَى لَوْ يُوَدُّعُنِي صَفْوُ الْحَيَاةِ وَأَنْى لَا أُوَدِّعُهُ
فَإِنَّهُ إِذَا سَمِعَ هَذَا مِنْهَا ضَرَبَ بِنَفْسِهِ الْأَرْضَ ، وَتَمَرَّغَ فِي التُّرَابِ وَهَاجَ
وَأَزْبَدَ ، وَتَمَرَّغَ ^(٣) شَعْرَهُ ؛ وَهَاتِ ^(٤) مِنْ رِجَالِكَ مَنْ يَضْبُطُهُ وَيَمْسِكُهُ ،
وَمَنْ يَجْسُرُ عَلَى الدُّنُومِ ، فَإِنَّهُ يَعْصُ بِنَابِهِ ، وَيَنْخِمِشُ بِظُفْرِهِ ، وَيُرْكَلُ بِرِجْلِهِ
وَيَخْرَقُ الرَّمَقَةَ قِطْعَةً قِطْعَةً ، وَيَلْطِمُ وَجْهَهُ أَلْفَ لَطْمَةٍ [فِي سَاعَةٍ] ، وَيَخْرُجُ فِي
الْعَبَاءَةِ ^(٥) [كَأَنَّهُ] عَبْدُ الرَّازِقِ الْجَنُّونِ صَاحِبُ الْكَيْلِ فِي جِيرَانِكَ بِيَابِ الطَّاقِ .
وَلَا طَرَبَ ابْنُ غِيلَانَ الْبَزَازِ عَلَى تَرْجِيَعَاتِ « بَلَّوْرَ » جَارِيَةِ ابْنِ الْبَزِيدِ
الْمَوْلُفِ بَيْنَ الْأَكْبَادِ الْحَرَقَةِ ، وَالْمُحْسِنِ إِلَى الْقُلُوبِ الْمُتَصَدِّعَةِ وَالْعَيُونِ الْبَاكِیَةِ
إِذَا غَنَّتْ .

(١) فِي لِسَانَةِ « ابْنِ قَتْمِ » .

(٢) فِي (١) « لَتَشْدُوهَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي (١) « وَتَعْرِفُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ؛ وَوَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَالَّتِي بَعْدَهَا فِي .

(ب) مَطْمُوسَتِ الْحُرُوفِ تَتَعَذَّرُ قِرَاءَتُهُمَا .

(٤) فِي (١) « وَهَابُ وَجَالِكَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ؛ كَمَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي (ب) غَيْرِ

وَاضِحَةٍ .

(٥) فِي (١) « الْحَكَايَةُ » وَوَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مَطْمُوسَةً الْحُرُوفِ فِي « ب » ، وَلَعَلَّ

صَوَابُ الْكَلِمَةِ مَا أَثْبَتْنَا بِدَلِيلٍ مَا سَبَقَ فِي قَوْلِهِ « وَيَخْرَقُ الرَّمَقَةَ » الْح .

أعطِ الشَّبَابَ نَصِيْبَهُ مَا دُمْتَ تُعَذِّرُ بِالشَّبَابِ
وَأَنْتُمْ بِأَيَّامِ الصَّبِيِّ وَأَخْلَعَ عِذَارَكَ فِي التَّصَابِي

فإنه إذا سمع هذا منها أنقلبت سحاليق عينيه ، وسقط مَشْيَا عليه ، وهاتِ
الكانفور وماء الورد ، وَمَنْ يقرأ في أذنه آيةَ الكُرْمِيِّ والمعوذتين ، ويرُقِي
بِهَيَّأِ شَرَاهِيَا^(١) .

ولا طربَ أَبِي الوزير الصوفي [القاطن] في دار القطن^(٢) عند جامع المدينة على
« قَلَمِ القضييية^(٣) » إذا تناوأت^(٤) في استهلالمها ، وتضاجرت^(٥) على ضُجْرَتِهَا ،
وتذكّرت شجوها الذي قد أضناها وأنضأها ، وسلبها منها^(٦) وأنساها إياها^(٧) .
ثم أندفعت وغنّت بصوتها المعروف [بها] .

أقولُ لها والصبحُ قد لاح نوره كما لاح ضوءه البارق المتألقِ
شَبِيْهَكَ قد وافي وحن^(٨) افتراقنا فهل لك في صوتٍ ورطلٍ مَرُوقٍ

(١) هيا شراهايا كلمة عبرانية معناها يأسى ياقيوم كما في الصباح وفي القاموس مادة شره .
أشهر إهيا بفتح الهمزة والشين : كلمة يونانية معناها الأزل الذي لم يزل والناس يظنون ويقولون
أهيا شراهايا وهو خطأ على ما يزعمه أحبار اليهود .
(٢) في كلتا النسختين القطن ؟ والذي وجدناه في محلات بغداد دار القطن لا القطن ،
ولها ينسب البارقطي .

(٣) القضييية نسبة إلى القضييب الذي توقع به .

(٤) في (١) « تناوت » وفي ب « تبارت » ، وهو تحريف في كلتا النسختين ، والصواب
ما أثبتنا كما يدل عليه الكلام الآتي بعد ، وتناوأت أي تناقلت وتظاهرت بالإعياء والتعب من
نساء بالمثل ينوء .

(٥) وتضاجرت على ضجرتها أي تظاهرت بالضجر زيادة على ما فيها منه ، وفي كلتا
النسختين وتماطرت مكان قوله وتضاجرت وهو تحريف لا معنى له . وفي (١) على صخرتها ،
وهو تحريف أيضاً .

(٦) سلبها منها نظير قول المؤلف في وصف بعض الفلجان المختين (س ١٧٥ سطر ٣
من هذا الجزء) « يسرقك منك » .

(٧) أنساها إياها أي أنساها نفسها . (٨) في ب « وحر » ؛ وهو تحريف .

أورجاءٍ لمنتظر ، أو حزنٍ على حالٍ ، وهذه أحوالٌ معروفة ، والناسُ [منها] على جديلة^(١) معهودة .

ولا طرب ابن غسان البصري المتطّيب إذا سمع ابن الرّفاء يُغنى :
وحياة من أهوى فاني لم أكن أبدا لأخلف كاذباً بحياته
لأخالفن عواذلي في لذتي ولأسعدن أخى على لذاته
وابن غسان هذا مليح الأدب ، وهو الذي يقول في ابن نصرٍ العاملِ
— وقد عاجله من علة فلم يتفقده ولم يقض حقه — :

هَبِ الشعراءَ تُعطِهم رِقَاعاً مُزَوَّرَةً كلاماً عن كلام
فَلِمَ صلة الطيب تكون زوراً وقد أهدى الشفاء من السقام
عجبت لمن نمته^(٢) أرض لوئم وبخل لم يُعَدَّ من الكرام
نسبت إلى الساجدة لا شيء سوى نقصان لوئمك في اللثام

عنى بها أنه من أصهبان^(٣) ، وكان آخر حديث ابن غسان ما عرفته^(٤) ،
فإنه غرق^(٥) نفسه في كرداب^(٦) كلواذى ، وذلك لأسباب تجتمعت عليه من صفَر
اليد ، وسوء الحال ، وجربٍ أكل بدنه ، وعشقٍ أحرَقَ كبده على غلام
(الأمديّ الخلاوي) بباب الطاق ، وحيرة عزبٍ معها عقله ، وخذله رأيه ، وملكه
حينه ، ونسأل الله حسن العقبى بدرك المني ، وليس للإنسان من أمره شيء ،

(١) الجديلة : الطريقة . (٢) في (١) « نموت » ؛ وهو تحريف .

(٣) يشير إلى شهرة أهل أصهبان بالبخل .

(٤) في ب « علته » .

(٥) في (١) « عرف » ؛ وهو تصحيف .

(٦) في (١) كردان بالنون ؛ وهو تحريف . والجرداب كلمة فارسية معناها دوامة الماء
وهي وسط البحر وبلحة التي يدوم عليها الوجود . وهي بالميم ، ولعل العرب كانوا ينطقونها بالكاف

قالت حياتي في الذي قد ذكرته وإن كنت قد نَفَّصْتَهُ بالتفريق
ولا طرب الجراحى أبى الحسن مع قضائه في الكرخ وِرْدَائِهِ الْمُحَسَّنَى، وكميّه
المُغْدَرِينَ^(١) ووجنتيه المتخلّجَتَيْنِ^(٢)، وكلامه الفخْم، وإطراقه الدائم؛ فإنه يغمزُ
بالحاجب إذا رأى مرطاً^(٣)، وأمل أن يُقبَلَ خِذَاً وُفُوطاً^(٤)؛ على غناء شُفْلَةٍ :
لا بدّ للشقاقِ مِنْ ذِكْرِ الْوَطَنِ واليأسِ والسَّلْوَةِ مِنْ بَعْدِ الْحَزَنِ
وقيامته^(٥) تقوم إذا سمعها ترجع في لحنها

لو أن ما تبتليني^(٦) الحادثاتُ به يُلقَى على الماء لم يُشْرَب من الكدرِ
فهناك ترى شَيْبَةً قد أبْثَلَتْ بالدموع، وفؤاداً قد نَزَا^(٧) إلى اللهاء، مع
أسفٍ قد ثَقَبَ القلب، وأوهنَ الرُّوح، وجابَ الصَّخْر^(٨)، وأذاب الحديد،
وهناك ترى والله أحداقَ الحاضرين باهتة، ودموعهم ممتحِذَةٌ، وشبهتهم قد علا
رَحْمَةٌ لَهُ، ورفقةٌ عليه، ومساعدةٌ لحاله، وهذه صُورَةٌ [إذا] أَسْتَوَلَتْ على أهلِ مجلسٍ
وَجَدَتْ لها عَدُوًى لا تُمَلِكُ، وغايةٌ لا تُدْرِكُ، لأنه قلما يخلو إنسانٌ من صبوة
أو صباية، أو حسرةٍ على فائت، أو فكريٍّ في مُتَمَتَّى، أو خوفٍ من قَطيعَةٍ،

(١) كننا في كلتا النسختين ولعله من التقدير في الثوب، أي الزيادة والفضل؛ وهو
دخيل كما يظهر لنا إذ لم نجد في أي لدينا من كتب اللغة، غير أن ذلك مستعمل في بعض بلاد مصر
ويطلقون عليه الفساد بفتح الفاء أي الزيادة أو لعل صوابه: «المغزيرين» بالزاي المشددة،
أي المشغورين فإن شق الكمين لا يزال معروفاً حتى اليوم في أقيّة أهل العلم والقضاء.
(٢) التخلّجَتان، أي للضطربان المرتشتان ويكون ذلك من الضعف وكبر السن.
(٣) المرط من ملابس النساء معروف. وفي كلتا النسختين «شرطاً»؛ وهو تحريف
إذ لم نجد له معنى يناسب السياق.

(٤) في كلتا النسختين «وفرطاً» بالفاء؛ وهو تصحيف.
(٥) في (أ) و«قيامه يقوم». ووردت هذه البارة في «ب» غير واضحة الحروف.
(٦) في (أ) «تتأبني»؛ وهو تحريف.
(٧) في (أ) «نزل»؛ وهو تحريف.
(٨) جاب الصخر: قطعه.

وما هو آئض^(١) إليه فهو مملوك عليه ، يُصَرِّقُهُ فيما يُصَرِّقُ فَيُظَنُّ أَنَّهُ أَتَى مِنْ قِبَلِهِ ،
ولعمري مَنْ غُلِّطَ غُلِطَ ، ومن غُولِطَ غَالِطٌ ، والكلام في هذا غاش^(٢) والإغراقُ
فيه مُوسوسٌ ، والإعراض^(٣) عنه أَجْلَبُ لِلْأَنْسِ ، وما أَحْسَنَ ما قال القائل :
إِذَا اسْتَعْفَيْتُ مِنْ أَسْرِ اللَّيَالِي تُصَرِّقُنِي فَأَسْرِ فِي خَلَاصِي^(٤)
ولولا طَيْش^(٥) القَلَمِ وَتَسَحُّبُ الْخَاطِرِ ، وَشُرُودُ الرَّأْيِ ، مَا عَثَرْتُ بِهَذَا الْمَوْضِعِ
وَلَا عَلِقْتُ بِهَذَا الْحَبْلِ ، نَم .

وَلَا طَرَبَ ابْنُ نُبَاتَةَ الشَّاعِرِ عَلَى صَوْتِ الْخَاطِفِ إِذَا غَنَّتْ .
تَلْتَهِبُ الْكَفُّ مِنْ تَلْهِبِهَا وَتَحْسُرُ الْعَيْنُ إِنْ تَقْصَاها
كَأَنَّ نَارًا بِهَا مَحْرُومَةٌ^(٦) تَهَابُهَا^(٧) مَرَّةً وَتَقْشَاها
نَاخِذَهَا تَارَةً وَتَأْخُذْنَا فَتَنْحَنُ فُرْسَانُهَا وَصَرَعاها
وَلَا طَرَبَ ابْنُ الْعَوْدِيِّ^(٨) إِذَا سَمِعَ غَنَاءَ تَرْفٍ^(٩) الصَّابِئَةِ فِي صَوْتِهَا ، عِنْدَ
نَشَاطِهَا وَمَرَجِّهَا ، وَهَوَاها حَاضِرٍ ، وَطَرَفِهَا إِلَيْهِ نَازِرٍ :

(١) آئض ، أى راجع .
(٢) فى (١) « حاش » بالحاء والشين المعجمة ؛ وفى « ب » حاس بالحاء والسين المهملة ؛
ولم نجد لواحدة منهما معنى يناسب السياق ؛ ولعل الصواب ما أثبتنا .
(٣) فى كلتا النسختين : « والإفراج » ؛ وهو تحريف .
(٤) ورد هذا البيت فى (١) هكذا :
إِذَا اسْتَقْبَ رَقِي مِنْ لَيْالٍ تُصَرِّقُنِي فَأَسْرِنِي فِي خَلَاصِي
وفيه تحريف ظاهر .

(٥) فى (١) « طفس » ؛ وهو تحريف .
(٦) حرث النار : حركها . وفى كلتا النسختين « محرشة » بالشين ؛ وهو تصحيف .
(٧) فى (١) « شهابها » ؛ وهو تحريف .
(٨) لعله نسبة إلى العود من بنى أسد . والثنى فى كلتا النسختين ابن العودى بالهمزة
المهملة ، ولم نجد هذه النسبة فيما راجعناه من كتب الأنساب .
(٩) ن (١) « عرفت » ؛ وما أثبتناه عن « ب » وهو الأرجح أن يكون من أسمائهن .

لَبَّ الهوى كلما دَعَاكَ ولاح في الحبِّ من لحَاكَ
 مَنْ لَامَ في الحبِّ أَوْنَهَاكَ فزده في غَيْبِكَ أَنَهَاكَ
 إِن لم تكن في الهوى كذاكَ نال^(١) لذاته سِوَاكَ
 ولا طَرَبَ المعلمُ غلامَ الحُصْرَى شيخَ الصُّوفِيَةِ إِذا سمعَ ابنَ بَهلولٍ يَغْنَى في
 رَحْبَةِ المسجدِ بعدَ الجمعةِ وقد خَفَّ الزحامُ :

وقال لي العَذُولُ تَسَلَّ عنها فقلتُ له : أَتَدْرِي ما تَقُولُ ؟
 هي النفسُ التي لا بُدَّ منها فكيف أَزولُ عنها وَأُحُولُ ؟
 ولا طَرَبَ ابنَ الغازِي على جاريةِ العَمَى^(٢) في مجلسِها العاصِ بنبلاءِ الناسِ
 بين السُّورَيْنِ^(٣)

يَلْحَى ، ولو أَرْفَهُ مِيعَادُ أَوْ رَاعَهُ الإِعْرَاضُ وَالْإِبْعَادُ
 أَوْ هَرَّهَ الأَعْدَاءُ وَالْحُسَادُ أَوْ سَلَقَتْهُ الأَلْسُنُ الحِدَادُ
 ما^(٤) لَامَ مَنْ لَيْسَ لَهُ فُؤَادُ

ولا طَرَبَ ابنَ صُبْرٍ^(٥) القاضِي قَبْلَ القِضَاءِ على غناءِ درَّةَ جاريةِ أَبِي بَكْرٍ
 الجَرَّاحِي في دَرْبِ الزعفرانِي التي لا تَقْعُدُ في السَّنةِ إِلَّا في رَجَبٍ ، إِذا غَنَّتْ :
 لَسْتُ أَتَى تلكَ الزِّيَارَةَ لَمَّا طَرَقْتُنَا وَأَقْبَلْتُ تَتَشَّى
 طَرَقْتُ ظَبِيَهُ الرُّصَافَةَ لَيْلًا فَمِى أَحلى مِنْ جَسَّ عُوْدًا وَغَنَّى

(١) في كلتا النسختين : « فَإِنْ بَدَاكَ » ؛ وهو تحريف لا معنى له .

(٢) في كلتا النسختين « عَمَى » بدون ألف ولا م ؛ ولعل صوابه ما أُمِيتْنَا ، والعَمَى نسبة إلى العم بطن من تميم .

(٣) بين السورين : محلة كبيرة كانت بكرخ بغداد وكانت من أحسن محالها وأعمرها وقد وردت هذه الكلمة في كلتا النسختين بعد قوله « العَمَى » . واللائق لإبانتها في هذا الموضع .

(٤) في « ب » « من لَام » ؛ وهو تحريف .

(٥) كذا ضبط هذا الاسم بالمبارة في شرح القاموس .

كم ليالٍ بِنْتنا نَلَدُ ونَلْهُو ونُسْقَى شرابنا ونُفْنَى
 هجرتنا فما إليها سَبِيلٌ غيرُ أنا نقولُ : كانت وكُنّا
 وإذا بلغت « كانت وكُنّا » رأيتَ الجَنِبَ مَشْقُوقًا ، والدَّيْلَ مَحْرُوقًا ،
 والذَّمَّعَ مُنْهَمَلًا ، والبالَ مُنْخَذِلًا ، ومكتومَ السَّرِّ في الهوى باديا ، ودليلَ العِشْقِ على
 صاحبه مُناديا .

ولا طرب ابن حَجَّاجَ الشاعر على غناء قِنُوةَ البَصْرِية ، وهي جَارَتُهُ (١)
 وَعَشِيقَتُهُ ، وله معها أحاديث ، ومع زوجها أعاجيب ؛ وهناك مكائِدات ، وَرَمَى
 ومُعَايِرَات ، وإنشاه نِكات ؛ إذا أنشَدَتْ :

يا لَيْتَنِي أَحْيَا بَقْرِيَهُمُو فَإِذَا فَقَدْتُهُمُ أَنْقَضَى عُمرِي
 ثُمَّ ثَنَّتْ بِصَوْنِهَا (٢) الْآخِرَ :

هَيْبَنِي أَمْرًا إِمَّا بَرِيئًا ظَلَمْتِهِ وَإِمَّا مُسِيئًا تَابَ بَعْدُ فَأَعْتَبَا
 فَكُنْتُ كَذِي دَاءٍ تَبَغَّى لِدَاءِهِ طَيِّبًا فَلَمَّا لَمْ يَجِدْهُ تَطَلَّبَا

ولا طرب ابن معروف قاضي القضاة على غناء عُلَيَّةَ إذا رَجَعَتْ لِحَنَهَا فِي
 حَلَقِهَا الْحَلُو (٣) الشَّجِي بِشعر ابن أبي ربيعة :

أُنِيرِي مَكَانَ الْبَدْرِ إِنْ أَفَلَ الْبَدْرُ وَقَوِي مَقَامَ الشَّمْسِ مَا أَسْتَأَخَرَ الْفَجْرُ
 فَمِنْكَ مِنَ الشَّمْسِ الْمُتِيرَةِ نُورُهَا وَلَيْسَ لَهَا مِنْكَ الْحَاجِرُ وَالْثَغْرُ (٤)
 ولا طرب ابن إسحاق الطبري على صَوْتِ [دُرَّة] البَصْرِية إذا غَنَّتْ :

(١) في (١) جَارَتُهُ ؛ وهو تحريف .

(٢) في (١) صَوْنِهَا .

(٣) هنا كلمة مطبوعة في (١) قبل هذه الكلمة .

(٤) في (١) « والثغر » .

يا ذا الذي زار وما زارا كأنه مُقْتَبِسٌ نَارًا
قامَ ببابِ الدارِ مِنْ زَهْوِهِ ما ضَرَّه لو دَخَلَ الدارا
لو دَخَلَ الدارَ فَكَلَّمْتُهُ بحاجتي ما دَخَلَ الثَّارا
نَفْسِي فِدَاهُ الْيَوْمَ مِنْ زَائِرٍ ما حلَّ حَتَّى قِيلَ قَدْ سَارَا

ولا طَرَبَ ابْنُ الْأَزْرَقِ المَرْجَرَأِيَّ عَلَى غِنَاءِ سُندُسَ جارية ابن يوسف صاحب ديوان السَّوَادِ إِذَا تَشَاجَتْ وَتَدَلَّتْ ، وَتَقَنَّتْ ^(١) وَتَقَنَّتْ ، وَتَكَسَّرَتْ وَتَبَسَّرَتْ ، وَقَالَتْ : أَنَا وَاللَّهِ كَسَلَانَةٌ مَشْغُولَةٌ الْقَلْبَ بَيْنَ أَحْلَامٍ أَرَاهَا رَدِيثَةً ، وَبَحَّتْ ^(٢) إِذَا أَسْتَوَى التَّوَى ، [وَأَمَلِ] إِذَا ظَهَرَ عَثَرٌ ؛ ثُمَّ انْدَفَعَتْ وَغَنَّتْ :

مَجْلِسُ صَبَّيْنِ عَمِيدَيْنِ لَيْسَا مِنَ الْحُبِّ بِمُجْلَوَيْنِ
قَدْ صَيَّرَا رُوحَيْهِمَا وَاحِدًا وَاقْتَسَمَاهُ بَيْنَ جِسْمَيْنِ
تَنَازَعَا ^(٣) كَأَسَا عَلَى لَذَّةٍ قَدْ مَزَجَاهَا بَيْنَ دَمْعَيْنِ
الْكَأْسُ لَا تَحْسُنُ إِلَّا إِذَا أَدْرَتْهَا بَيْنَ مُحِبِّينِ

ولا طَرَبَ ابْنُ سَمْعُونِ [الصُّوفِيَّ] عَلَى ابْنِ ^(٤) بَهْلُولٍ إِذَا أَخَذَ الْقَضِيبَ وَأَوْقَعَ ^(٥) بَيْنَانَهُ الرِّخْصَ ، ثُمَّ زَلَّزَلَ الدُّنْيَا بِصَوْتِهِ النَّاعِمِ ، وَغَنَّتِ الرِّخِيمَةُ ، وَإِشَارَتُهُ الْخَالِبَةُ ، وَحَرَكَتُهُ الْمَدْغَدَغَةُ ^(٦) ، وَظَرْفُهُ الْبَارِعُ ، وَدُمَائُهُ الْحُلُوءَةُ ، وَغَنَّى :

- (١) تَقَنَّتْ ، أَيْ تَلَوَتْ ، وَفِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « وَتَقَبَّلَتْ » وَهُوَ تَصْغِيفٌ لِذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَهَا سِيَاقُ مَا هُنَا ، وَلَعَلَّ صَوَابَهُ مَا أَتَيْنَاهُ كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ بَعْدَ : « وَتَقَنَّتْ » أَيْ تَنَتَتْ فِي مَشِيَّتِهَا .
(٢) فِي (١) « وَنَجِيبٌ » ؟ وَهُوَ تَصْغِيفٌ .
(٣) هَذِهِ الْكَلِمَةُ مَطْمُوسَةٌ فِي (١) .
(٤) عَلَى ابْنِ بَهْلُولٍ ، أَيْ عَلَى غِنَاءِ ابْنِ بَهْلُولٍ .
(٥) فِي (١) « وَرَفَعَ » ؟ وَهُوَ تَصْغِيفٌ .
(٦) الدَّغْدَغَةُ وَالزَّغْزَغَةُ كِلَا اللَّفْظَيْنِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ وَقَدْ اسْتَعَارَهَا هُنَا لِمَا يَلِيزُ ذَلِكَ مِنْ مَعْنَى الْخَفَّةِ وَالسَّرُورِ وَانْبِسَاطِ النَّفْسِ .

ولو طابَ لي غَرَسٌ لطابتْ ثمارُهُ ولو صحَّ لي غَيْبٌ لصَحَّتْ شهادتي
تَزَهَّدْتُ في الدنيا وإني لراغِبٌ أرى رَغْبَتِي ممزوجةً بزهادتي
أيا نَفْسٍ ما الدنيا بأهلٍ لِحُبِّها دَعِيها لأقوامٍ عليها تَعَادَتِ
ولا طرب ابن حَيَوِيَه^(١) على غلام^(٢) الأمراء إذا غَنَى :

قد أشهدُ الشاربَ المَعْدَل^(٣) لا معسوفُهُ مُنْكَرٌ ولا حَصْرُ
في فِتْنَةٍ لَيْسَ المَازِرِ لا يَنْسَوْنَ^(٤) أَخْلَافَهُمْ^(٥) إذا سَكروا
وغلامُ الأمراء هو الذي يقول فيه القائل :

أبو العباس قد حَجَّ وقد عاد وقد غَنَى
وقد ملَأَ عَنَّا^(٦) فهذا هُمُ كما كُنَّا

وأصحابنا يَسْتَمْلَعُونَ قوله (هُمُ) هاهنا ، وَيَرَوْنَهُ من العيِّ الفصيح .
ولا طَرَبَ أبي سُلَيْمَانَ المنطقيُّ إذا سمعَ غِناءَ هَذَا الصَّيِّ الموصليِّ النابغ الذي
قد قنَّ الناسَ وملأَ الدنيا عِيَارَةً^(٧) وخسارةً ، وافتضحَ به أصحابُ النسلِ والوقار ،
وأصنافُ الناسِ من الصُّغار والكبار ، بوجهه الحَسَن ، وثغره المُبْتَسِم ، وحديثه
السَّاحِر ، وطَرَفه الفاتر ، وقَدَّه المَدِيد^(٨) ، وَلَقِظَه الحُلُو ، ودَلَّه الخُلُوب ، وتمنَّعه

(١) في (١) « حيومة » بالميم ، وهو تحريف .

(٢) على غلام ، أى على غناء غلام .

(٣) وردت هذه الكلمة في كلتا النسختين بالبدال المهملة ؛ وهو تصحيف .

(٤) ورد هذا البيت في (١) أكثر حروفه مهملة من النقط .

(٥) في (ب) « أحلامهم » ، والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٦) العَنَّا طيل كان يلقه الخُنُثُونَ وأصحابُ الغناء في أعناقهم . والذي في (أ) « وقد عائق غبارا » .

(٧) العيارة : تخيلة المرء نفسه وهوها لا يردعها ولا يزرعها .

(٨) في (١) المدير ؛ وهو تصحيف .

المطيع، وإطاعه الممتنع^(١) وتشكيكه في الوصل والهجر، وخلطه الإباء بالإجابة، ووقفه بين لا ونعم. إن صرّحت له كنى، وإن كُنيت له صرّح؛ يسرّك منك، ويردّك عليك، يعرّفك منكراً لك، ويُنبّرك عارفاً بك؛ خاله حالات، وهدايته ضلالات، وهو فتنة الخاير والبادي، ومُنّية^(٢) السائق والهادي؛ في صوته الذي هو من قلائده:

عرفت الذي بي فلا تلحنى فليس أخو الجهل كالعالم
وكنْتُ أخوفهُ بالدُّعَا^(٣) وأخشى عليه من المائم
فلو كنت أبصرت مثلاً له إذا لمت نفسي مع اللائم
فلما أقام على ظلمه تركت الدعاء على الظالم

ولا طرب أبي عبد الله البصريّ على إيقاع ابن العصبى إذا أوقع بقضيه
وغنى بصوته:

أنسيت الوصل إذ بدّنا على مرّقدٍ وزد
واعتنقنا كوشاحٍ وانتظمتنا نظم عقيد
وتمطّفتنا كفُضنين قدّانا^(٤) كقدّ

وبسبب^(٥) هذا ونظائره عابه^(٦) الواسطيّ، وقدّح في دينه، وألصق به الرّيبة^(٧)، وأسّحلّ في عرضهِ الغيبة، ولقّبه بالمنقّر عن المذهب، وقاطع الطريق على المُستترشد.

(١) في كلتا النسخين «المتنع» بالتاء؛ وهو تصحيف، وما أثبتناه هو مقتضى سياق الكلام.

(٢) في (١) وفنة؛ وهو تبديل من الناسخ لتكرره مع ما قبله.

(٣) كذا في «ب». والذي في (١) ولست أخوفه باللقا؛ والمعنى عليه غير مستقيم.

(٤) في (١) «قدّا»؛ وهو تحريف. (٥) في (١) وليست؛ وهو تحريف.

(٦) في (١) «بناية»؛ وهو تصحيف. (٧) في (١) «الزينة»؛ وهو تصحيف.

ولا طَرَبَ ابن الورَّاقِ على رَوْعَةٍ^(١) جارية ابن الرَّمْضِيِّ في الرِّصَافَةِ
إِذَا غَنَّتْ :

وَحَقٌّ مَحَلٌّ ذِكْرُكَ مِنْ لِسَانِي وَقَلْبِي حِينَ أَخْلُو بِالْأَمَانِي
لَقَدْ أَصْبَحْتُ أَغْبِطُ كُلَّ عَيْنٍ تَعَايَنُهَا فَتَسْعَدُ بِالْعِيَانِ

ولا طَرَبَ السُّنْدَوَانِي^(٢) على ابن الكَرْخِيِّ إِذَا غَنَّى :

هَجَرْتَنِي نَمَ لَا كَلَمْتَنِي أَبَدًا إِنْ كُنْتُ خُفْتُكَ فِي حَالٍ مِنْ الْحَالِ
فَلَا أَنْجَيْتُ نَجِيًّا فِي خِيَانَتِكَ ثُمَّ أَجَبَسِي الْبَذْلَ مَا أَطْلَقْتَ آمَالِي
أَوْ أَبْعَثِي تَلَقًّا إِنْ كُنْتَ قَاتِلِي إِلَى مَنْكِ بِإِحْسَانٍ وَإِجَالِ

ولا طَرَبَ الحَرِيرِيُّ الشَّاهِدَ على خَلِيَّةِ جَارِيَةِ أَبِي عَائِذِ الكَرْخِيِّ « إِذَا
أَخَذْتَ فِي مَزَارِهَا »^(٣) ، وَاشْتَعَلَتْ بِنَارِهَا وَغَنَّتْ :

قَالَتْ مُبَيَّنَةً لَمَّا جِئْتُ زَائِرَهَا^(٤) سَبْحَانَ خَالِقِنَا مَا كَانَ أَوْفَاكَ
وَعَدْتَنَا مَوْعِدًا تَأْتِي^(٥) لَنَا عَجَلًا وَقَدْ مَضَى الْحَوْلُ عَنَّا مَا رَأَيْنَاكَ
إِنْ كُنْتَ ذَا غَرَضٍ أَوْ كُنْتَ ذَا مَرَضٍ أَوْ كُنْتَ ذَا خُلَّةٍ أُخْرَى عَذَرْنَاكَ
ولا طَرَبَ أَبِي سَعِيدِ الصَّائِغِ على جَارِيَتِهِ ظُلُومٌ إِذَا قَلَبْتَ لَحْنَهَا إِلَى حَلْقِهَا
وَاسْتَنْزَلْتَهُ^(٦) مِنَ الرَّأْسِ ، ثُمَّ أَوْقَعَتْ فَغَنَّتْ :

(١) في (ب) زُرْعَةٌ ؛ وهو تحريف . ورَّوْعَةٌ من أسماءهن .

(٢) في (أ) السنودي . وفي (ب) : « السودي » . ولم نجد هاتين النسبتين فيما
راجعناه من كتب الأنساب ولعل الصواب ما أثبتناه والسنوداني نسبة إلى السندية وهي قرية
بنوحي بغداد (٣) في (أ) مني ؛ وهو تحريف .

(٤) كذا وردت هذه العبارة التي بين هاتين العلامتين في كلا الأصلين ؛ ولم تتبين معنا
ولعله تحريف صوابه « إِذَا خَلَمْتَ مِنْ عَذَارِهَا » .

(٥) كذا في ب والذي في (أ) أَكْبَرَهَا ؛ وهو تحريف .

(٦) في (ب) يَتَابَنَّا ؛ وفي (أ) فَتَأْتِنَا ؛ وهو تحريف في كلتا النسختين .

(٧) عبارة « أ » واسترسلت من الرأس .

فِيَالِكِ نَظْرَةً أَوَدَّتْ بِعَقْلِي وَغَادَرَ سَهْمَهَا مِنِّي جَرِيحَا
 فَلَيْتَ مَلِيكَتِي جَادَتْ بِأُخْرَى وَأَعْلَمَ أَنَّهَا تَنفِكَ الْقُرُوحَا
 فَأَمَّا أَنْ يَكُونَ بِهَا شِفَاؤِي وَإِنَّمَا أَنْ أَمُوتَ فَأَسْتَرِيحَا
 وَلَا طَرِبَ الزُّخْرَى^(١) عَلَى خَلُوبٍ جَارِيَةٍ أَبِي أَيُّوبَ الْقَطَّانِ إِذَا أَهَلَّتْ
 وَأَسْتَهَلَّتْ ، ثُمَّ انْدَفَعَتْ وَغَنَّتْ :

إِذَا أَرَدْتُ سُلوًا كَانَ نَاصِرَكُمْ قَلْبِي وَمَا أَنَا مِنْ قَلْبِي بِمُنْتَصِرٍ
 فَأَكْثِرُوا أَوْ أَقَلُّوا مِنْ إِسَاءَتِكُمْ^(٢) فَكُلُّ ذَلِكَ مَحْمُولٌ عَلَى الْقَدَرِ
 وَضَعْتُ خَدِي لِأَدْنَى مَنْ يُطِيفُ بِكُمْ حَتَّى احْتَقَرْتُ وَمَا مِثْلِي بِمَحْتَقَرٍ
 وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَرْزُبَانِيُّ شَيْخُنَا إِذَا سَمِعَ هَذَا جُنَّ وَاسْتَفْثَا ، وَشَقَّ الْجَنِيبَ
 وَحَوْلَقَ^(٣) وَقَالَ : يَا قَوْمُ أَمَا تَرَوْنَ إِلَى الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ ، مَا يَكْفِيهِ أَنْ يَفْجُرَ
 حَتَّى يَكْفُرَ ؟ مَتَى كَانَتِ الْقُبَاحُ وَالْفَضَاحُ وَالْعِيُوبُ وَالذُّنُوبُ^(٤) مَحْمُولَةً عَلَى
 الْقَدَرِ ؟ وَمَتَى قَدَّرَ اللَّهُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ وَقَدَّنَهِيَ عَنْهَا ، وَلَوْ قَدَّرَهَا كَانَ قَدَرُ رَضَى
 بِهَا ، وَلَوْ رَضَى بِهَا لَمَّا عَاقَبَ عَلَيْهَا ، لَعَنَ اللَّهُ الْغَزَلَ إِذَا شِيبَ بِمِجَانَةٍ ، وَالْمِجَانَةَ
 إِذَا قُرِنَتْ بِمَا يَقْدَحُ فِي الدِّيَانَةِ . وَرَأَيْتُ أَبَا صَالِحٍ الْهَاشِمِيَّ يَقُولُ لَهُ : هَوْنٌ عَلَيْكَ
 يَا شَيْخَ ، فَلَيْسَ هَذَا كُلُّهُ عَلَى مَا تَنْظُنُّ ، الْقَدَرُ يَأْتِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، وَيَتَعَلَّقُ
 بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَيَجْرِي بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَهُوَ سِرُّ اللَّهِ الْمَكْتُومُ ، كَالْعِلْمِ^(٥) الَّذِي يَحِيطُ

(١) كَذَا فِي (ب) وَالَّذِي فِي (أ) الزُّنْدَرِيُّ . ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ إِذْ لَمْ نَجِدْ هَذِهِ النِّسْبَةَ
 فِيهِ رَاجِعًا مِنْ كُتُبِ الْأَنْسَابِ

(٢) فِي (أ) « مِنْ أَسَى بِكُمْ » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) حَوْلَقَ ، أَيُّ أَكْثَرَ مِنْ قَوْلٍ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالْفِعْلِ .

(٤) فِي (أ) « مِنَ الذُّنُوبِ » .

(٥) هَذِهِ الْكَافُ سَاقِطَةٌ مِنْ (أ) .

بكل شيء ؛ وكل ما جاز أن يحيط به علم جاز أن يجرى به قدر ، وإذا جاز هذا جاز أن ينشره خبر ، وما هذا التضيق والتحارج في هذا المكان ، والشاعر يهزل ويجد ؛ ويقرب ويبعد ، ويصيب ويخطئ ، ولا يؤخذ بما يؤخذ به الرجل الديان ، والعالم ذو البيان .

ولا طرب ابن التهدي على جارية بنت خاقان المشهورة بقولة إذا غنت :
 أروع^(١) حين يأتي الرسول وأكمد^(٢) حين لا يأتي الرسول
 أو ملكم^(٣) وقد أثبتت أني إلى تكذيب آمل أو أول
 ولا طرب أبي طاهر بن المقنى^(٤) المدل على علوان^(٥) غلام ابن عرس فإنه
 إذا حضر وألقى إزاره ، وحل أزواره ، وقال لأهل المجلس : اقترحوا وأسفتحوا
 فاني ولدكم بل عبداكم لا خدمكم^(٦) بفنائى ، وأتقرب إليكم بولائى ، وأساعدكم^(٧)
 على رخصى وغلائى ؛ من أرادنى مرة أرذته مرات ، ومن أحببني رياء أحببته
 إخلاصا ، ومن بلغني بلفت به ؛ لم أنجل عليكم بمحسني^(٨) وطرقي ، ولم أنفس^(٩)
 بهما عليكم ، وإنما خلقت لكم ، ولم أغضبكم^(١٠) وأنا آملكم غدا إذا بقل^(١١)

(١) في كلتا النسختين « أودع » ؛ وهو تحريف .

(٢) في (١) « وأكره » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (١) ابن النبي ، وهو تحريف ؛ إذ لم نجد هذه النسبة فيما راجعناه من معجمات النسب .

(٤) في (١) « علون » ، وهو تحريف .

(٥) في (١) « لقدمكم » وفي ب « أفديكم » وما أثبتناه هو ما كتبه المصحح في ب في

حاشية الصفحة .

(٦) في (١) « وأشاعركم » ، وهو تحريف .

(٧) في (١) « تجسني » ، وهو تحريف .

(٨) أنفس بهما عليكم ، أى أضن .

(٩) في ب « أعاصيكم » ، والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(١٠) في (١) « بقل » بالثاء المثناة ، وهو تصحيف . وبقل وجه السلام ، أى

خرجت لحيته .

وَجَنِي ، وَتَدَلَّى سِبَالِي ، وَوَلَّى جَمَالِي ، وَتَكَسَّرَ خَدْيِي ، وَقَعَّوَجَ قَدْيِي ، مَا أَصْنَعُ ؟
 حَاجَتِي وَاللَّهِ إِلَيْكُمْ غَدَا أَشَدُّ مِنْ حَاجَتِكُمْ إِلَى الْيَوْمِ ، لَعَنَ اللَّهُ سُوءَ الْخَلْقِ ، وَعُسْرَ
 الطَّبَاعِ ، وَقَلَّةَ الرِّعَايَةِ ، وَأَسْتَحْسَنَ الْغَدْرِ . فَيَمُرُّ فِي هَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ كَلَامٌ كَثِيرٌ ،
 فَلَا يَبْقَى مِنَ الْجَمَاعَةِ أَحَدٌ إِلَّا وَيَنْبِضُ عِرْقُهُ ، وَيَهْشُ فُوَادُهُ ، [وَيَذْ كُو طَمْعُهُ]
 وَيَنْفَكُ قَلْبُهُ ، وَيَتَحَرَّكُ سَاكِتُهُ ، وَيَتَدَغْدَغُ رُوحُهُ ^(١) ، وَيُومِئُ إِلَيْهِ بِقُبْلَتِهِ ،
 وَيَعْمِزُهُ بِطَرْفِهِ ، وَيَخْصُهُ بِتَحِيَّةٍ ، وَيَعِدُّهُ بِعَطِيَّةٍ ، وَيُقَابِلُهُ بِمَدْحَةٍ ، وَيَضْمَنُ لَهُ
 مَنَاحَةَ ، وَيَعُوذُهُ بِلِسَانِهِ ، وَيُفْضِلُهُ عَلَى أَقْرَانِهِ ، وَيَرَاهُ وَاحِدًا أَهْلَ زَمَانِهِ ؛ يَهْرَى
 ابْنُ الْمُتَقَنِّيِّ وَقَدْ طَارَ فِي الْجَوِّ ، وَخَلَقَ فِي الشُّكَاكِ ^(٢) ، وَلَقَطَ بِأَنَامِلِهِ النُّجُومَ ؛
 وَأَقْبَلَ عَلَى الْجَمَاعَةِ بَفَرَحِ الْهَشَاشَةِ ^(٣) ، وَمَرَحِ الْبَشَاشَةِ ^(٤) ، فَيَقُولُ : كَيْفَ تَرُونَ
 اخْتِيَارِي ^(٥) ، وَأَيْنَ فَرَاسَتِي مِنْ فَرَاسَةِ غَيْرِي ، أَيْ اللَّهُ لِي إِلَّا مَا يَزِينُنِي ،
 وَلَا يَشِينُنِي ، وَيَزِيدُنِي فِي جَمَالِي ، وَلَا يَنْقُصُنِي مِنْ حَالِي ؛ وَيُقِرُّ عَيْنِي وَلَهْيِي ، وَيَقْصِمُ
 ظَهْرَ عَدُوِّي ؛ هَاتِ يَا غَلَامُ ذَلِكَ الثَّوبَ الدِّيْقِيَّ ^(٦) ، وَذَلِكَ الْبُرْدَ الشُّطْوِيَّ ^(٧) ،
 وَذَلِكَ الْفَرُوجَ ^(٨) ، وَتِلْكَ الشُّكَّةَ ^(٩) ، وَتِلْكَ الْمَطْيِيَّةَ ، وَابْخُورَ الْمَذْخَرِ فِي
 الْحَقَّةِ ^(١٠) ، وَهَاتِ الدِّيْنَارَ الَّذِي فِيهِ مِائَةُ مِثْقَالٍ أَهْدَاهُ لَنَا أُمَسُّ أَبُو الْعَلَاءِ الصِّيرَفِيُّ

(١) الدغدغة والزغزغة كلاهما بمعنى واحد ، والمراد هنا انبساط الروح وهشاشته .

(٢) الشكاك : الجو . وفي (١) الشكاك بالشين المعجمة وفي ب « السكال » باللام في آخره .

وهو تحريف في كلتا النسختين .

(٣) في (١) « السياسة » مكان « الهشاشة » ، وهو تحريف .

(٤) في (١) « أخباري » ، وهو تصحيف .

(٥) الدِّيْقِيَّ من دق الثياب ، منسوب إلى قرية بمصر كان ينسج فيها اسمها ديق .

(٦) الشطوي نسبة إلى شطا قرية بمصر كانت تنسج فيها هذه الثياب .

(٧) الفروج قباء فيه شق من خلقه .

(٨) في « ب » « الشكة » ، وهو تحريف ، والسك : ضرب من الطيب معروف ، ولد

ذكره صاحب نهاية الأرب في الجزء الثاني عشر الطبعة الأولى وذكر كيفية عمله وتوسع

في ذلك فانظره . (٩) في (١) « مع الحققة » وقوله « مع » خطأ من الناسخ .

فإنه يكفيه لنفقة أسبوع ؛ ما أحسن سِكَته ، وأخلى نَفْسه ! ما رأيتُ في حُسْنِ
 أَسْتِدَارَتِهِ شَيْهاً^(١) ، وَصَجِّلْ لَنَا يَا غَلامُ ما أَدْرَكَ عِنْدَ الطَّبَّاحِ ، من الدَّجَاجِ
 والقِرَاحِ ؛ والبوارِدِ^(٢) والجُوزِيَّاتِ^(٣) وتَرايِنِ المائدة ؛ وَصِلْ ذلك بِشراء أَقْراطٍ^(٤)
 وَجُبْنِ^(٥) وزَيْتونٍ من عند كِبل^(٦) البَقَالِ في الكَرَنخِ ، وقِطائفِ حَبَشَ ، وقالودَجِرَ
 عُمَرَ ، وفَقَّاعَ^(٧) زُرَيْقَ ، ومُحَلَّطٍ^(٨) خُراسانٍ من عِنْدِ أَبِي زُنْبُورَ ، ولو كُنَّا نَشْرَبُ
 لَقُلْنَا : وشَرابِ صَرِيفِينَ^(٩) مِنْ عِنْدِ ابْنِ سُوَيْرٍ^(١٠) ، وَلَكِنْ إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أُخْضِرَ
 بِسَبِّكُمْ وَمَنْ أَجْلِكُمْ فَلَيْسَ فِي الْفُتُوَّةِ أَنْ أَمْنَعَكُمْ مِنْ أَرِيكُمْ^(١١) . بِ : بِ ثِقَلِ رُوحِي
 وَقِلَّةِ مُسَاعِدَتِي ، لَعَنَ اللَّهُ الشَّهَادَةَ ، فَقَدْ حَجَبْتَنِي عَنْ كُلِّ شَهْوَةٍ وَإِرَادَةٍ ؛
 وما أَعرِفُ في الدَّعَالَةِ ، إِلَّا فَوْتَ الطَّلَبَةِ^(١٢) والعُلَّالَةِ .

وما أَحْسَنَ ما قَالَ مَنْ قال :

ما القَيْشُ إِلَّا في جُنُونِ الصَّبِيِّ فَإِنْ تَوَلَّى فُجْنُونِ الدِّمَامِ
 هذا كُلُّهُ يَمُرُّ وما هو أَشْجَى مِنْهُ وَأَرْقُ ، وَأَعْجَبُ وَأَظْرَفُ ، ثُمَّ يَنْدَبِعُ
 عَلْوَانٌ وَيَغْنَى في أُبَيَاتِ بَشَّار :

(١) في كلتا النسختين « شَيْهاً » .

(٢) في ب « والنواد » . ولعل المراد بالبوارِد ما يؤكل من الأطعمة بارداً .

(٣) الجوزيات أنواع من الأطعمة تصنع من الجوز . وفي كلتا النسختين والجوزيات ،
 وهو تحريف . (٤) في كلتا النسختين « قِراط » ، ولم نجد من معانيه ما يناسب السياق ،
 ولعل صوابه ما أثبتناه ، والأقراط جمع قرط بكسر أوله وسكون ثانيه ، وهو نوع من الكراث
 يقال له كراث المائدة . (٥) في (١) و « خبز » ، وهو تحريف .

(٦) كذا ورد هذا الاسم في كلتا النسختين ولم نبتين وجه الصواب فيه بعد طول
 المراجعة والبحث . (٧) الفقاع ، شراب يتخذ من الشعير .

(٨) محلط خراسان طعام يصنع من أنواع شتى .

(٩) صريفين : من قرى بغداد تنسب إليها الحُر . (١٠) لذا ورد هذا الاسم

في كلتا النسختين . (١١) في ب « من قدسكم » والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(١٢) في كلتا النسختين « الطينة » ، وهو تحريف .

ألا يا قومُ خلّوني وشأني فلستُ بتاركٍ حُبِّ الغواني
 نهوني يا عبيدةُ عن هواكم فلم أقبلْ مقالةً من نهائي
 فإن لم تُسعِفني فعدي ومتي خداعا لا أموتُ على بيانٍ^(١)
 ولا طرب أبي سعيد الرقيّ على غناء مذكورةٍ إذا اندفعتْ وغنتْ :
 سررتُ بهجرِك لما علنتُ بأنّ لقلبك فيه سرورا
 ولولا سرورك ما سرتني ولا كان قلبي عليه صبوراً
 ولكن أرى كلَّ ما ساءني إذا كان يُرضيك سهلاً يسيراً
 ولا طرب ابن مَيّاس على غناء حَبّابةٍ جاريةٍ أبي تمام إذا غنتْ :
 صدّدنا كأنّا لا مودةَ بيننا على أنّ طرفَ العين لا بُدّ فاضحُ
 ومدّ إلينا الكاشحون عُيونهم فلم يندُ مقاً ما حوته الجوامحُ
 وصاحتُ من لاقيتُ في البيت غيرَها وكلُّ الهوى مَنّى لَن لا^(٢) أضافحُ
 وجبّابةٌ هذه كانت تنوح أيضاً ، وكانت في النوح واحدة لا أخت لها ،
 والناسُ بالعراق تهالكوا على نوحها ، ولولا أنّي أكره ذِكْرَه لَرَقَعْتُ الحديثَ
 به . وقدِمَ من شاش^(٣) خُرَاسانَ أبو مُسلمٍ — وكان في مرتبة الأُمراء —
 فاشتراها بثلاثين ألفَ درهمٍ معزّيةً^(٤) ، وخرج بها إلى المشرق ، فقيل : إنها لم
 تعيش به إلا دونَ سنٍّ لكمدٍ لحِقها ، وهوى لها ببغداد ماتت منه .

(١) بيان بكسر الباء : مصدر بإينه أي فارقه ، أي لا أموت على قطيعة وفرقة .

(٢) عبارة (١) : « منى لم أضافح » ؛ وهو تحريف .

(٣) في كلتا النسختين : « ساس » . يهملتين ؛ وهو تصحيف . والشاش بمعجمتين :

قرية بما وراء النهر ثم ما وراء نهر سيحون .

(٤) في (١) : « حرية » ؛ وفي (ب) : « غزيرة » ؛ وهو تحريف في كلتا النسختين

لأنّ لم نجد ذلك فيما راجعناه من الكتب المؤلفة في النقود ، ولعلّ صوابه ما أثبتنا . والمعزّة
 نسبة إلى معز الدولة البويهى .

ورأيتُ لها أختاً يُقال لها صَبَابَةٌ ، وكانت في الحُسن والجمال فَوْقَها ، وفي الصَّنعة والحِذْق دونها ، وزَلَزْتُ هذه بغدادَ في وَقْتِها ، ولم يَكُنْ للنَّاسِ غيرُ حديثِها ، لنوادرِها ، وحاضِرِ جوابِها ، وحِدَّةِ مزاجِها ، وسُرْعَةِ حركِتها ، بغير طيش ولا إفراط ، وهذه شمائلُ إذا اتَّفَقَتْ في الجَواري الصانعاتِ المُحسِناتِ خَلْبَنَ العقول ، وَخَلَّسْنَ القلوب ، [وَسَعَّرْنَ الصُّدُورَ] ، وَعَجَّلْنَ بِمُشَاقَقَتِهِنَّ إِلَى القُبُورِ . ولا طَرَبَ الكِنَانِي* المُقَرَّرُ الشيخُ الصالحُ على غِناءِ هذه ^(١) في صَوْتِها ^(٢) المعروفِ بها :

مهودُ الصَّبَى حاجَتُ ليَ اليَوْمَ لَوْعَةٌ وذكرُ سُلَيْمَى حينَ لا يَنْفَعُ الذِّكْرُ
بأَرْضِ بها كانَ الهَوَى غيرَ عازِبٍ لَدَيْنَا وَغَضُ ^(٣) العَيْشِ مُهْتَصِرٌ نَفْسُ
كَأَنَّ لَمْ نَعِشْ يَوْمًا بِأَجْرَاعِ بَيْشَةٍ بأَرْضِ بها أَنشَأَ ^(٤) شَيْبَتِنَا الدَّهْرُ
تَلَى إِنَّ هَذَا الدَّهْرَ فَرَّقَ بَيْنَنَا وَأَيُّ جَمِيعٍ لَا يَفَرِّقُهُ الدَّهْرُ
ولا طَرَبَ غلامُ بابا على جارية [أَيْ] طَلْحَةَ الشَّاهِدِ ^(٥) في سُوقِ ^(٦)
الْعَطَشِ إِذَا غَنَّتْ :

لَيْتَ شِعْرِي بِكَ هَلْ تَه لَمْ أُنِّ لَكَ عَانِي
فَلَقَدْ أَسْرَرْتُهُ مِنْ لَكَ وَأَطْلَعْتُ الْأَمَانِي
وَتَوَهَّمْتُكَ فِي نَفْ سَيِّ فَنَاجَاكَ لِسَانِي
فَأَجْتَمَعْنَا وَأَفْتَرَقْنَا بِالْأَمَانِي فِي مَكَانٍ

(١) هذه ، أي صَبَابَةُ السَّابِقِ ذِكْرُهَا .

(٢) في (ب) : « وَضَرِبَهَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٣) في (أ) : « وَغَضِنَ » .

(٤) في (أ) : « أَلَسَا » ؛ وَهُوَ تَصْخِيفٌ . وَأَنْشَأَ ، أَي أَنْشَأَ بِالْهَمْزِ .

(٥) عِبَارَةٌ (أ) : « السَّاهِقِي » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٦) سُوقُ الْعَطَشِ : مَحَلَّةٌ كَبِيرَةٌ كَانَتْ يَبْدَدُ بِالْجَانِبِ الْمَرْقِي بَيْنَ الرِّصَافَةِ وَنَهْرِ الْمَعْلَى ،

وَلَيْلٍ : إِنَّ سُوقَ الْعَطَشِ كَانَتْ بَيْنَ بَابِ الْفَاسِيَةِ وَالرِّصَافَةِ .

ولو ذُكِرَتْ هذه الأطراب من المستمعين ، والأغاني من الرجال والصبيان والجواري والحرائر — لطال وأمل ، وزاحمت كل من صنّف كتاباً في الأغاني والألحان ، وعهدى ^(١) بهذا الحديث سنة ستين وثلاثمائة .

وقد أحصينا — ونحن جماعة في الكرنج — أربعائة وستين جارية في الجانبين ^(٢) ، ومائة وعشرين حُرّة ، وخمسة وتسعين من الصبيان البُدُور ، يجمعون بين الحِذْق والحُسن والظُّرف والعِشرة ، هذا سوى مَنْ كُنَّا لَا نَظْفَرُ به ولا نَصِلُ إليه لِعِزَّتِهِ وَحَرَسِهِ وَرُتْبَائِهِ ، وسوى مَا كُنَّا نَسْتَمِعُهُ مِنْ لَا يَتَظَاهَرُ بِالْفِئَاءِ وَالضَّرْبِ إِلَّا إِذَا نَشِطَ فِي وَقْتٍ ، أَوْ ثَمِلَ فِي حَالٍ ، وَخَلَعَ الْمِذَارَ فِي هَوًى قَدْ حَالَفَهُ وَأَضْنَاهُ ، وَتَرْتَمَّ وَأَوْقَعَ ، وَهَزَّ رَأْسَهُ ، وَصَدَّدَ أَنْفَاسَهُ ، وَأَطْرَبَ جُلَاسَهُ ، وَأَسْتَكْتَمَهُمْ حَالَهُ ، وَكَشَفَ عَنْهُمْ حِجَابَهُ ، وَأَدْعَى الثِّقَةَ بِهِمْ ، وَالِاسْتِنَامَةَ إِلَى حِفَاطِهِمْ .

ثم إني أرجعُ إلى مُنْقَطَعِ الْكَلَامِ فِي الصَّفْحَةِ الْأُولَى مِنْ هَذَا الْجُزْءِ الثَّلَاثِ ^(٣) وَأَصِلُهُ بِالْأَعْدَاءِ الَّذِي أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَقْبَلَهُ نِيكَ ، وَيَحَقِّقَهُ لَكَ وَبِكَ ، وَأَقُولُ : وَأَبْقَاكَ لِي خَاصَّةً ، قَدْ تَعَصَّبْتَ لِي غَائِبًا وَشَاهِدًا ، وَتَعَمَّتَ ^(٤) بِسَبَبِي سِرًّا وَجَهْرًا ، وَبَدَأْتَ بِالْتَفَضُّلِ ، وَعُدْتَ بِالْإِفْضَالِ ، وَتَظَاهَرْتَ بِالْفَضْلِ ؛ فَإِنْ أَسْتَزِدُّكَ فَلَنَّهُمْ ^(٥) الَّذِي قَلَمَا يَخْلُو ^(٥) مِنْهُ بَشَرٌ ، وَإِنْ تَظَلَّمْتُ فَلِلدَّالَةِ الَّتِي تَغْلَطُ بِهَا

(١) في كلتا النسخين « فلمهدى » واللام زيادة من الناسخ .

(٢) في (١) : « الحلتين » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (١) : « وتعمت بسنق » ؛ وهو تحريف في كلا اللفظين . والمراد بتعمت وتعميت واحد ، إذ أن مأخذ اللفظين من العصابة والعمامة اللتين كانتا تلبسان في الحرب يعلم بهما الفارس نفسه بين الأفران . فتجوز في معنيهما واستعملتا في انتصار المرء لصديقه ودفاعه عنه في الحرب وفي غيرها . (٤) في نسخة : « فللمره » . والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٥) في (ب) : « يخلص » . والمعنى يستقيم عليه أيضا .

الخدم^(١) ، وإن خاشنت^(٢) فليثقة بحسن الإيجاب^(٣) ، وإن غالطت^(٤) فليعلمي
بغاليل الجلم وفرط الاحتمال ، وما أفتقر الكرم والتناقل قط ، وما أفتقر
المجد والكيس قط ، وليس إلا أن يظلم السيد نفسه لعبده في الحقوق
اللازمة وغير اللازمة ، ويعرض عن الحجة وإن كانت له ؛ والناس يقولون :
الحق مرة ، وأنا أقول : السود مرة ، والرئاسة ثقيلة ، والنزول تحت الغبن
شديد ؛ لكن ذلك كله مثبت العز ، ودليل على صحة الأصل ، وباب إلى
اكتساب الحد ، وإشادة الذكر ، وإبعاد الصيت ؛ ومكرم النفس بإهانة
المال وبذل الجاه وإثارة^(٥) التواضع أريج تجارة ، وأحمى حريما ، وأعز
ناصر من مهن النفس بصيانة المال وحبس الجاه واستعمال التكبر ؛ هذا
ما لا يشك فيه أحد وإن أباه طباعه ، ولم يساعده اختياره ، وكان في طينه
نيس ، وفي منيته شوك ، وفي عرقه خور ، وفي خلقه تيه .

وقد رأيت ناسا من عطاء أهل الفضل والمروءة عابوا مذهب الرجل الذي
ما كس في شيء تافه يسير اشتراه ، قيل له : أنت تهب أضعاف هذا ، [فها هذا
للناس] ؟ قال : هذا عني أبحل به ، وتلك مروة في أجود بها .
وأكثر الناس الذين لم يثوروا في التجارب ، ولا أنجدوا^(٦) في الحقائق ،
يروون هذا حكمة تامة ، وفضيلة شريفة .

(١) في (١) : « يغلط بها الحزم » . وهذه العبارة معنى غير مستبعد ، غير أن ما أثبتناه
في صلب الكتاب أظهر وأصح . (٢) في (١) : « حاسبت » . وفي (ب) :
« حاشيت » ؟ وهو تصحيف في كلتا النسخين إذ لا معنى لكلا اللفظين يناسب السياق . ولعل
الصواب ما أثبتنا . (٣) الإيجاب (بهمز نجيم) : الإجابة .
(٤) في كلتا النسخين : « غالطت » بالطاء المهملة ؛ وهو تصحيف .
(٥) في (١) : « ولإثبات » . (٦) في (١) : « ولا اتحدوا » ؛ ووردت
هذه الكلمة في (ب) مطبوسة الحروف بتعذر قراءتها ؛ وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا .

فَأَمَّا الَّذِينَ ذَكَرْتُهُمْ فِي أَوَّلِ الْحَدِيثِ فَإِنَّهُمْ قَالُوا : لَا تَتِمُّ الْمُرُوءَةُ وَصَاحِبُهَا
يَنْظُرُ فِي الدَّقِيقِ الْخَفِيرِ ، وَيُعِيدُ الْقَوْلَ وَيُبَدِّلُهُ فِي الشَّيْءِ النَّزَرِ^(١) الَّذِي
لَا مَرَدَّ لَهُ ظَاهِرٌ ، وَلَا جَدْوَى حَاضِرَةٌ .

وَذَكَرُوا أَيْضًا أَنَّ الْعَقْلَ أَشْرَفُ مِنْ أَنْ يُذَالَ^(٢) فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ ،
وَيُسْتَعْدَمُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ ، قَالُوا : هَذَا وَمَا هُوَ فِي بَابِهِ بِالْكَئِيسِ أَشْبَهَ ،
وَالْكَئِيسُ يُحَمَّدُ فِي الصَّبَّيَّانِ ، وَهُوَ مِنْ مَبَادِي اللَّؤْمِ ، وَمَوَائِحِ صَدَا الْخُلُقِ ،
وَقَدْ قَالَ الْأَوَّلُ :

وَقَدْ يَتَغَابَى الْمَرْءُ عَنْ عُظْمِ مَالِهِ وَمِنْ تَحْتِ بُرْدَيْهِ الْمَغِيرَةُ أَوْ عَمْرُو^(٣)
وَلِذَلِكَ يُقَالُ لِلْحَيَوَانِ الَّذِي لَا يَنْطِقُ : هُوَ كَيْسٌ .

هَذَا وَاللَّهُ الصَّدَقُ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ بِمَكَّةَ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ : مَا أَكَيْسَ هَذَا
الْقَطِ^(٤) ١٩

قَالُوا : وَلِذَلِكَ لَا يُقَالُ لِلشَّيْخِ الْمَجْرَّبِ وَالْحَكِيمِ الْبَلِيغِ وَالْأَصِيلِ فِي الشَّرَفِ
وَالْمَشْهُورِ بِالزَّمَانَةِ^(٥) وَالسَّكِينَةِ : كَيْسٌ . وَالْكَئِيسُ هُوَ حَذَّةُ الْحِيسِ فِي طَلَبِ
الْمَثَالَةِ وَدَفْعِ الْكَرِيهَةِ وَبُلُوغِ^(٦) الشَّهْوَةِ . وَالْحِيسُ بَعِيدٌ مِنَ الْعَقْلِ ، وَالْعَالِي
فِي الْحِيسِ كَأَنَّهُ يَرْتَقِي فِي وَادِي الْحَيَوَانِ الَّذِي لَا تُنْقَلِقُ لَهُ^(٧) ، وَالْعَالِي فِي الْعَقْلِ

(١) فِي (١) : « الْمُرْدَد » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي (١) : « يُذَال » بِالْمُهْمَلَةِ ؟ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٣) يَرِيدُ الْمَغِيرَةَ بَنُ شُعْبَةَ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاسِ ؟ وَيُشِيرُ إِلَى مَا كَانَ يَسْرِفَانِ بِهِ مِنَ الدَّهَاءِ
وَالذِّكَاةِ . وَفِي (١) : ابْنُ عَمْرٍو ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (١) : الْقَطِ ؟ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٥) فِي (١) : بِالرَّمَايَةِ ؟ وَهُوَ تَصْحِيفٌ . وَفِي (ب) : بِالذَّيَانَةِ ؟ وَمَا أُتِّبَتَاهُ أَلْسَبُ

بِقَوْلِهِ بَعْدَ : وَالسَّكِينَةِ . (٦) فِي (ب) : وَاتِّبَاعٌ .

(٧) فِي (١) : الَّذِي يُنْقَلِقُ لَهُ ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْمَعْنَى .

كَأَنَّهُ مَطْمَئِنٌّ فِي وَادِي الْمَلِكِ الَّذِي لَا حِسَّ لَهُ ، وَالْمَلِكُ لَمْ يَعْدَمَ الْحِسَّ لِنَقْصِهِ ، وَلَكِنْ لِكَمَالِهِ ، لِأَنَّهُ غَفَى عَنْهُ ، كَمَا أَنَّ الْحَارَّ لَمْ يَنْدَمِ الْعَقْلُ لِكَمَالِهِ ، وَلَكِنْ لِنَقْصِهِ [وَلَمَّا لَمْ يَرُدَّ مِنَ الْحَارِّ أَنْ يَكُونَ إِنْسَانًا جُبِلَ عَلَى مَا هُوَ لَهُ وَبِهِ كَامِلٌ فِي نَقْصِهِ ، أَيْ هُوَ كَامِلٌ بِمَا هُوَ بِهِ حَارٌّ وَنَاقِصٌ بِمَا لَيْسَ هُوَ بِهِ إِنْسَانًا] ؛ وَلَمَّا لَمْ يَرُدَّ مِنَ الْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ حَارًّا حَفِظَ عَلَيْهِ مَا هُوَ بِهِ إِنْسَانٌ ، وَدُرِّجَ إِلَى كَمَالِ الْمَلِكِ الَّذِي هُوَ بِهِ شَبِيهِ ؛ وَهَذَا التَّدْرِيجُ طَرِيقُهُ عَلَى الْإِخْتِيَارِ [الْجَيِّدِ] وَالتَّوْفِيقِ السَّابِقِ .

وَبَعْدَتْ — جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ — عَنْ مَنَهِجِ الْقَوْلِ وَسَنَنِ^(١) الْحَدِيثِ ، وَأَطَعْتُ دَاعِيَةَ الْوَسْوَاسِ ، وَذَهَبْتُ مَعَ سَائِحِ الْوَهْمِ ؛ وَقَدْ قِيلَ : « الْحَدِيثُ ذُو شُجُونٍ » .

وَقَدْ قَالَ الْأَوَّلُ :

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَثَلِ كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ يَبْقِنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ التَّعْطِيِّ الْأَبَاطِحِ
فَأَرْجِعْ [وَأَقُولُ] :

قَدْ أَوْصَلْتُ إِلَيْكَ الْجَزَائِنِ الْأَوَّلَ وَالثَّانِيَّ عَلَى يَدِ غَلَامِكَ فَاتَّقِ ؛ وَهَذَا الْجُزْءُ — وَهُوَ الثَّلَاثُ — قَدْ وَاللَّهِ نَفَثْتُ^(٢) فِيهِ كُلَّ مَا كَانَ فِي نَفْسِي مِنْ جِدَرٍ وَهَزَلٍ ، وَغَثٍّ وَسَمِينٍ ، وَشَاحِبٍ وَنَضِيرٍ ، وَنُكَاةٍ وَطَيْبٍ ، وَأَدَبٍ وَاحْتِجَاجٍ ، وَأَعْتَدَارٍ وَأَعْتِلَالٍ وَأُسْتِدْلَالٍ ، وَأَشْيَاءَ مِنْ طَرِيفِ^(٣) الْمَمَالِحَةِ عَلَى مَا رُسِمَ لِي ،

(١) فِي (١) : « عَنْ سَنَنِ » ؛ وَقَوْلُهُ : « عَنْ » زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ ؛ وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَا .

(٢) فِي (١) : « بِقِيَّتِ » ؛ وَهُوَ تَصْغِيرٌ .

(٣) فِي نَسْخَةِ : « مِنْ حَدِيثٍ » .

وطلِّبَ مِنِّي ؛ ولأنَّه آخِرُ الْكِتَابِ خَتَمْتُهُ بِرِسَالَةٍ وَصَلْتُهَا بِكَلَامٍ فِي خَاصِّ
أَمْرِي سَتَقِفُ عَلَيْهِ ، وَتَسْتَأْنِفُ نَظْرًا فِي حَالِي ، يَكُونُ — إِنْ شَاءَ اللَّهُ —
كَطْفِئِ بِكَ ، وَرَجَائِي فِيكَ ؛ وَفِيهِ بَعْضُ الرَّبْدَةِ^(١) لَمْ أَخْرِجْ مِنْهُ إِلَى كُفْرَانٍ
لِنِعْمَةٍ ، وَلَا جَحْدٍ لِإِحْسَانٍ ، وَلَا سِتْرِ لِيَدٍ ، وَلَا إِنكَارٍ لِمَعْرُوفٍ ، وَلَا شَكٍّ
فِي عِنَايَةٍ ؛ وَإِنَّمَا تَكَلَّمْتُ عَلَى مَذْهَبِ الْمَدِلِّ الْمَقِلِّ الَّذِي يَبْتَغِيهِ إِقْلَالُهُ عَلَى
تَجَاوُزِ قُدْرِهِ بِالذَّلَّةِ ، وَيَرِيحُ^(٢) بِهِ إِذْ لَالَهُ عَنْ حُسْنِ أَدَبِهِ بِفَرْطِ الثَّقَةِ ؛ وَرُبَّ وَائِقٍ
خَجِلٍ ؛ وَبِاللَّهِ التَّعَاذُ مِنْ ذَلِكَ ، وَفِي الْحَالِينِ صَاحِبُ هَذَا الْمَذْهَبِ لَا يَخْلُو مِنْ
وَلَاءٍ صَحِيحٍ الْمُغْتَتَبِ ، وَعَقِيدَةٍ كَسْبِيكَةِ الذَّهَبِ ؛ وَأَنْتَ بِكَرَمِ^(٣) طِبَاعِكَ ،
وَسَعَةِ بَاعِكَ ، تَجَبَّرُ نَقْصِي ، وَتَأْسُو مَا غَتَّ^(٤) مِنْ جِرَاحِي ، وَأَمَاتَ أَهْتَامِي ؛
وَمَنْ كَانَ إِحْسَانُكَ إِلَيْهِ مَشْهُكُورًا ، وَتَعْذِيرُكَ^(٥) عِنْدَهُ مَسْتُورًا ، لَخَلِيقٌ
أَنْ يَكُونَ عَلَى بَالِكَ خَاطِرًا ، وَبِلِسَانِكَ مَذْكَورًا ، وَالسَّلَامُ .

وَمَا أَنَا أَخْذُ فِي نَشْرِ مَا جَرَى عَلَى وَجْهِهِ إِلَّا مَا أَقْتَضَى مِنَ الزِّيَادَةِ
فِي الْإِبَانَةِ وَالتَّقْرِيبِ ، وَالشَّرْحِ وَالتَّكْشِيفِ .

وَقَدْ جَمَعْتُ لَكَ جَمِيعَ مَا شَاهَدْتُهُ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ ، لِيَكُونَ خَطِّكَ
مِنَ الْكَرَمِ وَالْمَجْدِ مَوْفُورًا ، وَنَصِيبِي مِنْ أَهْتَامِكَ بِأَمْرِي وَجَذْبِكَ بِيَاغِي

(١) فِي (١) : « الْفَرْدَةُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) يَرِيحُ ، أَيْ يَرْجِعُ . وَفِي (١) : « وَيَرْفَعُ » ؛ وَلَا سَمْعِي لَهُ يَنَاسِبُ السِّيَاقُ .

(٣) فِي (١) : « تَكْثُرُ مِنْ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (١) : « مَا غَبَّ » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ . وَغَتَّ الْجَرَحُ ، أَيْ سَالَ غَثِيثُهُ ، وَهُوَ

مُدَّتُهُ وَتَبَحُّهُ .

(٥) وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي (١) مَهْمَلَةً الْحُرُوفِ مِنَ النُّقْطِ . وَوَرَدَتْ فِي (ب) :

« وَتَعْذِيرُكَ » . وَمَا أَتْبَعْتَاهُ هُوَ مُقْتَضَى السِّيَاقِ . وَالتَّعْذِيرُ : التَّقْصِيرُ .

وإِنَّمَا ذَكَ إِيَّايَ مِنْ أَسْرَى تَامًا ، فَظَنِّي وَاعِدٌ بِأَنَّكَ تَبْلُغُ بِي مَا آمَلُهُ فِيكَ
وَتَتَجَاوَزُهُ وَتَتَطَاوَلُ إِلَى مَا فَوْقَهُ ، لِأَزْدَادٍ عَجَبًا مِمَّا خَصَّكَ اللَّهُ بِهِ ، وَأَفْرَدَكَ
فِيهِ ؛ وَأَتَحَدَّثُ عَلَى مَرَّةٍ الْأَيَّامَ بِغَرِيبِهِ ، وَأُحِثُّ كُلَّ مَنْ أَرَاهُ بَعْدَكَ عَلَى
سُكُوكِ طَرِيقِكَ فِي الْخَيْرِ ، وَلِزُومِ مَنَاجِكَ فِي الْجَمِيلِ ، وَالَّذِينَ نَوَى بِمَذْهَبِكَ
الْمُسْتَقِيمَ ، وَأَكَايِدَ أَصْحَابِنَا بِتَقْدَادٍ ؛ وَأَقُولُ [لَمْ] : هَلْ كَانَ فِي حُسْبَانِكُمْ أَنْ
يَطْلُعَ عَلَيْكُمْ مِنَ الشَّرْقِ مَنْ يَزِيدُ ^(١) ظَرْفُهُ عَلَى ظَرْفِكُمْ ، « وَيَنْقُذُ ^(٢) » يَعْلَمُهُ عَلَى
عَلِمِكُمْ ، وَيُبْرِزُ هَذَا التَّبَرُّيزَ فِي كُلِّ شَيْءٍ تَفْخَرُونَ ^(٣) بِهِ عَلَى غَيْرِكُمْ ، فَأَنَاظِرُهُمْ
فِيكَ وَبِسَبَبِكَ ^(٤) ، لَا مُنَاطَرَةَ الْحَنَابِلِيِّينَ مَعَ الطَّبَرِيِّينَ ؛ وَأَتَعْصَبُ لَكَ ،
لَا تَعْصَبُ الْمُفَضَّلِيِّينَ ^(٥) وَالْبَرْغَوِيِّينَ ^(٦) ؛ وَأُجَادِلُ مَنْ أَجْلِكَ ، لَا جَدَلِ
الزَّيْدِيِّينَ ^(٧) مَعَ الْإِمَامِيِّينَ ^(٨) ؛ وَأَدْعِي فِي فُضَائِكَ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ دَعْوَى أَتَوَى
مِنْ دَعْوَى الشَّيْعِيِّينَ ؛ وَأَضْرِبُ فِي ذَلِكَ كُلِّ مَثَلٍ ، وَأُسْتَعِينُ بِكُلِّ سَجْعٍ ،

(١) فِي (١) : « يَرْتَدُّ طَرَفُهُ عَلَى طَرَفِكُمْ » ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الثَّلَاثِ .
(٢) كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الصِّبَاةُ الَّتِي بَيْنَ هَاتَيْنِ الْعَلَامَتَيْنِ فِي (١) وَالْمَعْنَى عَلَيْهَا مُسْتَقِيمٌ .
وَالَّذِي فِي (ب) : « وَيَنْقُذُ بِعِلْمِهِ فِي عِلْمِكُمْ » ؛ وَفِي قَوْلِهِ : « وَيَنْقُذُ » بِالْقَافِ وَالضَّادِ تَصْغِيفٌ
ظَاهِرٌ صَوَابُهُ : « وَيَنْقُذُ » . (٣) فِي (ب) : « يَمْجُزُونَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
(٤) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَبِسَبَبِكَ » ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ .

(٥) الْمُفَضَّلِيُّونَ فِرْقَةٌ تَنْسَبُ إِلَى الْمُفَضَّلِ بْنِ عَمْرٍو مِنَ الشَّيْعَةِ الْإِمَامِيَّةِ يَقُولُونَ بِأَنَّ الْإِمَامَةَ بَعْدَ
مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ قَدْ انْتَهَلَتْ إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدٍ بْنِ مُوسَى . وَالْمُفَضَّلِيُّونَ أَيْضًا فِرْقَةٌ أُخْرَى تَنْسَبُ إِلَى الْمُفَضَّلِ
الصَّبْرِ ، وَهَذَا قَدْ قَالَ : إِنَّ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ إِلَهٌ ؛ فَنُطِرَهُ وَلَعَنَهُ . وَالْبَرْغَوِيُّونَ فِرْقَةٌ مِنَ التَّجَارِيَةِ
أَحْبَابُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ التَّجَارِ وَالْبَرْغَوِيَّةِ هَذِهِ تَنْسَبُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى الْمَلْقَبِ بِبَرْغوثٍ . وَالْقَوْلُ
فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ وَالْمَرْغُوشِيِّينَ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَقْنَا أَنْظُرَ (الْمَلَلُ وَالنَّحْلُ) (وَحَبِثَةُ
الْأَكْرُوَانِ) (وَمَسَالِمُ الدِّينِ) .

(٦) الزَّيْدِيُّونَ أَحْبَابُ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ وَهَذِهِ الْفِرْقَةُ تَقُولُ :
إِنَّ الْإِمَامَةَ لِلْأَوْلَادِ فَاطِمَةُ لَا يَشَارِكُهَا فِيهَا أَحَدٌ وَلَا يَسُوغُونَ لِمَامَةِ غَيْرِهِمْ . وَالْإِمَامِيَّةُ فِرْقَةٌ مِنَ
الشَّيْعَةِ تَقُولُ إِنَّ الْإِمَامَةَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بَعْدَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَصًا وَتَصَرُّعًا وَإِشَارَةً
إِلَيْهِ بِالْعَيْنِ .

وَأَرَوَى كُلَّ خَبْرٍ ، وَأَنْشَدُ كُلَّ بَيْتٍ ، وَأَعْبُرُ كُلَّ رُؤْيَا ، وَأَقِيمُ كُلَّ بَرْهَانٍ ،
وَأُسْتَشْهِدُ كُلَّ حَاضِرٍ وَغَائِبٍ ، وَأَتَأَرَّلُ كُلَّ مُشْكِلٍ وَغَامِضٍ ، وَأُضِيفُ إِلَيْكَ
الْآيَةَ بَعْدَ الْآيَةِ ، وَالْمُعْجِزَةَ بَعْدَ الْمُعْجِزَةِ ، وَأَنْصَلْتُ^(١) لِكُلِّ ضَرِيبَةٍ ، وَأَدْعِي كُلَّ
غَرِيبَةٍ ؛ هَذَا وَلَا أَخْطِئُ كَلَامِي بِالْهَزْلِ ، وَلَا أَشِينُ دَعْوَايَ بِالْمَحَالِ ، وَلَا أَبْعِدُ
الشَّاهِدَ ، وَلَا أَتَمَلَّقُ بِالْمُسْتَعْجِمِ ، وَلَا أَجْنَحُ إِلَى التَّلْفِيْقِ وَالتَّلْزِيْقِ ؛ وَكَيْفَ
لَا أَفْعَلُ هَذَا وَلِي فِي قَوْلِ الْحَقِّ فِيكَ مَنَدُوحَةٌ ، وَفِي تَقْدِيمِ الصَّدَقِ عَلَى غَيْرِهِ
كُفَايَةٌ ، وَفِي نَشْرِ الْمَطْوِيِّ مِنْ فَضْلِكَ بَلَاغٌ ؟ وَإِنَّمَا يَمِيلُ إِلَى الْكَذِبِ مَنْ قَعَدَ
بِهِ الصَّدَقُ ، وَيَتَيَمَّمُ بِالصَّعِيدِ مَنْ فَاتَهُ الْمَاءُ ، وَيَحْلُمُ بِالْمَنَى مَنْ عَدِمَ الْمُتَمَنَّى
فِي الْيَقَظَةِ ؛ فَأَمَّا أَنْتَ وَقَدْ أَلْبَسَكَ اللَّهُ رِدَاءَ الْفَضْلِ ، وَأَطْلَعَكَ مِنْ مَنَبَتِ
كَرِيمٍ ، وَدَرَجَتِكَ مِنْ بَيْتِ ضَخْمٍ ، وَآتَاكَ الْحِكْمَةَ ، وَفَتَقَ لِسَانَكَ بِالْبَيَانِ ،
وَأَتَرَعَ^(٢) صَدْرَكَ بِالْعِلْمِ ، وَخَلَطَ أَخْلَاقَكَ بِالذَّمَامَةِ ، وَشَهَرَكَ بِالكَرَمِ ، وَخَفَّفَ
عَلَيْكَ التَّهْوِضَ بِكُلِّ مَا يُكْسِبُكَ الشُّكْرَ مِنَ الْقَرِيبِ وَالتَّبْعِيدِ ، وَبِكُلِّ
مَا يَدْخِرُكَ الْأَجَرَ عِنْدَ الصَّادِرِ وَالْوَارِدِ ، حَتَّى صِرْتَ كَهْنًا لِأَبْنَاءِ الرَّجَاءِ ،
وَمَقَرَّعًا لِبَنَى الْأَمَالِ ؛ فَبَابُكَ مَغْنَمٌ مَزُورٌ ، وَفِنَاؤُكَ مُنْتَابٌ وَخِوَانُكَ^(٣)
مَحْضُورٌ ، وَعِلْمُكَ مُمْتَبَسٌ ، وَجَاهُكَ مَبْذُولٌ ، وَضَيْفُكَ مُحَدَّثٌ ، وَكُتُبُكَ
مُسْتَعَارَةٌ ، وَغَدَاؤُكَ حَاضِرٌ ، وَعَشَاؤُكَ مُعَجَّلٌ ، وَوَجْهُكَ مَبْسُوطٌ ، وَعَفْوُكَ
مَعْمُودٌ ، وَجِدُّكَ مَشْكُورٌ ، وَكُلُّ أَمْرٍ قَائِمٌ عَلَى النِّهَايَةِ ، وَبَالِغٌ الْغَايَةِ ، وَاللَّهُ
يَزِيدُكَ وَيَزِيدُنَا بِكَ ، وَلَا يَبْتَلِينَا بِقَدْرِ مَا أَلْفَنَاهُ مِنْكَ ، بِمَنَّةِ وَجُودِهِ .

(١) فِي (١) : « وَأَنْصَلِبُ » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٢) فِي (١) : « وَدَع » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي (١) : « وَجَوَابُكَ » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

الليلة التاسعة والعشرون

(١) قال الوزير — أعزَّ الله نصرَه ^(١) ، وأطابَ ذِكرَه ، وأطارَ صِيتَه — ليلة : أحبُّ أن أسمع كلاماً في قول الله عزَّ وجلَّ : (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ) ، فإنَّ هذا الإيجازَ لم يُعْهَدَ في كلامِ البشرِ .

فكان من الجواب : إنَّ الإشارةَ في «الأوَّل» إلى ما بدأ اللهُ به من الإبداع [والتصوير] ، والإبراز والتَّكْوِين ؛ والإشارةَ في «الآخر» إلى المَصِيرِ إليه في ^(٢) العاقبة على ما يجب في الحكمة من الإنشاء والتَّصريف ، والإينام والتعريف ، والمداية والتوقيف . وقد بان بالاعتبار ^(٣) الصحيح أنَّه عزَّ وجلَّ لما كان مُحجَّبا عن الأبصار ، ظهرت آثاره في صفحات العالم وأجزائه ، وحواشيه وأثنائه ^(٤) ، حتى يكون لسان الآثارِ داعياً إلى معرفته ، ومُعرفته طريقاً إلى ^(٥) قَصْدِهِ ، وقَصْدُهُ سَبِيلاً لِلْمَسْكَنَةِ عنده والحُظُوةِ لدينه . على أنَّه في احتجابه بارز ، كما أنَّه في بروزه مُحْتَجِب ؛ وبيانُ هذا أنَّ الحِجابَ من ناحية الحسِّ ، والبروزَ من ناحية العقل ، [فإذا طُلِبَ من جهة الحسِّ وُجِدَ محجوباً ، وإذا لُحِظَ من جهة العقل وُجِدَ بارزاً ، وهاتان الجهتان ليستا له تعالى ، ولكنهما الإنسان الذي له الحسُّ والعقل ، فصارت بهما كالنَّاظرِ من مَسْكَنَيْنِ ؛ ومنَ نَظَرَ إلى شيء واحدٍ من مَسْكَنَيْنِ كانت نِسْبَتُهُ إلى المَنظُورِ إليه مَفرقة .

(١) في (١) : « رهظه » .

(٢) في (١) : « والعاقبة » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (١) : « الاعتبار » يسقط الباء ؛ وهو تحريف .

(٤) في (١) : « وأثنائه » ؛ وهو تصحيف .

(٥) في (١) : « في » مكان « إلى » ؛ وهو تحريف .

وإنما شقّ هذا الأمرُ على أكثر الناس وأختلفوا فيه ، لأنهم راموا تحقيقَ ما لا يُحسُّ بالحسِّ ، ولو رامُوا ذاك بالعقل المحضِ بغيرِ شوبٍ من الحسِّ ، لكان المرؤم يسبقُ الرّائم ، والمطلوبُ يلوحُ قبالةَ الطالبِ من غيرِ شكٍّ [لايس ، ولا ريبٌ مُحِش ، لأنه ليس في العقل وللعقول شكٌّ] ، وإنما الرّيبُ والشكُّ والظنُّ والتَّوَهُّمُ كلّها من علائق الحسِّ وتوابعِ الخلقة ، ولولا هذه العوارضُ لما أغبرَ وجهُ العقل ، ولا علاه شُحوب ، ولَبَقِيَ على نَفْسِهِ وَجْهًا^(١) وحُسْنُهُ وبَهْجَتِهِ . ولَمَّا كان الإنسانُ مَفِيزُ^(٢) هذه الأعراضِ في الأوّل ، صار مَفِيزُ^(٣) هذه الأحوالِ في الثّاني ، فاستعارَ مِنَ العقلِ نُورَهُ في وَصِفِ الأشياءِ الجسْمِيَّةِ جَهْلًا منه وخطأً ، واستعارَ مِنَ ظلامِ الحسِّ في وَصِفِ الأشياءِ الرُّوحَانِيَّةِ عَجْزًا منه ونقصًا ، ولو وُفِّقَ لَوَضَعَ كلُّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ ونَسَبَهُ إلى شَكْلِهِ ، ولم يَرْفَعِ الوَضِيعَ إلى مَحَلِّ الرَّفِيعِ ، ولم يَضَعِ الرَّفِيعَ في مَوْضِعِ الوَضِيعِ .

فلَمَّا بلغَ الحديثَ هذا الحدَّ ، عَجِبَ الوزيرُ وقال : ما أَعَذَّبَ هذا المُوَرِّدُ ! وما أَعَجَبَ هذا المَشْهَدُ ! وما أَبْعَدَ هذا المقْصِدُ ! وما أَرَى لِمُصَنِّفِ^(٤) من المُوَحِّدِينَ مُتَصَرِّفًا في هذا التَّنَوُّعِ إِلَّا لِهذه العِصَابَةِ الكَرِيمَةِ المَخْصُوصَةِ بِالْيَقْظَةِ^(٥) .

- (٢) وسأل عن جُشَمٍ في أسمِ الرَّجُلِ ما مَعْنَاهُ ؟
 فكان من الجواب : إن أبا سعيد السَّيرافيَّ الإمامَ ذَكَرَ عن ابنِ الأَعرابيِّ أَنَّهُ يقالُ : « رَجُلٌ عَظِيمُ الجُشَمِ » ، يعني وَسَطَهُ ، ومنه سُمِّيَ جُشَمٌ .

(١) في (١) : « وكأله » .

(٢) مَفِيزٌ بفتح الميم في الموضعين أي موضع فيض هذه الأعراض وتلك الأحوال .

(٣) في (١) : « لصنف » ؛ وهو تحريف .

(٤) في (١) : « بالثقة » .

وقال : ما الحِمْحِمُ ؟ وما الحَنَمُ ^(١) ؟ فقيل أما الحِمْحِمُ فَيَبْقَلُ يَهِيحُ في أوَّل الصَّيفِ وَيَنْبِتُ فَيُؤْكَلُ في ذلك الوقت ؛ وأما الحَنَمُ فَيَبْقَلُ آخِرُ خَيْثُ مُنْتِنِ الرَّيْحِ ^(٢) .

وقال : فَأَرَهُ الْمِسْكُ ، أَتَقُولُهَا بِالْهَمْزِ ؟

فكان من الجواب : حكاه ابن الأعرابي بالهمز .

قال : عَارِضًا الرَّجُلُ مَا يُعْنَى بِهِمَا ؟

قيل : قال أبو سعيد السَّيرافي : هَا شَعْرُ خَدَّيْهِ ، وَلَوْ قُلْتُ [لِأَمْرَدَ] :
إِمْسَحْ عَارِضِيكَ كَانَ خَطَأً .

وقال : سَمِعْتُ الْيَوْمَ في كلامِ ابْنِ عُبَيْدٍ : لَا يَثَّه ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُ أَرَادَ : لَا وَثَّه
مِنَ الْوَثِّ [لَوْثَ] الْعِمَامَةِ .

فقيل : بَلْ يَقَالُ : لَا يَثَّه إِذَا تَشَبَّهَ بِاللَّيْثِ .

وقال : مَا الشَّاكِدُ ؟

فقيل : الْمُعْطَى مِنْ غَيْرِ مَكَافَأَةٍ .

قال : أَوْتَهَمَزَ الْكَلِمَةَ ^(٣) ؟

(١) كذا ذكر المؤلف في تفسير هذين اللفظين . وقال أبو حنيفة : الحِمْحِمُ والحَنَمُ واحد . وقال ابن البيطار في الحَنَمِ بالخاء المعجمة . هو اسم عربي لنبات شكله شكل الأنجيرة السوداء إلا أنه أشد خضرة منها وأغصانه حمر كأغصانها إلا أنها أصلب . ومناجه الوديان والمسائل وعليه شوك دقيق لصاق بكل ما يعلق به من ثوب أو غيره ولا يؤذى اللامس وكثيراً ما تثبت هذه النبتة بظاهر القاهرة تحت الجبل الأحمر في مسيل هناك بالقرب من قلعة الجبل . وذكر في الحِمْحِمِ بالمهملتين . أنه هو النبات المعروف بلسان الثور عند أهل الشام وديار بكر . وقال في التعريف بلسان الثور لأنه نبات خشن أسود ، يشبه في شكله ألسنة البقر . وذكر في الحِمْحِمِ أنه معهم ينطقونه بضم المهملتين . وفي نسخة : « ما الحِمْحِمِ » بيمين مكان الحِمْحِمِ بماءين مهملتين . والحِمْحِمِ بيمينين عروق تشبه في شكلها ومقدارها عروق الجزر البري المسمى عند أهل الشام الشفاقل .

(٢) يريد بالكلمة : المكافأة .

فقيل : إني لو لم أهزل لكان مُفاعلةً من كَفَيْتُ .

قال : والثانية^(١) ؟ تكونُ من كَفَأْتُ الإِنَاءَ .. فما معناه ؟

قيل : قال أبو سعيد : كأنَّه قلبَ الحالِ إليه بالمثل .

قال : الذَّوْدُ ، ما قَدَّرَ عَدَدَهُ من الإبل ؟ فكان من الجواب : أن ابن الأعرابي قال : الذَّوْدُ ما بَيْنَ الثَّلَاثَةِ إلى العَشْرَةِ . وإذا بَلَغَتِ العَشْرِينَ أو قَارَبَتْ فهي قِطْعَةٌ وَصَبَّةٌ وَفِرْقَةٌ وَصِرْمَةٌ حتى تَبْلُغَ الثَّلَاثِينَ والأَرْبَعِينَ . ثم هي حُدْرَةٌ وَعَسْكَرَةٌ وَعَجْرَمَةٌ حتى تَبْلُغَ مائة . ثم هُنَيْدَةٌ . فإذا بلغت مائتين فهي خِطْرٌ^(٢) . وكذلك الثَّلَاثُمِائَةُ . فإذا بلغت أربعمائة فهي عَرْجٌ إلى الألف ، والجماعةُ عُرُوجٌ . فإذا كَثُرَتْ عن الأربعين والخمسين فَبَلَغَتْ مائةً وَزَادَتْ فهي جُرْجُورٌ ، وإنما سُمِّيَتْ جُرْجُورًا لَجَرَّاجِرِها وَأَصْوَاتِها . وقد تَسْتَعِيرُ الْعَرَبُ بعضَ هذا فتَجْعَلُهُ في بعض .

وقال : ما الفرقُ بَيْنَ الْقَبْصِ وَالْقَبْضِ ؟ فقيل : الْقَبْصُ لَعَدِيدٍ مَا كَانَ قَلِيلًا أو كَثِيرًا ؛ قال ابنُ الأعرابي : وَأَنشَدَنِي الْعَامِرِيُّ لِابْنِ مَيَّادَةَ

عَطَاؤُكُمْ قَبْصٌ وَيَحْفَنُ غَيْرُكُمْ وَلَلْحَفْنُ أَغْنَى لِلْفَقِيرِ مِنَ الْقَبْصِ

وقال : الْقَبْصُ بِأَطْرَافِ الْأَصَابِعِ ، وَالْقَبْضُ بِالْكَفِّ ، وَالْحَفْنُ بِالْكَفِّ وَالرَّاحَةُ إِلَى فَوْقِ مَفْتُوحَةٍ قَلِيلًا . هذا لَفْظُهُ .

وقال : الإِلْ الذي هو الْعَهْدُ هل يُجْمَعُ ؟ فقيل : حَكَّى ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ فِي

(١) ورد في كلتا النسختين قوله فقيل بعد قوله والثانية ؛ وهي زيادة من الناسخ لا مقتضى لها هنا .

(٢) في (أ) « حظرة » . وفي (ب) « حطم » ؛ وهو تحريف في كلتا النسختين .

تَجْمَعُهُ ، فقال : إِيَّالَهُ وَأَوَّلَهُ ^(١) .

وقال : آمَ الرجل ماذا ؟ قليل : هذا على وجوه ؛ يقال : آمَ الرَّجُلُ يَوْمُهُ أَوْامًا مِنَ الْعَطَشِ ؛ ويقال آمَ الرَّجُلُ يَوْمُهُ إِيَّامًا ^(٢) ، وهو الدُّخَانُ . وآمَ الرَّجُلُ يَتِيمٌ إِذَا بَقِيَ بغيرِ حَلِيلَةٍ ، وَالْأَيْتِمُ مُسْتَعْمَلٌ فِي الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ .

قال : هذا نَمَطٌ مفيدٌ ، ويجب أن يُجْمَعَ منه جُزْءٌ أَوْ جُزْآنِ لِيَسْهَلَ عَلَى الطَّرْفِ الْمَجَالُ فِيهِ ، فَإِنَّ الْكُتُبَ الطَّوَالَ مُشْتَمِلَةً ، وَإِذَا تَدَاخَلَ اللَّطِيفُ بِالْكَثِيفِ وَمَارَقَ بِمَا غُلِظَ نَبَتِ النَّفْسُ ، وَدَبَّ التَّمَلُّكُ ^(٣) وَالْإِنْسَانُ كَسَلَهُ مِنْ طِينِهِ ، وَنَشَاطُهُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَالطَّيْنُ أَغْلَبُ مِنَ النَّفْسِ .

فكان الجواب : السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِلْأَمْرِ الْمَشْرِفِ .

قال : هَاتِ حَدِيثًا يَكُونُ مَقْطَعًا لِلْوَدَاعِ ، فَإِنَّ اللَّيْلَ قَدْ عَبَسَ وَجْهَهُ ، وَجَنَحَ كَاهِلُهُ ، وَأَهْدَى إِلَى الْقَيْنِ سِنَّةَ تَسْرِيقِ الذَّهْنِ وَتَسْبِي الرُّأْيِ .

فكان من الجواب أَنَّهُ سَمِعَ فِي الْيَوْمِ حَدِيثَ يُضَارِعُ مَا جَرَى مُنْذُ لَيْلٍ فِي فُسَادِ النَّاسِ وَخَوَلِ الزَّمَانِ ، وَمَا دَهَمَ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ فِي حَدِيثِ الدِّينِ الَّذِي هُوَ الْعُمُودُ وَالذَّلَامَةُ فِي عِمَارَةِ الدَّارَيْنِ ، وَقَدْ طَالَ تَعَجُّبِي مِنْهُ ، وَصَحَّ عِنْدِي أَنَّ الدَّاءَ فِي هَذَا قَدِيمٌ ، وَالْوَجَعُ فِيهِ أَلِيمٌ .

(١) لم نجد الأول جمًّا للإلّ بمعنى المهد فيما راجعناه من كتب اللغة والذي وجدناه لإلّ كما هنا وآلال .

(٢) الإيام بالياء بمعنى الدخان أصله الواو ، ثم قلبت الواو ياء كما في كتب اللغة .

(٣) في (١) « ورث الحال » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين .

قال: فهات فتشيبك^(١) قد رَغَبَ شديداً، غَرَامُكَ^(٢) قد بَعَثَ^(٣) جديداً.
فكان [من ذلك] الحديث أن محمد بن سلام قال فيما حَدَّثَنَا به أبو السائب
القاضي عُتْبَةُ بنُ عُبَيْدٍ الله قال: حَدَّثَنَا السَّكْرِيُّ أبو سعيد قال: قال محمد بن
سلام: سمعتُ يونسَ يقول: فَكَّرْتُ في أَمْرٍ فَأُسمِعُوهُ. قلنا: هاتِه. قال: كلُّ
من أصبح على وَجْهِ الأَرْضِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ إِلَّا أُمِتْنَا^(٤) هذه؛ والسلطان ومن
يُطِيفُ به هَلَكى إلا قليلاً، فإذا قَطَعَتْ هذه الطَّبَقَةُ حتى تبلغ الشَّامُ
فأَكَلَهُ رَبًّا وَبَاغِيَةً وَشَرِبَهُ خُمِرٍ وَبَاعَتْهَا إِلَّا قَلِيلاً، فإذا خَلَفَتْ هذا الرَّمْلَ حتى
تَأْتِيَ رَمْلَ يَثْرِينَ وَأَعْلَامَ الرُّومِ فلا غَسَلَ من جَنَابَةٍ، ولا إِسْبَاغَ وَضوءٍ،
ولا إِيْتَامَ صَلَاةٍ، ولا عِلْمَ مُحَدُّودٍ ما أنزل الله على رسوله صَلَّى الله عليه وسلم
إِلَّا قَلِيلاً؛ فإذا صِرَتْ إلى الأمصار فأصحابُ هذه السُّكْرَاسِيَّ ليس منهم إلا ذئبٌ
مُسْتَفْرٌ^(٥) بَذَنِيهِ، يَحْتَكُ^(٦) عن دِينَارِكَ وَدِرْهَمِكَ، يَكْذِبُ، وَيَبْخَسُ في المِيزَانِ،
ويطغفُ في السَّكِيالِ، إلا قليلاً؛ فإذا صِرَتْ إلى أصحاب الغلات الذين كَفُّوا
التَّوَنُّوَةَ وأنعمَ عليهم [وَجَدْتَهُمْ] يُفْسِي أَحَدُهُمْ سَكْرَانٍ وَيُصْبِحُ مَخْمُوراً، إِلَّا
قَلِيلاً، ومعى والله منهم^(٧) قَطِيعٌ في الدار، فإذا صِرَتْ إلى قومٍ لم يُنْعَمْ عليهم بما أنعم

(١) في (ب) « فتشيبك »؛ والمعنى يستقيم عليه أيضاً.

(٢) في كلتا النسختين: « وغرابك » بالباء؛ وهو تحريف.

(٣) قد بعث جديداً، أى بعث غراماً جديداً في نفسه. والذي في (أ): « نسب ».
ووردت هذه الكلمة في (ب) مهلة الحروف من النقط. والصواب ما أثبتنا كما يقتضيه السياق.

(٤) يريد بالأمة هنا أهل طبقته كما يدل على ذلك سياق القصة.

(٥) مستفر أى يطلب غرة الناس وغفلتهم.

(٦) في (أ) « يحيلك »؛ وهو تصحيف.

(٧) في (أ) « فيهم »؛ وهو تحريف.

على هؤلاء ، وهم يشتهون ما يشتهى هؤلاء ، موحدٌ لصن ، وآخر طرار^(١) ،
وآخر مستقف^(٢) . إلا قليلا ، فإذا صرّت إلى أصحاب هذه السواري^(٣) ، فهذا
يشهد على هذا بالكفر ، وهذا يبرأ من هذا ، والله لئن لم يعفنا الله برحمته
إنها للفضيحة .

فقال الوزير : لقد شرذت النوم عن عيني ، وملأت قلبي عجباً ، فإن الأمر
لكما قال ، فإذا كان هذا قوله في عصره ، وشجرة الدين على نصارة أغصانها
وحُضرة أوراقها ، وينبع ثمارها ، فما قوله — تُرسي — فينا لو لحقنا ، وأدرك
زماننا ، إنّا لله وإنّا إليه راجعون .

الليلة الثلاثون^(١)

وقال الوزير — [أدام الله أيامه] — : سراويل يُذَكِّرُ أم يُؤنث ،
ويُصرف أم لا ؟ (١)

فكان الجواب : أن علي بن عيسى حدثنا عن شيخه ابن السراج قال :
سألت المبرد فقلت : إذا كان الواحد في صيغة الجمع ما يُصنَع [به] في الصرفِ

(١) في كلتا النسختين « طراز » بالزاي المعجمة في آخره ؛ وهو تصحيف صوابه ما أجبنا
والطرار بمهملتين هو الذي يشق كَمَك ويستل ما فيه ، وهو المعروف عندنا بالنشال .

(٢) يقال : استقفاه إذا جاء من خلفه وضربه بالمصا على قفاه ويشير إلى هؤلاء الذين
يقفون في الطرق المنقطعة حتى إذا مر بهم من يظنون معه مالا ضربه من خلفه بالمصا على قفاه
حتى يفقد الحس والشعور فيستلون ما معه ويهربون ؛ أولعل صوابه مستخف بالهاء .

(٣) يريد سواري المسجد وعمده . ويريد بأصحابها العلماء الذين يجلسون إلى جانبها
يقرأون العلم على الناس .

(٤) يلاحظ أنه لم يرد في كلتا النسختين ما يشير إلى أنه ابتداء ليلة جديدة بعد الكلام
السابق لهذا العنوان . وقد رأينا أن الكلام الآتي بعد انما وقع في ليلة جديدة غير السابقة
بدليل قوله فيما تقدم : « هات حديثا يكون مقطعا للوداع » الخ .

في مثل شَعْرُهُ^(١) هَرَامِيل [وهذه] سَرَاوِيل وما أَشْبَهه ، فقال : أَلِحِقْهُ بِالْجَمْعِ فَاْمَنْعَهُ الصَّرْفَ ، لِأَنَّهُ مِثْلُهُ وَشَبِيهُهُ .

قال : وَسَأَلْتُ أَحَدَ بَنِي يَحْيَى عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : أَخْبَرَنَا سَلَمَةُ عَنْ الْقَرَاءِ قَالَ : أَلِحِقْهُ بِأَحَدٍ فَاْمَنْعَهُ الصَّرْفَ فِي الْمَعْرِفَةِ ، وَأَصْرِفْهُ فِي النَّكِرَةِ حَتَّى يَكُونَ بَيْنَ الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ قَرَقٌ .

وسأل فقال : ما واحد المناخيب والمناجيب وما حُكْمُهُمَا ؟

فكان من الجواب : واحد المناخيب مُنْخَاب ، يُمدح به وَيُدَمُّ ، فإذا كان مَدْحًا فهو مأخوذ من النَّخْبِ^(٢) ، وهو الأختيار ، وإذا كان ذَمًّا فهو مأخوذ من النَّخْبَةِ ، وهي الأُست . قال : وهكذا المنجَابُ يكون مَدْحًا وَذَمًّا ، فإذا كان مَدْحًا فهو مأخوذ من الأنتجَاب ، وهو الأختيار ، وإذا كان ذَمًّا فهو مأخوذ من النَّجَبِ ، وهو قِشْرُ الشَّجَرِ .

قال : ما معنى قولهم : امرأة عَرُوبٌ ؟

فكان من الجواب أن مُحَمَّدَ بْنَ يَزِيدَ قَالَ — عَلَى مَا حَدَّثَنَا بِهِ أَبُو سَعِيدٍ وَابْنُ السَّرَاجِ عَنْهُ — إِنَّهُ مِنَ الْأَضْدَادِ ، وَهِيَ الْمُتَحَبِّبَةُ إِلَى زَوْجِهَا ؛ وَهِيَ الْفَاسِدَةُ ، مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِمْ : عَرَبَتْ مَعِدَتُهُ إِذَا فَسَدَتْ .

وقال : الضَّهْنِيَاءُ يُمَكَّدُ وَيُقَصَّرُ ؟

فكان من الجواب أن ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ : الَّذِي حَصَلَتْهُ عَنِ الْأَعْرَابِ

(١) في (ب) « صيغة » ؛ وهو تحريف . ويقال : شعره هَرَامِيل ، إذا سقط .

(٢) في الأصل : من النخبة ، وهي الاختيار ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما في كتب اللغة إذ النخبة من القوم الجماعة المختارة ، لا نفس الاختيار .

أَنَّ الضَّهْيَاءَ الْمَمْدُودَةَ هِيَ الَّتِي لَا تَحِيضُ ^(١) ، وَأَنَّ الْمَقْصُورَةَ هِيَ الْيَاسْمِينُ ^(٢) ،
وَجَمْعُ الْأَوَّلِ ضُهَيٌّ وَجَمْعُ الْمَقْصُورِ ضَهَايَا ^(٣) .

قال : ما مَعْنَى الْمُنْدَلِيِّ الْمَطِيرِ ؟

فكان من الجواب : أَنَّ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ : هُوَ مَقْلُوبُ الْمَطَرِيِّ ^(٤)

وقال : أَنَشِدْنِي غَزَلًا ، فَأَنْشَدْتُهُ مَا حَضَرَ فِي الْوَقْتِ لِأَعْرَابِي : (٢)

أَمْرٌ مُجْتَنِبًا عَنْ يَتِّتِ سَلَمَى وَلَمْ أَلِمَّ بِهِ وَبِهِ الْغَلِيلُ
أَمْرٌ مُجْتَنِبًا وَهَوَايَ فِيهِ وَطَرَفِي عَنْهُ مُنْكَسِرٌ كَلِيلُ
وَقَلْبِي فِيهِ مُقْتَتِلٌ فَهَنْ لِي إِلَى قَلْبِي وَقَاتِلِهِ سَبِيلُ

وقال : أَحْفَظُ الْأَبْيَاتَ الَّتِي فِيهَا : (٣)

تَكْفِيهِ فَلَذَةُ كِبْدٍ إِنْ أَلَمَّ بِهَا مِنْ الشَّوَاءِ وَيَكْفِي شُرْبَهُ الْغَمْرُ
فَأَنْشَدَهُ ابْنُ نُبَاتَةَ ، وَذَلِكَ لِأَنِّي قُلْتُ : مَا أَحْفَظُ إِلَّا هَذَا الْبَيْتَ شَاهِدًا ،
وَهُوَ لِأَعْشَى بِأَهْلَةِ يَزِيدَ الْمُنْتَشِرِ ^(٥) :

(١) وَأَيْضًا الَّتِي لَا يَبْرُزُ لَهَا نَدَى .

(٢) لَمْ نَجِدْ فِيهَا رَاجِعًا مِنْ كُتُبِ الْفَنِّ أَنَّ الضَّهْيَاءَ مَقْصُورًا هُوَ الْيَاسْمِينُ كَمَا ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ
هُنَا . وَالَّذِي فِي اللِّسَانِ أَنَّ الضَّهْيَاءَ شَجَرٌ مِنَ الْعُضَاءِ ، لَهُ بَرَمٌ وَعَلْفَةٌ ، كَثِيرُ الشُّوكِ ، وَعَلْفَتُهُ
هَرَاءٌ شَدِيدَةُ الْحُمْرَةِ ، وَوَرَقُهُ كَوَرَقِ السَّمَرِ .

(٣) فِي كُلِّمَا مِنَ النُّسخَتَيْنِ « ضَهَا » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ إِذْ لَمْ نَجِدْ هَذَا الْجَمْعَ لِضَهْيَاءِ الْمَقْصُورِ فِي
رَاجِعِنَا مِنْ كُتُبِ الْفَنِّ ؟ وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا تَقْتَضِيهِ الْقَوَاعِدُ الصَّرْفِيَّةُ فَإِنَّ مَا آخِرُهُ أَلِفٌ
تَأْنِيثٌ مَقْصُورَةٌ وَكَانَ عَلَى هَذَا الْوِزْنِ يَجْمَعُ عَلَى فَعَالٍ يَنْتَحِ اللَّامُ وَفَعَالٌ بِكَسْرِهَا ، كَجَبَلٍ وَذَفْرَى .

(٤) فِي الْأَصْلِ « إِلَى الْمَطَرِيِّ » . وَقَوْلُهُ : « إِلَى » زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ إِذْ الْمَطَرِيُّ هُوَ
الْمَقْلُوبُ إِلَى مَطِيرٍ ، فَالْمَطِيرُ مَقْلُوبٌ إِلَيْهِ ، وَالْمَطَرِيُّ هُوَ الَّذِي صُنِّعَ بِالصَّنَاعَةِ طَرِيًا . وَالْمُنْدَلِيُّ :
الْمُودُ مِنَ الطَّيْرِ يَتَبَخَّرُ بِهِ فَعْنَى الْمُنْدَلِ الْمَطِيرُ الْعُودُ الرُّطْبِ .

(٥) الْمُنْتَشِرُ ، هُوَ ابْنُ وَهْبِ بْنِ سَلَمَةَ الْبَاهِلِ . قَالَ الْآمِدِيُّ : وَهُوَ أَخُو الْأَعْشَى لِأُمِّهِ .
وَرَوَيْتُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ لِلدَّعْبَاءِ أُخْتِ الْمُنْتَشِرِ ، وَقَدْ ذَكَرَهَا صَاحِبُ خَزَائِنَةِ الْأَدَبِ ، وَعِدَّةُ آيَاتِهَا
أَرْبَعَةٌ وَثَلَاثُونَ بَيْتًا فِيهَا ؟ وَفِي شَعْرِ أَعْمَى بِأَهْلَةِ الْمَطْبُوعِ فِي أَوْرُبَا سِتَّةَ وَأَرْبَعِينَ بَيْتًا . وَقِصَّةُ
الْمُنْتَشِرِ هَذَا أَنَّهُ كَانَ قَدْ خَرَجَ مَعَ غُلَمَةٍ مِنْ قَوْمِهِ يَرِيدُ حِجَّ ذِي الْحُلَسَةِ --- وَهُوَ الْكَعْبَةُ ---

إِنِّي أَتَقْنَى لِسَانٍ لَا أَسْرُ بِهَا مِنْ عَلْوٍ لَا عَجَبٌ مِنْهَا وَلَا سُخْرٌ^(١)
فَيْتٌ مَرْتَعًا لِلنَّجْمِ أَرْقُبُهُ حَيْرَانٌ ذَا حَذَرٍ لَوْ يَنْفَعُ الْحَذَرُ
وَجَاشَتْ النَّفْسُ لَمَّا جَاءَ جَمْعُهُمْ وَرَاكِبٌ جَاءَ مِنْ (تَثْلِيثٍ) مُقْتَمِرٌ^(٢)
يَأْتِي عَلَى النَّاسِ لَا يُلَوِي عَلَى أَحَدٍ حَتَّى أَلْتَقِينَا وَكَانَتْ دُونَنَا (مُضَرٌ)
نَعَيْتُ^(٣) مَنْ لَا تُغِبُّ الْحَيَّ جَفْنَتُهُ إِذَا الْكَوَاكِبُ أَخْطَأَتْ نَوَاهَا الْمَطَرُ
مَنْ لَيْسَ فِي خَيْرِهِ شَرٌّ يَكْذُرُهُ عَلَى الصَّدِيقِ وَلَا فِي صَفْوِهِ كَدَرُ
طَاوَى الْمَصِيرِ عَلَى الْعَزَاءِ مُنْصَلِتٍ بِالْقَوْمِ لَيْلَةً لَا مَاءَ وَلَا شَجَرَ^(٤)
لَا تُنْكَرُ الْبَازِلُ الْكَوْمَاءَ ضَرْبَتَهُ بِالْمَشْرِفِ إِذَا مَا أُجْلِوْذَ السَّفَرِ^(٥)

البيانة — وكان بنو نقيل بن عمرو بن كلاب أعداء له ، وقد رأوا مخرجه وعورته وما يطلبه به بنو الحارث بن كعب وطريقه عليهم . فسار المنتشر ، حتى إذا كان بهضب البياض أنذر بنو نقيل بنو الحارث بن كعب بالمنتصر ، وكان المنتصر قد أسر رجلا من بني الحارث بن كعب يقال له هند بن أسماء بن زنباع ، فسأله المنتصر أن يقدى نفسه ، فأبى عليه هند فقطع أذنه ثم سأله فأبى فقطع منه أخرى ، وقد أمّنه القوم ووضع سلاحه ، فقال هند بن أسماء : أتؤمنون مقطعا (بتشديد الطاء مكسورة) ؟ وللهي لا أوّنه . ثم قتله وقتل غلته . انتهى ملخصا من خزنة الأدب .
(١) اللسان : الرسالة ، وجمعه ألسن . أما اللسان بمعنى الجارحة فجمعه ألسنة . وعلو روى بتثنية الواو ، يريد أعلى نجد كما في خزنة الأدب . وفي شعر أعمى باهلة المطبوع في أوروبا : « لا كذب » مكان قوله : « لا عجب » .

(٢) في رواية : « فلهم » مكان قوله : « جمعهم » . ومعتبر ، أي زائر . يقال : اعتمر إذا قصد مكانا بينه زائرا له . وتثنية : موضع بالحجاز قرب مكة ، كما في ياقوت .

(٣) في كلتا النسختين : « يعين من لا يعين » ؟ وهو تصحيف . والتصويب عن شعر أعمى باهلة المطبوع في أوروبا وخزنة الأدب . ولا تغب الحى جفنته ، أي أنه دائم الإطعام لقومه لا تنيب عنهم جفنته ، وهي القصصة في زمن الجذب وقلة الأمطار . والنوء : سقوط نجم في الغرب عند الفجر وطلوع نجم آخر يقابله في المشرق ، وكانت العرب تنسب الأمطار والرياح والحرب والبرد إلى الأنواء فيقولون : مطرنا بنوء كذا .

(٤) العزاء : الشدة والجهد . ومنصلت بالقوم ، أي منجرد مشر .

(٥) في كلتا النسختين : « المطر » ؟ وهو تبديل من الناسخ لا معنى له في هذا البيت . والتصويب عن ديوان أعمى باهلة المطبوع في أوروبا وخزنة الأدب . والبازل من النوق : التي =

وتَفَزَعُ^(١) الشَّوْلُ منه حين تُبْصِرُهُ حتى تُقْطِعَ في أعناقها الجِرَزُ
لا يَصْغُبُ الأَمْرُ إِلَّا رَيْثَ يَزْ كَبُهُ وكلَّ أَمْرٍ سَوَى الفَحْشَاءِ يَأْتِمِرُ
يَكْفِيهِ حُزَّةٌ فَلِذَا نِ أَلَمْ بها مِنْ الشَّوَاءِ وَيَكْفِي شُرْبُهُ الْفُغْرُ^(٢)
لا يَتَأَرَى^(٣) لِمَا فِي الْقَدْرِ يَرْقُبُهُ وَلَا يَعْصُ^(٤) عَلَى شَرْسُوْنِهِ الصَّفَرُ
لا يَغْمِزُ السَّاقِ مِنْ أَيْنَ وَمِنْ وَصَبِ^(٥) وَلَا يَزَالُ^(٦) أَمَامَ الْقَوْمِ يَتَقَفِرُ
مَهْمَنْ أَهْضَمُ الْكَشْحَيْنِ مُنْخَرِقُ عَنْهُ الْقَمِيصُ بِسَيْرِ اللَّيْلِ مُحْتَقِرُ
عِشْنَا بِذَلِكَ دَهْرًا ثُمَّ فَارَقْنَا كَذَلِكَ الرُّمْحُ ذُو النِّصْلَيْنِ يَنْكَسِرُ
لَا تَأْمَنُ النَّاسُ مُنْسَاهُ وَمُضْبَحَهُ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ^(٧) وَإِنْ لَمْ يَأْتِ يُنْتَظَرُ
إِنَّمَا يُصِيبُكَ عَدُوٌّ فِي مُنَاوَاةٍ يَوْمًا فَقَدْ كُنْتَ تَسْتَعْلِي وَتَنْتَعِرُ

== دخلت في السنة التاسعة . والكوماء : الناقة العظيمة . واجلوز السفر ، أى طال وامتد .
وفي رواية : « إذا ما اخروط » ؛ وهو بمعناه .

(١) يقول إن النياق تفزع منه مخافة أن يعقرها وتحبس جررها في أعناقها حتى تنقطع .
والجرر جمع جررة (بالكسر) ، وهى ما يجتره البعير معروف . وفي رواية : « قد تحكطم
البزل منه من مخافه » حتى تقطع ... الخ .

(٢) الحزة : القطعة من اللحم تقطع طولاً . والفليذان : جمع فليذة ، وهى القطعة من
الكبد واللحم . والفغر : أصفر الأقداح . يقول : إنه يكتفى بالقليل من طعامه وشرابه لإثارة
لفظه على نفسه ، وكانت العرب كثيراً ما تتمدح بذلك .

(٣) لا يتأرى ، أى لا يتعجب ولا يتمكث .

(٤) ورد في كلا الأصلين هذان الشطران اللذان تحت هذا الرقم كل منهما مكان الآخر ؛
وهو خطأ من الناسخ سواء ما أثبتنا قلا عن المصادر التى بين أيدينا . والفرسوف : طرف
الضلع . والصفر زعموا أنها دوية مثل الحية تكون في البطن تعترى من به شدة جوع . وفي
كلا النسخين : « ولا يراه » مكان قوله : « ولا يزال » ؛ وهو تحريف . ويقتصر ، أى
يقتنى ويتبع .

(٥) في رواية : « أَلَمْ به » مكان قوله : « ومن وصب » . يصفه بالصبر على السبر .

(٦) في رواية : « من كل فج وإن لم يفز » الخ .

لَوْ لَمْ تَخْنَهُ نُفَيْلٌ^(١) وَهِيَ خَائِنَةٌ أَلَمْ بِالْقَوْمِ وَزِدْ مِنْهُ أَوْ صَدَرَ
وَرَادُ حَرْبٍ شِهَابٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ كَمَا يُضِيءُ سَوَادَ الطُّخْيَةِ الْقَمَرِ^(٢)
إِنَّمَا سَلَكَتْ سَبِيلًا كُنْتَ سَالِكَهَا فَاذْهَبْ فَلَا يُبْعِدُنكَ اللَّهُ مُنْتَشِرٌ
مَنْ لَيْسَ فِيهِ إِذَا قَاوَلْتَهُ رَهَقٌ وَلَيْسَ فِيهِ إِذَا يَاسَرْتَهُ غُسْرٌ^(٣)

الليلة الواحدة والثلاثون

وَجَرَى لَيْلَةَ حَدِيثُ الرَّأْيِ فِي الْحَرْبِ وَالْحَزْمِ وَالتَّيَقُّظِ وَقِلَّةِ الْأَسْتِهَانَةِ بِالْخَفْصِ ،
فَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ الْكَاتِبُ : أَنَا أَسْتَحْسِنُ كَلَامًا جَرَى أَيَّامَ الْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ ، وَذَاكَ
أَنْ عَلَى بَنِي عَيْسَى بْنِ مَاهَانَ لَمَّا تَوَجَّهَ إِلَى حَرْبِ طَاهِرٍ [بَنِي الْحُسَيْنِ] مِنْ بَغْدَادَ ،
سَأَلَ قَوْمًا وَرَدُّوا مِنَ الرَّيِّ عَنْ طَاهِرٍ ، فَقَالُوا : إِنَّهُ مُجِدٌّ^(٤) . فَقَالَ : وَمَا طَاهِرٌ ؟ إِنَّمَا
هُوَ شَوْكَةٌ مِنْ أَغْصَانِي ، وَشَرَارَةٌ مِنْ نَارِي ؛ ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : وَاللَّهِ مَا يَنْفَعُكُمْ
وَبَيْنَ أَنْ يَنْقَصِفَ أَقْصَافَ الشَّجَرِ مِنَ الرَّيْحِ الْعَاصِفَةِ إِلَّا أَنْ يَبْلُغَهُ عُبُورُنَا
عَقَبَةَ هَمْدَانَ ، لِأَنَّ السَّخَالَ لَا تَقْوَى عَلَى النَّطَاحِ ، وَالثَّعَالِبَ لَا صَبْرَ لَهَا عَلَى
لِقَاءِ الْأَسْوَدِ ، فَإِنْ يُقِمَّ طَاهِرٌ بِمَوْضِعِهِ يَكُنْ أَوَّلَ مَعْرَضٍ لَطُفَاتِ الشَّيُوفِ
وَأَسَنَةِ الرَّمَاكِ . فَقَالَ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ [لِعَلِيٍّ] بَنِي عَيْسَى : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنَّ الْعَسَاكِرَ
لَا تُسَاسُ بِالتَّوَانِي ، وَالْحُرُوبَ لَا تُدَبَّرُ بِالْأَغْتِرَارِ ، وَإِنَّ الشَّرَارَةَ الْخَفِيَّةَ رَجْمًا

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « لَوْ لَمْ تَجِبْهُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَفِي رِوَايَةٍ : « لَا سَتَمْرَ بِهِ » *
وَرَدَ يَلُمُ بِهَذَا النَّاسَ أَوْ صَدَرَ . وَيُرِيدُ نَفِيلَ بْنَ هَمْرُو بْنِ كَلَابٍ .

(٢) الطُّخْيَةُ (بَضْمُ الطَّاءِ) : الظِّلَّةُ الشَّدِيدَةُ .

(٣) فِي (أ) : « عَاسِرَتُهُ » . وَفِي (ب) : « عَاسِرَتُهُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا
النُّسخَتَيْنِ . وَمَا أُثْبِتْنَاهُ هِيَ الرِّوَايَةُ الصَّحِيحَةُ فِي الْمَصَادِرِ الَّتِي رَجَعْنَا إِلَيْهَا . وَالرَّهَقُ بِالْحَرَكَةِ
الْكُذْبُ . وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الْبَيْتُ فِي تِلْكَ الْمَصَادِرِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ مِنَ الْقَفِيدَةِ .

(٤) فِي (أ) مَحَلٌّ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

صَارَتْ ضِرَامًا، وَالنَّهْلَةَ^(١) مِنَ السَّيْلِ رَبَّمَا صَارَتْ بِحَرًّا عَظِيمًا .
 فقال^(٢) : إِنَّمَا حَجَبَ عَلَى بَنِي عَيْسَى عَنْ وَثِيقٍ^(٣) الرَّأْيِ هَذَا الْأَسْتَحْقَارُ
 بِالْكَلَامِ ، وَالْأَقْتِدَارُ عَلَى اللَّفْظِ ، وَمَنْ صَدَّقَ فِكْرُهُ فِي طَلَبِ الرَّأْيِ النَّافِعِ ،
 قَلَّ كَلَامُهُ بِالْمَذَرِّ [الضَّائِع] .

(٢) وقال في هذه الليلة : ما رأيتُ من بَنِي بِإِخْصَاءِ وَجْهِهِ فَعِيلٌ وَمَوَاقِعِهَا^(٤) .
 فكان من الجواب : أَنَّ الْأَخْفَشَ قَدْ ذَكَرَ عَشْرَةَ أَوْجُهٍ ، وَهِيَ أَكْثَرُ
 مَا قَدَّرَ عَلَيْهِ ، وَالتَّصْفُحُ قَدْ دَلَّ عَلَى أَرْبَعِينَ وَجْهًا وَزِيَادَةً . قَالَ : فَمَا أَغْرَبُ^(٥)
 مَا مَرَّ بِكَ مِنْهَا ؟ فَقِيلَ : فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَعَلَ . فَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ غَرِيبٌ ، فَهَاتِ لَهُ
 شَاهِدًا . فَقِيلَ : يَقَالُ مَكَانٌ^(٦) دَمِيثٌ وَدَمَثٌ ، وَيَقِينٌ وَيَقَنٌ ، وَرَصِيفٌ^(٧)
 وَرَصَفٌ^(٧) ؛ وَلِلْفَرَسِ الْعَتِيدِ لِلْعَدُوِّ : الْقَتْدُ ؛ وَالنَّقِيلُ^(٨) مِنَ الْعَدُوِّ : نَقْلٌ ؛
 وَالخَيْبِيطُ^(٩) مِنَ الْوَرَقِ : خَبِطٌ ؛ وَلِلْقَدِيمِ^(٧) : قَدَمٌ^(٧) ؛ وَالْبَيْتُ النَّزِيحُ :
 نَزَحٌ ، وَلِلْجِسْمِ الْقَعِيمِ : عَعَمٌ .

(١) في (١) والثلمة .

(٢) فقال ، أى الوزير .

(٣) في « ب » « رَيْقٌ » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٤) في (١) « وتواجها » ؛ وهو تحريف .

(٥) في (١) « أعرف ما قريك منها » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين .

(٦) في الأصل : « من كان » ؛ وهو تحريف صواب ما أثبتنا كما في « ب » .

(٧) كذا ورد في كلتا النسختين هذه الكلمات الأربع التي تحت هذا الرقم ؛ ولم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا ما يفيد أنه يقال في لفظ رصيف وقديم رصف أو قدم بالتحريك فيهما ؛ فقل في هذه الكلمات تحريفا لم نهتد إلى صوابه بعد البحث الطويل .

(٨) النقيط : مداومة العدو وسرعة نقل القوائم .

(٩) الخبيط : الذي يضرب من ورق الشجر حتى ينحط بدون أن يضر ذلك بأصل الشجرة وفروعها .

وقال ابن الأعرابي : القَفِيل : الشَّوْكُ^(١) اليابس ، والجمعُ قَفْلٌ^(٢) . وقال أحمد بن يحيى : هو منى بَعْدَ أى بعيد ، والبَعْدُ يكون للجمع^(٣) والواحد^(٤) .
فَعَجِبَ وقال : ينبغى أن يُعْنَى بهذه الوجوه كلها . فإن^(٥) الزيادة على مثلي الأَخْفَشَ ظَفَرٌ حَسَنٌ ، وأَمْتِيازٌ في الغَزارة جميل^(٦) ، وما تَقاضَلتْ^(٧) دَرَجَاتُ العلماءِ إِلَّا بتَصَفُّحِ الأخيرِ قولَ الأوَّلِ وأَسْتِيلَانِهِ على ما فاتته .

وسأل — أبادَ اللهُ عِداه ، وَحَقَّقْ مُناه — وقال : هل يَسْلَمُ على أهلِ الذِّمَّةِ ؟ (٣)
وهل يُبْدَأُونُ ؟ فكان أبو البُخْتَرِيُّ الداودِيُّ حاضراً — فَحَكَى أَنَّ عُمَرَ بْنَ عبدِ العزِيزِ سُئِلَ عن هذا بَعَيْنِهِ ، فقال : يُرَدُّ عليهم السلام ، ولا يَأْسَ بَأَنَّ يُبْدَأُوا ، لقول الله عزَّ وجلَّ : (فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ) .

وَحَكَى في مَغْرَضٍ حديثِ أَبِي^(٨) بكر قال : كتب مجنونون إلى مجنون :
« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، حَفِظَكَ اللَّهُ ، وَأَبَقَاكَ اللَّهُ ، كَتَبْتُ إِلَيْكَ وَدِجْلَةً تَطْلُقُنِي ، وَسُقْنُ الْمَوْصِلِ هَاهُنَا ، وَمَا يَزِدَادُ الصَّبِيَّانِ إِلَّا شَرًّا ، وَلَا الْحَجَارَةُ إِلَّا كَثْرَةً ، فَأَيْتَاكَ وَالْمَرْقُ فَإِنَّهُ شَرُّ طَعَامٍ فِي الدُّنْيَا ، وَلَا تَبْتَ إِلَّا وَعِنْدَ رَأْسِكَ حَجَرٌ

(١) في كتب اللغة « الشجر » مكان « الشوك »

(٢) يلاحظ أن قفلا ليس تجما لقفيل ، بل هو جمع قفلة بفتح القاف .

(٣) نظيره في الجمع ختم جمع خادم .

(٤) شاهده قول النابغة في مدح النعمان :

صاك تبلغني النعمان إن له فضلا على الناس في الأدنى وفي البعد

بالتحريك . وفي رواية : « والبعد » بضمين .

(٥) في (١) « قال » ؛ وهو تحريف .

(٦) في (١) : « فامتاز في الغرارة جميل » ؛ وهو تحريف في هذه الكلمات الثلاث

صوابه ما أمبنتنا .

(٧) في (١) « تماظمت » .

(٨) يلاحظ أن هنا كلاما ساقطا من كلتا النسختين كما يظهر لنا إذ لم يقدم ذكر

لأبي بكر هنا ولا حديث عنه .

أَوْ حَجَرَانَ ، فَإِنَّ الْأَخْبَرَ^(١) يَقُولُ : (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) .
[وَكُتِبَتْ إِلَيْكَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً خَلْتَ مِنْ عَاشُورَاءَ سَنَةِ الْكِنَا [ة]
قَالَ : وَكُتِبَ مَجْنُونٌ آخَرُ : « أَبْقَاكَ اللَّهُ مِنَ النَّارِ وَسُوءِ الْحِسَابِ ، وَتَقْدِيرِكَ
نَفْسِي مُوَفَّقًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ » .

قَالَ : وَكُتِبَ [مَجْنُونٌ] آخَرُ إِلَى مَجْنُونٍ مِثْلِهِ : وَهَبَ اللَّهُ لِي جَمِيعَ الْمَكَارِهِ
فِيكَ ، كِتَابِي إِلَيْكَ مِنَ الْكُفُوفَةِ حَقًّا حَقًّا حَقًّا ، أَقْلَامِي تَحْطُّ ، وَالْمَوْتُ عِنْدَنَا
كَثِيرٌ ، إِلَّا أَنَّهُ سَلِيمٌ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، أَحْبَبْتُ^(٢) لِيَعْرِفَهُ إِعْلَامُكُمْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .
فَضَحِكَ — أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّهُ — حَتَّى اسْتَلْقَى ، وَقَالَ : مَا أَلْذَى يَبْلُغُ بَنَّا
هَذَا الْأَسْطِرَافَ إِذَا سَمِعْنَا بِحَدِيثِ الْمَجَانِينِ ؟

فَقَالَ ابْنُ زُرْعَةَ : لِأَنَّ الْمَجْنُونَ مُشَارِكٌ لِلْعَاقِلِ فِي الْجِنْسِ ، فَإِذَا كَانَ مِنَ
الْعَاقِلِ مَا يُحْسَبُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمَجْنُونِ كَرَّةَ ذَلِكَ لَهُ ، وَإِذَا كَانَ مِنَ الْمَجْنُونِ
مَا يُعْتَدُ مِنَ الْعَاقِلِ تُعْجَبُ مِنْهُ ، وَالْعَقْلُ بَيْنَ أَحْبَابِهِ ذُو عَرَضٍ وَاسِعٍ ، وَبِقَدْرِ
ذَلِكَ يَتَفَاضَلُونَ التَّفَاضُلَ الَّذِي لَا سَبِيلَ إِلَى حَصْرِهِ ، وَكَذَلِكَ الْجَنُونَ بَيْنَ أَهْلِهِ
ذُو عَرَضٍ وَاسِعٍ ، وَبِحَسَبِ ذَلِكَ يَتَفَاوَتُونَ التَّفَاوُتَ الَّذِي لَا مَطْمَعَ فِي تَحْصِيلِهِ ؛
وَكَمَا أَنَّهُ^(٣) يَبْدُرُ^(٤) مِنَ الْعَاقِلِ بَعْضُ مَا لَا يُتَوَقَّعُ إِلَّا مِنَ الْمَجْنُونِ كَذَلِكَ
يَبْدُرُ^(٤) مِنَ الْمَجْنُونِ بَعْضُ مَا لَا يُتَوَقَّعُ إِلَّا مِنَ الْعَاقِلِ ، وَلَا يُعْتَدُ بِذَلِكَ وَلَا
بِهَذَا ، أَعْنَى أَنَّ الْعَاقِلَ بِذَلِكَ الْمَقْدَارِ لَا يُرْسَى مَجْنُونًا ، وَالْمَجْنُونَ بِذَلِكَ الْمَقْدَارِ

(١) فِي ب « لَأَنَّ اللَّهَ » .

(٢) فِي (أ) « اجْتَنِبَ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي (أ) : « وَكَأَنَّهُ إِذَا » . وَقَوْلُهُ : « إِذَا » زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ لَا مَعْنَى لَهَا فِي

هَذَا الْمَوْضِعِ .

(٤) فِي (أ) : « يَنْدُرُ » بِالنُّونِ فِي كَلَامِ الْمُوضِعِينَ ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

لا يسمّى عاقلاً ، وإنما أجتَمَعَا في النادر القليل ، لأجتماعهما في الجنس الذي يَمُمُّهُما ، والنوع الذي يَفْصَلُهُما ، وفي الجملة الإنسان بما هو به حيوانٌ سَبْعٌ وحارٌ ، وبما هو [به] نَفْسٌ إنسانٌ ، وبما هو به عاقلٌ نَبِيٌّ وَمَلَكٌ ؛ وهذه الأعراض — وإنْ تَدَاخَلَتْ لانتظامها في طينة واحدة — فإنَّها تَتَمَيَّزُ بقوة العقل في الصورة الخلوطة إما مفارقةً ، وإما مُوَاصَلَةً . ومَرَّ (١) له في هذا الموضع كلامٌ بليغٌ تامٌّ مكشوفٌ .

كل الجزء الثاني من كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي
 حسب تخریثنا والمجد لله رب العالمين والصلاة والسلام على
 سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ويليه الجزء
 الثالث من هذا الكتاب وأوله : « ثم تراهي
 الحديث إلى أمر المطعمين والطامحين »
 الخ . نسأل الله المسونة
 وحسن التوفيق

(١) في الأصل : « ومن » بالنون ؛ وهو تحريف

فهرست الأعلام

الواردة في الجزء الثاني من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدى

(١)

- | | |
|---------------------------------------|--|
| ابن بهلول — ١٧١: ٤، ١٧٣: ١٣ | آدم عليه السلام — ١٥: ١٢٧ |
| ابن البيطار — ١٩٢: ١٦ | الآمدى الحلاوى — ١٥: ١٦٩ |
| ابن ثوبة الكاتب — ١٣٧: ٨، ١٣٨: ٨ | آمنة بنت وهب — ١٤: ٨١ |
| ابن الجلاء الزاهد — ١٧٩: ١ | إبراهيم بن آدم — ١٢٦: ٩، ١٢٨: ١٢٨ |
| ابن حجاج الشاعر — ١٧٢: ٦ | |
| ابن الحسحاس — ٦٦: ٤٣ | إبراهيم بن الجنيد — ١١: ٦٨ |
| ابن حيوة — ١٧٤: ٤ | إبراهيم الخليل عليه السلام — ١٨: ٦٩، ٢: ٦٩ |
| ابنة الحس — ٢٩: ٥ | ٢ |
| ابن الحلال البصرى — ٥٨: ١٦ | إبراهيم السندى — ٦٦: ١٢، ٦٧: ١١ |
| ابن الحنار وهو الحسن بن سوار — ١٤: ١٤ | إبراهيم بن العباس الصولى — ٥٤: ٤٤ |
| ٣: ٨٣، ١٦: ٣٨، ٥ | ٤: ١٤٥ |
| ابن دأب — ١٤٤: ٣ | ابن أبي طاهر — ٥٥: ١١ |
| ابن ذكوان — ١٤٥: ٤ | ابن أبي العوجاء — ٢٠: ١٣ |
| ابن الراوندى — ٢٠: ١٤ | ابن الأثير — ٧٨: ٨ |
| ابن الرضى — ١٧٦: ١ | ابن الأزرق الجرجاني — ١٧٤: ٥ |
| ابن الرفاء — ١٦٩: ٣ | ابن إسحاق الطبرى — ١٧٢: ١٧ |
| ابن زرة — ١٤: ١٦، ٣٨: ١٦، ٤٠: ٢٠ | ابن أسيد القاضى — ٦٥: ١١ |
| ٨ | ابن الأهرابى — ١٠٤: ١٣، ١٤٦: ٥٥ |
| ابن السراج — ١٩٦: ١٢ | ١٩١: ١٧، ١٩٢: ٥ |
| ابن السكك الواعظ — ٦٤: ٢٠، ١٢٠: ١٢٠ | ١٩٣: ١٧، ١٩٧: ١٧، ١٧٣: ١٧ |
| ١٨: ١٢٧، ١٣: ١٢٦، ١٠ | ١٩٨: ٤، ٢٠٢: ١٣ |
| ابن ميمون الصوفى — ١٧٣: ١٣ | ابن الأنبارى — ١٠١: ٥ |
| ابن سورين — ١٨٠: ٦ | |
| ابن سيرين — ٥٦: ١ | |
| ابن صالح — ٩٥: ١ | |

ابن ميادة — ١٣:١٩٣
 ابن مياس — ٨:١٨١
 ابن نبة — ١٦:١٣٦ ، ١٧:١٧٠ ، ١١:١٩٨
 ابن نصر العامل — ٦:١٦٩
 ابن هندو الكاتب — ٤:١٣٥
 ابن الوراق — ١:١٧٦
 ابن اليزيدي — ١٤:١٦٦
 ابن اليعقوبي — ١٦:٥٨
 ابن يوسف — ١٠:٢٦
 ابن يوسف صاحب ديوان السواد — ١٧٣:
 أبو أحمد المهرجاني — ١:٥
 أبو الأسود — ١:١١٤
 أبو إسحاق الصابي — ٢:١٤٥
 أبو أمانة — ١٤:٩٦
 أبو أيوب الأنصاري — ١٤:١٦٢
 أبو أيوب القطان — ٤:١٧٧
 أبو البختری النابودي — ٦:٢٠٣
 أبو بقر — ١٨:٣٥
 أبو بكر — ٩:٢٠٣
 أبو بكر الجراحي — ١٣:١٧١
 أبو بكر بن حزم — ٩٤:٧٢
 أبو بكر الصديق — ١٧:١٠٠
 أبو تمام — ٨:١٨١
 أبو تمام النيسابوري — ١٠:١٥
 أبو الجارود = زياد بن أبي زياد
 أبو جعفر المنصور — ٦:٣٤
 أبو الحارث = شبة
 أبو الحسن البصري — ١٣:٥٣
 أبو الحسن الجراحي — ٢:١٦٨
 أبو الحسن المامري — ٨٤:٦ ، ٨٦:
 ٤:٨٨، ٢٠
 أبو الحسن = علي بن هارون الزنجاني القاضي

ابن صبر القاضي — ١٣:١٧١
 ابن طرارة — ١١:١٣٤
 ابن عباس رضي الله عنهما — ١٢:٦٠ ، ١:٩٥
 ابن عبيد الكاتب — ١٦:١٤٦ ، ٩:٢
 ٧:٢٠١ ، ٩:١٩٢
 ابن عتبة — ١٨:٩٨
 ابن مرس — ٨:١٧٨
 ابن المصبي — ١٠:١٧٥
 ابن عقيل — ٩:١٦٤
 ابن علوية — ١٤:١٦٥
 ابن عمر — ١٩:٩٨
 ابن العميد = أبو الفتح بن أبي الفضل بن العميد
 ابن العميد = أبو الفضل الكاتب
 ابن العوذى — ١١:١٧٠
 ابن الغازي (الطبيب) — ٨:١٧١
 ابن غسان البصري — ٣:١٦٩
 ابن غيلان البراز — ١٣:١٦٦
 ابن الفرات — ١١:٥٤
 ابن فهم الصوفي — ٤:١٦٦
 ابن الكرخي — ٥:١٧٦
 ابن كعب الأنصاري — ٨:١٣٥
 ابن الكلبي — ٨:٧٤
 ابن المبارك — ٩:١٢٢ ، ٩:٦٦
 ابن المرائي — ١١:١٤٦
 ابن مسعود — ٩:١١٩ ، ٩:١٠٢
 ابن معروف — ١٣:١٧٢
 ابن المنفي — ٤:١٦٦
 ابن المقفع — ١٦:٢٣
 ابن مكرم — ٤:١٢٩
 ابن مكرم — ١٣:٥٤
 ابن منظور — ٢١:٦٠
 ابن موسى — ٣:١٤٤

١٠٥ : ١٣٩ ، ١٤ : ١٣٨ ، ١
 ١٥٣ : ١٨ : ١٤٣ ، ١٧ : ١٤٠
 ١٤ : ١٥٤ ، ١٩ : ١٥٥ ، ٣ :
 ١١ : ١٧٤ ، ١١ : ١٦٠
 أبو صالح الهاشمي — ١٤ : ١٧٧
 أبو طاهر : ١٤ : ٥٣
 أبو طاهر = سليمان بن أبي سعيد الحسن
 ابن بهرام الجنابي
 أبو طاهر بن القتيبي العدل — ٨ : ١٧٨ ،
 ٨ : ١٧٩
 أبو طلحة الشاهد — ١٢ : ١٨٢
 أبو الطيب — ٧ : ٣٩
 أبو عاتق الكرخي = صالح بن علي
 أبو العالية — ١٣ : ١٢٨
 أبو العباس (غلام الأمراء المقي) —
 ٧٥٤ : ١٧٤
 أبو العباس البخاري (تلميذ أبي سليمان المنطقي)
 ١٥ : ١٩ ، ١٦ : ١٠ ، ١٤ : ٦
 ١٦ : ٢٠ ، ٩ : ٢١ ، ١٦ : ٢٠
 ٥ : ١٦١
 أبو عبد الله البصري — ١٠ : ١٧٥
 أبو عبد الله المرزباني — ٩ : ١٧٧
 أبو عبيدة — ١١ : ١٠١
 أبو العلاء الصيرفي — ١٤ : ١٧٩
 أبو علي البصير — ٦ : ١٣٧
 أبو علي الجبائي — ١٨ : ٧٧
 أبو حمارة = حمزة بن عبد المطلب
 أبو حمارة (قاضي الكوفة) : ٥٦ :
 ١٩
 أبو عمرو بن حفص بن المنيرة — ١٠ : ١
 ١٤
 أبو عمرو الشيباني — ٣ : ١٠٥
 أبو حمزة صاحب شرطة المختار بن عبيد —
 ١١٧ : ٥٣

أبو الحسن الفرضي — ٧ : ١٥٥
 أبو الحسين = أحمد بن يحيى بن إسحاق
 الراوندي
 أبو حنيفة الإمام — ٤ : ١٢٣
 أبو حنيفة القفوي — ١٥ : ١٩٢
 أبو حيان التوحيدى — ٦ : ٢٠٥
 أبو الخير بن يعيش — ٦ : ١٤
 أبو الرداء — ٥ : ٩٨
 أبو ذر التفاري — ١٢٨ ، ١٠ : ٩٦ ، ١٦٥ ، ١٣٠ : ٤
 أبو زكرياء الصيمري — ٣ : ٨٤
 أبو زنبور — ٥ : ١٨٠
 أبو زيد البلخي — ٢٠ : ٣٨ ، ٥ : ١٤
 أبو السائب القاضي = عتبة بن عبيد
 أبو سعيد — ١٣ : ١٩٧ ، ٣ : ١٩٣
 أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي القرمطي
 ٢٦ : ٧٧
 أبو سعيد الرقي — ٤ : ١٨١
 أبو سعيد الكري — ٣ : ١٩٥
 أبو سعيد السيرافي — ١٩١ ، ١٢ : ٢ :
 ٧ : ١٩٢ ، ١٧
 أبو سعيد الصائغ — ١٥ : ١٧٦
 أبو سفيان صخر بن حرب — ١٦ : ٧٣ ،
 ١٦ : ٧٥
 أبو سليمان المقدسي = محمد بن معمر
 البسقي
 أبو سليمان المنطقي = محمد بن بهرام
 السجستاني — ٢ : ١٤ ، ٢ : ٦ :
 ١٨ : ٤٠ ، ٨ : ٢٣ ، ١ : ٢٤ :
 ١٣ : ٤١ ، ١٨ : ٣٨ ، ١ : ٣٥ :
 ١ : ٤٣ ، ٥ : ٤٤ ، ٢ : ٤٥ :
 ٤٦ : ٣ : ٤٧ ، ١٥ : ١ : ٢٠ :
 ٤١ : ٨٢ ، ٤ : ٨٣ ، ٣ : ٩٠ :
 ١١٥ ، ٦ : ٩١ ، ١ : ٩١ :
 ١٧٥ ، ١٦٧ ، ١٦٩ : ١٣٢

الأخفش — ١٣٩ : ١٠ و ١١ و ٢٠ : ٢٠٢ :
٣ : ٢٠٣ : ٦
أرسطوطاليس — ١٦ : ٤١ : ٤١ :
١٩ : ٨٧ : ٦ : ٤٥
أريوس — ٨ : ٣٦ :
أسامة بن زيد — ٨ : ٣٠ و ٩ : ١٤
الأسدي — ٣ : ١٠٥ :
أسطفانس — ١٢ : ٣٦ :
أسقليوس — ٩ : ٤٥ :
الإسكندر — ٢٢ : ١٥ : ٣٣ : ٨ :
٣٤ : ٥ : ٣٧ : ١ : ٤٦ : ٧ :
أحمدة بن أبيجر التجاشي — ١٦ : ٩٩ :
الأصمعي — ٩ : ٦٣ : ٤ : ٥٦ :
أعشى باهلة — ١٩٨ : ١٢ : ٢٤ و ٢٢ :
الأعشى — ٨ : ٦٩ :
أفلاطون — ١٦ : ٥ : ١٨ : ١٥ : ٢٠ :
٢٠ : ٤٤ : ١٤ : ٣٦ : ٢٠ :
١٨ : ٤٦ : ١٧ : ٤٧ : ٤ : ١٨ :
٣ : ٤٩ :
أم حبيبة بنت أبي سفيان — ٩ : ٧٤ :
أم كلثوم زوجة عمر بن الخطاب — ٨١ :
٩
الأمين (الخليفة) — ٧ : ٢٠١ :
أنس بن مالك — ١٠ : ٦٩ : ٨١ : ١١ : ١٢٧ :
١٤
الأنصاري — ٨ : ١٣٧ :
الأنطاكي = أحمد بن عاصم
انكساغورس — ١٠ : ٣٥ :
الأوزاعي — ٧ : ٦٨ : ١ : ١٢٢ :
أوميروس — ١٥ : ٣٤ :

(ب)

بشينة — ١٧٦ : ١٢ :

أبو العيناء — ٥٤ : ١٣ : ١٣٧ : ٦ :
١٤ : ١٤٤
أبو فاتم الطيب — ٧ : ٢٣ :
أبو الفتح بن أبي الفضل بن العميد الكاتب
٦ : ٣٩
أبو فرعون الشاشي — ٧٦ : ٥٣ :
أبو الفضل بن العميد — ١٤ : ١٥ : ٣٩ :
٢٠٦
أبو مسلم الحراساني صاحب الدعوة —
١٤ : ١٨١ : ١٠ : ٥٧
أبو مسلم الخولاني — ٣ : ١٢٤ :
أبو موسى الأشعري — ٩٨ : ٧٠ : ٩٩ :
١
أبو نصر = مالك بن عمارة اللخمي
أبو النصر نفيس — ٨٦ : ١٤ : ٨٨ : ١١ :
١٠ : ٨٩
أبو نواس — ٤ : ٦٠ :
أبو هاشم بن أبي علي الجبائي — ١٩ : ٧٧ :
أبو الهذيل الملاف — ٩ : ٩٠ :
أبو هريرة — ٥٥ : ١٧ : ٩٦ : ١٢ :
٩٧ : ١١٩ : ٩٨ : ٩ : ١١١ : ١٠ :
١٦ : ١٢٠ : ١ : ١٢٩ :
أبو الوزير الصوفي — ٦ : ١٦٧ :
أبو يوسف — ١٢ : ٥٦ :
أبان بن سعيد بن العاص — ١٧ : ٧٣ :
أبقراط — ١٤ : ٤٧ :
إبليس — ٧ : ١٢٤ : ٢٠ : ١١٩ :
أبي بن كعب — ٢ : ٣٠ :
أحمد بن حرب — ١ : ١٢٤ :
أحمد بن عاصم الأنطاكي — ٤ : ١٢٧ :
أحمد بن محمد كاتب ركن الدولة — ١٣٥ :
١
أحمد بن يحيى — ١٩٧ : ٣ : ٢٠٢ : ١٣ :
أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندي — ١٤ : ٧٨ :

(ح)

- حاتم الزاهد — ١٤ : ٦٨ ، ٢ : ٦٩ ، ١٢٠ : ١٢٥ و ١٧٥ : ١٨٠ ، ١٢٤ : ١٢٥ ، ١٢٦ : ١٢٧ ، ١٢٨ : ١٢٩ و ١٣٠ : ١٣١
 حارث بن مزيد الإباضي رأس الفرقة الحارثية ٢٦ : ٧٨
 حافظ — ٥٧ : ٥٨
 حباية جارية أبي تمام — ٨ : ١٨١
 حبان الأنصاري — ١٤ : ١٠٢
 حبش (البقال) — ٤ : ١٨٠
 حجاج بن هارون — ١٨ : ٦٥
 الحجاج بن يوسف — ٣ : ٦٤
 حذيفة — ١٤ : ٣١
 الحريري الشاهد — ١٠ : ١٧٦
 الحريري غلام ابن طرارة — ١١ : ٥٠ ، ١٢ : ٦١ ، ١٣ : ١٤ ، ١٧ : ٣
 حسان بن ثابت — ٤ : ١٠٣
 الحسن بن بهرام الجنابي = أبو سعيد
 الحسن بن علي — ١٠ : ٦٣ ، ١١ : ٦٤ ، ١٦ : ٨٠
 حسنون المجنون — ٤ : ٥٠
 الحسين بن محمد النجار رأس الفرقة النجلورية ١٦ : ٧٨ — ١٨٨ : ٢٠
 المصري — ١٤ : ٢٠
 حفص بن المغيرة — ١٤ : ١٠١
 الحكم بن أبي العاص — ١٣ : ٧٤
 الحكم بن هشام الثقفي — ٨ : ٧٤
 حلية جارية أبي عاتق الكرخي — ١٧٦ : ١٠
 حمزة بن عبد المطلب — ١٧٠ : ٧٥

البرداني — ١٣ : ١٦٥

بروع بنت واشق الأشجمية — ١٠٢ : ١١

بشار بن برد الشاعر — ١٣ : ١٨٠

بصر بن هارون — ٨ : ٥٦ ، ١٤ : ٥٣

بلور (جارية ابن يزيد) — ١٤ : ١٦٦

(ت)

تurf الصابئة المنسية — ١١ : ١٧٠

(ث)

ثعلب القنوي — ١٦ : ٥٧

الثوري — ١٨ : ١٢٣

ثيودسيوس — ١٤ : ١٥٣

ثيودوروس — ١٠ : ٤٥

(ج)

جامع الصيدفاني — ١٠ : ٥٧

جحظة — ٨ : ٥٧ ، ١٢ : ٥٦

جحي — ١٠ : ٥٧

الجراح بن عبد الله رواد — ١١ : ٢٨

١٢ و

جريح الراهب — ١٣ : ٩٧ و ١٢ : ١٣

جرير الشاعر — ١ : ٢٨

جعفر بن أبي طالب — ٣ : ٨١

جعفر بن محمد الصادق — ٧٧ : ٦٣ ، ٦ : ٧٧

١٦ ، ١٣٠ : ١٢ ، ١٨٨ : ١٩

الجاز — ٦ : ٥٨

جندب بن مكيث — ١٠ : ١٠٣

جندل بن صخر — ٨ : ٢٨

السميرى صاحب حياة الحيوان — ١٠٤: ٢٣
ديوجانس — ١٦: ٣١ ، ٧: ٣٤ ، ٣٤: ١٧
١٧ ، ١٠: ٣٦ ، ٥: ٤٤ ، ٦: ٩٠ ، ٤٥: ٣٠
٤٦: ٩٠ ، ١١: ١٤ ، ٤٧: ٢٠

(ر)

رافع بن مكيت — ١٠٣: ١٠
الراوندى = أحمد بن يحيى بن إسحاق
رؤية بن الصباغ — ٣: ٥٧
الريبع (حاجب المنصور) — ٧: ٧٦
الريبع بن خيثم — ٨: ٦٩
ربيعة بن عامر بن مالك — ٨: ٢٧
الرشيد — ٥: ١٣٠ ، ٦: ٥٨
الرقاشى — ١: ١٢٣
رقية بنت عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)
٩: ٨١
رواد = الجراح بن عبيد الله
روعة جارية ابن الرضى — ١: ١٧٦

(ز)

زرادشت — ٢٣: ٧٧
زريق (صانع فقاغ بيتداد) — ٥: ١٨٠
الزعفرانى (رأس الفرقة الزعفرانية) —
١٨: ٧٨
زكرياء (عليه السلام) — ٢: ١٨
زنجويه الخمال — ١٤: ١١ ، ٩٠: ١٤
الزهرى — ٤: ١٧٧
زهير بن أبى سلمى — ١٢: ١٠ ، ١٤٤: ١٠
زهير بن جذيمة — ١٦: ١٠ ، ٦: ٢٨
زهير بن عمرو — ١٩: ١٠١
زياد بن أبى زياد أبو الجارود (رأس الفرقة

هزة الوراق — ٤: ١١
هيد بن الصيرى — ١٦: ٦٢
حية بن نكاز — ٤: ١٦٤

(خ)

الخاطف (الجارية المنفية) — ٧: ١٧٠
خالد بن أسيد — ٢٠: ٥٢
خالد بن جعفر بن كلاب — ١٨: ٤٢ ، ٢٨: ١٨
خالد بن سعيد بن الصاوى — ١٦: ٧٣ ، ١١: ٧٤
خالد بن صفوان — ٨: ١٢٠ ، ٣: ٢٤
خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد — ٥: ٢٠
خالد بن عدى الجهنى — ٧: ١٠٣
خالد السكاتب — ١٧: ٥٨
خالد بن الوليد — ١١: ١٠١ ، ١٤: ٩٢ ، ١٤: ١٤
الخالم — ٢٠: ١٣٦
خباب بن الأرت — ١٥: ١٠٣
خلوب (جارية أبى أيوب القطان) —
٤: ١٧٧
الخليل بن أحمد — ٢: ١٤٦

(د)

دارا — ١٧: ٢٢
الدارقطنى — ١٦: ١٦٧
داود (عليه السلام) — ١٢: ١٨ ، ١٢٧: ١٢
داجة الخنث — ٤: ٥٩
درة البصرية (جارية أبى بكر الجراسى) —
١٧: ١٧٣ ، ١٣: ١٧١
الدعماء بنت وهب — ٢٣: ١٩٨

السندواني ١٧٦ : ٥
سولون — ١٩:٤٦
البراني = أبو سعيد

(ش)

شداد بن حكيم — ١٨:١١٩
شريك بن عبد الله القاضي — ١٢:١٠٠
و ١٤

الشعي — ١٤:٢٢، ٤:٥٨، ٢:١٢٦
شعلة (مفنية) — ٤:١٦٨
شعيب (رأس الفرقة الشيعية) — ٢١:٧٧
شعيب النبي عليه السلام — ١٥:٨٠
شقيق — ١٤:١٢٢، ٤:١٢١
و ١٥

الشياني = أبو عمرو
شيبة أبو الحارث وهو عبد المطلب جد
رسول الله صلى الله عليه وسلم —
١٤:٨١

(ص)

الصابي = أبو إسحاق الكاتب
صالح بن عبد القدوس — ١٣:٢٠
صالح بن علي أبو عائذ الكرخي — ١٣:٢٢
١٠:١٧٦، ١٤
صالح بن مسيل — ١٣:١١٩
صباية النائمة ينفاد — ١٢:١٨٢
صخر بن حرب = أبو سفيان
الصولي = إبراهيم بن العباس
الصيمري = أبو زكرياء

الجارودية (— ١٢:٧٧
زياد الأعمى الشاعر — ١٢:١٤٤
زياد بن عبد الله الحارثي — ٤:٦٥
زيد بن رقاعة — ١٣:٣
زيد بن علي بن الحسين — ٢٣:١٨٨
زيد بن عمر بن الخطاب — ٩:٨١
زيموس — ٣٧:١٣، ١٨، ٤٢:٣٨
و ٨

(س)

سالم — ١٥:١٦٢
السروي — ١٤:١٦٥
السري — ١٥:١٢، ٥٧
سعيد بن جبير — ٥:٥٨
سعيد بن عامر — ٨:١٠١
سعيد بن عمرو الجرشي — ١٩:١٦٣
١:١٦٤
سعيد بن القصب — ١٧:٧٣
السفاح (أبو العباس الخليفة) — ٣:٦٣
سقراط — ٣٤:١٥، ١٨:١٥، ١٦:٣٤
١٢:٣٦، ١٧:١٩، ٢٤:١١
٦:٤٧، ١٤:٤٦، ١٦:٤٥
السكري = أبو سعيد
السلامي — ٢٠:١٣٥
سلمة — ٣:١٩٧
سلمة بن المحبق — ١٠:٨، ٦٤
سلمي — ٦:١٩٨
سلمي — ٨:١٨٢
سليمان بن أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي
٢٩:٧٧
سليمان (عليه السلام) — ٢:١٨
سندس (جارية ابن يوسف صاحب ديوان
السواد) — ١٧٣:٥

عبد الله بن عبيد الله بن معمر التيمي —

٢١:٥٢

عبد الله بن مسعود — ٥:١٠٣

عبد المطلب جد النبي = شيبه

عبد الملك بن مروان — ١٩:٥٢ ، ٧٠:

٦٥ ، ١٤٤:٥٣

عبيدة — ٢: ١٨١

عبيد الله بن جحش — ٨:٧٤

عبيد الله بن معمر التيمي — ٢١:٥٢

عتاب بن أسيد — ١٦:٧٣

عتبة بن عبيد أبو السائب القاضى — ١٠٠:

١١ ، ١٩٥:٣٢

عتبة بن المنذر السلى — ١٢: ٨٠

عثمان بن أبي العاص — ١:٤٤

مروة بن الزبير — ٤:٧٠

عزير — ١١:١٢١

عطاء السندى — ٩:٦٧

عقال بن عقيل — ٩:١٦٤

عقبة السلى — ١٢: ١٠٢

عقبة بن عامر الجهني — ١: ١٠١

علوان الثقفى (غلام ابن مرس) — ١٧٨:

٨ ، ١٨٠:١٣

علوة (جارية ابن علوية) — ١٣: ١٦٥ ،

٥: ١٧٨

عليه (جارية مقنية) — ١٣: ١٧٢

على بن أبي طالب — ٣١: ١٣ ، ٦٣:

١٤ ، ٧٥: ٦٥ ، ٧٧: ١٣ ،

٨١: ٩ ، ٩٥: ٢٥ ، ٦٥: ١٨٨ ،

٦

على بن الحسن — ٥: ٣٠

على بن عيسى بن ماهان العائذ — ٢٠: ١

١٤

على بن عيسى الوزير — ٥٤: ١٠ ، ١٤٥:

١٤ ، ١٩٦: ١٢

(ط)

طالوت — ١٧: ٣٣

طاهر بن الحسين — ٨: ٢٠١

الطبرى — ١: ٧٨

طيا ثاوس — ٥: ٣٧

(ظ)

ظلم — ٨: ١٤٥

ظلم جارية أبي سعيد الصائغ — ١٧٦:

١٥

(ع)

العاص بن وائل — ١٣: ٩٥

عاصم بن مالك — ٨: ٢٧

العاصمى — ١٣: ١٩٣

العاصمى = أبو الحسن

عائشة رضى الله عنها — ٥: ٦٦

العباس بن الأخنف — ١٤٥: ٦ ، ١٧٧:

١٠

العباس بن الحسن المولى — ١٤: ١٤٤

العباس الصولى — ٤: ١٤٥ ، ٤: ٥٤

العباس بن عبد المطلب — ٥: ٧٥

عبد الحميد بن عبد العزيز — ١٠: ١٢٨

عبد الحميد الكاتب — ١: ٦٣

عبد الرحمن بن عوف — ٩٢: ١٤ ، ١٦:

عبد الرحمن بن مدين — ١٣: ٦٤

عبد الرازق المجنون صاحب الكيل بباب

الطلاق — ١٢: ١٦٦

عبد الله بن الجوشن النطفانى — ١١: ٢٨

عبد الله بن خالد بن أسيد — ٢٠: ٥٢

فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم —
 ١٠: ٨١، ٩٦: ١
 فائق الغلام — ٨: ١، ١٨٦: ١٥
 فتح — ١٠: ١٦٤
 الفتح بن خافان — ٧: ٥٢
 الفرضي = أبو الحسن
 فضيل بن عياض — ٣: ١٢٢، ١٢٨: ١٨
 فيتاغورس — ٧: ٤٥، ١: ٣٧

(ق)

قابوس صاحب جرجان — ١٦: ١١٧
 قاسم بن محمد — ١: ١٢٦
 قبيصة بن ذؤيب — ٤: ٧٠
 قبيصة بن الحارث — ١٠١: ١٦، ١٩١: ٥
 قدامة بن جعفر — ١٤٥: ١٣، ١٥
 القمقاع بن عمرو — ٤: ٧٥
 قلم القضيبيّة اللثينة — ٧: ١٦٧
 قنوة البصرية — ٦: ١٧٢

(ك)

كبل البقال — ٤: ١٨٠
 كسرى أبو شروان — ٨: ٢٤
 الكلبي — ١١: ٢٨
 الكنانة المقرئ — ٦: ١٨٢
 كنتس صوابه (أبقوس) الشاعر الإفريقي —
 ١٥٣: ١٥، ١٥٤: ١٥، ١٩

علي بن المهدي الطبري — ١٨: ٣٥
 علي بن موسى الرضا — ١٧: ٧٧
 علي بن هارون الزنجاني القاضي — ١٥: ٤
 ١٣: ١٥٧
 عمر بن أبي ربيعة — ١٤: ١٧٢
 عمر بن الخطاب — ٩: ٦٤، ١٠: ٦٦،
 ١٣: ٧٢، ٨: ٨١، ٩٥: ١١، ١٣
 ١٠٠: ١٧، ١٠١: ١٠، ١٣: ١٣
 ١٦٢: ٢١، ١٦٤: ٧٦
 عمرو بن الإطناية — ١٢: ٢٧، ٨: ١٢
 عمرو بن العاص — ١: ٧٤، ١: ٢٧
 ٩٥: ١١، ١٢: ١٣، ١٨٥: ٨
 ١٨

عمر بن عبد العزيز — ٧: ٢٠٣
 العمى — ٨: ١٧١
 عنان جارية الناطقي — ٤: ٦٠
 عيسى المسيح عليه السلام — ٩: ١٠
 ١٨: ٢، ٤٤: ١٥، ٣: ٦٩
 ٩٩: ١٥، ١٢٣: ١٨، ١٢٧: ١٥
 ١٥
 عيسى الوزير — ٨: ١٣٤

(غ)

غالوس — ٨: ٣٧
 غاتم — ١٥: ١٦٢
 الغريب الخنث — ١٢: ٥٧
 الغراب (ماجني) — ١: ٥٩
 غلام الأمراء = أبو العباس
 غلام يابا — ١٢: ١٨٢

(ف)

فاطمة بنت الحسين — ٧٢: ٥، ١٨: ٦

محمد النبي صلى الله عليه وسلم — ٦:٩

١٨:٢، ٢٦:١٧، ٢٩:١٢ و١٤

و١٥، ٣٠:١ و٢٥ و٧ و٨ و١٠

و١٢ و١٣، ٥٤:١٧، ٦٦:٥

و١٩، ٧٤:٢ و١٠، ٧٧:١٣،

٧٨:٦، ٧٩:١٥، ٨٠:١٢،

و١٤، ٨١:١١ و١٣، ٩٢:

١٠ و١٢ و١٤ و١٧، ٩٣:

و٣ و٤ و٩ و١١ و١٣ و١٥، ٩٤:

و١ و٣ و٦ و٨ و١٠ و١٨، ٩٥:

و٤ و٩ و١٦، ٩٦:١ و٢ و٩ و١٢ و١٦

و٩٧:١٩، ٩٨:١٢ و١٥، ٩٩:

و٥ و٦ و١١ و١٣ و١٦ و١٨ و١٩،

١٠٠:٢، ١٠١:١ و٥ و٨ و١٢

و١٣ و١٨، ١٠٢:١ و٥ و١١

و١٢ و١٤، ١٠٣:٣ و٤ و٥

و٧ و١١ و١٣ و١٥ و١٦، ١٢٢:

و٥ و٦، ١٢٣:١٢ و١٥ و١٩،

١٢٩:٣، ١٣٥:٨، ١٤٢:

و١١، ١٦٢:١٣، ١٨٨:٢٥،

١٩٥:٩، ٢٠٥:٨

محمد بن نحرير — ٨:٦٥

محمد بن واسع — ٢٠:١٢٠

محمد بن يحيى البرمكي — ٦:٥٨

محمد بن يزيد المبرد — ١٩٦:١٣، ١٩٧:

١٣

المختار بن عبيد — ٧:٥٣ و١١

الدائني — ٤:٦٨

مذكورة جارية مفقودة — ١٨١:٤

مربة — ١١:٥٥

مرداويح الجليل — ١١:١٥

المرزباني = أبو عبد الله

مروان بن الحكم — ١٦:٧٤

(م)

مالك بن دينار — ١٢٠:١٥، ١٢١:

٢، ١٢٣:٩

مالك بن عبادة النافقي — ١٠٣:٥

مالك بن حمارة النعمي — ٣:٧٠ و١٥،

٧١:٢٠

مانع — ٥٧:٤

ماني — ٧٢:٢٤

المأمون (الخليفة) — ٢٠١:٧

المبرد = محمد بن يزيد

التوكل (الخليفة) — ٥٢:٨

مجاهد — ٦٨:٨

محرز — ٥٧:٥

محمد بن أسلم — ١٢٤:٥

محمد بن بهرام = أبو سليمان المنطقي

محمد بن الحسن الجرجاني — ٥٢:٢

محمد بن الحسين النجار (رأس الفرقة التجارية)

صوابه الحسين بن محمد النجار

محمد بن زكرياء — ٢٣:٦

محمد بن سلام — ١٩٥:٣ و٢

محمد بن العباس المنقري — ١٠٠:١٢

محمد بن عيسى الملقب بـ يرغوث رأس الفرقة

البرغوثية — ١٨٨:٢٠

محمد بن القاسم — ١٢٦:١٨

محمد بن المرزبان — ١٠٠:١١

محمد بن مسلمة — ٩٥:١١ و١٢

محمد بن مضر البسقي أبو سليمان المقدسي —

١٥:٤، ١١:٣، ١٦:١٦ —

٣١:٧

محمد بن المنكدر — ١٣٠:٣

محمد بن موسى —

١٦:١١٩، ١٧ و ١٤ و ١٣

ميمون بن مهران — ٤:٥٤

ميمون بن ميمون — ٤:٦٩

(ن)

النايفة — ١٦:٢٠٣، ١٧:١١٣

نافرة بن صبي — ١٠:١٠١

الناطق — ٣:٨١، ٤:٦٠

نافع — ١٩:٩٨

نجاح الكاتب — ١٨:٦٥

النجاهي أصحمة بن أبيجر — ١٠:٧٤،

١٤:٩٩، ٧ و ٦ و ٣:٩٧

و ١٦

نصر — ١:١٦٤

نصير — ٩:٧٧

نضلة — ١٠:٥٨، ٩:٥٤

النظام — ١٢ و ٩:٩٠

النعمان بن بشير — ١١٣:٥٠، ١٠٢ :

١٧

النعمان بن المنذر — ١٦:٢٠٣

نهاية (جارية) — ٤:١٦٦

التوشجاني — ٧:١٤

التيسابوري = أبو تمام

(هـ)

هشام — ٢:٥٦

هشام بن سالم — ١٢:١٠٤

هشام بن عبد الملك — ١٦٣، ١٤:٦٤ :

١٩، ١٦٤ و ٢١

هند بن أساء بن زنياع — ١١:١٩٩

هوميروس — ٤:٦

مزدك — ٢٤:٧٧

مزهد — ١٤:٥٥

مسكويه — ٣:٣٩، ٩:٢

مسلم (المحدث) — ٢٣:١٠٢

المسيح عليه السلام = عيسى

مشمشة الخنت — ٦ و ٥:٥٤

مصعب بن الزبير — ١٩:٥٢

مطر بن أبي القيث — ١٣:٢٠

مطرف بن محمد وزير مرداويج — ١٥ :

١١

معاوية بن أبي سفيان — ٦٤، ١٥:٦٣ :

١٨ و ١٧:٧٤، ١

منز الدولة البويهي — ٢٣:١٨١

المعلم غلام الحصري — ٤:١٧١

ممر — ١٢:١٢٠

المنيرة — ١٢:١٠٠

المنيرة بن شعبة — ١٨ و ٨:١٨٥

المفضل الصيرفي — ١٨:١٨٨

المفضل بن عمرو — ١٧:١٨٨

المقتاد بن الأسود — ٢:٩٥

المقدس = محمد بن معمر اليسقي

أبو سليمان

المنقصر بن وهب — ١٢ و ١٢:١٩٨

٢٣ و ٢٠، ٢:٢٠١

المنصور = أبو جعفر الخليفة

منصور بن مهران — ١٥:١٢٩

منقاريوس — ١٧ و ١٥ و ١٣:٣٧

المهاجر بن أبي أمية الخزومي — ١٨:٧٣

المهدي الخليفة — ٤:٦٥، ١٠ و ٨:٣٤

المهرجاني = أبو أحمد

مهلهل بن ربيعة — ١٦:٥٣

موسى بن جعفر الصادق — ١٦:٧٧،

١٨:١٨٨

موسى النبي عليه السلام — ٨٠، ٢:١٨ :

يحيى بن أبي يعلى — ١٦٧:٢ و ١٦٧
 يحيى بن زكريا عليه السلام — ١٨ : ٢
 يحيى بن عدى النصراني — ١٨ : ٦ ، ٣٨ :
 ١٣
 يحيى بن علي — ١٤ : ٢٠١
 يحيى بن معاذ — ١٢٣ : ٢ ، ١٢٥ :
 ١٦ ، ١٢٦ : ١١ ، ١٢٧ : ١
 يعقوب بن الليث — ٦ : ٦٦
 يوسف بن يعقوب : ٦٣ : ١٣

(و)

الواسطي — ١٥ : ١٧٥
 واشق الأشجعي — ١١ : ١٠٢
 وهب (هو ابن بنه) — ١٠ : ١٣٠
 وهيب بن الورد — ١٠ : ١٢٣

(ي)

ياقوت الحموي — ٢ : ١٨ و ٢٠ ، ٢٩ :
 ١٨ — ١٩٩ : ١٩

« تم فهرست الأعلام »

فهرست أسماء الأماكن

الواردة في الجزء الثاني من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي

يسق — ٢١:٤
بين السورين — ١:١٧١

(ت)

تبراك — ١٩:١٥٠
تثليث — ٣:١٩٩
ترباع — ١٦:٢
تشار — ٢٠:١٩٥ و ١٩:٢

(ج)

جرجان — ١٦:١١٧
جرش — ١٨:٧٣
الجفرة — ١٩:١١٠
جنازة — ١٢:٧٨ و ٢٧:٧٧
جى — ١٥:١٥٧

(ح)

الحجاز — ١٩:١٩٩ و ١٢:٧١
حجر — ١٧:٥٣
الحديبية — ١٠:١٠٣
الحرم — ٩:٧٨
حنين — ١٥:١٠٢ و ١٠:٩٣

(ا)

الأبلة — ٨:٦٤
الأبواء — ١٥:٨١
أحد — ١٥:٩٢
الأحساء — ٩:٧٨
أدى — ٤:١٠ و ١:٢٩
أرمينية — ٧:٩٨
أسفران — ١٨:٥
الإسكندرية — ٧:٥٧
أصهان — ١٢:١٦٩ و ٢١:١٥٧

(ب)

باب الفاسية — ٢٣:١٨٢
باب الطاق — ١٢:١٦٦ و ٣:٢٦
البحرين — ١٧:٧٣ و ٢٧:٧٧ و ٧٨:١٠
بدر — ٢:٩٥
البصرة — ١٣:٤ و ١٠:٥٠ و ٦٥:١٠
١٥:١٦٩ و ١٣
بغداد — ٢٠:١٧٦ و ١٨:٣٥ و ٢٢:٦٨٢ و ١٦:١٨١ و ٢٣:١٨٠
٨:٢٠١ و ٥:١٨٨
بيت الله الحرام — ٢٩:٧٧

السندية — ١٩ : ١٧٦
سوق العطش — ١٨٢ : ١٢ و ٢٢
سوق عكاظ — ١٦ : ٢٨

(ش)

شاش خراسان — ١٤ : ١٨١
الشام — ٧٢ : ١٦ ، ٨١ : ١٩٢ ، ٢٠
شطا — ٢١ : ١٧٩
شهرستان — ٢٢ : ١٥٧

(ص)

الصراة — ١٤ : ٥٩ و ٢١
صريفين — ٦ : ١٨٠
صفين — ١٥ : ٦٣
صنعاء — ١٦ : ٧٣
الصين — ١٧ : ١٠٨

(ط)

الطائف — ٢ : ٧٤

(ع)

العراق — ٣٤ : ٧ ، ٤٨ : ١٧ ،
٢١ : ٥٩ ، ١٢ : ٧١ ، ٢٠ : ٧٢ ،
١١ : ١٣٤
عقبة همدان — ١٢ : ٢٠١
عمان — ١ : ٧٤

(ف)

فدك — ٢٩ : ٤ ، ٩٣ : ١ و ١٨

(خ)

خراسان — ١٥ : ٦ ، ٦٤ : ١٣ ،
١٨٠ : ٥
خير — ١٨ : ٩٣

(د)

دار القطن — ٦ : ١٦٧
دار الكتب المصرية — ٦٤ : ٢٢
ديق — ٢٠ : ١٧٩
دجلة — ١٠ : ٢٠٣
درب الزعفراني — ١٤ : ١٧١
درب السلق — ١٤ : ١٦٥
الدهناء — ٢١ : ٢
ديار بكر — ٢٠ : ١٩٢

(ذ)

ذو الخصلة (الكعبة البمانية) — ٢٥ : ١٩٨

(ر)

الرصافة — ٢٣ : ١٨٢ ، ١٠ : ١٧٦
الري — ٢٢ : ٤ ، ٢٣ : ٧ ، ٣٩ : ٦ ،
١٨ : ٧٨ ، ١٤ : ١٥٧ ، ٢٠ : ٩

(ز)

زبالة — ١٠٦ : ١ و ١٧

(س)

سجستان — ١٥ : ٤٨

مطرق — ١٢٩ : ٤
 المغرب — ١٥ : ٢٢
 مكة — ١٦ : ٧٣ ، ٢٩ : ٧٧ ، ١ : ٧٩ ،
 ١٩ : ١٩٩ ، ١٧ : ١٥٦ ، ١٦ : ٨١
 مهرجان — ١٨ : ٥
 مهرجان قذق — ١٨ : ٥
 منى — ١٢ : ١٨٦
 الموصل — ١١ : ٢٠٣

(ن)

نجد — ١٦ : ١٩٩
 نجران — ١٧ : ٧٣
 نهر الملى — ٢٢ : ١٨٢
 نيسابور — ١٥ : ١٥

(هـ)

هضبة النياح — ١٠ : ١٩٩
 الهند — ١ : ١٠٨ ، ١٢ : ٦٣

(و)

الوراقين — ٥ : ١١

(ي)

يبرين — ٨ : ١٩٥
 الجامعة — ١٨ : ٢٩
 اليمن — ١٢ و ١١ : ٦٣
 اليهودية — ٢٢ : ١٥٧

(ق)

القادسية — ٧ : ١٥٧
 القاهرة — ١٩ : ١٩٢
 قزوين — ٨ : ١٦
 القطيف — ٩ : ٧٨
 قف النخلتين — ٦ : ٣٠
 قلعة الجبل — ١٩ : ١٩٢

(ك)

الكرخ — ٦ : ١٦٦ ، ١٠ : ٥٨ ،
 ٤ : ١٨٣ ، ٤ : ١٨٠ ، ٢ : ١٦٨
 ٢٠ : ١٧١
 الكعبة — ٩ : ٧٨
 الكعبة اليمانية = ذو الخليفة
 كلواذى — ١٣ : ١٦٩
 الكوفة — ١٩ : ٥٦ ، ٥٤ : ٥٠ ،
 ١٣ : ١٠٠ ، ٢٣ : ٦٤

(م)

ما وراء النهر — ٢٠ : ١٨١
 المدينة — ١١ : ٩٤ ، ١٥ : ٨١ ، ٤ : ٧٢
 ٦ : ١٦٧ ، ١٤ : ١٦٢ ، ١٦ : ١٧٨
 المرند — ١٧ : ٥٨
 مصر — ١٤ : ٧٨
 المفرق — ١٦ : ٢٢
 مصر — ٢١ ، ٢٠ : ١٧٩ ، ١٣ : ٦٣

فهرست أسماء القبائل والأمم والفرق الواردة في الجزء الثاني من كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي

بنو عدى بن النجار — ١٦: ٨١
بنو عقيل — ١٠: ١٦٤
بنو العنبر — ١٩: ٢
بنو فهر — ٢: ١٠٢
بنو كلاب — ١٤: ١٥٦
بنو لُحَب — ١٩: ١٦٤
بنو مروان — ٧: ٧٣
بنو نفيل بن عمرو بن كلاب — ٩: ١٩٩
١٧: ٢٠١
بنو هاشم — ٥: ٧٤ ، ٦: ٧٣
البهشية — ١٩: ٧٧

(ت)

تيم — ١٩: ١٧١

(ج)

الجارودية — ١٢: ٧٧
الجباية — ١٨: ٧٧
الجبيرة — ٢١: ٧٨
جشم — ١٨: ١٩١
جهينة — ٢١: ٢٧

(١)

آل أبي طالب — ٣: ٧٣
آل النبي محمد صلى الله عليه وسلم —
٨: ٢٠٥ ، ١٣: ٧٦ ، ٣١: ٧٦
الإباضية — ٢٦: ٧٨
الائتاء عصرية — ١٥: ٧٧
أشجع — ١٠: ١٠٢
الأشجعية — ١٠: ٧٧
الأخضرية — ١٨: ٧٧
الإماميون — ١٧ و ١٠: ١٨٨
الأنصار — ٣٠: ١١ و ١٥ ،
٥: ٩٩
أهل الذمة — ٥: ٢٠٣
أهل السنة — ١٦: ٧٨ ، ٢٢ و ٢٠: ٧٧

(ب)

البرغوثيون — ٩: ١٨٨
بنو إسرائيل — ١٣: ١٢٤
بنو أمية — ١٨ و ٧: ٧٣
بنو تغلب — ١٤: ٦٣
بنو الحارث بن كعب — ١١: ١٩٩
بنو عامر — ١٥ و ١٠: ٩٤
بنو عبد مناف — ٢: ١٠٢

الشيعة — ٩ : ١٢ ، ١٥ : ١٠ ، ٧٧ :
١٧ و ١١ : ١٨٨ ، ٨

(ص)

الصائبون — ١٤ : ٥
صحية رسول الله صلى الله عليه وسلم —
١٣ : ٧٧
الصدق — ٧٤ : ١
الصوفية — ١٥٥ : ١٦ ، ١٧١ : ٤

(ط)

الطبريون — ١٨٨ : ٨
طى* — ٢٨ : ٢ ، ٢٩ : ٤

(ظ)

الظاهرية — ٧٨ : ٢٤

(ع)

العجم — ٧٦ : ١٣ و ٦
العرب — ٢٧ : ١٠ و ١٤ ، ٧٧ : ٢٧ ،
٩٤ : ١٨ ، ١١٣ : ٤ و ١٧ ،
١٣٩ : ٩ و ١١ ، ١٤٦ : ٤ ،
٢٢ : ١٦٤
الم — ١٧١ : ١٩
الموذ — ١٧٠ : ٢٣

(ف)

الفرس — ٧٧ : ٢٣
للفلاسفة — ٩ : ١٣ ، ١١ : ٨ ،
٢٣ : ٧٧

(ح)

الحارثية — ٧٨ : ٢٦
الحكماء — ٢٧ : ٤ ، ٦٤ : ١٢ ،
١١٣ : ٩ ، ١١٧ : ٧ ، ١٣٦ :
١٧
الحنبلية — ١٨٨ : ٨

(خ)

الخازمية — ٧٧ : ٢٢
الخوارج — ٩ : ١٣ ، ٧٧ : ٢١

(ر)

الرافضية — ٧٨ : ٢
الراوندية — ٧٨ : ١٤
الروم — ١٣٩ : ١٤

(ز)

الزعفرانية — ٧٨ : ١٨
الزنادقة — ٧٧ : ٢٣
الفرنج — ١٣٩ : ١٤
الزيدية — ١٥ : ٦ ، ٧٧ : ١٢ ، ١٨٨ :
١٠

(س)

السنّة — ٩ : ١٣

(ش)

الشعية — ٧٧ : ٢١

المتزلة — ١٢:٩ ، ٧٨:١٥ ، ٧٨:٢٧
المتزلة البصرية — ٧٧:١٩
المفضليون — ١٨٨:٩
المهالة — ٥٠:١٠

(ن)

الناجون — ١٦:٧
التجارية — ٧٨:١٦ و ١٨ و ٢٥ ،
١٨٨:١٩
التحويون — ١٣٦:١٧
النصاري — ٩:١٠ ، ٥٩:٧ ، ٧٨:٤
التصيرية — ٧٧:٨
نفيل بن عمرو بن كلاب = بنو نفيل

(هـ)

المهيريون — ١٦:٧
هوازن — ٢٨:٥

(ي)

اليهود — ٧٨:٣ ، ١٦٧:١٤
يوفان — ٨:٢ ، ١٨:١ ، ٦١:٢٢ ،
٩:١٥٣ ، ١٥:١٥٤ ، ١٠:

(ق)

القدرية — ٧٨:١٧ و ١٩
القرامطة — ٧٧:٢٣
قريش — ٦٦:١٢ ، ٧١:٧ ، ٧٤:٧
١٠

القطبية — ٧٧:١٥

(ك)

كننة — ٧٤:١

(ل)

اللقويون — ١٣٦:١٧
لهب = بنو لهب

(م)

المجوس — ٩:١٠ ، ٣٣:٣ ، ٧٨:٤
للرجة — ٩:١٢
المستدركة — ٧٨:٢٥
المسلمون — ٧٨:٣
مضر — ١٩٩:٤

فهرست أسماء الكتب

الواردة في الجزء الثاني من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي

(ر)

رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء —

٩ : ١٣ ، ٩ : ٥

السبأ والعالم — ٨٧ : ١٠ و ١٩

(ش)

شرح القاموس = تاج العروس

شعر أعشى باهلة — ١٩٨ : ٢٤ ، ١٩٩ : ١٦

(ع)

عقد الجمان — ٧٧ : ٢٥

المقد الفريد — ٩٥ : ١٩ و ٢٠ و ٢٣ ،

١٩ : ٩٦

(ق)

القاموس المحيط — ١٩ : ٦٤ ، ٨١ : ١٧

(ل)

لسان العرب — ٢٩ : ١٨ و ١٩ ، ١٦٢ :

٢٠ ، ١٦٤ : ١٧ ، ١٩٨ : ١٥

(١٥)

(ا)

أخبار أبي نواس — ٦٠ : ٢١

الإصابة في تحرير الصعبة — ٦٤ : ١٨

الألفاظ الفارسية العربية — ٨٥ : ١٩

الامتناع والمؤانسة — ٢٠٥ : ٦

(ب)

بلوغ الأرب — ٢٨ : ١١

(ت)

تاج العروس ٧٨ : ١٢ ، ١٧١ : ٢٣

(ح)

حياة الحيوان — ١٠٤ : ١٥ و ٢٣ ،

١٨ : ١٠٥

(خ)

خبيئة الأكوان — ١٨٨ : ٢١

خزانة الأدب — ١٩٨ : ٢٣ ، ١٩٩ :

١٦

و ١٩٠ ، ١١٠ : ٢٣
الملل والنحل — ١٨٨ : ٢١

(ن)

نهاية الأرب — ١٧٩ : ٢٤
النواميس لأفلاطون ٢٠ : ٢٠

(م)

مجمع الأمثال — ١٤٨ : ١٩

المصباح المنير — ١٦٧ : ١٧

معالم الدين — ١٨٨ : ٢٢

معجم البلدان — ٧٨ : ١٢

مفردات ابن اليعطار — ١٠٨ : ١٦

فهرست قوافی الایات

الواردة فی الجزء الثانی من کتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبی حیان التوحیدی

۱۵ : ۵۳	أبا عبد الإله	الفلادة			
۱۲ : ۱۷۵	أنسیت	وردر			
۶ : ۱۵۳	یا ربّ	الحقد			
۱۸ : ۱۱۳	وأسکنت	بفاهدر			
۵ : ۶۵	أنا	بعیدر			
(ب)					
۱ : ۱۶۷	بالشباب	أعطی			
۱۱ : ۱۷۲	فأعتبا	هیبی			
۲۵ : ۱۰۵	الکرب	أ کذب			
۱۳ : ۶۲	جانب	ولیس لنا			
۱۶ : ۱۵۷	مجنب	الخبیر			
(ت)					
۴ : ۱۵۳	وفاته	من			
۴ : ۱۶۹	بجیاته	وحیاته			
۱ : ۱۷۴	شهادتی	ولو طاب			
۷ : ۵۳	حجرتی	أنا			
۸ : ۶۰	قوتا	زواجوا			
۵ : ۶۰	یموتا	لو			
(ح)					
۱۲ : ۱۸۶	ماسح	ولما قضینا			
۹ : ۱۸۱	قاضح	صددنا			
۱ : ۱۷۷	جریمح	فیالک			
(د)					
۱۰ : ۱۷۱	والاباد	بلعی			
(ر)					
۵ : ۲۸	أحراراً	بل کیف			
۱ : ۱۷۳	ناراً	یا ذا الذی			
۱۵ : ۱۷۲	الفجر	أیرى			
۱ : ۱۹۹	سنخر	لانی أنفنی			
۷ : ۱۶۸	الکدر	لو أن			
۶ : ۱۷۷	بمنتصر	إذا أردت			
۵ : ۱۷۴	حصر	قد أشهد			
۸ : ۱۸۲	الذکر	عهود العبا			
۸ : ۱۸۵	أو عمر	وقد یتغابی			
۹ : ۱۷۲	عمری	یا لینی			
۱۰ : ۱۹۸	الغمر	یکفیه			
۱۳ : ۲۸	وظاهر	شفیت			
۱ : ۲۸	وصدور	رأیت			
۱۷ : ۵۳	بالذکور	فلولا			
۵ : ۱۸۱	سرور	سررت			
۱ : ۱۵۳	کبیر	من القلیل			
۱۲ : ۲۷	کثیر	وساهی			
۲ : ۱۱۴	شریره	لممرک			

٤ : ١٥١	الزلزل	قد يدرك
٦ : ١٧٨	الرسول	أروخ
٦ : ١٧١	ما تقول	وقال لي
٩ : ٢٨	وعقول	وما فك
٦ : ١٩٨	القليل	أمر

(م)

١١ : ١٨٠	المدام	ما العيش
١١ : ٥٠	بالطعام	أصبحت
١٥ : ٥٦	بسلام	لست مني
٨ : ١٦٩	كلام	هب الشعراء
١١ : ١٤٤	والدم	لسان الفقى
٢ : ١٥٣	ندم	من باع
٦ : ١٧٥	كالعالم	عرفت
١٤ : ١٣٩	والروم	ما زال
٧ : ١٤٥	ملوم	تعالى
١٠ : ١٤٧	ولوم	الدهر

(ن)

١٤ : ١٨٢	لك عانى	ليت شعري
٣ : ١٧٦	بالأمانى	وحق
١ : ١٨١	القوانى	ألا يا قوم
٤ : ١٠٥	نمباناً	إن كنت
١٨ : ١٥٢	سلطاناً	من سلم
١٥ : ١٧١	تثنى	لست أنسى
٩ : ٥٦	إذن	إن أبا موسى
٥ : ١٦٨	الحران	لا بد
٨ : ١٧٤	غنى	أبو المباس
٩ : ١٧٣	بخلوين	يجلس

(هـ)

٨ : ١٧٠	تقصاها	تذهب
---------	--------	------

(س)

٧ : ٢٧	القابس	لاح
--------	--------	-----

(ص)

٤ : ١٧٠	خلاصى	إذا
١٤ : ١٩٣	القبص	عطاؤكم

(ط)

٣ : ١٥٣	الشاحط	لدى بحر
---------	--------	---------

(ع)

٧ : ١٤٠	ابتدعوا	ماذا لقيت
٥ : ١٥٣	ما تزعمه	المال
٦ : ١٦٦	مطلعه	أستودع

(غ)

١٧ : ١٥٢	أدفع	رب سكوت
----------	------	---------

(ق)

٢٠ : ٥٨	من عشفوا	أحرم
١٠ : ١٦٧	الثائق	أقول لها

(ك)

١ : ١٧١	لحاكا	لب الهوى
١٢ : ١٧٦	أوقاكا	قالت
١٥ : ١٦٥	ظلمك	بالورد

(ل)

٦ : ١٧٦	الحال	هجرنى
---------	-------	-------

فهرست أنصاف الآيات

الواردة في الجزء الثاني من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي

١١ : ١٥٠	ما العلمُ	الصنبرُ	
٥ : ١٤٨	ومن يبكِ	اعتنرُ	
٨ : ١٤٨	رُبةٌ	صغيرُ	
٩ : ١٥٠	فنُ	الأميرُ	
(س)			
١١ : ١٤٧	وأكدُ	الياسرُ	
٦ : ١٤٨	إنَّ المطامعُ	الياسُ	
(ض)			
١٤ : ١٤٧	ليس المقلُ	براضى	
١٥ : ١٤٨	وحاجةُ	لا تنقضُ	
(ع)			
٣ : ١٥١	كلُّ امرئٍ	سأى	
٩ : ١٥٢	ولكنَّ	أوجعُ	
١٤ : ١٥٠	إنَّ الضيقَ	مولعُ	
(ل)			
١٢ : ١٥٠	إنَّ الكريمَ	ذو المالِ	
٢ : ١٤٩	المرءُ	لا الحالةُ	

(ب)	
٨ : ١٥٠	ولربما كذبه
١٥ : ١٤٩	إنَّ الشجاعةَ
١ : ١٤٩	ومن يسألُ
١٤ : ١٥٢	والحرَّ
(ت)	
٧ : ١٥٣	البحرُ
(ح)	
٧ : ١٥٢	ولربةٌ
(د)	
٩ : ١٤٩	الموتُ
١٤ : ١٤٨	عند
١٠ : ١٥٠	إذا فزعَ
(ر)	
١٦ : ١٤٩	إنَّ الكريمَ

٧ : ١٤٨	والأمرُ ينمى	١٣ : ١٥٠	الأجل	لأنّ الفرار
١٠ : ١٤٨	وقد يستجهلُ الحليمُ	١١ : ١٤٨	يُفعل	وإذا مضى
(ن)		(م)		
٨ : ١٥٢	والحمدُ بأتمنٍ	٩ : ١٤٨	الأقوام	ذَهَبَ
		١٦ : ١٤٧	وتلما	وحسبك

استدراك

اطلع الأستاذ المرحوم محمد كرد علي على الجزء الثاني من الإمتاع والمؤانسة بعد طبعه ، فأرسل إلينا بالملاحظات الآتية . وقد أثبتناها في ثانيا الكتاب ، وثبتها هنا ليعرف القارى أنها من تصويبه .

صفحة	الأصل	التصويب
٥	العوفى	العوفى (كذا يرى حضرته)
١٤	الصائبون	الصائبون
١٤	ابن الخنثار	ابن خنثار
٢٠	الحصرى	الصيبرى
٢٤	باستقامنا	باستقامتنا
٣٠	حقى ترهوى	حقى ترهوى
٣١	شباط	شباط
٣٢	الأمراض والأغراض	الأمراض والأغراض
٤٠	بالوفى والخرق	بالوفى والخرق
٤٨	وما سوس	وما سوس
٤٨	الدولة مقبلة	والدولة مقبلة
٥٥	مزيد	مزبد (كحدث)
١٠٥	أجبن من صفر	أجبن من صفر

صفحة	الأصل	التصويب
١١٧	أطفأ نائرتها	أطفأ نائرتها
١٣٥	بالنير المخطط	بالنير المخطط
١٤٦	غير ما	غير ما
١٥٥	أبو الحسن القرظي	القرظي ؟
١٧١	بين السورين	بين السورين
١٧٩	قراستی من قراصة	قراستی من قراصة

هذا إلى ملاحظات أخرى له أوردناها في مكانها ؟

كِتَابُ

الْمَنْتَحَلُ وَالْمَوَانِسَةُ


تأليف

أبي حيان التوحيدي

وهو مجموع مسامرات في فنون شتى
حاضر بها الوزير إبا عبد الله العارض في نحو أربعين ليلة

الجزء الثالث

صححه وضبطه وشرح غريبه
أحمد أمين و أحمد الزين

 دار مكتبة الحياة
للطباعة والنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« بقية الليلة الحادية والثلاثين في آخر الجزء الثاني »

ثم تَرَى الحديث إلى أمر الْمُطْعِمِينَ وَالطَّاعِمِينَ ^(١) ، والَّذِينَ يَهْشُونَ ^(٢) عند ^(٣) اللائدة ، والَّذِينَ يَغْبِسُونَ ^(٤) وَيَجْمُونَ وَيَطْرِقُونَ ، والَّذِينَ يَصْنَعُونَ ^(٥) وَيَلْقَطُونَ ، وَيَضْجَرُونَ وَيَتَنَاطَلُونَ .

قال : أحبُّ أن أسمعَ في هذا أكثرَ ما فيه ، ويمرُّ بي أحبه ، فإن في معرفة هذا الباب تهذيباً وإيقاظاً كثيراً .

فكان من الجواب : إنَّ الناسَ قديماً وحديثاً قد خاصوا في هذا الفنَّ خوفاً بصيداً ، وما وقفوا منه عند حدٍّ ، لأنَّ الحديثَ عن الأخلاقِ المختلفةِ بالأمرجة ^(٦) اللَّتَبَايئة ، والطبائعِ المتنائية لا يكاد يَنْتَهِى إلى غاية يكون فيها شفاءٌ للمستيعِ لِلتَّسْفِيدِ [و] لا لِرَاوِيَةِ الْمُفِيدِ .

قال : قبل كل شيء أَعْلِمُونَا ^(٧) يا أصحابنا : الحثُّ على الأكلِ أحسن ، أم الإمساكُ حتى يكون من الأكلِ ما يكون ؟

فكان [من] الجواب : أن هذه المسئلة بعينها جرَّت بالأمس بالرَّيِّ عند

(١) في (١) بالطاعمين ، والباء معرفة من الواو كما هو ظاهر من السياق .

(٢) في (١) يمشون ، وهو تحريف .

(٣) في (١) « يمشون » ؟ وهو تصحيف .

(٤) في (ب) « ينجون » .

(٥) في كلتا النسختين بالأزمنة ؛ وهو تحريف .

(٦) في (ب) « لإعلموا » ؛ وهو تحريف .

ابن عبّاد فتَنُوبَ الكلامُ فيها ، وأفضى [إلى] أن الأولى الحثُّ والنَّهْيُ
والبَسْطُ والطلاقة ولينُ اللفظِ وقِيْلَةُ التَّحْدِيقِ وإنْجاءُ الطَّرْفِ مع [اللُّطْفِ]
والدِّمَاءِ ، من غير دلالةٍ على تَكَلُّفٍ في ذلك فاضح^(١) ولا إِمْسَاكٍ^(٢) عنه قادح .
وحكى ابن عبّاد في هذا الموضع أن بعض السلف قال : الطعامُ أهْوَنُ مِنْ
أن يُحِثَّ على تناوُلِهِ .

وقال الحسن بن عليّ : الطعامُ أجلُّ من أن لا يُحِثَّ على تناوُلِهِ . ومذهبُ
الحسن أحسن .

قال : ولقد حضرتُ موائدِ ناسٍ لا أُظُنُّ بهم البخلَ فلم يُحِثُّوني ولم يَبْسُطُونِي
فَقَبَضْنِي ذلك ، وكأنَّ أقباضِي كان بِمَعُونَتِهِمْ ، وإن لم يكن يارادتهم .
قال الوزير : هذه فائدة من هذا الرجل الذي يُتَهَادَى قوله ، وتُرَاوَى
أَخْبَارُهُ^(٣) .

ثم حكيتُ له أن أسماءَ بنَ حارِجَةَ قال : ما صنعتُ طعاماً قطّ فدَعَوْتُ
عليه نَفْراً إلّا كانوا أَمَنَ علىَّ مِنِّي عليهم . فقال : زدنا من هذا الضرب
ما كان ، قلتُ : لو أذن لي في بَجْعِهِ كان أَوْلى ؛ قال : لك^(٤) ذلك فَا يَصْرُنَا^(٥) .
أن تُطْرِبَ آذَانَنَا بِمَا تَهْوَى نُفُوسُنَا .

فكان من الجواب أن الجاحظ قد أتى على جمهرة هذا الباب إلّا ما شذَّ عنه

(١) في (١) ناصح ؛ وهو تحريف .

(٢) في (١) « الإِسْكَ » ولا يستقيم به المعنى .

(٣) في (١) ويترأى اختياره .

(٤) في (١) « إلى » ؛ وهو تحريف .

(٥) في (١) « ينصرنا » ؛ وهو تحريف .

مِمَّا لَمْ يَقَعْ إِلَيْهِ ، فَإِنَّ الْعَالِمَ - وَإِنْ كَانَ بَارِعًا - لَيْسَ بِمُجُوزٍ أَنْ يُظَنَّ [به] أَنَّهُ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ بَابٍ ، أَوْ بِالْبَابِ الْوَاحِدِ إِلَى آخِرِهِ ؛ عَلَى أَنَّهُ حَدَّثَ مِنْ عَهْدِ الْجَاحِظِ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا أُمُورٌ وَأُمُورٌ ، وَهَنَاتٌ وَهَنَاتٌ ، وَغَرَائِبٌ وَعَجَائِبٌ ، لِأَنَّ النَّاسَ يَكْتَسِبُونَ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ عَادَةً جَدِيدَةً ، وَخَلِيقَةً غَيْرَ مَعْهُودَةٍ ، وَبَذَّةَ هَذِهِ اللَّيْنِ ^(١) هُوَ الْوَقْتُ الَّذِي فِيهِ تَنْفَقِدُ شَرِيعَةٌ ، وَتُظَاهِرُ نَبْوَةٌ ، وَتَنْشُو أَخْكَامٌ ، وَتَسْتَقَرُّ سُنَنٌ ، وَتُؤَلَّفُ أَحْوَالٌ ^(٢) بَعْدَ فُطَامٍ شَدِيدٍ ، وَتَلَكُّوْ رَاقِعٌ ؛ ثُمَّ عَلَى أَسْتِنَانِ ذَلِكَ يَكُونُ مَا يَكُونُ .

وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ : مَنْ ضَافَ الْبَخِيلَ صَامَتِ دَابَّتُهُ ، وَأَسْتَقْنَى عَنِ الْكَثِيفِ ، وَأَمِنَ التُّخْمَةَ .

وَقَالَ حَامِدٌ ^(٣) اللَّفَافُ الْمَرْهَدُ ^(٤) : لِلرَّائِي إِذَا ضَافَ إِنْسَانًا حَدَّثَهُ بِسَخَاوَةِ إِبْرَاهِيمَ ، وَإِذَا ضَافَهُ إِنْسَانٌ حَدَّثَهُ بِزُهِدِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ .

وَقَالَ مَالِكٌ ^(٥) بْنُ دِينَارٍ : دَخَلْنَا عَلَى ابْنِ سِيرِينَ فَقَالَ : مَا أَذْرِي مَا أَطْعِمُكُمْ ؟ ثُمَّ قَدَّمَ ^(٦) إِلَيْنَا شُهْدَةً .

وَقَالَ الْأَعْمَشُ : كَانَ خَيْثَمَةُ يَصْنَعُ الْخَبِيصَ ثُمَّ يَقُولُ : كُلُوا فَوَاللَّهِ مَا صُنِعَ إِلَّا مِنْ أَجْلِكُمْ .

وَقَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُرَزِيُّ ^(٧) : أَحَقُّ النَّاسِ بِلَطْفَةِ مَنْ إِذَا دُعِيَ إِلَى طَعَامٍ

(١) فِي (١) « وَبَذَّرَهُ الْمَتِين » . وَفِي (ب) « وَبَذَّرَهُ الْبَيْن » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ وَمَا أَثْبَتْنَاهُ هُوَ مَا يَقْتَضِيهِ سِيَاقُ الْكَلَامِ . (٢) فِي (ب) « أَحْكَام » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٣) كَذَا فِي كِلَا الْأَصْلَيْنِ ؛ وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنْ هَذَا الْكِتَابِ ص ٦٩ مَنْسُوبَةً إِلَى حَاتِمٍ ، أَيْ حَاتِمِ الْأَصَمِّ . (٤) فِي (ب) « الزَّاهِد » ؛ (٥) فِي (١) « خَالِد » ؛ وَهُوَ تَبْدِيلٌ مِنَ النَّاسِخِ . (٦) فِي (ب) « أَخْرَج » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا . (٧) فِي (١) « الْمَرْء » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

ذَهَبَ بآخر معه ، وأحسهم بَلَطَمَتَيْنِ مَنْ إِذَا قِيلَ لَهُ : اجْلِسْ هَاهُنَا قَالَ : بَلْ هَاهُنَا ؛ وَأَحَقُّ النَّاسِ ثَلَاثَ لَطَمَاتٍ مَنْ إِذَا قِيلَ لَهُ : كُلْ ، قَالَ : مَا بَالُ صَاحِبِ الْبَيْتِ لَا يَأْكُلُ مَعَنَا .

وقال إبراهيم بن الجُنَيْد^(١) : كَانَ يَقَالُ : أَرِيعَ لَا يَنْتَبِي لِشَرِيفٍ أَنْ يَأْنَفَ مِنْهُ وَإِنْ كَانَ أَمِيرًا : قِيَامُهُ مِنْ مَجْلِسِهِ لِأَبِيهِ ، وَخِدْمَتُهُ لِلْعَالِمِ يَقَعْلُمُ مِنْهُ ، وَالسُّوَالُ عَمَّا لَا يَعْلَمُ مِنْهُ هُوَ أَهْلُهُ مِنْهُ ، وَخِدْمَتُهُ الضَّيْفِ بِنَفْسِهِ إِكْرَامًا لَهُ .

وقال حاتم الأصم : كَانَ يَقَالُ الْمَجَلَّةُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا فِي خَمْسٍ ، فَإِنَّهَا مِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِطْعَامِ الضَّيْفِ إِذَا حَلَّ ، وَتَجْهِيْزِ الْمَيْتِ إِذَا مَاتَ ، وَتَزْوِيجِ الْبِكْرِ إِذَا أَدْرَكَتْ ، وَقَضَاءِ الدَّيْنِ إِذَا حَلَّ وَوَجَبَ ، وَالتَّوْبَةِ مِنَ الذَّنْبِ إِذَا وَقَعَ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَيْلَةُ الضَّيْفِ حَقٌّ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ، فَمَنْ أَصْبَحَ بِفَنَائِهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ إِنْ شَاءَ أَخَذَ ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ » .

وجاءت امرأة إلى الليث بن سعد وفي يدها قَدَحٌ ، فَسَأَلَتْ عَسَلًا وَقَالَتْ : زَوْجِي مَرِيضٌ ؛ فَأَمَرَ لَهَا بَرَاوِيذَ عَسَلٍ^(٢) ؛ فَقَالُوا : يَا أَبَا الْحَرِثِ : إِنَّمَا نَسْأَلُ قَدَحًا . قَالَ : سَأَلْتُ عَلَى قَدْرِهَا وَنُعْطِيهَا عَلَى قَدْرِنَا .

خَرَجَ ابْنُ الْمُبَارَكِ يَوْمًا إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : نَزَلَ بِنَا ضَيْفٌ الْيَوْمَ فَقَالَ : اتَّخَذُوا لِي فَالْوَدَجَا ؛ فَسَرْنَا ذَلِكَ مِنْهُ

(١) في (١) « ابن الحنبل » ، وهو تصحيف . وقد سبق كلامه هنا في الجزء الثاني من هذا الكتاب صفحة ٦٨ سطر ١١ .

(٢) هذه الكلمة في (١) لم يظهر منها إلا بعض حروفها وفي (ب) مطبوسة كلها .

وقال الحسنُ في الرجل يدخلُ بيتَ أخيه فيرى السَّلةَ فيها الفاكهةُ :
لا بأسَ أن يأكلَ مِنْ غيرِ أن يَسْتَأْذِنَهُ .

وقال ابنُ عمر : أَهْدَيْتَ لرجلٍ من أصحابِ النبي - صلى الله عليه وعلى آله -
شاةً فقال : أخى فلانٌ أخوجُ إليها ، وبِعتَ بها إليه ، فلم يَرْكُنْ^(١) يَبعثُ بها
واحدٌ بعدَ واحدٍ حتى تداولها تسعةُ أيَّامٍ ، ورجعتُ إلى الأول ، فنزلت
الآيةُ : (وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) .

قال أبو سعيد الخُدَريُّ : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « من كان له
ظَهْرٌ فَلْيَمْدُ على من لا ظَهْرَ له ؛ ومن كان له زادٌ فَلْيَعُدْ على من لا زادَ له ،
حتى رأينا أنه لا حقَّ لأحدٍ مِنَّا في الفضلِ^(٢) » .

وسئِلَ ابنُ عمرَ . ما حقُّ المُسلمِ على المُسلمِ ؟ قال : ألا يَشْبَعَ وَيَجُوعَ ،
وَألا يَلْبَسَ وَيَعْرَى ، وَأَن يُوَاسِيَهُ بِلَبِيسِهِ وَصَفَرَانِهِ .

وكان ابنُ أبي بَكْرَةَ يُنفِقُ على جيرانِهِ أربعينَ داراً سِوى سائرِ نَفَقَاتِهِ ،
وكان يَبْتِثُ إليهم بالأضاحيِّ والكسوة في الأعياد ، وكان يَمْتَقُ في كلِّ يومٍ
عيدٍ مائةَ مملوكٍ .

وكان حمادُ بنُ أبي سُلَيمانٍ يُفِطِرُ كلَّ ليلةٍ مِنْ شهرِ رمضانٍ خمسينَ إنساناً ،
وإذا كان يومَ الفِطْرِ كَسَّاهمُ ثَوْباً ثَوْباً وَأَعْطاهم مائةَ مائةٍ .

وقال الشاعر :

أَرَاكَ تَوَمَّلَ حُسْنَ الثَّنَاءِ ولم يَرْزُقِ اللهُ ذاكَ البَخِيلَا

(١) سياق السلام يفيد أن الثاني قال مثل ما قال الأول وبت بالشاة إلى أخ ثالث ،
وحذف ذلك العلم به .

(٢) يريد بالفضل هنا : ما فضل من المال وزاد .

وكيف يسود أخو بطنة^(١) يَمُنُّ كثيراً ويُعطى قليلاً

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « تجافوا عن ذنب السخى ، فإن الله يأخذُ بيده كلما عثر » .

وقال عليه السلام : « من أدّى الزكاة ، وقرى الضيف ، وآوى^(٢) في النائية ، فقد وقى شُع نفسه » .

وقالت أمّ البنين أختُ عمر بن عبد العزيز : أفه للبخل ، لو كان طريقاً ما سلكته ، ولو كان ثوباً ما لبسته ، ولو كان سراجاً ما أضاءت به .

وقال الأصمعي : قال بعضُ العرب : ليست الفتوةُ الفسقَ ولا الفجور ، ولا شربُ الخمر ، وإنما الفتوة طمأنينة موضوع ، وصنيع مصنوع ، ومكان مرفوع ، ولسان مغسول ، ونائل مبذول ، وعفاف معروف ، وأدى مكفوف .

وقال أبو حازم الدني : أسعدُ الناس بالخلق الحسنُ صاحبه ، نفسه منه في راحة ، ثم زوجته ، ثم ولده ، حتى إن فرسه ليصهل إذا سمع صوته ، وكلبه يشتريرُ بذنبه إذا رآه ، وقطه يدخل [تحت] مائدته ، وإن التبيء الخلق لأشقى الناس ، نفسه منه في بلاء ، ثم زوجته ، ثم ولده ، ثم خدمه ، وإنه ليَدْخُلُ وهم في سرور فيفترقون فرقا منه ، وإن دابته لنحيد عنه إذا رآه ، مما ترى منه ، وكلبه ينزو على الجدار ، وقطه يفر منه .

وكان على باب ابن كيسان مكتوب : ادخل وكن .

(١) هذه الكلمة مطموسة في (١) ولم يظهر منها في (ب) غير النون ؛ وما أمبتهاه هو المناسب للسياق .

(٢) في (١) وأدى ؛ وهو تحريف .

وكانت عائشة رضى الله عنها تقول فى بكائها [على النبى صلى الله عليه وسلم] :
بأبى مَنْ لَمْ يَنْمَ عَلَى الْوَتِيرِ ، وَلَمْ يَشْبَعِ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ وِعَاءً مِثْلُ شَرِّهِ مِنْ
بَطْنٍ ، فَإِنْ كَانَ لَا بَدَّ فَاجْعَلُوا ثُلُثًا لِلطَّعَامِ ، وَثُلُثًا لِلشَّرَابِ ، وَثُلُثًا لِلرَّيْحِ » .
قال الشاعر :

لِيسُوا يَبْكُلُونَ إِذَا أَصْبَحُوا شَبَعَى بِطَانًا حَقَّ مَنْ ضَيَّعُوا^(١)

وَلَا يَبْكُلُونَ بِمَوَلَانُمْ وَالْكَلْبُ فِي أُمُومِهِمْ يَرْتَعِ

وحكى لنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بجزجان [إمام الدنيا] قال : رأيتُ
أبا خليفة المفضل^(٢) بن الحباب ، وقد دُعِيَ إِلَى وَلِيْمَةٍ فَرَأَى الصُّحُفَ تَوْضَعُ
وَتُرْفَعُ ، فَقَالَ : أَلِلْحُسْنِ وَالْمَنْظَرِ دُعَيْنَا ، أَمْ لِلْأَكْلِ وَالْمَخْبَرِ ؟ فَقِيلَ : بَلِ
لِلْأَكْلِ وَالْمَخْبَرِ ، قَالَ : فَاتْرَكُوا الصُّحُفَةَ يُبْلَغْ قَعْرُهَا .

وكان سليمان بن ثَوَابَةِ ضَخَمَ الْخِيَوَانَ ، كَثِيرَ الطَّعَامِ ، وَافِرَ الرِّغِيفِ ،
وَكَانَ مُعْجَبًا بِإِجَادَةِ الْأَلْوَانِ ، وَأَتَّخَذَ الْبِدَائِعَ وَالطَّرَائِفَ وَالْغَرَائِبَ عَلَى مَائِدَتِهِ ؛
وَكَانَتْ لَهُ ضُرُوبٌ مِنَ الْخَلُوقِ لَا تُعْرَفُ إِلَّا بِهِ ، وَكَانَ خُبْرُهُ الَّذِى يُوضَعُ عَلَى
الْمَائِدَةِ الرِّغِيفُ مِنْ مَكُوكٍ^(٣) دَقِيقٍ ، وَلِذَلِكَ قَالَ أَبُو فَرَعُونَ الْمَدَوِّى :

مَا النَّاسُ إِلَّا نَبِطٌ وَخُوزَانٌ^(٤) كَكَهْمَسِ أَوْ عَمَرَ بْنِ عِمْرَانَ

(١) فى (١) « صنعوا » ؟ وهو تصحيف .

(٢) فى (١) المفضل بن الحبان ؟ وهو تحريف .

(٣) المكوك : من مكابيل العراق ، وهو صاع ونصف أو هو ثلاث كيلجات والكيلجة
منا وسبعة أثمان منا ، والمنا رطلان .

(٤) لعله يريد بالخوزان : أهل خوزستان ، وهم — فيما يقال — ألام الناس وأسقطهم
نفوساً .

صَاقَ^(١) جِرَابِي عَنْ رَغِيفِ سَلْمَانَ^(٢) أُمُّ حَمَارٍ فِي حَرٍّ أُمَّ قَعَطَانَ
وَأَبْرُ بَقْلٍ فِي أَسْتٍ أُمَّ عَدْنَانَ
(٣)

وَعَشِيقَ رَجُلٍ جَارِيَةٍ رُومِيَّةٍ كَانَتْ لِقَوْمِ ذَوِي يَسَارٍ ، فَكَتَبَ إِلَيْهَا
يَوْمًا : جُمِلْتُ فِدَاكَ ، عِنْدِي الْيَوْمَ أَصْحَابِي ، وَقَدْ أَشْتَهَيْتُ سَكْبَاجَةً^(٤) بَقْرِيَّةً
فَأَحِبُّ أَنْ تُوَجَّهِيَ إِلَيْنَا بِمَا يَكْفِينَا مِنْهَا ، وَدَسْتَجَةً^(٥) مِنْ نَبِيذٍ لِنَتَغَدَّى
وَنَشْرَبَ عَلَى ذِكْرِكَ ، فَلَمَّا وَصَلَتِ الرُّقْعَةُ وَجَّهْتِ إِلَيْهِ بِمَا طَلَّبَ ؛ ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهَا
يَوْمًا آخَرَ : فَدَنَّاكَ نَفْسِي ، لِإِخْوَانِي مَجْتَمِعُونَ عِنْدِي ، وَقَدْ أَشْتَهَيْتُ قَلِيلَةً جَزْوَورِيَّةً
فَوَجَّهِي بِهَا إِلَيَّ وَمَا يَكْفِينَا مِنَ النَّبِيذِ وَالنَّقْلِ ، لِيَعْرِفُوا مَنَزَلَتِي عِنْدَكَ ، فَوَجَّهْتِ
إِلَيْهِ بِكُلِّ مَا سَأَلَ ؛ ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهَا يَوْمًا آخَرَ : جُمِلْتُ فِدَاكَ ، قَدْ أَشْتَهَيْتُ أَنَا
وَأَصْحَابِي رَهْوسًا سَمَانًا ، فَأَحِبُّ أَنْ تُوَجَّهِيَ إِلَيْنَا بِمَا يَكْفِينَا ، وَمِنْ النَّبِيذِ
بِمَا يُرْوِينَا ؛ فَكَتَبْتَ الْجَارِيَةُ عِنْدَ ذَلِكَ : إِنِّي رَأَيْتُ الْحُبَّ يَكُونُ فِي الْقَلْبِ ،
وَحُبُّكَ هَذَا مَا تَجَاوَزَ الْمِلَّةَ . وَكَتَبْتَ : أَسْفَلَ الرُّقْعَةَ :

عَذِيرِي مِنْ حَبِيبٍ^(٦) جَا عَنَا فِي زَمَنِ الشَّدَّةِ

(١) فِي (١) صَارَ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) سَلْمَانٌ ، أَيْ سَلْيَانٌ ؛ وَهِيَ لُقَّةٌ فِيهِ .

(٣) وَرَدَ مَوْضِعُ هَذِهِ النُّقْطِ فِي (١) وَحَدَّثَنَا كَلَامُ هَذَا نَصَبِهِ : أَنْزَلَ بِقَوْمِ قَهْرَةَ صِهَامٍ
وَلَمْ يَأْتُوهُ بِهِ وَلَكِنْ دَلَّوْهُ عَلَى مَوْضِعِهِ ، وَقَالُوا لَهُ : أَذْهَبَ مَا مِنْهُ وَكَأَنَّهُ يَذِمُّ أُمَّ مَبُوءًا :

إِذَا دَعَيْتَ بِمَا فِي الْبَيْتِ قَالَتْ نَحْنُ مِنَ الْمَجْدَالِ وَمَا حَيْثُ

وَلَا يَنْفِي مَا فِي هَذَا كَلَامُهُ مِنَ التَّحْرِيفِ الْكَثِيرِ وَقَدْ بَحَثْنَا عَنْهُ فِي مَخْتَلَفِ الْمَصَادِرِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا
فَلَمْ نَجِدْهُ . (٤) السَّكْبَاجَةُ : مَرْقٌ يُصْنَعُ مِنَ اللَّحْمِ وَالْحَلَلِ .

(٥) وَرَدَتْ هَذِهِ السَّكْمَةُ فِي (١) مَهْمَلَةً الْمُرُوفُ مِنَ النُّقْطِ ، وَفِي (ب) « دَسَجَةٌ » ؛
وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَا . وَالدَّسْتَجَةُ : لَأَنَاءٌ كَبِيرٌ مِنْ زُبَايَاجِ فَارْسِيَّتِهِ دَسْتُهُ .

(٦) فِي (١) « حَيْثُ » ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ .

وكان الحُبُّ في القلبِ فصارَ الحُبُّ في المَعْدَةِ
وقال جرير: ^(١)

ولا يَذْبَحُونَ الشاةَ إِلَّا بِمَيْسِرٍ ^(٢) كَثِيرٍ تَفَاجِيها لِثَامٌ قُدُورُها

وقالت عادية ^(٣) بنتُ فَرْعَةَ الزَّيْيرَةِ في ابْنِها دَوْسُ :

تَشْبُهُ ^(٤) دَوْسُ نَفْراً كَرَامَا

كَانُوا الذُّرَى وَالْأَنْفَ وَالسَّنَامَا

كَانُوا لِمَنْ خَالَطَهُمْ إِذَا مَا

كَالَسْتُمْ لَنَا سَفَبَلِ الطَّعَامَا

يقال سَفَبَلُ رَأْسِهِ [بِالذُّهْنِ] وَسَفَسَفَهُ ^(٥) وَرَوَّاهُ وَأَمْرُهُ ^(٦) .

قال الواقدي : قيل لِأُمِّ أَبِي بَرْ : أَيُّ الطَّعَامِ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَقَدْ عَرَفْتُمْ ذَلِكَ بِمَقَامِهِ عِنْدَكُمْ ؟ فَقَالَتْ : مَا رَأَيْتُهُ أَمَرَ بِطَعَامٍ

(١) البيت لسان بن ذهل يهجو جريراً وقبلة :

لعمري لئن كانت بجيلة زانها جرير لقد أخزى كليباً جريرها
إذا نزع يوماً كليب وسومت تقاعس في ظهر الأثات مقيرها
رأيت كليباً يعرف القوم ريحها إذا اسود بين الأملحين جعورها
ولا يذبحون الشاة الخ ...

انظر الجزء الأول من ديوان جرير ص ١٣٤ طبع المطبعة العلمية .

(٢) في (١) « بمئزر » ؛ وفي (ب) « بمنسر » بالنون وهو تحريف في كلتا النسختين
والتصويب عن ديوان جرير ج ١ ص ١٣٤ طبع المطبعة العلمية . يريد أن ذبح الشاة عندهم أمر
ذو بال لا يفعلونه إلا بواسطة قدام الميسر التي يشترك فيها الجميع وتفرق بينهم كل نصيبه كما
يذبح الجزور في زمن الجذب والقطط .

(٣) كذا ورد هذا الاسم في كلتا النسختين .

(٤) في (١) « أسنه » ؛ وهو تصحيف .

(٥) في (ب) « وسعسه » بمهملتين ؛ والمعنى واحد .

(٦) كذا في (ب) وكتب اللفظ والذي في (١) « وأمرغه » بالثين المسجعة .

يُصَنِّعُ لَهُ بِعَيْنَيْهِ ، وَلَا رَأْيَانَهُ أَتَى بِطَعَامٍ فَمَا بِهِ قَطَّ . وقد أخبرني أبو أيوب أنه تَعَشَّى عِنْدَهُ لَيْلَةً مِنْ قِصَّةِ أَرْسَلَ بِهَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ [فِيهَا] طَفَيْشَلٌ ^(١) فَرَأَيْتُهُ يَنْهَكَ تِلْكَ الْقِصَّةَ ^(٢) مَا لَمْ يَنْهَكَ غَيْرَهَا ، فَرَجَعَ إِلَى فَأَخْبَرَنِي ، فَكُنَّا نَعْمَلُهَا لَهُ . وَكُنَّا نَعْمَلُ لَهُ الْمَرِيضَةَ ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ ، وَكَانَ يَحْضُرُ عَشَاءَهُ ^(٣) مِنْ خَمْسَةِ إِلَى سِتَّةٍ إِلَى عَشْرَةٍ كَمَا يَكُونُ الطَّعَامُ فِي الْقَلَّةِ وَالْكَثْرَةِ .

وَكَانَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ يَفْعَلُ لَهُ هَرِيصَةً لَيْلَةً وَلَيْلَةً لَا ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُ عَنْهَا ؛ أَجَاءَتْ قِصَّةُ أَسْعَدَ أَمْ لَا ؟ فَيَقَالُ نَعَمْ ، فَيَقُولُ : هَلُمُّوْهَا ؛ فَنَعْرِفُ بِذَلِكَ أَنَّهَا تُعْجِبُهُ

قَدِمَ صُهَيْبٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقُبَاءٍ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَغَمْرٌ ، بَيْنَ أَيْدِيهِمْ رُطْبٌ قَدْ جَاءَهُمْ بِهِ كُنُثُومُ بْنُ الْهَذَمِ ^(٤) أَمْتَاتُ جَرَّادِينَ ^(٥) وَصُهَيْبٌ قَدْ رَمَدَ فِي الطَّرِيقِ ، وَأَصَابَتْهُ سَجَاعَةٌ شَدِيدَةٌ ، فَوَقَعَ فِي الرُّطْبِ ؛ قَالَ صُهَيْبٌ : لَجَعَلْتُ أَكُلُ ، فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَا تَرَى إِلَى صُهَيْبٍ يَا كُلُّ الرُّطْبِ وَهُوَ رَمَدٌ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَتَأْكُلُ الرُّطْبَ وَأَنْتَ رَمَدٌ ؟ » فَقَالَ صُهَيْبٌ : أَنَا أَكُلُ بِشَقِّ عَيْنِي الصَّحِيحَةَ ، فَتَبَسَّمَ [رَسُولُ اللَّهِ] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) الطفيشل : نوع من الرق .

(٢) في (١) القدر ؛ وهو تبديل من الناسخ .

(٣) في (ب) « عنده » .

(٤) في (١) « ابن مبروم » ؛ وفي (ب) ابن الحرم ؛ وهو تحريف في كلتا النسختين

والتصويب عن كتب اللغة ومعجمات الأعلام التي بين أيدينا .

(٥) في (١) حرافين ؛ وفي (ب) حراذين ؛ وهو تحريف في كلتا النسختين ؛ والتصويب

عن كتب اللغة وكتب الحديث ، وأم جرزان : نوع من الرطب كبار ، وسمى بذلك لأن نخله يجتمع تحته الجرزان للحلاوة ثمرة . وأم جرزان آخر نخلة بالمجاز إدراكا ، وهي أم جرزان رطباً ، فإذا جفت فهي السكيس .

وقال الأغشى :

لو أطمعوا المَنَّ والسَّلوَى مكانَهُمْ ما أبصرَ الناسُ طُعْمًا فيهِمْ نَجْمًا

وقال الكُمَيْت :

وما استنزَلْتُ في غيرِنا قِدرُ جارِنا ولا تُفَيِّتُ إلَّا بنا حينَ تُنصَبُ
يقول إذا جاورنا جارًا لم نُكَلِّفه أن يطبخَ مِن عنده ، ويكون ما يطبخه
مِن عندنا عما نعطيه من اللحم لينصَبَ^(١) قِدره . ويقال للحِيسِ^(٢) سَوِيطة^(٣) .
وقال : الرَغِيْفَةُ^(٤) لبن يطبخ . وقال : هي العصيدة ، ثم الحريرة^(٥) ثم
النَّجيرة^(٦) ، ثم الحَسُو^(٧) . واللَّوْقَةُ : الرُّطْبُ بالسَّمنِ^(٨) ، والسَّليقة : الدَّرَّةُ
تُدقُّ وتُصَلِّح باللبن ، والرَّصِيعة^(٩) : البُرُّ يَدُقُّ بالفِهْرِ وَيُبَلُّ ويطبخُ بشيء من
السَّمن ، والوجيئة : التمر يُوجَأ ثم يُؤكل باللبن .

وقال أعرابي : ليس من الألبان أخلى من لبن الخَلْفَةِ^(١٠) .

(١) في (ب) « ينضب » ؛ وهو تحريف .

(٢) الحيس تمر يخلط بسمن وأقط فيسجن شديداً ثم يخرج منه نواه .

(٣) السويطة : من السوط وهو الخنط ؛ وفي (أ) « الصريطة » ؛ وهو تحريف .

(٤) في اللسان أن « الرغبة » : حسو من الزبد ؛ وقيل : لبن يفل ويذر عليه دقيق .

(٥) في اللسان أن « الحريرة » دقيق يطبخ بلبن أو دسم

(٦) في اللسان : أن النجيرة لبن وطحين يخلطان ؛ وقيل : هي لبن حليب عليه سمن .

وقيل : هي ماء وطحين يطبخ . والنجيرة : بين الحسو وبين العصيدة . والذي في كلتا النسختين
« النجيرة » ؛ وهو تصعيف .

(٧) الحسو : طعام يعمل من الدقيق والماء .

(٨) وقيل : إن اللوقة الزبدة .

(٩) وردت هذه الكلمة في كلتا النسختين مضطربة الحروف في رسمها . وقد قلبناها
على عدة وجوه ، وهذا الذي أثبتناه هو ما وجدناه في كتب اللغة بالمعنى الذي ذكره
للؤلف هنا .

(١٠) الخلفة : الخاض من النياق .

وَالنَّخِيسَةُ وَالْمَطِيبَةُ يُخْلَطُ لَبَنُ إِبِلٍ بِلَبَنٍ غَنَمٍ^(١) .

وقال أعرابي : الحمد لله الذي أغنانا باللبن عما سواه . ويقال أكل خبزاً قفاراً وعفراً وعفيراً : لا شيء معه^(٢) وعليه القفار والدمار وسوء الدار^(٣) ؛ وأكل خبزاً جببياً^(٤) أى قطيراً^(٥) يابساً . وجاء بتمر فض^(٦) وفصاً وفذ^(٧) وحث^(٨) : لا يلزق بفضه بعض .

قال أبو الحسن الطوسي : أخبرني هشام قال : دخل على فرج الرُّخَّجِي وقد تغذبت وانتكأت ، فقال : يا أبا عبدالله : إنما تُخَسِّنُ الأكل والانتكاء . [قال] : فتركت [الأكل] عنده أياماً ، وبلغه ذلك ، فبعث إلى : إن كنت لا تأكل طعاماً فليس لنا فيك حاجة . قال : « فأكلت »^(٩) شيئاً ثم أتيتُهُ فلم يفتقد مما كان .

(١) في كتب اللغة أن « النخيسة » و « المطيبة » لبن الماعز يخلط بلبن الضأن ، لا لبن إبل كما هنا .

(٢) عبارة الثوريين « لا آدم معه » .

(٣) في (١) « وشواء النار » .

(٤) وردت هذه الكلمة في كلتا النسختين مصحفة الحروف يحتاج لإصلاحها إلى بحث في كتب اللغة . وهذا الذى أثبتناه هو ما وجدناه في تلك الكتب بالملحق المذكور هنا ، وهو الجزء اليابس .

(٥) « القطير » هو الذى أجعل قبل أن يجتم .

(٦) كذا في كتب اللغة ، وقد وردت هاتان الكلمتان في كلتا النسختين مصحفتي الحروف يحتاج إصلاحهما إلى نقلهما على عدة وجوه .

(٧) في كلتا النسختين ، « وقد وحاء حب » ؛ وهو تصحيف في كلتا الكلمتين ، وما أثبتناه من كتب اللغة .

(٨) وردت هذه العبارة التى بين هاتين العلامتين في كلتا النسختين مضطربة الحروف ، تتمذر قراءتها ، والسياق يقتضى إثباتها على هذا الوجه .

قال أبو الحسن : أخبرني القراء قال : العرب تسمى السكباجة^(١) الصنفصة . وأنشد :

أبو مالكٍ يَمْتَدُّنا في الظَّهَائِرِ يَجْؤُ فَيَلْقَى رَحْلَهُ عِنْدَ عَامِرٍ^(٢)
أبو مالك : الجوع ، هكذا تقول العرب ويَجِيءُ^(٣) ويَجْؤُ لغتان .
وقال الآخر :

رَأَيْتُ الْفَوَانِي إِذْ نَزَلْتَ جَفَوْنِي أبا مالكٍ إِنِّي أَظُنُّكَ دَائِباً^(٤)
أبو مالك ها هنا الشيب .

قال أبو الحسن : أخبرني الثوري^(٥) عن أبي عبيدة في الحديث الذي
يُروى عن عمر بن الخطاب أنه رأى في رؤثٍ فرسه حَبَّةَ شَعِيرٍ ، فقال :
لأَجْعَلَنَّ^(٦) لك في غَرَزِ^(٧) النَّقِيعِ ما يَشْفُوكُ عن شَعِيرِ الْمُسْلِمِينَ . قال : والنقيع :
موضع بالمدينة أُنْحَاهُ عمر [بن الخطاب] لخليل المسلمين ، خلاف النقيع بالباء .
قال الطوسي : العرب تقول : « أَيْدِي الرِّجَالِ أَعْنَاقُهُما » أي من كان
أطولَ يداً على المائدة تناول فأكل ، الهاء تَرْجِعُ على الإبل ، أي أيدي الرجال
أَعْنَقِ الإبل ، أي من طال نال .

قال الأصمعي : سألت بعض الأَكَلَّةِ فيمن كان يُقَدِّمُ على مُيسِرٍ

(١) السكباجة : مرق يعمل من اللحم والخل .

(٢) عامر : من أسماء الخبز ، ويسمى أيضاً جابراً وعامراً . والذي في الأصل : بجو . مكان
« بجو » ويجو في التفسير بعد ؟ وهو تحريف ، والتصويب عن اللسان . وفي
كتاب ما يقول عليه « يلم فيلق » . وجابر مكان « عامر » .

(٣) في كلتا النسختين « دانيا » ؟ وهو تصحيف . والتصويب عن اللسان وما يقول
عليه وروايته في كلا الكتابين : أبا مالك إن الفواني هجرني أبا مالك الخ

(٤) في (ب) التوزي ؟ والثوري ؟ كلاهما معروف .

(٥) في (١) لأجعلنك . (٦) الفرز بالتحريك : نبات يقبه الثمام ينبت على

شواطئ الأنهار ، وفي كلتا النسختين عزيز ؟ وهو تصحيف .

الناس كيف تصنع إذا جهدتك الكفة — والعرب تقول : « إذا كنت بطناً فعدك زمناً » — قال : أخذ يوماً حاراً وأعصره وأشرب ماءه ، فاختلف^(١) عنه مراراً ، فلا ألبت أن يلحق بطنى [يظهرى] فاشتوى الطعام .

قال ابن الأعرابي : قال السكلابي : هو يندف الطعام إذا أكله بيده ، ويلقم الحسو ، والقم بالشفة ، والذف : الأكل باليد . وقال الزبيرى : يندف^(٢) .

وأشد ابن الأعرابي :

ويظلل ضيف بني عبادة فيهم متضمراً ويطوهم كتم
أى متملئة . والتضمير : الهزال والنحانة ، كالنخل المصمر ، أى الذى قد
ذوت^(٣) جذوعه . قال الشنوبذى فى قول الله تعالى^(٤) : (قل هل ننبئكم
بالأخسرين أعمالاً [الذين ضلّ سعيهم فى الحياة الدنيا]) . قال : الذين يتردّون
وياً كل غيرهم . قال أبو الحسن : كانت لى أبة تجلس معى على المائدة فتبرز
كفاً كأنها طلمة ، فى ذرايع كأنها ججارة ، فلا تقع عينها على أكلة نفيسة
إلا خصتني بها ، فزوّجتها ، وصار يجلس معى على المائدة ابن لى ، فيبرز لى
كفاً كأنها كرفانة^(٥) ، فى ذرايع كأنها كربة^(٦) ، فوالله إن^(٧) تسبق

(١) يقال : اختلف إلى الحلاء ، إذا أصابه إسهال فتردد إليه .

(٢) يظهر أن فى هذه العبارة قصا وقع من الناسخ .

(٣) فى (أ) « وقت » بالواو ؛ وهو تحريف ، ولعل صوابه « رقت » بالراء مع تشديد
الفاف . وفى (ب) « ذرت » بالدال المهملة والراء ؛ وهو تحريف أيضاً ، ولعل صوابه ما أثبتنا ،
كما يقتضيه سياق الكلام . (٤) فى (ب) فى قوله عز وجل .

(٥) السكرانة : أصول السكرب التى تقى فى جذع النخلة بعد قطع السف .

(٦) الكربة بالتحريك : أصول السفى اللاظ العراض التى تقطع منها .

(٧) إن تسبق ، أى ما تسبق ؛ فإن هنا نافية .

عني إلى لقمة طيبة إلا سبقت يده إليها .

وقال أعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم : إني نذرتُ إذا بَلَغْتَنِي نَأَقِي أَنْ
أَنْحَرَهَا وَأَكُلَ مِنْ كَبِدِهَا . قال : « بئسما جَارِيَتَهَا » .

أَضَلَّ أعرابيٌ بَعِيرًا لَهُ ، فطَلَبَهُ ، فرَأَى على باب الأمير بُحْتِيًّا ، فأخذه وقال :
هذا بَعِيرِي ، فقال : إنك أضللتَ بَعِيرًا وهذا بُحْتِي . فقال : لَمَّا أَكَلَّ عَلَفَ
الأمير تَبَخَّخَتْ . فضحك منه وتركه [يعيدُ قوله ويُعْجِبُهُ] .

السِّكْدَنَةُ : غِلْظُ اللَّحْمِ وتَرَاكُمُهُ ، ومنه قول هشامٍ لسالمٍ — وقد رآه
فأعجبهُ جسمهُ — : ما رأيتُ ذَا كِدَنَةٍ أَحْسَنَ مِنْكَ ، فاطعمأك ؟ قال : الخُبْزُ
وَالزَّيْتُ . قال : أما تَأْجِهْ ^(١) ؟ قال : إذا أَجِئْتُهُ تركته حتى أَشْتَهِيَهُ ، ثم خرج
وقد أصاب في جسمه بَرَصًا . فقال لِقَعْنِي ^(٢) الأَحْوَلُ بعينه ، فخرجَ هِشَامُ من
المدينة حتى صلى عليه .

وقال عبد الأعلى القاص ^(٣) : الفقير مَرَقَتْهُ سِلْقَةٌ ، وغِداؤُهُ ^(٤) عُلْقَةٌ ^(٥) ،
وخبْزَتُهُ فِلْقَةٌ ^(٥) ، وَتَمَكَّنَتْهُ شِلْقَةٌ ، أى كثيرة الشَوْلِكِ ^(٦) .

قال رجاء بن سلمة : الأكلُ في الشوقِ حَمَاقَةٌ .

قيل لذؤيب بن عمرو : إنك مُفْلِسٌ لَا تَقْدِرُ عَلَى قُرْصٍ وَلَا جُمُجٍ ^(٧)

(١) أجم الطعام : مله .

(٢) لقعه بعينه ، أى أصابه بها .

(٣) فى ب « القاضى » بالضاد الميمية ؛ وفى (ا) العاس بالعين المهملة .

(٤) فى (ا) « ورداؤه » ، وفى ب « وعداؤه » وهو تصحيف .

(٥) الحلقة : ما يتبلغ به من الطعام . والفلقة : القطعة ، كالفلذة .

(٦) فى كتب اللغة أن الشلقة شئ على خلفة السك صغير له رجلان عند ذنبه كهيشة

الضفدع ، ويكون فى أنهار البصرة ، ولعله المعروف عندنا بأبى جلتيو .

(٧) الجمع بضم الجيم وسكون الميم : ما يملأ جمع الكف ، أى قبضته من الطعام ونحوه .

وقال مهلهل :

إنا لنضربُ بالسيوفِ رؤوسَهُمُ ضربَ القُدَّارِ نَقِيعَةَ القُدَّامِ
القُدَّارُ : الجزار والقُدَّارُ : الملكُ أيضاً . والقُدَّامُ : رؤساء الجيوش ، والواحد قادم .

وقال معن^(١) بن أوس يصف هدير قذِر :

إذا تَطَلَّمتَ^(٢) أمواجها فكأنها عوائدُ دُهمٍ في المَحَلَّةِ قُيْلُ
إذا ما أمتحاما الرُّمْلونَ^(٣) رأيتها لَوْشَكٍ قَرَّاهَا وهي بالجزلِ تُشَمَلُ
سمعتُ لها لَفْطاً^(٤) إذا ما تَغَطَّطَتْ كَهَذَرِ الجِمالِ رُزْماً حينَ تَجَفَّلُ

وقال آخر :

إذا كان فَضْدُ العِرْقِ والعِرْقُ ناضِبٌ وكَشَطُ سَنَامِ الحَيِّ عَيْشاً^(٥) وَمَقْماً

(١) كذا في (ب) ، والذي في (أ) « بكر » . وقد ورد هذا الشعر في ديوان معن بن أوس الطبوع في ليزج سنة ١٩٠٣ من قصيدة يمدح بها سعيد بن العاص ؛ وأولها :

إليك سعيد الحسير جابت مطبق فروج القياي وهي عوجاء مهبل

(٢) يريد بالتظام الأمواج هنا اضطراب ما في القدر عند غليانها . ويريد بقوله « عوائد دهم » خيلاً سوداً حديثاً التناج . شبه القدور بنك الحبل التي معها أولادها . وقيل : من القائلة . ويروى « عواتب » مكان قوله « عوائد » ، وهي التي تعنى على ثلاث قوائم وعقرت رابعتها . شبه القدر بها ، لأنها توضع على أثنائي ثلاث .

(٣) الرملون : الذين فقدت أزوادهم . والجزل : الحطب الفليظ . والذي في كلتا النسختين : « إذا ما استطاعها الموتدون » ؛ وهو تحريف .

(٤) اللفظ (يفتح أوله وتسكين ثانيه) : اللفظ بفتحهما معا ، وهو نقيش القدر . وفي كلتا النسختين : « لفظاً » ؛ وهو تحريف . والتصويب والتفسير عن ديوان معن بن أوس الطبوع في ليزج . وتطلمت ، أي صوتت في غليانها . والرزم من الإبل : التي تخرج أصواتها من حلقها لا تفتح بها أفواهها ، كما ورد ذلك في التفسير المكتوب على هذا البيت في شعر معن بن أوس . وفي كلتا النسختين : « تحفل » بالهاء المهملة مكان « تحفل » بالجيم ؛ وهو تصحيف .

(٥) في رواية : « زادا ومطما » . وكانت العرب في الجذب تشق أسنة الإبل وهي حية وتأخذ ما فيها من الشعير وتأكله .

ولا حَفَّالَةً^(١)، وَبَيْتِكَ عَامِرٌ^(٢) بالفار .

قال علي بن عيسى : الطلاق الثلاث البتة إن كان يَمْنَعُهُمْ^(٣) مِنَ التَّحَوُّلِ عنه إلا أنهم يسرقون أطعمة الناس يأكلونها في بيته لِأَمْنِهِمْ فِيهِ ، لأنه لا مَرَّةً هناك ولا أحد يأخذ شيئاً ولا يؤذون ، وإن لم لَمِسْتَقَاةً مملوءة ماء كلما جفَّتْ سَكِبَ لَمْ فِيهَا ماء .

جَمَلَ الْخَبَرِ عَنِ الْفَارِ عَلَى التَّلَحُّحِ ، كَالْخَبَرِ عَنْ قَوْمٍ عُقْلَاءَ .
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَكْرِمُوا الْخُبْزَ فَإِنَّ اللَّهَ أَكْرَمَهُ وَسَخَّرَ لَهُ بَرَكَاتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » .
وقال آخر :

كَأَنَّ صَوْتَ سَحْبِيَّ^(٤) الْمُتَنَاحِ سَعَالُ شَيْخٍ مِنْ بَنِي الْجَلَّاحِ
يقول من بعد السَّعَالِ أَحـ

قال الأصمعي : الرَّجِيمُ : الشَّوَاءُ يُسَخَّنُ ثَانِيَةً . وَالنَّقِيمَةُ مَا يُحْرَزُهُ رَئِيسُ الْقَوْمِ مِنَ الْغَنِيمَةِ قَبْلَ أَنْ تُقَسَمَ وَالْجَمْعُ نَقَائِعُ . وقال : أنشدني عيسى بن عمر لمعاوية بن صعصعة :

مِثْلُ الذَّرَى لُحِبْتُ عَرَائِكُهَا^(٥) لَحَبَ الشَّفَارِ^(٦) نَقَائِعَ النَّهْبِ

(١) الحفالة : الحنالة ، أو عكر الدهن ؛ أو مارق من رغبة الابن ؛ كل من هذه للمعاني الثلاثة تصح إرادته هنا . وفي (١) « ولا سقالة » ؛ وهو تحريف .
(٢) سيأتي ما يفيد تعليل كون بيته عامراً بالفار مع خلوه من الطعام .
(٣) يمنهم ، الضمير يعود على الفترة .

(٤) سحبيها ، أي سحب البكرة التي يستقي بها من البئر . وفي (ب) « شحنيها » ، وهو تصحيف . « والمتناح » من امتناح الماء إذا أخرجه من البئر .
(٥) لحبت مرائكها ، أي أهزلت أسنمتها ، جمع مريكة .

(٦) لحب الشفار الخ : اللحب في هذا الشعر بمعنى القطع ، أي كما قطع الشفار ، أي « السكاكين » — لحم النياق العظيمة ، أو لحمه الشفار بالسين المهملة مكان السين ، أي كما يهزل السفر تلك النياق بمشقة فيذهب بما فيها من لحم وشحم .

وكان عتيق^(١) القِدَّ خيرَ شِوانهم وصارَ غَبُوقُ الخُودِ ماءً مُحَمَّماً
عَقَرْتُ لهم دُهْمًا مَقَاحِيْدَ^(٢) جِلَّةَ وعادت بقايا البركِ نَهْبًا مُقَسَّماً
قال^(٣) : وإذا كان القَحْطُ فصدوا الإبل وعالجوا ذلك الدَّم بشيء من
العلاج لما كما يصنع الترك ، فإنها تجعله في المُضْران ، ثم تشويه أو تطبخه ،
فيؤكل كما تؤكل السَّقَانِقُ^(٤) وما أشبه ذلك .

وأما قوله : « والعِرْقُ نَاضِبٌ » فإنما يعنى قَلَّةُ الدَّم لِمزال البعير ، وكذلك
جميع الحيوان ، وأكثَر ما يكون دماً إذا كان بين اللَّهْزُول والسَّمين .
وقالت أُم هِشَام السَّلُولِيَّة : ما ذَكَرَ النَّاسُ مذكوراً خيراً من الإبل
وأَجْدَى^(٥) على أَحَدٍ بخير ؛ هكذا روى .

وقال الأندلسي : إِنْ حَمَلَتْ أَتَقَلَّتْ ، وَإِنْ يَمَشَتْ أَبْعَدَتْ ، وَإِنْ حَلَبَتْ
أَزَوَتْ ، وَإِنْ نُحِرَتْ أَشْبَعَتْ .

قال أبو الحسن الهيثمي ، عن عبد العزيز بن يسار قال : قدمتُ بِأُجْمَيْرِ^(٦)
مُخَمْسَ سَفَائِفَ^(٧) دقيق ، وذلك في زمن مصعب وهو مُعَسِّكٌ بها فَلَقِيَنِي

(١) عتيق القد ، أى القديم من الجلد ، وكانت العرب تشويه وتأكله إذا أجذبت .
وبغير بالشطر الثاني إلى قلة اللبن حتى إن الخود (وهن الشواب الحسان الناضجات) لا يجدن
اللبن يشتقن به أى يشربنه في المساء ، فهن يعبرن الماء الحارَّ المسخن . يقال : حَمَّ الماء إذا
سخنه . وفي الأصل « الجود » بالجيم مكان « الخود » بالخاء ؛ وهو تصعيف .

(٢) المفاحيد من النياق : العظيمة الأستمة . والجلَّة : العظيمة منها . والبرك : الإبل الباركة .
(٣) قال ، أى من روى عنه المؤلف ؛ وأمله الأصمى ؛ إذ هو أقرب مذكور .
(٤) لم نجد هذا النوع من الطعام فيما راجعناه من الكتب . (هـ) في (أ) التي ورد
فيها هذا الكلام وحدها دون (ب) : وإجاءه ؛ وهو تحريف ؛ ولعلَّ سواه ما أثبتنا .

(٦) بِأُجْمَيْرِ : موضع دون تكريت من أرض الموصل كان يمسك فيه مصعب
ابن الزبير . والقي في (١) الوارد فيها هذه القصة وحدها دون (ب) بأحز وهو تحريف
سواه ما أثبتنا نقلاً عن كتب التاريخ ومعجم البلدان لياقوت . (٧) السفائف : جمع
سفيقة ؛ وهي النسيجة من الخوص نحو الزنبيل . وفي الأصل « سقائن » ؛ وهو تصعيف .

عِكْرَمَةُ بْنُ رَبِيعٍ الشَّيْبَانِيُّ قَالَ : بَكِمُ أَخَذْتَهَا ؟ قُلْتُ بِتَسْمِينَ أَلْفَا . قَالَ : فَإِنِّي أُعْطِيكَ مِائَةَ وَخَمْسِينَ أَلْفًا عَلَى أَنْ تُؤَخِّرَنِي . فَدَفَعْتُهُنَّ إِلَيْهِ ، وَمَا فِي الْمُسْكَرِ يَوْمُئِذٍ دَقِيقٌ . قَالَ : لَجَاءَ بَنُو تَيْمٍ اللَّهَ فَأَخَذُوا ذَلِكَ الدَّقِيقَ ، فَجَلَّ كُلُّ قَوْمٍ يَتَجَبَّنُونَ عَلَى حِيَالِهِمْ ، ثُمَّ جَاءُوا إِلَى رَهْوَةٍ ^(١) مِنَ الْأَرْضِ فَخَفَرُوهَا ، ثُمَّ جَعَلُوا فِيهَا الْحَشِيشَ ، ثُمَّ طَرَحُوا ذَلِكَ الْمَجِينِ فِيهَا ، ثُمَّ أَقْبَلُوا فَأَخَذُوا فَرَسًا وَدِيقًا ^(٢) . . . ^(٣) فَخَلَوْا عَنْهُ ، ثُمَّ أَقْبَلُوا وَهُوَ ^(٤) يَنْتَبِهِمْ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الْحَفِيرَةِ ، فَدَفَعُوا الْفَرَسَ الْوَدِيقَ فِيهَا ، وَتَبِعَهُمَا الْفَرَسُ ، وَتَنَادَى الْفَرِيقَانِ : إِنْ فَرَسَ حَوْشِبٍ وَقَعَ فِي حَفِيرَةِ عِكْرَمَةَ فَمَا أَخْرَجُوهُ إِلَّا بِالْقَمَدِ . قَالَ : فَغَلَبَهُ عِكْرَمَةُ .

قال شاعر :

لَا أَشْتُمُ الضَّئِيفَ إِلَّا أَنْ أَقُولَ لَهُ : أَبَاتُكَ ^(٥) اللَّهُ فِي آيَاتِ عَمَّارٍ
أَبَاتُكَ ^(٥) اللَّهُ فِي آيَاتِ مُعْتَمِرٍ ^(٦) عَنْ الْمَكَارِمِ لَا عَفْوَ وَلَا قَارِي
جَلَدِ النَّدَى زَاهِدٍ فِي كُلِّ مَكْرُمَةٍ ^(٧) كَأَنَّمَا ^(٨) ضَئِيفُهُ فِي مَلَّةِ النَّارِ

(١) الرهوة : المكان المنخفض من الأرض .

(٢) الوديق : من الوداق بكسر الواو ، وهو شهوة الفحل .

(٣) يظهر لنا أن موضع هذه النقطة كلام ساقط من الأصل يفيد أنهم أقبلوا إلى فرس آخر ذكر لرجل منهم يسمى حوشبا ، فخلوا عنه الخ ما هنا ، وذلك أخذنا من قوله فيما يأتي بعد : فدفعوا الفرس الوديق فيها وتبعها الفرس الخ القصة .

(٤) وهو ، أى فرس آخر ذكر ، ولم يذكر في الكلام ؛ فدلل فيه تقصا كما نبهنا على ذلك في الحاشية التي قبل هذه .

(٥) في (١) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها دون (ب) : « أباتك » في كلا الموضعين وسياق الشعر يقتضى ما أثبتنا نقلا عن كتب اللغة .

(٦) في (١) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها : « معتمر » ، ولم نتبين له معنى يناسب السياق . والصواب ما أثبتنا . والمعتز : المتجسنى بعيداً .

(٧) في (١) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها : « كأنهم ضيفه » ؛ وهو تحريف . وسياق الشعر يقتضى ما أثبتنا . وملة النار : موضعها .

وقال آخر :

وهو إذا قيل له : وَبِهَا كُلُّ فَإِنَّهُ مُوَاشِكٌ مُسْتَعِجِلٌ

وهو إذا قيل له : وَبِهَا ^(١) قُلْ فَإِنَّهُ أَخْسَجُ بِهِ أَنْ يَنْفَكُلْ

[قيل لَصُوفِي : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : لا حدَّ له ، ولو أراد الله أن يؤكل
بحدٍّ لَبَيِّنَ كما بَيَّنَّ جميعَ الحدود . وكيف يكون للأكل حدٌّ ، والأَكَلَةُ
تختلفُ الطبائعُ والمزاجُ والعارضُ والمادة ، وحكمة الله ظاهرة في إخفاء حدِّ الشَّبَعِ
حقى يأكل مَنْ شاء على ما شاء كما شاء] .

وقيل لَصُوفِي : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ فقال : ما نشطَ على أداء الفرائض ، ونَبِطَ
عن إقامة النوافل .

وقيل لمتكلم : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ فقال : حدُّه أن يجلبَ النوم ، ويضجرَ
القوم ، ويبعثَ عَلَى اللُّؤْم .

وقيل لَطَنْيَلِي : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : أن يُؤْكَلَ على أنه آخرُ الزَّاد ،
وَيُؤْتَى عَلَى الْجِلِّ وَالْدَّقِّ .

وقيل لأعرابي : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : أَمَا عندكم يا حاضرة فلا أدرى ؛ وأما
عندنا في الباديةِ فَمَا وَجَدَتِ الْعَيْنُ ، وَاَمْتَدَّتْ إِلَيْهِ الْيَدُ ، وَدَارَ عَلَيْهِ الضَّرْسُ
وَأَسَاغَهُ الْخَلْقُ ، وَانْتَفَخَ بِهِ الْبَطْنُ ، وَاسْتَدَارَتْ عَلَيْهِ الْحَوَايَا ، وَاسْتَفَاتَتْ مِنْهُ
الْمَعِدَةُ ، وَتَقَوَّسَتْ مِنْهُ الْأَضْلَاعُ ، وَأَلْتَوَتْ عَلَيْهِ الْمَصَارِينُ ، وَخِيفَ مِنْهُ الْمَوْتُ .
وقيل لطبيب : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : ما عدَّلَ الطَّبِيعَةَ ، وَحَفِظَ الْمِزْجَ
وَأَبْقَى شَهْوَةً لَهَا بَعْدَ .

(١) « وبها قل » بالفاء ، أى إذا نودي باسمه لفظاً موزقيل : يا فلان ، نكل
عن النداء وتنكسب . وفي الأصل : « قل » بالقاف ... وينكل . وهو تصحيف في كلنا
الكلمتين . والتصويب عن اللسان . ووبها : كلمة حض واستعثات .

وقيل لقصار : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : أنْ تَثْبَ إلى الجَفَنَةِ كأنَّكَ مِرْحَانٌ
وتأْكُلُ وأنتَ غَضْبَانٌ ، وتَمْنَعُ كأنَّكَ شَيْطَانٌ ، وتَبْلَعُ كأنَّكَ هَيْمَانٌ ، وتَدَعُ
وأنتَ سَكْرَانٌ ، وتَسْتَلْقِي كأنَّكَ أَوَانٌ^(١) .

وقيل لحَمَّال : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : أنْ تأْكُلَ ما رَأَيْتَ بَعْشَرٍ يَدِيكَ
غَيْرَ عَائِفٍ وَلَا مُتَعَزِّزٍ ، وَلَا كَارِهِ وَلَا مُتَعَزِّزٍ .

وقيل لمَلَّاح : ما حدُّ الشَّبَعِ^(٢) ؟ قال : حدُّ الشُّكْرِ . قيل^(٣) : فما حدُّ
الشُّكْرِ ؟ قال : أَلَّا تَعْرِفَ السَّمَاءَ مِنَ الْأَرْضِ ، وَلَا الطُّولَ مِنَ الْقَرَضِ ،
وَلَا النِّافِلَةَ مِنَ الْقَرَضِ ، مِنْ شِدَّةِ النَّهْسِ وَالْكَسْرِ وَالْقَطْعِ وَالْقَرَضِ . قيل له
فإنَّ السُّكْرَ مُحَرَّمٌ ، فَلِمَ جَعَلْتَ الشَّبَعِ مِثْلَهُ ؟ قال : صَدَقْتُمْ ، هُمَا سُكْرَانٌ : أَحَدُهُ
الشُّكْرَيْنِ مَوْصُوفٌ بِالْعَيْبِ وَالْخُسَارِ ، وَالْآخَرُ مَعْرُوفٌ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ .
قيل [له] : أَمَا تَخَافُ الْهَيْضَةَ ؟ قال : إِنَّمَا تُصِيبُ الْهَيْضَةُ مَنْ لَا يَسْتَعِي اللَّهَ عِنْدَ
أَكْلِهِ ، وَلَا يَشْكُرُهُ عَلَى النِّعْمَةِ فِيهِ . فَأَمَّا مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ وَشَكَرَهُ فَإِنَّهُ يَهْفُضُ
وَيَسْتَمْرِي وَيَقْرُمُ إِلَى الزُّيَادَةِ .

وقيل لبُخَيْلٍ : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : الشَّبَعُ حَرَامٌ كُلُّهُ ، وَإِنَّمَا أَسَلَّ اللَّهُ
مِنَ الْأَكْلِ مَا نَفَى الْخَوِي ، وَسَكَّنَ الصُّدَاعَ ، وَأَمْسَكَ الرِّمَقَ ، وَحَالَ بَيْنَ
الْإِنْسَانِ وَبَيْنَ الرَّاحِ ، وَهَلَكَ النَّاسُ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا إِلَّا بِالشَّبَعِ وَالتَّضَلُّعِ
وَالْبُطْنَةِ وَالْأَحْتِشَاءِ ، وَاللَّهُ لَوْ كَانَ لِلنَّاسِ إِمَامٌ لَوَكَّلَ بِكُلِّ عَشْرِهِ مِنْهُمْ مَنْ
يَحْفَظُ عَلَيْهِمْ عَادَةَ الصَّحَّةِ ، وَحَالَةَ الْعَدَالَةِ ، حَتَّى يَزُولَ اتِّعَادِي ، وَيَفْشُو الْخَبَرُ .

(١) الأوان : المعدل (بكسر الدين) ، كالأون (بسكون الواو) .

(٢) في (ب) : « الأكل » . مكان « الشبع » ، والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٣) كذا في (ب) وهو ألسب . والذي في (أ) : « قال » .

وقيل لجُنْدِيٍّ : ما حدُّ الشَّبْعِ ؟ قال : ما شدَّ العضدُ ، وأُحْشِيَ الظهرُ ، وأدْرَ
الوَرِيدَ ، وزادَ في الشَّجَاعَةِ .

وقيل لزاهدٍ : ما حدُّ الشَّبْعِ ؟ قال : ما لم يَعْلَمْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ صَوْمِ النَّهَارِ
وَقِيَامِ اللَّيْلِ . وإذا شكَا إليك جَانِعٌ عَرَفْتَ صِدْقَهُ لِإِحْسَاسِكَ بِهِ .
وقيل لَمَدَنِيٍّ : ما حدُّ الشَّبْعِ ؟ فقال : لا عَهْدَ لِي بِهِ ، فكيف أَصِفُ
مَا لَا أَعْرِفُ ؟

وقيل لِيَمَنِيٍّ : ما حدُّ الشَّبْعِ ؟ قال : أَنْ يُحْشَى حَتَّى يُخْشَى .
وقيل لَتَرْكِيٍّ : ما حدُّ الشَّبْعِ ؟ قال : أَنْ تَأْكُلَ حَتَّى تَذْنُوتَ مِنَ الْمَوْتِ .
وقيل لِسَمُوبِهِ ^(١) القَاصِ : مَنْ أَفْضَلُ الشَّهَدَاءِ ؟ قال : مَنْ مَاتَ بِالثَّخَمَةِ ،
وَدُفِنَ عَلَى الْهَيْضَةِ .

قيل لِسَمَرْقَنْدِيٍّ : ما حدُّ الشَّبْعِ ؟ قال : إِذَا جَعَفَتِ عَيْنَاكَ ، وَبَكِمَ
لِسَانُكَ ، وَثَقَلَتْ حَرَكَتُكَ ، وَأَرْجَحَ بَدَنُكَ ، وَزَالَ عَقْلُكَ ، فَأَنْتَ
فِي أَوَائِلِ الشَّبْعِ . قيل له : إِذَا كَانَ هَذَا أَوَّلَهُ ، فَمَا آخِرُهُ ؟ قال : أَنْ
تَنْشَقَّ نِصْفَتَيْنِ .

قيل لَهَنْدِيٍّ : ما حدُّ الشَّبْعِ ؟ قال : الْمَسْئَلَةُ عَنْ هَذَا كَأَمَحَالٍ ، لِأَنَّ الشَّبْعَ
مِنَ الْأَرَزُّ النَّقِيِّ الْأَبْيَضِ ، الْكِبَارِ الْحَبِّ ، الْمَطْبُوعِ بِاللَّبَنِ الْحَلِيبِ ، الْمَعْرُوفِ
عَلَى الْجَامِ الْبَلَوْرِ ، الْمَدُوفِ ^(٢) بِالسُّكَّرِ الْفَائِقِ ، مُخَالَفٌ لِلشَّبْعِ مِنَ السَّمَكِ
الْمَمْلُوحِ وَخَبْزِ الذَّرَّةِ ، وَعَلَى هَذَا يَخْتَلِفُ الْأَمْرُ فِي الشَّبْعِ . فَقِيلَ لَهُ : فَدَعْ

(١) كُنَّا وَرَدَ هَذَا الْأَمْرَ فِي الْأَمْوَالِ ؟ وَلَمْ نَقِفْ عَلَيْهِ فِيهَا رَاجِعِينَ مِنَ الْكُتُبِ .

(٢) الْمَدُوفُ : الْمَخْلُوطُ . وَفِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « الْمَدْفُون » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

هذا ، إلى متى يَنْبَغِي أن يأكلَ الإنسان ؟ قال : إلى أن يقع له أنه إن أراد لُقْمَةً زَهَقَتْ نَفْسُهُ إلى القار .

قيل لمُكَارٍ : ما حَدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : والله ما أَدْرِي ، ولكنَّ أَحِبُّ أنْ آكلَ ما مَشَى حِمَارِي مِنَ الْمَنْزِلِ إِلَى الْمَنْزِلِ .

قيل لِمُتَّالٍ : ما حَدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : أنا أُوَاصِلُ الْأَكْلَ فَمَا أَعْرِفُ الْحَدَّ ، ولو كُنْتُ أَتَمُّ لَوَصَفْتُ الْحَالَ فِيهِ ، أعْنَى أَنِي سَاعَةً أَلْتُ^(١) الدَّقِيقَ ، [وسَاعَةً أَمَلُ اللَّيْلَةَ ، وسَاعَةً أَفْرُدُ ، وسَاعَةً آكُلُ] وسَاعَةً أَشْرَبُ لَبَنَ اللَّقَاحِ ؛ فليس لي فَرَاغٌ فَأَدْرِي أَنِي بَلَنْتُ مِنَ الشَّبَعِ ، إِلَّا أَنَّنِي أَعْلَمُ فِي الْجُمْلَةِ أَنَّ الْجُوعَ عَذَابٌ وَأَنَّ الْأَكْلَ رَحْمَةٌ ، وَأَنَّ الرَّحْمَةَ كُلَّمَا كَانَتْ أَكْثَرَ ، كَانَ الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ أَقْرَبَ ، وَاللَّهُ عَنْهُ^(٢) أَرْضَى .

قال الوزير : لَمَّا بَغَتْ هَذَا الْمَوْضِعَ مِنَ الْجُزْءِ — وَكُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ — : مَا أَحْسَنَ مَا اجْتَمَعَ مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ ! هَلْ بَقِيَ مِنْهَا شَيْءٌ ؟ قُلْتُ : بَقِيَ مِنْهَا جُزْءٌ آخَرٌ^(٣) . قال : دَعْنِي لِلَّيْلَةِ أُخْرَى وَهَاتِ مُلْحَعَةَ الْوَدَاعِ . قُلْتُ : قِيلَ لَصُوفِي فِي جَامِعِ الْمَدِينَةِ : مَا تَشْتَهِي ؟ قَالَ : مَائِدَةُ رَوْحَاءَ^(٤) عَلَيْهَا جَفْنَةٌ رَحَاءَ^(٥) ، فِيهَا ثَرِيدَةٌ صَفْرَاءُ ، وَقِدْرٌ حُمْرَاءُ بِيضَاءُ .

قال^(٦) : أُبَيِّتُ^(٦) الْآنَ [أَلَا] تَوَدُّعَ [إِلَّا] بِمِثْلِ مَا تَقْدِّمُ ؟ وَانصَرَفْتُ .

(١) فِي (ب) : « أَجْن » .

(٢) فِي (ب) : « عَنْ الْعَبْدِ » .

(٣) فِي (ب) : « وَاحِدٌ » مَكَانَ قَوْلِهِ : « آخِرٌ » .

(٤) يُقَالُ : جَفَنَ رَوْحَاءُ ، إِذَا كَانَتْ وَاسِعَةً مَرِيضَةً ؛ وَالرَّحَاءُ كَذَلِكَ .

(٥) قَالَ ، أَيُّ الْوَزِيرِ .

(٦) وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي كُلِّمَا مِنَ النُّسخِ فِيهِمْ مَهْمَلَةُ الْحُرُوفِ تَعَمُّدُ قِرَاءَتِهَا ، وَالسِّيَاقُ

يَقْتَضِي إِثْبَاتَهَا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ .

الليلة الثانية والثلاثون

(١) ثم حضرتُ قَرَأْتُ ما بَقِيَ من هذا الفنّ .

قال رجلٌ من فزارة^(١) :

تَنْبِجُ أَحْيَانًا وَأَحْيَانًا تَهَرُّ وَتَقَطُّ^(٢) سَاعَةً وَتَقْدَحِرُ
تَعْدُو عَلَى الضَّيْفِ^(٣) بَعْدَ مُنْكَسِرِ بَسَطُ عَنْهَا نَوْبَهَا وَتَأْتِرُ
لَوْ نُعِرَتْ فِي يَتِيهَا عَشْرُ جُرُزٍ لَأَصْبَحَتْ مِنْ لَعِينٍ تَقْدِرُ
بِحَلَفِ سَحَرٍ^(٤) وَدَمْعٍ مُنْهَرٍ يَفِرُّ مَنْ قَاتَلَهَا^(٥) وَلَا تَفِرُ
الْمُقْدَحِرُ : التَّهْيِيءُ لِلْسَّابِ .

وقال أبو دلامة الأسدي^(٦) :

(١) ورد بعض هذا الرجز في المحاسن والأضداد ومجموعة المعاني ولسان العرب . وبعض ما ورد في هذه الكتب لم يرد هنا ، كما أن بعض ما ورد هنا لم يرد هناك ، وهذا ما ورد في اللسان ، وهو ما لم يذكر هنا :

أم حوار مننوها غير أسمر صهلقي الصوت ببينها الصبر
سائلة أسداغها لا تقتصر الخ .

(٢) في كلتا النسختين : « وتقطر » ؛ وهو تحريف ، والسياق يقتضي ما أثبتنا .

(٣) في اللسان : « على الدُّب » .

(٤) سج ، أي كثير متتابع ، كما في كتاب إصلاح النطق لابن السكيت المحفوظة منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٤١ لغة . وفي مجموعة المعاني وكتاب المحاسن والأضداد : « سبيح » ، وهو يستقيم على الإضافة لا على الوصف . والذي في الأصل : « سبيح » ؛ وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « نفر » ، بالناء ... « ولا نفر » ؛ وهو تصحيف في كلتا النسختين .

(٦) في (١) الوارد فيها هذا الكلام وحدها : « الأسامي » ؛ ولم نجد هذه النسبة لأبي دلامة فيها راجعاً من الكتب . والذي وجدناه أن أبا دلامة كان مولى لبني أسد ، فحمل الصواب ما أثبتنا .

قد يُشْبِع الضيف الذى لا يُشْبِعُ مِنْ الهَيْبِدِ وَالْجِرَادِ تَسْعُ^(١)
ثم يقول أرضوا بهذا أو دَعُوا

وقال آخر:

حتى إذا أضغى تَدْرَى^(٢) واكْتَحَلَ جَارَتِيهِ ثُمَّ وَلَّى فَفَتَحَ
دَرَقَ الْأَنْوَقَيْنِ^(٣) الْقَرْنِي وَالْجُلُفِ

وقال آخر:

[إذا^(٤) أَنْوَهَ بِطَعامٍ وَأَكَلَ] بات يُعْشَى وَخَدَهُ أَلْفَى جُفَلِ

وقال أبو النجْم:

[تُدْنِي مِنَ الْجُدُولِ^(٥) مِثْلَ الْجُدُولِ] أَجُوفَ فِي غَلَصَمَةِ^(٦) كَالْمِرْجَلِ

(١) الهيبدة: حب الحنظل. والجراد: ذكور الضباب، الواحد حردون بالمدال المهملة أو القادال المعجمة. وتسع، أى تسع لأكله مهما كثر.

(٢) كذا ورد هذا الشعر في كتاب الحيوان للجاحظ، وتدرى، أى تعشط. والمدرى والمدرة: الشط. والذى في (١) الوارد فيها هذا الشعر وحدها: «لجاذبه» مكان قوله: «لجارتيه»؛ وهو تحريف. وتل، أى راث.

(٣) الأنوق: لفظ يطلق على كل ما يأكل العذرة من الرخم وغيرها، قاله الجاحظ في كتاب الحيوان وذكر هذا الشعر شاهدا على ذلك. والقرني: دوية كالخنفساء وأعظم منها يسير طويلة القوائم. وقد فسر القنويون الأنوق أيضا بأنه الطير الذى يبيض في الهواء ولا يستقيم معناه هنا.

(٤) هذا الشعر ساقط من الأصل، وقد أبقناه عن الحيوان للجاحظ تمام المعنى به. ويشير بقوله: «بات يعشى» الخ إلى أنه كثير البراز، فيقول: إنه إذا أكل تعشى مما يخرج منه ألفا جمل، لأن الجمل تفتت بالبراز. قاله الجاحظ.

(٥) هذا الشعر ساقط من الأصل؛ ولا يتم المعنى بدونه. ويشير إلى سعة فها، فيشبهه بالجدول الذى يشرب منه.

(٦) الغلصمة: متصل الملقوم بالخلق. وقيل هى اللحم الذى بين الرأس والعنق.

تَسْمَعُ الْمَاءَ كَصَوْتِ الْمِسْحَلِ^(١) بَيْنَ وَرِيدَيْهَا^(٢) وَبَيْنَ الْجَحْفَلِ
يُلْقِيهِ^(٣) مِنْ طَرَفٍ أَتَتْهَا مِنْ عِلٍّ قَذَفُهَا جَوْفٍ وَشَذَقِ أَهْدَلِ^(٤)
كَأَنَّ صَوْتَ جَرِّعِهَا الْمُسْتَمْعِلِ جَنْدَلَةٌ دَهْدَهَتْهَا^(٥) فِي جَنْدَلِ
وقال آخر :

يَقُولُ لِلطَّامِ الْمُطَرَّى^(٦) فِي الْعَمَلِ ضَهَبَ^(٧) لَنَا إِنْ الشَّوَاءُ لَا يُمَلِّ
بِالشَّخْمِ إِمَّا قَدْ أَجْنَاهُ^(٨) يَخَلُّ عَجَلٌ لَنَا مِنْ ذَا وَالْحَقُّ بِالْبَدَلِ
وَأَشْدُ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ :

أَعْدَدْتُ لِلضَّيْفِ وَالرَّفِيقِ وَالْجَارِ وَالصَّاحِبِ وَالصَّدِيقِ
وَالْعِيَالِ الدَّرْدَقِ^(٩) اللَّصُوقِ حَرَاءَ مِنْ مَغْزِ أَبِي سَمْرُوقِ
تَلَحُّسُ خَدَّ الْحَالِبِ الرَّفِيقِ بَلَيْنِ الْمَسِّ قَلِيلِ الرَّيْقِ

(١) الضمير في « تسمع » للخطاب . والمسحل : المبرد .

(٢) كذا في أرجوزة أبي النجم اللشورية في مجلة الجمع العلمي العربي . والقى في الأصل : « مديدها » ؛ وهو تحريف . ويريد بالجحفل : شفتها .

(٣) في الأصل : « يلقيه » ؛ وهو تحريف سواء ما أثبتنا قلا عن أرجوزة أبي النجم اللشورية في مجلة الجمع العلمي العربي سنة ١٩٢٨ م . ويلقيه ، أى يلقى الماء ، وفاقله قوله بعد : « قذف » .

(٤) الأهدل : المسترعى .

(٥) دهدهتها ، أى دحرجتها .

(٦) المطرى : الطامى الذى يخلط الطعام بالأفاويه . وطرى الطعام : إذا خلطه بالتوابل .

(٧) ذهب ، أى اشو شيئا غير كامل النضج ، يريد الاستمجال . والتضبيب أيضا : شئ الأعم طى المجارة المهمة .

(٨) أجنأه ، أى ملأناه .

(٩) الدردق : الصبيان الصغار . والذى في الأصل : « الدردق » ؛ وهو تحريف .

كَأَنَّ صَوْتَ شُعْطِهَا الْفَتِيْقِ فَحَبِيْحٌ^(١) ضَبٌّ حَرِبٍ حَنِيقِ
فِي جُحْرِ صَاقٍ أَشَدَّ الضِّيقِ

وأنشد أيضاً :

هَلْ لَكَ فِي مِقْرَةٍ قَلِيلٍ نِي^(٢) وَشَكْوَةٍ بَارِدَةٍ النَّيْسِ^(٣)
تُخْرِجُ^(٤) لَحْمَ الرَّجُلِ الضَّوْئِ حَتَّى تَرَاهُ نَاهِيْدَ الثَّدْيِ

وأنشد ابن حبيب :

نِعْمَ لَقُوحٌ^(٥) الصَّبِيَّةِ الْأَصَاغِرِ شَرُّوْبُهُمْ مِنْ حَلَبٍ وَحَازِرٍ^(٦)
حَتَّى يَرْوَحُوا سَقَطَ الْمَآزِرِ وَضَعُ الْفِقَاحِ^(٧) نَشْرَ الْغَوَاصِرِ

وأنشد الأُمَيْدِيُّ :

كَأَنَّ فِي فِيْهِ حِرَابًا شُرْعًا زُرْقًا تَقْضُ^(٨) الْبَدْنَ الْمُدْرَعًا
لَوْ عَضَّ رُكْنَا وَصَفَا تَصَدَّعَا

(١) فِي (١) الّتي ورد فيها هذا الشعر وحدها : « بمنح » ؛ وهو تحريف ، سوابه ما أثبتنا نقلا عن كتب اللغة . والفحيح : صوت الضب .

(٢) المقرّة : الإناء الذي يُقَرَى فيه . والقيل : اللبن الذي يشرب نصف النهار وقت القائلة . وقد ورد هذا الشطر في الأصل هكذا : « هل لك في المعرى بقيل بي » ؛ ولا يخفى ما فيه من تصحيف .

(٣) الشكوة : وعاء من آدم يتخذ اللبن والماء . والنسي : اللبن الحليب يصب عليه الماء .

(٤) « تخرج لحم الرجل الضوى » ، أى تسمن المهزول الضامر .

(٥) اللقوح : الناقة الحلوب .

(٦) الحازر : اللبن الحامض .

(٧) الوضع : جمع أوضع وهو قليل لحم الوركين والإليتين ، والأوضع والأرسح واحد .

(٨) تقض : تكسر .

وقال محمد بن بشر :

لَقَلَّ عَارًا^(١) إِذَا ضَيْفٌ تَضَيَّفَنِي مَا كَانَ عِنْدِي إِذَا أُعْطِيتُ مَجْهُودِي
فَضْلُ الْمَقِلِّ إِذَا أُعْطِيَ مُعْطِيًّا وَمُكْتَرٍ فِي الْغِنَى سَيِّئٌ فِي الْجُودِ
لَا يَعْدُمُ السَّائِلُونَ الْخَيْرَ أَفْئَلُهُ إِمَّا تَوَالِي وَإِمَّا حُسْنُ مَرْدُودِي
قال الأعرابي : نِعَمَ الْغَدَاءِ السَّوِيْقُ ، إِنْ أَكَلْتَهُ عَلَى الْجُوعِ عَصَمَ ، وَإِنْ
أَكَلْتَهُ عَلَى الشَّيْعِ هَضَمَ .

وقال اللوامي^(٢) — وكان زَوَّارًا لِإِخْوَانِهِ فِي مَنَازِلِهِمْ — : الْمُبُوسُ بُوسٌ ،
وَالْبَشْرُ بُشْرَى ، وَالْحَاجَةُ تَفْتَقُ الْحِيلَةَ ، وَالْحِيلَةُ تَشْتَخِذُ الطَّبِيعَةَ .

ورأيت الحبيلوني^(٣) يُنشد [ابن آدم — وكان مُوسِرًا بِخَيْلِهِ] — :
وَمَا لِأَمْرِي طَوْلُ الْخُلُودِ وَإِنَّمَا يُعَلِّدُهُ حُسْنُ الثَّنَاءِ فَيَخْلُدُ
فَلَا تَدْخِرْ زَادًا فَتُضْمِحْ مُلْجَأً إِلَيْهِ وَكُلُّهُ الْيَوْمَ يُخْلِفُهُ الْغَدُ
وَحَكَّى لَنَا ابْنُ أَسَادَةَ قَالَ : كَانَ عِنْدَنَا — يَعْنِي بِأَصْفِهَانِ — رَجُلٌ
أَعْمَى يَطُوفُ وَيَسْأَلُ ، فَأَعْطَاهُ مَرْثَةً لِنَسَانٍ رَغِيْفًا ، فَدَعَا لَهُ وَقَالَ : أَحْسَنَ اللَّهُ
إِلَيْكَ ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ ، وَجَزَاكَ خَيْرًا ، وَرَدَّ غَرْبَتَكَ . فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : وَلَمْ
ذَكَرْتَ الْغُرْبَةَ [فِي دُعَاكَ] ، وَمَا عَلِمْتُكَ بِالْغُرْبَةِ ؟ فَقَالَ : الْآنَ لِي هَاهُنَا
عَشْرُونَ سَنَةً مَا نَاوَلَنِي أَحَدٌ رَغِيْفًا صَحِيحًا .

(١) كذا في ديوان الحماسة . واقتى في (١) الوارد فيها هذا الشعر وحدهما : « لقد
غلوا » وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ولا الوزن .

(٢) في (١) العراق ، ولم تقف على العراق هذا الموصوف بما ذكر . واقتى أثبتناه من
(ب) ؟ وإن كُتِبَ لم نجد هذه النسبة فيها راجعنا من كتب الأنساب ومسجلات الأعلام ، إلا أنه
ورد ذكره كثيرا فيما ساق .

(٣) كذا في (ب) . واقتى في (١) : « الحبيلوني » ؟ ولم نجد هاتين النسبتين فيما
راجعنا من كتب الأنساب ومسجلات الأعلام التي بين أيدينا .

وقال آخر :

بُرِّى جَارُهُمْ فِيهِمْ نَحِيفًا وَضَيْفُهُمْ يَجُوعُ وَقَدْ بَاتُوا مِلَاءَ الْمَذَاخِرِ^(١)

وقال السكروسي :

وَلَا يَسْتَوِي الْأَثْنَانِ^(٢) لِّلضَّيْفِ : آئِسٌ كَرِيمٌ ، وَزَاوٍ بَيْنَ حَيْفَيْهِ قَاطِبٌ

وأنشد :

طَعَامُهُمْ فَوْضَى فَضَى فِي رِحَالِهِمْ وَلَا يُحْسِنُونَ السَّرَّ إِلَّا تَفَادِيًا^(٣)

وأنشد آخر :

يُمَانٌ وَلَا يَمُونُ وَكَانَ شَيْخًا شَدِيدَ الْقَتْمِ هِلَقَامًا بَطِينًا^(٤)

العرب تقول : إِذَا شَبِعَتِ الدَّقِيقَةُ^(٥) لَحَسَتِ الْجَلِيلَةُ .

قال ابن سلاّم : كَانَ يُخْبَزُ فِي مَطْبَخِ سُلَيْمَانَ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — فِي كُلِّ يَوْمٍ سِتَانَةٌ كُرَّةً^(٦) حِنْطَةً ، وَيُذْبَحُ لَهُ فِي كُلِّ غَدَاةٍ سِتَّةُ آلَافِ تَوْرٍ وَعَشْرُونَ شَاةً ، وَكَانَ يُطْعَمُ النَّاسَ وَيُجْلِسُ عَلَى مَائِدَتِهِ بِجَانِبِهِ^(٧) الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَأَبْنَاءَ

(١) المذاخر : الأجواف .

(٢) في الأصل : « الإناء » مكان قوله : « الاثنان » ؛ وهو تحريف .

(٣) فوضى فوضى ، أى أنهم مشتركون في طعامهم لا يختص به واحد دون رفاقه . ويريد بالشرط الثانى أنهم ليس لأحد سرّ دون أصحابه . وفي الأصل موص فوضى مكان « فوضى فوضى » ؛ وهو تحريف ؛ والتصويب عن اللسان .

(٤) الهلقام : عظيم القمم . والبطين : عظيم البطن .

(٥) يريدون بالدقيقة : النعم . وبالجليلة : الإبل . وهذا مثل يقال إذا قل العشب . وذلك لأن الشاة إذا قدرت على أكل العشب القصير القليل وشبت منه فإن الناقة لا تقدر على أكله لقصره وقلة فتلحسه . يضرب للفقر يخدم النعم . وعبرة الأصل : « إذا شمت لحست الحليّة » ؛ وفيه تمس وتحريف ظاهران ؛ والتصويب عن البيان والتبيين وغيره .

(٦) السكروسي : ستون قفيزا ، وهو ستة أوقار حار ، وقيل : أربعون أردبا .

(٧) في الأصل « مجاجته » ؛ وهو تحريف .

السَّيْلُ ، ويقول لِنَفْسِهِ : مِسْكِينٌ بَيْنَ مَسَاكِينٍ .

ولما وَرَدَ نِهَامَةٌ رَأَى الْحَرَمَ وَذَبَحَ لِابْنَتِ طُولِ مُقَامِهِ بِمَكَّةَ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَةَ آلَافٍ نَاقَةً وَخَمْسَةَ آلَافٍ ثَوْرًا وَعَشْرِينَ أَلْفَ شَاةٍ . وقال ابنُ حَضَرَ : إِنَّ هَذَا الْمَكَانَ سَيَخْرُجُ مِنْهُ نَبِيٌّ صِدِّقُهُ كَذَا وَكَذَا .

وقال أعرابيٌّ :

وَإِذَا خَشِيتَ مِنَ الْفُؤَادِ لَجَاجَةً فَاضْرِبْ عَلَيْهِ بِجُرْعَةٍ مِنْ رَائِبٍ
وروى هشيمٌ أَنَّ النَّبِيَّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — قَالَ : مِنْ كَرَمِ التَّرَةِ أَنْ
يَطِيبَ زَادَهُ فِي السَّفَرِ .

وقال ابنُ الأعرابيِّ : يُقَالُ : جَاءَ فُلَانٌ وَلَقَدْ لَفَطَ ^(١) رِبَاطُهُ مِنَ
الْجُوعِ وَالْمَطَشِ .

وَأَنشَدَ :

رَبَّ الْجُوعِ فِي أَوْنِيهِ ^(٢) حَتَّى كَانَهُ جَنِيبٌ بِهِ إِنَّ الْجَنِيبَ جَنِيبٌ
أَي جَاعَ حَتَّى كَانَهُ يَمْشِي فِي جَانِبٍ مُتَعَقِّفًا ^(٣) .

وقال أيضاً : إِنَّ مِنْ شُؤْمِ الضَّيْفِ أَنْ يَغِيبَ عَنْ عِشَاءِ الْحَيِّ ، أَيْ
لَا يُذَرِّكَ ، فَيُرِيدُ إِذَا جَاءَهُمْ أَنْ يَتَكَلَّفُوا لَهُ عِشَاءً عَلَى حِدَةٍ .

(١) يريد أن جلته قد ضمرت فاسترخى رباطه حتى صار له صوت ، فشبه ذلك الصوت باللفظ .

(٢) الأونان : الحاصرتان . وقد ورد هذا البيت في الأصل هكذا :

وبال الجوع في أرنبه حتى كانه حبيب يدان إلى حبيب

وفيه تحريف ظاهر . والتصويب عن إصلاح المنطق لابن السكيت ولسان العرب .

(٣) متعقفاً ، أي معوجاً .

وأنشد :

حَيَّاكَ رَبُّكَ وَأَصْطَبَحْتَ ثَرِيدَةً وإدامتها رُزٌّ وَأَنْتَ تَدْبُلُ
والثَّمة والقمة إذا جُمَعَا من الثريد والمصائد يقال لهما دُبْلَةٌ ، ومنه سُمِّيَتْ
الدَّبِيلَةُ ، وهى الورم الذى يخرج بالناس . وأنشد :

أقول لما ابتَرَكَوا جُنُوحًا بقِصْعَةٍ قد طُفِّعَتْ تَطْفِيعًا
دَبْلٌ أبا الجوزاء أو تَطْفِيعًا^(١)

وقال الفرزدق :

وَدَبَلْتُ أَمْثَالَ الْأَثافي كَأَنَّهَا رُدُوسٌ أُعَادِ قُطِعَتْ يَوْمَ تَجْمَعُ
وقال سعيد بن المسيب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أطيبوا
الطعام فإنه أنقى للشُّخْط ، وأجلبُ للشُّكْر ، وأزنى للصَّاحِب » .
قال بشار .

يَفْصُثُ إِذَا نَالَ الطَّعَامَ بِذِكْرِكُمْ وَيَشْرِقُ مِنْ وَجْدٍ بِكُمْ حِينَ يَشْرَبُ
المُسْغُور : الجائع . قال هيمان بن قُحافة :
* لَأَقِي صَاحِقًا بَطْنًا مَسْغُورًا *

وقال شاعر :

* بَمَشَى مِنَ الْبِطْنَةِ مَشَى الْأَبْزَخِ^(٢) *

(١) فى الأصل : « دبل أما الجوز أو بطيخا » ؛ وفيه تصحيف ظاهر . والتصحيح
عن الخمس .

(٢) فى (١) ورد فيها هذا الكلام وحدها دون (ب) « الأزح » ... « الزح »
بالنون والماء ؛ وهو تصحيف فى كلتا السكتين ؛ والصواب ما أثبتنا قلا عن كتب اللغة

الْبَزَخُ : دخول البطن وخروج الثَّغَةِ أَتَقَلَّ الشَّرَّةُ .

وقال آخر :

أَغْرُهُ كَصَبَاحِ الدُّجْنَةِ يَتَّقَى شَذَى^(١) الزَّادِ حَتَّى تُسْتَفَادَ أَطَايِبُهُ
شَدَاهُ^(٢) : طَيِّبُهُ .

وقال أعرابي : بَنُو فُلَانٍ لَا يَبْزُرُونَ^(٣) وَلَا يَقْدُرُونَ .

وقال الثوري : بَطَّنُوا غَدَاءَكُمْ بِشَرْبَةٍ .

[وقال الشاعر^(٤)]:

لَا يَسْتَوِي الصَّوْتَانِ حِينَ تَجَاوَبَا صَوْتُ الْكَرِيبِ^(٥) وَصَوْتُ ذِيْبٍ مُقْفِرِ
الْكَرِيبِ : الشَّوْبِقُ^(٥) وَهُوَ الْمَخْوَرُ وَالْمِسْطَحُ .

وقال الشاعر :

إِذَا جَاءَ بَاغِي الْخَيْرِ قُلْنَا بِشَاشَةٍ لَهُ بِوَجْهِهِ كَالدَّانَائِرِ : مَرْحَبًا
وَأَهْلًا فَلَا تَمْنُوعَ خَيْرَ تَرْيَدِهِ وَلَا أَنْتَ تَخْشَى هُنْدَانًا أَنْ نُؤْذِيَا
قال الشعبي : اسْتَسْقَيْتُ عَلَى خِرَانٍ قَتَيْبَةً ، فقال : مَا أَسْقَيْكَ ؟ فقلت :
الْمَيْنُ الْوُجْدُ ، الْقَزِيرُ الْفَقْدُ ، فقال : يَا غَلَامَ ، اسْقِهِ الْمَاءَ .

(١) ورد هاتان الكلمتان اثنان تحت هذا الرقم في الأصل بالقاف وهو تحريف :

(٢) لا يَزُرُونَ ، من بزرت القدر إذا رميت فيها البزر ، وهو النابل . ولا يقدرُونَ ، من القدر بفتح القاف ، وهو الطابخ في القدر .

(٣) لم ترد هذه العبارة في الأصل .

(٤) في الأصل : « الكريت » بالثاء ؛ وهو تصحيف . والتصحيح عن إصلاح المنطقي . وفي الأصل : « مقرر » ؛ وهو تصحيف أيضا . والتصحيح عن إصلاح المنطقي كذلك .

(٥) في الأصل : « السويق » ؛ وهو تحريف . والتصويب عن إصلاح المنطقي . والشوبق : هو الحشبة التي يبسط عليها الحجاز الحبر .

مرَّ مِسْكِينٌ بِأَبِي الْأَسْوَدِ لَيْلًا وَهُوَ يَنَادِي : أَنَا جَائِعٌ ! فَأَدْخَلَهُ وَأَطْعَمَهُ
 حَتَّى شَبِعَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : انصَرِفْ إِلَى أَهْلِكَ ، وَاتَّبِعْهُ غُلَامًا وَقَالَ لَهُ : إِنْ
 تَمَعْنَتْهُ يَسْأَلُ فَارُدُّهُ إِلَيَّ . فَلَمَّا جَلَّوْزَهُ لِلْمِسْكِينِ سَأَلَ كِبَادَتَهُ ، فَتَشَبَّثَ بِهِ الْغُلَامُ
 وَرَدَّهُ إِلَى أَبِي الْأَسْوَدِ . فَقَالَ : أَلَمْ تَشْبِعْ ؟ فَقَالَ : بَلَى . قَالَ : فَمَا سُؤْأُكَ ؟ ثُمَّ
 أَمَرَ بِهِ نَحِيسٌ فِي بَيْتٍ وَأَغْلَقَ عَلَيْهِ الْبَابَ ، وَقَالَ : لَا تَرْوُجْ مَسْلَمًا سَاطِرَ الْإِلَاقَةِ
 وَلَا تَكْذِبْ . فَلَمَّا أَصْبَحَ خَلَّى سَبِيلَهُ ، وَقَالَ : لَوْ أَطْعَمْنَا الشُّؤَالَ حَيْرَنَا مِثْلَهُمْ .
 وَسَمِعَ دَابَّةً لَهُ تَعْتَلِفُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ، فَقَالَ : إِنِّي لِأَرَاكَ تَسْهَرِينَ فِي مَالِي
 وَالنَّاسُ نِيَامٌ ، وَاللَّهُ لَا تُصْبِحِينَ عِنْدِي . وَبَاعَهَا .

وَأَبُو الْأَسْوَدِ يُعَدُّ فِي الشُّعْرَاءِ وَالتَّاجِرِينَ وَالحَدِيثِينَ وَالبُخْلَاءِ وَالمَقَالِيعِ
 وَالنَّحْوِيِّينَ وَالقَضَاءِ وَالعُرُجِ وَالمُعْلَمِينَ .

وقال الشاعر :

أَنْفَقَ أَبَا عَمْرٍو وَلَا تَعَذَّرَا وَكُلَّ مِنَ الْمَالِ وَأَطْعِمْ مَنْ عَرَا
 لَا يَنْفَعُ الدَّرْهَمُ إِلَّا مُدِيرًا

كَانَ مُسْلِمٌ بَنَ قَتِيْبَةً لَا يَجْلِسُ لِحَوَائِجِ النَّاسِ حَتَّى يَشْبَعَ مِنَ الطَّعَامِ الطَّيِّبِ ،
 وَيَرَوِي مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ ، وَيَقُولُ : إِنْ الْجَائِعَ ضَيَّقَ الصَّدْرُ ، فَقَبِرُ النَّفْسِ ،
 وَالشَّبْعَانِ وَاسِعُ الصَّدْرِ ، غَفِيَ النَّفْسِ .

وقال أعرابي :

هَلَكْتُ هَرِيْثَةً^(١) وَهَلَكْتُ جُوعًا وَخَرَقَ مِنْدَدِيْ شَوْكُ الْقَتَادِ

(١) هريثة ، أى بردا . يقال قرء (بكسر القاف) فيها هريثة ، أى يصيب الناس
 منها ضرر وموت كثير . والهريثة : وقت اشتداد البرد ، كما فى اللسان .

وَحَبَّةُ حَنْظَلٍ وَلُبَابُ قَطِينٍ وَتَنُومٌ يَنْظُمُ بَطْنَ وَادِيٍّ^(١)
وقال الفرزدق :

وإن أبا الكِرْشَاءِ^(٢) ليس بسارقٍ ولكنّه ما يَسْرِقُ القَوْمُ يا كل
ولديك الجن :

إذا لم يكن في البيتِ مِلْحٌ مُطَيَّبٌ وَخَلٌّ وَزَيْتٌ حَوْلَ حُبٍّ^(٣) دَقِيقٍ
فرأسُ ابنِ أُمِّي في حِرَامٍ [ابن] خالتي ورأسُ عدوِّي في حِرَامٍ صديقي
وقال آخر :

وما جيرةٌ إلّا كَلِيبُ بنُ وائِلٍ لِيَالِي تَعْمَى عِرْزَةً مَنِيَتَ البَقْلُ
وقال مسعر بن مكدّم لِرَقِبة بن مصلّة : أراك طَفَنِيَلِيَا . قال : يا أبا محمد ،
كلُّ من ترى طَفَنِيَلِيًا إلّا أَنَّهُمْ يَتَكَاثَمُونَ .
وقال شاعر :

قَوْمٌ إِذَا آنَسُوا ضَيْفًا فَلَمْ يَجِدُوا إِلَّا دَمَ الرَّأْسِ صَبْؤُهُ عَلَى الْبَابِ
قال الفصيح : الرأس الرئيس .

اشتدّ بأبي فرعونَ الشاعِرُ الحَالُ فَكُتِبَ إِلَى بَعْضِ الْقَضَاةِ بِالْبَصْرَةِ :
يا قاضيَ البَصْرَةِ ذا الْوَجْهِ الْأَعْرَضِ إِلَيْكَ أَشْكُو مَا مَضَى وما غَبَرَ
هَذَا زَمَانٌ وَشَيْئًا قَدْ حَضَرَ إِنَّ أبا عَمْرَةَ^(٤) فِي بَيْتِي أُنْجَحَرَ
يَضْرِبُ بِالذُّفِّ وَإِنْ شَاءَ زَمَرُ فَاطْرُدْهُ عَنِّي بِدَقِيقٍ يُنْتَظَرُ
فأجابه إلى ما سأل .

(١) النوم : شجر له حب كحب الخروع . وينظم بطن وادي ، أي يملؤه ويصمه .
(٢) كذا في (١) وديوان الفرزدق . والذي في (ب) : « أبا العرجاء » ؛ وهو خطأ
من النسخ . (٣) الحُبّ بضم الحاء : الجرة ؛ ولعلهم كانوا يضمعون الدقيق في الجرار .
(٤) أبو عمرة : كنية الجبوع .

ويقال : وَقَفَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى خَلْفَةِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَقَالَ : رَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَعْطَى مِنْ سَعَةِ ، وَوَأَسَى مِنْ كِفَافٍ ، وَآثَرَ مِنْ قِلَّةٍ . فَقَالَ الْحَسَنُ : مَا أَبْقَى أَحَدًا إِلَّا سَأَلَهُ .

وقال ابن حبيب : يقال أُنْحَقُّ مِنَ الضَّبْعِ ، وذلك أنها وَجَدَتْ تَوْدِيَةً^(١) فِي غَدِيرٍ ، فَعَمِلَتْ تَشْرَبُ الْمَاءَ وَتَقُولُ : « يَا حَبْذَا طَعْمُ اللَّبَنِ » حَتَّى انشَقَّ بَطْنُهَا فَانْتَتْ . وَالتَّوْدِيَةُ : الْعُودُ يُشَدُّ عَلَى رَأْسِ الْخِلْفِ^(٢) لثَلَا يَرْضَعَ الْفَعِيلُ أُمَّهُ . دَعَا رَجُلٌ آخَرَ فَقَالَ لَهُ : هَذِهِ^(٣) تُكْسِبُ الزِّيَارَةَ وَإِنْ لَمْ تُسَيِّدْ ، وَلَعَلَّ تَقْصِيرًا أَنْفَعُ فِيمَا أَحَبُّ بَلُوغَهُ مِنْ بَرِّكَ^(٤) . فَقَالَ صَاحِبُهُ : حَرَصْتُ عَلَى كِرَامَتِي يَكْفِيكَ مَوْزُونَةُ التَّكْلِيفِ لِي .

قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : لَوْ كُنْتَ خَلِيفَةً كَيْفَ كُنْتَ تَصْنَعُ ؟ قَالَ : كُنْتُ أَسْتَكْنِي^(٥) شَرِيفَ كُلِّ قَوْمٍ نَاحِيَتِهِ ، ثُمَّ أَخْلُو بِالْمَطْبِخِ فَأَمُرُّ الطَّاهَةَ فَيُعْظَمُونَ^(٦) الثَّرِيدَةَ وَيُكْتَرُونَ الْمَرَّاقَ^(٧) ، فَأَبْدَأُ فَاكُلُ لُقْمًا ، ثُمَّ آذَنُ لِلنَّاسِ ، فَأَيُّ ضِيَاعٍ^(٨) يَكُونُ بَعْدَ هَذَا ؟ !

(١) فِي الْأَصْلِ : « بَوْدَقَةٌ » بِالْبَاءِ وَالْقَافِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفُ صَوَابِهِ مَا أَثْبَتْنَا قَبْلًا عَنْ كِتَابِ اللَّفَّةِ . وَعِبَارَةٌ بِجَمْعِ الْأَمْثَالِ : تَزْعُمُ الْأَعْرَابُ أَنَّ أَبَا الضَّبَاعِ وَجَدَ تَوْدِيَةً فِي غَدِيرٍ ... الْخِ مَا هُنَا .

(٢) الْخِلْفُ : الضَّرْعُ . وَفِي الْأَصْلِ : « الْخِلْفُ » بِالْمُهْمَلَةِ ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ . (٣) هَذِهِ : إِشَارَةٌ إِلَى دَعْوَتِهِ إِيَّاهُ . أَيْ أَنَّهُ هَذِهِ الدَّعْوَةُ تَكْسِبُ زِيَارَتَكَ لِي وَإِنْ لَمْ تَسْعُدْ ، أَيْ تُعْنَسَ عَلَى قَضَاءِ الْحَقِّ كُلِّهِ . وَفِي الْأَصْلِ : « تَكْتَرُ » مَكَانَ « تَكْسِبُ » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَلَعَلَّ صَوَابَهُ مَا أَثْبَتْنَا .

(٤) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا السَّكَّامُ : « تَرَكْ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٥) فِي (١) : « اسْتَلَقَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٦) فِي (١) : « فَيُعْظَمُونَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٧) الْمَرَّاقُ (بِالضَّمِّ) : جَمْعُ مَرَقٍ (بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ) ، وَهُوَ الْعُظْمُ الَّذِي أَخَذَ أَكْثَرُ مَا عَلَيْهِ مِنَ اللَّحْمِ وَبَقِيَ عَلَيْهِ شَيْءٌ يَسِيرٌ . (٨) فِي كِلَانَا النُّسخَتَيْنِ : « ضِيَاعٌ » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

وقال أعرابي لأبن عم له : والله ما جفانكم بعظام ، ولا أجسامكم^(١)
 بوسام ، ولا بدت^(٢) لكم نار ، ولا طولبت^(٣) بشار .
 وقيل لأعرابي : لم قالت الحاضرة للعبد : باعك الله في الأعراب ؟ قال :
 لأننا نمرى جلده ، ونطيل كده ، ونجيع كبده .
 وقال طيفلي : إذا حدثت على المائدة فلا تزد في الجواب على نعم ، فإنك
 تكون بها مؤانسا لصاحبك ، ومسيغا للقميتك ، ومقبلا على شأنك .
 وقيل لأعرابي : أي شيء أحد ؟ قال : كيد جائعة ، تلقى إلى أمعاء ضالعة^(٤)
 وقيل لآخر : أي شيء أحد ؟ قال خرس جائع ، يلقى [إلى] معنى ضالع^(٥)
 وقال آخر :

أحب أن أضطاد ضببا سحبلأ^(٦) وورلا يرتاد رملأ أرملأ
 قالت سلتيمي لا أحب الجوزلا ولا أحب السمكات مأ كلا
 الجوزل : فرخ الحنم . والورل : دابة^(٧) . أرمل : صفة للورل . وإذا كان
 كذلك^(٨) كان أنتم له ، وهو^(٩) . يسفد فيهزل .

(١) في (١) : « ولا أجاسم » ؟ وهو تحريف .

(٢) كنتنا في (ب) . والذي في (١) : « نيرت » ، والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٣) يريد بالضالمة هنا القوة على احتمال ما يلقي إليها ، وكذلك الضالع الآتي بعد .
 والذي وجدناه في كتب اللغة أنه الضليح ، من الضلعة ، وهي القوة . ولم نجد الضالع بهذا
 المعنى . والذي في كتاب التنبيه على أغلاط أبي علي القالي ص ٢٢ أن المحفوظ : خرس قاطع
 يقذف في معنى جائع ، وهذا هو الصحيح .

(٤) السحبل : العظيم السن من الضباب . والورل دابة تشبه الضب وأعظم منه يسير .
 والأرمل : الذي لا زوج له . ويقال ذلك في الذكر على التشبيه . قاله في اللسان مستشهداً
 بهذا البيت ، وروايته فيه : « رمى الربيع والشتاء أرملأ » مكان قوله : « وورلا يرتاد » .

(٥) في (١) : « بيت » ؟ وهو تحريف ، وقد سبق التعريف بهذه الدابة في الحاشية
 التي قبل هذه . (٦) كذلك ، أي أنه أرمل لا زوج له .

(٧) في الأصل : « مري » ؟ وهو تحريف ، والسياق يقتضي ما أثبتنا .

ويقال : أَفْبَحُّ هَزِيلَيْنِ : المرأة والفَرَس ، وأَطْيَبُ غَتٍّ أَكْلَ غَتِّ الإبل ، وأطيب الإبل لحماً ما أَكَلَ السَّعْدَانُ^(١) ، وأطيب الغنم لبناً ما أَكَلَ الْحَرْبُثُ^(٢) .

ويقال : أَهْوَنُ مَظْلُومٍ سِقَاءُ مَرْوَبٍ ، وهو القى يُسْقَى منه قبل أن يُتَخَصَّصَ وتُخْرَجَ زُبْدَتُهُ .

ويقال : سَقَانَا ظَلِيمَةً وَطَيْبَةً^(٣) ، وقد ظَلَمْتُ أَوْطَبَ^(٤) الْقَوْمِ .

وقال الشاعر :

وصاحب^(٥) صِدْقٍ لَمْ تَنْلُنِي شَكَاتَهُ ظَلَمْتُ وَفِي ظَلَمِي لَهُ عَامِدًا أَجْرُ
يعنى وَطَبَ لَبَن .

وكان^(٦) الحسنُ البصريُّ إذا طَبَخَ اللحمَ قال : هَلَكُوا إِلَى طَعَامِ الْأَحْرَارِ .
قال سفيانُ الثوريُّ : إِنِّي لَأَلْقِي الرَّجُلَ فَيَقُولُ لِي مَرْحَبًا فَيَلِينُ لَهُ قَلْبِي ،
فكيف بمن أَطَأَ بَسَاطَهُ ، وآكلُ ثَرِيدِهِ ، وأزْدَرِدُ عَصِيدِهِ ؟ .

حكى أبو زيد : قد^(٧) هَجَأَ غَرَثِي^(٨) : إِذَا ذَهَبَ ، وقد أَهْجَأَ طَعَامُكُمْ
غَرَثِي : إِذَا قَطَعَهُ . قال الشاعر :

(١) السعدان : نبت تشبه شوكته حلة الثدي ، وهو من أفضل مرعى الإبل ،
ويقال في المثل : « مرعى ولا كالسعدان » .

(٢) الحربث : نبت منبسطة له ورق رفاق طيب الرائحة يزبل بخر الغنم .

(٣) في الأصل : « وطى » ؛ وهو تحريف .

(٤) في الأصل : « طيبة » ؛ وهو تحريف .

(٥) ورد هذا البيت في الحيوان ، ولم ينسبه كاهنا .

(٦) في (١) : « وقال » ؛ وهو تبديل من الناسخ .

(٧) في (١) : « قال » ؛ وهو تحريف . (٨) الثرت : الجروح .

والشراب تملؤا ، إذا شَبِغَتْ منهما وامتَلأت . ويقال : لَفَأَتْ ^(١) اللحمَ عن العظم
لَفَاءً ^(١) إذا جَلَفَتْ ^(١) اللحمَ عن العظم . وَالْفَيْئَةُ ^(٢) هي البَضْعَةُ التي لا عَظْمَ فيها
نحو النَّخْضَةِ ^(٢) والهَيَّةِ والوَدْرَةِ ^(٢) .

وَأُنْشَدَ يعقوب :

سَقَى ^(٣) اللهُ الفَضَا وَخُبُوتَ قَوْمٍ متى كانت تكون لم ديارا
أَناسٌ لَا يُنادِي ^(٤) الضَّيْفُ فِيهِمْ وَلَا يَقْرُونَ آيَةَ صِغَارَا
قال الأصمعي : قال ابن هُبَيْرَةَ : تَعْجِيلُ الغَدَاءِ يَزِيدُ في المِرْوَةِ ، وَيَطْيِبُ
النَّسَكَةَ ، وَيُعِينُ على قَضَاءِ الحاجة .

قال بعض العرب : أَطْيَبَ مَضْفَةٌ أَكَلَهَا الناسُ صَيِّحَاتِيَّةً مُصَلَّبَةً ^(٥) .
ويقال : آكَلُ الدَّوَابِّ ، يَرِذْذُونَهُ رَغُوثٌ وهي التي يَرْضَعُهَا وَلَدُهَا ^(٦) .
قال أبو الحارث حميد : ما رَأَيْتُ شَيْئًا أَشَبَهَ بِالْقَمَرِ لَيْلَةَ البَذْرِ مِنْ قَدْرِ
سُقِيَّتِ اللَّبَنِ كَثِيرَةِ الشَّكْرِ .

(١) في الأصل : « لَفَأَتْ ... لَفَاءً إذا جَلَتْ » ؛ وهو تحريف في هذه الكلمات الثلاث .
(٢) في الأصل : « وَالْفَيْئَةُ ... البَضْعَةُ ... والودنة » ؛ وهو تحريف في هذه
الكلمات الثلاث .

(٣) في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الشعر : سل الله ؛ وهو تحريف لا يستقيم به
المعنى ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا . ولم نجد هذين البيتين فيما راجعناه من الكتب . والخبوت :

جمع خبت ، وهو المظلم من الأرض .

(٤) لا ينادي الخ ، أي أنهم لا يكلفون الضيف مؤونة السؤال .

(٥) الصيحات : ضرب من تمر المدينة أسود صلب المنغ . والصلب : الذي خلط
بالصلب ، وهو الودك ، وهو مثل يضرب للتلاطم المتوافقين . وفي الأصل : « مقلية »
بالقاف والياء ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا نقلا عن مجمع الأمثال .

(٦) يلاحظ أن تفسير البرذونة الرغوث بهذا المعنى المذكور هنا غير صحيح ، إذ البرذونة
لا ولد لها . والرغوث من البراذين هي التي لا تكاد ترفع رأسها من الملف . أما التي يرضعها
ولها فهي الرغوث من الشياه . فلعل في الكلام نقصا ، وتمكثته : « والشاة الرغوث
هي التي ... الخ » .

فَأَخْرَاهُمْ^(١) رَبِّي وَذَلَّ عَلَيْهِمْ وَأَطَعْتَهُمْ مِنْ مَعْلَمٍ غَيْرِ مُهْجِي^(٢)
قال : ويقال بَأَزَتْ^(٣) مُبْزَرَةٌ فَأَنَا أَبَارُهَا ، إِذَا حَفَرْتَ حَفِيرَةً يَطْبِخُ فِيهَا
وَهِيَ الْإِرَّةَ . ويقال : أَرَتْ إِرَةً فَأَنَا أَثْرُهَا وَأَرَا .

وقال حسان :

تَخَالُ قُدُورَ الصَّادِ^(٤) حَوْلَ يُبُوتَا قَنَابِلَ دُهُمَا فِي الْمَبَاءَةِ صَيِّمَا
قال أبو عبيدة : كان الأصمى بخيلا ، وكان يجتمع أحاديث البخلاء ويوصي
بها ولده ويتحدث بها .

وكان أبو عبيدة إذا ذكر الأصمى أنشد :

عَظُمُ الطَّعَامِ بَعَيْنُهُ فَكَانَتْهُ هُوَ نَفْسُهُ لِلْأَكْلَيْنِ طَعَامُ
ويقال : أَسَأَزْتُ ، إِذَا أَبْقَيْتَ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ أَوْ غَيْرِهَا ، وَالْأَسْمُ الشُّؤْرُ
وَجَمَاعَتُهُ الْأَسَارُ . ويقال : فَأَذَتْ^(٥) الْخُبْزَةَ فِي الْمَلَّةِ^(٦) أَفَادُهَا^(٥) إِذَا خَبَزَتْهَا
فِيهَا . وَالْمَقَادُ^(٥) : الْحَدِيدَةُ الَّتِي يُخَبَزُ بِهَا وَيُشْوَى . ويقال : تَمَلَّتْ مِنْ الْأَكْلِ

(١) في الأصل : « فَأَجْزَاهُمْ » بالميم ؟ وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « مَهْجِي » ؟ وهو تحريف .

(٣) في الأصل : « فَأَرَتْ ثُورَةً فَأَنَا أَثَارُهَا » ؟ وهو تصحيف في الكلمات الثلاث .

(٤) الصاد : النحاس ، وقيل نوع منه . وفي الأصل : « الضَّان » ؟ وهو تحريف .
والقنابل : طوائف الخيل ، الواحد قنبل وزان جعفر وقنبلة . وفي الأصل : « قَنَادِيل » ؟ وهو
تحريف . وفي ديوان حسان : « فِي الْحَلَقَةِ » ، والمعنى عليه يستقيم ؟ وفي الأصل « فِي الْمَلَّةِ »
والظاهر أن هذا اللفظ محرف عما أثبتنا تقيلا عن محاضرات الأدباء . وقبل هذا البيت :

إِذَا اغْبَرَّ آفَاقُ السَّمَاءِ وَأَمَحَلَتْ كَأَنَّ عَلَيْهَا ثُوبَ عَصَبٍ مَسْهَمَا

وفي ديوان حسان : « حَسِبْتُ قُدُورَ » مكان قوله : « تَخَالُ » .

(٥) في الأصل : « فَأَذَتْ ... وَأَفَادُهَا .. » والمقاد : ؟ وهو تحريف في هذه

الكلمات الثلاث .

(٦) الملة : موضع النار .

وقال الشاعر :

وإني لأستعجى رفيقاً أن يرى مكان يدي من جانب الزاد أقرعاً
ضم^(١) عثمان بن رواح^(٢) السَّفرُ ورفيقاً له ، فقال له الرفيق : امض إلى
الشوق فأشتر لنا لحماً . قال : والله ما أقدر . قال : فضى الرفيق واشترى اللحم
ثم قال لعثمان : قم الآن فاطبخ القدر . قال : والله ما أقدر . فطمخه الرفيق .
ثم قال : قم الآن فامزُد . قال : والله إني لأعجزُ عن ذلك . فتردَّ الرفيق . ثم
قال : [قم] الآن فكل . فقال : والله لقد استعجيتُ من كثرةِ خلافٍ عليك ،
ولولا ذلك ما فعلت .

قال يونس : أتيتُ ابن سيرين فدعوتُ الجارية ، فسمعتُه يقول : قولي
إنه نائم . فقلت : معي خبيص . فقال : مكانك^(٣) حتى أخرج إليك .

قال أردشير : احذروا صولةَ الكريم إذا جاع ، والشم إذا شبع .
قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه جابر بن عبد الله : هلاك الرجل
أن يحترق ما في بَيْتِهِ أن يقدمه إلى ضَيْفِهِ ، وهلاك الضيف أن يحترق
ما قَدَّم^(٤) إليه .

وقال الشاعر :

يا ذاهباً في داره جاثياً^(٥) بنير معني وبلا فائدة
قد جن أضياؤك من جوعهم فاقراً عليهم سورة المائدة

(١) في إحدى النسختين : « صم » ؛ وهو تصحيف .

(٢) في (ب) : « ابن دراج » وهو تصحيف . (٣) في (أ) : « فراكبك » .

(٤) في الأصل : « واتدم » مكان قوله : « ما قدم » ؛ وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « خائباً » يعين ؛ وهو تصحيف في كلتا الكلمتين .

وقال ابن بذر:

ونحن نبذل عند القحط ما أكلوا من السديف إذا لم يؤسر القزع^(١)
وننحر الكوم^(٢) غبطا^(٣) في أرومتنا للنازلين إذا ما استنزلوا شبعوا

وقال آخر:

أطعمني بيضاً وناولني من بعد ما ذقت فقدم قدحا
وقال أي الأصوات تشلني^(٤)؟ يزيد، إني أراك مقترعا
قلت صوت المنلى وجردة^(٥) إن خاب ذا الأقرح أو صلحا
فقطب الوجه وأنثني غضبا^(٦) وكان سكران طافحا فصحا
قلت: إني مزحت، قال: كذا رأيت حرا بمثل ذا مزحا؟
قال ابن حبيب: كان الرجل إذا اشتد عليه الشتاء تنحى ونزل وحده
لئلا ينزل به ضيف فيكون صقعا مستحبا .

وهذا ضد قول زهير:

بسط البيوت لكي تكون مطية من حيث توضع جفنة استرفد
فإذا كان الشتاء انحاز الناس من الجذب والجهد، وإذا أخصبوا أغاروا
لثأر لا للشؤال .

(١) السديف: لحم السنام . والقزع بالقاف: السحاب . وفي الأصل: «القزع» بالقاء .

(٢) الكوم واحد كوما بفتح الكاف؛ وهي الناقة العظيمة السنام .

(٣) في الأصل: «غبطا»؛ وهو تصحيف .

(٤) في الأصل: «فاسلني» يريد؛ وهو تحريف .

(٥) الجردة: الرغبة، فارسية . وفي الأصل: «خودة»؛ وهو تحريف .

(٦) في الأصل: «حصنا»؛ وهو تحريف .

وقال الشاعر في عُبَيْدِ اللَّهِ بن عَبَّاس :

ففي السنةِ الجَذْبَاءِ أَطْعَمْتَ حَامِضًا وَخُلُوا وَشَعْمًا تَامِكًا^(١) وَسَنَامًا
وقال مجاهدٌ في قول الله عزَّ وجلَّ : (وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا) ، أى طعامًا ،
يقال : أَتَّكْنَا عند فلانٍ ، أى طَعِمْنَا .

ذكر الأعمشى أن أعرابياً خرج في سَفَرٍ ومعه جماعة ، فأرْمَلَ^(٢) بعضهم
من الزاد ، وحَضَرَ وقتُ العَدَاءِ وجعل بعضهم ينتظر بَعْضًا بالعَدَاءِ ، فلما أَبْطَأَ
ذلك عليهم عَمَدَ بعضهم إلى زاده فالتقاء بين يَدَيِ القَوْمِ ، فأَقْبَلُوا بِأَكْلُونِ ،
وجلس صاحبُ الزادِ بَعِيداً لِلتَّوْفِيرِ^(٣) عليهم ، فصاح به أعرابي : يَا سُوْدَدَاهُ !
وهل شَرَفٌ أَفْضَلُ من إطعامِ الطعامِ والإيثارِ به في وقتِ الحاجةِ إليه ؟ لقد
آثَرْتَ في مَخْمَصَةٍ ويومِ مَسْغَبَةٍ ، وتفرَّدْتَ بِمَكْرَمَةٍ قَعْدَ^(٤) عنها مَنْ أَرَى من
نُظْرَانِكَ ، فلا زالت نِعْمُ الله عليك غَادِيَةً وَرَائِحَةً .

وفي مثله يقول حاتم الطائي :

أَكْفُ يَدَيَّ مِنْ أَنْ تَنَالَ أَكْفَهُمُ إِذَا مَا مَدَدْنَاهَا وَحَاجَاتُنَا مَعَا
وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي رَفِيقِي أَنْ يَرَى مَكَانَ يَدَيَّ مِنْ جَانِبِ الزَّادِ أَقْرَعَا
قال : المَخْمَصَةُ : المَجَاعَةُ . وَالنَّخْمَصُ : الْجُوعُ .

قال شاعرٌ يَذُمُّ رجلاً :

يَرَى النِّخْمَصَ تَعْذِيبًا وَإِنْ يَلْقَى شَبْعَةً يَبِيتُ قَلْبُهُ مِنْ قِلَّةِ^(٥) الهمِّ مُبْهِمًا

(١) التامك : الكثير العظيم . (٢) أرمل من الزاد : فرغ ما عنده منه .
(٣) في الأصل : « يبدؤ القوفر » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين لا معنى له ، ولعل
الصواب ما أثبتنا . (٤) في الأصل : « فقد » ؛ وهو تحريف .
(٥) في الأصل « من شدة » ؛ وهو خطأ من الناسخ . والبيت لحاتم الطائي .

وقال المرقش الأكبر :

إِنْ يُخْصِيُوا يَغْنَوْا بِخُصْبِهِمْ أَوْ يُجْدِبُوا فَجُدُوبِهِمْ أَلَمْ
[وَكَتَبَ بَعْضُهُمْ ^(١) إِلَى آخِرِهِ] : إِنْ رَأَيْتَ أَنَّ تَرْوِيَ ظَلَمًا أَخِيكَ
بِقُرْبِكَ ، وَتُبَرِّدَ غَلِيلَهُ بِظُلْمَتِكَ ، وَتَوْنِسَ وَخَشَتَهُ بِأَنْسِكَ ، وَتَجَلَّوْا غِشَاءَ
نَظِيرِهِ بِوَجْهِكَ ، وَتَزَيَّنَ مَجْلِسُهُ بِجَمَالِ حُضُورِكَ ، وَتَجَمَّلَ غَدَاؤُكَ عِنْدَهُ فِي
مَنْزِلِكَ الَّذِي هُوَ فِيهِ سَاكِنٌ ، وَتَمَتَّتَ لَهُ السُّرُورُ بِكَ بِأَقَى يَوْمِكَ ، مُؤَثِّرًا لَهُ
عَلَى شَفَاكَ ، فَعَلْتَ — إِنْ شَاءَ اللَّهُ — .

وقال الشاعر :

وَكَأَنَّ هَذَرَ دِمَانِهِمْ فِي دُورِهِمْ لَفَطُ الْقَيْلِ ^(٢) عَلَى خِوَانِ زِيَادٍ
قَالَ بَعْضُ الْخُطَبَاءِ ^(٣) : الْعَجَبُ مِنْ ذِي جِدَّةٍ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ يَطْوِي جَارُهُ
جَوْعًا وَقِرًا ، وَأَفْرُخُهُ شُعْتُ جُرْدٍ مِنَ الرَّيشِ ، وَهُوَ مِنْبُطَانٌ مَحْتَشٍ مِنْ حُلُوهِ
وَحَامِضِهِ ، مُكْتَنٌّ فِي كِنِّهِ وَدِفْنُهُ ، مَزِينٌ لَهُ شَهْوَةٌ عَنْ أَدَاءِ الَّذِي عَلَيْهِ لَجَارُهُ
وَقَرِيبُهُ وَذِي حُلَّةٍ بِطَرِيهِ ^(٤) رَفِيهِ كَيْفَ يَأْمَنُ سَلْبًا مَفَاجِئًا ؟ أَمَا لَوْ وَجَّهَ بَعْضَ
فَضْلِهِ إِلَى ذِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ كَانَ مُسْتَدِيمًا لِمَا أُولَى ، مُسْتَزِيدًا مِمَّا أُوتَى .

قال الشاعر ^(٥) :

وَإِذَا تَأَمَّلَ شَخْصَ ضَيْفٍ مُقْبِلٍ مَتَسَرِّبٍ لِي سِرِّبَالٍ تَحُلِّ أَعْسَرِ

(١) في (١) : « كاتب » ثم ذكر الكتاب .

(٢) في الأصل : « القليل » ؛ وهو تصحيف .

(٣) في (ب) : « الحكماء » .

(٤) في (ب) : « وذی خلعة يطور به » ؛ وهو تحريف .

(٥) هو العلوي صاحب الزنج ، كما في مجموعة المغانى .

أوتما إلى الكونماء هذا طارق^١ فحزنتني الأعداء إن لم تنحري
[وفي هذه الأبيات ما يستحسن^(١) :

كَمْ قَدْ وَلَدْتُمْ مِنْ كَرِيمٍ مَاجِدٍ دَائِمِ الْأَطَافِرِ أَوْ غَمَامٍ مَمْطِرٍ
سِدِّكَتْ^(٢) أَنَامِلُهُ بِقَائِمٍ مَرْهَفٍ وَبَنَشْرٍ عَائِدَةٍ وَذِرْوَةٍ مِنْبَرٍ
يَلْتَقِي السِّیُوفَ بِوَجْهِهِ وَبَنَحْرِهِ وَيُقِيمُ هَامَتِهِ مَقَامَ الْمُفْقَرِ
وَيَقُولُ الْطَّرْفُ : اضْطَرِ لَشَبَا الْقَنَا قَعَقَرْتُ رُكْنَ الْمَجْدِ إِنْ لَمْ تُعْقَرِ
وَقَالَ آخَرُ :

وَقَالَ وَقَدَّمَ^(٣) كَشَكِيَّةَ فَكَلَّ شَيْعًا إِنِّهَا فِي النَّهَائَةِ
تَطْفِي الرُّرَارَ وَتَنْفِي الْخُمَارَ وَمَا بَقْدَهَا فِي النَّهَائَةِ غَايَةِ
وَلَا تَتَوَقَّعْ أَخِيرًا بِجِيحِكَ فَنِي أَوَّلِ الْمُسْتَطَابِ الْكِفَايَةِ
وَقَالَ آخَرُ :

كَأَنَّمَا فَوْهُ إِذَا تَمَدَّدَا لِلْقَمِّ أَخْلَاقُ جِرَابٍ أَسْوَدَا
كَأَنَّهُ مُخْتَرِصٌ^(٤) قَدْ جَوَّدَا جَانِي جِرَادٍ فِي وِعَاءٍ مِثْلَدَا^(٥)

(١) وردت هذه النكلة في (ب) مطبوعة الحروف تنمذر قراءتها ، مهمل من النقط ما ظهر منها ؛ وقد أثبتناها هكذا أخذنا من السياق . وبعضها من مجموعة الماني .

(٢) سدكت أنامله إلخ ، أى أولعت بقائم السيف ، يقال : سدك بالشيء ، إذا أولع به ونفقت يده في عمله .

(٣) في الأصل : « وقد قدم القوم » ؛ وهو تحريف ، كما أن قوله : « القوم » زيادة من الناسخ لا يستقيم بها وزن البيت .

(٤) المختصر الذى يضع في خرسه (بكسر الخاء) أى جرابه ما يريد . وفي (أ) القوم ورد فيها هذا الشعر وحدها دون (ب) مختصر ؛ وهو تصحيف . كما أن فيها : « هناء » مكان « كأنه » ولا معنى له أيضا .

(٥) أورد في اللسان هذا الشطر ، مادة « قلد » شاهدا على أن المثلد (بكسر الميم) الرجل المجمع .

وصاحب صاحبت غير أبعداً تراه بين الحرّبتين مُسنداً^(١)
الحرّبة : الفرارة .

وقال جابر بن قبيصة : ما رأيت أحلم جليسا ، ولا أفضل^(٢) رفيقا ،
ولا أشبه سريرة بقلانية ، من زياد .

وقال جابر أيضا : شهدت قوما رأيتهم بعثني ، فإرأيت أقرأ لكتاب
الله ، ولا أفقه في دين الله ، من عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وما رأيت رجلا
أعطى من صواب ماله في غير ولاته ، من طلحة بن عبيد الله . وما رأيت رجلا
أسود من معاوية . وما رأيت رجلا أنصع^(٣) ظرفا ، ولا أخضر جوابا ،
ولا أكثر صوابا ، من عمرو بن العاص . وما رأيت رجلا العروة عنده أنفع
منها عند غيره ، من المنيرة بن شعبة .

ويقال : ما كان الطعام مريثا ولقد مرأ ، وما كان الرجل مريثا وقد مرؤ .
وقال لنا القطان أبو منصور رئيس أهل قزوين : الرجل من أرض أردبيل
إذا دخل بلدًا يسأل فيقول : كيف الخبز والمبرز^(٤) ، ولا يسأل عن غيرها .
ف قيل له : لم ذلك ؟ فقال : يأخذ الخبز والمبرز يأكل ويسلح^(٥) إلى الصباح .
قال الشاعر :

وما تُفْسِنَا الأيامُ لا نَفْسَ جُوعَنَا بدارِ بَنِي بَلَدٍ وَطُولِ التَّلَدِ

(١) أورد في اللسان هذين الشطرين مادة (حرب) . والذي في الأصل :

وصاحب صاحب عيرا بعيدا تراه بين الحرّبتين النج

ولا يخفى ما في ذلك من تحريف .

(٢) في الأصل : « أغضب » .

(٣) في (١) : « أبيض طرف » ؛ وأمل صوابه ما أثبتنا .

(٤) المبرز : المطلق للطن .

(٥) في كلتا النسختين : « يسرج » بالسين ؛ وهو تحريف .

ظَلَمْنَا كَانَا بَيْنَهُمْ أَهْلُ مَا نَمُرُ عَلَى مَيِّتٍ مُسْتَوْدَعٍ بَطْنٍ مَلْعَدٍ
يُحَدِّثُ بَعْضُ بَعْضُنَا عَنْ مُصَابِهِ وَيَأْمُرُ بَعْضُ بَعْضُنَا بِالْتَجَلُّدِ
وقال آخر :

دَعُونِي فَإِنِّي قَدْ تَقَدَّيْتُ أَنَا فَإِنْ مَسَّ كَفِّي خُبْرَ كَمْ فَاقْطَعُوا يَدَيَّ
وقال آخر يَصِفُ دَارَ قَوْمٍ :

الْجُوعُ دَاخِلُهَا وَاللَّوْحُ^(١) خَارِجُهَا وَلَيْسَ يَقْرُبُهَا خُبْرٌ وَلَا مَاءٌ
قال الملالق : أتى رجل أبا هريرة فقال : إنني كنتُ صائما فدخلتُ بيتَ
أبي فوجدتُ طعاما ، فنسيتُ فأكلتُ . قال : الله أطعمك . قال : ثم دخلتُ
بيتا آخر فوجدتُ أهله قد حلبوا لقمحتهم فسموني ، فنسيتُ فشربتُ . فقال :
يا بُنَيَّ هَوْنٌ عَلَيْكَ فَإِنَّكَ قَلْبًا اعْتَدْتَ الصِّيَامَ .

وقال الشاعر :

وَجَدْتُ وَعْدَكَ زُورًا فِي مَرْوَرَةٍ^(٢) ذَكَرْتُ مَبْعَدَنَا إِحْكَامَ طَاهِيهَا^(٣)
فَلَا شَفَى اللَّهُ مَنْ يَرْجُو الشِّفَاءَ بِهَا وَلَا عَلَتْ كَفُّ مُلْقٍ كَفَّهُ فِيهَا
فَأَحْسِنَ رَسُولَكَ عَنِّي أَنْ يَجِيءَ بِهَا فَقَدْ حَبَسْتُ رَسُولِي عَنْ تَقَاضِيهَا
قال مطرف بن عبد الله بن الشَّخِيرِ عن أبيه : قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنْتَ سَيِّدُنَا ، وَأَنْتَ أَطْوَلُنَا عَلَيْنَا طَوْلًا ،

(١) اللوح : العطش . والذي في (١) التي ورد فيها وحدهما هذا الشعر « والنوح »
وما أثبتناه هو المناسب لقوله بعد : « ولا ماء » .
(٢) المرورة : مِرْقَةٌ تعمل بغير لحم يصفونها للمرضى .
(٣) في الأصل : « ظاهيها » ؛ وهو تحريف .

وَأَنْتَ الْجَنَّةُ الْغَرَاءُ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَفِزَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ » .

وقال آخر :

وَأَخْمَرُ مُبَيِّضُ الزُّجَاجِ كَأَنَّهُ رِداءُ عَرُوسٍ مُشْرَبٌ بِخَلْقٍ
لَهُ فِي الْحَشَا بَرْدُ الْوِصَالِ وَمُطْمَئِنٌّ^(١) وَإِنْ كَانَ يَلْقَاهُ بِلَوْنٍ حَرِيقٍ
كَأَنَّ بَيَاضَ الْوُزْرِ^(٢) فِي جَنَابَتِهِ كَوَاكِبُ دُرٍّ فِي سَمَاءٍ عَقِيقٍ
قال يونس : أَشَدُّ طَعَامٍ غُرًّا مَا كَانَ مِنْ عَامٍ إِلَى عَامٍ ، وَهُوَ اللَّبَأُ الَّذِي
لَا يُوْجَدُ إِلَّا فِي الْوِلَادَةِ كُلِّ عَامٍ وَإِنْ كَانَ مَزِيدًا .
حَكَى يونس : التَّنَافِيطُ^(٣) ، أَنْ يُنْزَعَ شَعْرُ الْجِلْدِ^(٤) ، نَمَّ يُلْقَى فِي النَّارِ
نَمَّ يُوْكَلُ ، وَذَلِكَ فِي الْجَذَبِ .

وقال الشاعر :

جَاوَزْتُ شَيْبَانَ فَأَخْلَوْنِي جِوَارُهُمْ إِنَّ الْكِرَامَ خِيَارُ النَّاسِ لِلجَارِ
وَكَتَبَ ابْنُ دِينَارٍ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ : وَكَثَبَتْ تَفَضُّلاً مِنْكَ تَعْتَذِرُ مِنْ تَأْخُرِكَ
عَنْ قَضَاءِ حَقِّ زِيَارَتِي بِمُصَوِّرِ يَدَيْكَ عَنْ بَرٍّ يُشْبِهُنِي وَيُشْبِهُكَ ؛ فَأَمَّا مَا يُشْبِهُنِي
فِي هَذَا الْوَقْتِ فَرَفِيفٌ وَسُكْرٌ جَدُّ كَأَمْنٍ حَرِيفٍ يَنْقُبُ اللِّسَانَ بِمِرَافِقَتِهِ .
وَكَانَ ابْنُ أَبِي الْبَقَلِ إِذَا أَنْشَدَ : * أَرُونِي مَنْ يَقُومُ لَكُمْ مَقَامِي * يَقُولُ :

(١) فِي (ب) : « وَطِيه » .

(٢) فِي (أ) : « الْوَنُ » بِالْوَوْنِ ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٣) وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْأَصْلِ مَهْمَلَةً الْحُرُوفِ مِنَ النُّقْطِ تَعْتَذِرُ قِرَاءَتِهَا . وَفَدَّ
أَهْبَتْنَاهَا هَكَذَا نَقْلًا عَنْ كُتُبِ الْفَنِّ بِمَدِّ تَقْلِيلِهَا عَلَى عِدَّةٍ وَجُوهٍ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « الْخَلْد » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

لو شهدتُ قاتله لقلت : كلبُ الحارس يقوم مقامك . هذه قصة في حضور ما يشبهني ، فأما ما يشبهك فتمتدّر كما قيل :

• ومطلبٌ مثلي إن أردتَ عسير^(١) •

وقال رجل لمبيد الله بن زياد بن علبان : ما أعددتُ في كِنَاتِي سَهْمًا غيرك . فقال : لا تُعدني في كِنَاتِيك فوالله لو قتُ فيها لطلتُها ، ولو جلستُ فيها لحرقتها . ولئن أنظرتَ بي ما يشبهك طال الانتظار ، والعامةُ تتمثل^(٢) — على خساسةٍ لفظها — : « إذا أردتَ ألا تزوجَ أبنتك فبالِ بَهْرَها » . وأملِ فيك على الأحوال بعيد ، وثلثي فيك جميل ، ولستُ أخشى فيما لي عندك القوتَ فأعجله ، • وهل يُلقم الكلبُ إلا الحجر • .

العربُ تقول : لثيمٌ جبان^(٣) .

وقال أعرابي : لا يكنْ بطنُ أحدكم عليه مفرمًا ، ليكسره بالثيمرة والكسيرة والبقيلة والمليكة .

قال ابنُ الأعرابي : الفرزدقُ ، الرّغيفُ الواسع .

قيلَ لأبنِ القُرَيْبَةِ^(٤) : تكلم . فقال : « لا أحبُّ الخبزَ إلا يابسا » . أراد لا أحبُّ أن أتكلَّم إلا بعد الارتشاء .

وروى أبو عبيدة في تفسير بيتِ الأعشى في ديوانه :

(١) في (١) : « عزيز » .

(٢) في (١) : تقول .

(٣) كذا وردت هذه العبارة في الأصل ، والظاهر أن لها بقية سقطت من النسخ .

(٤) في الأصل : « ابن القرم » .

(١) [إذا ما هم جلسوا بالعشي] فأحلام عاد وأيدى هضم قال : شبههم بأنسال عاد ، وهم ثمانية ذؤ وأحلام وسؤد : مالك — وهو سيّد الثمانية — وعمار وطقيل^(٢) ، وشمر ، وقرزعة^(٣) ، وحمة ، ونثض^(٤) ، ودقيف ؛ وهم الذين بعث لقمان بن عاد جارية بُسّ من البن ، فقال لها : إيتي الحى فأدفعيه إلى سيّدهم لا تسألى عنه . فأنت الجارية الحى ، فرأيتهم مختلفين بين عامل ولاعب ، وثمانية على رؤوسهم الطير وقاراً ؛ ورأت جارية من الحى ، فأخبرتها بما قال لقمان ؛ قالت : هؤلاء سادة الحى ، وسأصيف لك كل واحد منهم ، فأدفعى العس إلى من شئت أما هذا فعمار ، أخاخذ ودار^(٥) ، لا تحمّد له نار ، المعشبات عقار (المعشبة : التى تسمن على شجر قديم) ، وأما هذا فحمة ، غداؤه كل يوم ناقة سنمة^(٦) ، وبقرة شحمة ، وشاة^(٧) كدمة . وأما هذا فقرزعة^(٨) ، إذا لقي جائئاً أشبعه ، وإذا لقي قروناً جمعجه^(٩) وقد خاب جيش لا يغزومه . وأما هذا فطقيل ، غصبه حين يغضب ويبل ، وريضاء حين يرضى سئيل ، ولم تحمّل مثله على ظهرها إبل ولا خيل ، وأما هذا فشمر ،

(١) لم يرد هذا الشطر الذى بين مربعين فى الأصل ؛ وقد أثبتناه عن شعر الأعشى للبطوح فى أوربا . وفى الأصل : « وأنشد » مكان قوله : « وأيدى » ؛ وهو تحريف . وهضم بضمتين : جمع هضوم ، وهو الجواد المتلاف .

(٢) فى الأصل : « وثمبل » ؛ وهو تحريف .

(٣) كذا ورد هذا الاسم فى كلا الموضعين اللذين تحت هذا الرقم فى (١) التى ورد فيها وحدهما هذا الكلام ؛ ولم نجد من نص على تصحيحه بالبارة .

(٤) كذا ورد هذا الاسم فى (١) التى ورد فيها وحدهما هذا الكلام هنا وفى صفحة ٥٠ سطر ٣ . ولم نجد من نص على تصحيحه فيما راجعناه من المظان .

(٥) ودّره : أهلكه .

(٦) فى الأصل : « شبة » ؛ وهو تحريف .

(٧) فى الأصل : « وسماه » ؛ وهو تحريف . والشاة الكدمة : الغليظة السمينة .

(٨) جمعجه : نحره .

ليس في أهله بالشحيح اتقتر، ولا المُسْرِف البَطِر، ولا يَخْدَع الحَيَّ إذا أُوْتِمِر^(١).
 وأما هذا فدُفِيف، قارى الضَّيْف، ومُعِيدُ السَّيْف، ومُعِيل^(٢) الشَّتَاء والصَّيْفِ
 وأما هذا فنَفِضٌ، أَصْنَتَ الحَيَّ فَرِض، فَعَدَلَ مَرَضَهُ عِنْدَهم إِنْشَاءَهُمْ
 (أى قَعَطَهُمْ)، فقاموا^(٣) عليه فأَوْسَعَهُمْ دَقِيقًا وَلَحْمًا غَرِيضًا، وَمِسْكَ
 رَمِيضًا^(٤)، وكسَاهُمْ ثِيَابًا بَيْضًا؛ وأما هذا فَصَالِك، حَامِيَتُنَا^(٥) إذا غَزَوْنَا،
 وَطِيمٌ وَلِدَانِنَا إذا شَتَوْنَا^(٦)، ودافعُ كُلِّ كَرِيهَةٍ إذا عَدَّتْ عَلَيْنَا. فدَفَعَتْ
 العُسَّ إلى مَالِكٍ، فكان سَيِّدَهُمْ.

بَشَّرَتْ أَسْرَاءَ زَوْجِهَا بَأَن أَبْنَاهَا مِنْهُ قَدْ اتَّقَر^(٧)، قَالَ: أَتُبَشِّرُ بِنِى بَعْدُ
 الْخُبْرِ؛ أَذْهَبِي إِلَى أَهْلِكَ.

قال الشاعر:

مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي أَبَا زَيْنٍ بَكْرَ بْنَ نَطَاحٍ بِفَلَسَيْنِ
 كَأَنَّمَا الْأَكِلُ مِنْ خُبْرِهِ يَقْلَعُ مِنْهُ شَحْمَةَ الْعَيْنِ
 وَأَنْشَدَ غَلِيمٌ مِنْ بَنِي دُيُورٍ^(٨) :
 يَا بَنَ الْكَرَامِ حَسْبًا وَنَاثِلًا حَقًّا أَقُولُ لَا أَقُولُ بِاطِلًا

- (١) أُوْتِمِر: استشير.
 (٢) يقال: أعال الرجل أهله، إذا كفاهم ومانهم، كما لهم.
 (٣) قاموا عليه، أى قاموا بخدمته وما يصلحه في مرضه.
 (٤) الرَّمِيض: الحاد، يريد هنا حدة الرائحة. والذي في الأصل: « رَفِيضًا »؛
 ولعله محرف عما أَتَيْنَا. أو لعله: « فُضِيضًا »، أى متفتتا متكسرا.
 (٥) حَامِيَتُنَا الخ، أى أنه يحمى بيوت الحمى من المفيرين إذا خرج الرجال للغزو.
 (٦) في الأصل: « سنونا »؛ وهو تحريف.
 (٧) اتقتر الغلام واتقتر: نبت ثمره.
 (٨) في الأصل: « دينار »؛ وهو تحريف.

إليك أشكو الدهر والزلازلا وكل عام نفتح الحماثلا^(١)
التفتيح : القشر ، أى قشروا حماثل سيوفهم فباعوها لشدة زمانهم .
وأنشد :

سلا أم عباد إذا ريح أعصفت وجلل أطراف الرعان قمامها^(٢)
وجفت بقايا الطرق إلا نصية^(٣) يصد الأشافي^(٤) والمواصي سنامها
وهم إلى الليل منزل رقة ترامت بهم طغياه^(٥) داج ظلامها
تكاد الصبا تهتزهم من ثيابهم شديدا بأرباط الرجال اعتصامها
لقد علمت أنى مفيد ومتلف ومطعم أيام يحب طعامها
وقال آخر :

إن بنى غاضرة الكراما إن يقيم الضيف بهم أعواما
يكن قراء اللحم والسناما أو يضح الدهر لم غلاما
يكن ظريفا وجهه كراما

وقال سماعة بن أشول :

رأت إبلا لأبني عبيد تمنعت من الحق لم تورك بحق إياها^(٦)

(١) فى الأصل : « الحلائلا » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : « قيامها » ؛ وهو تحريف . وأطراف الرعان ، يريد أطراف الجبال .

(٣) فى الأصل : « نصية » بالفاء والصاد ، وهو تصحيف .

(٤) الأشافي : الثاقب ، وأحدته إشني بكسر الهزة وسكون الشين والفاء المفتوحة .
وفى الأصل : « نصد السلافى » وهو تحريف . يقول : إن سنامها لم يبق فيه ما تخرجه
الأشافي ولا المواصي : جمع موسى .

(٥) الطغياه : الظلمة الشديدة .

(٦) كذا ورد هذا الشطر فى (١) التى ورد فيها وحدها هذا الكلام ؛ ولم نجد فيه فيما
راجعناه من الكتب .

فَقَالَتْ أَلَا تَعْدُو لِقَاحُكَ هَكَذَا فَقُلْتُ أَبْتُ ضِيْفَانَهَا وَعِيَالَهَا
فَمَا حَلَبْتُ إِلَّا الثَّلَاثَةَ^(١) وَالثَّنَى وَلَا قِيْلْتُ إِلَّا قَرِيْبًا مَقَالَهَا
وَأَنْشَدَ أَبُو الْجَرَّاحِ :

أَرَى الْخِلَانَ قَدْ صَرَمُوا وَصَالِي وَأَضْحَوْا لَا سَلَامَ وَلَا كَلَامَ
وَمَا أَذْنَبْتُ مِنْ ذَنْبٍ إِلَيْهِمْ سِوَى خَفٍّ^(٢) الْمَنَاحِ وَالسَّوَامِ
وَقَالَ آخَرُ :

خِرْقٌ إِذَا وَقَعَ^(٣) الْمَطِيُّ مِنَ الْوَجَا لَمْ يَطْوِ دُونَ دَقِيقِهِ ذُو الْمِرْوَدِ
حَتَّى تَوَوَّبَ بِهِ قَلِيْلًا^(٤) حَمْدَ الرَّفِيقِ نَدَاكَ أَوْ لَمْ يَحْمَدِ
وَقَالَ آخَرُ :

تَزَوَّدْتُ إِذْ أَقْبَلْتُ نَحْوَكَ^(٥) غَادِيَا إِلَيْكَ وَنَحْوِ^(٥) النَّاسِ لَا أَنْزَوْدُ
أَرَانِي إِذَا مَا جِئْتُ أَطْلُبُ نَائِلًا نَظَرْتُ إِلَى وَجْهِكَ كَأَنَّكَ أَرْمَدُ

(١) الثلاثة بضم الثاء ، أى الثلاثة بفتحها ؛ يريد أنها لم تحلب إلا الثلاثة من الآنية أو الاثنين . وقيل بضم القاف وتشديد الياء المكسورة : ذكره ثعلب هكذا ؛ ورواها بعضهم قيلت بفتح القاف من القيل بمعنى اللبن القذى يعرب وقت الغائلة (السان) (مادة ثلث) .
(٢) خف المنائح ، أى خففتها ، مصدر خَفَفَ ؛ يريد قلّة للنائح ، جمع منيحة ، وهى الناقة الممنوحة للارتفاع بوبرها وولدها ولبنها . وفى الأصل « جف » بالجم ؛ وهو تحريف .
(٣) فى الأصل : « رقع المطى من الرحا » ؛ وهو تحريف فى كلتا الكلمتين . ويريد تولى الطايا وتحاذلها عن المشى من طول السفر وشدة ما أصاب حوافرها من المشى . يصف بمدحها بالكرم فى هذه الحال ، وأنه خرق أى كرم متغرق فى المعروف وأن ذا مزوده (أى صاحب زاده القيم عليه) لم يُخَفِّرْ دقيقه ولم يُخَبِّثْهُ ، بل يبذله للمرلين من الرفاق .
(٤) كذا ورد هذا الشطر فى الأصل ناقصا ؛ ولم تنف عليه فيما راجعناه من الكتب .
(٥) فى الأصول : « نحول » مكان « نحوك » و « حق » مكان « ونحو » ؛ وهو تحريف فى كلتا الكلمتين .

ويقال : أزواد^(١) الركب من قریش أبو أمية بن المغيرة ، والأسود^(٢)
ابن الطلب بن أسد بن عبد العزى ، ومُساوِرُ بن أبي عمرو بن أمية عم عتبة
كانوا إذا سافروا خرج معهم الناس فلم يتخذوا زاداً ، ولم يؤقدوا ناراً
كانوا يكفونهم .

وقال الشاعر :

وبالبدوِ جود^(٣) لا يزال كأنه رُكَّامٌ بأطرافِ الإِكامِ يَمُورُ

وقال آخر :

والناسُ إن شِيعَتْ بَطُونُهُمْ فَفَتَرُهُمْ^(٤) مِنْ ذَلِكَ لَا يَشْبَعُ

وقال آخر :

دُورٌ تحاكي الجنانَ حُسناً لَكِنْ سَكَّانَهَا خِساسُ

مَتَى أَرَى الْجُنْدَ سَاكِنِيهَا فِي دَهَالِيزِهَا يَدَّاسُ

وقال آخر :

لولا مخافةُ ضغني عن ذوى رَحْمِي وحالُ مُتَعَصِّمِي مِنْ ذَوَى عَدَمِ

وحاجةُ الأَخِ^(٥) تَبْدُو لِي فَأُنْجِحُهَا لَمْ أَتْنِ فِي عَمَلِي كَفَى عَلَى قَلَمِي

وقال آخر :

وَأَوْرُضُ ضَيْفِي حِينَ لَا يُوجَدُ الْقَرَى بِقُوتِي أَحْبَبُوه وَأَرْفُدُ طَاوِيَا

(١) في الأصل : « ازدار الراكب » ؛ وهو تصحيف في كلتا الكلمتين .

(٢) في شرح القاموس « زمة بن الأسود » .

(٣) في الأصل : « جوع » ؛ وهو تحريف ، إذ ليس من المعروف تشبيه الجوع بالسحاب المتراكم ، وإنما يشبه بذلك الجود .

(٤) في الأصل : « فتَرْتهم في » ، وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « لاح » ، وهو تصحيف .

وما أَسْتَكْثَرَتْ نَفْسِي لِإِذْلٍ وَجْهِهِ تَوَالًا وَإِنْ كَانَ النَّوَالُ حَيَاتِيَا
وقال المبرد : البَطْنُ : الذى لَا يَهْمُهُ إِلَّا بَطْنُهُ . والرَّغِيبُ : الشَّدِيدُ
الْأَكْلُ . والمَمْهُومُ : الذى تَمْتَلِي بَطْنُهُ وَلَا تَنْتَهَى نَفْسُهُ .

وأنشد ابن الأعرابي :

وإنَّ قِرَى أَهْلِ النَّبَاجِ أَرَانِبٌ وَإِنْ جَاءَ بَعْدَ الرِّيثِ فَهُوَ قَلِيلُ
إِذَا صَدَّ مَمْهُورٌ^(١) وَأَعْرَضَ مَمْهُرٌ
وقال آخر :

يَمِينُكَ^(٢) فِيهَا الْخِصْبُ وَالنَّاسُ جُوعٌ وَقَدْ شَمِلَتْهُمْ حَرْجَفٌ^(٣) وَدَبُورٌ
وقال آخر :

أَلْقَتْ قَوَائِمَهَا خَسًا^(٤) وَتَرَنَّتْ طَرَبًا كَمَا يَتَرَنُّ السَّكْرَانُ
يَعْنِي قِدْرًا . وقَوَائِمُهَا ، يَعْنِي الْأَثَافِي . وَخَسًا : فَرَدَ .
وَأَنْشَدَ :

بِئْسَ غِذَاءُ الْعَرَبِ الْمَرْمُوعُ^(٥) حَوَابَةٌ تَنْقُضُ بِالضُّلُوعِ
الرَّمَاعُ^(٦) : دَاءٌ . وَحَوَابَةٌ : دَلْوٌ كَبِيرَةٌ . وَالْحَوْبُ وَالْخَوْبُ : الْإِنِّمُ .

(١) المَمْهُورُ : الذى سقطت أسنانه لا يقدر على الأكل

(٢) فى الأصل : « عينك » ؛ وهو تحريف .

(٣) الحَرْجَفُ : الرِّيحُ الشَّدِيدَةُ ، وَكُنِيَ بِالْحَرْجَفِ وَالدَّبُورِ مِنَ الْجَدْبِ ، وَفِي الْأَصْلِ :

« وَقَدْ شَمَلَهُمْ حَرْجَفٌ وَدَبُورٌ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فى الأصل : « قرائمها حسا » وهو تحريف فى كلتا الكلمتين ؛ والتصحیح عن

كتب الفقه .

(٥) فى الأصل : « العرب المرفوع * خوانه » الخ البيت ؛ وهو تحريف كما ترى .

(٦) عبارة الأصل : الرَّمَاعُ وَخَوَانَهُ دَاءٌ كَثِيرَةٌ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِى جَمِيعِ هَذِهِ الْأَفْظَاءِ

وَقَدْ ذَكَرَ اللُّغَوِيُّونَ أَنَّ الرَّمَاعَ دَاءٌ فِى الْبَطْنِ يَصْفَرُّ مِنْهُ الْوَجْهُ . وَتَنْقُضُ الضُّلُوعُ ، أَيْ تَسْمَعُ
الْأَضْلَاعُ نَقِیضًا ، أَيْ صَوْتًا مِنْ ثِقَلِ تِلْكَ الْعُلُوِّ .

والحبيبة : الحال . والحَوْبَاءُ : النفس ^(١) .

العَرَبُ يَقُولُ : مَا لَا تَبْنَ ^(٢) مَعَهُ وَلَا غَيْرَهُ . خَبِرْتُ قَقَارَ : لَا أُدَمُّ مَعَهُ . وَسَوِيقٌ جافٌّ هُوَ الَّذِي لَمْ يَلْتَ بِسَمْنٍ وَلَا زَيْتٍ . وَحَفْظَلٌ مُبَسَّلٌ ، وَهُوَ أَنْ يُؤْكَلَ وَحْدَهُ .

قال الراجز :

بُسُ الطَعَامُ الحَفْظَلُ المُبَسَّلُ يَجْعُ مِنْهُ كِبْدَى وَأَكْسَلُ ^(٣)
وَيَنْجَعُ أَيْضًا .

وقال أبو الجراح : المُبَسَّلُ يُحْرِقُ الكَيْدَ . والمُبَسَّلُ ^(٤) : أَنْ يُؤْكَلَ بِتَمَرٍ ^(٥) أَوْ غَيْرِهِ ، يُقَالُ بَكَّلُوهُ ^(٦) لَنَا ، أَيْ اخْلَطُوهُ . قَالَ : وَعِنْدَنَا طَعَامٌ يُقَالُ لَهُ : الخَوْلَعُ وَهُوَ أَنْ يُؤْخَذَ الحَفْظَلُ فَيُنْقَعَ مَرَّاتٍ حَتَّى تَخْرُجَ مَرَارَتُهُ ، ثُمَّ يُخْلَطَ مَعَهُ تَمَرٌ وَدَقِيقٌ ، فَيَكُونُ طَعَامًا طَيِّبًا .

وقال : الخَلِيطَةُ والنَّخِيسَةُ والقَطِيبَةُ : أَنْ يُحْلَبَ لَبَنُ الضَّأْنِ عَلَى لَبَنِ الْمَغْزَى ، وَالْمَغْزَى عَلَى لَبَنِ الضَّأْنِ ، أَوْ حَلَبَ التُّوقِ عَلَى لَبَنِ الْقَمَمِ .

قال :

• اسقَى ^(٧) وَأَبْرَدَ غَلِيلِي •

(١) يلاحظ أن استطراد المؤلف هنا يذكر الحوب لا مناسبة له ، فإن الحوابة في البيت إنما هي من مادة « حَاب » ، والحوب الذي ذكره من مادة (حوب) .

(٢) يريد بالبن ما يعم أنواع الملف .

(٣) في الأصل : « وَأَبْسَل » ؛ وهو تحريف .

(٤) ورد هاتان الكلمتان اللتان تحت هذا الرقم في الأصل بالبدال مكان الباء ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا قلا عن كتب اللغة . يقال : بَكَلَهُ : إِذَا خَلَطَهُ .

(٥) في الأصل : « مَرَا وَغَيْرِهِ » ؛ وهو تحريف .

(٦) لم ترد في الأصل بقية هذا البيت ؛ ولم نجده فيها واجتناه من الكتب .

صَلَّى الرَّجُلُ : سَمِنَ بَعْدَ هُزَالٍ .

قِيلَ لَطْفِيلُ الْعَرَائِسِ : كَمْ أَثْنَيْنِ فِي أَثْنَيْنِ ؟ قَالَ : أَرْبَعَةُ أَرْغِفَةٍ .

وَقِيلَ لَهُ : حُكِيَ أَنَّ الْعَرَبَ يَقُولُ نَحْنُ الْعَرَبُ أَقْرَى النَّاسِ لِلضَّيْفِ ،

فَقَالَ : إِنَّ هَذَا النَّصَبَ عَلَى الْمَذْحِ .

وَقَالَ الْعُمَانِيُّ :

مَنْ كُلُّ جَلْفٍ ^(١) لَمْ يَكُنْ مُصَرِّمًا جَمْدٌ يُرَى مِنْهُ التَّصْنُغُ رَيْثًا ^(٢)

لَمْ يَتَجَشَّأْ مِنْ طَعَامِهِ بَشًا ^(٣)

وَلَمْ يَبْتَ مِنْ فَتْرَةٍ مُوصِمًا ^(٤) يَفْمِزُ صُدْغَيْهِ وَيَشْكُو الْأَعْظَمَا

إِذَا أَجَاعَ بَطْنَهُ تَحَزَّمًا ^(٥) لَمْ يَشْرَبِ الْمَاءَ وَلَمْ يَحْشَ الظَّلَا

يَكْفِيهِ مِنْ قَارِصَةٍ ^(٦) مَا يَمَّا

(١) فِي الْأَصْلِ حَلْفٌ بِالْمَاءِ الْمَهْمَلَةِ ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ . وَقَوْلُهُ : لَمْ يَكُنْ مُصَرِّمًا ، لِأَنَّهُ أَنْ يَفْسُرَ بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُتَعَلِّمًا ، مَأْخُوذٌ مِنَ الصَّرْمِ بِكَسْرِ الصَّادِ وَهُوَ الْخَلْفُ الَّذِي لَهُ فَعْلٌ . وَإِنَّمَا أَنْ يُرَادَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ذَا مَالٍ مَأْخُوذٌ مِنَ الصَّرْمَةِ بِكَسْرِ الصَّادِ ، وَهِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ الْإِبِلِ مِنَ الْأَرْبَعِينَ إِلَى الْخَمْسِينَ ؛ وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ فِي عِدَّةٍ .

(٢) رَيْثًا ، أَيْ يَتَصْنَعُ رَيْثًا يَنَالُ بَيْتَهُ . وَفِي الْأَصْلِ رَيْثًا ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) وَرَدَّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الَّذِي وَضَعْنَا فِيهِ هَذِهِ لِلنَّقْطِ شَطْرَ مِنْ هَذِهِ الْأَرْجُوزَةِ مَهْمَلٌ أَكْثَرُ حُرُوفِهِ مِنَ النَّقْطِ وَمَطْمُوسٌ بِضَمِّهَا ، وَلَمْ نَهْتَدِ إِلَى وَجْهِ الصَّوَابِ فِيهِ ، كَمَا أَنَّا لَمْ نَعْتَرِ عَلَى الْأَرْجُوزَةِ فِي الْمَوَاقِفِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا ؛ وَهِيَ هَذِهِ الشُّطْرُ كَمَا فِي الْأَصْلِ :

* وَلَمْ يَرْحَنَّا غَرْمَانَا أَدَمًا *

(٤) يُقَالُ وَصَمْتُهُ الْحَمَى بِتَشْدِيدِ الصَّادِ إِذَا جَمَلَتْ فِي جَسَدِهِ فَتَرَةً . وَيُقَالُ وَصَمْتُهُ التَّبُّ إِذَا فَتَرَ جَسَدَهُ وَأَكْسَلَهُ . وَفِي الْأَصْلِ : « فَتْرَةٌ » بِالْغَايَةِ ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ .

(٥) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الشَّعْرُ : إِذَا أَجَاعَ قِبْطَةً تَحَدَّمَا . وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ . وَسِيَاقُ الشَّعْرِ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا .

(٦) الْقَارِصَةُ : الطَّائِفَةُ مِنَ الْبَلْبِ الْحَامِضِ الَّذِي يَحْدَى الْإِنْسَانَ بِحَرَافَتِهِ .

وَخَلَّةٌ^(١) مِنْهُ إِذَا مَا أُعْيِمَا أَصَابَ مِنْهُ مَشْرَبًا وَمَطْعَمًا
لَا يَفْقِرُ الشَّارِفَ إِلَّا نُحْرِمَا^(٢) وَلَا يَغَافُ^(٣) بَصَلًا وَسَلَاجِمَا
يَوْمًا وَلَمْ يَفْقِرْ لِبطيخٍ فَمَا فَهُوَ صَاحِبٌ لَا يَخَافُ سَمًا
أَسْوَدَ كَالْحَرَاثِ^(٤) يُدْعَى شَجَمَا^(٥) مِنْ طُولِ مَا تَأْتِمَا
لَمْ يَبَلْ^(٦) يَوْمًا سَوْرَةً مِنَ الْقَمَى وَلَمْ يَحُجَّ الْمَسْجِدَ الْمُسَكَّرَمَا
وَلَمْ يَزُرْ حَظِيمِيهِ وَزَمَزَمَا وَلَا تَرَاهُ يَطْلُبُ التَّفْهِمًا
لَوْ لَمْ يَرْبْ^(٨) مُسْلِمًا مَا أَسْلَمَا مَا عَبَدَ أَثْنَانِ جَمِيعًا صَنَمًا
عَاتٍ يَرَى ضَرْبَ الرِّجَالِ مَقْنَمًا إِذَا رَأَى مُصَدِّقًا تَجَهَّمَا
وَهَزَّ فِي الْكَفِّ وَأَبْدَى الْمِعْمَا هِرَاوَتَيْنِ^(٩) تَبْنَعُ وَسَلَمَا
يَتْرُكُ^(١٠) مَا رَامَ رُفَاتًا رِمَا وَإِنْ رَأَى إِمْرَةً^(١١) تَزْعَمَا
لَمْ يُعْطِهِ شَيْئًا وَإِنْ تَزْعَمَا وَإِنْ قَرَأَ عَهْدًا لَهُ مُنْعَمًا
هَانَ عَلَيْهِ شَقٌّ مَا قَدَرَقَمَا وَأَنْ يَدُقَ طِيْلِفَةً الْمُخَيَّمَا

(١) وَخَلَّةٌ مِنْهُ ، أى من اللبن ، واحدة الخَلَّةُ ، معروف ، أى الطائفة منه . والخَلَّةُ قد يكون من اللبن كما في كتب اللغة .

(٢) في الأصل : لا يعرف الشادف المحترما ؛ وفيه تحريف كما ترى ، وسياق الشعر يقتضى ما أثبتنا . والشارف : المسنة من الإبل ، أى لا يغر الناقة إلا في الحج حين يجب عليه عقرها .

(٣) في الأصل : « ولا يأنف » ؛ وهو تحريف .

(٤) الحرث : حديدة تحرك بها النار .

(٥) الشجيم من الحيات : الشديد الفليظ . وفي الأصل : سجعها بالسين المهملة ؛ وهو تصحيف .

(٦) الصبح : الشديد المجتمع الألواح .

(٧) في الأصل : « يبك » بالكاف ؛ وهو تحريف .

(٨) في الأصل : « يرث » بالثاء المثناة ، وهو تصحيف .

(٩) في الأصل : « لهاؤه بيعة » وهو تصحيف في كلتا الكلمتين .

(١٠) في الأصل : « ينزل » ؛ وهو تحريف .

(١١) الإمرة : الضميف الرأى القى يوافق كلامى ما يريد ولا رأى له

صَمَّصَانُهُ مَاضٍ إِذَا مَا صَمَّ مَا إِذَا أَعْرَثَتْهُ عِزَّةٌ^(١) ثُمَّ أَتَمَّتْ
فِي قَرْوَةٍ الْحَيِّ إِذَا مَا يَمَّ مَا ظَلَّ بَرَى حُكْمًا عَلَيْهِ مُبَرَّمًا^(٢)
أَنْ يَظْلِمَ النَّاسَ وَأَلَّا يُظْلَمَ

وقال آخر :

مَا كَانَ يُنْكَرُ فِي نَدَى مُجَاشِعٍ أَكَلُ الْخَزِيرِ وَلَا ارْتِضَاعُ الْقَيْشَلِ^(٣)
وقال آخر :

بِلَادُ كَأَنَّ الْجُوعَ يَطْلُبُ أَهْلَهَا
بَدْخِلُ^(٤) إِذَا مَا الضَّيْفُ صَرَّتْ جَنَادِبُهُ^(٥)

وقال آخر :

كَرِيَهُ لَا يُطْعِمُ الْكَرِيَّ^(٦) بِاللَّيْلِ إِلَّا جِرْجَرًا مَقْلِيًّا
مُحْتَرَقًا نِصْفًا وَنِصْفًا نَيْيًّا

وقال الأصمعي : قال الهيثم بن جرّاد — وَذَمَّ قَوْمًا — : وَاللَّهِ مَا أَتَمَّ آلُ

(١) في الأصل : « غرة » ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « منها » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (١) الوارد فيها وحدها هذا الشعر « عزي » مكان « ندى » ، وحرير مكان خزير ؛ وهو تحريف كما ترى ، والتصحيح عن النقائض ؛ والبيت لجرير . والخزير : لحم يقطع صفاراً ويلقى في الماء فإذا أميت طبخاً ذرّ عليه الدقيق .

(٤) في الأصل : « بدخل » ؛ وهو تصحيف .

(٥) صرير الجندب مثل يضرب للأمر يشتد حتى يلقى صاحبه . والأصل فيه أن الجندب إذا رمض في شدة الحر لم يقر في الأرض ، وطار فتسمع لرجليه صريراً . والجندب طائر أصغر من الصدى يكون في البراري .

(٦) إذا أكربت لساناً بغيرك أو أكرأك بغيره فكل منكما كرى صاحبه ، قاله في اللسان وأنشد هذا الرجز . والجرجر : الفول بلغة أهل العراق ؛ أو هو نبت . والذي في الأصل « كدنة » مكان قوله « كريه » وهو تحريف صوابه ما أثبتنا بعد تقليب هذه الكلمة على عدة وجوه .

فَلَا تَقْصِمَكُمْ ، وَلَا أَتَمَّ آلُ رَيْفٍ قَبَا كُلُّونَ . فقيل : لوزِدْتَ ؟ فقال : ما بَعْدَ هذا شيء .

قال : وما أشبه هذا الجواب بقول عقيل بن علفة^(١) حين قيل له : لم لا تطيلُ المجاء ؟ قال : يَكْفِيكَ مِنَ الْقِلَادَةِ مَا أَحَاطَ بِالْعُنُقِ .

وقيل لابن^(٢) عُمر : لودَعَوْتَ الله بدَعَوَاتٍ ؟ فقال : اللهم عافِنَا وارْحَمْنَا وارزُقْنَا . فقيل له : لوزِدْتَنَا ؟ فقال : نَمُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْإِسْهَابِ .

قال شاعر :

إِذَا أَغْلَقْتُ الْبَابَ الْكَرِيمُ مِنَ الْقِرَى فليس على باب الفَرَزْدَقِ حَاجِبُ
فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ إِذَا أَغْبَرَ مِنْ بَرْدِ الشَّوَاءِ الْكَوَاكِبُ
قال : وكلَّ لحمٍ وخُبْزٍ أَنْضَجَ دَفِينًا فهو مَلِيلٌ ، وما كان في تَفْؤُرٍ فهو
شِوَاءٌ ؛ وما كان في قِدْرٍ فهو حَمِيلٌ^(٣) .

قال الأحنفُ لعُمر بن الخطاب : إِنْ إِيْخْوَانُنَا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَالشَّامِ
نَزَلُوا فِي مَقَلَةٍ^(٤) الْجَلِّ وَحَوْلَاءِ النَّاقَةِ مِنْ أَنْهَارٍ مَتَفَجِّرَةٍ ، وَثِمَارٍ مَتَدَلِّيةٍ ، وَنَزَلْنَا

(١) كذا في (ب) والذي في (١) : « ابن علفة » .

(٢) في (ب) « لأبي عمرو » .

(٣) كذا في الأصل ؛ ولم نجد هذا اللفظ بهذا المعنى فيما راجعناه من كتب اللغة ؛ والذي وجدناه بالمعنى المذكور « قدير » أى مطبوخ في القدر ؛ ولعل قوله جميل بالحاء للهمة مصنف عن جميل بالجيم ؛ وهو الشعر المذاب ، فيكون هنا كلام سقط من الناسخ قبل هذه الكلمة المصحفة التي نحن بصددناها .

(٤) مقلة الجمل وحولاء الناقة يتشبه بهما في الحصب والنعمة ، فيقال : هم في مثل حدقة البعير ، وذلك أن حدقة البعير أخصب ما فيه ، لأن بها يرفون مقدار سمته ، وفيها يبقى آخر النقي ، وهو منخ العظم . ويقال صاروا في حولاء الناقة إذا صاروا في خصب ؛ وإذا وصلت الأرض قبل كأنها حولاء الناقة ، لأن ماء الحولاء أشد ماء خضرة . والحولاء : الماء الذي يخرج على رأس الولد إذا ولد ، وليس في الكلام فعلاء بالسكسر ممدودا إلا حولاء =

بَسِخَةٍ نَشَاشَةٍ^(١) يَأْتِينَا مَاؤُنَا فِي مِثْلِ حَلْقُومٍ^(٢) النَّعَامَةُ أَوْ مَرَىءِ الْحَمَلِ ، فَإِذَا
أَنْ تَشُقَّ لَنَا نَهْرًا ، وَإِذَا أَنْ تَرْفَعُنَا إِلَيْكَ .

قال جابر : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ الْأَغْنِيَاءَ بِاتِّخَاذِ الْغَنَمِ ،
وَالْفُقَرَاءَ بِاتِّخَاذِ الدَّجَاجِ .

وَالْعَرَبُ تَقُولُ : أَكْرِمُوا الْإِبِلَ إِلَّا فِي بَيْتٍ يُبْنَى ، أَوْ دَمٍ يُفْسَدَى ،
أَوْ عَرَبٍ يَنْزَوِجُ ، أَوْ حَمَلٍ حَمَالَةٍ .

وَقَالَ مُنَاوِيَةٌ لِأَعْرَابِيٍّ : مَا تَجَارَتُكَ ؟ قَالَ : أبيع الإبل ، قال : أما علمت
أَنْ أَفْوَاهَهَا حَرْبٌ^(٣) ، وَجُلُودَهَا جَرَبٌ ، وَبَعْرُهَا حَطَبٌ ، وَتَأْكُلُ الذَّهَبَ .

وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ : الْإِبِلُ لِلْبُعْدِ ، وَالْبَعَالُ لِلثَّقَلِ ، وَالْبِرَازِينُ لِلْجَمَالِ
وَالدَّعَّةُ ، وَالْحَمِيرُ لِلْحَوَاشِي ، وَالْخَيْلُ لِلْكَرِّ وَالْفَرِّ .

وقال آخر :

يَقْذِفَنَّ فِي الْأَعْنَاقِ وَالْقَلَامِ^(٤) قَذْفَ الْجَلَامِيدِ بِكَفِّ الرَّاجِمِ -
يُرِيدُ بِالْأَعْنَاقِ الْحُلُوقَ .

== وعنباء وسيراء . وقيل : الحولاء : غلاف أخضر كأنه دلو عظيمة مملوءة ماء وتنفق حين تقع
على الأرض وهو قائد السلي ، أى يخرج قبله ؛ ويقال أيضا هم في مثل حولاء السلي . انظر
ما يعول عليه للسعي ولسان العرب .

(١) نشاشة ، أى نرازة بالماء لا يجب تراها ، ولا يثبت مرهاها .

(٢) حلقوم النعامة ومرىء الحمل : مثلان في قلة ما يأتيهم من الماء وضيق مسايله إليهم .

(٣) حرب ، أى ذات حرب ، وهو والكلب واحد وزنا ومعنى ؛ وجلودها جرب
أى ذات جرب .

(٤) القلام : جمع غلصمة ، وهى رأس الحلقوم . يريد أن هذه الإبل تقذف الطعام
في حلوقتها وأعناقها قذف الحجارة . يصفها بقوة القذف قذف الطعام . والذى في الأصل :
« يقدمن » مكان « يقذفن » ؛ وهو تحريف .

وقال آخر :

تَقَارُ إِذَا مَا الزَّوْعُ أَبْدَى عَنِ الْبُرَى وَتَقْرَى عَمِيْطَ اللَّحْمِ وَالْمَاءِ جَامِسٌ^(١)

وقال آخر :

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا نَاقَ^(٢) مُصْرَمَةٌ تَرْغَى الْقَلَاءَ وَلَا قَعْبٌ مِنَ اللَّبَنِ

وقال أبو الصلت :

تِلْكَ لَلْمَكَارِمِ لَا قَعْبَانِ^(٣) مِنْ لَبَنِ شَيْبَا بِمَاءِ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالَا

وَوَصَفَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ الْهَجَارَ فَقَالَ : لَا يَوْجَدُ الْأَكْثَبُ إِلَّا عِنْدَ الْخَاصَّةِ وَالشُّلْطَانِ وَمُدْبَّرِيهِ ، وَأَمَّا أَصْحَابُ الْأَسْوَاقِ فَإِنَّا لَا نَعْدَمُ مِنْ أَحَدِهِمْ خُلُقًا دَقِيقًا وَدِينًا رَقِيقًا ، وَحِرْصًا مُسْرِفًا ، وَأَدَبًا مُخْتَلَفًا ، وَدَنَاءَةً مَعْلُومَةً ، وَمُرُوءَةً مَقْدُومَةً وَإِلْفَاءَ الْإِنْفِ^(٤) ، وَجَازَئَةً عَلَى الطَّفِيمِ ، يَبْلُغُ أَحَدُهُمْ غَايَةَ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ فِي عِلْقٍ^(٥) وَاحِدٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مَعَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، إِذَا اشْتَرَاهُ مِنْهُ أَوْ بَاعَهُ إِيَّاهُ ، إِنْ بَايَعَكَ مُرَابِحَةً^(٦) وَخَبَرَ بِالْأَمْنَانِ ، قَوَّى الْأَيْمَانَ عَلَى الْبُهْتَانِ ، وَإِنْ قَلَّدَتْهُ

(١) البيت لذى الرمة ، والبرى : الخلاخيل ، والماء الجامس : الجامد . يقولون إنهم يطارون على النساء إذا اشتد الفزع ، وكشف الرعب عن سيقانهن فأبدى من خلاخيلهن ، فهم إذ ذاك يحمونهن ويكفينهن ما يفزعهن ؛ ثم يقول في الشطر الثاني إنهم كرام ، إذا اشتد البرد وجد الماء يقرون أضيافهم عبيط اللحم ؛ وفي رواية سديف ؛ وقد ورد هذا البيت في الأصل هكذا : يقار إذا ما الزرع أبدى عن الترى ويقرى الخ وفيه تصحيف في بعض كلماته كما ترى ؛ والتصويب عن ديوان ذى الرمة وغيره .

(٢) الناق : جمع ناقة . وفي (١) التي ورد فيها وحدها هذا البيت : « لا ناب » بالياء ؛ وهو تحريف ، إذ الناب الواحدة — وهي للسنة من الإبل — لا تكون مصرمة ، أى بالقة صرمة ؛ وهي عدة من الإبل تبلغ الأربعين .

(٣) القعب : القدح الضخم . (٤) الإنف : الصدق .

(٥) العلق : النفيس من اللئاع .

(٦) يريد بالمرايحة هنا أن يقول المشتري للبائع : أربحك في هذه السلعة كذا فوق

ما اشتريتها به من الثمن أو أن يقول البائع للمشتري ذلك .

الْوَزْنَ أَعْنَتَ لِسَانَ الْمِيزَانِ ، لِيَأْخُذَ بِرُجْحَانٍ أَوْ يُعْطِيَ بِنُقْصَانٍ ؛ وَإِنْ كَانَ لَكَ قَبْلَهُ حَقٌّ لَوَاهُ مُحْتَجًا فِي ذَلِكَ بِسُنَّةِ الشُّوْقِيِّينَ ، يَرْضَى لَكَ مَا لَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ ، وَيَأْخُذُ مِنْكَ بِتَقْدِيرٍ وَيُعْطِيكَ بِغَيْرِهِ ، وَلَا يَرَى أَنْ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ فِي الْمُبَايَعَةِ مِثْلَ مَا لَهُ ؛ إِنْ اسْتَنْصَحْتَهُ غَشَاكَ ، وَإِنْ سَأَلْتَهُ كَذَبَكَ ، وَإِنْ صَدَّقْتَهُ حَرَبَكَ مُتَمَرِّدُهُمْ صَاعِقَةً عَلَى الْمَاعَمِلِينَ ، وَصَاحِبُ تَمَنِّيهِمْ نِقْمَةً عَلَى الْمُسْتَرْسِلِينَ ^(١) ؛ قَدْ تَعَاظُوا الْفُسْكَرَ حَتَّى غُرِفَ ، وَتَنَا كُرُوا الْمَعْرُوفَ حَتَّى نُسِيَ ، يَتَمَسَّكُونَ مِنَ الْمَلَّةِ بِمَا أَصْلَحَ الْبِضَائِعَ ، وَيَنْهَوْنَ عَنْهَا كُلَّمَا عَادَتْ بِالْوُضَائِعِ ^(٢) ؛ يُسْرِءُ أَحَدُهُمْ بِحِيلَةٍ يُرْزَقُهَا ^(٣) لِسَلَامَةٍ يَنْفُقُهَا ، وَغِيْلَةٍ لِمُسْلِمٍ يَخْمِيهِ الْإِسْلَامَ ، فَإِذَا أَحْكَمَ حِيلَتَهُ وَغِيْلَتَهُ غَدًا قَادِرًا عَلَى حَرْبِهِ ، فَنَرَّ وَضَرَّ ، وَآبَ إِلَى مَنْزِلِهِ [بِحِطَامٍ قَدْ جَمَعَهُ مَقْتَبِطًا بِمَا أَبَاحَ مِنْ دِينِهِ] وَانْتَهَكَ مِنْ حُرْمَةِ أَخِيهِ ، يَعُدُّ الَّذِي كَانَ مِنْهُ حِدَقًا بِالْاِتِّكَاسِ ، وَرِفْقًا بِالْمَطْلَبِ ، وَعِلْمًا بِالتَّجَارَةِ ، وَتَقَدُّمًا فِي الصَّنَاعَةِ .

(٣) فَلَمَّا بَلَغْتُ قِرَاءَتِي هَذَا الْمَوْضِعَ قَالَ الْوَزِيرُ : إِنْ كَانَ هَذَا الْوَاصِفُ عَنَى الْعَامَّةَ بِهَذَا الْقَوْلِ فَقَدْ دَخَلَ فِي وَصْفِهِ الْخَاصَّةَ أَيْضًا ، فَوَاللَّهِ مَا أَسْمَعُ وَلَا أَرَى هَذِهِ الْأَخْلَاقَ إِلَّا شَائِعَةً فِي أَصْنَافِ النَّاسِ مِنَ الْجُنْدِ وَالْكَتَّابِ وَالْقُنَّاءِ ^(٤) وَالصَّالِحِينَ وَأَهْلَ الْعِلْمِ ؛ لَقَدْ حَالَ الزَّمَانُ إِلَى أَمْرٍ لَا يَأْتِي عَلَيْهِ النَّعْتُ ، وَلَا تَسْتَوْعِبُهُ الْأَخْبَارُ ، وَمَا عَجَبِي إِلَّا مِنْ الزَّيَادَةِ عَلَى مَرِّ السَّاعَاتِ ، وَلَوْ وَقَفَ لَعَلَّهُ كَانَ يُرْجَى بَعْضُ مَا قَدْ وَقَعَ الْيَأْسُ مِنْهُ ؛ وَأَعْتَزُّ الْقُنُوطُ دُونَهُ .

(١) السمت : هيئة أهل الخير وطريقتهم . والمسترسلون : من استرسل إليه إذا انبسط إليه واستأسس ثقة به واتسكلا على ما بينهما من ودٍّ وصلة . وفي الأصل : المترسلين ، وهو تجريف . (٢) الوضائع : الخسائر . (٣) في (١) « يزورها » بتشديد الواو ؛ وهو وإن صح به اللحن إلا أنه لا يستقيم به السجع . (٤) القنَّاء : الدهاقين ورؤساء القرى ، الواحد قنَّاء .

فقال ابن زُرعة وكان حاضراً : هذا لأن الزمان من قبل كان ذا لبوس من الدُّبْنِ رائع ، وذا يدٍ من السَّيَاسة بسيطة ، فأخْلَقَ اللُّبوسُ [وَبَلَى ، بل تَمَزَّقَ] وَفَنِيَ ، وضعت اليدُ بل شَلَّتْ وقُطعتْ ، ولا سبيلَ إلى سياسة دينية لأسباب لا تنفك إلا بطل فلَكِيَّة ، وأمور سماوية ، فحينئذ يكون انقيادُ الأمور الجالحة^(١) لها ، في مُقابلة حِران الأمور الجالحة^(٢) عنها ، وذلك مُنتظر في وقتِه ، وتَمَنَّى ذلك قبل إبانِه وسواسِ النَّفس ، وخَوَرِ الطَّباع ، والناس أهدافُ لأغراض الزمان ومُتَلَبِّون بمحادثِ الدهور^(٣) ، ولا فَكَاكَ لِم من السَّكارِه ، ولا أُعْتِلَاقَ لِم بالهَبِ [إلا] بالدواعي والصوارف التي لا سبيلَ لِم إلى تحويل هذه إلى هذه ، ولا إلى تبديل هذه بهذه ، وأختيارُهم للتوجُّه إلى محبوبهم أو الإغراضِ عن مَكْرُوهم ضَعِيفٌ طَفِيفٌ ، ولولا ذلك لكانت الحَسرات تزول في وقتِ ما يُراد^(٤) ، والنَّبْطَةُ تُمَلِّكُ^(٥) بإدراك ما يُتَمَنَّى ، وهذا شَأْنٌ مُحْكومٌ به بِقُوَّةِ النَّفس ، غيرُ مُسْتَتِيقِظٍ إليه^(٥) بِقُوَّةِ الحِسِّ .

فقال الوزير : أحسنت يا أبا عليٍّ في هذا الوصف ، « وإنَّ نَفْسَكَ^(٦) لَيَكِلُكَ على أَكْثَرِ من ذلك » ، ولو كان البالُ ظافراً بِنِعْمَةٍ ، والصَّدْرُ فارغاً من كُرْبَةٍ ، لسكنا نَبْلُغُ من هذا الحديث مبلغاً نَشْفِي به غَلِيلَنَا [قائلين] ونَشْفِي به مُسْتَمِيعِينَ ،

(١) ورد هذان اللفظان في كلتا النسختين كل منهما مكان الآخر ، والسياق يقتضى ما أثبتنا كما ترى .

(٢) في (ب) « الأمور » .

(٣) كذا في (ب) والذي في (أ) « في فوت الإيراد » ؛ وهو تحريف .

(٤) في (ب) « تدرك » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضاً .

(٥) في كلتا النسختين : « عليه » وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٦) كذا ورد هذا الكلام القى بين هاتين العلامتين في (ب) والذي في (أ) « وأن تهبه كيدك على أعز من ذلك » ؛ وفي هذا الكلام تحريف كما ترى لا يفهم له معنى .

ولكنني قاعدٌ معكم وكأني غائب ، بل أنا غائبٌ من غير كاف التشبيه ، والله ما أملكُ تصرُّفي ولا فِكْري في أمْري ، أرى واحداً في قتلِ حَبَلٍ^(١) ، وآخر في حَنْزِ بُرٍّ ، وآخر في نَضْبِ فَنَحٍّ ، وآخر في دَسِّ حِيَلَةٍ ، وآخر في تَقْبِيحِ حَسَنٍ ، وآخر في شَحْذِ حَدِيدٍ ، وآخر في تَمْزِيْقِ عِرْضٍ ، وآخر في اخْتِلَاقِ كَذِبٍ ، وآخر في صَدْعِ مُلْتَحِمٍ ، وآخر في حَلِّ عَقْدٍ ، وآخر في نَفْثِ سِحْرِ ، وناري مع صاحبي رَمَادٍ ، ورِيحُه على عاصِفةٍ ، ونَسِيْمِي بَيْتِي وبَيْتُهُ سَمُومٌ ، ونَصِيْبِي مِنْهُمُومٌ [وَعُمُومٌ] ، وإني أحدثكم بشيء تَعْلَمُونَ [به] صِدْقِي في شَكْوَايَ ، وتَقِفُونَ منه على نَفْسِي^(٢) تَحْتَ بَلْوَايَ ، ولولا أنني أُلْقِي بالحديث لَهَبًا قد تَصَرَّم صَدْرِي بِهِ نَارًا ، وأَحْتَشَى فَوَادِي مِنْهُ أَوَارًا ؛ لما تَعَدَّدْتُ بِهِ ، ولو اسْتَطَعْتُ طَيْهَهُ لَمَا نَبَسْتُ بِحَرْفٍ مِنْهُ ، ولكن كِتَابِي للحديث أَنْقَبُ لِحِجَابِ الْقَلْبِ مِنَ الْمَثَلَةِ لِسُورِ الْقَصْرِ .

دَخَلْتُ مِنْذُ أَيَّامٍ فَوَصَلْتُ^(٣) إِلَى الْمَجْلِسِ ، فَقَالَ لِي قَدْ أَعَدْتُ الْخِلْمَةَ فَالْبَسْهَا عَلَى الطَّائِرِ الْأَسْمَدِ ، فَقُلْتُ أَفْعَلُ ، وَفِي تَذَكُّرِي^(٤) أَشْيَاءٌ لَا بَدَّ مِنْ ذِكْرِهَا وَعَرْضِهَا .

فَقَالَ : هَاتِ ، فَقُلْتُ : يُتَقَدَّمُ^(٥) بِكَذَا وَكَذَا ، وَيُفْعَلُ كَذَا وَكَذَا . فَقَالَ : عِنْدِي جَمِيعُ ذَلِكَ ، أَمَضِ هَذَا كُلَّهُ ، وَأَصْنَعْ فِيهِ مَا تَرَى ، وَمَا فَوْقَ يَدِكَ يَدٌ ، وَلَا عَلَيْكَ لِأَحَدٍ اعْتِرَاضٌ ؛ فَانْقَلَبْتُ عَنِ الْمَجْلِسِ إِلَى زَاوِيَةٍ فِي الْحُجْرَةِ ، وَفِيهَا تَحَدَّرَتْ دُمُوعِي ، وَعَلَا شَهيقِي ، وَتَوَالَى نَشيجِي ، حَتَّى كِدْتُ أَفْتَضِحَ

(١) وَرَدَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ مَهْمَلٌ بَعْضُ حُرُوفِهَا مِنَ النُّقْطِ تَعْمَدُ قِرَاءَتَهَا .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « نَفْسِي » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي (ب) « دَخَلْتُ » . (٤) فِي (أ) « وَفِي فِكْرِي » .

(٥) يُتَقَدَّمُ بِكَذَا ، أَيْ بِوَصْفِهِ .

فَدَنَا مَنِي بَعْضُ خَدَمِي مِنْ ثِقَاتِي ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ النَّاسُ وَقُوفٌ يَنْتَظِرُونَ
بُرُوزَكَ بِالْحِلْمَةِ الْمُبَارَكَةِ وَالتَّشْرِيفِ الْمَيْمُونِ ، وَأَنْتَ فِي نُوحٍ وَنَدَمٍ ؟؟ فَقُلْتُ :
تَنَحَّ عَنِّي سَاعَةً حَتَّى أَطْفِئَ نَارَ صَدْرِي ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ الْعَارِضُ لِأَنِّي كُنْتُ
عَرَضْتُ عَلَى صَاحِبِي تَذْكَرَةً مُشْتَمِلَةً عَلَى أَشْيَاءَ مُخْتَلِفَةٍ ، فَأَمَضَاهَا كُلَّهَا ، وَلَمْ
يُنَظِرْنِي فِي شَيْءٍ مِنْهَا ، وَلَا زَادَنِي شَيْئًا فِيهَا ، وَلَا نَظَرَ نِي عَلَيْهَا ، وَلَعَلِّي قَدْ بَلَوْتُهُ
بِهَا ، وَأَخْفَيْتُ مَغْزَايَ فِي ضَمْنِهَا ، فَخُيِّلَ إِلَيَّ بِهَذِهِ الْحَالِ أَنَّ غَيْرِي يَكْفِي
مَوْفِقِي ، فَيَقُولُ فِي قَوْلَا مُزْخَرَفًا ، وَيَنْسِبُ إِلَيَّ أَسْرًا مَوْثِقًا ، فَيَمْضِي ذَلِكَ
أَيْضًا لَهُ كَمَا أَمَضَاهُ لِي ، فَوَجَدْتُنِي ^(١) بِهَذَا الْفِكْرِ الَّذِي قَدْ فَتَقَى لِي ^(٢) هَذَا
النُّوعَ مِنَ الْأَمْرِ كِرَافَتِي عَلَى صَفْحَةِ مَاءٍ ، أَوْ كَقَابِضٍ فِي جَوْءٍ عَلَى قِطْعَةٍ مِنْ هَوَاءٍ ؛
أَوْ كَمَنْ يَنْفُخُ فِي غَيْرِ قَنَمٍ ، أَوْ يَلْعَبُ فِي قَيْدٍ ^(٣) ، وَلَقَدْ صَدَّقَ الْأَوَّلُ حَيْثُ قَالَ :

وَإِنْ أَسْرًا دُنْيَا أَكْبَرُ هَمِّهِ لَمَسْتَفْسِكُ مِنْهَا بِجَبَلٍ غُرُورٍ

غَيْرَ أَنِّي أَذْكَرُ لَكُمْ مَا عَنِّي ^(٤) مِنْ هَذَا الْأَمْرِ .

إِغْلَمُوا أَنِّي ظَنَنْتُ أَنَّ مَا نَظَّمَهُ ^(٥) الْمَاضِي — رَحِمَهُ اللَّهُ — وَأَصْلَحَهُ ، وَبَنَاهُ
وَقَوَّمَهُ ، وَنَسَجَهُ وَنَوَقَهُ ^(٦) لَا يَسْتَحِيلُ فِي ثَلَاثِينَ سَنَةً وَلَا خَمْسِينَ سَنَةً ؛ وَأَنَّ

(١) في (ب) « فوجدته » ؛ وسباق الكلام يقتضي ما أثبتنا كما في (١) .

(٢) في (١) « في » .

(٣) في كلتا النسختين : « في مد » ؛ وظاهر أن معناه لا يناسب ما هنا ؛ ولعله عرف
عما أثبتنا .

(٤) في (ب) : « ما عرفي » ؛ وهو تحريف .

(٥) في (١) : « ما يظهر » ؛ وهو تحريف .

(٦) في (١) : « وقوفه » ؛ وهو تحريف . ويلاحظ أن (١) وحدها هي التي وردت

فيها هذه الكلمة والتي قبلها .

الحال تدوم على ذلك المنهاج ، وتستمر على ذلك السَّيَّاح ، ونكون قد أخذنا بطريق من السَّعادة ، وبلغنا لأنفسنا بعض ما كنا نسلط عليه التَّمَنَّى من الإرادة فنَجْمَعُ بين علو المرتبة ، وشرف الرِّئاسة ، ونيل اللذة ، وإدراك السرور ، وأصطناع العُرف ، وكسب الثناء ، ونشر الذِّكر ، وبُعد الصَّيت ، فماد ذلك كله بالصد ، وحال إلى الخلاف ، ووقف على الفكر المُضني ، والخوف المُقلق ، واليأس الحَيّ ، والرجاء الميت ؛ وما أحسن ما قال القائل :

أَطْمَعَنِي ^(١) الدُّنْيَا فَلَمَّا جَنَّتْهَا مُسْتَسْقِيَا مَطَرَتْ عَلَى مَصَائِبِهَا
فقال له ابن زُرعة : إن الأمور كلها بيد الله ، ولا يُسَنَّجَزُ الخَيْرُ إلَّا منه ، ولا يُسْتَدْفَعُ الشرُّ إلَّا به ، فسله جميل الصنم [وحسن التية] وأتو الخير ، وبث الإحسان ، وكل أعداءك إلى ربك الذي إذا عَرَفَ صِدْقَكَ وتَوَكَّلَكَ عليه قَلَّ حَدَمُ ، وَعَفَرَ خَدَمُ ، وَسَبَّحَ النُّفَرَاتُ إلى جَمْرِهُمْ حتى يُعْطِفُهَا ، وَسَلَطَ الْأَرْضَ على أبدانهم حتى تَقْرِضُهَا ، وشغلهم بأنفسهم ، وخالف بين كلمتهم ، وصدع شمل جميعهم ، وردهم إليك صاغرين ضارعين ، وعرضهم عليك خاضعين . وما ذلك على الله بعزيز ، وإن الله مع المحسنين على السنين .

قال : والله لقد وجدت رَوْحاً ^(٢) كثيراً بما قلت لكم وما سمعت منكم ، وأرجو أن الله يُعِينُ الْمَظْلُومَ ، وَيُهَيِّنُ الظَّالِمَ . قد تَمَطَّى اللَّيْلُ ، وَتَغَوَّرَتِ النُّجُومُ ، وَحَنَّ الْبَدَنُ إِلَى التَّرَفِّهِ ؛ فَإِذَا شِئْتُمْ ^(٣) . فَأَنْصَرَفْنَا مُتَمَجِّجِينَ .

(١) في (١) : « أطمعني » . وفي (ب) : أطمعني ؛ وهو تحريف في كلتا النسختين . والبيت المتن .

(٢) الروح ينتعش الراء والراحة كلاهما بمعنى واحد .

(٣) هذه الجملة أريد بها الإيدان بالانصراف .

الليلة الثالثة والثلاثون

هَذَا إِلَى مَا كُنَّا فِيهِ مِنْ حَدِيثِ الْمَالِخَةِ — وَكَانَ قَدْ اسْتَرَادَنِي — فَكُتِبَتْ (١) لِهَذِهِ الْوَرَقَاتِ وَقُرَأَتْهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ كَلَامًا كَثِيرًا عِنْدَ كُلِّ مَا مَرَّ بِمَا يَكُونُ صِلَةً لِذَلِكَ الْحَدِيثِ ، خَرَّ لَيْتُهُ طَلَبًا لِلتَّخْفِيفِ .

قَالَ سَمَاءُ الرَّأْوِيَةِ : عَنْ قَتَادَةَ قَالَ زِيَادُ لَغَيْلَانَ بْنِ خَرْشَةَ : أَحِبُّ أَنْ تَحْدِثَنِي عَنِ الْعَرَبِ وَجَهْدِهَا وَضَنْكِ عَيْشِهَا لِنَعْمَدَ اللَّهُ عَلَى النِّعْمَةِ الَّتِي أَصْبَحْنَا بِهَا . فَقَالَ غَيْلَانُ : حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ : تَوَالَّتْ عَلَى الْعَرَبِ سِنُونَ [سَبْعٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ] حَصَّتْ (٢) كُلُّ شَيْءٍ ، فَخَرَجْتُ عَلَى بَكْرِ لِي فِي الْعَرَبِ ، فَكُنْتُ سَبْعًا لَا أَذُوقُ فِيهِمْ شَيْئًا إِلَّا مَا يَنْأَلُ بَعِيرِي مِنْ حَشَرَاتِ [الْأَرْضِ] حَتَّى دَنَوْتُ (٣) إِلَى حِوَاءِ (٤) عَظِيمٍ ، فَإِذَا بَبْنَيْتُ جَجِيشَ (٥) عَنِ الْحَيِّ ، فِلْتُ إِلَيْهِ ، فَخَرَجْتُ إِلَى امْرَأَةٍ طَوَالَةَ حَسَانَةَ (٦) ، فَقَالَتْ : مَنْ ؟ قُلْتُ : طَارِقُ لَيْلٍ يَلْتَمِسُ الْقِرَى . فَقَالَتْ : لَوْ كَانَ عِنْدَنَا شَيْءٌ آتَرْنَاكَ بِهِ ، وَالِدَالُ عَلَى الْخَيْرِ كِفَاهِلِهِ ، جُسْ هَذِهِ الْبُبُوتَ فَأَنْظُرْ إِلَى أَعْظَمِهَا ، فَإِنْ يَكُ فِي شَيْءٍ مِنْهَا خَيْرٌ فَفِيهِ . فَقَعَلْتُ حَتَّى دَنَوْتُ (٧) إِلَيْهِ ، فَرَحَّبَ بِي صَاحِبُهُ وَقَالَ : مَنْ ؟ قُلْتُ : طَارِقُ لَيْلٍ يَلْتَمِسُ الْقِرَى . فَقَالَ : يَا فُلَانُ ، فَأَجَابَهُ ، فَقَالَ : هَلْ عِنْدَكَ (مِنْ) طَعَامٍ ؟ قَالَ :

(١) فِي (ب) : « أَهْلَكْتُ » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا . يُقَالُ : حَمَسَ الشَّعْرَ وَنَحَمَهُ إِذَا اسْتَأْصَلَهُ .

(٢) فِي (ب) : « وَصَلَتْ » . (٣) الْحِوَاءُ : جَمَاعَةُ الْبُيُوتِ .

(٤) الْجَجِيشُ : مَنْ قَوْلُهُمْ : رَجُلٌ جَجِيشٌ الْمَهْلُ إِذَا نَزَلَ نَاحِيَةَ عَنِ النَّاسِ وَلَمْ يَنْتَلِطْ بِهِمْ . وَبُرِيدٌ بَعْدَ ذَلِكَ الْمَنْزِلِ وَالْمَزَالِ عَنْ مَنَازِلِ ذَلِكَ الْحَيِّ .

(٥) طَوَالَةُ حَسَانَةَ ، أَيْ طَوِيلَةُ حَسَنَةٍ .

(٦) فِي (ب) : « دَفَعْتُ إِلَيْهِ » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا .

لا، قال: فوالله ما وقّر في أذني شيء كان أشدّ عليّ منه. فقال: هل عندك من شراب؟ قال: لا، ثم تأوّه وقال: قد أبقينا في ضرع فلانة^(١) شيئاً لطارق إن طرّق، قال: فأت به، فأتى العطن فأبتعها، فحدثني عني أنّه شهد فتّح أصفهان وتستر ومهرجان^(٢) فذق وگور الأهواز وفارس، وجاهد عند السلطان وكثر ماله وولده، قال: فاسمعت شيئاً قطّ كان ألذّ لي من شخب تلك الناقة في تلك العلبة، حتى إذا ملأها ففاضت من جوانبها وأرتفعت عليها رغوّة كجمّة^(٣) الشيخ أقبل بها نخوي فبئر بعود أو حجر، فسقطت العلبة من يده، فحدثني أنّه أصيب بأبيه وأمه [وولده] وأهل بيته، فما أصيب بمصيبة أعظم عليه من ذهاب العلبة؛ فلما رآني^(٤) كذلك ربّ البيت خرج شاهراً سيفه، فبعث الإبل ثم نظر إلى أعظمها سناماً، على ظهرها مثل رأس الزجل الصل^(٥)، فكشف عن فوهته^(٦) ثم أوقد ناراً، وأجّتب سنامها، ودفع إلى مذبة وقال: يا عبد الله، اصطل واجتمل^(٧) فجعلت أهورى بالبضعة إلى النار، فإذا بلغت إناها أكلتها، ثم مسخت ما في يدي من إهالتها على جلدي، وكان قد قرح^(٨) على عظمي حتى كأنه شن^(٩)، ثم شربت ماءً وخررت مغشياً عليّ، فما أفتت إلى السحر.

(١) فلانة: كناية عن اسم بعض نياقه. وفي (١): النلاية؛ وهو تحريف.

(٢) تستر: مدينة عظيمة بخوزستان. ومهرجان فذق: كورة ذات مدن وقرى قرب الصيمرة، من نواحي الجبال. وغير هذين من البلاد المذكورة هنا معروف فلا تقتضى لتعريف به.

(٣) الجمّة: مجنّع شعر الرأس، وهي أكبر من الوفرة.

(٤) في (ب): «فلما رأى ذلك». (٥) الصل: الدقيق الرأس.

(٦) فوهة النمل: أعلاه، يريد أعلى السنام. وفي الأصول ما يشبه في الرسم كلمة عرقوبها ولا تقتضى لكشف عرقوب الناقة هنا. (٧) اجتمل الشعم: أذابه في النار.

(٨) قرح على عظمي، أي يابس من وهج الحر وبعد عهده بالماء.

(٩) الشن: المزايدة اليابسة الحلقفة.

فَقَطَعَ زِيَادُ الْحَدِيثِ وَقَالَ : لَا عَلَيْكَ أَنْ تُخْبِرَنَا بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا ، فَمَنْ
الْمَنْزُولُ بِهِ ^(١) . قُلْتُ : عَامِرُ ^(٢) . بَنُ الطَّقِيلِ . قَالَ : أَبُو عَلِيٍّ ؟ قُلْتُ : أَبُو عَلِيٍّ .
وَاسْتَعَادَنِي الْوَزِيرُ [أَدَامَ اللَّهِ عُلُوَّهُ] هَذَا الْحَدِيثَ مَرَّتَيْنِ وَأَكْثَرَ التَّعْجُبِ ،
وَقَالَ : صَدَقَ الْقَائِلُ فِي الْعَرَبِ : مُنِعُوا الطَّعَامَ وَأَعْطُوا السَّكَّامَ .

تَعَدَّى أَبُو الْعَيْنَاءِ عِنْدَ ابْنِ مَكْرُمٍ ، فَقَدَّمَ إِلَيْهِ عُرَاقًا ^(٣) ، فَلَمَّا جَسَّهُ قَالَ :
قَدِرُكُمْ هَذِهِ قَدْ طَبِخَتْ بِشِطْرِنَجٍ ^(٤) .

وَقَدَّمَ إِلَيْهِ يَوْمًا قَدِيرًا فَوَجَدَهَا كَثِيرَةَ الْعِظَامِ ، فَقَالَ : هَذِهِ قَدِيرٌ أَمْ قَبِيرٌ ؟
وَأَكَلَ عِنْدَهُ أَبُو الْعَيْنَاءِ يَوْمًا ، فَسُقِيَ ثَلَاثَ شَرَبَاتٍ بَارِدَةٍ ، ثُمَّ طَلَبَ
الرَّابِعَةَ فَسُقِيَ شَرِبَةً حَارَّةً ، فَقَالَ : [لَعَلَّ] مَرَّئِلَتُكُمْ ^(٥) تَمْتَرِيهَا تُحْيِي ^(٦) الرَّبْعَ .
قَالَ سَلَمَةُ : بَقِيَ أَبُو النَّمِقَامِ بِنَبْعَدَادَ وَكُنَّا نَأْتِيهِ وَنَسْتَمِعُ مِنْهُ ، فَجَاءَنَا بِجَفْنَةٍ
فِيهَا جُوزَابٌ ^(٧) فَجَمَلَ أَصْحَابُنَا يَا كَلُونُ ، ثُمَّ أَتَانَا بِسَقُودٍ فِيهِ يَرَابِيعٌ فَسَلَّمْنَا
فِي الْجَفْنَةِ ، فَلَمَّ الْقَوْمُ أَنَّهُمْ قَدْ دُهِوا ، فَجَعَلُوا يَسْتَقِيمُونَ مَا أَكَلُوا .

وَقَالَتْ عَائِشَةُ : [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا] : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لِي جَارَتَانِ بَأَيْتُهُمَا أَبْدَأُ ؟
قَالَ : « بَأُذُنَاهُمَا بَابَا مِنْكَ ^(٨) » .

(١) فِي (١) : « عَلَيْهِ » .

(٢) عَامِرُ بْنُ الطَّقِيلِ : هُوَ ابْنُ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كَلَابِ الْعَامِرِيِّ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ لَيْدٍ .

(٣) الْعُرَاقُ : الْعِظَامُ الَّتِي أُخِذَ مَا عَلَيْهَا مِنَ اللَّحْمِ .

(٤) يُرِيدُ بِهَذِهِ الْعِمَارَةَ وَصَفَ مَا فِي الْقَدْرِ بِالْيَبْسِ وَالْعِلَابَةِ كِبَادِقِ الشَّطْرَنْجِ .

(٥) الزَّمْلَةُ : جَرَّةٌ أَوْ خَائِيَةٌ خَضِرَاءُ فِي وَسْطِهَا ثَقْبٌ فِيهِ قَصْبَةٌ مِنَ الْفَضَّةِ أَوْ الرَّمَاسِ

يَشْرَبُ مِنْهَا .

(٦) حَمَى الرَّبْعِ هِيَ الَّتِي تَأْخُذُ يَوْمًا وَتَدَعِي يَوْمَيْنِ ، ثُمَّ تَجِيءُ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ .

(٧) الْجُوزَابُ : طَعَامٌ يَتَّخِذُ مِنْ سَكَّرٍ وَأَرْزٍ وَلَحْمٍ ، وَهُوَ فَارَسِيٌّ .

(٨) فِي (ب) : « إِلَيْكَ » .

وقال حكيم : يَنْبَغِي أَلَّا يُعْطَى الْبَخِيلُ أَكْثَرَ مِنْ قُوَّتِهِ ، لِيُحْكَمَ
عليه بِمَثَلٍ مَا حَكَمَ [به] على نفسه .
وقال الشاعر :

أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ قَوْصَرَةٌ^(١) يَا كُلُّ مِنْهَا كُلُّ يَوْمٍ مَرَّةً
أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ مِرْخَةٌ^(٢) يَرْخُهَا ثُمَّ يَنَامُ الْفَخَّةُ
أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ دَوْخَلَةٌ^(٣) يَا كُلُّ مِنْهَا كُلُّ يَوْمٍ مَلَّةً
أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ هِرْشَقَةٌ^(٤) وَنَشَقَةٌ^(٥) يَلَأُ مِنْهَا كَفَّةً
أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ كِرْدِيدَةٌ^(٦) يَا كُلُّ مِنْهَا وَهُوَ ثَانٍ جِيدَةً

وقال أبو فرعون الشاشي يخاطب الحجاج :

يَا خَيْرَ رَكْبٍ سَلَكَوا طَرِيقًا وَيَمَمُوا مَكَّةَ وَالْعَقِيقَا
وَأَطْعَمُوا ذَا الْكَدَكِ وَالسَّوِيقَا وَأُلْحَشَكْنَانَ^(٧) الْيَابِسَ الرَّفِيقَا

(١) القوصرة : وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البواري ؛ وينسب هذا الشعر إلى علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه .

(٢) في رواية : « طوبى لمن كانت » الخ . والمِرْخَةُ : زوجة الرجل لأنه يَرْخُهَا ، أى يجامعها ؛ والفَخَّةُ : نومة الفداة ، وقيل نومة التعب . وفي الأصل : الفخة بالقاف ؛ وهو تصحيف .

(٣) الدوخلة : سفينة من خوص يوضع فيها التمر والربط ؛ وهى كالزنبيل . والمَلَّةُ : الرِّمَّةُ .
(٤) في رواية : « طوبى لمن كانت » الخ ، والمِرْشَقَةُ : خرقعة ينشف بها ماء المطر من الأرض ثم تصير في الإناء ؛ وإنما يفعل ذلك إذا قل الماء . ذكره صاحب اللسان وأورد هذا البيت شامداً عليه .

(٥) في الأصل : « ومنشر » ؛ وهو تحريف . والنشقة : خرقعة تنشف بها اليد .

(٦) الكرديدة : القطعة العظيمة من التمر . وهو ثانٍ جيده ؛ أى وهو في راحة ودعة .

(٧) الحشكنان : الحيز اليابس ، وهو المعروف عندنا بالسكوكيت . انظر المعجم الفارسي الانجليزي لاستاينجاس .

وقال آخر :

رَأَيْتُ الْجُوعَ يَطْرُدُهُ رَغِيفٌ وَمِنْهُ الْكَفُّ مِنْ مَاءِ الْفُرَاتِ
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « الطاعم »^(١) الشاكر بمنزلة الصائم الصابر .
قَبْلَ مُزْبَدٍ^(٢) جَارِيَةٌ بَحْرَاءُ ، فقال لها : أَطْنُكُ تَحْشِيَتِ بَكْرِشَ ، أَوْ احْتَشَيْتِ
صَحْنًا^(٣) ؛ فقالت : مَا أَكَلْتُ إِلَّا خَرَدَلًا . قال : قَدْ ذَهَبَ النُّصْفُ الثَّانِي
وَبَقِيَ مَا قَبْلَهُ .

قال شاعر :

وَبَاتُوا يُعْشَوْنَ الْقَطِيعَاءُ ضَيْقَهُمْ وَحَدَّثَهُمُ الْبَرْزِيُّ فِي جُلَلِ دُسْمٍ^(٤)

وقال آخر :

وَمَا أَطْعَمُونَا الْأَوْتَسْكَى^(٥) مِنْ مَمَاحٍ وَلَا مَنَعُوا الْبَرْزِيَّ إِلَّا مِنَ الْبُخْلِ
سَمِعْتُ الْحَجَّاجِيَّ يَقُولُ : كُلِّ الْخُبْزِ أَوْ السَّمَكِ ، فَإِنْ أَكَلَ أَحَدُهُمَا كَانَ
مُطِيعًا ؛ فَإِذَا نَفَيْتَ قُلْتَ : لَا تَأْكُلِ الْخُبْزَ وَالسَّمَكِ ؛ فَإِنْ أَكَلَ أَحَدُهُمَا لَمْ
يَقْصِكَ ؛ وَإِذَا قُلْتَ : لَا تَأْكُلِ الْخُبْزَ أَوْ السَّمَكِ ، لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَأْكُلَ أَحَدُهُمَا

(١) الطاعم ، أى ذو الطعام ، أو المعلوم .

(٢) فى كلمتا النسختين « مزيد » بالياء المثناة ؛ وهو تصحيف . ومزيد بالموحدة هو صاحب النوادر المعروف .

(٣) الصحن والصحناء — وعمدان ويقصران — إدام يتخذ من السمك الصغير ؛ مشقاً
مصلح للمعدة

(٤) القطيعاء : التمر السهريز ، والتمر السهريز : الصغير ، وهو أردأ التمر ؛ وقيل هو
البسر قبل أن يدرك ؛ والبرزى نوع جيد من التمر . والجلّة : وعاء يتخذ من الخوص يوضع فيه
التمر . والدسم : الغلاظ .

(٥) الأوتسكى ، هو التمر السهريز ؛ وهو والقطيعاء التى تقدم شرحها فى الماشية السابقة
واحد ؛ وفى المخصص « الأؤم » مكان « البخل » ؛ وفى الأصل : « الأربكى » مكان
« الأوتسكى » ؛ وهو تحريف .

لأن التقدير في النفي لا تأكل أحدهما ، والتقدير في الإيجاب اثنتان هما شئت ؛
فهذه خاصية أو . السويقي : الجشيش^(١) ، لأنه رُضَّ وكُسِرَ . المجشَّة : رَحَى
صغيرة يُجشُّ بها . رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى الشَّيْثَانَ^(٢) عِنْدَ
أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ فَقَالَ : « حَارٌّ حَارٌّ » ، وَأَمَرَ بِالسَّنَا^(٣) .

وَيُقَالُ : أَكَلُ الْبَطِيخَ^(٤) ، تَجْفَرَةٌ ، أَيْ يَقْطَعُ مَاءَ الْفَسَاخِ .

وَيُقَالُ : فَلَانٌ عَظِيمُ الْمَجْرَاشِ^(٥) ، أَيْ الْوَسَطُ ، فَرَسٌ مُجَرَّشٌ^(٦) الْجَفْنَيْنِ
وَأَجْرَأَشْتُ^(٥) الْإِبِلُ ، إِذَا بَطَلَتْ ، وَإِبِلٌ مُجَرَّشَةٌ^(٦) أَيْ بَطَانٌ ؛ وَيُقَالُ :
كَثَا^(٧) قَدِيرُكُمْ ، وَهِيَ مَا أُرْتَفَعَ مِنْهَا عِنْدَ الْقَلَى .

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَاهُ أَبُو عَبَّاسٍ قَالَ : سَمِعْتُهُ يَقُولُ : « لَيْسَ
بِمُؤْمِنٍ مَنْ بَاتَ شَبَعَانَ [رِيَّانَ] وَجَارُهُ جَائِعٌ طَاوٍ » .

قَالَ عُمَرُ : مُدْمِنُ اللَّحْمِ كَدْمِنِ الْخَمْرِ .

وَقَالَ لَقِيَطُ بْنُ زُرَّارَةَ يَذُمُّ أَصْحَابَهُ يَوْمَ جَبَلَةَ :

(١) فِي الْأَصْلِ : « الْحَشِيشُ » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٢) الشَّيْثَانُ : نَبَاتٌ لَهُ حَبٌّ كَالْعَدَسِ ، وَأَوْرَاقُهُ تُشَبِّهُ الطَّرَخُونَ . وَفِي الْتَهَامَةِ لِابْنِ الْأَثِيرِ
عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا شَرِبَتْ الشَّيْثَانَ فَقَالَ إِنَّهُ حَارٌّ حَارٌّ ، وَفَسَّرَ الشَّيْثَانَ بِأَنَّهُ حَبٌّ كَالْعَدَسِ يَطْبِخُ
وَيُشْرَبُ مَاءُهُ لِقُدَاوَى ، وَقِيلَ إِنَّهُ نَوْعٌ مِنَ الشَّيْثِ ، أَخْرَجَهُ الزَّخْمَشَرِيُّ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ .
(٣) السَّنَا . نَبَاتٌ مَعْرُوفٌ فِي الْأَدْوِيَةِ ، لَهُ حُلٌّ لِذَا يَبْسُ وَحَرَكَتُهُ الرَّيْحُ سَمِعْتُ لَهُ زَجَلًا
الوَاحِدَةَ سَنَانًا ، وَصَرَفَهُ بَعْضُهُمْ بِأَنَّهُ نَبَاتٌ يُشَبِّهُ الْحَنَاءَ ، زَهْرُهُ إِلَى الزَّرْقَةِ وَحَبُّهُ مَفْرَطُحٌ إِلَى
الطُّولِ مَرِيضٌ الْأَوْرَاقُ وَأَجْوَدُهُ الْحَاجَزِيُّ ، وَيَعْرِفُ بِسَنَانِكَةٍ ؛ وَقَدْ يُقَالُ لَهُ السَّنَا السَّكِيُّ ؛ وَنَوْعٌ
آخَرُ يُقَالُ لَهُ السَّنَا الرَّوْسِيُّ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « الْبَطِيخُ » بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٥) وَرَدَتْ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ الَّتِي تَحْتَ هَذَا الرَّقْمِ فِي الْأَصْلِ بِالْحَاءِ وَالسِّينِ الْمُهْمَلَتَيْنِ ؛ وَهُوَ
تَصْحِيفٌ ؛ وَالتَّصْوِيبُ عَنْ كَتَبِ الْفَنَةِ .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « كَبَاةٌ » بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ ، وَالتَّصْوِيبُ عَنْ كَتَبِ الْفَنَةِ .

إِنَّ الشَّوَاءَ وَالنَّشِيلَ وَالرُّغْفَ وَالْقَيْنَةَ الْحَسَنَاءَ وَالكَأْسَ الْأَنْفَ
لِلضَّارِبِينَ الْمَامَ وَالْخَيْلُ قُطِفَ

قيل لدُبٍّ : لَمْ تَفْقِرُ رَجُلًا فِي لَيْلَةٍ مِنْ كَثَرَةِ مَا تَأْكُلُ [مِنْ] عِنْدِي ؟ فَقَالَ :
لَا تَلْنِي ، فَإِنَّ بَيْنَ يَدَيَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ أَنْجَحِرُ فِيهَا فَلَا أَنْلَمُظُ إِلَّا بِالْهَوَاءِ .

قال ابن الأعرابي : إِذَا أَقْدَحَ ^(١) الرَّجُلُ مَرْءَةً بَعْدَ مَرْءَةٍ فَأَطْعَمَ لَحْمَهُ
الْمَسَاكِينَ سُمِّيَ مَتَمِّمًا ، وَبِهِ سُمِّيَ ابْنُ نُؤَيْرَةَ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ النَّابِغَةِ :

إِنِّي أَتَمُّ أَيْسَارِي وَأَمْنَحُهُمْ مَتْنِي الْأَيْدِي ^(٢) وَأَكْمُوا الْجَفْنَةَ الْأَدْمَا

الْثَرْمُ ^(٣) مِنْ فُتَاتِ الطَّعَامِ ، وَيُقَالُ الثَّرْمُ أَيْضًا [مَا فَضَلَ مِنْ] ^(٤) الطَّعَامِ
فِي الْإِنَاءِ [، وَيُقَالُ : طَعَامٌ ذُو نَزْلٍ ^(٥) . وَاللَّيْحُ وَالْمِلْحُ : السَّمْنُ ، يُقَالُ :

تَمَلَّحْتَ الْجَارِيَةَ وَتَجَلَّمْتَ إِذَا سَمِئْتَ .

وقال أبو الطمحان القيني ^(٦) :

وإِنَّ لَأَرْجُو مِلْحَهَا فِي بَطُونِكُمْ وَمَا كَشَطَتْ مِنْ جِلْدِ أَشْمَتِ أَغْبَرَا

هَكَذَا سَمِئْتُ . وَيُقَالُ : سَمِنَ حَتَّى كَانَتْ خَرَسٌ ^(٧) ، وَالْخَرَسُ ^(٨) : الدَّنُّ

بَعِيْنُهُ . وَفِي الْمَثَلِ : « إِنَّ آخِرَ الْخَرَسِ ^(٩) لَدُرْدِي » أَيْ آخِرُ الدَّنِّ دُرْدِي .

(١) أقدح الرجل ، أي ضرب بالفداح في اليسر .

(٢) كذا ورد هنا البيت في اللسان ؛ والذي في الأصل : « مَتْنِي الْأَيْدِي » مكان قوله :
مَتْنِي الْأَيْدِي ؛ وهو تحريف . والأدم : بضمين هو الأدم بتسكين الدال ، أي ما يؤتد به .
يقول : إنه يفوز بهذا اللحم فيطعمه المساكين .

(٣) في الأصل : الثرم ؛ وهو تصحيف . والتصويب عن كتب اللغة .

(٤) لم ترد هذه العبارة في (١) النقول عنها وحدها هذا الكلام ، غير أنها تكملة يقتضيها
سياق الكلام أخذنا من كتب اللغة ؛ وواضح أن الكلام بدونها يكون ناقصاً .

(٥) ذو نزل ، أي ذو بركة .

(٦) في الأصل : « المعني » ؛ وهو تصحيف .

(٧) في الأصل : « الحرش » ؛ وهو تصحيف في المواضع الثلاثة التي تحت هذا الرقم .

وَأُنشِدُ :

حَبْدًا صَنِيفٌ حَبْدًا مِنْ أَوَانٍ وَزَمَانٍ يَفُوقُ كُلَّ زَمَانٍ
 زَمَنُ الْخَمْرِ وَالْمَسَاوِرِ وَالْجَشَنِ^(١) وَوَرْدِ^(٢) الْخِلَافِ وَالرَّيْحَانِ
 زَمَنٌ كَانَتْ الْمَضَائِرُ^(٣) فِيهِ بُلُجُومُ الْجِدَاءِ وَالْعُضَلَانِ
 وَصُدُورُ الدَّجَاجِ بِالْخَلِّ وَالْمَرْمَى وَنَثَرِ السَّدَابِ وَالْأَنْجَذَانِ^(٤)
 وَسِمَانٍ مِنَ الْقَرَارِيحِ تُنْقَلَى بِعَصِيرِ الْأَغْنَابِ وَالرُّثْمَانِ
 وَشِوَا الرُّوزَةِ اللَّذِيذَةِ وَالْقَا رِصَ بَيْنَ الْحَلِيبِ وَالْأَلْبَانِ
 وَنَقَى السَّوِيْقِ بِالسَّكَّرِ الْمُنَى خُولٍ فِي الثَّلْجِ فِي الرَّجَاجِ الْيَمَانِ
 وَقِلَالٌ تُعَطُّ مِنْ بَهَكْرَاتٍ مُرَوِيَاتٍ غَلَائِلَ الْعَطَشَانِ
 وَأَعْتَرَضَ حَدِيثُ الْعِلْمِ ، فَأَنْشَدَ ابْنُ عُثَيْدٍ الْكَاتِبُ لِسَابِقِ الزُّبَيْرِيِّ قَوْلَهُ :
 الْعِلْمُ يَجْلُو الْعَمَى عَنْ قَلْبِ صَاحِبِهِ كَمَا يُجَلِّي سَوَادَ الظُّلْمَةِ الْقَمَرُ
 وَقَالَ أَيْضًا :

إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ لَكَ حُسْنُ فَهْمٍ أَسَاتَ إِجَابَةً وَأَسَاتَ فَهْمًا

(١) الجشن : لفظ فارسي معناه مجتمعات الناس في الأعياد والولائم ونحو ذلك ، كما في المعجم الفارسي الإنجليزى لاستاينجاس . ولم نجد للمساور معنى يناسب السياق ، فلعله تحريف لم نهتد إلى وجه الصواب فيه . وفي الأصل : (ومن) مكان (زمن) ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل « ورد » مكان (وورد) ؛ وهو تحريف .

(٣) في الأصل : « ومن كانت المضار » ؛ وفيه تحريف لا ينبغي . والمضائر : جمع مضيرة وهي لحم يطبخ بالبن المضير ، أى الحامض ، وقد يخلطون به الحليب . أما كيفية عملها فقد ذكرت في كتب الأطعمة فانظرها .

(٤) الأنجذان : نبات له أصل أغلظ من الإصبر ، وقرون كقرون اللوباء ، فيها حب كالعندس ؛ وهو فارسي معرب .

آخر :

الْعِلْمُ يُنْمِشُ أَقْوَامًا قَيْنَقَمُهُمْ^(١) كَالْقَيْثِ بِدُرِّكَ عِيدَانَا فَيُخَيِّبُهَا
فقال الوزير : عندي في صحيفة حفظ الصبا : الْعِلْمُ سِرَاجٌ يُجَلِّي الظُّلْمَةَ ،
وَضِيَاءٌ يَكْشِفُ الْعَمَى .

الَّذِلُّ مَكْرُوهٌ إِلَّا فِي اسْتِفَادَتِهِ ، وَالْحِرْصُ مَذْمُومٌ إِلَّا فِي طَلَبِهِ ، وَالْحَسَدُ
مَنْعِيٌّ عَنْهُ إِلَّا عَلَيْهِ .

ثم عاد الحديث إلى المأخلة :

(٣)

حدثني مطهر بن أحمد الكاتب عن ابن قرارة العطار قال : اجتمع ذات
يوم عندي على المائدة أبو علي بن مقلّة وأبو عبد الله اليزيدي ، وكان ابن
مقلّة يُفَضِّلُ الهريسة ، وكان اليزيدي يُفَضِّلُ الجوزابة ، وكان كل واحد منهما
يصف النوع الذي يقول به ويؤثره ، فقال اليزيدي : الهريسة طعام الشوقيين
والسُّقَلَة ، وليست الجوزابة بهذه الصفة ؛ فقال لي ابن مقلّة : ما أسم الجوزابة
بالفارسية ؟ فقلت : جَوَزَاب^(٢) ، فقال : ضَمَّ الكاف^(٣) . وفهمت ما أراد ،
فقلت : نسأل الله العافية ، والله لقد عافيتها نفسي ، وسكنت اليزيدي .

قال يزيد بن ربيع : الكباب طعام الصماليك ، والماء والمالح طعام
الأعراب ، والمرأس والرءوس طعام السلاطين ، والشواه طعام الدُّعَار ، وأغلل
والزيت طعام أمثالنا .

(١) ينقمهم ، أي يروهم ، وفي الأصل « ينقمهم » بالفاء ؛ ولعل سوابه ما أثبتنا
أخذنا من التشبيه . (٢) ضبطنا هذا اللفظ بفتح الجيم وبالزاي بعدها لما تقتضيه النكتة
الآتية . وهذا اللفظ بالفارسية ينطق بالذال أو الزاي كما في معجم استاينجاس بمعنى الطعام الذي
يتخذ من اللحم والأرز والسكر والبندق .

(٣) أراد بالكاف هنا الكاف الفارسية وهي تنطق جيم مصرية ، ويعبر إلى لفظ جوز
بالفارسية وهو الفساء ؛ فهو يفره من هذا الطعام بهذه النكتة .

وَحَدَّثَنِي أَبُو نُجَيْمٍ الصُّوفِيُّ قَالَ : قَالَ لِي أَبُو عَمْرِو الشَّارِئِيُّ ^(١) صَاحِبُ
الْخَلِيفَةِ : انْهَضْ بِنَا حَقَّ نَيْفَدَى ، فَإِنَّ عِنْدِي مَصُوصًا ^(٢) وَهَلَامًا ^(٣) وَبَقِيَّةَ
مُطَجَّجَةٍ ، وَشَيْئًا مِنَ الْبَازَنْجَانِ الْبُورَانِيِّ الْبَائِتِ الْحَمَرِّ . قُلْتُ : هَذِهِ كُلُّهَا تَزَايِينُ
الْمَائِدَةِ ، فَأَيْنَ الْأَذَمُ ؟

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَلِيٍّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ يُكْثِرُ أَكْلَ الْجُذَابِ
وَلَا يُؤْثَرُ عَلَيْهِ شَيْئًا ، وَكَانَ يَقُولُ : يَشُدُّ الْعَضْدَيْنِ ، وَيَقْوَى السَّاعِدَيْنِ ، وَيَجْلُو
النَّاطِرَيْنِ ، وَيَزِيدُ فِي سَمْعِ الْأَذْنَيْنِ ، وَيَحْمَرُّ الْوَجْنَتَيْنِ ، وَيَزِيدُ فِي اللَّيْلِ ، وَهُوَ
طَعَامُ شَعْيٍ ، فَأَيُّ شَيْءٍ بَقِيَ ؟

وَبَلَغَ الْمَنْصُورَ وَصْفَهُ هَذَا ، فَقَالَ : بِحَقِّ مَا وَصَفَهُ ، وَلَا نَقْبِلُ أَكْلَهُ .
وَقَالَ وَكَيْعُ بْنُ الْجِرَّاحِ : التَّمْتِينُ ^(٤) عَلَى الْمَائِدَةِ خَيْرٌ مِنْ زِيَادَةِ لَوْنَيْنِ ،
وَكَأَلُ الْمَائِدَةِ كَثْرَةُ الْخُلْبِزِ ، وَالسَّمِيدُ الْأَبْيَضُ أَحْلَى مِنَ الْأَصْفَرِ .

وَكَانَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمٍ يَحِبُّ ^(٥) الْجُذَابَ ، فَبَلَغَهُ أَنَّ رَجُلًا مِّنْ [يَحْضُر] عِنْدَهُ
يَعِيبُ الْجُذَابَ ، فَقَالَ يَحْيَى : إِنْ ثَبَتَ عِنْدِي هَذَا تَوَقَّعْتُ عَنْ شَهَادَتِهِ ، وَحَكَمْتُ
عَلَيْهِ بِضَمْفِ الْحَسِّ وَقَلَّةِ التَّمْيِيزِ ، فَبَلَغَ الرَّجُلَ ذَلِكَ ، فَأَحْتَرَسَ ، فَقَالَ لَهُ يَحْيَى
يَوْمًا : مَا قَوْلُكَ فِي الْجُذَابِ ؟ فَقَالَ : أَشْرَفَ مَا أَكَلِ وَأَطْيَبُهُ ، سَهْلٌ لِلدَّخْلِ ،
لَذِيذٌ لِلطَّعْمِ ، حَيِّدٌ الْغِذَا ، قَلِيلٌ الْأَذَى . قَالَ : أَصَبْتَ ، هَكَذَا أُرِيدُكَ .
أَبُو صَالِحٍ عَنْ أَبِي عُبَّاسٍ قَالَ : مَا مِنْ دَاخِلٍ إِلَّا وَلَهُ حَيِّزَةٌ ، فَأَبْدَهُوهُ

(١) كَذَا فِي (ب) : وَالْقِي فِي (١) : « ابْنُ أَبِي حَمْرَةَ الشَّرَائِي » .

(٢) الْمَصُوصُ : طَعَامٌ مِنْ لَحْمٍ يَطْبَخُ وَيَنْقَعُ فِي الْمَلِّ ؛ وَيَكُونُ مِنْ لَحْمِ الطَّيْرِ خَاصَّةً .

(٣) الْهَلَامُ كَنْزَابٌ : طَعَامٌ مِنْ لَحْمٍ يَجْلِبُ بِجِلْدِهِ ؛ وَقِيلَ مَرَقُ السَّكْبَاجِ الْبَرْدُ الْمَصْفَى

مِنَ الدَّهْنِ . (٤) التَّمْتِينُ : تَهْوِيَةُ الطَّعَامِ بِالْأَفَاوِيهِ .

(٥) فِي (١) : « يُوْثَرُ » .

بالسلام ، وما من مدْعُوٍّ إلا وله حِشْمَةٌ ، فابدأوه باليمين ^(١) .

قال خُذَان : قلتُ لجاريةٍ آردتُ شراءَها — وكانت ناعمة البدنِ رَطْبَةً شَطْبَةً ^(٢) غَضَّةً بَضَّةً — : ما كان غِذاؤُك عند مولاك ؟ قالت : المَبْطَنُ . قلتُ : وما المَبْطَنُ ؟ قالت : الأرزُ الرِّيانُ مِنَ اللَّبَنِ ، بالفالوذجِ الرِّيانِ من العسلِ ، والخبِيصَةُ الرِّيانَةُ مِنَ الدَّهْنِ والسكرِ والزَّعفرانِ . قلتُ : حقٌّ لك .

وقال ابنُ الجِصَّاصِ الصُّوفِيّ : دَخَلْتُ عَلَى أَحْمَدَ بْنِ رَوْحِ الْأَهْوَازِيِّ قَالَ : ما تقولُ في صَحْفَةٍ أَرْزِي مَطْبُوحٌ ، فيها نَهْرٌ مِنْ سَمْنٍ ، على حافتيها كُتُبَانٌ مِنَ الشَّكْرِ المَنْخُولِ ، فدمعتُ عَيْنِي ، فقال : مالك ؟ قلتُ : أبكي شَوْقًا إِلَيْهِ ، جعلنا الله وإِيَّاكَ مِنَ الْوَارِدِينَ عَلَيْهِ بِالْفَوَاصِ وَالرَّدَّادَتَيْنِ . فقال لي : ما الفَوَاصِ [والرَّدَّادَتَانِ] ^(٣) ؟ قلتُ : الفَوَاصِ الْإِبْهَامُ ، والرَّدَّادَتَانِ : السَّبَابَةُ وَالْوُسْطَى . فقال : أحسنتَ ، بَارَكَ اللهُ عَلَيْكَ .

شَكَرَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ الْجُجُوعَ فَقَالَ : أَكْذَكَ وَأَنْتَ تَنْتُ نَتْ ^(٤) الْحَمِيَّتِ ؟
أَيُّ تَرْشَحُ كَمَا يَرْشَحُ الزُّقُّ .
وقال ابنُ سُكْرَةَ :

أَطْمَعَنِي فِي خَرُوفِكُمْ خَرَفِي فِجْتُ مُسْتَفْجِلًا وَلَمْ أَقِفْ
وَجِثْتُ أَرْجُو أَطْرَافَهُ فَعَدَّتْ فِي طَرَفِي وَالسَّمَاءُ ^(٥) فِي طَرَفِي

(١) في (١) : « بالتمييز » ؛ وهو تحريف .

(٢) الشطبة : الجارية الحسناء الغضة ؛ وقيل الطويلة .

(٣) لم ترد هذه الكلمة في الأصل ؛ والسياق يقتضيها أخذنا من الجواب .

(٤) في الأصل : « تمت مت » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا قلائعاً للصادر التي بين أيدينا ، ونصه فيها ؛ وفي حديث سمر أنه جاءه رجل فقال له : هلكت . فقال له : أهلك وأنت تنث كما ينث الحميت ؟ .

(٥) في الأصل : « والشمال » ؛ وهو تحريف . والنصوب عن يتيمة الدهر .

وَحَذَّرُونِي مِنْ ذِكْرِ رُزَّتِهِ يَا حَرَّ صَدْرِي لَهَا وَيَا لَهْفِي
عَايِنْتُهُ وَالَّذِي يُفَصِّلُهُ وَالْقَلْبُ مِنِّي عَلَى شَفَا جُرُفٍ
مَا حَلَّ بِي مِنْكَ عِنْدَ مُنْصَرَفِي مَا كُنْتُ إِلَّا فَرِيَسَةً التَّلَفِ
ويقال : القانع غني وإن جاع وعري ، والحريص فقير وإن ملك الدنيا .
قيل لإبراهيم الخليل - عليه السلام - : بأي شيء ألتخذك الله خليلاً ؟
قال : بأني ما خيَّرتُ بين أمرين إلا اخترتُ الذي لله ، وما أهتَمْتُ لما
تَكْفَلُ لي به ، وما تَغْدِيْتُ وما تَعَشِّيْتُ إِلَّا مع ضَيْفٍ .

وأعترض حديث فقال : أنشدني بَيْتِي ابن غسان البصريُّ في حديث
بَخْتِيَارٍ ، يَعْنِي عِزَّ الدَّوْلَةِ ، فَأَنشَدْتُهُ :

أَقَامَ عَلَى الْأَهْوَاكِ سِتِّينَ لَيْلَةً يَدْبُرُ أَمْرَ الْمَلِكِ حَتَّى تَذْمُرَا
يَدْبُرُ أَمْرًا كَانَ أَوَّلُهُ عَمًى وَأَوَسَطُهُ تُكْلًا وَآخِرُهُ خَرًا
فقال : ما أعجبَ الأمورَ التي تأتي بها الدهُورُ ! عُدْ إلى قِرَاءَتِكَ ،
فمَدْتُ وَقَرَأْتُ .

رَوَى فِي الْحَدِيثِ : لَا تَأْكُلُوا ذِرْوَةَ الثَّرِيدِ ، فَإِنَّ الْبَرَكَةَ فِيهَا .
وقال أعرابي : اللَّبَنُ أَحَدُ اللَّحْمَيْنِ ، وَمَلِكُ الْمَجِينِ أَحَدُ الرَّيْعَيْنِ ،
وَالْمَرْقَةُ أَحَدُ اللَّحْمَيْنِ ، وَالبَلاغَةُ أَحَدُ السَّبْقَيْنِ ^(١) وَالنَّمْنَى أَحَدُ الشُّكْرَيْنِ ^(٢)
أَرَادَ مُزِيدٌ أَضْحِيَّةً فَلَمْ يَجِدْهَا ، فَأَخَذَ دِيكًا لِيَضْحَى بِهِ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ جِيرَانُهُ
شَاءَ شَاءَ حَتَّى اجْتَمَعَ عِنْدَهُ سِتْعُ شَيْءٍ ، فَقَالَ دِيكِي أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ إِسْحَاقَ
لأنه فُدى بِكَبْشٍ ، وَدِيكِي بِسَبْعَةٍ .

(١) في الأصل : الشيعين ؟ وهو تحريف ؟ والسياق يقتضي ما أثبتنا .

(٢) في الأصل . « السلوين » ؛ وهو تحريف لا معنى له .

الْكُتْلُ : اللَّحْمُ ^(١) ، وَالْعَيْمَةُ ^(٢) : شَهْوَةُ اللَّبَنِ ، وَالْقَرَمُ : شَهْوَةُ اللَّحْمِ .
 وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرِقَّ قَلْبُهُ فَلْيَكْثِرْ مِنْ أَكْلِ
 الْبَلَسِ » . قيل : هُوَ التَّيْنُ .

وقال أعرابي :

يَمُنُّ عَلَى التَّزْوِيجِ شَيْخِي وَفِي التَّزْوِيجِ لِي هَمٌّ وَشُغْلٌ
 وَكُنْتُ مِنَ الْهُمومِ رَخِيَّ بِالٍ فَحَلَّ مِنَ الْهُمومِ عَلَى قَلْبِي
 فَقُلْتُ لَهُ : مَنَنْتَ بِغَيْرِ مَنْ وَمَالَكَ بِالَّذِي أَسَدَيْتَ فَضْلُ
 أَغْزَابِ الْعَشِيرَةِ لَوْ عَلِمْتَ بِحَالِي حِينَ لِي بَيْتٌ وَأَهْلٌ
 عَلِمْتُمْ أَنْكُمْ فِي حَالٍ عَيْشٍ رَخِيَّ مَالَهُ يَا قَوْمُ عَذْلُ
 قال إسحاق الموصلي : أَتَمَلِي بَعْضُ الْفُقَهَاءِ بِالْكُوفَةِ أَنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَرِهَ السَّمَرَ إِلَّا فِي الْفَقْهِ ، يَرِيدُ كَثْرَةَ السَّمَرِ إِلَّا فِي الْفَقْهِ .
 قيل لبسرة الرأس ^(٣) : مَا أَكْثَرُ مَا أَكَلْتُ ؟ قَالَ : مَائَةٌ رَغِيفٍ بِكَيْلَجَةٍ
 مِلْحٍ ؛ فَقِيلَ هَذَا أَكَلْتُكَ فِي بَيْتِكَ ؟ قَالَ : آكَلْتُ فِي بَيْتِي رَغِيفَيْنِ ، وَأَحْتَشَى ^(٤)
 إِلَى اللَّيْلِ فِشْلَ الْخَيْلِ .

تَنَآوَلَ الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ تَفَاحَةً فَأَكَلَهَا ، فَقِيلَ : وَيْنَحَكَ ، تَأْكُلُ
 التَّحِيَّاتِ ؟ فَقَالَ : وَالصَّلَوَاتِ وَالطَّيِّبَاتِ .

يُقَالُ : الطَّنْمَةُ : السَّكْسَبُ . وَيُقَالُ : جَثْتُ بِالطَّنْمَةِ . وَالطَّنْمُ : الطَّعَامُ :

(١) الكتل : اللحم ، أى القطع منه ، الواحدة كتلة ، وفي الأصل « الكيل » بالباء ؛
 وهو تصحيف .

(٢) وردت هذه الكلمة في الأصل مضطربة الحروف تتمذر قراءتها ، وما أثبتناه
 من كتب اللغة . (٣) في (ب) : « التراس » .

(٤) في كلتا النسختين : « وَأَتَجَشَّأ » ؛ وهو تحريف .

وَالطَّم : الذوق . وهذه الأرض طُعْمَةٌ لَكَ وطُعْمَةٌ .

قال إسحاق : كنت يوما عند أحمد بن يوسف الكاتب ، فدخل أحمد بن أبي خالد الكاتب ونحن في الغناء ، فقال : والله ما أجِدُ شيئا مما أنتم فيه . قال إسحاق : فهان على وخف في عيني ، فقلت له كالستهزي به ، جُعِلْتُ فداك ، قَصَدْتَ إلى أرق شيء خَلَقَهُ اللهُ وأَلَيَّنِهِ على الأذن والقلب ، وأظهره للسرور والفرح ، وأنفاه لهمم والحزن ، وما ليس للجوارح منه مؤونة غليظة ، وإنما يقرع السمع وهو منه على مسافة ، فتطرب له النفس ، فذمته ! ولكنه كان يقال : لا يجتمع في رجل شهوة كل لذة ، وبعد ، فإن شهوة كل رجل على قدر تركه ومزاجه . قال : أجل ، أما أنا فالطعام الرقيق أعجب إلى من الغناء . فقلت : إى والله ولحم البقر والجواميس والطيوس الجبلية بالبازنجان المبرر أيضا تُقدِّمه ؟ فقال : [الغناء ^(١)] يُخْتَلَفُ فيه ، وقد كرهه قوم . قلتُ فَاُخْتَلَفَ ^(٢) فيه أطلقه لنا حتى تُجِيبُوا على تحريري ، أعلمت — جُعِلْتُ فداك — أن الأوائل كانت تقول : مَنْ سَمِعَ الغناء [على] حقيقة مات . فقال : اللهم لا تُسمعناه على الحقيقة إذا فتموت . فاستظرفته في هذه اللفظة ، وقدموا إليه الطعام فشغل من ذم الغناء .

قال سعيد بن أبي عروبة : نزل الحجاج في طريق مكة ، فقال الحاجب : انظر أعرابيا يتقدمي ممي ، وأسأله عن بعض الأمر ، فنزل الحاجب إلى أعرابي بين شملين ، فقال : أجب الأمير ، فأتاه ، فقال له الحجاج : إذن فتقدمي ممي . فقال : إنه دعاني مَنْ هو أولى منك فأجبتُه . قال : ومن هو ؟ قال : الله عز

(١) لم ترد هذه الكلمة في كلتا النسختين ؛ والسياق يقتضيها .

(٢) في كلتا النسختين : « فالاختلاف » ؛ وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا .

وَجَلَّ دَعَايَ إِلَى الصَّوْمِ فَصُمْتُ، قَالَ: أَيْ هَذَا الْيَوْمِ الْحَارَ؟ قَالَ: نَعَمْ، صُمْتُهِ لِيَوْمٍ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ حَرًّا. قَالَ: فَأَنْظِرْ وَصُمْ غَدًا. قَالَ: إِنْ صُمَمْتُ لِيَ الْبَقَاءِ إِلَى غَدٍ. قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيَّ. قَالَ: فَكَيْفَ تَسْأَلُنِي عَاجِلًا بِأَجَلٍ لَا تَقْدُرُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: إِنَّهُ طَعَامٌ طَيِّبٌ. قَالَ: إِنَّكَ لَمْ تُطَيِّبْهُ وَلَا الْخَبَازَ؛ وَلَكِنْ الْعَافِيَةَ طَيَّبْتَهُ، وَلَمْ يُفَطِّرْ، وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ.

قال أعرابي: هَذَا الطَّعَامُ مَطْيَبَةٌ لِلنَّفْسِ، مَحْسَنَةٌ لِلْجِسْمِ.

قال أبو حاتم: حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ: قَالَ أَبُو طَيْفَلَةَ الْجَرْمَازِيُّ^(١): قَالَ أَعْرَابِيٌّ: ضِفْتُ رَجُلًا فَأَتَانَا بِخُبْزٍ مِنْ بَرٍّ كَأَنَّهُ مَنَاقِبُ النَّفْرَانِ^(٢)، وَأَتَانَا بِبَيْتَرٍ كَأَعْنَاقِ الْوَرْلَانِ^(٣)، يَوْحَلُ فِيهِ الضَّرْسُ.

وقال آخر: ونظر إلى رَجُلٍ يَأْكُلُ بِالْعَيْنِ وَالْفَمِ وَالْيَدِ وَالرَّأْسِ وَالرَّجْلِ: لَوْ سَأَلْتَهُ عَنْ اسْمِهِ لَمَّا ذَكَرَهُ، وَلَوْ طَلَعَ وَلَدُهُ الْغَائِبُ عَلَيْهِ مَا عَرَفَهُ:

يَلْتَبُّ بِالْخَمْسَةِ فِي قَصْمَةٍ لَيْتَبُ أَخِي الشُّطْرَنْجِ بِالشَّاهِ

قال ابن الأعرابي: كَانَ الْمُحَسِّنُ الضُّبِّيُّ^(٤) شَرِّهَا عَلَى الطُّعْلَمِ، وَكَانَ دِيمًا، فَقَالَ لَهُ زِيَادُ ذَاتِ يَوْمٍ: كَمْ عِيَالُكَ؟ قَالَ: تِسْعُ بَنَاتٍ. قَالَ: فَأَيْنَ مِنْهُنَّ مِنْكَ. فَقَالَ: أَنَا أَحْسَنُ مِنْهُنَّ وَهِنَّ آكَلْنَ مِنِّْي؛ فَضَحِكَ. وَقَالَ: جَازَ^(٥) مَا سَأَلْتَ لَهْنًا. وَأَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ [فَقَالَ]:

(١) فِي الْأَسْلِ: «الْجَرْمَازِيُّ»؛ وَهُوَ تَصْغِيرٌ.

(٢) النَّفْرَانُ: جَمْعُ نَفَرٍ يَضُمُّ فَتْحًا، وَهُوَ فَرْخُ الْمَصْفُورِ أَوْ طَائِرٌ يَعْجَبُهُ.

(٣) الْوَرْلَانُ: جَمْعُ وَرْلٍ بِالتَّحْرِيكِ، وَهُوَ دَابَّةٌ شَبِيهَةٌ بِالضَّبِّ.

(٤) فِي (١) الْحَقْفِيُّ مَكَازٍ: الْحَسَنُ، وَفِي (ب) «الْأَلْسِي» مَكَانُ الضُّبِّيِّ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٥) جَازَ مَا سَأَلْتَ، أَيْ قَدْ أَمَرْنَا بِهِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُمُ: السَّرُورُ تَوْقِيعُ جَائِزٍ، أَيْ نَافِذٍ.

مَنْشُورٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ: «جَاءَ».

إذا كنت مُرْتَادَ الرَّجَالِ لِنَفْسِهِمْ فَنَادِ^(١) زِيَادًا أَوْ أَخَا زِيَادٍ
يُجَبِّكَ اسْرُوءًا يُعْطَى عَلَى الْحَدِّ مَالَهُ إذا ضَنَّ بِالْمَرْوِفِ كُلُّ جَوَادٍ
وقال سِنَانُ بْنُ أَبِي حَارِثَةَ :

ثُمَّ أَطْلِمُ زَادِي غَيْرَ مُدْخِرٍ أَهْلَ اللَّحْلَةِ مِنْ جَارٍ وَمِنْ جَادِي^(٢)
قَدْ يَعْلَمُ الْقَوْمُ إِذْ طَالَ اغْتِرَابُهُمْ وَأَرْمَلُوا الزَّادَ أَنِّي مُنْفِدٌ زَادِي
وقال السَّفَّاحُ بْنُ بَكْرٍ :

وَالسَّالِي الشَّيْزِيُّ^(٣) لِأَضْيَافِهِ كَأَنَّهَا أَعْضَادُ حَوْضٍ بِقَاعٍ
لَا يَخْرُجُ الْأَضْيَافُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا وَهُمْ مِنْهُ رِوَالُ شِبَاعٍ
أَوْرَدَ أَعْرَابِيٌّ إِلَيْهِ ، فَأَبَى أَهْلُ الْمَاءِ أَنْ يُجِيزُوهُ ، وَقَالُوا : إِبْلُكَ كَثِيرَةٌ ، فَإِنْ
أَوْرَدْتَ فَشَرَطْنَا أَنْ تَقِفَ بَعِيدًا عَنِ الْمَاءِ وَتَسْقَى مَا جَاءَكَ مِنْهَا ، وَلَا تُحَاجِزَ^(٤)
بِهَا ؛ قَالَ : أَقْبَلُ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

رُبَّ طَبِيخٍ مَرَجَلٍ مُلْهَوِجٍ يَسْلُتُهُ الْقَوْمُ وَلَمَّا يَنْضَجِ
حُشٌّ بِشَيْءٍ مِنْ ضِرَامِ الْعَرَانِجِ^(٥)
فَأَنْقَضَتْ الْإِبِلُ كُلُّهَا عَلَى الْمَاءِ فَشَرِبَتْ .

قال الشاعر :

شَرِبُ النَّدِيدِ عَلَى الطَّعَامِ قَلِيلُهُ^(٦) فِيهِ الشَّوْءُ فَهَلْ وَصِيحَةُ الْأَبْدَانِ

(١) في (١) : « فبادر » . (٢) الجادى : طالب الجدوى .
(٣) الشَّيْزِيُّ بكسر الشين وفتح الزاي خشب أسود تصنع منه الفصاع . ويريد هنا
نفس الفصاع ؛ وأعضاء الحوض ما عهد حوله من البناء . وفي الأصل : « السرى » مكان قوله :
« الشيزى » ؛ وهو تصحيف . (٤) المحاجة : الماسة .
(٥) حش النار : أوقدها ، والمرفج ضرب من النبات سهل سريع الاتقاد وهو من شجر
الصيف وهو لين أغبر إلى الخضرة له ثمرة خشنة كالحسك وزهره أصفر ولهبه شديد الحمرة
(٦) في الأصل : « بلية » ؛ وهو تحريف .

وإذا شَرِبْتَ كَثِيرَهُ فَكَثِيرُهُ مُرْجٌ عَلَيْكَ رَكائبَ الشَّيْطَانِ
فَتَكُونُ بَيْنَ الضَّاحِكِينَ كَبُومَةٍ غَمِيَاءَ بَيْنَ جَمَاعَةِ الْغُرَبَانِ
فَأَحْذَرْ بِمِثْلِكَ أَنْ تُنْزَى كَجَنِينَةٍ بَعْدَ الْعِشَاءِ تُقَادُ بِالْأُرْسَانِ
قال حمزة المصنف في بعض كتبه : قال النبي صلى الله عليه وسلم لسلطان
الفراسي : أَنْ اتَّخِذَ لَنَا سُورًا ، أَى طَعَامًا كَطَعَامِ الْوَلِيمَةِ ، وَهِيَ فَارِسِيَّةٌ .
قال شيخنا أبو سعيد السِّيرافي : أَخْطَأَ هَذَا لِلنَّوْءِ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنْ سَلَّمَ أَنْ تَخْذَ لَنَا خَنْدَقًا يَوْمَ الْأَحْزَابِ ، لِأَنَّهُ حَصَّ^(١) عَلَى ذَلِكَ ،
وَلَيْسَ ذَا مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِاللَّفْظِ .

وقال جُعَيْفَرُ بْنُ الْمُوسَى فِي وَصْفِ عَصِيدَةٍ :

وَمَاءٌ عَصِيدَةٌ حَمْرَاءُ تَحْكِي إِذَا أَبْصَرْتَهَا مَاءُ الْخَلْقِ^(٢)
تَزِلُّ عَنِ الْأَهَامَةِ تَمُرُّ سَهْلًا وَتَجْرِي فِي الْعِظَامِ وَفِي الْعُرُقِ
قال الحسن بن سهل : أَشْيَاءُ تَذْهَبُ هَبَاءً ، دِينَ بِلَا عَقْلِ ، وَمَالٌ بِلَا بَذْلِ
وَعِشْقٌ بِلَا وَصْلِ . فقال حميد : بَقِيَ عَلَيْهِ مَائِدَةٌ بِلَا نَقْلِ^(٣) ، وَلَعَسَةَ بِلَا فَضْلِ .
فيل لصوفي : مَا حَدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : الْمَوْتُ .
وقيل لآخر : مَا حَدُّ الشَّبَعِ ؟ قال آ كَلْ حَتَّى يَقَعَ عَلَى الشُّبَاتِ فَأَنَامَ عَلَى
وَجْهِهِ ، وَتَتَجَاوَى أَطْرَافِي عَنِ الْأَرْضِ .
وقيل لآخر : مَا حَدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : أَنْ أُدْخِلَ إصْبَعِي فِي حَلْقِي فَيَصِلَ
إِلَى الطَّعَامِ .

(١) فِي الْأَسْل : « خَمْس » ؟ وَهُوَ تَصْغِيفٌ .

(٢) فِي الْأَسْوَل : « تَحْكِي » مَكَانُ « تَحْكِي » وَ « الْخَلْقُ » مَكَانُ « الْخَلْقُ » ؟ وَهُوَ

تَحْرِيفٌ . وَالْخَلْقُ : ضَرْبٌ مِنَ الطَّيْلِ قَوَاهِ الزَّعْفَرَانِ

(٣) النَقْلُ : مَا يَنْتَقِلُ بِهِ عَلَى الطَّعَامِ .

قال يعقوب : أصبحتُ خالفا : لا أشتهى الطعام . وخُلوف البطنِ تَغْيَرُهُ .
ويقال : تَغَسَّنِي بَطْنِي ، وهو النَّفْس ، ورجل مَتَغُوس .
ويقال : غَمَزَنِي ^(١) بَطْنِي وَمَا كَفَى .

والعامة تقول : كلُّ ما في القَدْرِ تُخْرِجُهُ المِغْرَقَةُ ، ورجل مُقَرَضِب ^(٢)
وقَرَضِب ^(٣) وقَرَضَاب ^(٤) إذا كان أكوَّلا ، وكذلك السَّيْفُ وَاللَّصُّ ، قال الشاعر :
وليسَ يَرُدُّ النَّفْسَ عَنْ شَهَوَاتِهَا مِنْ الْقَوْمِ إِلَّا كُلُّ مَا ضَى الْقَزَائِمُ
ومَرَّ ابْنُ عَاصِرٍ عَلَى عَاصِرِ بْنِ عَبْدِ الْقَيْسِ وَهُوَ يَأْكُلُ بَقْلًا بِمِلْحٍ ، فقال :
لقد رَضِيتَ بِالْيَسِيرِ . فقال : أَرْضَى مِنِّي بِالْيَسِيرِ مَنْ رَضِيَ بِالدُّنْيَا عَوْضًا
عَنِ الْآخِرَةِ .

(٤) قال عبد الملك بن مروان : لا تَسْتَأْكِنُ إِلَّا عَرَضًا ، ولا تَأْكُلَنَّ إِلَّا عَضًا
ولا تَشْرَبَنَّ إِلَّا مَضًا ، ولا تَرْكَبَنَّ إِلَّا نَصًا ^(٥) ، ولا تَقْعِدَنَّ إِلَّا وَصًا .
ويقال : مَلَأَ قَرَّاحٌ ؛ وَخُبِرَ قَفَّارٌ : لا أَدَمَ مَعَهُ ، وَسَوِيقٌ جَافٌ ، وَلِهِنَّ
صَرِيحٌ : لَمْ يَخَالِطَهُ شَيْءٌ .

وقال سعيد بن سَلَمَةَ : شَيْثَانٌ لَا تَشْبَعُ مِنْهُمَا بَيْتُغَدَادَ : السَّمَكُ وَالرُّطَبُ .
قال أعرابي : أَكَلْتُ « فَرَسِيكَةً » ^(٦) وَطَى خَوْخَةَ ، فِجَاءُ غَلَامٍ حَزَوْرٌ ^(٧)
فَنَظَرَ حَرَّتِي ^(٨) .

(١) في الأصل : « عمرن » بالعين والراء المهملتين ، وهو تصحيف .
(٢) في الأصل : قرضب وقرضب ؛ وما أئبتهاه عن كتب اللغة .
(٣) النس : الارتفاع . (٤) في الأصل : « يمدن » مكان « يمدن » ؛ وهو
تحريف . وما أئبتهاه هو الملائم للوس ، وهو الإحكام في العمل .
(٥) في الأصل : (الفرشلة) بالشين المعجمة واللام ؛ وهو تحريف لا معنى له ؛ والتصحيح
والضبط عن المحمسن . (٦) الحزور : الغلام الذي اشند وقوى وخدم .
(٧) في الأصل : « حديقي » بالذال ؛ وهو تحريف .

الْفَرَسِيكَةِ : الْخَوْخَةُ الْمَقْدَدَةُ . وَالْخَوْخَةُ : الْقَبِيصُ الْأَخْضَرُ بَطْنٌ بَقَرُو .
وَالْحُرَّةُ^(١) : الْأُذُنُ .

قِيلَ لِحَانِمِ الْأَصْمِ : بِمِ رُزِقَتِ الْحِكْمَةُ ؟ قَالَ : بِمَخْلَاقَةِ الْبَطْنِ ، وَسَخَاوَةِ
النَّفْسِ ، وَمَكَابِدَةِ اللَّيْلِ .

وَقَالَ شَقِيقُ الْبَلْخِي : الْعِبَادَةُ حِرْقَةٌ ، وَحَابُوتُهَا الْغُلُوءُ ، وَأَلَتْهَا الْجُوعُ .
قَالَ لُثْمَانُ : إِذَا أُمْتَلَأَتِ الْمِدَّةُ نَامَتِ الْفِكْرَةُ ، وَخَرِسَتِ الْحِكْمَةُ ،
وَقَعَدَتِ الْأَعْضَاءُ عَنِ الْعِبَادَةِ .

وَقَالَ عَمْرٌ : لَوْلَا الْقِيَامَةُ لَشَارَكْنَاكُمْ فِي لَيْلٍ عَيْشِكُمْ .

وَقَالَ بَعْضُ الْعَرَبِ : أَقَلُّ طَعَامِكَ تَعَمُّدُ مَنَامِكَ .

قَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَادٍ : الشَّبَعُ يُكْنَى بِالْكَفْرِ .

وَقَالَ غَيْرُهُ : الْجُوعُ يُكْنَى بِالرَّحْمَةِ .

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ :

تَحَيَّرْتُ مِنْ خَيْفَةٍ أَنْ أَضِيفَهَا كَمَا أَنْحَازَتِ الْأَقْمَى مَخَافَةَ ضَارِبٍ
وَذَكَرَ الْمُهَلَّبُ اللَّحْمَ [فَقَالَ] إِذَا التَّقَى الْوَارِدُ وَالْغَائِبُ فَتَوَقَّعِ الْفَسَادَ .

الليلة الرابعة والثلاثون

وَقَالَ الْوَزِيرُ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي : قَدْ وَاللَّهِ ضَاقَ^(٢) صَدْرِي بِالْفَيْظِ لِمَا يَبْلُغُنِي^(١)

عَنِ الْعَامَّةِ مِنْ خَوْضِهَا فِي حَدِيثِنَا ، وَذَكَرَهَا أُمُورُنَا ، وَتَنْبِيْهَا لِأَسْرَارِنَا ، وَتَنْقِيْهَا

عَنِ مَسْكُونِ أَحْوَالِنَا^(٣) ، وَمَكْتُومِ شَأْنِنَا ، وَمَا أَدْرِي مَا أَصْنَعُ بِهَا ، وَإِنِّي لَأُثْمُ فِي

(١) فِي الْأَسْلِ : « الْحَدِيَّة » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي (١) : « فَاس » . (٣) فِي (ب) : « أَخْبَارُنَا » .

الوقت بعد الوقت بقطع السنة وأيد وأزجل وتنكيل شديد ، لعل ذلك يطرح
 الهيبة ويخسب المادة ، ويقطع هذه المادة ، لحام الله ، ما لم لا يقبلون على
 شؤونهم المهمة ، ومعايشهم النافعة ، وفرائضهم الواجبة ؟ ولم يقبلون عما ليس
 لهم ، ويرجعون بما لا يجدي عليهم ، ولو حققوا ما يقولون ما كان لهم فيه عائدة
 ولا فائدة ؛ وإنى لأعجب من لهجهم ^(١) وشغفهم بهذا الخلق حتى كأنه من
 الفرائض المحتومة ، والوظائف الملزومة ؛ وقد تكرّر منا الزجر ، وشاع الوعيد ،
 وفشا الإنكار بين الصغار والكبار ، ولقد تعاين على هذا الأمر وأغلقت دوايني
 بابه ، وتسكّنت على حجابيه ، والله المستعان .

قلت : أيها الوزير ، عندى فى هذا ^(٢) جوابان : أحدهما ما سمعت من شيخنا
 أبى سليمان ، وهو من تفوّق فى الفضل والحكمة والتجربة ومحبّة هذه الدولة ^(٣)
 والشفقة عليها من كل هبة ودبة ؛ والآخر مما سمعته من شيخ صوفى ، و
 الجوابين فائدتان عظيمتان ، ولكن الجملة خشناء ، وفيها بعض الغلظة ، والحق
 مرّ ، ومن توخى الحقّ احتمل مرارته .

قال : فاذا كرّ الجوابين وإن كانا غليظين ، فليس يُذنبع بالدواء إلا
 بالصبر على بشاعته ، وصُدود الطبع عن كراهته .

قلت : أمّا أبو سليمان ، فإنه قال فى هذه الأيام : ليس ينبغى لمن كان الله
 عز وجل جملة سائس الناس : عامتهم وخاصتهم ، وعالمهم وجاهلهم . وضعيفهم
 وقويهم ، وراجحهم وشاثلهم ، أن يضجر بما يبلغه عنهم أو عن واحد منهم
 لأسباب كثيرة ، منها : أن عقله فوق عقولهم ، وحلمه أفضل من حلولهم ،

(١) فى (ب) : « بمهم » . (٢) فى (ب) : « لهذا » .

(٣) فى (١) : « هذه المقالة » ؛ وهو خطأ من الناسخ .

وَصَبَّرَهُ أَنْتُمْ مِنْ صَبْرِهِمْ ؛ ومنها أَنَّهُمْ إِنَّمَا جُعِلُوا تَحْتَ قُدْرَتِهِ ، وَيَنْطَلِقُوا بِتَدْيِيرِهِ ، رَاخِطُوا بِتَضَرُّفِهِمْ عَلَى أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، لِيَقُومَ بِحَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِمْ ، وَيَصْبِرَ عَلَى جَهْلِ جَاهِلِهِمْ ، وَيَكُونَ عِمَادُ حَالِهِ مَعَهُمُ الرَّفْقَ بِهِمْ ، وَالْقِيَامَ بِمَصَالِحِهِمْ ، ومنها أَنَّ التَّلَاقَ الَّذِي بَيْنَ السُّلْطَانِ وَبَيْنَ الرَّعِيَّةِ قُوَّةٌ ، لِأَنَّهَا إِلَهِيَّةٌ ، وَهِيَ أَوْشَجُ مِنَ الرَّجْمِ الَّذِي تَكُونُ بَيْنَ الْوَالِدِ وَالْوَلَدِ ، وَالْمَلِكِ وَالْمَلَكِ كَبِيرٌ ، كَمَا أَنَّ الْوَالِدَ مَلِكٌ صَغِيرٌ ، وَمَا يَجِبُ عَلَى الْوَالِدِ فِي سِيَاسَةِ وَلَدِهِ مِنَ الرَّفْقِ بِهِ ، وَالْحُسْنُ عَلَيْهِ ، وَالرَّقَّةَ لَهُ ، وَاجْتِلَابَ الْمُنْفَعَةِ إِلَيْهِ ، أَكْثَرُ مَا يَجِبُ عَلَى الْوَلَدِ فِي طَاعَةِ وَالِدِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْوَلَدَ غَرَضٌ ، وَقَرِيبُ الْعَهْدِ بِالْكُونِ ، وَجَاهِلٌ بِالْحَالِ ، وَعَارٍ مِنَ التَّجَرُّبَةِ ، كَذَلِكَ الرَّعِيَّةُ الشَّيْبَةُ بِالْوَلَدِ ، وَكَذَلِكَ لِلْمَلِكِ الشَّيْبَةُ بِالْوَالِدِ ؛ وَمَا يَزِيدُ هَذَا الْمَقْنَى كَشْفًا ، وَيُكْسِبُهُ لُطْفًا ، أَنَّ الْمَلِكَ لَا يَكُونُ مَلِكًا إِلَّا بِالرَّعِيَّةِ ، كَمَا أَنَّ الرَّعِيَّةَ لَا تَكُونُ رَعِيَّةً إِلَّا بِالْمَلِكِ ، وَهَذَا مِنَ الْأَحْوَالِ الْمُتَضَافَةِ ، وَالْأَسْمَاءِ الْمُتَنَاصِفَةِ ؛ وَبِسَبَبِ هَذِهِ التَّلَاقِ الْمُخْصَكَةِ وَالْوَصْلَةِ الْوُشَيْجَةِ ، مَا لَهَجَتِ الْعَامَّةُ بِتَعَرُّفِ حَالِ سَائِسِهَا ، وَالنَّظَرِ فِي أَمْرِهَا ، وَالْمَالِكِ لَزَامِهَا ، حَتَّى تَكُونَ عَلَى بَيَانٍ مِنْ رَقَاةِ عَيْشِهَا ، وَطِيبِ حَيَاتِهَا ، وَذُرُورِ مَوَارِدِهَا ، بِالْأَمْنِ^(١) الْفَاشِي بَيْنَهَا ، وَالْعَدْلِ الْفَائِضِ عَلَيْهَا ، وَالْخَيْرِ الْجُلُوبِ إِلَيْهَا ، وَهَذَا أَمْرٌ جَارٍ عَلَى نِظَامِ الطَّبِيعَةِ ، وَمُنْدُوبٌ إِلَيْهِ أَيْضًا فِي أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ .

قَالَ : وَلَوْ قَالَتِ الرَّعِيَّةُ لِسُلْطَانِهَا : لَمْ لَا نَخْوَضُ فِي حَدِيثِكَ ، وَلَا نَبْتَخِثُ عَنْ غَيْبِ أَمْرِكَ ، وَلَمْ لَا نَسْأَلُ عَنْ دِينِكَ وَنَحْلَتِكَ وَعَادَتِكَ وَسِيرَتِكَ ؟ وَلَمْ لَا نَقِفُ عَلَى حَقِيقَةِ حَالِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ ، وَمَصَالِحِنَا مُتَعَلِّقَةٌ بِكَ ، وَخَيْرَاتُنَا مُتَوَقِّعَةٌ

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « بِالْأَمْنِ » ؛ وَهُوَ تَعْرِيفٌ .

من جهتك ، وسررتنا ملحوظة^(١) بتدبيرك ، ومساءتنا مصروفة باهتمامك ، وتظلمنا مزفوع بمرزك ، ورقايتنا حاصلة بحسن نظرك وجميل اعتقادك ، وشائع رحمتك ، وبلغ اجتهادك ، ما كان جواب سلطانها وسائسها ؟ أما كان عليه أن يعلم أن الرعية مصيبة في دعواها التي بها استطلت ، بلى والله ، الحق مغترف به وإن شغب الشاغب ، وأعنت المغنت .

قال : ولو قالت الرعية أيضاً : ولم لا تبحث عن أمرك ؟ ولم لا تسمع كل غث وسمين منا ! وقد ملكت نواصينا ، وسكنت ديارنا ، وصاдрتنا على^(٢) أموالنا ، وحلت بيننا وبين ضياعنا ، وقاسمتنا مواريتنا ، وأنسيتنا رفاغة^(٣) القيش ، وحبب الحياة ، وطمانينة القلب ، فطرقتنا نخوة ، ومساكننا منزلة^(٤) ، وضياعنا مقطعة ، ونعمنا منلوقة ، وحریمنا مستباح ، وتقذنا زائف ، وخراجنا مضاعف ، ومعاملتنا سيئة ، وجندينا متفطرس ، وشرطيها منحرف ، ومساجدنا خربة ، ورؤوفها منتهبة ، ومارستاناتنا خاوية ، وأعداؤنا مستكلبة ، وعيوننا سخينة ، وصدورنا مقيظة ، [وبلغتنا متصلة] ، وفرحنا مغدوم ؛ ما كان الجواب أيضاً عما قالت وعما لم تقل ، هيبة لك ، وخوفاً على أنفسها من سطوتك وصوتك ؟

وحكى لنا في عرض هذا الكلام أنه رفع إلى الخليفة المفتضد أن طاقة من الناس يجتمعون [بباب الطاق ويجلسون] في دكان شيخ تبان ، ويخوضون في الفضول والأراجيف وفنون من الأحاديث ، وفيهم قوم سرارة

(١) في (ب) : « ملحقة » ؟ وهو تحريف . (٢) في (١) : « من أموالنا » .

(٣) في (ب) : « رفاغة » بالعين المهملة ؟ وهو تصحيف ؟ ورفاغة العيش : خفزه ولينه .

(٤) في (ب) : « ومنازلنا مسكونة » .

وثَنَاءٌ^(١) وأهلُ بيوتاتٍ سوى من يَسْتَرِقِ السَّمْعَ مِنْهُمْ مِنْ خَاصَّةِ النَّاسِ ، وقد تَفَاقَمَ فَسَادُهُمْ وإِفْسَادُهُمْ ، فلَمَّا عَرَفَ الخَلِيفَةُ ذَلِكَ ضَاقَ ذَرْعًا ، وَحَرَجَ صَدْرًا ، وَأَمْتَلَأَ غَيْظًا ، وَدَعَا بِمُبَيِّدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، وَرَمَى بِالرَّفِيعَةِ^(٢) إِلَيْهِ ، وَقَالَ : أَنْظِرْ فِيهَا وَتَفَهَّمْهَا . فَعَمِلَ ، وَشَاهَدَ مِنْ تَرْبُدٍ^(٣) وَجَهَ الْمُعْتَصِدِ مَا أُرْجِعَ سَاكِنَ صَدْرِهِ ، وَشَرَّدَ آفَ صَبْرِهِ ، وَقَالَ : قَدْ فَهَمْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : فَمَا الدَّوَاءُ ؟ قَالَ : تَتَقَدَّمُ بِأَخَذِهِمْ وَصَلْبِ بَعْضِهِمْ وَإِحْرَاقِ بَعْضِهِمْ وَتَتَرَقَّى بَعْضِهِمْ ، فَإِنَّ الْمُتَوَبَّهَ إِذَا اخْتَلَفَتْ ، كَانَ الْهَوَلُ أَشَدَّ ، وَالْهَيْبَةُ أَفْشَا ، وَالزُّجُرُ أَنْجَعُ ، وَالْعَامَّةُ أَخَوْفُ . فَقَالَ الْمُعْتَصِدُ — وَكَانَ أَعْقَلَ مِنَ الْوَزِيرِ — : وَاللَّهِ لَقَدْ بَرَدَتْ لَهَيْبَ غَضَبِي^(٤) بِفَوْرَتِكَ هَذِهِ ، وَنَقَلْتَنِي إِلَى الْإِلَيْنِ بَعْدَ الْغِلْظَةِ ، وَحَطَّطْتَ عَلَيَّ الرَّفْقَ ، مِنْ حَيْثُ أَشْرَنْتَ بِالْخَرْقِ ، وَمَا عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْتَعِيزُ هَذَا فِي دِينِكَ وَهَدْيِكَ وَمُرُوءَتِكَ ، وَلَوْ أَمَرْتُكَ بِبَعْضِ مَا رَأَيْتَ بِعَقْلِكَ وَحَزَمِكَ لَكَانَ مِنْ حُسْنِ الْمُؤَازَرَةِ وَمَبْدُولِ النَّصِيحَةِ وَالنَّظَرِ لِلرَّعِيَّةِ الضَّعِيفَةِ الْجَاهِلَةِ أَنْ تَسْأَلَنِي^(٥) الْكَفَّ عَنْ الْجَهْلِ ، وَتَتَبَعْتَنِي عَلَى الْحِلْمِ ، وَتُحَبِّبَ إِلَيَّ الصَّنْعَ وَتُرَغِّبَنِي فِي فَضْلِ الْإِغْضَاءِ عَلَى هَذِهِ الْأَشْيَاءِ . وَقَدْ سَاءَنِي جَهْلُكَ بِحُدُودِ الْعِقَابِ وَبِمَا تُقَابِلُ بِهِ هَذِهِ الْجُرَازَ ، وَبِمَا يَكُونُ كُفًّا لِلذُّنُوبِ ، وَلَقَدْ عَصَيْتَ اللَّهَ بِهَذَا الرَّأْيِ وَدَلَلْتَ عَلَى قَسْوَةِ الْقَلْبِ وَقِلَّةِ الرَّحْمَةِ وَبُيْسِ الطَّيْنَةِ وَرِقَّةِ الدِّيَانَةِ ، أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ الرَّعِيَّةَ وَدِيعةُ اللَّهِ عِنْدَ سُلْطَانِهَا ؟ وَأَنَّ اللَّهَ يُسَائِلُهَا عَنْهَا كَيْفَ مُسْتَهَا ؟ وَلَعَلَّهُ

(١) الثناء : الدهاقين والرؤساء .

(٢) الرفعة : الرقة المرفوعة .

(٣) في كلتا النسختين : « من يريد » ؟ وهو تصحيف .

(٤) في (ب) : « لهيب غيظي بقسوتك » ؟ والمعنى يستقيم عليه أيضاً .

(٥) في (١) : « على » ، ولم يظهر منها في (ب) إلا نون واء ، وسائرهما مطبوس .

لَا يَسْأَلُهَا عَنْهُ ، وَإِنْ سَأَلَهَا فَلْيُؤْكَدِ الْحُجَّةَ عَلَيْهِ مِنْهَا ؛ أَلَا تَذَرِي أَنْ أَحَدًا مِنَ
الرَّعِيَّةِ لَا يَقُولَ مَا يَقُولُ إِلَّا لَظْلَمَ لِحَقِّهِ أَوْ لِحَقِّ جَارِهِ ^(١) ، وَدَاهِيَةَ نَالَتَهُ أَوْ نَالَتِ
صَاحِبَهَا لَهُ ؟ وَكَيْفَ نَقُولُ لَهُمْ : كُونُوا صَالِحِينَ أَتَقِيَاءَ مُقْبِلِينَ عَلَى مَعَاشِكُمْ ، غَيْرَ
خَائِضِينَ فِي حَدِيثِنَا ، وَلَا سَائِلِينَ عَنْ أَمْرِنَا ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ فِي كَلَامِهَا : غَلَبْنَا
السُّلْطَانَ فَلَيْسَ فَرَوْقَتَنَا ، وَأَكَلْ خُضْرَتَنَا ، وَحَقَّقَ الْمَمْلُوكُ عَلَى الْمَالِكِ مَعْرُوفَ ،
وَإِنَّمَا يَخْتَمِلُ السَّيِّدُ عَلَى صُرُوفِ تَكَالُيفِهِ ، وَمَسْكَرِهِ تَصَارِيفِهِ ، إِذَا كَانَ الْعَيْشُ فِي
كُفَيْهِ رَافِقًا ، وَالْأَمَلُ فِيهِ قَوِيًّا ، وَالصَّدْرُ عَلَيْهِ بَارِدًا ، وَالْقَلْبُ مَعَهُ سَاكِفًا ،
أَتُظَنُّ أَنْ الْعَمَلُ بِالْجَهْلِ يَنْفَعُ ، وَالْمُذَرُّ بِهِ يَسَعُ ، لَا وَاللَّهِ مَا الرَّأْيُ مَا رَأَيْتَ ،
وَلَا الصَّوَابُ مَا ذَكَرْتَ ، وَجَهَّ صَاحِبُكَ وَلَيْسَكُنْ ذَاخِرَةً وَرِيقَ ، وَمَعْرُوفًا
بِخَيْرٍ وَصِدْقٍ ، حَتَّى يَعْرِفَ حَالَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ ، وَيَقِفَ عَلَى شَأْنِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا فِي
مَعَاشِهِ ، وَقَدَّرِ مَا هُوَ مُتَقَلِّبٌ فِيهِ وَمُنْقَلِبٌ إِلَيْهِ ، فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ يَصْلُحُ لِعَمَلٍ فَعَلَّاهُ
بِهِ ، وَمَنْ كَانَ سَيِّئَ الْحَالِ فَصَلَّاهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ بِمَا يُعِيدُ نَضْرَةَ حَالِهِ ، وَيُعِيدُهُ
طُمَأْنِينَةً بِالْهَ : وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ هَذَا الرَّهْطِ ، وَهُوَ غَفِيٌّ مَكْنِيٌّ ، وَإِنَّمَا يُخْرِجُهُ إِلَى
دَكَانِ هَذَا التَّتَبُّانِ الْبَطَرُ وَالزُّهْوُ ، فَأَذْعُ بِهِ ، وَأَنْصَحْهُ ، وَلَا طِفْهُ ، وَقُلْ لَهُ : إِنَّ
لَكَ ظَنَّاكَ مَسْمُوعَ ، وَكَلَامَكَ مَرْفُوعَ ؛ وَمَتَى وَقَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى كُنْهِ ذَلِكَ
مِنْكَ لَمْ تَجِدْكَ إِلَّا فِي عَرَصَةِ الْمَقَابِرِ ، فَاسْتَأْنِفْ لِنَفْسِكَ سِيرَةً تَسْلُمُ بِهَا مِنْ ^(٢)
سُلْطَانِكَ ، وَتُحَمَّدُ عَلَيْهَا عِنْدَ إِخْوَانِكَ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْعَلَ نَفْسَكَ عِظَةً لِقَبْرِكَ
بَعْدَ مَا كَانَ غَيْرُكَ عِظَةً لَكَ ؛ وَلَوْلَا أَنْ الْأَخْذَ بِالْجَرِيرَةِ الْأُولَى مَخَالِفٌ لِلْسَّيْرِ
لِلثَلَاثِ ، لَسَكَانَ هَذَا الَّذِي تَسْمَعُهُ مَا تَرَاهُ ، وَمَا تَرَاهُ تَوَدُّ أَنَّكَ لَوْ سَمِعْتَهُ قَبْلَ أَنْ

(١) فِي كَلَامِنَا اللَّسَخِيَيْنِ : « دَارَةٌ » بِالْهَاءِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي (١) : « عَلَى » مَكَانَ « مِنْ » ؛ وَهُوَ خَطَأٌ مِنَ النَّاسِخِ .

تراه . فإنَّكَ يا عُبَيْدَ اللَّهِ إِذَا قَمَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ بَأَلْتِ فِي الْمُتَوْبَةِ ، وَمَلَكَتَ طَرَفَ
لِلْمَصْلَحَةِ ، وَقُمْتَ عَلَى سِوَاءِ السِّيَاسَةِ ، وَنَجَوْتَ مِنَ الْعَوْبِ وَالْمَأْتَمِ فِي الْعَاقِبَةِ .
قال : وفارَقَ الوَزِيرُ حَضْرَةَ [الخليفة] ، وعَمِلَ بِمَا أَسْرَبَ بِهِ عَلَى الْوَجْهِ
الْأَمْلِفِ ، فَعَادَتِ الْحَالُ تَرَفَّ بِالسَّلَامَةِ الْعَامَّةِ ، وَالْعَاقِبَةِ الْيَاقَةِ ؛ فَتَقَدَّمَ إِلَى الشَّيْخِ
التَّبَّانِ بَرَفْعِ حَالٍ مِنْ يَقْعُدُ عِنْدَهُ حَتَّى يُوَاسَى إِنْ كَانَ مُحْتَبَاً ، وَيُصَرَّفُ إِنْ
كَانَ مُتَعَطِّلاً ، وَيُنْصَحَ إِنْ كَانَ مُتَعَقِّلاً .

فقال الوزير : مَا سَمِعْتُ مِثْلَ هَذَا قَطُّ ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنْ الْخَطْبَ فِي مِثْلِ هَذَا
يَبْلُغُ هَذَا الْقَدْرَ ؛ فَهَاتِ الْجَوَابَ الْآخَرَ الَّذِي حَفِظْتَهُ عَنِ الصُّوفِيِّ . فقلتُ : إِنْ
كَانَ هَذَا كَاقِيَا فَإِنَّ ذَلِكَ فَضْلٌ .

فقال : هَكَذَا هُوَ ، وَإِنْ فِيمَا مَرَّ لِكِفَايَةِ ، وَمَا يَزِيدُ عَلَى الْكِفَايَةِ ، وَلَكِنْ
الزِّيَادَةُ مِنَ الْعِلْمِ دَاعِيَةٌ إِلَى الزِّيَادَةِ مِنَ الْعَمَلِ ، وَالزِّيَادَةُ مِنَ الْعَمَلِ جَالِبَةٌ
الْإِنْتِفَاعَ بِالْعِلْمِ ، وَالْإِنْتِفَاعَ بِالْعِلْمِ دَائِلٌ عَلَى سَعَادَةِ الْإِنْسَانِ ، وَسَعَادَةِ الْإِنْسَانِ
مُتَّسِمَةٌ عَلَى أَقْبَاسِ الْعِلْمِ وَالْتِمَاسِ الْعَمَلِ ، حَتَّى يَكُونَ بِأَحَدِهِمَا زَارِعًا ، وَبِالْآخَرِ
حَاصِدًا ، وَبِأَحَدِهِمَا تَاجِرًا ، وَبِالْآخَرِ رَاجِعًا .

فَوَصَلْتُ الْحَدِيثَ وَقُلْتُ : حَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنَ الصُّوفِيَّةِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ قَالَ : كَفْتُ
بَنِيْسَابُورَ سَنَةَ سَبْعِينَ وَثَلَاثِينَ ، وَقَدْ أَشْتَقَلَّتْ خُرَاسَانُ بِالْفِتْنَةِ ، وَتَبَلَّغَتْ دَوْلَةُ
آلِ سَامَانَ بِالْجُورِ وَطُولِ الْمُدَّةِ ، فَلَجَأَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ صَاحِبُ الْجَيْشِ إِلَى قَايِينَ^(١) ،
وَهِيَ حِصْنُهُ وَمَقْعَلُهُ ، وَوَرَدَ أَبُو الْعَبَّاسِ صَاحِبُ جَيْشِ [آلِ] سَامَانَ نَيْسَابُورَ
بِعِدَّةٍ عَظِيمَةٍ ، وَعُدَّةٍ عَمِيمَةٍ ، وَزِينَةٍ فَخْرَةٍ ، وَهَيْئَةٍ بَاهِرَةٍ ، وَغَلَا السُّفْرُ ،

(١) قايين : بلد قريب من طبرستان ، بين نيسابور وأصفهان ؛ وهي فُرْضَةُ خُرَاسَانَ .

وَأَخِيفَتِ الشُّبُلُ ، وَكَثُرَ الْإِرْجَافُ ، وَسَاءَتِ الظُّنُونُ ، وَضَجَّتِ الْعَائِمَةُ ، وَالتَّسَسَّ
الرَّأْيُ ، وَأَنْقَطَعَ الْأَمَلُ ، وَنَبَّحَ كَلْبُ كَلْبٍ مِنْ كُلِّ زَاوِيَةٍ ، وَزَارَ كُلُّ أَسَدٍ
مِنْ كُلِّ أُنْجَمَةٍ ، وَضَبَّحَ كُلُّ ثَغْلَبٍ مِنْ كُلِّ تَلْعَةٍ .

قال : وَكُنَّا جَمَاعَةً غُرَبَاءَ نَأْوِي إِلَى دَوِيرَةٍ ^(١) الصُّوفِيَّةِ لَا تَبْرَحُهَا ، فَتَارَةً
نَقْرَأُ ، وَتَارَةً نُصَلِّي ، وَتَارَةً نَنَامُ ، وَتَارَةً نَهْدِي ، وَالْجُوعُ يُقْتَلُ عَمَلَهُ ، وَنَحْنُ
فِي حَدِيثِ آلِ سَامَانَ ، وَالْوَارِدِ مِنْ جِهَتِهِمْ إِلَى هَذَا السَّكَنِ ، وَلَا قُدْرَةَ لَنَا عَلَى
السَّيَاحَةِ لِأَسْدَادِ الطَّرِيقِ ، وَتَخَطُّفِ النَّاسِ لِلنَّاسِ ، وَشُمُولِ الْخَوْفِ ، وَغَلْبَةِ
الرَّغْبِ ، وَكَانَ الْبَلَدُ يَتَقَدُّ نَارًا بِالشُّوَالِ وَالتَّعْرِفِ وَالْإِرْجَافِ بِالصَّدْقِ
وَالْكَذِبِ ، وَمَا يُقَالُ بِالْمَوَى وَالْعَصَبِيَّةِ ؛ فَصَاقَتْ صُدُورُنَا ، وَخَبِلَتْ سَرَائِرُنَا ^(٢)
وَأَسْتَوَى عَلَيْنَا الْوَسْوَاسُ ، وَقَلْنَا لَيْلَةً : مَا تَرَوْنَ يَا صِحَابَنَا ^(٣) [مَا] دَفَعْنَا إِلَيْهِ
مِنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ الْكَرِيمَةِ ، كَأَنَّا وَاللَّهِ أَصْحَابُ نَعْمٍ وَأَرْبَابُ ضِيَاعٍ نَخَافُ
عَلَيْهَا الْغَارَةَ وَالتَّهْبَ ، وَمَا عَلَيْنَا مِنْ وِلَايَةِ زَيْدٍ ، وَعِزْلٍ عَمْرٍو ، وَهَلَاكِ بَكْرِ ،
وَنَجَاةِ بَشَرٍ ، نَحْنُ قَوْمٌ قَدْ رَضِينَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الْعَسِيرَةِ ، وَلِهَذِهِ الْحَيَاةِ الْقَصِيرَةِ ،
بِكُسْرَةٍ يَابِسَةٍ ، وَخِرْقَةٍ بَالِيَةٍ ، وَزَاوِيَةٍ مِنَ الْمَسْجِدِ مَعَ الْعَاقِبَةِ مِنْ بَلَايَا
طُلَّابِ الدُّنْيَا . فَا هَذَا [الَّذِي] يَفْتَرِينَا مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي لَيْسَ لَنَا فِيهَا
نَاقَةٌ وَلَا بَجَلٌ ، وَلَا حَظٌّ وَلَا أَمَلٌ ، قَوْمُوا بِنَاغِدًا حَتَّى نَزُورَ أَبَا زَكْرِيَاءَ الزَّاهِدَ ،
وَنُظِلَّ نَهَارَنَا عِنْدَهُ لَاهِينَ عَمَّا نَحْنُ فِيهِ ، سَاكِنِينَ مَعَهُ ، مُقْتَدِينَ بِهِ ؛ فَاتَّفَقَ
رَأْيُنَا عَلَى ذَلِكَ ، فَمَدَدُونَا ^(٤) وَصَرْنَا إِلَى أَبِي زَكْرِيَاءَ الزَّاهِدِ ، فَلَمَّا دَخَلْنَا رَحَّبَ

(١) فِي نَسْخَةِ « وَتَرَةٍ » مَكَانَ « دَوِيرَةٍ » . وَالتَّوَرَةُ : مَا وَتَرَ بِالْأَعْمَدَةِ مِنَ الْبُيُوتِ .

(٢) فِي (ب) : « أَقْسَنَا » . (٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « بِأَصْحَابِنَا دَفَعْنَا » ؛ وَفِي

(ب) بَيْنَ قَوْلِهِ « بِأَصْحَابِنَا » وَقَوْلِهِ « دَفَعْنَا » فَرَاغٌ يَسَعُ كَلِمَةً ؛ وَلَعَلَّ صَوَابَ الْعِبَارَةِ مَا أَثْبَتْنَا

إِذْ هُوَ مُقْتَضَى السِّيَاقِ . (٤) فِي (ب) : « فَسَرْنَا » مَكَانَ قَوْلِهِ « فَمَدَدُونَا » .

بنا ، وفَرِحَ بِزِيَارَتِنَا ، وقال : ما أَشوقني إليكم^(١) ، وما أَلْهَفني^(٢) عليكم ! الحمد لله الذي جَمَعني وإياكم في مَقَامٍ واحد ، حَدَّثوني ما الذي سَمِعْتُمْ ، وماذَا بَلَّغْتُمْ من حديث الناس ، وأمر هؤلاء السُّلاطين ؟ فَرَجُّوا عني ؛ وقولوا لي ما عِنْدَكُمْ ، فلا تَكْتُموني شيئاً فإني والله سَرَعِي في هذه الأَيَّام إلا ما أَتصل بِمُحَدِّثِهِمْ ، وأَقَرَّنَ بِمُخْبِرِهِمْ ، فلما ورد عَلَيْنَا من هذا الزَّاهِد العابد ما وَرَدَ ، دُهِشْنَا وأَسْتَوَّ حَشْنَا ، وقلنا في أنفسنا انظروا من أي شيء هَرَبْنَا^(٣) ، وبأي شيء عَلَقْنَا ، وبأي دَاهِيَةٍ دُهِينَا . قال : فَخَفَّفْنَا الحديثَ وَأَنسَلْنَا ، فلما خَرَجْنَا قلنا : أَرَأَيْتُمْ ما مُبَلِّغنا به ، وما وَقَعنا عليه ؟ (إِنَّ هَذَا لَمَوْ التَّلَاهِ المُبِين) . مِيلُوا بنا إلى أبي عمرو الزَّاهِد فله فَضْلٌ وَعِبَادَةٌ وَعِلْمٌ وَتَفَرُّدٌ في صَوْمَعَتِهِ حتى نُقِيمَ عِنْدَهُ إلى آخر النَّهار ، قد نَبَا بنا المكانُ الأوَّل ، وبَطَلَ قَصْدُنَا فيما عَزَمْنَا عليه من العَمَل ، فشبَّنا إلى أبي عمرو الزَّاهِد وأَسْتَأْذَنَّا ، فَأَذِنَ لنا ، وَوَصَّلَنَا إليه فَسَرَّ بِمُحْضُورِنَا ، وَهَشَّ لِرُؤْيَيْنَا ، وَأُبْتَهَجَ بِقَصْدِنَا ، وأعْظَمَ زِيَارَتَنَا ، ثم قال : يا أصحابنا ما عِنْدَكُمْ مِنْ حَدِيثِ النَّاسِ ؟ فَقَدْ وَالله طَالَ عَطَشِي إلى شيء أَسْمَعُهُ ، ولم يَدْخُلْ على اليَوْمِ أَحَدٌ فَأَسْتَجَبِرَهُ ، وَإِنَّ أُذُنِي لَدَى الْبَابِ لِأَسْمَعَ قَرْعَةً أو أَعْرِفَ حَادِثَةً ، فهاؤا ما مَعَكُمْ وما عِنْدَكُمْ ، وقَصُّوا عَلَيَّ الْقِصَّةَ بِقَصِّهَا وَنَصِّهَا ، ودَعُوا التَّوَرِيَّةَ وَالْكِنَايَةَ ، وأذْكُرُوا النَّسَبَ وَالتَّحْيِينَ ، فَإِنَّ الْحَدِيثَ هَكَذَا يَطِيبُ ، ولولا الْعَظْمُ ما طَابَ الْأَحْمُ ، وَلَوْ لَا النَّوَى ما حَلَا التَّمْرُ ، وَلَوْ لَا الْقَشْرُ لم يوجَدِ اللَّب ، فَعَجَبْنَا مِنْ هَذَا الزَّاهِدِ الثَّانِي أَكْثَرَ مِنْ عَجَبِنَا مِنَ الزَّاهِدِ الأوَّل ، وخاطَفَنَاهُ الْحَدِيثَ ،

(١) في (ب) : « إلى زيارتكم » . (٢) في (ب) : « والهنى » .

(٣) ورد في (١) من هذه الكلمة باء ونون بعدها ألف . وفي (ب) لم يظهر منها

إلا هاء ونون وألف ؛ والسياق يقتضي ما أنبتنا .

وَوَدَّعْنَاهُ ، وَخَرَجْنَا ، وَأَقْبَلَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ يَقُولُ : أَرَأَيْتُمْ أَظَرَفَ مِنْ أَمْرِنَا وَأَغْرَبَ مِنْ شَأْنِنَا ؟ انظُرُوا مِنْ أَيْ شَيْءٍ كَانَ تَعْرِيمُنَا (إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ مُجَاب) وَتَلَدَدُنَا وَتَبَلَدُنَا وَقَلْنَا يَا أَصْحَابِنَا : أُنْظِرُوا إِلَى أَبِي الْحَسَنِ الضَّرِيرِ ، وَإِنْ كَانَ مَضْرِبُهُ ^(١) بَعِيدًا فَإِنَّا لَا نَجِدُ سَكُونَنَا إِلَّا مَعَهُ ، وَلَا نَنْظُرُ بِضَالَّتِنَا إِلَّا عِنْدَهُ ، لَوْ هَدَيْهِ وَعِبَادَتِهِ وَتَوَحُّدِهِ وَشَقْلِهِ بِنَفْسِهِ مَعَ زَمَانَتِهِ فِي بَصَرِهِ ، وَوَرَعِهِ ، وَقَلَّةِ فِكْرِهِ فِي الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا ؛ وَطَوَيْنَا الْأَرْضَ إِلَيْهِ ، وَدَخَلْنَا عَلَيْهِ ، وَجَلَسْنَا حَوْلَآئِهِ فِي مَسْجِدِهِ ، وَلَمَّا سَمِعَ بَنَا أَقْبَلَ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِمَّنَا يَلْسُهُ بِيَدِهِ رِيْرَحْبَ بِهِ ، وَيَذْعُو لَهُ وَيَقْرُبُ ، فَلَمَّا أَتَيْنَاهُ أَقْبَلَ عَلَيْنَا [وَقَالَ] : أَمِنْ السَّمَاءِ نَزَلْتُمْ عَلَى ؟ وَاللَّهِ لَسَكَّانِي قَدْ وَجَدْتُ بَكُمْ مَأْمُولِي ، وَأَخْرَزْتُ غَايَةَ سُؤْلِي ، قَوْلُوا لِي غَيْرَ مُخْتَشِمِينَ : مَا عِنْدَكُمْ مِنْ أَحَادِيثِ النَّاسِ ؟ وَمَا عَزَمَ [عَلَيْهِ] هَذَا الْوَارِدُ ؟ وَمَا يُقَالُ فِي أَسْرِ ذَلِكَ الْهَارِبِ إِلَى قَائِلِينَ ، وَمَا الشَّائِعُ مِنَ الْأَخْبَارِ ؟ وَمَا الَّذِي يَتَهَمَسُ بِهِ نَاسٌ دُونَ نَاسٍ ؟ وَمَا يَقَعُ فِي هَوَاجِسِكُمْ وَيَسْتَدِيقُ إِلَى نَفُوسِكُمْ ^(٢) ؟ فَإِنَّكُمْ بُرُذُ الْآفَاقِ ، وَجَوَالَةُ الْأَرْضِ ، وَتَقَامُلَةُ الْكَلَامِ ، وَيَقْسَاطُ إِلَيْكُمْ مِنَ الْأَطْفَالِ مَا يَتَعَذَّرُ عَلَى عِظَاءِ الْمُلُوكِ وَكِبَرَاءِ النَّاسِ : فَوَرَدَ عَلَيْنَا مِنْ هَذَا الْإِنْسَانِ مَا أَنْتَسَى الْأَوَّلَ وَالثَّانِي ، وَمَا زَادَ فِي عَجَبِنَا أَنَّا كُنَّا نَعُدُّهُ فِي طَبَقَةٍ فَوْقَ طَبَقَاتِ جَمِيعِ النَّاسِ فَخَفَقْنَا الْحَدِيثَ مَعَهُ ، وَوَدَّعْنَاهُ ، وَخَلَسْنَا مِنْ عِنْدِهِ ، وَطَفَعْنَا نَتْلَاوُمُ عَلَى زِيَارَتِنَا لِهَوْلَاءِ الْقَوْمِ لِمَا رَأَيْنَا مِنْهُمْ ، وَظَهَرَ لَنَا مِنْ حَالِهِمْ ، وَازْدَرَيْنَاهُمْ ، وَأَتَقَلَّبْنَا مَتَوَجِّهِينَ إِلَى دُورِنَا الَّتِي عَدَدْنَا مِنْهَا مُسْتَطَرِّقِينَ كَالَّذِينَ ، فَلَقِينَا فِي الطَّرِيقِ شَيْخًا مِنَ الْحُكَمَاءِ يُقَالُ لَهُ أَبُو الْحَسَنِ الْعَاصِمِيُّ ، وَلَهُ كِتَابٌ فِي التَّصَوُّفِ قَدْ شَحَنَهُ بِعِلْمِنَا

(١) يريد بمضربه بيته ، مستعار من مضرب الخيام .

(٢) في (ب) : « إلى قلوبكم » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضاً .

وإشارتنا ، وكان من الجَوَّالين الَّذِينَ نَقَبُوا فِي الْبِلَادِ وَأَطْلَعُوا عَلَى أَسْرَارِ اللَّهِ فِي الْعِبَادِ ؛ فقال لنا : مَنْ أَيْنَ دَرَجَتُكُمْ ؛ وَمَنْ قَصَدْتُمْ . فَأَجْلَسْنَاهُ فِي مَسْجِدٍ ، وَعَصَبْنَا حَوَّلَهُ ، وَقَصَصْنَا عَلَيْهِ قِصَّتَنَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا ، وَلَمْ نَحْذِفْ مِنْهَا حَرْفًا . فقال لنا : فِي طَلْيِ هَذِهِ الْحَالِ الطَّارِئَةِ غَيْبٌ لَا تَقْفُونَ عَلَيْهِ ، وَمِيراثٌ لَا تَهْتَدُونَ إِلَيْهِ ، وَإِنَّمَا غَرَّكُمْ فُلْتُكُمْ بِالزَّهَادِ ، وَقَلْتُمْ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْخَيْرُ [عَنْهُمْ كَالْخَيْرِ] عَنْ الْعَامَّةِ ، لِأَنَّهُمْ الْخَاصَّةُ ، وَمِنْ الْخَاصَّةِ خَاصَّةُ الْخَاصَّةِ ، لِأَنَّهُمْ بِاللَّهِ يُلَوِّذُونَ ، وَإِيَّاهُ يَعْبُدُونَ ، وَعَلَيْهِ يَتَوَكَّلُونَ ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ، وَمَنْ أَجَلُهُ يَتِمُّهَا السَّكُونُ ، وَبِهِ يَتِمُّ الْكُفُونُ .

قلنا له : فَإِنْ رَأَيْتَ يَا مُعَلِّمُ الْخَيْرِ أَنْ تَكْشِفَ عَنَّا هَذَا الْغِطَاءَ ، وَتَرْفَعْ لِنَا السُّتْرَ ، وَتَعْرِفُنَا مِنْهُ مَا وَهَبَ اللَّهُ لَكَ مِنْ هَذَا الْغَيْبِ ، لِنَكُونَ شَاكِرِينَ ، نَكُونَ مِنَ الْمَشْكُورِينَ . فقال : نَعَمْ ، أَمَّا الْعَامَّةُ فَإِنَّهَا تَلْمِزُ بِمَدِيثِ كِبَرَائِهَا مَا سَتَّهَا لَمَّا تَرَجُّوْا مِنْ رَخَاءِ الْعَيْشِ وَطَيْبِ الْحَيَاةِ وَسَعَةِ الْمَالِ وَدُرُورِ الْمَنَافِعِ وَأَتِّصَالِ جَلَبِ وَنَفَاقِ السُّوقِ وَتَضَاعُفِ الرِّجْحِ ؛ فَأَمَّا هَذِهِ الطَّائِفَةُ الْمَارِفَةُ بِاللَّهِ ، الْعَامِلَةُ لِلَّهِ ، فَإِنَّهَا مُوَلَّاةٌ أَيْضًا بِمَدِيثِ الْأُمَرَاءِ ، وَالْجَبَّارَةِ الْعُظَمَاءِ ، لَتَقِفَ عَلَى تَصَارِيفِ قُدْرَةِ اللَّهِ فِيهِمْ ، وَجَرَائِنِ أَحْكَامِهِ عَلَيْهِمْ ، وَنُفُوذِ مَشِيشَتِهِ فِي مَحَابِّهِمْ وَمَسْكَارِهِمْ فِي حَالِ النُّعْمَةِ ^(١) عَلَيْهِمْ ، وَالْإِنْتِقَامِ مِنْهُمْ ، أَلَا تَرَوْنَهُ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : (حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ) ، وَبِهَذَا الْأَعْتِبَارِ يَسْتَنْبِطُونَ خَوَافِي حِكْمَتِهِ ، وَيَطْلَعُونَ عَلَى تَتَابُعِ نِعْمَتِهِ وَغَرَائِبِ نِعْمَتِهِ ، وَهَاهُنَا يَعْلَمُونَ أَنَّ كُلَّ مُلْكٍ سِوَى مُلْكِ اللَّهِ زَائِلٌ ، وَكُلُّ نَعِيمٍ غَيْرِ نَعِيمِ الْجَنَّةِ حَائِلٌ ،

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « النُّعْمَةُ » ؛ وَهُوَ تَعْرِيفٌ .

وَيَصِيرُ هَذَا كُلُّهُ سَبَبًا قَوِيًّا لَمْ فِي الضَّرْعِ إِلَى اللَّهِ ، وَالْيَاذِ بِاللَّهِ ، وَالْخُشُوعِ
 اللَّهُ ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ ، وَيَتَّبِعُونَ بِهِ مِنْ حِرَانِ الْإِبَاءِ ، إِلَى أَنْتِيَادِ الْإِجَابَةِ ،
 وَيَتَنَبَّهُونَ مِنْ رَقْدَةِ الْقَفَلَةِ ، وَيَكْتَبِحُونَ بِالْيَقَظَةِ مِنْ سِنَةِ السَّهْوِ وَالْبَطَالَةِ ،
 وَيَجِدُّونَ فِي أَخْذِ الْعِتَادِ ، وَكِتْسَابِ الزَادِ إِلَى الْمَادِ ، وَيَعْمَلُونَ فِي الْخِلَاصِ مِنْ
 هَذَا الْمَكَانِ الْخَرِجِ بِالسَّكَارَةِ ، الْخُصُوفِ بِالرَّزَايَا ، الَّذِي لَمْ يُفْلِحْ فِيهِ أَحَدٌ
 إِلَّا بَعْدَ أَنْ هَدَمَهُ وَتَلَمَّهَ ، وَهَرَبَ مِنْهُ ، وَرَحَلَ عَنْهُ إِلَى مَحَلٍّ لَا دَاءَ فِيهِ وَلَا غَائِلَةٌ ؛
 سَاكِنُهُ خَالِدٌ ، وَمَقِيمُهُ مُطْمَئِنٌّ ، وَالْفَائِزُ بِهِ مَقَمٌ ، وَالوَاصِلُ إِلَيْهِ مَكْرَمٌ ، وَبَيْنَ
 الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ فِي هَذِهِ الْحَالِ وَفِي غَيْرِهَا فَرْقٌ بَضِيعٌ لِمَنْ رَفَعَ اللَّهُ طَرَفَهُ إِلَيْهِ ،
 وَفَتَحَ بَابَ السَّرِّ فِيهِ عَلَيْهِ ، وَقَدْ يَتَشَابَهُ الرَّجُلَانِ فِي فِعْلٍ ، وَأَحَدُهُمَا مَذْمُومٌ ،
 وَالْآخَرُ مُعْزَى ، وَقَدْ رَأَيْنَا مُصَلِّيًّا إِلَى الْقِبْلَةِ وَقَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ ،
 وَآخَرَ إِلَى جَانِبِهِ أَيْضًا يَصَلِّي إِلَى الْقِبْلَةِ وَقَلْبُهُ فِي طَرَفٍ^(١) مَا فِي كَرِّ الْآخِرِ ، فَلَا تَنْظُرُوا
 مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى ظَاهِرِهِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَصَلُّوا بِنَظَرِكُمْ إِلَى بَاطِنِهِ ، فَإِنَّ الْبَاطِنَ
 إِذَا وَاطَأَ الظَّاهِرَ كَانَ تَوَحُّدًا ، وَإِذَا خَالَفَهُ إِلَى الْحَقِّ كَانَ وَحْدَةً ، وَإِذَا خَالَفَهُ
 إِلَى الْبَاطِلِ كَانَ ضَلَالَةً ، وَهَذِهِ الْمَقَامَاتُ مُرْتَبَةٌ لِأَصْحَابِهَا ، وَمَوْقُوفَةٌ عَلَى أَرْبَابِهَا ؛
 لَيْسَ لِقَمِيرٍ أَهْلُهَا فِيهَا نَفْسٌ ، وَلَا لِغَيْرٍ مُسْتَحِقُّهَا مِنْهَا قَبَسٌ .

قال الشيخ الصوفي : فوالله ما زال ذلك الحكيم يَحْشُو آذَانَنَا بِهِمْ
 وَمَا أَشْبَهَهَا ، وَيَمْلَأُ صُدُورَنَا بِمَا عِنْدَهُ حَتَّى سُرِرْنَا^(٢) وَأَنْصَرَفْنَا إِلَى مُتَمَشِّتَانَا وَقَدْ
 اسْتَفْهَدْنَا عَلَى يَأْسٍ مِمَّا فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ لَوْ تَمَنَّيْنَاهَا بِالْفُرْمِ الثَّقِيلِ وَالسَّحَى الطَوِيلِ
 لَكَانَ الرَّجْحُ مَعْنَا ، وَالزِّيَادَةُ فِي أَيْدِينَا .

(١) الطر : الاستلال .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « سَعَدْنَا » .

فلما سمع الوزيرُ هذا عَجَبَ وقال : لا أدري : أكلامُ أبي سُلَيْمَانَ في ذلك الاحتجاجِ أبلغُ ، أم الحِكَايَةُ عن المُعْتَضِدِ أَشَقَى ، أم رواية الشيخ الصوفيِّ أطرفُ ، وما عَلِمْتُ أَنَّ في البَحْثِ عن سِرِّ الإِرْجَافِ هذه اللطيفة الخفية ، وهذه الحجَّةُ الجليلةُ ، وكُنْتُ أرى أَنَّ الصُّوفِيَّةَ لا يَرْتَجِعُونَ إلى رُكْنٍ مِنَ الْعِلْمِ ، ونَصِيْبٍ مِنَ الْحِكْمَةِ ، وأنهم إنما يَهْذُونَ بما لا يعلمون ، وأنَّ بناءَ أسرارهم على اللَّعِبِ وَاللَّهْوِ والجَهْلِ .

قلتُ : لو جُمِعَ كَلَامُ أَتَمَّتْهُمُ وَأَعْلَامُهُمْ لَزَادَ على عَشْرَةِ آلَافٍ وَرَقَةٍ عَنْ قَفِّ^(١) عَلَيْهِ في هذه البِقَاعِ التَّقَارِيَةِ ، سِوَى ما عند قومٍ آخَرِينَ لا نَسْتَمِعُ بِهِمْ ، ولا يَبْلُغُنَا خَبَرُهُمْ . قال : فأذْكَرُ لِي جَمَاعَةً مِنْهُمْ . قلتُ : الْجُنَيْدُ بنُ مُحَمَّدٍ الصُّوفِيُّ البَغْدَادِيُّ الْعَالِمُ ، وَالْحَارِثُ بنُ أَسَدٍ الْحَاسِي ، وَرُوَيْنَمُ ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخَرَّازِ ، وَعَمْرُو بنُ عُثْمَانَ الْمَكِّي ، وَأَبُو يَزِيدَ الْبِسْطَامِيُّ ، وَالْفَتْحُ الْمَوْصِلِيُّ ، وَهُوَ الَّذِي سُمِّيَ وَهُوَ يَقُولُ : إلى مَتَى تُرَدِّدُنِي في سِكَكِ الْمَوْصِلِ ، أَمَا أَنَّ لِلْحَبِيبِ أَنْ يَلْقَى حَبِيبَهُ ؟ فَاتَ بَعْدَ جُمُعَةٍ .

قال : هذا عَجَبٌ . ولقد مرَّ في هذا القَنِّ ما كان فَوْقَ حُسْبَانِي وَأَكْثَرُ مِمَّا كَانَ^(٢) في ظَنِّي ، وَكَمْ مِنْ شَيْءٍ خَفِيٍّ يُطْلَعُ مِنْهُ على أَمْرٍ كَبِيرٍ .

وقال : أَنشِدْنِي شَيْئًا ؛ فَأَنشَدْتُهُ قولَ الشاعِرِ :

رَجَعْتُ عَلَى السَّفِينَةِ بِفَضْلِ حِلْيٍ وَكَانَ تَحَلِّي عَنْهُ لِيَجَامَا
وَطَنَ بِي السَّافَاةَ فَلَمْ يَجِدْنِي أَسَافُهُ وَقَلْتُ لَهُ : سَلَامَا

(١) عمن قف ، أى مروية من قف ، وفي كلتا النسختين على ما قف ، وقوله على هنا لا مقتضى له .

(٢) في (ب) : « وأكثر مما دار في خلدي » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

فَقَامَ يَجْرُ رَجُلَيْهِ ذَلِيلًا وَقَدْ كَسَبَ الذَّلَّةَ وَالْمَلَامًا
وَفَضَّلُ الْحِلْمِ أَبْلَغُ فِي سَفِيهِ وَأُخْرَى أَنْ يُقَالَ بِهِ ائْتِقَامًا

(٣) قال : ما أعجب آخر العرب ، تأمرُ بالحلم مرةً ، والصبر والكظم مرةً ، وتَحُثُّ بعد ذلك على الاتصاف وأخذ النار ، وتَذمُّ السَّعَةَ وقَمَعَ القَدْو ! وهكذا شأنها في جميع الأخلاق ؛ أعني أنها رُبَّمَا حَضَّتْ عَلَى الْقَاعَةِ والصَّبْرِ والرِّضَا بالميسور ، ورُبَّمَا خَالَفَتْ هَذَا ، فَأَخَذَتْ تَذَكُّرُ أَنْ ذَلِكَ فَسَالَةٌ وَتُقْصَانُ هِمَّةٍ وَلِينُ عَرِيكَةٍ وَمَهَانَةٌ نَفْسٍ ؛ وكذلك أيضًا تَحُثُّ عَلَى الْبَسَالَةِ^(١) والإقدام والانتصار والحمية والجرارة ؛ ورُبَّمَا عَدَلَتْ^(٢) إِلَى أَضْدَادِ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ وَالسَّجَايَا والفرائب والأحوال ؛ فِي أَوْقَاتٍ يَحْسُنُ فِيهَا بَغْضُهَا ، وَيَقْبَحُ بَغْضُهَا ، وَيُعْذَرُ صَاحِبُهَا فِي بَغْضِهَا ، وَيُلَامُ فِي بَغْضِهَا ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الطَّبَاعَ مُخْتَلِفَةٌ ، وَالْقَرَائِنَ^(٣) مُتَعَادِيَةٌ ، فَهَذَا يَمْدَحُ الْبُخْلَ فِي عَرَضِ الْحَزَمِ ، وَهَذَا يَمْدَحُ^(٤) الْأَقْتِنَادَ فِي جُمْلَةِ الْأَحْتِيَاظِ ، وَهَذَا يَذَمُّ الشَّجَاعَةَ فِي عَرَضِ طَلَبِ السَّلَامَةِ ؛ وَلَيْسَ فِي جَمِيعِ الْأَخْلَاقِ شَيْءٌ يَحْسُنُ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَفِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ ، بَلْ لِسُكُلٍ ذَلِكَ وَقْتُ وَجَيْنٍ وَأَوَانٍ .

قال : وَلَعَنَرِي إِنْ الْقِيَامَ بِحَقَائِقِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَحُدُودِهَا صَغَبٌ ، لِأَنَّهَا لَا تَوْجِدُ إِلَّا مُتَلَابِسَةً وَمُتَدَاخِلَةً ، وَتَخْلِيصُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا بِحَدِّهِ وَحَقِيقَتِهِ وَوُزْنِهِ مِمَّا يَقُوتُ ذَرَعَ الْإِنْسَانِ الضَّعِيفِ الْمُنَّةِ ، الْمُنْتَهَرِ الطَّيْنَةِ .

قال : وَمِنْهُ أَنَّ الْحَكِيمَ قَالَ لِلْإِسْكَندَرِ : « أَيُّهَا الْمَلِكُ أَرِذْ حَيَاتَكَ لِرِجَالِكَ ،

(١) فِي (١) : « الْقِسَالَةُ » ؛ وَفِي (ب) : الْفَسَالَةُ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ .

(٢) فِي (ب) : « عَمِدَتْ » .

(٣) فِي (١) : « وَالْقَرَائِنِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (١) : « يَمْدَحُ » ؛ وَهُوَ تَكَرُّارٌ مَعَ مَا سَبَقَ .

ولا تُرِدْ رِجَالَكَ لِحَيَاتِكَ» ؛ ولو قَلَبَ عَلَيْهِ قَالِبٌ فَقَالَ : لا ، «وَلَسَكِنْ أُرِدْ رِجَالَكَ لِحَيَاتِكَ ، وَلَا تُرِدْ حَيَاتَكَ لِرِجَالِكَ» ، لَكَانَ الْفَضْلُ وَقِيعًا ، وَالدَّغْوَى قَائِمَةً .
وَكَانَ يُحْكِي عَنْ أَعْرَابِيٍّ حَدِيثٌ مُضْحِكٌ : قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : أَتُرِيدُ أَنْ تُضَلَّابَ فِي مَضْلَحَةِ الْأُمَّةِ ؟ قَالَ : لا ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ^(١) أَنْ تُضَلَّابَ الْأُمَّةُ فِي مَضْلَحَتِي .

قَالَ : وَلَيْسَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ مُخْتَلِفِينَ فِي ظَاهِرِهِمْ بِالصُّوَرِ وَالْخُلَى حَتَّى يُعْرِفَ بِهَا زَيْدٌ مِنْ عَمْرٍو ، وَبَكْرٌ مِنْ خَالِدٍ ، وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِي بَاطِنِهِمْ حَتَّى يَكُونَ هَذَا مَطْبُوعًا عَلَى الشَّحِّ وَإِنْ مَدَحَ الْجُودَ ، وَهَذَا مُجْبُولًا عَلَى الْجُبْنِ وَإِنْ تَشَبَّعَ لِلشَّجَاعَةِ ؛ وَلَيْسَ يَجُوزُ فِي الْحِكْمَةِ أَنْ يَكْثُرُوا وَلَا يَخْتَلِفُوا^(٢) ، وَلَيْسَ يَجُوزُ أَيْضًا أَنْ يُضَيَّعَ الْجِنْسُ وَالتَّنَوُّعُ وَلَا يَأْتَلِفُوا ؛ وَكُلُّ مَا أَسَاغَتْهُ الْحِكْمَةُ أَبْرَزَتْهُ الْقُدْرَةُ ، وَكُلُّ مَا جَادَتْ بِهِ الْقُدْرَةُ شَهِدَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ ؛ فَسَبِيحَانِ مَنْ لَهُ هَذَا التَّنْذِيرُ اللَّطِيفُ ، وَهَذَا الْعِزُّ الْغَالِبُ ، وَهَذَا السَّرُّ الْخَافِي ، وَهَذِهِ الْعَلَانِيَةُ الْبَادِيَةُ ، وَهَذَا الْفِعْلُ الْمُخْتَلِمُ ، وَهَذَا النَّفْتُ الْمُسْتَنْفَعُ .

وَحَكَيْتُ أَيْضًا فِي شَيْءٍ جَرَى ، قَالَ حَكِيمٌ فَارِسِيٌّ : قَدْ جَرَّ بَنَاءُ الْمُلُوكِ ، فَإِذَا مَلَكَ السَّمَحُ الْجَوَادُ جَادَتْ عَلَيْنَا السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ، وَإِذَا مَلَكَ الْبَخِيلُ بَخِلَتْ عَلَيْنَا السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ .

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ : هَذَا إِذَا صَحَّ فَهُوَ شَاهِدُ الْفَيْضِ الْإِلَهِيِّ الْمُتَّصِلِ بِالْمَلِكِ السَّمْحِ ، وَنُضُوبِهِ عَنِ الْمَلِكِ الْبَخِيلِ ، لِأَنَّ الْمَلِكَ إِلَهُ بَشَرِيٌّ .

وَقَالَ مَرَّةً : مَا التَّمَنَّى ؟ — وَقَدْ كَانَ جَرَى مَا أَفْتَضَى الشُّوَالُ عَنْهُ — .

(١) فِي (ب) : « أُرِيدُ » .

(٢) رَوَايَةٌ (ب) : « وَلَا يَخْتَلِفُوا فِي بَاطِنِهِمْ حَتَّى يَكُونَ مَطْبُوعًا » ؛ وَفِيهَا تَكَرُّارُ ظَاهِرٍ .

قُلْتُ : أَخْفَظُ نَصًّا لِبَقْضِ الْحُكْماءِ : إِنَّ التَّمَنَّى فَضْلُ حَرَكَةِ النَّفْسِ . قَالَ :
جَوَابُ رَشِيقٍ وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا إِلَى الْبَسْطِ .

قَالَ : هَاتِ مِنْ حَدِيثِ يُونَانَ شَيْئًا آخَرَ ، فَقُلْتُ : قَالَ أَرِسْطُو طَالِيسُ :
لَوْ كُنَّا نَطْلُبُ الْعِلْمَ لِنَبْلُغَ غَايَتَهُ كُنَّا قَدْ بَدَأْنَا الْعِلْمَ بِنَقِيضِهِ ، وَلَكِنَّا نَطْلُبُهُ
لِنَنْقُصَ كُلَّ يَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ ، وَتَزْدَادُ كُلَّ يَوْمٍ مِنَ الْعِلْمِ .

قَالَ : حَدَّثَنِي بِشَيْءٍ فِيهِ جَوَابُ حَاضِرٍ ، وَلِلْبَدِيَّةِ فِيهِ تَوْقُذٌ ظَاهِرٌ . (٦)

فَحَدَّثْتُ أَنَّ رَجُلًا أَتَى الزُّهْرِيَّ فَسَأَلَهُ أَنْ يَحْدِّثَهُ وَيَرْوِيَ لَهُ ؛ فَأَبَى عَلَيْهِ ،
قَالَ لَهُ الرَّجُلُ : إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْخُذْ الْمِيثَاقَ عَلَى الْجَهْلِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا حَتَّى أَخَذَ
الْمِيثَاقَ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ يُعَلِّمُوا ؛ فَقَالَ : صَدَقْتَ ، وَحَدَّثَنِي :

وَحَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو حَامِدٍ الرَّوْرُودِيُّ ؛ قَالَ : وَقَفَ سَائِلٌ مِنْ هَؤُلَاءِ
الْأُنْكَادِ عَلَيْنَا فِي جَامِعِ الْبَصْرَةِ فِي الْمَجْلِسِ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَنْصُورِيُّ ، وَابْنُ
مَعْرُوفٍ ، وَأَبُو تَمَامِ الزَّيْنَبِيِّ ، فَسَأَلَ وَالْحَ ؛ فَقُلْتُ لَهُ مِنْ بَيْنِ الْجَمَاعَةِ — وَقَدْ
ضَجَرْتُ مِنْ إلْحَاحِهِ وَصَفَاقَةِ وَجْهِهِ — : يَا هَذَا : نَزَلَتْ بِوَإٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ .
قَالَ : صَدَقْتَ ، وَلَكِنْ يُنْجَبِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ . فَضَحِكَ الْجَمَاعَةُ ،
وَوَهَبْنَا لَهُ دَرَاهِمَ .

وَمِنَ الْجَوَابِ الْحَاضِرِ الْمُسْكِتِ الَّذِي خَزَّ الْكَبِدَ وَنَقَبَ الْفَوَادَ (١) مَا جَرَى
لَأَبِي الْحُسَيْنِ الْبَتِّيِّ (٢) مَعَ الشَّرِيفِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو ، فَإِنَّ ابْنَ عَمْرِو قَالَ لِلْبَتِّيِّ (٣) :
أَنْتَ وَاللَّهِ شَتَمَتهُ وَلَكِنَّا مَسْمُومَةٌ . فَقَالَ الْبَتِّيُّ (٤) عَلَى النَّفْسِ : لَكِنَّا أَهْلُهَا
الشَّرِيفِ شَتَمَتهُ مَسْمُومَةٌ ، عَطَّرَتْ (٥) الْأَرْضُ بِهَا ، وَسَارَتْ الْبُرْدُ بِذِكْرِهَا .

(١) فِي (ب) : « الْقَلْبِ » . (٢) فِي (ب) . « الْبَتِّي » .

(٣) فِي نَسْخَةِ « فَطْنَتِ » ؛ وَفِي نَسْخَةِ أُخْرَى « وَطْنَتِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا

النَّسَخَتَيْنِ ؛ وَسِيَاكُ الْكَلَامِ يَحْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا .

وقال نصر بن سيار بخراسان لأعرابي : هل أُنخِمتَ قط . قال : أما من طعامك وطعام أبيك فلا . فيقال : إنَّ نصرًا حمًّا من هذا الجواب أيَّامًا ؛ وقال : لئنني خَرِشتُ ولم أفهْ بسؤالِ هذا الشَّيطان .

وَجَرَى حَدِيثُ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ ، فقال الوزير ، قد شَرَفَ اللهُ الْإِنَاثَ (٧) بِتَقْدِيمِ ذِكْرِهِنَّ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : (يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ) فقلت : في هذا نَظَرٌ ؛ فقال : ما هو : قلتُ قَدَّمَ الْإِنَاثَ — كما قلتُ — وَلَكِن نَكَرَ ، وَآخَرَ الذُّكُورَ وَلَكِن عَرَّفَ ، وَالتَّعْرِيفُ بِالْأَخِيرِ أَشْرَفُ مِنَ النَّكِيرَةِ بِالتَّقْدِيمِ . نِم قال : هذا حَسَنٌ . قلتُ : وَلَمْ يَتْرُكْ هَذَا أَيْضًا حَتَّى قَالَ : (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا) فَجَمَعَ الْجِنْسَيْنِ بِالتَّنْكِيرِ مَعَ تَقْدِيمِ الذُّكْرَانِ ، فقال : هذا مُسْتَوْفَى .

وقال : ما مَعْنَى كَأْسٍ أَنْفٌ ؟ فكان من الجواب أن يعقوب قال : يقال كَأْسٌ أَنْفٌ ، أى لم يُشْرَبْ منها قَبْلَ ذَلِكَ ؛ وكذلك يقال : رَوْضَةٌ أَنْفٌ ، إِذَا لم يكن رَعَاها أَحَدٌ .

وقال لَمِيْطُ :

إِنَّ الشُّوَاءَ وَالنَّشِيلَ وَالرُّغْفَ وَالْقَيْنَةَ الْحَسَنَاءَ وَالْكَأْسَ الْأَنْفَ

لِلطَّاعِنِينَ الْخَيْلَ وَالْخَيْلُ قُطِفَ

قال : ما النَّشِيلُ ؟ فَإِنَّ الشُّوَاءَ وَالرُّغْفَ مَعْرُوفَانِ . قلتُ : ما ضَمَّتْهُ الْقِدْرُ مِنَ اللَّحْمِ وَغَيْرِهِ ، لِأَنَّهُ يُنْشَلُ وَيُعْرَفُ ؛ فقال : هذا بَابٌ إِنَّ الْحَقَّنَا عَلَيْهِ جَوَّعَ .

- (٩) قال : مَا تَحْفَظُ فِي حَدِيثِ الْأَكْلِ ؟ قلتُ : الْأَكْلُ وَالذَّمُّ^(١) .
- وَمِنْ مَلِيحِهِ مَا حَضَرَ نِي . قيل لَجَمِيزٌ^(٢) : مَا تَشْتَهِي ؟ قال : بَسِيسٌ مُقَلِّدٌ
بَيْنَ غَلِيَانِ قُدُورٍ ، عَلَى رَاحَةِ شِوَاءٍ ، بِمَجْنَبِ خَبِيبِص . فَضَحَكَ — أَضْحَكَ
اللَّهُ سِنَهُ بِالْفَرَحِ وَالشُّرُورِ . وَأَنْتِظَامُ الْأَحْوَالِ وَأَسَاقِي الْأُمُورِ — . وقال : هَاتِ
حَدِيثًا نَخْرِجُ بِهِ مِمَّا كُنَّا فِيهِ . فقلتُ : كَتَبَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ إِلَى رُسْتَمَ
صَاحِبِ الْأَعَاجِمِ : إِسْلَامُكُمْ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ غَنَائِكُمْ ؛ وَقِتَالُكُمْ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ
صُلْحِكُمْ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ رُسْتَمَ : أَنْتُمْ كَالذُّبَابِ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْعَسَلِ فَقَالَ : مَنْ
يُوصِلُنِي إِلَيْهِ بِدَرَاهِمَيْنِ ، فَإِذَا نَشِبَ فِيهِ قَالَ : مَنْ يُخْرِجُنِي مِنْهُ بِأَرْبَعَةٍ ، وَأَنْتَ
طَامِعٌ ، وَالطَّمْعُ سِرْدِيكَ . فَأَجَابَهُ سَعْدُ : أَنْتُمْ قَوْمٌ تَحَادُّونَ اللَّهَ وَتُمَايِدُونُ
أَنْفُسَكُمْ ، لِأَنْتُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ اللَّهَ يُرِيدُ أَنْ يَحْوِلَ لِلْمَلِكِ عَنْكُمْ إِلَى غَيْرِكُمْ ، وَقَدْ
أَخْبَرَكُمْ بِذَلِكَ حُكَمَاؤُكُمْ وَعُلَمَاؤُكُمْ ، وَتَقَرَّرَ ذَلِكَ عِنْدَكُمْ ، وَأَنْتُمْ دَائِمًا تَذْفَعُونَ
الْقَضَاءُ بِمُحُورِكُمْ ، وَتَتَلَقَّوْنَ عِقَابَهُ بِصُدُورِكُمْ ، هَذِهِ جُرْأَةٌ مِنْكُمْ وَجَهْلٌ فِيكُمْ ،
وَلَوْ نَظَرْتُمْ لَا أَبْصَرْتُمْ ، وَلَوْ أَبْصَرْتُمْ لَسَلِمْتُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ، وَلَمَّا
كَانَ اللَّهُ مَعَكُمْ كَانَتْ عَلَيْنَا رِيحُكُمْ ، وَالْآنَ لَمَّا صَارَ اللَّهُ مَعَنَا [صَارَتْ]
رِيحُنَا عَلَيْكُمْ ، فَأَنْجُوا أَنْفُسَكُمْ ، وَاعْتَنِمُوا أَرْوَاحَكُمْ ، وَإِلَّا فَاصْبِرُوا لِحَرِّ السَّلَاحِ
وَأَلَمِ الْجِرَاحِ ، [وَخِزْيٌ^(٣) الْإِفْضَاح] ، وَالسَّلَامُ .
- كَتَبَ حَدِيثُهُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — إِنَّ الْعَرَبَ

(١) يشير بهذه العبارة إلى قولهم في المثل : « أكل وذم » في الشيء يؤكل وينم ؛ ذكره صاحب المقد ، ولم يرد في كتب الأمثال الأخرى .

(٢) في الأصل : « حير » بالحاء والراء ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا قلا عن عيون الأخبار وغيره .

(٣) في (١) : « والصابي » مكان هذه الزيادة المنقولة من (ب) .

قد تَغَيَّرَتْ أَلْوَانُهَا وَلَحُومُهَا . فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى سَعْدٍ : إِرْتَدَّ لِقَرَبٍ مَنَزِلًا
مَرَّاحًا . فَأَرْتَادَ لِمِ الْكُوفَةِ ، وَهِيَ بُقْعَةٌ حَضْبَاءُ ، وَرَمَلَةٌ حُمْرَاءُ ، فَقَالَ سَعْدُ :
اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاءِ وَمَا أَظْلَلَتْ ، وَالْأَرْضِ وَمَا أَفْلَتَ ، وَالرَّيْحِ وَمَا ذَرَّتْ ، بَارِكْ
لَنَا فِي هَذِهِ الْكُوفَةِ .

وَسَمِعَ عُمَرُ مُنْشِدًا يُنْشِدُ :

مَا سَأَسْنَا مِثْلَكَ يَا بَنَ الْخَطَّابِ أَبَرَّ بِالْأَفْصَى وَبِالْأَضْحَابِ

بعد النبي صاحب الكتاب

فَنَحَسَهُ عُمَرُ وَقَالَ : أَيْنَ أَبُو بَكْرٍ وَبَيْتُكَ .

قَالَ عُمَرُ وَهُوَ بِمَكَّةَ : لَقَدْ كُنْتُ أَرْغَى لِإِبْلِ الْخَطَّابِ بِهَذَا الْوَادِي
فِي مُدْرَعَةٍ صُوفٍ ، وَكَانَ فِظًا يُتَعَبُّى إِذَا عَمِلْتُ ، وَيَضْرِبُنِي إِذَا قَصُرْتُ ، وَقَدْ
أَمْسَيْتُ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ أَحَدٌ ، ثُمَّ تَمَثَّلَ :

لَا يَبْقَى مِمَّا تَرَى تَبْقَى بَشَائِئُهُ يَبْقَى الْإِلَهُ وَيُودِي الْمَالُ وَالْوَلَدُ
لَمْ تُغْنِ عَنِّي هَرْمُزِي يَوْمًا خَزَائِنُهُ وَالْخُلْدُ قَدْ حَاوَلْتُ عَادٌ فَمَا خَلَدُوا
وَلَا سُلَيْمَانُ إِذْ تَسْرَى الرِّيحُ بِهِ وَالْإِنْسُ وَالْجِنُّ فِيمَا كَلَّفُوا مُعْبَدُ
أَبْنَ الْمُلُوكِ الَّتِي كَانَتْ نَوَافِلُهَا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ إِلَيْهَا رَاكِبٌ يَفِدُ
حَوْضُ هُنَالِكَ مَوْزُودٌ بِكَاذِبٍ لَا بَدَّ مِنْ وَرْدِنَا يَوْمًا كَمَا وَرَدُوا

وَقَالَ عُمَرُ : خَيْرُ الدُّوَابِّ الْحَدِيدُ الْقَوَادِ ، الصَّحِيحُ الْأَوْتَادُ .

وَقَالَ عُمَرُ : كَانَتْ الْقَرَبُ أَشَدَّ فِي جَزِيرَتِهَا بِأَكْلِ بَعْضِهَا بَعْضًا ، فَلَمَّا

جَمَعَهُمُ اللَّهُ بِمُحَمَّدٍ لَمْ يَقُمْ لَمْ يَمُتْ .

رَأَى رُسْتَمَ فِي التَّوَمِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَخَذَ سِلَاحَ فَارِسَ
وَحَتَمَ عَلَيْهِ وَدَقَعَهُ إِلَى عَمْرٍ ، فَارْتَاعَ رُسْتَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَيَقَنَ أَنَّهُ هَالِكٌ .
وَقَالَ : أَنَشِدْنِي شَيْئًا ، فَأَنَشِدْتُهُ لِبَعْضِ آلِ أَبِي طَالِبٍ :

وَلَسْتُ بِمَذْعِنٍ يَوْمًا مُطْعِمًا إِلَى مَنْ لَسْتُ آمَنُ أَنْ يَجُورَا
وَلَكِنِّي مَتَى مَا أَخْشَى مِنْهُ أَحَالِفُ صَارِمًا عَضْبًا تَوُورَا
وَأَنْزِلُ كُلَّ رَايِيَةِ بَرَّاحٍ أَكُونُ عَلَى الْأَمِيرِ بِهَا أَمِيرَا

وَأَنَشِدَنِي لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِ ، وَلَقَدْ تُمَثَّلَ بِهِ :

إِنِّي لَمِنْ نَبَقَةٍ صُمِّمَ مَكَايِرُهَا إِذَا تَقَادَحَتِ الْقَصَبَاتُ^(١) وَالْعُشُرُ
وَلَا أَلِيْنَ لَقِيْرٍ اتْلَقَ أَتْبَعُهُ حَقِي يَلِيْنَ لِيْضُرْسَ لِلْمَاضِغِ الْحَجَرُ
وَحَدَّثَنِي أَنَّ الْمَأْمُونُ قَالَ : قَلِيلَ السَّعَةِ يَمْحُو كَثِيرَ الْحِلْمِ ، وَأَذْنَى الْإِتْقَانِ
يُخْرِجُ مِنْ فَضْلِ الْأَغْنَاءِ ، وَكَانَ طَالِبُ الْمَعْرُوفِ الْعُذْرَةَ^(٢) عِنْدَ الْأَمْتِنَاعِ ،
وَالشُّكْرُ عِنْدَ الْأَصْطِنَاعِ ، وَكَانَ الْمَطْلُوبُ إِلَيْهِ تَعْجِيلُ الْمَوْعُودِ ، وَالْإِسْعَافُ
بِالْمَوْجُودِ .

(١) ورد هذا البيت في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الشعر دون (ب) هكذا :

إِلَى مَنْ سَعَى بِهِ كَاسِرُهَا أَوْ أَيْنَا رَحِبَ الْمَضْبَةِ وَالْقَشْرِ
وهو كما ترى مملوء بالتصعيف والتعريف في جميع كلماته تقريباً ؛ وقد بحثنا عن هذا الشعر في
المصادر التي بين أيدينا فلم نجد غير البيت الثاني ؛ وهو منسوب في مجموعة المعاني إلى عبد الله
ابن الزبير الأسدي ولم نجد في ترجمته ؛ وقد قلنا جميع كلمات هذا البيت على جميع ما تحمله
من الوجوه حتى استقام وزنه ومعناه على هذا الوجه الذي أنبتنا . والنبع : شجر تتخذ منه
أجود الرماح . وصم : مكاسرها ، أي صلبة . ويقال : تقادح الشجر إذا كان رخوا ، ففي
حركته الريح حك بعضه بعضاً فأورى نارا فإذا أريد الانتفاع به في إلقاء النار بعد لم يور .
والقصبة : جماعة القصب . والمعر : شجرة تتخذ منه الزناد .

(٢) في (١) : القدرة ؛ وهو تحريف .

قال : مَنْ أَفْضَلُ هَؤُلَاءِ ؟ يَفْنَى بَنَى الْعَبَّاسَ . فَكَانَ الْجَوَابُ أَنَّ الْمَنْصُورَ أَفْضَلُهُمْ ^(١) ، وَالْمَأْمُونُ [أَنْجَدُهُمْ] ، وَالْمُعْتَصِمُ أَنْجَدُهُمْ ، وَالْمُعْتَصِدُ أَفْضَلُهُمْ .
قال : كَذَلِكَ هُوَ . وَقَالَ : فَالْبَاقُونَ ؟ [قُلْتُ] لَيْسَ ^(٢) فِيهِمْ بَعْدَ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤَخِّدُ بِالذِّكْرِ ، لِأَنَّهُ فِي نَقْصِهِ وَزِيَادَتِهِ مُشَاكِلٌ لْغَيْرِهِ . قَالَ : لِلَّهِ دَرْكٌ .

الليلة الخامسة والثلاثون

- وقال ليلة : مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْإِرَادَةِ وَالْإِخْتِيَارِ ؟ فَكَانَ مِنَ الْجَوَابِ أَنَّ كُلَّ ^(١) مُرَادٍ يُخْتَارُ ، وَلَيْسَ كُلُّ مُخْتَارٍ مُرَادًا ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يُخْتَارُ شُرْبُ الدَّوَاءِ الْكَرْبِيِّه وَشُرْبُ الْوَلَدِ التَّجِيبِ وَهُوَ لَا يَرِيدُ ، وَيُخْتَارُ طَرْحُ مَتَاعِهِ فِي الْبَحْرِ [إِذَا أُلْجِيَ] ^(٢) وَهُوَ لَا يَرِيدُ ، وَهِيَ وَإِنْ كَانَا أَنْفَعَالَيْنِ فَأَحَدُهُمَا — وَهُوَ الْإِخْتِيَارُ — لَا يَحْدُثُ إِلَّا عَنْ جَوَلَانٍ وَتَنْقِيرٍ وَتَمْيِيزٍ ، وَالْآخَرُ — وَهُوَ الْإِرَادَةُ — يَفْجَأُ وَيَبْغَتْ ^(٣) وَرَبَّمَا سَحَلَ عَلَى طَلَبِ الْمُرَادِ بِالْكَرْهِ الشَّدِيدِ ؛ وَفِي عُرْضِ الْإِخْتِيَارِ سَعَةٌ لِلتَّمَكُّنِ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي عُرْضِ الْإِرَادَةِ . وَالْعَرَبُ تَسْتَعْمَلُ الْإِرَادَةَ فِي مَوْضِعِ الْإِرَادَةِ ، وَالْأَوَّلُ مِنْ رَاغٍ يَرُوعُ ، وَالثَّانِي مِنْ رَادٍ يَرُودُ ، وَالْمِزَّةُ مُجْتَلَبَةٌ لِقَعْدَتِي .
قال : فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْحُبَّةِ وَالشَّهْوَةِ ؟ فَكَانَ الْجَوَابُ أَنَّ الشَّهْوَةَ أَلْصَقُ ^(٤) بِالطَّبِيعَةِ ، وَالْحُبَّةُ أَصْدَرُ عَنِ النَّفْسِ ^(٥) الْفَاضِلَةِ ، وَهِيَ أَنْفَعَالَانِ ، إِلَّا أَنَّ أَحَدَ

(١) فِي (١) : « أَدْنَاهُمْ » وَلَمْ يَظْهَرْ مِنْهَا فِي (ب) غَيْرُ الْمَاءِ وَالْمِمْ ؛ وَسَاطَرُهَا

مَطْمُوسٌ ؛ وَلَمَّا لَمْ يَصُوبْ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَنْتَضِيهِ السَّجْعُ .

(٢) الَّتِي فِي (١) : « أَشْرَفُهُمْ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَيَلَاظُ أَنَّ كَلِمَةَ « فِيهِمْ » غَيْرُ

مَوْجُودَةٌ فِي (ب) ، وَقَدْ أَثْبَتْنَاهَا أَخَذًا مِنْ قَوْلِهِ فِي (١) : « أَشْرَفُهُمْ » .

(٣) فِي الْأَصُولِ : « أَحَبُّ » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (١) : « وَثَبَتْ » ، وَفِي (ب) وَثَبَتْ ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ .

(٥) فِي (١) : « الطَّبِيعَةُ » مَكَانَ « النَّفْسِ » .

الْأَنْفَعَاتَيْنِ أَشَدُّ تَأَثُّراً ، وَهُوَ أَنْفَعَالُ الشَّهْوَةِ ، وَأَنَّهُ ^(١) يُقَالُ : شَعِيَّ وَأَشَعِي ^(٢) ،
وَيُقَالُ فِي الْآخَرِ : حَبٌّ وَأَحَبٌّ ، وَيَتَدَاخَلَانِ كَثِيرًا بِالْأَسْتِمَالِ ، لِأَنَّ اللَّفْظَ جَارِيَةً
عَلَى التَّوَسُّعِ ، كَمَا هِيَ جَارِيَةٌ عَلَى التَّضْيِيقِ ، وَمِنْ نَاحِيَةِ التَّضْيِيقِ فُزِعَ إِلَى التَّحْدِيدِ
وَالْتَّشْدِيدِ ، وَمِنْ نَاحِيَةِ التَّوَسُّعِ جُرِيَ عَلَى الْأَقْدَارِ وَالْإِخْتِيَارِ ^(٣) ، وَفِي عُرْضِ
هَذَيْنِ بَلَاءٍ آخَرَ ، لِأَنَّهُ بَيْنَ الْإِبْجَازِ وَالْإِطْنَابِ ، وَبَيْنَ الْكِتَابَةِ وَالتَّصْرِيحِ ،
وَبَيْنَ الْإِبْجَازِ ^(٤) وَالْإِطْنَابِ . فَقَالَ : هَذَا بَابٌ .

(٣) ثُمَّ نَاوَلَنِي رَقْعَةً بِمُخْطَطَةٍ فِيهَا مَطَالِبُ نَفْسِي تَأْتِي عَلَى عِلْمٍ عَظِيمٍ ، وَقَالَ : بَاثِلٌ
عِنْدَهَا أَبَا سَلَامَانَ وَأَبَا الْخَيْرِ وَمَنْ تَعَلَّمَ أَنْ فِي مُجَازَاتِهِ فَائِدَةٌ مِنْ عَالِمٍ كَبِيرٍ ، وَمُتَعَلِّمٌ
صَغِيرٌ ، فَقَدْ يُوجَدُ عِنْدَ الْفَقِيرِ بَعْضُ مَا لَا يُوجَدُ عِنْدَ الْغَنِيِّ ، وَلَا تَحْقِرْ أَحَدًا فَاهً
بِكَلِمَةٍ مِنَ الْعِلْمِ ، أَوْ أَطَافَ بِجَانِبٍ مِنَ الْحِكْمَةِ ، أَوْ حَكَّمَ بِجَالٍ مِنَ الْفَضْلِ ؛
فَالنَّفُوسُ مَعَادِنٌ ، وَحَصَّلَ ذَلِكَ كُلَّهُ وَحَرَّرَهُ فِي شَيْءٍ وَجِئْتُ بِهِ ، وَكَانَ فِي الرَّقْعَةِ :

مَا النَّفْسُ ؟ وَمَا كَالُهَا ؟ وَمَا الَّذِي أَسْتَفَادَتْ فِي هَذَا الْمَكَانِ ؟ وَبَأَيِّ شَيْءٍ
يَايَنْتَ الرُّوحَ ؟ وَمَا الرُّوحُ ؟ وَمَا صِفَتُهُ ؟ وَمَا مَنَفَعَتُهُ ؟ وَمَا الْمَانِعُ مِنْ أَنْ تَكُونَ
النَّفْسُ جِسْمًا أَوْ عَرَضًا أَوْ هُمَا ؟ وَهَلْ تَبْقَى ؟ وَإِنْ كَانَتْ تَبْقَى فَهَلْ تَعْلَمُ مَا كَانَ
الْإِنْسَانُ فِيهِ هَاهُنَا ؟ وَمَا الْإِنْسَانُ ؟ وَمَا حَدُّهُ ؟ وَهَلِ الْحَدُّ هُوَ الْحَقِيقَةُ ، أَمْ بَيْنَهُمَا
بَوْنٌ ؟ وَمَا الطَّبِيعَةُ ؟ وَهَلَّا أَغْنَى الرُّوحُ عَنِ النَّفْسِ ، أَوْ هَلَّا أَغْنَتْ النَّفْسُ عَنِ

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « لِأَنَّهُ » وَالتَّعْلِيلُ هُنَا لَا مُقْتَضَى لَهُ ؟ وَلِمَلَّ سَوَابِغَ الْعِبَارَةِ
مَا أَثْبَتْنَا . (٢) لَمْ نَجِدْ فِي كُتُبِ اللَّفْظِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا أَشْهُى بِمَعْنَى شَهْوَى ، أَيْ أَشْتَهَى
كَمَا يُقَالُ فِيهِ كَلَامُهُ . وَالَّذِي وَجَدْنَاهُ أَشْهَاءَ بِمَعْنَى أَعْطَاهُ مَا يَشْتَهَى ، لَا بِمَعْنَى أَشْتَهَى .
(٣) فِي الْأَصُولِ : « وَالْإِسْتِحْقَارُ » . وَهُوَ تَحْرِيفُ صَوَابِهِ مَا أَثْبَتْنَا .
(٤) فِي (١) : الْأَبْجَازُ وَالْإِطْنَابُ ، وَفِي (ب) وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مَطْبُوسَةً بِالْحُرُوفِ
تَعْتَرِ قِرَاءَتِهَا ، وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا أَخْذًا مِنَ الرَّسْمِ الْوَارِدِ فِي النَّسخِ .

الروح ؟ وهَلَا كَفَتِ الطَّبِيعَةُ ؟ وما العقل ؟ وما أُنْحَاؤُهُ ؟ وما صَدِيقُهُ ؟ وهل يُثَقِّلُ الْعَقْلُ ؟ وهل تَتَنَفَّسُ النَّفْسُ ؟ وما مَرَّ تَبَّتُهُ (أَغْنَى الْعَقْلَ) عند الإله ؟ وهل يَفْعَلُ ؟ وهل يَفْعَلُ ^(١) ؟ وإن كان يَفْعَلُ وَيَفْعَلُ ^(١) فَتَسْطُ الْعِلُّ فِيهِ أَكْثَرُ مِنْ قِسْطِ الْأَنْفَعَالِ ؟ وما الْمَعَادُ الْمَشَارُ إِلَيْهِ ؟ أهو للإنسان ؟ أم لِنَفْسِهِ ؟ أم لَهَا ؟ وما الْفَرْقُ بَيْنِ الْأَنْفُسِ ، أَغْنَى نَفْسَ عَمْرُو وَزَيْدٍ وَبَكْرٍ وَخَالِدٍ ؟ ثم ما الْفَرْقُ بَيْنِ أَنْفُسِ أَصْنَافٍ ^(٢) الْحَيَوَانَ ؟ وهل الْمَلَكُ حَيَوَانٌ ؟ فقد علمت أنه يقال له : حَيٌّ ، وهل فيه حَيَاةٌ ؟ وعلى أَيْ وَجْهِ يُقَالُ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيٌّ وَالْمَلَكُ حَيٌّ وَالْإِنْسَانُ حَيٌّ وَالْفَرَسُ حَيٌّ ؟ وهل يقال : الطَّبِيعَةُ حَيَّةٌ ، وَالنَّفْسُ حَيَّةٌ ، الْعَقْلُ حَيٌّ ؟ فَإِنَّ هَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ شَاغِلٌ لِقَلْبِي ، وَجَائِمٌ فِي صَدْرِي ، وَمُعْتَرِضٌ بَيْنَ نَفْسِي وَفِكْرِي ؛ وَمَا أَحِبُّ أَنْ أَبْرَحَ بِهِ لِكُلِّ أَحَدٍ ، وَقَدْ بَيَّنَّتُهُ ^(٣) فِي هَذِهِ الرُّقْعَةِ ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَعْرِضَهَا عَلَى أَبِي سُلَيْمَانَ فَأَفْعَلْ ، وَلَكِنْ لَا تَدْعَ خَطِيئَةً عِنْدَهُ ، بَلْ انْسَخْهُ لَهُ ، وَحَصِّلْ مَا يُجِيبُكَ بِهِ ، وَيَصْدَعُكَ لَكَ بِحَقِيقَتِهِ ، وَلَخَّصْهُ ، وَزِنْهُ بِلَفْظِكَ السَّهْلِ ، وَإِفْصَاحِكَ الْبَيِّنِ ، وَإِنْ وَجَبَ أَنْ تُبَاحِثَ غَيْرَهُ فَأَفْعَلْ ؛ فَهَذَا هَذَا ؛ وَإِنْ كَانَ الرَّجُوعُ فِيهِ إِلَى السُّكُتِ الْمَوْضُوعَةِ مِنْ أَجْلِهِ كَافِيًا ، فَلَيْسَ ذَلِكَ مِثْلَ الْبَحْثِ عَنْهُ بِاللِّسَانِ ، وَأَخَذِ الْجَوَابِ عَنْهُ بِالْبَيَانِ ، وَالْكِتَابُ مَوَاتٌ ، وَنَصِيبُ النَّازِلِ فِيهِ مَتَزَوَّرٌ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ لِلذَّاكِرَةِ وَالْمُنَاطِرَةِ وَالْمُؤَانَسَةِ ^(٤) ، فَإِنْ مَا يُنَالُ مِنْ هَذِهِ أَعْصَى وَأَطْرَأَ ، وَأَهْنَأُ وَأَمْرَأَ ،

(١) في (١) : « يَفْعَلُ » مكان « يَفْعَلُ » في كلا الموضعين اللذين تحت هذا الرقم ،

وهو تصحيف .

(٢) في (ب) : « أصحاب » مكان قوله « أصناف » ، وهو خطأ من الناسخ .

(٣) في (ب) : « نثرته » ، والمعنى يستقيم عليه أيضاً .

(٤) في نسخة « واللوازة » .

للبدن . وعلى هذا ؛ ولعلَّ آخَرِينَ يقولون في تَخْدِيدِهَا وَنَعْمِهَا أَقْوَالًا آخَرَ ، لَأَنَّ
لِللَّحُوظِ^(١) بَسِيطَ ، وَالْمَذْرُوكَ بَعِيدَ ، وَالنَّازِلِينَ كَثِيرُونَ ، وَالْبَاحِثِينَ مُخْتَلِفُونَ ،
وَالكثْرَةُ فَاتِحَةُ الْأَخْتِلَافِ ، وَالْأَخْتِلَافُ جَالِبٌ لِلْحَيْرَةِ ، وَالْحَيْرَةُ خَافِقَةٌ
لِلْإِنْسَانِ ، وَالْإِنْسَانُ ضَعِيفُ الْأَسْرِ^(٢) ، مَحْدُودُ الْجُمْلَةِ ، مَحْصُورُ التَّفْصِيلِ ،
مَقْصُورُ السَّعْيِ ، مَمْلُوكُ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ ، غِشَاوُهُ كَثِيفٌ ، وَبَاعُهُ قَصِيرٌ ، وَفَاتِقُهُ^(٣)
أَكْثَرُ مِنْ مَذْرِكِهِ ، وَدَعْوَاهُ أَحْضَرُ مِنْ بُرْهَانِهِ ، وَخَطْوُهُ أَكْثَرُ مِنْ صَوَابِهِ ،
وَسُؤَالُهُ أَظْهَرُ مِنْ جَوَابِهِ ، فَعَلَى هَذَا كُلِّهِ الْأَعْتَرَا فِ بِهِ — أَعْنَى بِالنَّفْسِ
وَبِوَجْدَانِهَا — أَسْهَلُ مِنَ الْقَحْضِ عَنْ كُنْهَيْهَا وَبُرْهَانِهَا .

قال : وَإِنَّمَا صَعِبَ هَذَا لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يُرِيدُ أَنْ يَعْرِفَ النَّفْسَ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ
النَّفْسَ إِلَّا بِالنَّفْسِ ، وَهُوَ مَحْجُوبٌ عَنِ نَفْسِهِ بِنَفْسِهِ ؛ وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا
فَالْأَمْرُ أَنْ كُلَّ مَنْ كَانَتْ نَفْسُهُ أَضْفَى ، وَنُورُهُ أَشْعَى ، وَنَظَرُهُ أَعْلَى ، وَفِكْرُهُ
أَتْقَبَ ، وَلَحْظُهُ أَبْعَدَ ، كَانَ مِنَ الشُّكِّ أَنْجَى ، وَعَنِ الشُّبْهَةِ أَنْأَى ، وَإِلَى الْيَقِينِ
أَقْرَبَ ؛ وَالْإِنْسَانُ ذُو أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ ، مِنْ جُمْلَتِهَا نَفْسُهُ ، فَلِكثْرَةِ مَا هُوَ بِهِ
كَثِيرٌ يَعْجِزُ عَنْ إِدْرَاكِ مَا هُوَ بِهِ وَاحِدٌ ، أَيْ إِنْسَانٌ ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ هَذَا
النَّفْتُ حَقًّا ، وَهَذَا الْمَقُولُ صِدْقًا ، وَهُوَ مُرَكَّبٌ فِي مُرَكَّبٍ ، وَالنَّفْسُ مَبْسُوطَةٌ ،
وَإِنَّمَا فِيهِ جُزْءٌ يَسِيرُ وَنَصِيبٌ قَلِيلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَسِيطِ ، فَكَيْفَ يُدْرِكُ بِجُزْءٍ مِنْهَا كُلَّهَا
وَبِقَلِيلٍ مِنْهَا جَمِيعَهَا^(٤) ؛ هَذَا مُتَعَدِّدٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُحَالًا ، وَبَعِيدٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَعْدُومًا ؛

(١) فِي كَلَامِ الْأَصْلِينَ : « الْمَخْلُوط » وَ « الْمَذْكُور » ؛ وَفِي كِلْتَا الْكَلِمَتَيْنِ تَصْغِيرٌ
وَقَلْبٌ ، صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَقْتَضِيهِ السِّيَاقُ .

(٢) الْأَسْرُ : الْقُوَّةُ . وَفِي (ب) : « الْأَسْ » بِضَمِّ الْمِيمِ وَتَشْدِيدِ السَّيْنِ ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ
عَلَيْهِ أَيْضًا . (٣) فِي كَلَامِ الْأَصْلِينَ « وَقَلَّتْهُ » ؛ وَهُوَ تَعْرِيفٌ .

(٤) وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ مَهْمَلَةً الْحُرُوفِ مِنَ النُّقْطِ مَعْلُومٍ بِبَعْضِ
حُرُوفِهَا . وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا .

وأجعل هذه الخدمة مُقدَّمة على كلِّ مُهمَّةٍ لك ، فأني ناظرُك ، طامعاً في الجواب المُقنع الشافي .

فعرَضْتُها كما رَسَمَ على أبي سُلَيْمَانَ وقرأتها [عليه] ، وتمهلْتُ في إيرادها بِمَضْرُوتِهِ ، فلما فهمها ووقفَ عليها تَحبَّبَ وقال : هذه مَسَائِلُ الْمُتَحَكِّمِينَ ^(١) ، وَطَلَبَاتُ الْمُدَلِّينَ ، وأقترَحاتُ الْمُقَدِّرِينَ ، ومُنيَّةُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ .

قلتُ : هو كما قلتُ أيُّها الشيخ ، ولا بدَّ من جوابٍ يُعرَضُ عليه يأتي على بعضِ مآربِ النفس ، وإن لم يأت على قاصِيَةِ ما في المَطْلُوب ، فقال كلاماً كثيراً واسماً أنا أخسِيه على وَجْهِهِ من طريقِ المَفْنَى ، وإن انحرفتُ عن أعيانِ لَفْظِهِ ، وأسبابِ نَظْمِهِ ، فإنَّ ذلك لم يكن إِملاءً ولا نَسْخاً ، وأجتهِدُ أَنْ أُلْزِمَ مَتَنَ الْمُرَادِ ، وتَمَّتِ الْمُقْصُودُ — إن شاء الله — [عز وجل] .

(٤) قال : أمَّا قوله : ما النَّفْسُ ، فإنَّ التَّحْدِيدَ يُغَوِّزُ ، وَالرَّسْمَ لَا يَشْفِي ، وَالْوَصْفَ مُقْصَرٌّ عَنِ الْغَايَةِ ، لِأَنَّهَا لَيْسَ لَهَا جِنْسٌ وَلَا فَضْلٌ فَيَنْشَأُ الْحَدُّهُمَا [ومنهما] ؛ وَالْأَسْمُ الشَّائِعُ — أعنى النَّفْسَ — أَخْلَصُ إِلَى الْمَطْلُوبِ ، وَأَخْضَرُ لِمَقْصُودٍ مِنَ التَّحْدِيدِ ، وَلِهَذَا مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا فِي حَدِّهَا ؛ فَقَالَ قَائِلٌ : النَّفْسُ مِزَاجُ الْأَرْكَانِ . وَقَالَ قَائِلٌ : النَّفْسُ تَأَلَّفُ الْأُسْطَقْسَاتِ ؛ وَقَالَ قَائِلٌ : النَّفْسُ عَرَضٌ ^(٢) مُحَرَّكٌ ^(٣) بِذَاتِهِ . وَقَالَ قَائِلٌ : النَّفْسُ هَوَائِيَّةٌ . وَقَالَ قَائِلٌ : النَّفْسُ رُوحٌ حَارَّةٌ . وَقَالَ قَائِلٌ : النَّفْسُ طَبِيعَةٌ دَائِمَةُ الْحَرَكَةِ . وَقَالَ قَائِلٌ : النَّفْسُ تَمَامٌ بِجِسْمٍ طَبِيعِيٍّ ذِي حَيَاةٍ . وَقَالَ قَائِلٌ : النَّفْسُ جَوْهَرٌ لَيْسَ بِجِسْمٍ مُحَرَّكٌ

(١) في كلا الأصلين : « المتحكِّمين » ؛ وهو تحريف .

(٢) في كلتا النسختين « عدد » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به الكلام .

(٣) في (ب) : « متحرك » .

وَيَكْفِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ النَّفْسَ قُوَّةٌ إِلَهِيَّةٌ وَاسْطَةُ بَيْنَ الطَّبِيعَةِ الْمُصَرَّفَةِ لِلْأَسْطَقُسَاتِ وَالْعُنَاصِرِ الْمُنْهَيَّتَةِ ، وَبَيْنَ الْعَقْلِ الْغَيْرِ لَهَا ، الطَّالِعِ عَلَيْهَا ، الشَّائِعِ فِيهَا ، الْحَاطِطِ بِهَا ؛ وَكَأَنَّ الْإِنْسَانَ ذُو طَبِيعَةٍ لَأَنَارِهَا الظَّاهِرَةِ فِي بَدَنِهِ [كَذَلِكَ هُوَ ذُو نَفْسٍ ، لَأَنَارِهَا الظَّاهِرَةِ فِي آرَائِهِ] وَأَبْجَائِهِ ، وَمَطَالِبِهِ وَمَآرِيهِ ؛ وَكَذَلِكَ هُوَ ذُو عَقْلِ لِمَيَّزِهِ وَتَصْنِغِهِ ، وَأَخْتِبَارِهِ وَفَحْصِهِ وَأَسْتِنْبَاطِهِ ، وَيَقْيِينِهِ وَشَكِّهِ ، وَعِلْمِهِ وَظَنِّهِ ^(١) ، وَفَهْمِهِ وَرَوِيَّتِهِ وَبَدِيهِتِهِ وَذِكْرِهِ ، وَذِهْنِهِ وَحِفْظِهِ وَفِكْرِهِ ، وَحِكْمَتِهِ وَثَبَّتِهِ وَطَمَأْنِينَتِهِ ؛ وَكَذَلِكَ هُوَ ذُو اعْتِرَافٍ بِالْأَحَدِ ^(٢) الَّذِي لَا سَبِيلَ إِلَى جَنَدِهِ ، وَالْبَرَاءِ مِنْ هَوِيَّتِهِ ، وَكَيْفَ يَجِدُ أَنْزَلَ الْجَحْدُ ، أَوْ يُحْسِنُ بِالنَّسَةِ مِنَ الشَّكِّ ؟ وَسِنْخُهُ يَنْبُو عَنْ ذَلِكَ ، وَفِطْرَتُهُ تَأْبَاهُ ، وَلِهَذَا الثَّبُوءُ وَالْإِبَاءُ ^(٣) يَفْزَعُ إِلَيْهِ ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ، وَيَطْلُبُ الْفَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ ، وَيَلْتَمِسُ الْخَيْرَ مِنْ لَدُنْهِ ، فَانْظُرْ إِلَى هَذِهِ السَّلْسِلَةِ الْوَثِيقَةِ الَّتِي لَا يَفْصِمُهَا شَيْءٌ لَا فِي زَمَانٍ وَلَا فِي مَكَانٍ ، وَلَا فِي بَقْلَةٍ وَلَا فِي مَنْأَمٍ ؛ فَهَذَا هَذَا ؟ وَفِيهِ مَقْنَعٌ .

وَأَمَّا فِعْلُ النَّفْسِ ، فَقَدْ وَضَحَ أَنَّهُ إِثَارَةُ الْعِلْمِ مِنْ مَظَانِّهِ ؛ وَأَسْتَخْلَاصُهُ مِنَ الْعَقْلِ بِشَهَادَتِهِ ، مَعَ إِفَاضَاتٍ لَهَا أُخَرُ ، وَإِنَالَاتٍ مِنْهَا جَلِيلَةٍ عِنْدَ الْإِنْسَانِ ، بِهَا يَنْتَالُ مَا يَسْكُمُلُ بِهِ ، وَبِكَمَالِهِ يَجِدُ السَّعَادَةَ ، وَبَسَاعَاتِهِ يَنْجُو مِنْ شِقْوَتِهِ .

(٥) وَأَمَّا قَوْلُهُ : مَا الَّذِي اسْتَفَادَتْ فِي هَذَا الْمَكَانِ ، فَإِنَّهَا أَفَادَتْ وَمَا اسْتَفَادَتْ ، إِلَّا أَنْ تُجْعَلَ إِفَادَتُهَا لِلْقَابِلِ مِنْهَا اسْتِفَادَةً لَهَا ؛ وَفِي هَذَا تَجَوُّزُ ظَاهِرٍ ، وَلَا يَقَالُ لِلشَّمْسِ إِذَا طَلَعَتْ عَلَى بَسِيطِ الْأَرْضِ وَالْعَالَمِ : مَا الَّذِي اسْتَفَادَتْ . وَلَكِنْ

(١) فِي (ب) : « وَفَطْنَتِهِ » .

(٢) فِي كَلَامِ الْأَسْلِينَ « بِالْحَدِّ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ؛ وَسَيَاتُ الْكَلَامِ الْآتِي يَقْنِضِي مَا أَثْبَتْنَا .

وَرِيدُ بِالْأَحَدِ : أَهْلُ تَعَالَى .

(٣) فِي (أ) : « الْبُنُونُ وَالْآبَاءُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كَلَامِ الْقَظَلِينَ .

يقال : ما الذى أفادت : فِيمَلَمَ حِينَئِذٍ بِالْعِيَانِ أَنَّهَا أَفَادَتْ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً ، صَوْرًا
مُخْتَلِفَةً ، وَمَنَافِعَ جَمَّةً بِالْقَصْدِ الْأَوَّلِ ؛ وَأَمَّا الْقَصْدُ الثَّانِي فَأَضْدَادُ هَذِهِ ، وَهَذَا
الْقَصْدُ مَفْرُوضٌ بِاللَّفْظِ لِيَكُونَ مُعِينًا عَلَى تَبْلِيغِ الْحِكْمَةِ إِلَى أَهْلِهَا .

- (٦) وَأَمَّا قَوْلُهُ : بِأَيِّ شَيْءٍ بَايَنْتَ النَّفْسُ الرُّوحَ فَهُوَ ظَاهِرٌ ، وَذَلِكَ أَنَّ الرُّوحَ
جِسْمٌ يَضْعُفُ وَيَقْوَى ، وَيَصْلُحُ وَيَفْسُدُ ، وَهُوَ وَاسِطَةٌ بَيْنَ الْبَدَنِ وَالنَّفْسِ ،
وَبِهِ تُفِيضُ النَّفْسُ قُوَاهَا عَلَى الْبَدَنِ ، وَقَدْ يُحْسُ وَيَتَحَرَّكُ ، وَيَلْذُ وَيَتَأَلَمُ ؛
وَالنَّفْسُ شَيْءٌ بَسِيطٌ عَلَى الرُّتْبَةِ ، بَعِيدٌ عَنِ الْفَسَادِ ، مُنَزَّهٌ عَنِ الْأَسْتِحَالَةِ .

وَأَمَّا الْمَانِعُ أَنْ تَكُونَ النَّفْسُ جِسْمًا [فَلِلْبَسَاطَةِ الَّتِي وَجَدْتَ لِلنَّفْسِ وَلَمْ تَوْجِدْ
لِلْجِسْمِ ، وَبَيَانُ هَذَا أَنَّ كُلَّ نَعْتٍ أُطْلِقَ عَلَى الْجِسْمِ نُزِّهَتْ عَنْهُ النَّفْسُ ، وَكُلَّ
نَعْتٍ أُطْلِقَ عَلَى النَّفْسِ نَبَا عَنْهُ الْجِسْمُ ؛ فَذَلِكَ كَانَ الْمَانِعُ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَدْ أَتَتْ
مَذَاكَرَةٌ فِي النَّفْسِ مِنْذُ لَيَالٍ بِشَرْحٍ مُغْنٍ ، وَبَيَانٍ تَامٍ ، إِلَّا أَنَّ هَذَا الْمَكَانَ
أَحْوَجُ إِلَى الْإِلْهَامِ ، وَلَمْ يَأْتِ عَلَى مَا فِي النَّفْسِ . وَإِذَا بَطُلَ أَنْ تَكُونَ النَّفْسُ
جِسْمًا] فَهِيَ بِالْأَمْرِ تَكُونُ عَرَضًا أَمْنًا وَأَخْلَقَ ، لِأَنَّهُ لَا قَوَامَ لِلْعَرَضِ بِنَفْسِهِ .

- (٧) وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَهَلْ تَبَقَّى ؟ فَكَيْفَ لَا تَبَقَّى وَهِيَ مَبْسُوطَةٌ لَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا
ضِدٌّ ، وَلَا يَدْبُ إِلَيْهَا فُسَادٌ ، وَلَا يَصِلُ إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا بَلَى ، وَالْإِنْسَانُ إِنَّمَا يَتَبَلَّى
وَيَفْسُدُ وَيَخْلَقُ وَيَبْطُلُ وَيَمُوتُ وَيَقْدُ ، لِأَنَّهُ يَفَارِقُ النَّفْسَ ، وَالنَّفْسُ تَفَارِقُ
مَاذَا حَتَّى تَكُونَ فِي حُكْمِ الْإِنْسَانِ بِشَكْلِهِ ؟ وَلَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ كَانَتْ لَعَمْرِي
تَمُوتُ وَتَبَلَّى ، فَأَمَّا وَالْإِنْسَانُ بِهَا كَانَ حَيًّا وَجَبَّ أَلَّا يَكُونَ حُكْمُهَا
حُكْمَ الْإِنْسَانِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : أَوْ هُمَا ، فَقَدْ بَانَ أَنَّ النَّفْسَ مَتَى لَمْ تَكُنْ جِسْمًا ، وَلَا عَرَضًا عَلَى
حِدَّةٍ أَنَّهُ لَا تَكُونُ أَيْضًا بِنَفْسٍ ، لِأَنَّ الْبَيِّنُونَ الَّتِي مَنَعَتْ فِي الْأَوَّلِ هِيَ

الَّتِي تَمْنَعُ فِي الثَّانِي ، وَلَيْسَتْ النَّفْسُ وَالْعَرَضُ كَالْخَلِّ وَالشُّكْرِ حَتَّى إِذَا جُمِعَ
بَيْنَهُمَا كَانَ مِنْهُمَا شَيْءٌ آخَرُ ، لِأَنَّ الْجِسْمَ وَالْجِسْمَ إِذَا اخْتَلَطَا كَانَ مِنْهُمَا شَيْءٌ مَا ،
لَهُ قَوَامٌ مَا ، وَإِنَّ ذَلِكَ الْقَوَامَ مُسْتَلٌّ مِنْهُمَا ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ الْبَسِيطُ وَغَيْرُ
الْبَسِيطِ ، فَهَذَا هَذَا .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَهَلْ تَنْفَى ^(١) ، فَقَدْ بَانَ أَنَّهَا تَبْقَى وَلَا تَنْفَى ، وَلَيْسَ يَطْرَأُ عَلَيْهَا
مَا يُفْنِيهَا ، لِبَسَاطَتِهَا وَبُعْدِهَا مِنَ التَّرَكِيبِ الْعَجِيبِ [الْمُرْعَضِ] لِلتَّحْلُلِ .
وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَهَلْ تَعْلَمُ مَا كَانَ فِيهِ الْإِنْسَانُ هَاهُنَا ، فَإِنَّ هَذَا بَعِيدٌ مِنَ الْحَقِّ
لِأَنَّهَا قَدْ وَصَلَتْ إِلَى مَعْدِنِ الْكَرَامَةِ وَجَنَّةِ الْخُلْدِ ، فَلَا حَاجَةَ بِهَا إِلَى عِلْمِ الْعَالَمِ
الشَّغْلَى الَّذِي لَا تَبْكُتُ لَهُ وَلَا صُورَةَ ، لَعَلَّتِ الْحَيُولَةُ عَلَيْهِ ، وَتَذَكَّرُ الْحَيُولَةُ
حَيُولَةَ ، وَذَلِكَ دَلِيلُ النِّقْصِ ، وَأَعْتَرَضُ الْأَلَمِ ، وَلَوْ أَنَّ إِنْسَانًا نُقِلَ ^(٢) مِنْ
كَرْبٍ حَبْسٍ ضَيِّقٍ إِلَى رَوْضٍ بُسْتَانٍ نَاضِرٍ بِهَيْجٍ مُوْنِقٍ ، ثُمَّ تَذَكَّرَ مَا كَانَ فِيهِ
فِي حَالٍ مَا هُوَ عَلَيْهِ لَكَانَ ذَلِكَ مُؤْذِيًا لِنَفْسِهِ ، وَكَارِبًا لِقَلْبِهِ ، وَقَادِحًا فِي رَوْحِهِ ،
وَأَخِذَا مِنْ حُبُورِهِ وَغَبْطَتِهِ ، وَمُدْخِلًا لِلتَّنْفِيسِ عَلَيْهِ فِي نَشْوَتِهِ .

(٨) وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَمَا الْإِنْسَانُ ، فَالْإِنْسَانُ هُوَ الشَّيْءُ الْمَنْظُومُ بِتَدْبِيرِ الطَّبِيعَةِ لِلْمَادَّةِ
الْمَحْصُوصَةِ بِالصُّورِ الْبَشَرِيَّةِ ، الْمُوَيَّدُ بِنُورِ الْعَقْلِ مِنْ قِبَلِ الْإِلَهِ ؛ وَهَذَا وَصْفٌ
يَأْتِي عَلَى الْقَوْلِ الشَّائِعِ عَنِ الْأَوَّلِينَ إِنَّهُ حَتَّى نَاطِقٌ مَائِتٌ [أَيْ حَيٌّ] مِنْ قِبَلِ
الْحَيِّ وَالْحَرَكَةِ ، نَاطِقٌ مِنْ قِبَلِ الْفِكْرِ وَالْتِمِيزِ ، مَائِتٌ مِنْ قِبَلِ السَّيْلَانِ
وَالْأَسْتِحَالَةِ ، فَمِنْ حَيْثُ هُوَ حَيٌّ شَرِيكَ الْحَيَوَانِ الَّذِي هُوَ جَنْسُهُ ، وَمِنْ
حَيْثُ هُوَ مَائِتٌ هُوَ شَرِيكَ مَا يَتَبَدَّلُ وَيَتَحَلَّلُ ، وَمِنْ حَيْثُ هُوَ نَاطِقٌ هُوَ

(١) فِي الْأَسْوَءِ : « وَهَلْ تَبْقَى » ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ لِذَلِكَ سَبَقَ هَذَا السُّؤَالُ .

(٢) فِي (ب) : « نَجَا » .

إنسان عاقلٌ حَصيفٌ ، ومن حيث يبلغ إلى مُشاكهة التَّلَكِ بقوة الاختيار البَشَرِيّ ، والنور الإلهي ، — أعني يُنَعَتُ^(١) في حياته هذه التي وَهَبَتْ له بدءاً ، بصحة العقيدة وملاحِ العمل وصدق القول — هو مَلَكٌ ، فإن لم يكن مَلَكاً فهو جامع لصفاته ، ومالكٌ لِجَلَّتِيته ، ولما كان جنسه مشتملاً على التفاضلات الطويل العريض ، كان نوعه مشتملاً على التفاوت الطويل العريض ؛ ومن كان نوعه كذلك كانت آحاده كذلك ، وكما أن الجنس يرتقي إلى نوعٍ كامل ، كذلك النوع يرتقي إلى شخص كامل .

وأما قوله : هل الحدّ هو الحقيقة ، أو بينهما بَوْنٌ ، فإن الحدّ راجعٌ إلى (٩) واضيحه ومُتَقَصِّيه^(٢) بدلالة أنه يَضَعُهُ وَيَفْصَلُهُ^(٣) ، ويُخَلِّصُهُ وَيُسَوِّيه وَيُضِلُّهُ . فأما الحقيقة فهي الشيء وبها هو ما هو ، حدّه صاحبه أم لم يحدّه ، رَسمه قاصده أم لم يرسمه ، فملحوظ الحقيقة عينُ الشيء [وهو موضوع الحدّ ليس هو عينُ الشيء] .

وأما قوله : وما الطبيعة فهي أيضاً قوة نفسية ، فإن قلتَ عقلية لم تُبعد ، (١٠) وإن قلتَ إلهية لم تُبعد ، وهي التي تسري في أثناء هذا العالم مُحرِّكةً ومُسَكِّنةً ، ومُجَدِّدةً ومُبْلِيّةً ، ومُنشِئةً ومُبيدةً ، ومُخَيِّمةً ومُميّنةً ، وتصاريفها ظاهرةٌ للحسّاس ، وهي آخرُ الخلفاء في هذا العالم ، وهي بالموادّ أعلَق ، والموادّ لها أعشَق ؛ وليس لما تَرَقَّى النَّفْسُ في الثاني^(٤) إلى عالمِ الرُّوح ، لأنّه لا كَوْنُ هُنَاكَ ولا فساد ، فلورَقِيَّتْ إلى هُنَاكَ لَبَقِيَّتْ عاطلة ، وليس كذلك النفس ،

(١) في (١) : « يقيني » : وفي (ب) : « يقيني » ؛ وهو تحريف في كلتا النسختين ولعل الصواب ما أثبتنا . (٢) في كلتا النسختين : « ومقتضيه » ؛ وهو تحريف لامعني له في هذا الموضع . (٣) في كلتا النسختين : « ويبطله » . وهو تحريف . (٤) في الثاني ، أي في العالم الثاني .

فإن لها في عالمها البهجة والغبطة ، والحبور والشروع ، والدوام والخلود
والخلافة الإلهية ، وهذا هناك في مقابلة ما كان لها هاهنا من الفضائل التي لا يأتي
عليها إحصاء ، ولا يحصلها استقصاء .

(١١) وأما قوله : وهلا أغنى الروح عن النفس ، فهو يغني عنها ، ولكن في
جنس الحيوان الذي لم يكمل فيكون إنساناً . فأما في الإنسان فلا ، لأن
الإنسان بالنفس هو إنسان لا بالروح ، وإنما هو بالروح حتى يغيب .

وأما قوله : وهلا أغنت النفس عن الروح ، فإن الروح كآلة للنفس
حتى ينفذ تدبيرها بوساطته في صاحب الروح ، وليس ذلك لعجز النفس ،
ولكن لعجز ما ينفذ فيه التدبير ، وإذا حقق هذا الرمز لم يكن هناك عجز
لأنه نظام موجود على هذه الصورة ، وصورة قائمة على هذا النظام ، فليس
لأحد أن يقلل ذلك بلم ولا بكيف إلا من طريق الإفناع .

(١٢) وأما قوله : هلا كفت الطبيعة . فقد كفت في مواضعها التي لها الولاية
عليها من قبل النفس ، كما كفت النفس في الأشياء التي لها عليها الولاية من
قبل العقل ، كما كفى العقل في الأمور التي له الولاية عليها من قبل الإله ؛ وإن
كان مجموع هذا راجعاً إلى الإله ، فإنه في التفصيل محفوظ الحدود على أربابها ؛
وهذا كالكلي الذي له في بلاده جماعة فيصعدون عن رأيه ، وينتهون إلى أمره ،
ويتوحدون في كل ما يمتدونه ويحلونه ، وينقضونه ويبرمونه ، ما يرجع إلى
وفاقه ، وكل ذلك منه وله وبأمره ، وقد كفأ أولئك القوم ذلك كله .

فإن قال قائل : فكيف تمثلت سياسة إلهية بسياسة بشرية ، وأين هذه
من تلك ؟

فالجواب أن البشر المسكين لم يجد هذه السيلة من تلقاء نفسه ، ولا بما هو به مهيئ ضعیف عاجز مسكين ؛ بل بما فاض عليه من تلك القوى وتلك الصور ، فهو إذا أبرز شيئاً أبرز على مثال تلك ، لأنه قد أعطى القلب ، فقد سهل عليه أن يفرغ فيه ، وذهب له الطابع ، فهو يتخيم به ؛ وهى على ذلك فهو يجرى عليه ، وهذا سوق إلى الهوى وإن كان الانسياق^(١) بشرياً ، ونظم ربوبي وإن كان التنظيم إنسياً ؛ وفي الجملة إحدى السيلتين ، أعنى البشرية هى ظل للأخرى ، أعنى الإلهية ، والشغليات مُنفَدة مُنفَعلة للملويات ، والملويات مُستَوليات على الشغليات ، بحق العدل وما هو مقتضاها ، ولأن هذه فواعل ، أعنى الملويات ، وتلك قوايل ، أعنى المنفعلات ، ووجب ذلك لأن الصورة في الفاعل أغلب ، والهوى في القایل أغلب ، والمآل مُمَوِّصِلان ، والسيستان مُمَاقِلَتان ، والسيرتان مُمَاقِلَتان ، والتدبيران مُمَاقِلان ، ولكن التدبير إذا نفذ في الشغلي يُسمى بشرياً ، وإذا نفذ في الملوى يُسمى إلهياً ، وإن كانا في التحقيق إلهيين ، وإنما اختلفا بحسب الصدور والورود ، والفصول والوصول ، والشخص^(٢) والبلوغ ؛ والعادة جارية بأن يُشَبَّه الإنسان شيئاً من الأشياء بالشمس والقمر ، ولا يُشَبَّه الشمس والقمر بشيء آخر ، لأن للأعلى الثفت الأول ، وللأسفل الثفت الأرذل ؛ فهذا كما ترى .

وأما قوله : وما التملُّ ، وما أنحاؤه ، وما صنيعة ؟ فإن الجواب عن هذا (١٣) لو وقع^(٣) في خلد كثير ، لكان محمولاً على التخصيص ، وكذلك فيما تقدّم ؛ ولكن

(١) في كلتا النسخين : « الاشتياق » بالشين المعجمة ، وهو تصحيف .

(٢) يريد بالشخص هنا الاحتمال ، وهو في مقابلة البلوغ .

(٣) في كلتا النسخين « أنه لو وقع » . والظاهر أن قوله « أنه » زيادة من الناسخ .

هذا مكان قد اقترح فيه الإيجاز والتقريب ، وهذان لا يكونان إلا بحذف الزوائد المفيدة ، وإلا بتفريق العلائق الموضحة . وبعد ، فالعقل أيضاً قوة إلهية [أبسط من الطبيعة ، كما أن الطبيعة قوة إلهية] أبسط من الأسطقات ، وكما أن الأسطقات أبسط من المركبات ؛ وعلى هذا حتى تنتهي المركبات إلى مركب في الغاية ، كما بلغت المبسوطات إلى مبسوط في النهاية ؛ فالتقى الطرفان على ما يقال له : كل ، فلم يكن بعد ذلك مطلب لا في هذا الطرف ولا في هذا الطرف ؛ والعقل هو خليفة الله ، وهو القابل للفيض الخالص الذي لا شوب فيه ولا قذى ؛ وإن قيل : هو نور في الغاية لم يكن ببعيد ، وإن قيل بأن اسمه مغمى عن نعته لم يكن بمنكر ؛ وإنما عجزنا عن تحديد هذه البسائط لأننا حاولنا عند علمها^(١) أن تكون في صورة المركبات أو قريبة منها ، وأن نصير لنا أصناماً تمثلها ونوكل بها^(٢) ؛ وهذا منا تعجرف مردود علينا ، وخطأ يلزمنا الاعتذار منه إلى كل من أحس به منا ؛ وينبغي أن نتوب إلى الله في كل وقت من وصفه بما لا يليق به ، ومن طرح الوهم على شيء قد حجبته عن معارفنا ، ورفعه عن عقولنا ، وقصرنا على حدودنا اللازمة لنا ، وأشكالنا المشتعلة علينا ؛ هذا حديث العقل إذا لحظ في ذروته .

فأما إذا فحص عن آثاره في حضيضه فإنه تميز وتخصيل وتصنع وحكم وتصويب وتخطئة ، وإجازة وإيجاب وإباحة ؛ وإياك أيها السامع أن يكون مفهومك من هذه الأسماء والأفعال والحروف أشياء متميزة فتجعل شيئاً واحداً أشياء ، ومن كثر الواحد فهو أشد خطأ ممن وحد الكثير ، لأن تكثير

(١) في كلنا النسختين : « علمائها » ؛ وهو تحريف ؛ وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا .

(٢) في كلنا النسختين : « وتوكل » ؛ وهو تحريف .

الواحد انحطاطاً إلى المرّ كز ؛ وتوحيد الكثير استيلاء إلى المحيط ، بل يجب أن يكون محصولك منها شيئاً واحداً لم تصل إليه إلا بترادف هذه الكلمات ، وتصاحب هذه الصفات .

وأما انماؤه ، فعلى قدر ما يقال : فلان عاقل وفلان أغفل من فلان ، وفلان في عقله لونة^(١) ، وفلان ليس بماقل ؛ وأصحاب العقل أنصباؤهم منه مختلفة بالقلة والكثرة ، ، والصفاء والكدر ، والإنارة والظلمة ، واللطافة والكثافة ، والخفة والخصافة ، كما تجدهم مختلفين في الصور والألوان والخلق بالطول والقصر ، والحسن والقبح ، والأعذار والانحراف ، والرّد والقبول ، إلا أن هذا القبيل يذكرك بالحس ، ويشهد بالعيان ، ويعاين بالحضور ، وذلك القبيل مخجوب عن هذا كله ، فلم يجوز أن تكون الإحاطة بتفاوت ما غاب [عننا] في وزن [الإحاطة^(٢)] بتفاوت ما حضر ، فإنهما ما تبايناً ليمأتلفاً ، بل ليختلفا ، وهذا التفاوت معترف به إذا اعتبر من خارج ، وذلك أنك تجد أصحاب المال أيضاً يباينون في مقادير ما يملكون من المال ، ولا يتفقون على مقدار واحد منه عند جماعتهم ، ولا يتفقون على نوع واحد أيضاً من أعيان المال ، لأن هذا يملك الصامت ، وذلك يملك الباطق ، وهذا يمارس القر ، وهذا يمارس الصوف ، وهذا ينظر في الصرف ، وهذا يبيع الحيوان ، وكل منهم صاحب مال ومباشر له ؛ وعلى هذا المثال أخذت أهل العقل في مطالبهم ، فصار هذا يملك بعقله غير ما يملك الآخر ، أغني أن هذا ينظر في الهندسة ، وهذا في الطب ،

(١) في (١) : « لومه » ووردت هذه الكلمة في (ب) مطبوسة الحروف تعذر قراءتها ، والصواب ما أثبتنا .

(٢) لم ترد هذه التكلة في كلتا النسختين ، والسياق يقتضيها .

وهذا في النخو، وهذا في الفقه؛ والعبارة تمتنع من إشباع هذا المعنى، وحصر هذا الفن، فعلى هذا أنعموا، وإنها لكثيرة إن لم تكن بلا نهاية.

وأما صنيعه، فهو الحكم بقبول الشيء ورده، وتحسينه وتقصيحه، إذا كان المرؤض عليه على جهته غير مموه ولا منشوش، ولا مشتبه فيه ولا ملبوس، فإن كان مموهاً اختلف حكمه، لأن العقل يرى الباطل حقاً في وقت، ويرى الحق باطلاً في وقت، معاذ الله من هذا، ذلك لحس النقوص، والذهن الملبوس، لأن^(١) العارض مموه معروضه على العقل، فحكم له بما يستحقه، إلا أن يكون العارض لم يشمر بذلك التمويه، ولم يفتن لذلك النش، فحينئذ يهديه العقل ويرشده، ويفتح عليه، وينصح له.

وأما قوله: وهل يُعقل العقل، فإن الأولى أن يقال: العاقل يُعقل بالعقل معقوله، ألا ترى أنه يقال: السراج أضاء البيت، وينعد أن يقال: أضاء نفسه، لأنه مضي بنفسيه، فليس به قعر إلى أن يضي نفسه، وإنما أضاء غيره.....^(٢) ولو عقل العقل لعقل بالعقل، وهذا إذا استمر كان مردوداً، ونحن إذا قلنا: عقل العاقل معقوله، فإنما نصفه بأنه أنفعل أنفعال كمال، والعقل يرى من هذا الأنفعال ألا يتوخى أنه يعقل الإله الذي هو به ما هو، فإنه يجوز أن يضرب^(٣) به أنفعال لا تق به يكون عبارة عن شوقه^(٤) إليه، وكاله به، وأفتباسه منه، وهذا صراط حديد، والواطي عليه على خطر شديد، والوقوف

(١) وردت هنا كلمة: « لكن ». في الأصول ومي زيادة من الناسخ.

(٢) ورد موضع هذه النقط في كلتا النسخين: « إلى لأنه أضاءه »، ولا مقتضى لهذه

العبارة هنا كما يظهر لنا. (٣) في كلتا النسخين: « يضي به » بالنون مكان الراء؛

ولم ندين له معنى في هذا الموضع؛ ولعل الصواب ما أثبتنا أو لعله « يضل به » باللام.

(٤) في كلتا النسخين: « سوقه » بالسين وهو تصحيف.

دونه أصدعُ بالصُّجَّة ، وأوضحُ للعُذر ، لأن الإنسان خوارٌ بالطَّبع ، وإن كان جسوراً بالنفس .

وأما قوله : وهل تتنفس النفس ، فإن أريدَ بذلك النفسُ الناميةُ (١٤) والحيوانيةُ فهو قريب ، وأما الناطقةُ فإن ذلك يبعدُ منها [لأن ذلك النفسُ استمدادُ شيء به يكون الشيء حياً] أو كالحى ؛ والناطقَةُ غنيَّةٌ عن ذلك .
فإن قيل : فهل تنقبسُ من العقلِ وتستفيدُ ؟ قيل : هذا لا يسى تنفساً ، وليس اللفظُ يُبعدُ عن الحقيقة تأويلٌ في الوضع ؛ ولا وجهٌ في الأفعال (١٥) وإدخالُ العوالمِ في المكان الذي يحتاج فيه إلى رفعِ اللبسِ وزوالِ الإشكالِ ، مُدْاجاةً في العلمِ [وخيانةً للحكمة] وجنايةً على المستنصِح .
وأما مرتبتهُ (١٦) عند الإله فقد وضع بأنه كالشمس تطلع فتضيء ، وتضيء فتبفع .

فإن قيل : فالعقلُ أينما هكذا ، قيل : العقلُ أيضاً شمسٌ أخرى ، ولكنها تطلع على النفس التي ليست حاويةً لجدارٍ وسطح ، وبرٍّ وبحر ، وجبلٍ وسهل ، لأنه لما كان العقلُ أشرفَ من النفس — لأنه مُستخلفٌ للنفس ، والنفسُ خليفتهُ — كان إشراقه الطَّف ، ومنافعه في إشراقه أشرف ، وأيضاً فإن الشمس سجدها بالحسن لما غرُوبٌ وطلُوع ، وتجلٍّ وكُسوف ، وليس كذلك العقل ، لأن إشراقه دائم ، ونوره مُنتشر ، وطلوعه سرمد ، وكُسوفه مقدوم ، وتجليه غير متوقف (١٧) .

(١) في (ب) : « الاحتمال » .

(٢) مرتبته ، معنى العقل .

(٣) في كلتا النسختين : « متوقف » بالعين ؛ وهو تحريف .

فإن قيل : نرى العقلَ يَعزُبُ عن الإنسان في وقتٍ [وَيَثُوبُ إليه في وقتٍ] . فالجواب أن الوصف الذي كنا ننفعت^(١) به ونصدع ببيانهِ لم يكنْ لعقلٍ زيدٍ وعَمُرٍ ، وبَكْرٍ وخَالِدٍ ، لأن ذلك يُنَعَتُ بالطَّلوعِ والغُرُوبِ ، وبالحضورِ والغُيُوبِ ، لأنه هَاهُنَا مضافٌ ومُنْحَازٌ^(٢) ، أَوْ كَالْمُنْحَازِ ، وليس كذلك هو ، فإنه هُنَاكَ عَلَى بَهَجَتِهِ الثَامَةِ ، وَسُلْطَانِهِ الْقَاهِرِ ، وَمَلَكُوتهِ الْأَفْطَحِ ، وبسيطهِ الفائقِ^(٣) ، وفَضَائِهِ العَرِيسِ .

وأما قوله : وهل يَنْقَلِبُ ، فقد مرَّ الكلامُ عليه في طَيٍّ ما مرَّ ، وليس للتكرار وجهٌ ، ولا في التعلُّيلِ عُذْرٌ .

وأما قوله : فَنَقْطُ الْعِشْرَ أَكْثَرُ ، أمْ نَقْطُ الْأَنْفَعَالِ ، فإن هذا يُنَحْظُ من وجهين ، إذا لَحِظَ قَبُولُهُ من قَبِيضِ الْإِلَهِ فَنَقْطُ الْأَنْفَعَالِ أَظْهَرُ ، وإذا لَحِظَ قَبِيضُهُ عَلَى النَّفْسِ فَنَقْطُ الْعِشْرِ فِيهِ أَكْثَرُ ، لأنه بِجُودِهِ عَلَى غَيْرِهِ يُشَارِكُهُ مَنْ جَادَ عَلَيْهِ بِجُودِهِ ، وهذا لطيفٌ جدًا .

(١٥) وأما قوله . وما المَعَادُ ، فما أَسهَلَ مُطَالَبَةَ السَّائِلِ بهذا الأمرِ الصَّعْبِ المائلِ الذي كُلُّ أَمْرٍ مُتَعَلِّقٌ بِهِ ، وكلُّ رَجَاءٍ حَائِثٌ حَوَالَهُ ، وكلُّ طَمَعٍ مُتَوَجِّهٌ إِلَيْهِ ، وكلُّ شَيْءٍ مَقْصُورٌ عَلَيْهِ ، وكلُّ إِنْسَانٍ بِهِ يَهْمُ ، وكلُّ مُصْرَّحٍ عَنْهُ يُصْرِّحُ ، وكلُّ كَانَ عَنْهُ يَكْنِي ، وكلُّ مَتَرْتَّمٍ بِهِ يَحْدُو ، وكلُّ لَحْنٍ إِلَيْهِ يُشِيرُ ، وكلُّ سَامِعٍ إِلَيْهِ يَطْرَبُ ، ونَرْجِعُ فنقولُ — عَلَى الْعَمَى وَالتَّبَيَانِ ، وعلى الزَّحْفِ وَالْعَدَوَانِ : — إِنَّ عَوْدَ النَّفْسِ إِنَّمَا هُوَ تَخْلِيلُهَا لِلْبَدَنِ إِذَا حَانَ وَقْتُ التَّخْلِيلِ ، إما لأنَّ الْبَدَنَ

(١) في (١) : « نفع » ؛ وفي (ب) : « نفع » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين .

(٢) في كلتا النسخين : « ونختار أو كالنختار » ؛ وهو تحريف في كلا الموضعين .

(٣) في (١) : « الغائب بالعين والباء » ؛ وفي (ب) : « الغائب » بالفاء والناء ؛ ولعل

الصواب ما أثبتنا .

غير مُحْتَمِلٍ لمادة الحياة ، وإما لأن النفس قد أزمعت أمراً آخر ، ولا يتم لها ذلك إلا بتخليية هذا ؛ وإما لهما .

فإن قال قائل : فما نصيب الإنسان من عود النفس الذي هو تخلييتها للبدن وخروجها عنه ، وترك استعمالها له . فالجواب من طريق التمثيل ، والرضا بالرأي الأضوب ، والحكم الأجل أن يقال : لو قيل لرجل من عرض الناس وافر أو ناقص : إنك إذا فارقت هذا العالم بقيت عينك الباصرة ، وأذنك السامعة ، هل ترى ذلك نعمة عليك ، وإحساناً إليك ، فإن عينك إذا بقيت أبصرت العالم بعدك كما كنت تبصره وهي معك ، بل تبصر أحسن من ذلك الإبصار ، لأنها كانت معك ترمد بسببك ، وتغشى من أجلك ، وربما عرض لها سوء بسوء تذكيرك ، أو باتفاق ردى عليك ، من غشى أو غشى وخفس وغمس وعور وآفات^(١) كثيرة ، وهي آمنة بعدك من هذه الأغراض المكروهة ، والأحوال الداهية^(٢) ، فإننا نعلم حقاً وعياناً أنه يقول : قد رضى بل أتمنى هذا ، ومن لي به ، أى إن أعطيت هذا فمَنْ مَنى^(٣) أسمع وأبصر ، وإذا كنت أكره الدنيا في حياتي إذا فقدتهما فكيف لا أحب الدنيا إذا وجدتهما ، فإن كان هذا التمثيل واقعاً ، وهذا التقريب نافعاً ، والحق في تضاعيفه واضحاً ، فليكن ذلك مطرداً في بقاء نفس الإنسان التي بها كان إنساناً ، وبها كان يتم في هذا العالم ، وبها كان يعلم ويعرف ويحكم ويصيب ، ويجد لذة اللذيد من ناحية العقل والحس ، وبها كان يتنقّى البقاء والدوام والخلود ،

(١) كذا في (ب) والذي في (أ) : «وذئوب» ؛ وهو تبديل من التامخ . ولم يرد قوله : «كثيرة» في (ب) . (٢) في كلتا النسختين : «الناهة» ؛ وهو تصحيف . (٣) في كلتا النسختين : «مثل» بالثاء واللام ، وهو تحريف صوابه ما أثبتناه كما يقتضيه السياق ، وأسمع وأبصر : وصفان للتفضيل .

وإنما استحال ذلك التَّعَنِّي من أجل كونه رفساده اللذين لم يكن بُدٌّ من
 أنتهما إلى الفناء الذي هو مفارقة النفس الجسد وتخليتها للبدن ، ونسبة
 نفس الإنسان إلى الإنسان أو كد والعلق من نسبة العين إليه ، ألا ترى
 أنه بالنفس إنسان ، وبالبدن حافظ لشكل [الإنسان] ؛ فإذا كان للإنسان
 في هذا التمثيل فائدة ممتنة ، وحالة محبوبة هنيئة ، أعنى في بقاء العين والأذن
 حتى يُبَصِّرَ بإحداهما هذا العالم المَحْشُوء بالآفات ، ويسمع بالأخرى ما يجري
 فيه من ضروب الاستحالات ، فبالحرى أن يكون رضا ببقاء النفس في محل
 الروح والأمن ، ومقام الكرامة والسكينة على حال الخلود والطمأنينة ،
 إن هذا لعجيب ؛ وأعجب من هذا العجيب عقل لا يعلق به ، وروح
 لا يهش لسماعه ، ونفس لا تجد خلاوته ، وصدْر لا يقصدع طرباً عليه ،
 والبياح^(١) إليه ، فإن من لم يشعر بهذه الفائدة ، ولم يحمّد الله على هذه النعمة ،
 لعازب الرأي ، ضعيف العقل ، خفيف الثقل ، رديء الاختيار ، قليل
 الحصافة ، سيئ النظر ؛ حيوان خسيس ، في مسلك إنسان رئيس ؛ فقد بان — على
 مذهب التقريب — ما للمعاد المشار إليه ، وما للإنسان منه ، وما لنفسه به .

(١٦) وأما قوله : وما الفرق بين الأنفس ، أى نفس زيد وعمر ووكبر وخالد ،
 وما الفرق أيضاً بين أنفس أصناف الحيوان ، فإنما الفرق بين هذه الأنفس
 بقدر قسط كل واحد منهم منها ، وهذه الأقسام إذا اجتمعت تفاوتت ، وإذا
 تفاوتت كانت نفس باقية حية ، ونفس فانية ميتة ، ألا ترى الشمس
 كيف تطلع على هذه المواضع المختلفة بالملو والشغل ، وبالتعرج والاستقامة ،
 والأشكال الكثيرة ، فيقول كل إنسان : مشرقى أطيب من مشرق فلان ،

(١) الباح : الشوق . وفى الأصول : « وارباحا » . وهو تحريف .

وما أشبهَ هذا الكلام ، وطلوعُ الشمس على جميعها طلوعٌ واحد ، ولكنَّ حُطوطَ البقاع منها مُخْمَلِفَةٌ ؛ فليس يُنْكَرُ [أن تكون] نفسُ زيدٍ أنجى من الكدرِ ، وأخلصَ من الآفةِ ، وأوصلَ إلى السعادةِ ؛ ونفسُ بكرٍ على خلاف ذلك ، ومراتبُ هذه الأنفس موقوفَةٌ على الإضافاتِ الحاصلةِ لها بأصحابها ، والأنصبياء المذخورة لها بأكتسابها .

فأما أنفسُ أصنافِ الحيوانِ كالفرسِ والحصانِ فإنها أنفسٌ ناقصةٌ غيرُ كاملة ، وهى ضعيفة ، لأنها لم تعبدْ إلا الإحساسَ والحركاتِ ، لم يشعْ فيها نورُ النفسِ الشريفة ، ولم ينبثْ فيها شعاعُ العقلِ الكريمِ ؛ فوجبَ من هذا الوجهُ أن تكون تابعةً لأبدانها ، جاريةً على فسادها وبطلانها ، لأنَّ الحكمةَ انتهت إلى ذلك الحدِّ في كونها حشواً لهذا العالمِ وزينةً ومنافعَ ومبالغَ إلى غاياتٍ وأغراضٍ .

وأما قوله : وهل الملكُ حيوانٌ ، فقد علمتَ أنه يقال له حى ، وهذا وقفٌ (١٧) على الأسماءِ الجارية ، والمادَّاتِ القائمة ، وكأنَّ الحيوانَ إنما شاعَ في غيرِ الملكِ لما فيه من الحسَّ والحركةِ والأهتداءِ والتصرفِ على ما لاقى بمجذبه ونوعه وشخصه ؛ [فأما ما يغلو ويُنزَّه عن الصفات فلم يُطلق عليه حيوانٌ ، ولكن يقال :] حىٌّ لأنَّه أقربُ الأسماءِ إلى اللَّغْنِ المشار إليه ، وبهذا التقريب قيل أيضاً لله : إنه حىٌّ ، وأنت إذا حدَّدتَ الحىَّ أو الحياةَ لم تقدرِ على أن تصِفَ اللهَ [جلَّ وعلا] بشيءٍ من ذلك .. وفى الجملة كُلُّ ما كان أدخلَ فى البساطةِ كان أخرجَ من التركيبِ ، وكلُّ ما كان أخرجَ من البساطةِ كان أدخلَ فى التركيبِ .

فأما المركَّبُ الذى ليس له من البسيطِ إلا النصبُ النَّزْرُ ، وإلا طيفُ الخيالِ ، فاسمه واضحٌ والإشارةُ إليه سهلةٌ ، والبيانُ له مُدْرِكٌ ، لأنَّه مُحاطٌ

بحدوده في طولِه وعرضِه ومَحْفِه .

وأما المركَّبُ البسيطُ الذي ليس له من التركيب إلا النصبُ اليسير ، فاسمه غامض ، والإشارة إليه عسرة ، والعيانُ عنه مكشوف ؛ وهذا بابٌ إذا حُفِظَ فهم منه شيءٌ كثيرٌ مما يقع فيه الغلطُ من الإنسان بفكره الرديء ؛ وينفع أيضاً نفعاً بيّناً في التعلُّلِ العارض بين المتناظرين على جهة التناقص والتناصفِ

قال أبو سليمان : من حرسَ هذا الثغرَ أمينٌ من جميع الأعداء ، ومن أهملَه كانت جنايته على نفسه بيده أعظمَ من جناية مدوِّه النائم من ثغره .

وأما قوله : على أي وجهٍ يقال لله حيٌّ والمَلِكُ حيٌّ والفرسُ حيٌّ ، فقد دخل الجوابُ عنه في ضمن ما تشقَّق القول به ، وتحقَّق المعنى عليه في حديث المركَّب والبسيط ؛ ونريدُ هاهنا حرفاً يكون ردِّفاً لما تقدَّم ، فنقول : أمّا الإنسان فإنه يقال له : حيٌّ بسببِ الحسِّ والحركة وما يتبعهُما ممّا هو كالمُحيِّ ، وكذلك الفرسُ وما أشبهه . وأمّا المَلِكُ فلما كان ما يستحقُّه بيساطته مدوِّماً عندنا ، لم نقدرْ على شيءٍ نَصِفُه به إلا ما نَصِفُ به أنفسنا يئتنا ، ولو كنّا في عالمِ الملكِ حللنا كنّا ندرى بأيّ شيءٍ ينبغي أن يُنعتَ ويُسمّى ويُذكَرَ ويُحسَّ ، فإنَّ من كان مِنّا في بلادِ الصينِ فإنه يُسمّى الإنسانَ والفرسَ والحمارَ والبقرَ بها بتعالُمِ أهلها بينهم ، وإذا كان هذا مُمَوِّزاً على ما تَرى في الملكِ ، أعنى تسميته الحيّ ، ونعته بالحياة ، فالله الذي لا سبيلَ للعقل أن يدركه أو يحيطَ به أو يجده ويجدانا أولى وأحرى أن يُنسكَ عنه تحجراً واستخذاءً ، ونصاؤلاً واستغناءً ، إلا بما وقع الإذنُ به من جهة صاحب الدين الذي هو مالكُ أزمنة القول ومُرشدُها إلى السمادات ، وواقفها عند الحدود ، ورازجرها

عَنِ التَّخَطُّى إِلَى مَا لَا يَجُوزُ . فَعَلَى هَذَا قَدْ وَضَحَ أَنَّ الصَّنْتَ فِي هَذَا الْمَكَانِ أَغْوَدُ عَلَى صَاحِبِهِ مِنَ التَّنْقِي ، لِأَنَّ الصَّنْتَ عَنِ الْمَجْهُولِ أَنْفَعُ مِنَ الْجَهْلِ بِالْمَعْلُومِ ، وَالنَّظَاهِرَ بِالْمَجْزِي فِي مَوْضِعِهِ كَالْأَسْطَلَّةِ بِالْقُدْرَةِ فِي مَوْضِعِهَا ، وَلَيْسَ لِخَلْقِي مِنْ هَذَا الْوَاحِدِ الْوَاحِدِ إِلَّا الْإِنِّيَّةُ وَالْهُيُوتُ ، فَأَمَا كَيْفَ وَلِمَ وَمَا هُوَ فَإِنَّهَا طَائِرَةٌ فِي الرِّيَّاحِ كَمَا تَسْمَعُ وَتَرَى .

وَلَمَّا حَرَّزْتُ هَذِهِ الْجُمْلَةَ وَحَمَلْتُهَا إِلَى الْوَزِيرِ وَقَرَأْتُهَا عَلَيْهِ قَالَ لِي : هَذَا وَاللَّهِ جُهْدُ الْمَلِكِ ، وَفِي غَلِيلِي بَقِيَّةٌ مِنَ اللَّهَبِ .

قُلْتُ : أَيُّهَا الْوَزِيرُ ، قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ : سَنَقُولُ لَكَ كَلَامًا لَا يَكُونُ فِيهِ كُلُّ الرِّضَا ، فَقُلْ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ : إِنَّكَ سَأَلْتَ عَنِ الْعَالَمِ بِأَسْرِهِ ، فَلَا طَاقَةَ لِأَحَدٍ أَنْ يَغْرِضَ عَلَيْكَ الْعَالَمَ بِأَسْرِهِ ، وَلَوْ لَا عَجَلَةُ رَسُولِكَ فِي الْمَطَالَبَةِ ، وَإِذْلَالُهُ بِالْإِلْحَاحِ ، وَقَوْلُهُ : الْمُرَادُ التَّقْرِيبُ وَالْإِيحَازُ ، لَا التَّطْوِيلُ وَالْإِسْهَابُ ، لَسَكَانَ الدَّنَسُجُ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْمِنْوَالِ ، وَالْعَمَلُ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْوَسْطَى . قَالَ : وَمِنْ الْمَعَالِمِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا نَازِرٌ ، وَلَا بِهَا خَائِرٌ ، أَنَّ السَّائِلَ يَحْضُرُ عَلَى التَّخَايُصِ الْمَقْهُومِ ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ يَرِيدُ الشَّيْءَ إِغْلَاقًا ، فَإِذَا أُمْتُثِلَ مَا يَرِيدُهُمْ قَالَ : مَا شَقَانِي الْقَوْلُ ؛ وَإِنْ زِيدَ عَلَى ذَلِكَ قَالَ : غَرِقَ الْمُرَادُ فِي حَوَاشِي التَّكْثِيرِ ؛ فَلَيْسَ لِلْعَالِمِ تَخْلُصٌ مِنْ أَسْتِزَادَةِ الْمُتَعَلِّمِ ، وَلَا عِنْدَ الْمُتَعَلِّمِ شُكْرٌ عَلَى مَبْذُولِ جُهْدِ الْعَالِمِ ، وَهَذَا أَمْرٌ قَدْ تَقَدَّمَتِ الْأَسْتِغْنَاءُ مِنْهُ عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ ، وَالْأَوَّلَى فِيهَا لَا حِيلَةَ فِيهِ الرِّضَا بِالْمَيْسُورِ مِنْهُ .

ثُمَّ قَالَ : وَإِنْ أَطَالَ اللَّهُ أَيَّامَ هَذِهِ الدَّوْلَةِ ، وَحَرَسَ عَلَى هَذِهِ الْجَمَاعَةِ الْقَلِيلَةِ النِّعْمَةُ ، أَسْتَأْنِفْنَا نَظْرًا أَنْ بَلَّغَ مِنْ هَذَا النَّظَرِ ، بَيِّنَانِ أَشْفَى مِنْ هَذَا الْبَيِّنَانِ ، وَطَرِيقِ أَوْضَحَ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ — إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

قال الوزير : والله ما قلتُ قَوْلِي ذاك ، لأنَّ هذا الكلامَ سهلٌ ، وهذا المتناولُ قريبٌ ، وهذا المرمى كَشَبٌ ، كَلَامٌ ، وإِنَّ لأظُنُّ بَلْ أَحَقُّ أَنَّهُ لَيْسَ فِي بَضَائِعِ أَصْحَابِنَا الَّذِينَ حَوَّلِي مَنْ يُدْرِكُ هَذِهِ الْمَعَانِي عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ إِذَا قُرِئَتْ عَلَيْهِ ، فَكَيْفَ مِنْ^(١) يُفَزَعُ^(٢) فِي شَرْحِهَا وَتَهْذِيبِهَا إِلَيْهِ .

ثُمَّ تَمَطَّى وَقَالَ : وَأُنْعَاكَ ، وَاضْغَبْ مُنْتَاهَا ؛ ثُمَّ فَارَقَتْ الْجُلُوسَ .

الليلة السادسة والثلاثون

(١) وقال — دامت أيامه — كيف تقولُ عِنْدَ مُهَلِّ الشَّهْرِ شَيْئاً آخَرَ مِنْ لَفْظِهِ ؟
فكان من الجواب : حَكَّى الْعَالِمُ : عِنْدَ هُلُولِ^(٣) الشَّهْرِ وَمُسْتَهْلِهِ [وَهَلِهِ]
وإِهْلَالِهِ وَأَسْتَهْلَالِهِ .

(٢) قال : ورأيتُ الحاتميَّ يقولُ : عَشْرُ كَلِمَاتٍ جَاءَتْ وَعَيْنُهَا عَيْنٌ وَلَا مَهَا وَآوٌ ، وَلَمْ أُؤَيِّرْ شَرْحَهُ لَهَا لِثِقَلِ رُوحِهِ ، وَمُقَالَاتِهِ بِنَفْسِهِ ، وَكَأَنَّهُ لَا عِلْمَ إِلَّا عِنْدَهُ ، وَلَا فَائِدَةَ إِلَّا هِيَ مَعَهُ ، فَهَلْ فِي حِفْظِكَ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ ؟

قلت : لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، الْيَوْمَ ذَكَرَ الْأَنْدَلُسِيَّ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَعَدَّهَا ، وَقَدْ حَفِظْتُهَا ، فَقَالَ : هَاتِي يَا مُبَارَكُ ؛ فَكَانَ الْجَوَابُ : مِنْهَا الْبَقْعُ ، وَهُوَ الْجِنَايَةُ ، وَالْجَمْعُ ، وَهُوَ الطَّيْنُ ، وَالْدَّعْوُ ، مَصْدَرُ دَعَا دَعَوْاً ، وَالسَّعْوُ : السَّمْعُ ، وَالشَّمْعُ : هُوَ اتْتِفَاشُ الشَّعْرِ ، وَالصَّعْوُ : الرَّجُلُ الضَّعِيفُ ، وَهُوَ أَيْضاً طَائِرٌ أَصْفَرُ مِنْ الْمُصْفُورِ ، وَالْقَعْوُ : مِنَ الْبَكْرَةِ ، وَاللَّعْوُ : الْحَرِيصُ . وَالذَّنْبُ فِي بَعْضِ

(١) الظاهر أن « من » زائدة . (٢) وردت هذه الكلمة في (١) مهملة

الحروف من النقط ، ووردت في (ب) هكذا « تقرر » .

(٣) لم نجد الهلول فيما راجعناه من كتب اللغة ، ولعل صوابه « هلال » أو لعله من الألفاظ التي افترده المؤلف بروايتها عن مشايخه .

اللغاتِ ، والمعو^(١) : الجَنَى من الرُّطْب ، والنَّعْو : الشَّقَّ في مِشْفَرِ البَعِير .

قال : هذا حَسَن ، لو أَنَّى به الحَاتِمَى لَوَى شِدْقَه ، وقال : تَنَحَّ فَقَدْ
جاء الأسد وغَلَبَ الطُّوفَانُ وخرَجَ الدَّجَالُ وطلعت الشمسُ من المغربِ ،
ما بالُ أُنْحَابِنَا تَغْتَرِبُهُمْ هَذِهِ الْخِيَلَاءُ ، وَيَغْلِبُ عَلَيْهِمُ النِّقْصُ ، وَيَسْتَمْكِنُ
مِنْهُمْ الشَّيْطَانُ .

قلت : قال أبو سُلَيْمَانَ : كُلُّ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ حِفْظُ اللَّفْظِ وَتَضَرُّعُهُ
وَأَمَثَلَتُهُ وَأَشْكَالُهُ بَعْدَ مِنْ مَعَانِي اللَّفْظِ ؛ والمعاني صَوْنُ الْعَقْلِ ، وَاللَّفْظُ صَوْنُ
اللسانِ ، وَمَنْ بَعُدَ مِنَ الْمَعَانِي قَلَّ نَصِيبُهُ مِنَ الْعَقْلِ ، وَمَنْ قَلَّ نَصِيبُهُ مِنَ
الْعَقْلِ كَثُرَ نَصِيبُهُ مِنَ الْحُمُقِ ، وَمَنْ كَثُرَ نَصِيبُهُ مِنَ الْحُمُقِ خَفِيَ عَلَيْهِ
قُبْحُ الذِّكْرِ .

الليلة السابعة والثلاثون

وقال الوزير ليلةً : ما أَحْوَجَ الْجَبَانَ إِلَى أَنْ يَسْمَعَ أَحَادِيثَ الشُّجْعَانِ !
وما أَشَدَّ أَنْتِفَاعَ الضَّيِّقِ النَّفْسِ بِاسْتِنَاعِ أَخْبَارِ الْكِرَامِ ، لِأَنَّ الْأَخْلَاقَ فِي
الْخُلُقِ أَغْرَاضُ ، وَالْأَعْرَاضُ مِنْهَا لَا يَزِمُ وَمِنْهَا لَا صِقُ .

قال : وكان^(٢) عيسى بن زُرْعَةَ سَرَدَ عَلَى سَنَةِ سَبْعِينَ ، لِيَالِي كَانَتْ الْأَشْغَالُ
خَفِيفَةً ، وَالسِّيَاسَةُ بِالْمَاضِي — نَوَّرَ اللَّهُ قَبْرَهُ وَضَرِيحَهُ — عَامَّةً ، وَالنَّظَرُ
بِالْحُسْنَى شَامِلًا — أَشْيَاءَ فِي الْخُلُقِ آتَى بِهَا عَلَى عَمُودٍ مَا كَانَ فِي نَفْسِي ، وَذَلِكَ

(١) في كلتا النسختين « والمو » باللام ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا نقلًا
عن كتب اللغة .

(٢) في (١) « ولو كان » ؛ وقوله « لو » زيادة من الناسخ .

أنه ذَكَرَ العقلَ والمُحَنِّقَ ، والعِلْمَ والجهلَ ، والحِلْمَ والسُّخْفَ ، والقناعةَ والشَّرهَ ، والحياءَ والقِحةَ ، والرحمةَ والقسوةَ ، والأمانةَ والخيانةَ ، والبيقظَ والغفلةَ ، والتقىَ والفجورَ ، والجرأةَ والجبنَ ، والتواضعَ والكِبَرَ ، والوفاءَ والغدرَ ، والنصيحةَ والغشَّ ، والصدقَ والكذبَ ، والسَّخَاءَ والبُخلَ ، والأناةَ والبَطْلَ ، والعدلَ والجورَ ، والنشاطَ والكسلَ ، والنسكَ والفنكَ ، والحقَدَ والصَّنْعَ ، ويُنَبِّئُ أن تزورَ عيسى وتذكرُ له هذه الجُمْلَةُ ، وتبَعثَهُ على إعادةِ حُدُودِها ، وإشباعِ القولِ فيها ، مع إيجازٍ لا يكون به مدخلٌ لِلِخَلَلِ ، ولا تَقْصِيرٍ عن إيصالِ الآخرِ بالأوَّلِ .

فلَقِيتُ عيسى وعمرَ قَبْلَهُ الحديثَ ، وأَمَلِي ما رَسَمْتُهُ في هذا الجزء ، وغرَضْتُه على أَبِي سُلَيْمَانَ ، فَرَضِيهِ بَعْضَ الرِّضَا ، ولم يَسْخَطْ كُلَّ السُّخْطِ ، وقال : تحميدُ الأخلاقِ لا يَصِحُّ إِلَّا بِضَرْبٍ مِنَ التَّجَوُّزِ والتَّسَمُّحِ ، وذلك أَنَّها مُتَلَابِسَةٌ تَلَابُسًا ، ومُتَدَاخِلَةٌ تَدَاخُلًا ، والشَّيْءُ لا يَتَمَيَّزُ عن غَيْرِهِ إِلَّا بِبَيِّنُونَةٍ واقِعَةٍ تَظْهَرُ لِلْحَسَنِ الطَّيِّيفِ ، أو تَتَضَيَّعُ لِلْعَقْلِ الشَّرِيفِ .

ثم قال : [ألا ترى] أنَّ الفِكرَ مَشُوبٌ بِالرَّوِيَةِ ، وَالظَّنَّ مَخْلُوطٌ بِالوَهْمِ ، وَالذِّكْرَ مَعْنَى التَّخَيُّلِ ، وَالْبَدِيهَةَ جَانِحَةٌ إِلَى الْحِسِّ ، وَالْأَسْتِنْبَاطَ مَوْصُوفٌ بِالغَوْصِ ، وما ^(١) هَذَا الْمَعْنَى الْقَدِي مَيَّزَ التَّوَاضُعَ مِنْ شَوْبِ الضَّعَةِ ، أو خَلَصَ عُلُوَّ الْهِمَّةِ مِنْ شَوْبِ الْكِبَرِ ، أو فَرَزَ ^(٢) عِزَّةَ النَّفْسِ مِنْ نَقْصِ الْمُعْجَبِ ، أو أَبَانَ الْحِلْمَ عَنْ بَعْضِ الضَّعْفِ ؟ هَذَا بِالْقَوْلِ رَبَّمَا مَهْلٍ وَأَنفَادَ ، وَلَكِنْ بِالْعَقْلِ رَبَّمَا عَزَّ وَأَعْيَاصَ ، وَالْأَخْلَاقُ وَالْخِلَاقُ مُخْتَلِطَةٌ ، فَهِيَ مَا أَخْتَلَطَهُ قَوِيٌّ

(١) في كلتا النسختين : « ومن هنا » ؛ وهو تحريف .

(٢) في كلتا النسختين : « أو قرن » ؛ وهو تحريف .

شديد، ومنها ما أخفلاطه ضعيف سهل، ومنها ما [اختلاطه] نصف بين اللين والشدة، وهذه ينفع العلاج في بعضها، وينبئ العلاج عن بعضها؛ والحزم يقضى بالآية يتهاون بما يقبل العلاج لأجل ما لا يقبل العلاج.

قال: وهذا أيضاً يختلف بحسب المزاج والمزاج، والإنسان والإنسان، ألا ترى أنك لو رمت تحويل البخل من القرب إلى الجود كان أشهل عليك من تحويل البخل من الرؤم إلى الجود، والطمع في جبان التزك أن يتحول شجاعاً أقوى من الطمع في جبان الكرد أن يصير بطلاً.

قال: ومع هذا فوصف الأخلاق بالحدود — وإن كان على ما قدّمناه — نافع جداً، وإضمارها في النفس مثمر أبداً، فهذا هذا.

وأما ما قال أبو علي فإنه هذا. (٢)

قيل: ما الحلم؟ قال ضبط الفكر بكف الغضب.

وقال شيخنا أبو سعيد السمرائي: اعتبره من ناحية الاسم تفتيل لطيفه^(١) وذلك أن الحلم شريك التحلم، «فكان الحلم [الذي] يمدّ فيمن يحلم^(٢)» في مرض الحلم الذي لا يعاج عليه ولا يكثر له. قال: والتحلم نافع أيضاً، وهو أحد من التعالم، لأن الثاني أقرب إلى الثاني، كما أن الأول أقرب إلى الحقيقة.

وقيل ليس: ما العدل؟ فقال: القسط القائم على التساوي. (٣)

وحكى جالينوس قال: إن الناس أشد حُبهم لأنفسهم يظنون أن لهم ما يحبون، فمن أجل ذلك وقعوا في المذهب؛ فينبغي أن تكون محبتك لنفسك

(١) في الأصل «لطيفة»، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق.

(٢) وردت هذه العبارة في كلتا النسخين مضطربة اللفظ لا يفهم المراد منها، وسياق

الكلام يقتضي ما أثبتنا، كما ورد في (ب) «هو» قبل كلمة «الذي».

حَقِيقَتِهِ ، وَبِمِثْ ذَلِكَ لَكَ إِذَا أَنْتَ صَبَّرْتَ نَفْسَكَ عَلَى الْحَالِ الَّتِي يَرَى مِنْ
يَرَى أَنَّكَ عَلَيْهَا .

[وَقَالَ : الْمُعْجَبُ] يُحِبُّ نَفْسَهُ أَكْثَرَ مِمَّا يَحِقُّ لَهَا ؛ وَمَا أَحْسَنَ
بِالْإِنْسَانِ أَنْ يُحِبَّ نَفْسَهُ ، وَلَكِنْ بِالْعَدْلِ ، فَإِنْ أَرَادَ أَنْ يُحِبَّهَا جِدًّا فَيُحِبُّ
أَنْ يَجْعَلَهَا مِنْ أَهْلِ الْمَحَبَّةِ ، ثُمَّ يُحِبُّهَا مِنْ بَعْدِ .

(٤) قِيلَ : فَا الْحَسَدُ ؟ قَالَ : شِدَّةُ الْأَسَى عَلَى شَيْءٍ يَكُونُ لغيرِهِ .

(٥) قِيلَ : فَا الْكَآبَةُ ؟ قَالَ : إِفْرَاطُ الْحُزَنِ .

قَالَ أَبُو سَلِيمَانَ : الْحُزْنُ وَالْغَمُّ وَالْهَمُّ وَالْأَسَى وَالْجُرْعُ وَالْخُورُ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ
وَمِنْ تَعَامَلِي وَصَفَ أَغْصَانِ شَجَرَةٍ طَالَ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَخْطُ بَطَائِلَ ، وَيَكْفِي أَنْ نَعْرِفَ
شَجَرَةَ التُّفَاحِ مِنْ شَجَرَةِ الْمَشْمُسِ ، وَشَجَرَةَ الْكُمُنْزِيِّ مِنْ شَجَرَةِ السَّقَرَجَلِ ؛
فَإِنْ عَوَاقِبِ الْمَعَارِفِ نَسَكِرَاتُ ، كَمَا أَنَّ فَوَائِحَ الْمَعَارِفِ جَهَالَاتُ .

(٦) قِيلَ : فَا الشَّجَاعَةُ ؟ قَالَ : الْإِقْدَامُ فِي مَوْضِعِ الْفُرْصَةِ مِنْ جَمِيعِ الْأُمُورِ .

قَالَ أَبُو سَلِيمَانَ : الشَّجَاعَةُ إِذَا كَانَتْ نُطْقِيَّةً ^(١) كَانَتْ فُرْصَتُهَا تَعَامَلِي
الْحِكْمَةُ وَالِدَهْوَبُ فِي بُلُوغِ الْغَايَةِ ، وَبَذَلُ الْقُوَّةِ فِي نَيْلِ الْبَغْيَةِ ؛ وَإِذَا كَانَتْ
غَضَبِيَّةً كَانَتْ فُرْصَتُهَا شِفَاءُ الْغَيْظِ إِتِمَامُ مُسْتَحَقِّ ، وَإِمَامُنْ غَيْرِ مُسْتَحَقِّ ، وَإِذَا
كَانَتْ شَهْوِيَّةً كَانَتْ فُرْصَتُهَا التَّحَلِّيُ بِالْعِفَّةِ الْتَائِتَةِ ، أَعْنَى فِي الْخُلُوةِ وَالْحَفْلِ .

قَالَ لَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الرُّمَائِيُّ الشَّيْخُ الصَّالِحُ : الْعِفَّةُ وَاسِطَةٌ
بَيْنَ الْمَقَارَفَةِ وَالْعِصْمَةِ ، وَالْعِصْمَةِ وَاسِطَةٌ بَيْنَ الْبَشَرِيَّةِ وَالْمَلَكِيَّةِ .

وَحَكَى عِيسَى بْنُ زُرْعَةَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ — عِنْدَ تَدَافُعِ الْحَدِيثِ — أَنَّ
مُورِسَ قَالَ : إِنِّي لَا أَجِبُ مِنْ نَاسٍ يَقُولُونَ : كَانَ يَنْتَبِهُ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ

(١) ظَلَمِيَّةٌ ، ي فِكْر .

على رأي واحد ، ومنهاج واحد ، وهذا ما لا يستقيم ولا يقع به نظام .
قال : وهب أن يكون الناس وكل واحد منهم مَلِكًا يَأْمُرُ وَيَنْهَى وَيُسْتَمَعُ
له ويُطاع ، فمن كان التأمور المؤتمر ، والمنهى المنتهى ؛ والعاقل الحصيف يُعْلَمُ
أنه لا بد من التفاوت الذي به يكون التصالح ، كالعالم والمتعلم ، والآسر والمأمور
والصانع والمصنوع له .

ثم قال عيسى : من توابع الأخلاق المذمومة الغضب والكذب
والجهل والجور والدناءة .

قال أبو سليمان : أما الغضب فلا يكون مذمومًا إلا إذا أُعْمِلَ في غير أوانه ،
وعلى غير ما يَأْذَنُ الناموسُ الحقُّ به ؛ وأما الكذب ففيه أيضًا مصالح ، كأن
الصدق ربما أفضى إلى كثير من المفاسد — وإن كان الصدق قد فاز بالوصف
الأحسن ، والكذب قد وُصِفَ بالنفث الأفتيح — فكم كذب نبى من شر ،
وكم صدق أوقع في هوة ، وبقي الآن أن نعرف الصدق مع أوانه ومكانه ،
فيؤتى به أو يُنهى عنه ، وكذلك الكذب على حدِّه ومثاله .

قال : وأما الجهل والجور والدناءة فإنها أئافى الرذائل ، فيبتغى أن
يُلْتَمَسَ منها جُحْلَةٌ وَتَفْصِيلًا ، ولا يسلك أحدٌ إلى شيء منها [سبيلًا] فإنها أعدام ؛
— هكذا قال — ؛ والتقدم كريمة ومهزوب منه ، والوجود على أنقص الثغوت
أنتم وأشرف من التقدم على أزيد الصفات ، وإن كان لا زيادة في التقدم إلا من
طريق الوهم العارض ما يصح وما لا يصح .

قيل : فما العُجْب ؟ قال وزن النفس بأكثر من مثقالها .

(٧)

وقال أيضًا : العُجْبُ هو النظر في النفس بعين ترى القبيح جميلًا .

ويقال : المَعْجَبُ يدَّعي أن ما يَنْبَغِي أن يُعْجَبَ منه قد حصلَ له مِنْ غَيْرِ أن يَكُونَ كَذَلِكَ ؛ فأمَّا إذا كان ذلك حاصِلًا فالمُعْجَبُ ليس بِمُعْجَبٍ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ الْأَسْمِ ، وإلَّا فهو في الحقيقة إِحْسَاسٌ بِالْفَضْلِ الْمَعْشُوقِ ، وشُعُورٌ بِالْكَامِلِ الْمُؤْمُوقِ ، وأَسْتِدْعَاءٌ لِلزَّيَادَةِ تَمَّا صَارَ بِهِ هُكْذَا ، وأَسْتِعْدَادٌ لِقَبُولِ الْفَيْضِ مِنْ مَعْدِنِهِ بِالْأَخْتِيَارِ الثَّانِي وَالْإِعْتِيَادِ الْأَوَّلِ .

(٨) قيل : فما الوفاء ؟ قال قضاؤه حَقًّا واجب ، وإيجابُ حَقٍّ غير واجب ، مع رِقَّةٍ أُنْسِيَّةٍ ، وحَفِظَةٍ مَرَعِيَّةٍ .

(٩) قيل : فما الرغبة ؟ قال : حركةٌ تكونُ مِنْ شَهْوَةٍ يُرْجَى بِهَا مَنَفَعَةٌ .
قال أبو سليمان : الرغبةُ إذا كانت نَطْقِيَّةً كانت مَبْنَعَةً عَلَى التَّحَلُّلِ بِالْفَضَائِلِ ، وإذا كانت سَبْعِيَّةً أَوْ بَهِيمِيَّةً كانت مُلْهِجَةً بِمُؤَاقَعَةِ أَضْدَادِهَا^(١) مِنْ الرَّذَائِلِ .

(١٠) وقيل : ما المِهْنَةُ ؟ فقال : حركةٌ يَتَمَاطَاها الْإِنْسَانُ بِلَا حَفْزٍ وَلَا اسْتِكْرَاهٍ .
قال عليُّ بْنُ عِيسَى : المِهْنَةُ صِنَاعَةٌ ، ولكنها [إلى الذَّلِّ أَقْرَبُ ، وفي الضَّمَّةِ أَدْخَلَ ، والصَّنَاعَةُ مِهْنَةٌ ، ولكنها] تَرْتَفِعُ عَنْ تَوَابِعِ المِهْنَةِ ، وفي الصَّنَاعَاتِ مَا يَتَّصِلُ بِهِ الذَّلُّ أَيْضًا ، ولكن ذُلٌّ لَيْسَ مِنْ جِهَةِ حَقِيقَةِ الصَّنَاعَةِ ؛ ولكن مِنْ جِهَةِ الْعَرَضِ الَّذِي بَيْنَ الصَّنَاعَةِ وَالصَّنَاعَةِ ، ولِلرَّتَبَةِ وَالْمَرْتَبَةِ .

(١١) قيل : فما العادة ؟ قال : حالٌ يأخذُ بِهَا المرءُ نَفْسَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ مَسْنُونَةً يَجْرِي عَلَيْهَا جَرَى مَا هُوَ مَأْلُوفٌ طَبِيعِيٌّ .

قال أبو سليمان : كَانَ هَذَا الْأَسْمَ لَيْسَ يَخْلُصُ إِلَّا لِمَنْ أَتَى شَيْئًا مِرَارًا ، فأمَّا فِي أَوَّلِ ذَلِكَ فَلَيْسَ لَهُ هَذَا النَّمْتُ ، وَإِنَّمَا يَصِيرُ مَأْلُوفًا بِالتَّكْرَارِ ، ولهذا

(١) أَضْدَادُهَا ، أَيْ أَضْدَادُ الْفَضَائِلِ .

ما صيغت الكلمة من عاد يعود وأعتاد يعتاد .

وأما قوله : طَبِيعِي ، فَعَلَى وَجْهِ التَّشْبِيهِ ، لأنَّ الطَّبِيعِيَّ أَشَدُّ رُسُوخًا وَأَثْبَتُ عِرْقًا ، وَأَبْعَدُ مِنَ الْإِنْتِقَاضِ ؛ فَأَمَّا الْمَادَّةُ فَكُلُّ ذَلِكَ جَائِزٌ عَلَيْهَا ، وَغَيْرُ مَأْمُونٍ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهِ .

قيل : كم الحركات ؟ قال : ستة أصناف ، أولها حركة الانتقال ، وهي (١٢) ضَرْبان : إما حركة الجسم بأكمله من مكان إلى مكان ، وإما حركة كَبْئِهِ بِأَجْزَائِهِ كَالْفَلَكَ وَالرَّحَى ، والثاني حركة الكون ، والثالث حركة الفساد ، والرابع حركة الرُّبُوبِ^(١) ، والخامس حركة النَقْضِ وَالْيَلِ ، والسادس حركة الاستحالة ، وهي ضَرْبان : أما في الجسم فَمِثْلُ اللَّوْنِ ، وأما في النفس فَمِثْلُ الْغَضَبِ وَالرَّضَا ، وَالْعِلْمِ [وَالْجَهْلِ^(٢)] .

وَالثَّقَلَةُ مَكَانِيَّةٌ ، وَالْكُونُ وَالْفَسَادُ جَوْهَرِيَّانِ ، وَالْأَسْتِحَالَةُ هَيْئِيَّةٌ ، وَالنَّمُوُّ وَالْأَضْمِحْلَالُ^(٣) مَكَانِيَّتَانِ .

قال الكِنْدِيُّ : وَهَاهُنَا حَرَكَةٌ أُخْرَى ، وَهِيَ حَرَكَةُ الْإِبْدَاعِ ، إِلَّا أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَرَكَةِ الْكُونِ فَرْقًا ، لِأَنَّ هَذِهِ لَا مِنْ مَوْضُوعٍ ، وَحَرَكَةُ الْكُونِ مِنْ فَسَادِ جَوْهَرٍ قَبْلَهُ بِحُدُوثِهِ ، وَلِذَلِكَ قِيلَ : إِنْ الْكُونُ خُرُوجٌ مِنْ حَالٍ خَسِيسَةٍ إِلَى حَالٍ نَفِيسَةٍ .

قال أبو سليمان : حَرَكَةُ الْإِبْدَاعِ عِبَارَةٌ بِسَيْطَةٍ لَا يَجِبُ أَنْ يُفْهَمَ^(٤) مِنْهَا

(١) في كلتا النسخين : « الدنو » ، وهو تصحيف . والربوب : الزيادة ، وقد أثبتنا هذه الكلمة أخذاً مما يأتي بعد في توضيح هذه الحركات ، من قوله : « ولنمو » ولما أثبتنا هنا الربوب بالراء والباء لفرجه من حروف الأصل . (٢) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها لم ترد في كلتا النسخين ، والسياق يقتضي إثباتها لئلا يتحقق الاستحالة إلا بين الشيء وما يحالقه . (٣) يشير بالأضمحلال هنا إلى ما سبق من حركة النقص والبل ، وهي الخامسة .

(٤) في (ب) : « يظهر » مكان « يفهم » .

مَعْنَى مُرَكَّبٍ . قَالَ : وَإِنَّمَا قُلْتُ [هَذَا] لِأَنَّ اللَّفْظَ نَظِيرُ اللَّفْظِ فِي أَغْلَبِ الْأَمْرِ
وَلَيْسَ الْمَعْنَى نَظِيرَ الْمَعْنَى فِي أَغْلَبِ الْأَمْرِ ، وَاللَّفْظُ كُلُّهُ مِنْ وَادٍ وَاحِدٍ فِي التَّرَكُّبِ
بِلُغَةِ كُلِّ أُمَّةٍ ، وَالْمَعْنَى تَخْتَلِفُ فِي الْبَسَاطَةِ عَلَى قَدْرِ الْعَقْلِ ^(١) وَالْعَقْلُ ، وَالْعَاقِلُ
وَالْعَاقِلُ ، وَإِنَّمَا حَرَكَةُ الْإِبْدَاعِ مُشَارٌ بِهَا إِلَى مَقْوَمِ الْأَشْيَاءِ بِلا كُلْفَةٍ فَاعِلٍ ،
وَلَا مُعَانَاةٍ صَانِعٍ ، وَإِنَّهَا بَدَتْ بِالْمُبْدِعِ مِنَ الْمُبْدَعِ الْمُبْدِعِ لَا عَلَى أَنَّ الْبَاءَ
أَلْصَقَتْ بِهِ شَيْئًا ، وَلَا عَلَى أَنَّ [مِنْ] فَصَلَتْ مِنْهُ شَيْئًا ، وَلَا عَلَى أَنَّ اللَّامَ أَضَافَتْ
إِلَيْهِ شَيْئًا ، فَإِنَّ هَذِهِ الْعَلَامَاتِ وَالْأَمَارَاتِ كُلَّهَا مَوْجُودَةٌ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَعَلَّقَتْ
بِالْإِبْدَاعِ ، فَلَمْ يَحْزُ أَنْ يُنْفَعَتْ بِهَا الْمُبْدِعُ ، وَلَوْ جَازَ هَذَا لَكَانَ دَاخِلًا فِيهَا ،
وَمَوْجُودًا بِهَا ، وَهَذَا بَعِيدٌ جِدًّا . فَلَمَّا جَلَّ عَنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ بِالْتَّحْقِيقِ فِي الْأَخْتِيَارِ
وُصِفَ بِهَا بِالْإِسْتِعَارَةِ عَلَى الْأَضْطِرَّارِ ، لِأَنَّهُ لَا بَدَّ لَنَا مِنْ أَنْ نَذْكُرَهُ وَنَصِفَهُ
وَنَدْعُوهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَقْصِدَهُ وَنَرْجُوهُ وَنَخَافَهُ وَنَعْرِفَهُ وَنَنْحُوهُ وَنَطْلُبَ مَا عِنْدَهُ
وَنُؤَاجِهُهُ وَنُكَافِيَهُ ^(٢) ؛ وَهَذِهِ نِعْمَةٌ مِنْهُ عَلَيْنَا ، وَلُطْفٌ مِنْهُ بِنَا ، وَحِكْمَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَنَا
وَالْإِلا كَانَتْ الْمِصْنَمَةُ تَلْبِيْرًا ، وَالطَّمْعُ يَنْقَطِعُ ، وَالْأَمَلُ يَضْمَعُ ، وَالرَّجَاءُ يَنْحِيبُ ،
وَالْأَرْكَانُ تَتَخَلَّخَلُ ، وَالذَّرَائِعُ تَرْتَفِعُ ، وَالْوَسَائِلُ تَمْتَنِعُ ، وَالْقَوَاعِدُ تَسِيحُ ،
وَالرَّغَبَاتُ تَسْتَقُطُ ، وَالْجُودُ وَالْكَرَمُ وَالْحِكْمَةُ وَالْقُدْرَةُ وَالْجَبَرُوتُ وَالْمَلَكُوتُ
تَأْتِي ذَلِكَ ؛ فَصَارَتْ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ سَلَامًا لَنَا إِلَيْهِ ، لَا حِفَائِقَ يَجُوزُ
أَنْ يُظَنَّ بِهِ شَيْءٌ مِنْهَا ، عَلَى سَبِيلِ ^(٣) السَّيَاحِ الْمَمْدُودِ ، وَالْمِنْهَاجِ الْمَخْدُودِ .

سَمِعْتُ كَلَامَ عِيْسَى فِي تَصْدِيفِ الْحَرَكَاتِ مِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْفِقْرَةِ الَّتِي كَانَتْ
مَحْفُوظَةً فِي حَرَكَةِ الْإِبْدَاعِ ، فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ لِقَوْمٍ فِي هَذَا الْبَابِ حَيْرَةً عَارِضَةً

(١) فِي (ب) عَلَى قَدْرِ اللَّفْظِ ، وَفِيهِ تَبْدِيلٌ مِنَ النَّاسِخِ . (٢) الْمَكَالِفَةُ : الْمَوَاجِهُةُ
وَالْمَلَاكَةُ . (٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ «لَا عَلَى سَبِيلِ» الخ. وَقَوْلُهُ «لَا» زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ كَمَا يُلَوِّحُ لَنَا .

أورا كدة ، لا يَسْتَطِيعُونَ التَّفَقُّىَ عنها ، ولا يَقْدِرُونَ على البراءة منها ، للضلال الذى قد لَزِمَهُمْ ، والأصنام التى قد تَرَبَّعتْ فى نُفُوسِهِمْ ، والأمثلة التى قد خَالَطَتْ عُقُولَهُمْ ، والأفياء التى أَسْتَضَجَبَوْهَا مِنْ إِحْسَائِهِمْ ؛ والقائل هذا ينبغى أن يتحرى وَيَتَلَبَّثْ حتى يَفْرَى مِنْ هذه الأشياء وَيَتَرَيَّثْ ؛ فيُنْثَذِ أَضْمَنُ لَهُ أَنْ يَصِحَّ تَوْحِيدُهُ ، وَيَتِمَّ تَجْرِيدُهُ ، وإلى التوحيد تنتهى الفلسفة بأجزائها الكثيرة ، وأبوابها المختلفة ، وطُرُقها للتشعبة .

وأنا أعوذُ بالله من صناعةٍ لا تُحَقِّقُ التَّوْحِيدَ ولا تدلُّ على الواحد ولا تدعو إلى عبادته ، والأعترافِ بوحْدانيته ، والقيامِ بحقوقه ، والمصير إلى كنفه ، والصبرِ على قضائه ، والتسليمِ لأمره ؛ وَوَجَدْتُ أَرْبابَ هذه الصناعات ، أغنى المهندسة والطبِّ والحسابِ والموسيقى والمنطقِ والتنجيمِ مُعْرِضِينَ عن تجسُّمِ هذه الغاياتِ ، بل وَجَدْتُهُمْ تَارِكِينَ الإِلَهَامَ بهذه الحائكات ، وهذه آفةٌ نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ منها ، والعافية من عواقبها ؛ والسلام .

قيل : ما التَّام ؟ قال : بلوغُ الشيء الحدَّ الذى ما فوقه ^(١) إفراط ، (١٣) وما دونه تقصير .

قال أبو سليمان : التَّامُ أَلْيَقُ بِالْمُخَسُّوسَاتِ ، وَالْكَامِلُ أَلْيَقُ بِالْأَشْيَاءِ الْمُقُولَةِ . قال : وليست هذه الْفَتْيَا مِثْلَ جازمة ، ولا عن العربِ الْعَرَبِيَّةِ مَرْوِيَّةً ، ولكن إِذَا لَحَظْنَا الْمَعْنَى الْمُخْتَلِفَةَ ، طَلَبْنَا لَهَا أَسْمَاءَ مُخْتَلِفَةً ، لِيَكُونَ ذَلِكَ مَعُونَةً لَنَا فِي تَعْدِيدِ الْأَشْيَاءِ أَوْ فِي وَصْفِ الْأَشْيَاءِ مِنْ ^(٢) طَرِيقِ الْإِقْنَاعِ الْكَافِ ^(٣)

(١) ما فوقه ، أى الذى فوقه . وكذلك أيضاً « وما دونه » .

(٢) ورد فى كلتا النسختين « إلا من طريق » . وقوله « إلا » زيادة من الناسخ كما يلوح لنا .

(٣) فى كلتا النسختين « الكافى » والياء زيادة من الناسخ .

لجَدَلٍ والْتِمَةٍ ، أو من طريق البرهان الإطبع بالحجة ، الراجع للشبهة ، أو من طريق التقليد الجارى على السنين والمادة .

قال : ولهذا [إذا] قيل : ما أتمَّ قائمته ا كان أحسن ، وإذا قيل : ما أكمل نفسه ا كان أجمل .

(١٤) قيل له : هل يتساوى الكَوْنُ والْفَسَادُ فيبقى الشيء على ماهو به ؟ فقال : أما على الحقيقة فلا ؛ ولكن^(١) على السَّعة ، لأنَّ الكَوْنَ متصل بالفساد ، إلا أنهما يخفيان في مبادئهما حتى إذا امتدَّ الأنا^(٢) فصارَ آناً^(٣) واحداً فحينئذٍ بانَّ الكَوْنَ مِنَ الفساد ، وبانَّ الفسادُ مِنَ الكَوْنِ ، وهذا بالأعتبار الحسِّي ؛ فأما العقل فيرتفع عن هذا ، لأنه يعلم حقيقة الشيء على ماهو عليه ، ولا يقبل من الحسِّ حكماً ، ولا يختصِّمُ إليه أبداً .

وإنما الحسُّ عاملٌ من عمالِ العقل . والعاملُ يَجُورُ مرَّةً وَيَعْدِلُ مرَّةً ، فأما الذى هذا هو عامله فهو الذى يتعقُّبه ، فإنَّ وجده جائزاً أبطلَ قضاءه ، وإنَّ وجده عادلاً أمضى حكمه ، ومتى استشير الحسُّ فى قضايا العقل فقد وُضِعَ الشيء فى غير موضعه ، ومتى استشير العقل فى أحكام الحسِّ فقد وُضِعَ الشيء فى موضعه .

(١٥) قيل : فما الصُّورة ؟ قال : التى بها^(٣) يخرجُ الجَوْهرُ إلى الظُّهورِ عندِ اعتِقابِ الشُّورى إِيَّاه .

(١) فى (ب) : «أما» مكان «ولكن» ، وهو خطأ من الناسخ لا يستقيم به الكلام إذ لا جواب لأما بعد ذلك .

(٢) فى (ب) : الأنا ... أبا واحداً ، وفى (١) : الاناءان ... «أنا واحداً» ، وهو تحريف فى كلتا النسختين .

(٣) فى (ب) : «لها» ، وهو تحريف .

قال أبو سليمان : هذه الفُتَيَّا جُزْأِيَّة ، الصُّوَرُ أَصْنَافٌ : إلهيَّةٌ وَعَقْلِيَّةٌ ، وفَلَكِيَّةٌ وطَبِيعِيَّةٌ ، وَأُسْطُقُوسِيَّةٌ وصناعِيَّةٌ ، وَنَفْسِيَّةٌ وَلَفْظِيَّةٌ ، وَبَسِيطَةٌ وَمُرَكَّبَةٌ ، وَمُزْوَجَةٌ وَصَافِيَّةٌ ، وَيَقْطِئِيَّةٌ وَنَوْمِيَّةٌ ، وَغَائِبِيَّةٌ وَشَاهِدِيَّةٌ .

ثم اندفع فقال : أما الصُّورَةُ الإلهِيَّةُ — وهى أعلاها فى الرُّتَبَةِ والحَقِيقَةِ . وهى (١٦) أَبْعَدُ مِنَّا فى التَّحْصِيلِ إِلَّا بِمَعُونَةِ اللَّهِ تَعَالَى — فلا طَرِيقَ إِلَى وَصْفِهَا وَتَحْدِيدِهَا إِلَّا عَلَى التَّقْرِيبِ ، وَذَلِكَ أَنَّ البَّسَاطَةَ تَغْلِبُ عَلَيْهَا ، إِلَّا أَنَّهَا مَعَ ذَلِكَ تُرْسَمُ بِأَنَّ يُقَالَ : هِىَ الَّتِى تَجَلَّتْ بِالْوَحْدَةِ ، وَتَبَيَّنَتْ بِالدَّوَامِ ، وَدَامَتْ بِالْوُجُودِ .

وأما الصُّورَةُ الْعَقْلِيَّةُ فَهِيَ شَقِيقَةُ تِلْكَ ، إِلَّا أَنَّهَا دُونُهَا لَا (١٧) بِالْأَنْحِطَاطِ الْحَتَّى ، وَلَكِنْ بِالْمُرْتَبَةِ اللَّفْظِيَّةِ ، وَلَيْسَ بَيْنَ الصُّوَرَتَيْنِ فَصْلٌ إِلَّا مِنْ نَاحِيَةِ النَّمَتِ ، وَإِلَّا فَالْوَحْدَةُ شَائِمَةٌ وَغَالِبَةٌ وَشَامِلَةٌ ، لَكِنْ الصُّورَةُ الإلهِيَّةُ تُلَحَظُ لَحْظًا ، وَلَا يُلَفَّظُ بِوَصْفِهَا لَفْظًا ، لِمُشَاكَلَتِهَا الصُّورَةَ النَّفْسِيَّةِ ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ أُمْكِنَ أَنْ تُرْسَمَ فَيُقَالُ : هِىَ الَّتِى تُهْدِى إِلَى الْعَاقِلِ قَلْبًا فى الْحُكْمِ ، وَثِقَةً بِالْقَضَاءِ ، وَطُمَأْنِينَةً لِلْعَاقِبَةِ ، وَجِزْمًا بِالْأَمْرِ ، وَدُخُوضًا لِلْبَاطِلِ ، وَبَهْجَةً لِلْحَقِّ وَنُورًا لِلصِّدْقِ .

والفَرْقُ بَيْنَ الصُّورَةِ الإلهِيَّةِ وَالصُّورَةِ الْعَقْلِيَّةِ أَنَّ الصُّورَةَ الإلهِيَّةَ تَرُدُّ عَلَيْكَ وَتَأْخُذُ مِنْكَ ، وَالصُّورَةَ الْعَقْلِيَّةَ تَصِلُ إِلَيْكَ فَتُغْطِيكَ ، فَالْأَوَّلَى بِقَهْرٍ وَقُدْرَةٍ ، وَالثَّانِيَةُ بِرَفَقٍ وَأَطَافَةٍ ؛ وَتِلْكَ تَخْجُبُكَ عَنْ لِمٍّ وَكَيْفٍ ، وَهَذِهِ تَفْتَحُ عَلَيْكَ لِمًّ وَكَيْفً ، وَتِلْكَ لَا تُنْجِى وَلَا تُطَلِّبُ ، وَهَذِهِ يُسَمَّى إِلَيْهَا ، وَيُسْأَلُ عَنْهَا وَتُوجَدُ ، وَأَنْوَارُ الصُّورَةِ الإلهِيَّةِ بَرُوقٌ تَمُرُّ ، وَأَنْوَارُ الصُّورَةِ الْعَقْلِيَّةِ شَمُوسٌ تَسْتَدِيرُ ؛ وَتِلْكَ إِذَا حَصَلَتْ لَكَ بِالْخُصُوصِيَّةِ لَا نَصِيبَ لِأَحَدٍ مِنْهَا ، وَهَذِهِ إِذَا حَصَلَتْ لَكَ فَأَنْتَ

(١) فى كلتا السخيفين : «دونها بالأنحطاط» بـ «لا» النافية ، والسباق يقتضى إثباتها .

وغيرك شرع فيها ؛ وتلك للصّون والحفظ ، وهذه للتبذل والإفاضة
 (١٨) وأما الصورة الفلكيّة فداخلة تحت الرّمس بالعرض ، ولوهر فيها أثره
 كثير ، ولأنّها مأخوذة من الجسم الأعظم صارت مشاكته مقسومة بين البسيط
 الذي لا تركيب فيه البتّة ، وبين المركب الذي لا يخلو من التركيب البتّة ؛
 ولهذا صار تأثير الفلك في المتحرّكات عنه أشدّ من تأثير الفلك عن المتحرّك
 له ، وكأنّه أول [متحرّك] متحرّك ؛ وليس هكذا ^(١) ماعلا عنه .

والفلك بما هو جسم منقوص الصورة ، وبما هو دائم الحركة شريف
 الجواهر .

(١٩) وأما الصورة الطبيعيّة فتعلّقها بالمادّة القابلة لآثارها بحسب استعدادها لها ،
 فلذلك ما هي مخرّجة عن الدّرجة العلّيا ، وعشقها للقابل منها أشدّ من عشقها
 للمفيض عليها ، ولهذا أيضا كانت منافعتها ممزوجة ، ومضارّها بحتة ^(٢) ، وهي
 تجمع بين الحكمة والبله ، وبين الجيد والرّدى ، ولو سألناها لم أنت ضارة
 نافعة ؟ لقالت : بعدت ، فلما بعدت صوّبت وصعدت .

وسمعت أبا النّفيس يقول في وصف الطّبيعة كلاما له روتني في النّفس ^(٣)
 وأنا أصل هذه الجملة به .

قال : أيّتها الطّبيعة ، ما الذي أقول لك ، وبأيّ شيء أواخذك ، وكيف
 أوجه العتب عليك ؟ فإنك قد جمعت أمورا منكّرة ، وأحوالا عسيرة ،

(١) كذا في (ب) والذي في (أ) « وليس هذا فاعلا عنه » . ولا يخفى ما في هذه
 العبارة من التحريف .

(٢) في كلتا النسختين : « نجية » ، وهو تصحيف ، وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٣) في (ب) « في السمع » .

لا يبقِ نظامك فيها بأنتشارك عليها ، ولكِ بوادرُ ضارّة ، وغوايلُ خفيّة تَبْدُو
 منك ، وتُغورُ فيك ، وترجع إليك ، حتى إذا قلنا في بَعْضِهَا : إنك حكيمة ،
 قلنا في بَعْضِهَا : إنك سقيمة ، فالبَلَّه منك مخلوطٌ باليقظة ، والاستقامة فيك
 عائدةٌ بالأغوجاج ، وفيك فظائعٌ ونزائع ، وقوارِعُ وبدائع ، لأنَّ حرَّ كانك
 تسنُّ مرّةً أُسننا تُعشقين عليه ، وتُحبِّين من أجله ، وتزيغُ أخرى زيفاً
 تمقّتين عليه ، وتُبغضين بسببه ، وربما كانت حرَّ كبتك نقضاً للبناء المحكم
 والصورة الرائعة ، والنظام البهيّ ، وربما كانت بناءً للمستفيض ، وتجديداً للبالى
 وإصلاحاً للفساد ، حتى كأنك عابثةٌ بلا قصد ، عائرةٌ على عمد ، وعلى جميع
 صفاتك من الواصفين لك لم يعلم^(١) من ظنّ ، ولا رأى من تخيّل ، ولا بعدّ لفظ
 من تأويل ، ولا حال معي عن توهم ، ولا أسفرَ حقٌّ عن باطل ، ولا تميّز
 بيان عن تمويه ، ولا وضح نُضح من غش ، ولا سَلَمَ ظاهرٌ من تنافض ، ولا
 خلّت دعوى من مُعارض ، فهذا وأشباهه واجهتك بخطابى ، وعرضت
 عليك ما فى نفسى ، فبالذى أنت به قائمة ، وبالذى أنت به موجودة ،
 وبالذى أنت له مُنقلبة ، وإليه مُنساقة ، ألا خبرتني عنك ، وشفتيت غليلي منك ،
 ونمت لى غيب شأنك ، وجعلت الخبر عنك كميّانك ، وإنما ضرعت
 إليك هذا الضرع ، وعرضت عليك هذا الوجع ، لأنك جارتى وصاحبتي ،
 وليس بينى وبينك حجاب إلا ما هو عدوّ منك أو منى ، أغنى بما هو منك لطف
 سحرّك ، وخفاء سيرك ، وأغنى بما هو منى ما أعجز عن استبائته واستيضاحه
 إلا بقوة الإله الذى هو سببُ إحرار كتمك فى أفانين تبصرُ فك ، وأعجيب عدلك
 وتعيّيفك .

(١) عبارة (١) « لم نر أعلم من ظن » ، وهو تحريف .

وكان إذا بَلَغَ هذا الحدَّ وما شاكَه أَخَذَ في كَلَامِهِ كالجوابِ عَلَى طريقِ التَّائِسِ والتَّسْلِيَةِ والأُسْتِرَاحَةِ ، وهذا بالواجِبِ ، لأنَّ الإنسانَ بسببِ أغراضه المجهُولَةِ ، وعَوَارِضه الفاجِئَةِ الباغِئَةِ مِنَ الْغَيْبِ والشَّهَادَةِ يَفْتَقِرُ أَفْتَقَارًا شَدِيدًا إلى هذه الثَّغُوتِ التي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا ؛ وهذا كاللَّذَاءِ والدَّوَاءِ ! وليس لأحد أن يَتَهَكَّمَ فيقول : هَلَّا أَرْتَفَعَ الدَّاءُ أَصْلًا فَيُسْتَفْتَى عَنِ الدَّوَاءِ بِجُمْلَةٍ ، وهَلَّا وَقَعَ الدَّوَاءُ أَبَدًا عَلَى الدَّاءِ وَنَفَاةً وَصَرَفَهُ . فَإِنَّ هَذَا كَلَامٌ مَذْخُولٌ ، من عَقْلٍ كَلِيلٍ ، وَلَقَدْ مَرَى إِنَّمَنْ جَهَلَ الْقِسْمَةَ الإِلَهِيَّةَ فِي الْأَزَلِ ^(١) بِحَسَبِ شَهَادَةِ الثَّقَلَيْنِ لَعِبَ بِهِ الْوَسْوَاسُ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ ، وَظَنَّ أَنَّ الْأَمْرَ لَوْ كَانَ يَخْلَافُ مَا هُوَ عَلَيْهِ كَانَ أَوْلَى وَأَنْتَقَ وَأُتِّقَ وَأُحْكَمَ . يَا وَيْحَهُ ! مِنْ أَيْنَ يُوجِبُ هَذَا الْحُكْمُ ؟ وَبِأَيِّ شَيْءٍ يُثَبِّتُ هَذَا الْقَضَاءُ ؟ وَكَيْفَ يَثْبُتُ بِهِذَا الْوَهْمُ ؟

وكان يقول أيضًا إِنَّ الطَّبِيعَةَ تقول : أَنَا قُوَّةٌ مِنْ قَوَى الْبَارِي ، مُوَكَّلَةٌ بِهَذِهِ الْأَجْسَامِ الْمُسَخَّرَةِ حَتَّى أَتَصَرَّفَ فِيهَا بِغَايَةِ مَا عِنْدِي مِنَ النَّفْسِ وَالتَّصَوُّيرِ وَالِإِصْلَاحِ وَالِإِفْسَادِ الَّذِينَ لَوْلَا هُمَا لَمْ يَكُنْ لِي أَثَرٌ فِي شَيْءٍ ، وَلَا لَشَيْءٍ أَثَرٌ مِنِّي ، وَكَانَ وَجُودِي وَعَدَمِي سَوَاءً ، وَخُضُوعِي وَغِيَابِي وَاحِدًا ، وَلَوْ بَطَلَتْ بَطَلَ بِبُطْلَانِي مَا أَنَا بِهِ ؛ وَهَذَا زَائِفٌ مِنَ الْقَوْلِ ، وَخَطَلٌ مِنَ الرَّأْيِ ، وَتَحَكُّمٌ مِنَ الظَّنِّ ؛ وَلَوْ أُحْتَمِلَ إِرَادُ كُلِّ مَا كَانَ يَتَنَفَّسُ بِهِ هَذَا الشَّيْخُ فِي حَالِ نَشَاطِهِ وَأَنْقِبَاضِهِ ، لَكَانَ ذَلِكَ مَرَادًا فَسِيحًا ، وَمَشْرَعًا وَاسِعًا ، وَلَكِنْ ذَلِكَ مُعَذَّرٌ لِعَجْزِي عَنِ الْوَفَاءِ بِهِ ، وَلَأنَّ هَذِهِ الرِّسَالَةَ تَتَقَلَّصُ عَنْهُ ، وَإِنَّمَا أُجُولُ فِي هَذِهِ الْأَكْنَافِ لِكَلْفِي بِالْحِكْمَةِ كَيْفَ دَارَتِ الْعِبَارَةُ بِهَا ، وَأُمَكِّنْتُ الْإِشَارَةَ لِيَهَا ، لَا عَلَى التَّفَقُّصِ لَهَا وَبُلُوغِ الْغَايَةِ مِنْهَا ، وَمَنْ يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ ؟ وَمَنْ يُحَدِّثُ

(١) فِي (١) « الْأَوَّل » وَفِي (ب) « الْأَوَّل » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

نفسه بذلك ؟ العالم أبعدُ غَوْرًا وأعلى قُلَّةً وأثقلُ وَزْنًا وأحدُّ غَرَبًا وألطفُ
أَعْرَاضًا وأكثفُ أَجْرَامًا وأعجبُ تَرْكِيبًا وأغربُ بَسَاطَةً من أن يأتي عليه
إنسانٌ واحدٌ ، وكلُّ مَنْ^(١) كان في مَسْكِهِ ، وإن بلغ الغاية في دِقَّةِ الذَّهْنِ
وحُسْنِ البَيَانِ وبِلاغةِ اللَّفْظِ ، وأسْتِنْبَاطِ النِّمَاضِ في حَاضِرِهِ^(٢) وغَائِبِهِ ؛ هذا
مالا يَقْوَهُهُ الْعَقْلُ^(٣) .

وَأَنَا أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ هَذِهِ الدَّغْوَى ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُدْهِمَنِي الشُّكْرَ عَلَى مَا فَتِّحَ
وَشَرَحَ ، وَهَدَى إِلَيْهِ وَمَفْتَحَ ، وَأَطْلَعَ عَلَيْهِ وَنَدَحَ^(٤) ، فَإِنَّ الشُّكْرَ قَرَعَ لِبَابِ
الْمَزِيدِ ، وَالْمَزِيدَ بَاعَثَ عَلَى الشُّكْرِ الْجَدِيدِ ، وَالشُّكْرُ — وَإِنْ خَلَصَ
بِالْعِرْفَانِ ، وَجَرَى بِضُرُوبِ الْبَيَانِ عَلَى اللِّسَانِ — فَإِنَّهُ يَقْصُرُ عَنْ تَوَاتُرِ النِّعْمَةِ
بَعْدَ النِّعْمَةِ ، وَتَطَاهُرِ الْفَائِدَةِ بَعْدَ الْفَائِدَةِ .

وَأَمَّا الصُّورَةُ الْأُسْطَقْسِيَّةُ ، فَهِيَ لَأَمْتَةٌ لِكُلِّ ذِي حِسٍّ^(٥) بِالتَّنَاضُخِ الْمَوْجُودِ^(٢٠)
فِيهَا ، وَالتَّبَايُنِ الْآخِذِ بِتَصْيِيبِهِ مِنْهَا ، وَلَهَا أَنْقِسَامٌ إِلَى آحَادِهَا ، أَعْنَى أَنَّ صُورَةَ
الْمَاءِ مُبَايِنَةٌ لَصُورَةِ الْهَوَاءِ ، وَكَذَلِكَ صُورَةُ الْأَرْضِ مُخَالَفَةٌ لَصُورَةِ النَّارِ ،
فَتَحْدِيدُهَا بِمَا يُقَرَّرُهَا مَعَ غَوْصِهَا فِي كُلِّ أُسْطَقْسٍ شَدِيدٍ ، وَاللَّفْظُ لَا يَصْنَعُ ،
وَالْمُرَادُ لَا يَنَازُ .

(١) في (ب) «ما» مكان «من» وفي (١) «مسئلة» مكان «مسكة» ؛ وهو تحريف في
كلا اللفظين . والمسك : الجلد . ويريد به هنا الشكل ، أى كل من أشبهه وشاكله . أو يريد
به من كان محبوبا في جسمه مقيدا بعبادته .

(٢) في كلتا النسختين : « في آخره » مكان قوله : « في حاضره » ؛ وهو تحريف .
وفي (١) و « غائبه » مكان « وغائبه » الوارد في (ب) وهو ما اختلفناه ليتقابل اللفظان .

(٣) في كلتا النسختين « إلا عقل » وفي قوله « إلا » تحريف ظاهر .

(٤) ندح الشيء : وسَّمَهُ ، وفي كلتا النسختين : و « قدح » بالالف ، وهو تحريف .

(٥) في كلتا النسختين : « حسن » ، وهو تحريف .

(٢١) وَأَمَّا الصُّورَةُ الصَّنَاعِيَّةُ فَهِيَ أَتَيْنُ مِنْ ذَلِكَ ، لَأَنَّهُمَا مَعْ غَوْصِهَا فِي مَادَّيْنِهَا بَارِزَةٌ لِلْبَصَرِ وَالسَّمْعِ وَلِجَمِيعِ الْإِحْسَاسِ ، كَصُورَةِ السَّرِيرِ وَالْكُرْسِيِّ وَالْبَابِ وَالخَاتَمِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .

(٢٢) وَأَمَّا الصُّورَةُ النَّفْسِيَّةُ فَهِيَ رَاجِعَةٌ إِلَى الْعِلْمِ وَالْعَرَفَةِ وَتَوَابِعِهِمَا فِيمَا يُحَقِّقُهُمَا أَوْ يَخْذُلُهُمَا^(١) وَهِيَ شَقِيقَةُ لِلصُّورَةِ الْعَقْلِيَّةِ بِالْحَقِّ .

(٢٣) وَأَمَّا الصُّورَةُ الْبَسِيطَةُ فَلَاخْتِلَافِ مَرَاتِبِ الْبَسِيطِ مَا يَعْزِزُ رَسْمَهَا إِلَّا بِالْإِيمَاءِ إِلَيْهَا ، فَإِنْ لَحِقَ هَذَا الْإِيمَاءُ سَامِعُهُ فَذَلِكَ ، وَإِلَّا فَلَا طَمَعُ فِي عِبَارَةٍ شَافِيَةٍ عَنْهَا .

(٢٤) وَأَمَّا الصُّورَةُ الْمُرَكَّبَةُ فَهِيَ بَادِيَةٌ لِلْحِسِّ بِأَنْوَارِ الطَّبِيعَةِ فِي مَادَّيْنِهَا ، وَبَادِيَةٌ أَيْضًا لِلنَّفْسِ بِأَنْوَارِ الْعَقْلِ فِي سَيِّجِهِ عَلَيْهَا ، وَكَأَنَّ بَيْنَ الْبَسِيطِ وَالْبَسِيطِ فَرْقًا يَكَادُ الْبَسِيطُ يَكُونُ بِهِ مُرَكَّبًا ، كَذَلِكَ بَيْنَ الْمُرَكَّبِ وَالْمُرَكَّبِ فَرْقٌ يَكَادُ الْمُرَكَّبُ يَكُونُ بِهِ بَسِيطًا ؛ وَهَذِهِ مُجْمَلَةٌ تَفْسِيرُهَا مُعْوِزٌ .

(٢٥) وَأَمَّا الصُّورَةُ الْمُنَزَّوْجَةُ فَهِيَ أَخْتُ الصُّورَةِ الْمُرَكَّبَةِ ، وَكَذَلِكَ الصُّورَةُ الصَّافِيَّةُ أَخْتُ الصُّورَةِ الْبَسِيطَةِ ، وَلَيْسَ هَذَا تَمَايُزًا فِي اللَّفْظِ وَاللَّفْظِ ، إِذَا كَانَتَا مُتَصَاحِبَتَيْنِ^(٢) وَلَمْ تَكُونَا مُتَعَانِدَتَيْنِ .

(٢٦) وَأَمَّا الصُّورَةُ الْيَقْظِيَّةُ فَهِيَ تَجْمُوعَةٌ مِنَ الْإِحْسَاسِ ، لِحَرَاكَتِهَا^(٣) عَلَى وَجْدَانِ الْمَشَاعِرِ كُلِّهَا ، وَمَا لَهَا وَبِهَا .

(٢٧) وَأَمَّا الصُّورَةُ التَّوْحِيدِيَّةُ فَهِيَ أَيْضًا مُتَمَيِّزَةٌ عَنْ أَخْتِهَا ، أَعْنَى الْيَقْظِيَّةِ ، لَأَنَّهُمَا إِغْضَاءُ عَيْنٍ وَفَتْحُ عَيْنٍ ، أَعْنَى أَنَّ النَّائِمَ قَدْ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مِثَالَاتِ الْإِحْسَاسِ

(١) فِي (١) « لَوْعِدَ مِنْهُمَا » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « إِذَا كَانَا مُتَصَاحِبَيْنِ » الْخِ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « وَجَرَايَانِهَا » بِالْوَاوِ ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

وعَوَارِضِ الْكَوْنِ وَالْفَسَادِ ، وَفُتِحَ عَلَيْهِ بَابٌ إِلَى وَجْدَانٍ شَيْءٍ آخَرَ يَجْرِي
كَظِلِّ الشَّخْصِ مِنَ الشَّخْصِ ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ وَادِي الطَّبِيعَةِ أَوْماً إِلَى
آثَارِ الْأَخْلَاطِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ وَادِي النَّفْسِ أَوْماً إِلَى نَضْبِ التَّمَاثِيلِ ، وَإِنْ كَانَ
مِنْ وَادِي الْعَقْلِ صَرَاحَ بِحَقَائِقِ الْغَيْبِ فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ إِمَّا بِالتَّقْرِيبِ وَإِمَّا بِالتَّهْذِيبِ
أَعْنَى إِمَّا بِوُقُوعِهِ عَقِيبَ ذَلِكَ ، وَإِمَّا بَعْدَ مُهْلَةٍ .

(٢٨) وَأَمَّا الصُّورَةُ الْغَائِبِيَّةُ وَالشَّاهِدِيَّةُ فَقَدْ أَتَصَلَ الْكَلَامُ فِي شَرْحِهَا بِمَا تَقَدَّمَ
مِنْ حَدِيثِ الصُّورَةِ الْيَقِظِيَّةِ وَالنُّوْمِيَّةِ ، وَالْعِبَارَةُ عَنِ الشَّاهِدِ مَقْصُورَةٌ عَلَى وَجْدَانٍ
لِلشَّاعِرِ ، وَالْعِبَارَةُ عَنِ الْغَائِبِ مَقْصُورَةٌ عَلَى مَا تَعَلَّقَ^(١) عَلَى الْمَشَاعِرِ ، وَفِي الْغَائِبِ
شَاهِدٌ هُوَ الْمُلْحُوظُ^(٢) مِنَ الْغَائِبِ ، وَفِي الشَّاهِدِ غَائِبٌ هُوَ الْمُبْحُوثُ عَنْهُ فِي الشَّاهِدِ ،
فَالشَّاهِدُ غَائِبٌ بِوَجْهِهِ ، وَالْغَائِبُ شَاهِدٌ بِوَجْهِهِ ، حَتَّى إِذَا اسْتَجْمَعَا لَكَ كُنْتَ بَهُمَا
فِي شِعَارِهِمَا . وَالْإِلَهِيُّونَ مِنَ الْفَلَاسِفَةِ هُمُ الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ هَذَيْنِ النَّقِطَتَيْنِ ، وَعَلَوْا
هَاتَيْنِ الذَّرْوَتَيْنِ ، فَتَوَحَّدُوا عِنْدَ ذَلِكَ بِخَصَائِصِهِمْ ، وَانْسَلَخُوا عَنْ نَقَائِصِهِمْ ،
فَلَوْ قُلْتَ : مَا هَؤُلَاءِ^(٣) بِشَرِّهِ كُنْتَ صَادِقًا .

وَلَقَدْ أَحْسَنَ الَّذِي قَالَ فِي وَصْفِ الْعِصَابَةِ حَيْثُ وَصَفَ فَقَالَ :

فِينَا وَفِيكَ طَبِيعَةٌ أَرْضِيَّةٌ تَهْوِي بِنَا أَبَدًا لِشَرِّ^(٤) قَرَارٍ
لَكُنْهَا مَقْصُورَةٌ مَأْسُورَةٌ مَغْلُوبَةُ السُّلْطَانِ فِي الْأَخْرَارِ
فَجَسُومُهُمْ مِنْ أَجْلِهَا تَهْوِي بِهِمْ وَنَفُوسُهُمْ تَسْمُو سُمُومَ النَّارِ

(١) فِي (ب) لِلْوُجُودَةِ فِيهَا هَذِهِ الْعِبَارَةُ وَحْدَهَا دُونَ (١) «تَعَلَّقَ مِنْ» ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ

(٢) فِي (ب) لِلْوُجُودَةِ فِيهَا هَذِهِ الْعِبَارَةُ وَحْدَهَا دُونَ (١) «الْمُلْحُوظُ» ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا هَذَا الْكَلَامُ وَحْدَهَا دُونَ (ب) «هَؤُلَاءِ مَا يَبْشُرُ» ، وَفِيهِدْ

تَهْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ وَقَدْ نَاسَخَ كَمَا لَا يَخْفَى .

(٤) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا هَذَا الشَّرُّ وَحْدَهَا دُونَ (ب) «لِشَرِّ» ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

لولا مُنَازَعَةُ الْجُسُومِ نُفُوسَهُمْ تَفَذَّتْ بِسُورَتِهَا مِنَ الْأَقْطَارِ
عَرَفُوا لِرُوحِ اللَّهِ فِيهِ فَضْلَ مَا قَدْ آثَرُوا مِنْ صَالِحِ الْأَنَارِ
فَتَنَزَّهُوا وَتَسَكَّرُوا وَتَعَظَّمُوا عَنْ لُؤْمِ طَبْعِ الطَّيْنِ وَالْأَخْبَارِ
نَزَعُوا إِلَى الْبَحْرِ الَّذِي مِنْهُ أَتَتْ أَرْوَاحُهُمْ وَسَمَوْا عَنِ الْأَغْوَارِ
وهذا وصفٌ بليغٌ بالإضافة إلى القوم^(١).

فأما ما وراء هذا فهناك خبرٌ ثقة^(٢) بما قرَّرَ وقال :

(٢٩) وأما الصورةُ اللَّفْظِيَّةُ فهي مَسْمُوعَةٌ بِالْآلَةِ الَّتِي هِيَ الْأُذُنُ ، فَإِنْ كَانَتْ عَجَبَاءَ
فَلَهَا حُكْمٌ ، وَإِنْ كَانَتْ نَاطِقَةً فَلَهَا حُكْمٌ ، وَعَلَى الْحَالَيْنِ فَهِيَ بَيْنَ مَرَاتِبِ ثَلَاثٍ :
إِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهَا تَحْسِينُ الْإِفْهَامِ ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهَا تَحْقِيقُ الْإِفْهَامِ ،
وَعَلَى الْجَمِيعِ فَهِيَ مَوْقُوفَةٌ عَلَى خَاصٍّ مَالِهَا فِي بُرُوزِهَا مِنْ نَفْسِ الْقَائِلِ ، وَوُصُولِهَا
إِلَى نَفْسِ السَّامِعِ ؛ وَلِهَذَا الصُّورَةُ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ مَرْتَبَةٌ أُخْرَى إِذَا مَازَجَهَا اللَّحْنُ
وَالِإِبْقَاعُ بِصِنَاعَةِ الْمَوْسِيقَارِ ، فَإِنَّهَا حِينَئِذٍ تُعْطَى أُمُورًا ظَرِيفَةً ، أَعْنَى أَنَّهَا تَلْذُّ
الْإِحْسَاسَ ، وَتُثْلِبُ الْأَنْفَاسَ ، وَتَسْتَدْعِي الْكَاسِمَ وَالطَّاسَ ، وَتَرْوِّحُ الطَّبْعَ ،
وَتُنْغِمْ الْبَالُ ، وَتُدَّكِرُ بِالْعَالَمِ^(٣) الْمَشُوقِ إِلَيْهِ ، الْمُتَكَلِّفِ عَلَيْهِ .

هَذَا مُنْتَهَى كَلَامِهِ عَلَى مَا عُلِّقَ الْخِفْظُ ، وَلَقِنَ الذَّهْنَ ؛ وَلَوْ كَانَ مَأْخُودًا عَنْهُ
بِالْإِمْلَاءِ لَكَانَ أَقْوَمَ وَأَحْكَمَ ، وَلَكِنَّ السَّرْدَ بِاللِّسَانِ ، لَا يَأْتِي عَلَى جَمِيعِ الْإِمْكَانِ
فِي كُلِّ مَكَانٍ ، فَهَذَا هَذَا .

قال الوزير : هذا بابٌ في غاية الإيفاء والاستيفاء ، ومن يتحرَّك بالأعتراض

(١) في (١) التي ورد فيها وحدهما هذا الكلام دون (ب) «القول» مكان «القوم» ،
وهو تحريف فيما يظهر لنا .

(٢) في (١) التي ورد فيها هذا الكلام وحدهما دون (ب) «حرسه» ، مكان قوله :
« خبر ثقة » وهو تحريف لا يفهم له معنى . (٣) لعله يريد بالعالم : عالم الروح .

عليه فقد صَنَى^(١) ، وأَبْدَى صَفْحَتَهُ بِالْبُهْتِ ، وَدَلَّ مِنْ عَقْلِهِ عَلَى الدَّخْلِ^(٢) ،
وَمِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَى الدَّخْلِ^(٣) ؛ لَقَدْ وَهَبَ اللَّهُ لِهَذَا الرَّجُلِ مَقَامًا عَالِيًا ، وَلَا يَجِبُ فَإِنَّهُ
مُتَوَضِّعٌ بِهَذَا عَمَّا فَاتَهُ .

وقال : أَنَشَدَنِي فِي الْحَجْرِ شَيْئًا غَرِيبًا ، فَأَنَشَدْتُهُ :

(٣٠)

وَمُورِدِ الْوَجَنَاتِ يَتَعُ طَرُ حِينَ يَخْطُرُ فِي مُورِدِ
يَسْتَبِيكَ مَنْ جَفَنَ اللَّجِيْفَ إِذَا سَقَاكَ دُمُوعَ عَسَجَدِ
حَتَّى تَغْلُنَ الشَّمْسَ تَنْدُ زِلُّ أَوْ تَغْلُنَ الْأَرْضَ تَصْعَدُ
فَإِذَا سَقَاكَ بِعَيْنَيْهِ وَيَفِيهِ ثُمَّ سَقَاكَ بِالْيَدِ
حَيَّاكَ بِالْيَاقُوتِ تَعُ تِ الدَّرْمَنُ فَوْقِ^(٤) الزَّبْرِجَدِ

قال : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ ؛ هَاتِ زِيَادَةَ : فَقُلْتُ :

وَعَذْرَاءُ^(٥) تَرْغُو حِينَ يَضْرِبُهَا الْفَخْلُ كَذَا الْبِكْرُ تَنْزُو حِينَ يَفْتَقِضُهَا الْبَقْلُ
تُدِيرُ عِيُونًا فِي جُفُونٍ كَأَنَّمَا حَالِقُهَا بَيْضٌ وَأَحْدَاقُهَا نُجْلُ
كَأَنَّ حَبَابَ الْمَاءِ حَوْلَ إِيَّاهُمَا شَدُورُ^(٦) وَدُرٌّ لَيْسَ بَيْنَهُمَا فَصْلُ

(١) صنى : مال .

(٢) فى (١) التى ورد فيها هذا الكلام وحدها دون (ب) « الرجل » ؛ وهو تصحيف
والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٣) فى (١) التى ورد فيها هذا الكلام وحدها دون (ب) « الحال » ؛ وهو تصحيف ؛
وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٤) فى (١) التى ورد فيها وحدها دون (ب) هذا الشعر ما نصه :

حياك بالياقوت فو * قى الدر من تحت الزبرجد

وهو تبديل من الناسخ - رواه ما أثبتنا . إذ الحجر للشبهة بالياقوت إنما تكون تحت الحبيب
للشبهة بالدر ؛ وكلاهما فوق الكأس للشبهة بالزبرجد .

(٥) يزيد بالعذراء : البكر من الحجر . ويريد بالفعل : الماء الذى تمزج به .

(٦) فى (١) التى ورد فيها هذا الشعر وحدها « أناسا شذود » وهو تحريف فى
كلتا الكلمتين .

تَوَهَّمْتُهَا فِي كَأْسِهَا فَكَأْنَمَا تَوَهَّمْتُ شَيْئًا لَيْسَ بِذِكْرِهِ الْعَقْلُ
إِذَا اشْتَبَكَتْ رَجُلًا مِنْ سُورَةِ الْكَرَى دَرَجْتُ إِلَيْهَا مِثْلَ مَا يَدْرُجُ الْعَقْلُ
وَأَنْشَدْتُ لآخر :

وَكَمْ عَائِبٍ لِلْخَمْرِ لَوْ أَنَّ أُمَّه تَبُولُ مُدَامًا لَمْ يَزَلْ يَسْتَبِيلُهَا
وَلآخر :

خَلِيلِي لَوْمَانِي ^(١) عَلَى الْخَمْرِ أَوْ دَعَا فَإِنَّ تَجِدَا عِنْدِي عَلَى اللَّوْمِ مَطْعَمَا
وَشَبَّ ^(٢) سَنَا نَارٍ لَعَلَّ نَدِيمَنَا بَنَجْرَانِ أَنْ يَلْقَى سَنَاهَا فَيَنْبَعَا
فَمَا رَاعَنَا إِذْ أَوْقَدَتْ فَوْقَ رَبْوَةٍ مِنْ الْأَرْضِ إِلَّا رَاكِبَانِ قَدْ أَوْضَعَا
فَهَشَّاءَ إِلَيْنَا نَمِ قَالَا : أَلَا أُنِيعَا مَسَاءَ فَقُلْنَا : دَامَ ذَلِكَ لَنَا مَتَا
وَأَنْشَدْتُ لآخر :

سَقَوْنِي وَقَالُوا لَا تُغْنِ وَلَوْ سَقَوْنَا جِبَالَ شِمَامٍ ^(٣) مَا سَقَوْنِي لَغَنَّتِ
وَأَنْشَدْتُ أَيْضًا :

الْكَأْسُ لَا تَذَرِي وَلَا الْخَمْرُ مِنْ أَىِّ شَيْءٍ عَجَّلَ الشُّكْرُ
أَشْكُرُنِي مِنْ قَبْلِ شُرْبِي لَهَا مَنْ دَابُّهُ الْإِعْرَاضُ وَالْهَجْرُ
قُلْتُ لَهُ وَالْخَمْرُ فِي كَأْسِهِ ^(٤) كَأْنُهَا فِي كَفِّهِ بِذَرُ

(١) في (١) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها « أوماني » ؛ وهو تحريف .

(٢) في (١) « وسنا » بالسين والنون ؛ وهو تصحيف .

(٣) شمام : جبل لباهلة له رأسان يسميان ابني شمام ؛ ويضرب بهما المثل في الاجتماع وعدم الفرقة .

(٤) عبارة (١) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها « في كفه » كَأْنُهَا فِي كَأْسِهِ ؛ وهو خطأ من الناسخ ؛ وسيأتي المعنى يتضح ما أثبتنا . إذ المعروف تعبيه الكأس باليد ، لا تعبيه الخمر به .

أَنْتَ لَعْمَرَى الْخَمْرُ يَأْسِيْدِي لَيْسَ الَّذِي سَقَيْتَنِي الْخَمْرُ
آخِرُ :

نَزَكَتِ النَّبِيْذُ لِأَهْلِ النَّبِيْذِ فَخَارَ لِيَ اللهُ فِي تَرْكِهِ
وَقَدْ كُنْتُ قَدْماً بِهِ مُفْجَبًا أَرْوَحُ وَأَغْدُو إِلَى سَفْكِهِ^(١)

فقال : قد جَرَى هذا أيضاً على التَّام . اختتم مجلسنا بدُعاء الصُّوفِيَّةِ .
فقلتُ : سَمِعْتُ ابْنَ سَمْعُونَ يَدْعُو فِي الْجَامِعِ فِي آخِرِ مَجْلِسِهِ وَيَقُولُ : اَللّهُمَّ
اجْعَلْ قَوْلَنَا مَوْضُوعًا بِالْعَمَلِ ، وَعَمَلَنَا مُحَقَّقًا لِلْأَمَلِ ، وَلَا تُضَايِقْنَا فِيمَا نَتَحَوَّلُ بِهِ ،
وَنَتَقَلَّبُ لَكَ فِيهِ ، وَكَتَّفَ عَلَيْنَا بَسِطَكَ ، وَسَوَّغَنَا بِرِّكَ ، وَالْهَيْمَنَّا شُكْرَكَ ،
وَحَفَّفَ عَلَيَّ أَفْوَاهِنَا ذِكْرَكَ ، وَأَخْصَصْنَا بِكَ ذَلِكَ بِمَا هُوَ أَلْيَقُ بِذَلِكَ ؛ اَللّهُمَّ
اسْمَعْ وَأَسْتَجِبْ وَقَرِّبْ . وَأَنْصَرَفْتُ .

الليلة الثامنة والثلاثون

وَجَرَى لَيْلَةً بِمَحْضَرَةِ الْوَزِيرِ — أَعْلَى اللهُ كَلِمَتَهُ ، وَأَدَامَ غَيْظَتَهُ ، وَوَالَى
نِعْمَتَهُ — أَحَقُّ مَنْ دُعِيَ لَهُ ، وَأَشْرَفُ مَنْ بُوِيَّ بِهِ ، وَأَكْمَلُ مَنْ شُوهِدَ
فِي عَصْرِهِ — حَدِيثُ ابْنِ يَوْسَفَ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ غَنَائَتِهِ وَرِثَانَتِهِ ، وَعِبَارَتِهِ^(٢)
وَحَسَاسَتِهِ .

فقلتُ له : عِنْدِي حَدِيثٌ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْوَزِيرَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ ، عَارِفٌ بِهِ .

(١) فِي (١) الْوَرْدُ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الشَّعْرُ «بَيْتًا» بِالْبَاءِ وَالنَّاءِ مَكَانَ قَوْلِهِ «سَفْكِهِ»
وَلَمْ نَجِدْ لَهُ مَعْنًى يَنْسَبُ إِلَى الْوَرْدِ ؛ وَلَعَلَّ الصَّوَابَ مَا أَثْبَتْنَا لِأَنَّ الْمَرْوَفَ تَشْبِيهُ الْخَمْرِ بِالْهَيْمَنِ الْمُسْفُوكِ ؛
وَقَدْ جَاءَ هَذَا كَثِيرًا فِي الشَّعْرِ .

(٢) فِي (١) الْوَرْدُ فِيهَا هَذَا السَّكَّامُ وَحْدَهَا دُونَ (ب) «وَعِبَارَتِهِ» بِالْبَاءِ الْوَحْدَةُ ؛
وَهُوَ تَصْغِيفٌ .

قال : ما ذاك ؟ قلت : حَدَّثَنِي أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْقَاضِي التَّنُوخِيُّ قَالَ :
 كُنْتُ فِي الصُّحْبَةِ إِلَى هَـذَـانِ سَنَةِ تِسْعٍ وَسِتِّينَ ، وَكُنَّا جَمَاعَةً وَفِينَا ابْنُ حَرْبَارٍ ^(١)
 أَبُو مُحَمَّدٍ ، وَكَانَ فِي جَنْبِهِ ابْنُ يُوسُفَ ، فَاتَّفَقَ أَنَّ عَصَدَ الدَّوْلَةَ — بِرَدِّ اللَّهِ
 مَضْجَعَهُ — قَالَ لِابْنِ شَاهَوِيَّةَ : سِرْ إِلَى ابْنِ حَرْبَارٍ ^(٢) وَقُلْ لَهُ : يَنْبَغِي أَنْ تَسِيرَ
 إِلَى الْبَصْرَةِ وَإِنَّا نَجْعَلُ لَكَ فِيهَا مَعُونَةً ، فَقَدْ طَالَ مُقَامُكَ عِنْدَنَا ، وَتَوَالَى تَبَرُّؤُنَا
 بِكَ ، وَتَبَرُّؤُكَ بِنَا ، وَلَيْسَ لَكَ بِحَضْرَتِنَا مَا تُحِبُّهُ وَتَقْتَرِحُهُ ، وَالسَّلَامَةُ لَكَ
 فِي بُعْدِكَ عَنَّا قَبْلَ أَنْ يُفِضَى ذَلِكَ إِلَى تَعْيِينِنَا . وَكَلَامًا فِي هَذَا التَّوَعُّ .

قال : وَنَفَذَ أَبُو بَكْرٍ وَمَعَهُ آخَرُ مِنَ الْمَجْلِسِ يَشْهَدُ التَّبْلِغَ وَالْأَدَاءَ ^(٣) ،
 وَيَسْمَعُ الْجَوَابَ وَالْأَبْتِدَاءَ — عَلَى رَسْمِ كَانَ مَعْنُودًا فِي مِثْلِ هَذَا الْبَابِ — فَلَقِيَ
 ابْنَ حَرْبَارٍ ^(١) وَشَافَهُ بِالرَّسَالَةِ عَلَى التَّامِّ ؛ فَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ لَمَّا سَمِعَ : الْأَمْرُ لَكَ ،
 وَلَا خِلَافَ عَلَيْهِ ؛ وَلَعَمْرِي إِنَّ النَّاسَ يَجْدُودُهُمْ يَنَالُونَ حُظُوظَهُمْ ، وَبِمُحْظُوظِهِمْ
 يَسْتَعْدِمُونَ جُدُودَهُمْ ؛ وَلَوْ وَفَّقْتُ مَا كَانَ هَجِيئًا ، فَقَدْ نَالَ مَنْ هُوَ أَتَقْصُ مَنِّي ،
 وَبَلَغَ اللَّيِّ مَنْ أَنَا أَشْرَفُ ^(٢) مِنْهُ ، وَلَكِنَّ الْمَقَادِيرَ غَالِبَةٌ ، وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ عَنْهَا
 مَرْتَحَلٌ ؛ وَقَدْ قِيلَ : مَنْ سَاوَرَ الدَّهْرَ غُلِبَ ، وَلَكِنْ أَتَيْهَا الشَّيْخُ لِي حَاجَةٌ :
 أَحِبُّ أَنْ تُبَلِّغَ الْمَلِكَ كَلِمَةً عَنِّي . قَالَ : هَاتِيهَا ؛ قَالَ : تَقُولُ لَهُ : أَنَا صَائِرٌ إِلَى
 مَا رَسَمْتَ ، وَمُمْتَحِلٌ مَا أَمَرْتَ ، بَعْدَ أَنْ تَقْضَى لِي وَطَرٌ فِي نَفْسِي ، قَدْ تَقَطَّعَ
 عَلَيْهِ نَفْسِي ، وَذَلِكَ أَنْ تَتَقَدَّمَ فَيُقَامَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يُوسُفَ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَيَضَعُغَانِهِ
 مَائَتَيْنِ ، وَيَقُولَانِ لَهُ : إِذَا لَمْ تَبْذُلْ جَاهَكَ لِمَتْلَهْفٍ ، وَلَا عِنْدَكَ فَرَجٌ لِمَكْرُوبٍ ،

(١) كَذَا وَرَدَ هَذَا الْاسْمُ فِي الْأَصُولِ وَلَمْ تَقَفْ عَلَى تَصْحِيحِهِ ؛ وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ الصَّوَابُ فِيهِ ابْنُ
 « حَذْقَار » فَإِنَّ هَذَا مِنْ أَهْمَانِهِمْ .

(٢) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا هَذَا الْكَلَامُ وَحْدَهُمَا « وَالْأَرَاءَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « أَشْف » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

ولا يرثي لضعيف ، ولا عطاء لسائل ، ولا جائزة لشاعر ، ولا مرثي لمُنْتَجِع ،
ولا مأوى لضعيف ، فلم يُخاطبُ بسيدنا ، وتقبل لك اليد ، ويقام لك إذا طَلَعْتَ ؟؟
قال ابن شاهويه : فقبل أن لقيتُ الملكَ أفصح^(١) له الذي كان معي مُشْرِفاً
على . فلما دَخَلْتُ الدارَ عُرِفْتُ ، فقال : على به ، فحضرتُه وابنُ يوسفَ قاعدُ
بين يديه على رُسمِهِ . فقال لي : هاتِ الجوابَ عما نَعَذَّتْ فيه ؛ فقلت : الجوابُ
عندك ، فقال : ما أعجَبَ هذا ! أنتَ حُمِلْتَ الرسالةَ وأطالِبُ غيرَكَ بالجوابِ ؟
قال : فلو لَوِيتُ حياءَ من ابنِ يوسفَ ، فقال : هاتِ يا هذا الحديثَ بقصَّة ، فوالله
لا أفنَعُ إلا به ، ما هذا التواني والتكاسل ، فكرهتُ اللجاجَ ، فسردتُه على
وَجْهِهِ ، ولم أغادرُ منه حرفاً ، وابنُ يوسفَ يتقدَّدُ في إهابه^(٢) ، ويتغير^(٣) وَجْهُهُ
عند كلِّ لفظَةٍ تمرُّ به ، فأقبلَ عليه الملكُ وقال : كيفَ ترى يا أبا القاسمِ
الكيسَ ؟ فقال : يا مولانا ، إنما أنا أقضي الحاجةَ بك ، فإذا لمَ تَقْضِها كيفَ
أكون ؟ فإن الحوائجَ كلها إليك .

قال : صدَقْتُ ، أنا لا أقضي حاجةَ لك ، لأنك لا تنصِدُ بها وَجْهَ الله ،
ولا تبتغي بها مكرُمة ، ولا تحفظُ بها مروة ، وإنما ترثي عليها ، وتُصانِعُ
بها ، وتجعلني باباً من أبوابِ تجارِتك وأرباحِك ، ولو كنتَ أعلمُ أنكَ تقضي
حاجةَ الله أو لمكرُمة أو لرحمة ورفقة لكان ذلك مهلاً على ، وخفيماً عِنْدِي ،
لكِنَّكَ معرُوفُ المذهبِ في الطمع والحيلة ، وجَرُّ النارِ إلى قُرْصِكَ ، وشرِّهِكَ
في جميعِ أحوالِكَ ؛ وليس الذَّنْبُ لك ، ولكن لمن رآكَ إنساناً وأنتَ كُلبٌ .

(١) في كلا الأصلين : « ما أفصح » . و « ما » زيادة من الناسخ .

(٢) في (ب) « في ثيابه » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (أ) « يتغير » .

وَصَدَقَ — صَدَقَ اللَّهُ قَوْلَهُ — فَإِنَّهُ كَانَ أَحْسَنَ خَلْقِ اللَّهِ ، وَأَتَمَّ النَّاسِ ،
وَأَقْدَرَ النَّاسِ ، لَا مَنَظَرَ وَلَا مَخْبَرٍ .

وكانت أئمة مُفَنِّيةً مِنْ أَهْلِ الْبَيْضَاءِ ، وَأَبُوهُ مِنْ أَسْقَاطِ النَّاسِ ، وَنَشَأَ مَعَ
أَشْكَالِهِ ، وَكَانَ فِي مَكْتَبِ^(١) الرَّبَّيْضِيِّ عَلَى أَحْوَالٍ فَاحِشَةٍ ، وَوَرَقَ زَمَانًا ، ثُمَّ
إِنَّ الزَّمَانَ نَوَّهَ بِهِ ، وَنَبَّهَ عَلَيْهِ ، وَمِثْلُ هَذَا يَكُونُ ، وَالْأَيَّامُ ظُهُورٌ وَبُطُونٌ ؛
وَكَمَا يَسْتَقْطُ الْفَاضِلُ إِذَا عَانَدَهُ الْجَدَّةُ ، كَذَلِكَ يَرْتَفِعُ السَّاقِطُ إِذَا سَاعَدَهُ الْجَدَّةُ
فَهَذَا هَذَا ؛

فَقَالَ : مَا كَانَ هَذَا الْحَدِيثُ عِنْدِي ، وَإِنَّهُ لَمِنْ الْغَرِيبِ .
ثُمَّ قَالَ : كَيْفَ خَبَرُكَ فِي الْفِتْنَةِ الَّتِي عَرَضَتْ وَانْتَشَرَتْ ، وَتَفَاقَتْ
وَتَمَاظَمَتْ ؟

فَكَانَ مِنَ الْجَوَابِ : خَبَرٌ مِنْ شَهِيدٍ أَوَّلَهَا ، وَغَرِقَ فِي وَسْطِهَا ، وَنَجَا فِي آخِرِهَا .
قَالَ ؛ حَدَّثَنِي فَإِنَّ فِي رِوَايَتِهِ وَسَمَاعِهِ تَبَصُّرَةً وَتَعْجُّبًا ، وَزِيَادَةً فِي التَّجَرُّبَةِ .
وَقَدْ قِيلَ : تَجَارِبُ الْمُتَقَدِّمِينَ ، مَرَّاتٍ^(٢) الْمُتَأَخِّرِينَ ، كَمَا يُبْصَرُ فِيهَا مَا كَانَ ،
يُبْتَصَّرُ بِهَا فِيمَا سَيَكُونُ ، وَالشَّاعِرُ قَدْ قَالَ :

وَالدَّهْرُ آخِرُهُ شَبَهُ بِأَوَّلِهِ نَاسٌ كَنَاسٍ وَأَيَّامٌ كَأَيَّامِ
وَلَيْسَ مِنْ حَادِثَةٍ مَاضِيَةٍ إِلَّا وَهِيَ تُعَرِّفُكَ الْخَطَأَ وَالصَّوَابَ مِنْهَا لِتَكُونَ عَلَى
أَهْبَةٍ فِي أَخْذِكَ وَتَرْكِكَ ، وَإِقْدَامِكَ وَنُكُودِكَ ، وَقَبْضِكَ وَبَسْطِكَ ، وَهَذَا
وَإِنْ كَانَ لَا يَبْقَى كُلُّ الْوَقَايَةِ ، فَإِنَّهُ لَا يَبْقَى فِي التَّهْلُكَةِ كُلُّ الْإِقْدَاءِ .

(١) فِي (ب) «مَكْتَبٌ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَفِي (أ) «الرَّمْضِيُّ» بِالْمِيمِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ أَيْضًا .

(٢) فِي (أ) «مَرَّاتٍ» ، وَفِي (ب) «مَرَّاتٍ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ .

كان أول هذه الحادثة الفظيعة البَشِعة التي حَيَّرَت العقول وولَّهت الأبواب ،
وسافَرَ عنها التوفيق ، وأستولى عليها الخِذلان ، وعُدِمَت فيه البصائر ، شَيْءٌ كَلَّا
شَيْءٌ ، وإذا أراد الله [تعالى ذكره] أن يُعْظِمَ صغيراً قتل ، وإذا شاء أن يُصَغِّرَ
عظماً قَدَرَ ، لَهُ الخَلْقُ والأمر ، ولا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ، ولا رادَّ لِقَضَائِهِ ، ولا صَارِفَ
لِقُدْرِهِ ؛ وقُدْرَةُ الإنسان محدودة ، وأستطاعته مُتَنَاهِيَةٌ ، وأختيَارُهُ قَصِيرٌ ، وطَاقَتُهُ
مَعْرُوفَةٌ ؛ وكلُّ ما جاوز هذا الحَدَّ وهذا ^(١) التَّنَاهَى فهو الذي يَجْرَى على الإنسان
شاءَ أَوْ أَبِي ، كَرِهَ أَوْ رَضِيَ ، وما هُنَا يُفْرَعُ إلى الله مِنْ نازِلِ الْمَكْرُوهِ ،
وحَادِثِ الْمَحْذُورِ .

وَذَلِكَ أَنَّ الرُّومَ تَهَايَجَتْ على المُسْلِمِينَ ، فَسَارَتْ إلى نَصِيبِينَ بِجَمْعٍ عَظِيمٍ
زَائِدٍ على مَا عَهِدَ على مَرَّ السَّنِينَ ، وَكَانَ هَذَا فِي آخِرِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ ، خَافَ ^(٢)
النَّاسُ بِالْمَوْصِلِ وَمَا نَوَلُمَا ، وَأَخَذُوا فِي الْأُنْحَادِ على رُغْبٍ قَذِفَ فِي قُلُوبِهِمْ ،
لِيَكُونَ سَبَباً لِمَا صَارَ إِلَيْهِ [الْأَمْرُ] ؛ وَمَا جَ النَّاسُ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ وَأَضْطَرُّوا ،
وَتَقَسَّمَ هَذَا الْمَوْجُ والأضطرابُ بَيْنَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ ؛ وَصَارَتِ الْعَامَّةُ طَائِفَتَيْنِ ،
طَائِفَةٌ تَرَقَّى لِلَّذِينَ وَلِمَا دَهَمَ الْمُسْلِمِينَ ، وَتَسْتَفْظِمُ ذَلِكَ فَرَقاً مِمَّا يُنْتَهَى إِلَيْهِ ، بَعْدَ
مَا يُؤْتَى عَلَيْهِ ؛ وَطَائِفَةٌ وَجَدَتْ فُرْصَتَهَا فِي الْعَيْثِ وَالْفَسَادِ ، وَالنَّهْبِ وَالْفَارَةِ
بِوَسَامِلَةِ التَّعَصُّبِ لِلْمَذْهَبِ .

وَاِفْتَرَقَتِ الْخَاصَّةُ أَيْضاً فِرْقَتَيْنِ : فِرْقَةٌ أَحَبَّتْ أَنْ تَكُونَ لِلنَّاسِ حَاجَةً ^(٣)
لِلْإِسْلَامِ ، وَنُهَوْضٌ إِلَى الْغَزْوِ ، وَانْبِعَاطٌ فِي نُصْرَةِ الْمُسْلِمِينَ ، إِذْ قَدْ أَضْرَبَ

(١) في (ب) ؛ « د وهو » ؛ وهو تحريف .

(٢) في (١) « خلق » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (ب) « حيا » ؛ وهو تحريف .

السلطان عن هذا الحديث، لأنهما كِه في القصف والعزف، وإغراضه عن المصلح الدينية، والخيرات السياسية؛ وطائفة اختارت السكون والإقبال على ما هو أحسن لمادة الثوب والهنج، وأقطع أشعب الشاغب، وأقع غلاف التهم؛ فإن الاختلاف إذا عرض خفي موضع الاتفاق، والتبس الأمر على الصغار والكبار؛ وبمثل هذا فتحت البلاد، وميلت الحصون، وأزيلت التعم، وأريق الدماء، وهتكت المحارم، وأيدت الأمم؛ ونمود بالله من غضب الله ومما قرب من [سخط] الله؛ وإذا أراد الله أمراً كثر بواعيه، وفرق نوابه^(١).

ولما اشتعلت النائرة، واشتعلت النائرة، صاح الناس: التغير التغير، وإسلامه، وأحمداه، وأصوامه، وأصلاته، وأحجائه، وأغزواه، وأمره، في أيدي الرثوم والطغاة. وكان عز الدولة قد خرج في ذلك الأوان إلى الكوفة لصيد، ولأغراض غير ذلك؛ فاجتمع الناس عند الشيوخ والأمثال والوجوه والأشراف والعلماء، وكانت النتيجة^(٢) بعد حسنة، وللناس في ظل السلطان مبيت ومقيل، يستعذبون ورد، ويستسهلون صدره، وعجوا وضجوا، وقالوا: الله الله، انظروا في أمر الضعفاء وأحوال الفقراء؛ وأغضبوا لله ولدينه؛ فإن هذا الأمر إذا تفاقم تعدى ضعفاءنا إلى أقويانا، وبطل رأي كبرائنا في تدمير صغرائنا؛ واليادارك واجب، وهو الإسلام، إن لم تدب عنه غلب الكفر، وهو الأمن والسكون إن لم يحفظا، فهو الخوف والبلاء وذهاب الحرث والنسل،

(١) في كلتا النسختين: «نوابه»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق.

ونواب الأمر: مثيرات دفة ومظاهرات خفية.

(٢) في (١) «الثقة» وفي (ب) «البقية» وفي (١) «تمد» مكان قوله «بعد»؛

وهو تحريف.

وَفَضِيحَةُ الْوَلَدِ وَالْأَهْلِ . فَسَكَنَ الْمَشَاحِجُ مِنْهُمْ ، وَطَلَبُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَقَوَّوْا مِنْهُمْ
وَوَعَدُوهُمْ أَنْ يَرْتَوُوا^(١) فِيهِ مُتَّفِقِينَ ، وَيَجْتَمِعُوا عَلَيْهِ مُجْتَهِدِينَ ، وَيَسْتَخِيرُوا اللَّهَ
ضَارِعِينَ ؛ وَانصَرَفَ النَّاسُ عَنْهُمْ ، وَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ : أَبُو تَمَّامِ الزَّيْنَبِيُّ ، وَعَمَدُ
ابْنُ صَالِحِ بْنِ شَيْبَانَ ، وَابْنُ مَعْرُوفِ الْقَاضِي ، وَابْنُ غَسَّانِ الْقَاضِي ، وَابْنُ
مُسْكِرَمَ — وَكَانَ مِنْ كِبَارِ الشُّهُودِ فِي سُوقِ^(٢) يَحْتَي — وَابْنُ أَيُّوبَ الْفُطَّانِ
الْعَدْلُ وَأَبُو بَكْرٍ الرَّازِيُّ الْفَقِيهَ ، وَعَلِيُّ بْنُ عِيسَى وَالْعَوَّامِيُّ صَاحِبُ الزَّيْبَرِيِّ^(٣) ،
وَابْنُ رُبَاطٍ شَيْخُ الْكَرْنَجِ ، وَنَائِبُ الشَّيْخَةِ^(٤) وَلِسَانُ الْجَمَاعَةِ ، وَابْنُ آدَمَ
الْقَاجِرِ^(٥) ، وَالشَّالُوسِيُّ أَبُو مُحَمَّدٍ ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ يَطُولُ ذِكْرُهُمْ ؛ وَتَشَاوَرُوا
وَتَفَاوَضُوا ، وَقَلَّبُوا الْأَمْرَ ، وَشَعَبُوا الْقَوْلَ ؛ وَصَوَّبُوا وَصَعَّدُوا ، وَقَرَّبُوا وَبَعَّدُوا^(٦)
وَالْيَأْمُ لَمْ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَخْرُجَ طَائِفَةٌ وَرَاءَ الْأَمِيرِ بِخَتِيبٍ إِلَى الْكَرْفَةِ وَتَلْقَاهُ
وَتُعَرِّفَهُ^(٧) مَا قَدْ شَمِلَ مَدِينَةَ السَّلَامِ مِنَ الْأَهْتَامِ ؛ وَأَنَّ الْخَوْفَ قَدْ غَلَبَهُمْ ،
وَأَنَّ الذُّعْرَ قَدْ مَلَكَهُمْ ؛ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ : لَوْ كَانَ لَنَا خَلِيفَةٌ أَوْ أَمِيرٌ أَوْ نَظِيرٌ
سَائِسٌ لَمْ يُفِضْ الْأَمْرُ إِلَى هَذِهِ الشَّنَاعَةِ ؛ وَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُطِيعَ لِلَّهِ إِنَّمَا وَلَّاهُ
مَا وَرَاءَ بَابِهِ لِيَقْبِظَ فِي لَيْلِهِ ، مَتَمَكِّرًا فِي مَصَالِحِ الرِّعَايَا ، وَيُنْفِذَ فِي نَهَارِهِ أَمْرًا
وَنَاهِيًا مَا يَعُودُ بِعَمْرِ أَشَدِّ الدِّينِ ، وَمَنَافِعِ الدَّانِينَ وَالْقَاصِينَ^(٨) وَإِلَّا فَلَا طَاعَةَ ؛

(١) في كلتا النسختين : « يرتوا » بالثاء وسقوط الهمز ؛ وهو تعريف .

(٢) سوق يحيى كانت في الجانب الشرق من بغداد ، كانت بين الرصافة ودار الملكة ؛

وهي منسوبة إلى يحيى بن خالد البرمكي ؛ وهي محلة ابن حجاج الشاهر المعروف .

(٣) في (ب) « الزهرى » مكان « الزبيرى » .

(٤) في (أ) « ونائب السبعة » وفي (ب) « باب الشيعة » . وهو تعريف في كلتا النسختين .

(٥) في (ب) « الشاهر » .

(٦) في (أ) « وقعدوا » ؛ وهو تعريف .

(٧) في (ب) « وتعلمه » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٨) كذا في (ب) . والذي في (أ) « الواردين والقاصدين » ؛ وما أثبتناه أولى بالسياق .

وكلاماً على هذا الطابع ، وفي هذا النسخ ؛ فاتفق جماعة على صريمة الرأي في الحركة إلى الكوفة ، منهم أبو كعب الأنصاري ، وأبو الحسن مذرّة القوم ، وعلى ابن عيسى ، والعمامي ، وابن حسان القاضي صاحب الوقوف ، وأبو أحمد الجرجاني القاضي البليغ ، وابن ستيار القاضي أبو بكر ، وأبو بكر الرازي .
وأما جمل ، فإنه ذكر ما به من وجع النقرس ، واستعفى .

وأما أبو سعيد السيرافي ، فإنه ذكر ضعفاً وسناً ، وقال : أنا ^(١) أعين في هذه النائية بإقامة رجل جليل مزاحم الملة بالفرس والسلاح ، وقعد الجمل التغير ، وسارت الجماعة إلى الكوفة ، ولحقت عز الدولة في التصيد ، وانتظرتة ؛ فلما عاد قامت في وجهه واستأذنت في الوصول إليه على خلوة وسكون بال وقلة شغل ؛ فلم يلتفت إليهم ، ولا عاج عليهم — وكان وافر الحظ من سوء الأدب ، قليل التباعث من أهل الفضل والحكمة — ثم قيل له : إن القوم وردوا في مهم لا يجوز النفاذ عنه ، والإمسك دونه ، فأذن ^(٢) لهم بين اللزب والتممة ، فجلسوا بحضرته كما اتفق من غير ترتيب ، فقال : تكلموا .

فقال أبو الوفاء المهندس لأبي بكر الرازي : تكلم أيها الشيخ ، فإنك رضا الجماعة ، ومقنع المصابة .

فقال أبو بكر : الحمد لله الذي لا موهبة إلا منه ، ولا بلوى إلا بقضائه ، لا مفرغ إلا إليه ، ولا يسر إلا فيما يسره ، ولا مصلحة إلا فيما قدره ؛ له الحكم وإليه الأصيل ، وصلى الله على سيدنا محمد رسوله للبعوث ، إلى الوارث والموروث ؛ أما بعد ، فإن الله [تعالى] قد حص على الجهاد ، وأمر بإعزاز الدين ،

(١) في (١) « لا » ، وهو تحريف .

(٢) في (ب) « فأمر » .

والدَّبَّ عن الحرِّيم والإسلام والمسلمين في الدهر الصالح، والزمان المطئن؛ فكيف إذا اضطرب الحبل وانتكشت مريته، وأبرز مَصُونُهُ، وعُرِّيَ حَرِيمُهُ بالاستباحة؛ ونيل جانبه بالضم، وضعف مناره بالرغم، وقصد ركنه بالهضم، وأنت أيها^(١) المولى من وراء سُدَّة أمير المؤمنين الطمع لله، والحامل لأعباء حُمَمَانِهِ، والناهض بأثقال نَوَائِبِهِ وأَحْدَاثِهِ؛ والمفرغ إليك، والمؤمل عليك، فإن كان منك جدٌّ وتسميرٌ فما أقرب الفرج بما قد أظَلَّ وأزْهَج، وإن كان منك تَوَانٍ وتقصيرٌ فما أضعب من خطب؟ وما أبعد من شغب!! وقد جثناكَ نُحَقِّقُ عندك ما بَلَغَكَ من تَوَسُّط هذه الطاغية أطرافاً للوَصِيل وما والاهما، وأنَّ الناس قد جَلَّوْا عن أوطانهم، وفَتِنُوا في أديانهم^(٢) وضعفوا عن حَقِيقَةِ إيمانهم؛ للرَّغْبِ الذي أَذْهَلَهُمْ، والخَوْفِ الذي وَهَلَهُمْ؛ وإِنَّمَا هُمْ بَيْنَ أَحْقَالٍ صِغَارٍ، ونِسَاءٍ ضِعَافٍ، وشيوخٍ قد أَخَذَ الزَّمانُ منهم، فهم أرضٌ لكلِّ واطئٍ، ونَهْبٌ لكلِّ يدٍ؛ وشباب لا يَقْضُونَ لعدوِّهم لِقْلَةً سَلاحِهِمْ، وسوء تَأْتِيهِمْ^(٣) في القِرَاعِ والدِّفاع؛ ونحن نَسْتَلِكَ أن تَهْوِيَّ في أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يَزِفُكَ عنده، ويكون لك في ذلك دُخْرٌ من مَنَافِعَتِهِ وبُخْتِيَارِ مُطَرِّقٍ.

ثم اندفع على بن عيسى فقال: أيها الأمير، إن الصغير يتدارك قبل أن يكبر، فكيف يجوز ألا يستقبل بالجدِّ والأجتهاد وهو قد عَسَا وَكَبُرَ. والله إن^(٤) بنا إلا أن يظنَّ أهلُ الجبلِ وأذريجانَ وخُرَّاسانَ أنَّه ليس لنا ذابٌّ

(١) كذا في (ب). وهبارة (١) «وأنت أمير الأمير المولى ما وراء سيده»، ولا يخفى

ما فيها من اضطراب.

(٢) في (١) «ديارهم»؛ وهو تحريف.

(٣) كذا في (ب)؛ والذي في (١) بأسهم؛ وهو تحريف إذ أن سوء البأس في هذا الموضع

مما يحمد لا مما يباب. (٤) «إن» في هذا الموضع نافية بمعنى «ما».

عن حريمنا ، ولا ناصرٍ لِدِينِنَا ، ولا حافظٌ لَبَيْضَتِنَا ، ولا مُفَرِّجٌ لَكُرْبَتِنَا ،
ولا مَنْ يَهْمُهُ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِنَا ، فَاللهُ اللهُ ، لا تَجُرَّنْ عَلَيْنَا شِمَاتِهِمْ بِنَا ،
وَحُذْ بِأَيْدِنَا بِقُوَّتِكَ ، وَحُسْنِ نَيْتِكَ ، وَحَمِيدِ طَوْبِكَ ، وَعِزِّكَ وَسُلْطَانِكَ ،
وَأَوْلِيَانِكَ وَأَعْوَانِكَ ، وَأَكْتُبْ قَبْلَ هَذَا إِلَى عُدَّةِ الدَّوْلَةِ بِمَا يَنْبَغُهُ عَلَى حِفْظِ
أَطْرَافِهِ ، وَحِرَاسَةِ أَكْنَافِهِ ، مَعَ اسْتِطْلَاعِ الرَّأْيِ مِنْ جِهَتِكَ ، وَمُطَالَعَةِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِرَأْيِكَ وَمَشُورَتِكَ .

ثم رفع الأنصارى رأسه وقال : ليس في تَكْرِيرِ الكلام — أطلال الله
بقاء الأمير — فائدةٌ كبيرة ، ولئن كانَ الإيجازُ في هَذَا الباب لا يَكُنِي ،
فَالِإِطْنَابُ فِيهِ أَيْضًا لَا يُغْنِي ، وَاللهُ لَوْنَهَضَتْ بِنَا وَنَحْنُ أَحْرَاضٌ ^(١) كَمَا تَرَى
لَا نُقَلِّبُ مَحْصَرَةً ^(٢) بَكْفٍ ، وَلَا نَزْمِي دُخْرُوجَةً ^(٣) بَيِّدٍ ، وَلَا نَعْرِفُ سِلَاحًا
إِلَّا بِالْأَسْمِ ، لَنَهْضُنَا وَسِرْنَا تَحْتَ رَابِتِكَ ، وَتَصَرَّفْنَا بَيْنَ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ ،
وَقَدْ يَنَّاكَ بَارِزًا وَاحِدًا ضَنَّا بِكَ ، وَبَعَثْنَا عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ أَحْدَانَنَا وَأَوْلَادَنَا الَّذِينَ
رَبَّيْنَاهُمْ بِنِعْمَتِكَ ، وَخَرَجْنَاهُمْ فِي أَيَّامِكَ ، وَأَذَخَرْنَاهُمْ لِلنَّوَازِلِ إِذَا قَامَتْ ،
وَالْحَوَادِثِ إِذَا تَرَامَتْ ، فَإِنْ كَانَ فِي الْمَالِ قَلَّةٌ فَخُذْ مِنْ مُوسِرِنَا وَمَنْ لَهُ فَضْلٌ
فِي حَالِهِ ، فَإِنَّهُ يُفَرِّجُ عَنْهُ طَاعَةً لَكَ ، وَطَمَعًا فِيمَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الثَّوَابِ .

(١) في (ب) «أحراس» بالصاد ؛ وهو تصحيف . والأحراس : جمع حرس بالتحريك
وهو الكال والي والعرف على الملاك .

(٢) في (١) «محصره» بالحاء المهملة ؛ وفي (ب) «محصرة» بالحاء المهملة والضماد المعجمة
وهو تصحيف في كلتا النسخين . والمحصرة : ما يتوكل عليه من عصا ونحوها .

(٣) في كلتا النسخين «محبوحة» وهو تحريف إذ لم نجد له معنى يتناسب السياق ، ولعل
صوابه ما أُنْبِتْنَا . والدخروجة : ما يدرجه الجمل من البندق ، أو لعله حَدْدَجَةٌ بالتحريك
يقال تراموا بالحدج وهو الحنظل الصغير .

وقال التَّوَّابِيُّ^(١) : والله ما مُثِّمَتِ لِلدَّوْلَةِ عِزًّا ، إِلَّا لِأَنَّ اللَّهَ — تعالى — قد ذَخَرَكَ لِلْمُسْلِمِينَ كَنْزًا ، وجعل لم على يَدَيْكَ وبتدبيرك راحةً وفوزًا ، ولم يُعَرِّضْكَ لِهَذِهِ الْفَادِحَةِ إِلَّا لِيُخَصِّصَكَ بِانْفِرَاجِهَا [عَلَى يَدِكَ] وَيُبْقِيَ لَكَ بِهَا ذِكْرًا يَطْبِقُ الْأَرْضَ وَيَبْلُغُ أُمَرَاءَ خُرَّاسَانَ وَمِصْرَ وَالْحِجَازِ وَالْيَمَنِ فَيُصِيبَهُمُ الْحَسَدُ عَلَى مَا هَيَّأَ^(٢) اللَّهُ لَكَ مِنْهَا .

وَنَظَرَ بِخُتْيَارٍ إِلَى ابْنِ حَسَّانِ الْقَاضِي — وَكَانَ مُنْبَسِطًا مَعَهُ لِقَدِيمِ خِدْمَتِهِ — فَقَالَ : أَيُّهَا الْقَاضِي ، أَنْتَ لَا تَقُولُ شَيْئًا ؟ قَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، وَمَا الْقَوْلُ وَعِنْدَكَ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءُ ، وَالصَّاقِقُ الْأَلْبَاءُ ؛ وَإِنْ سِرَّاجِي لَا يَزِدُّهُرْفِي شَمْسِهِمْ ، وَإِنْ سَحَابِي لَا تَبِلُ عَلَى بِلَالِهِمْ^(٣) : وَقَدْ قَالُوا فَأَنْعَمُوا^(٤) ، وَجَرَّوْا^(٥) فَأَمَعَنُوا ، وَلَيْسَ قُدَّامَهُمْ إِمَامٌ ، وَلَا وَرَاءَهُمْ أَمَامٌ ؛ لَكِنِّي أَقُولُ : مَا بَجَشَمْنَا إِلَيْكَ هَذِهِ السَّكْفَ إِلَّا لِنَنْظُرَ عَلَى ضَعْفِ أَرْكَانِنَا ، وَعُلُوِّ أَسْتَانِنَا^(٦) وَقَلَّةِ أَعْوَانِنَا^(٧) ، لِأَنَّا^(٨) رَأَيْنَاكَ أَهْلًا لِنَنْظُرَ فِي أَمْرِنَا ، وَالْأَهْثَامَ بِحَالِنَا ، وَبِمَا يَمُودُ نَفْعُهُ عَلَى صَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا .

فَقَالَ عِزُّ الدَّوْلَةِ : مَا زُوِيَ عَنِّي مَا طَرَقَ هَذِهِ الْبِلَادَ ، وَاقْدَأْشَرَفْتُ عَلَيْهِ ، وَفَكَّرْتُ فِيهِ ، وَمَا أَحْبَبْتُ تَجَشُّمَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ . وَمَا أَهْجَبَنِي

(١) في كلتا النسختين : « العراق » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا أخنا بما سبق .

(٢) في (ب) « وهب » مكان قوله « هيا » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٣) البلال بكسر الباء وضمتها : الماء .

(٤) أنعموا : جودوا .

(٥) في (أ) « وحرروا » ؛ وهو تحريف .

(٦) في كلتا النسختين : « شأتنا » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا ، كما أن في (أ) وحدهما « وعلو » بالفتح المعجمة مكان المهملة ؛ وهو تصحيف أيضا .

(٧) في (أ) « إخواننا » ؛ وهو تحريف .

(٨) في كلتا النسختين : « لكننا » ؛ وهو تحريف ، فإن الاشتراك هنا غير مفهوم .

هذا التفريعُ مِنَ الصَّغِيرِ والكَبِيرِ ، وما كَانَ يَجُوزُ لِي أَنْ أَنْعَسِرَ عَلَى هَذِهِ
الكَارِثَةِ ، وَأَنْعَمَ بِالْعَيْشِ مَعَهَا ، وَلَعَمْرِي إِنَّ الْعَقْلَةَ [عَلَيْنَا] أَغْلَبَ ، وَالشَّهْوَةَ
فِينَا أَغْلَبَ ، وَلَكِنْ فِيمَا رَكِبْتُمُوهُ ^(١) مَنَى تَهْنِجِينَ شَدِيدَ ، وَتَوْبِيخٌ فَاحِشٌ ، وَإِنَّ
هَذَا الْجُلُوسَ لَمَّا يُتَهَادَى حَدِيثُهُ بِالزَّائِدِ وَالنَّاقِصِ ، وَالْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ ، وَإِنَّكُمْ
لَيَظُنُّونَ أَنَّكُمْ مَظْلُومُونَ بِسُلْطَانِي عَلَيْكُمْ ، وَوَلَا يَتَنَبَّيْ لِمُؤْرَكُمْ ؛ كَلَّا ، وَاسْكُنْ
كَمَا تَكُونُونَ يُؤَلِّي عَلَيْكُمْ ؛ هَكَذَا قَوْلُ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ فِينَا وَفِيكُمْ ؛ وَاللَّهِ لَوْ لَمْ
تَكُونُوا اشْتَبَاهِي لَمَّا وَلَيْتُكُمْ ، وَلَوْ لَا ^(٢) أَنَّنِي كَوَاحِدٍ مِنْكُمْ ، لَمَّا جُمِلْتُ قِيَمًا
عَلَيْكُمْ ؛ وَلَوْ خَلَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا بِعَيْبِ نَفْسِهِ لَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يَسْمَعُهُ وَغَضُّ غَيْرِهِ ، وَتَهْنِجِينَ
سُلْطَانِهِ ؛ أَيُظُنُّ هَذَا الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ الرَّازِيُّ أَنَّنِي غَيْرُ عَالِمٍ بِنِفَاقِهِ ، وَلَا عَارِفٍ
بِمَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنْ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ؛ يَلْقَانِي بِوَجْهِ صُلْبٍ ، وَلِسَانٍ هَذَّارٍ يُرَى
مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ الْحَسَنُ الْبَهْرِيُّ يَعْظُ الْحَجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ ، أَوْ وَاصِلُ بْنُ عَطَاءَ
يَأْتُرُ بِالْمَعْرُوفِ ، أَوْ ابْنَ التَّمَاكِ يُرْهِبُ الْفُجَّارَ ؛ هَذَا قَبِيحٌ ، وَلَوْ سَكَتُ عَنْ هَذَا
لَكَانَ عِيًّا وَعَجْزًا ؛ جَزَى اللَّهُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ شَيْخَنَا خَيْرًا حِينَ جَلَسَ ، وَكَذَلِكَ
أَحْسَنَ اللَّهُ عَنَّا مَكَافَاةَ أَبِي سَعِيدٍ السَّيْرَافِيِّ ، فَإِنَّهُ لَوْ عَلِمَ أَنَّ فِي مُسَاعَدَتِكُمْ
رُشْدًا لَمَّا تَوَقَّفَ ؛ وَأَمَّا أَنْتَ يَا أَبَا الْحَسَنِ — يُرِيدُ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى — فَوَاحِقٌ أَبِي
إِنِّي لِأَحِبُّ لِقَاءَكَ ، وَأَوْثَرُ قُرْبِكَ ، وَلَوْلَا مَا يَبْلُغُنِي مِنْ مُلَازِمَتِكَ لِمَجْلِسِكَ ،
وَتَذَرِيْسِكَ لِمُخْتَلِفَتِكَ ^(٣) ، وَلَمْ أَكُتَابِكَ عَلَى كِتَابِكَ فِي الْقُرْآنِ ، لَفَلَّيْتُكَ عَلَى
زَمَانِكَ ، وَلَا أَسْتَكْثِرُتُ مِمَّا قَلَّ حَظِّي مِنْهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي أَمَا مَدْفُوعٌ

(١) فِي (١) « رَأَيْتُمُوهُ مِنْ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي (١) « وَلَوْ أَنِّي » ؛ وَلَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْمَعْنَى .

(٣) الْمُخْتَلَفَةُ : الَّذِينَ يَتَصَلُّونَ مِنْهُ .

إليها ، فإنها وازعة على هوى النفس ، وطاعة الشيطان ، ومنازعة الأكفاء ،
وجمع المال ، وأخذه من حيث يحب أولاً يحب ، وتفرقته فيمن يستحق
ومن لا يستحق ، وإلى الله أنزع في قليل أمري وكثيره ، إذا شئتم .

قال لي أبو الوفاء — وهو الذي شرح لي المجلس من أوله إلى آخره — :
لقد شاهدت من عز الدولة في ذلك المجلس المنصور^(١) في حيدته وشهامته ، وثبات
قلبه وقوة لسانه ، مع بجمع لذيذ ولثقة حلوة .

قال : ولقد قلت له بعد ذلك : أيها الأمير ، ما ظننت أنك إذا خلقت رداءك
ونزعت حذاءك تقول ذلك المقال ، وتجول ذلك الجال ، وتناول ذلك المال ،
لقد أنصرف ذلك الرهط على هيئة لك شديدة ، وتعظيم بالغ ، ولقد تداولوا
لفظك ، وتنبهوا معانيك ، وتشاحوا^(٢) على نظمك ، وقالوا : ما ينبغي لأحد
أن يسىء ظنه بأحد إلا بعد الخبرة والعيان ، وإلا بعد الشهادة والبيان ؛
أهذا يقال له متخلف أو ناقص ؟ لله دره من شخص ! والله أبوه من فتى مدره !
ولما بلغ هذا المجلس الذين قعدوا عن المسير إليه — أغنى عز الدولة —
حيدوا الله تعالى ، وعلموا أن الخيرة كانت قريبة اختيارهم .

قال الوزير : قرأت ما دونه الصابي أبو إسحاق في (التاجي) فما وجدت
هذا الحديث فيه . قلت : لعله لم يقع إليه ، أو لعله لم ير التطويل به ، أو لعله لم
يستخف ذكر عز الدولة على هذا الوجه . قال : هذا ممكن ؛ فهل سمعت في
أيام الفتنه بغريبة ؟

(١) يريد بالمنصور أبا جعفر الخليفة العباسي المبروف .

(٢) تشاحوا على نظمك ، أى أن كلا منهما ضن بما يحفظه منه على صاحبه ، وفي (ب)

« وتشاحوا » ؛ وهو تحريف .

قلتُ: كلُّ ما كُتِبَ فيه [كان] غريباً بديعاً، عجيباً شديداً، حصلَ لنا
مِنَ العَيَّارِينَ قَوَادٍ^(١)، وأشهرُهم^(٢) ابنُ كَبْرَوِيَه، وأبو الدَّود^(٣)، وأبو الذُّباب،
وأُسودُ الزُّبْد، وأبو الأَرْضَة^(٤)، وأبو النَّوَاجِح، وشُنَّت الغارة، واتَّصلَ
النَّهْب، وتَوَالَى الحَرِيقُ حَتَّى لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا لِلَّهِ مِنْ دِجَلَةٍ، أَغْنَى الكَرْمُخ.

فَمِنْ غَرِيبٍ مَا جَرَى أَنَّ أُسودَ الزُّبْدِ كَانَ عَبْدًا يَأْوِي إِلَى قَنْطَرَةٍ^(٥) الزُّبْدِ
وَيَلْتَقِطُ النَّوَى وَيَسْتَقِيمُ مِنْ حَضَرَ ذَلِكَ الْمَكَانِ يَلْهُو وَلَعِبٌ، وَهُوَ عُرْيَانٌ
لَا يَتَوَارَى إِلَّا بِخُرْقَةٍ، وَلَا يُؤْتِيهِ لَه، وَلَا يُبَالِي بِهِ، وَمَضَى عَلَى هَذَا دَهْرًا، فَلَمَّا حَلَّتِ
الْفَنَرَةُ^(٦) أَغْنَى لَنَا وَقَعَتِ الْفَقِيهَةُ، وَقَشَا الْمَرْجُ وَالْمَرْجُ، وَرَأَى هَذَا الْأُسودُ مِنْ
هُوَ أَضْمَفُ مِنْهُ قَدْ أَخَذَ السَّيْفَ وَأَعْمَلَهُ، طَلَبَ سَيْفًا وَشَعَدَهُ، وَنَهَبَ وَأَغَارَ
وَسَلَبَ، وَظَهَرَ مِنْهُ شَيْطَانٌ فِي مَسْكِ إِنْسَانٍ، وَصَبَّحَ وَجْهَهُ، وَعَذَّبَ لَقْظَهُ،
وَحَسَنَ جِسْمَهُ، وَعُشِقَ وَعَشِقَ، وَالْأَيَّامُ تَأْتِي بِالْفَرَائِبِ وَالْعَجَائِبِ، وَكَانَ الْحَسَنُ
الْبَصْرِيُّ يَقُولُ فِي مَوَاعِظِهِ: الْمُعْتَبِرُ كَثِيرٌ، وَالْمُعْتَبَرُ قَلِيلٌ. فَلَمَّا دُحِيَ قَائِدًا وَأَطَاعَهُ

(١) في (١) « قول » ؛ وهو تحريف .

(٢) في (ب) « وأشماؤهم » .

(٣) في كلتا النسختين : « وابن الرود » بالراء ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا . إذ هو
المناسب لأسماء هؤلاء الذين ذكروا .

(٤) كذا في (١) والذي في (ب) « أبو الأرى » .

(٥) في كلتا النسختين : « الريد » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا قلا عن كتاب بغداد
للأستاذ لوسترانج Le Strange ؛ ولعلهم كانوا يبيعون الزبد عند هذه القنطرة فأضيفت إليه
وهي قنطرة البطريق أيضاً . وفي ياقوت : قنطرة رحي البطريق ، وهي على نهر الصراة .

(٦) في (١) : « حلف المنصرة » وفي (ب) « حلب البقرة » ؛ وهو تحريف في
كلتا النسختين .

رِجَالٌ وَأَعْطَاهُمْ وَفَرَّقَ^(١) فِيهِمْ ، وَطَلَبَ الرَّأْسَةَ عَلَيْهِمْ ، صَارَ جَانِبُهُ لَا يُرَامُ ، وَجِهَاهُ لَا يُضَامُ .

فَبِمَا ظَهَرَ مِنْ حُسْنِ^(٢) خُلُقِهِ — مَعَ شَرِّهِ^(٣) وَلَعَنَتِهِ ، وَسَفْكَهِ لَدُنِّهِ ، وَهَنَسِهِ لِلْحُرْمَةِ ، وَرُكُوبِهِ لِلْفَاحِشَةِ ، وَتَمَرُّدِهِ عَلَى رَبِّهِ الْقَادِرِ ، وَمَالِكِهِ الْقَاهِرِ — أَنَّهُ أَشْتَرَى جَارِيَةً كَانَتْ فِي النَّخَّاسِينَ عِنْدَ الْمُوصِلِيِّ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَكَانَتْ حَبْنَاءَ جِيلَةٍ ، فَلَمَّا حَصَلَتْ عِنْدَهُ حَاوَلَ مِنْهَا حَاجَتَهُ ، فَاثْمَنَتْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهَا : مَا تَسْكُرِينَ مِنِّي ؟ قَالَتْ : أَكْرَهُكَ كَمَا أَنْتَ . فَقَالَ لَهَا : فَاثْمَنِي ؟ قَالَتْ : أَنْ تَبِيعَنِي ، قَالَ لَهَا : أَوْ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ أُعْطَيْتُكَ وَأَهْبُوكَ أَلْفَ دِينَارٍ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، فَأَعْطَاهَا أَلْفَ دِينَارٍ بِحَضْرَةِ الْقَاضِي أَبِي الدَّقَاقِ عِنْدَ مَسْجِدِ أَبِي رَغْبَانَ^(٤) فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ نَفْسِهِ وَهَيْبَتِهِ وَسِمَاحَتِهِ ، وَمِنْ صَبْرِهِ عَلَى كَلَامِهَا ، وَتَرَكَ مُكَافَأَتَهَا عَلَى كَرَاهَتِهَا ، فَلَوْ قَتَلَهَا مَا كَانَ أَتَى مَا لَيْسَ مِنْ فِعْلِهِ فِي مِثْلِهَا .

قَالَ الْوَزِيرُ : هَذَا وَاللَّهِ طَرِيفٌ ، فَمَا كَانَ آخِرُ أَمْرِهِ ؟ قُلْتُ : صَارَ فِي جَانِبِ أَبِي أَحْمَدَ الْمُوسَوِيِّ وَجِهَاهُ ، ثُمَّ سِيرَ إِلَى الشَّامِ فَهَلَكَ بِهَا .

قَالَ : وَكَيْفَ سَلِمْتَ فِي هَذِهِ الْحَالَاتِ ؟ قُلْتُ : وَمَتَى سَلِمْتُ ؟ جَاءَتِ النَّهَابَةُ إِلَى بَيْنَ السُّورَيْنِ^(٥) وَشَتَّوْا النَّارَ وَأَكْتَسَحُوا مَا وَجَدُوا فِي مَنْزِلِي مِنْ ذَهَبٍ وَثِيَابٍ وَأَثَاثٍ ، وَمَا كُنْتُ ذَخَرْتُهُ مِنْ تَرَاثِ الْعُمَرَاءِ وَجَرَّدُوا السَّكَاكِينَ

(١) فَرَّقَ فِيهِمْ ، أَيْ فَرَّقَ الْأَعْطِيَةَ فِيهِمْ .

(٢) فِي (١) « مِنْ خُلُقٍ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي (١) « شَرُّهُ » ؛ وَالْمَاءُ الْأَوَّلَى زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٤) مَسْجِدُ ابْنِ رَغْبَانَ فِي غَرْبِ بَغْدَادَ . وَالْقَدِيُّ فِي (١) ابْنُ رَغْبَانَ بِالْعَيْنِ الْهَمْزَةُ ؛

وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٥) إِلَى بَيْنِ السُّورَيْنِ ، أَيْ إِلَى هَذِهِ الْمَهْلَةِ الْمُسَمَّاةِ بِهَذَا الْأَسْمِ فِي بَغْدَادَ .

على الجارية في الدار يطالبونها بالمال ، فَأُنْشِطَتْ مَرَارَتُهَا ، وَدُفِنَتْ فِي يَوْمِهَا ،
[وَأُمْسِيَتْ] وَمَا أَمْلَكَكَ مَعَ الشَّيْطَانِ فَجْرَةٌ ^(١) ، وَلَا مَعَ الْغُرَابِ نَقْرَةٌ .
أَيُّهَا الشَّيْخُ — وَقَفَّكَ اللَّهُ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكَ ، وَكَانَ لَكَ فِي كُلِّ مَقَالِكَ
وَفَعَالِكَ — إِنَّمَا نَزَرْتُ بِالْقَلَمِ مَا لَاقَيْتَهُ ؛ فَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي كَانَ يَجْرِي بَيْنِي
وَبَيْنَ الْوَزِيرِ فَكَانَ عَلَى قَدْرِ الْحَالِ وَالْوَقْتِ [وَالْوَاجِبِ] ؛ وَالْإِتْسَاعُ يَتَّبِعُ
الْقَلَمَ مَا لَا يَتَّبِعُ اللِّسَانَ ، وَالرَّوْيَةُ ^(٢) تَتَّبِعُ الْخَطَّ مَا لَا تَتَّبِعُ الْعِبَارَةَ ، وَلَمَّا كَانَ
قَصْدِي فِيهَا أَعْرَضَهُ عَلَيْكَ ، وَأَلْقِيَهُ إِلَيْكَ ، أَنْ يَبْقَى الْحَدِيثُ بَعْدِي وَبَعْدَكَ ،
لَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنْ تَنْمِيقِ يَزْدَانُ بِهِ الْحَدِيثَ ، وَإِضْلَاحِ يَحْسُنُ مَعَهُ الْمَغْزَى ،
وَتَكْلُفِ يَبْلُغُ بِالْمُرَادِ الْغَايَةَ ، فَلْيَقِّمْ الْعُذْرَ عِنْدَكَ عَلَى هَذَا الْوَصْفِ ، حَقٌّ يَزُولُ
الْعُتْبُ ، وَيُسْتَعْقَّ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ .

الليلة التاسعة والثلاثون

(١) وقال الوزير ليلة : يعجبني الجوابُ الحاضر ، واللفظُ النادر ، والإشارةُ
الحُلُوَّةُ ، والحركةُ الرَضِيَّةُ ، والنِّعْمَةُ التُّوسِّطَةُ ، لَا نَازِلَةً إِلَى قَعْرِ الْخَلْقِ ،
وَلَا طَافِئَةً عَلَى الشَّمَةِ .

فكان من الجواب : اقترّاح الشيء على الكمال سهل ، ولكن وجدّانه

(١) في (١) « نحوه » . وفي (ب) « نخرة » وهو تحريف في كلتا النسختين سواهما
ما أثبتنا ، أي لا أملك ما ألجأ به فجرة واحدة مع الشيطان . ويشتهرون المجلة في السجود بتقر
الغراب ، فيريد بالعبارة الثانية أنه لا يملك سجدة مستعجلة مع الغراب تشبه نقرة من نقراته .
ويريد بالعبارة أن لا يملك عملاً خبيثاً ولا طيباً مهما قلاً . هذا ما يلوح لنا من معنى هاتين
العبارتين .

(٢) في الأصول : « والرق به يتسع الحظ ما لا تسع الخ » وهو تحريف ؛ وسياق
الكلام يقتضي ما أثبتنا .

على ذلك صنف، لأنَّ التَّمَنَّى صَفْوُ النَّفْسِ الحِسِّيَّةِ ، وَنَيْلُ المَتَمَنَّى فِي الفُرْصَةِ^(١) المحشورة بالحيولة .

وقد قال المدائني : أحسنُ الجواب ما كان حاضراً مع إصابتِ المعنى وإيجاز اللفظِ وبلوغِ الحجة .

وقال أبو سليمان شارحاً لهذا : أما حضور الجوابِ فليكونَ الظُّفْرُ عند الحاجة ، وأما إيجاز اللفظِ فليكونَ صافياً من الخشو ، وأما بلوغُ الحجةِ فليكونَ حسناً للمعارضة .

قال : ما أحسنَ ما وُشِّحَ هذه الفقرة بهذه الشذرة !

وحكى المدائني قال : قال مسلمة بنُ عبْدِ التَّلِكَ : ما مِنْ شَيْءٍ يُؤْتَاهُ العَبْدُ بعد الإيمانِ بالله أحبُّ إلىَّ من جوابٍ حاضرٍ ، فإنَّ الجوابَ إذا تُعَقَّبَ لم يكن له وقع .

وحكى المدائني^٢ بإسناده عن عبد الرحمن بن حوشب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الأهتم التميمي : أخبرني عن الزُّبْرِ قان بن بذر ، فقال : مُطاعٌ في أدنياه ، شديد المارضة ، مانعٌ لما وراء ظهره . فقال الزُّبْرِ قان : يا رسول الله ، إنه ليتعلم مني أكثر من هذا ، ولكنه حسدني ، فقال عمرو : أما والله يا رسول الله إنه لزمير^(٣) المروءة ، ضيقُ العطن ، لثيمُ الخلال ، أحمقُ الوالد ، وما كذبتُ في الأولى ، ولقد صدقتُ في الأخرى ، ولقد رَضِيتُ فقلتُ أحسنَ ما عَلِمْتُ ، وسَخِطْتُ فقلتُ أسوأ ما عَلِمْتُ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ مِنَ البَيَّانِ لَسِحْرًا وَإِنَّ مِنَ الشَّرِّ لَحِكْمًا » .

(١) في (١) « في العرصة » ؛ وفي (ب) « في العرض » وهو تحريف فيهما .

(٢) في كلتا النسختين : « زمن » بالنون ؛ وهو تحريف ؛ وزم المروءة : قليلها .

وقال أبو سليمان : السَّحَرُ بالقول الأعمّ والرسم المفيد على أربعة أضرب : سَحَرٌ عَقْلِيّ ، وهو ما بَدَرَ من الكلام المشتغل على غريب اللغى في أى فن كان ؛ وسَحَرٌ طَبِيعِيّ ، وهو ما يَظْهَرُ مِنْ آثارِ الطَّبِيعَةِ في العناصرِ المُنْهِيَةِ^(١) والموادِّ المُسْتَحْيَةِ^(٢) ، وسَحَرٌ صِنَاعِيّ ، وهو ما يوجَدُ^(٣) بِمُخَفَّةِ الحركاتِ المباشِرةِ ، وتصرّفها في الوجوه الخَفِيَّةِ عن الأبصار المُحَدِّثَةِ ، وسَحَرٌ إلهي وهو ما يَتَبَدُّو من الأنفُسِ الكَرِيمةِ الطَّاهِرَةِ بِاللَّفْظِ مَرَّةً ، وبالفعلِ مَرَّةً . وعَرَضَ كلٌّ واحدٍ من هذه الضُّرُوبِ واسع ، وكلُّهُ حَذَقٌ ومهارةٌ وبلوغٌ قاصِيَّةٌ في كلِّ أمرٍ هو سَحَرٌ ، وصاحبُهُ سَاحِرٌ .

وقال المدائني : نظرَ ثابت بن عبد الله بن الزُّبَيْرِ إلى أهل الشام فَسَتَمَهُمْ ، فقال له سعيد بن عُثْمَانَ بن عَفَّان ، أَتَسْتَمُهُمْ لِأَنَّهُمْ قَتَلُوا أَبَاكَ ؟ فقال : صَدَقْتَ ، ولكنَّ المَهاجِرِينَ والأَنْصَارَ قَتَلُوا أَبَاكَ .

وقال عبد الملك بن مُرْوَانَ لثابت بن عبد الله بن الزُّبَيْرِ : أَبُوكَ كَانَ أَعْلَمَ بِكَ حِينَ شَقَمَكَ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أَتَدْرِي لِمَ كَانَ يَسْتَمُنِي ؟ إني نَهَيْتُهُ أَنْ يُقَاتِلَ بِأَهْلِ مَكَّةَ وَأَهْلَ الْمَدِينَةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَنْصُرُهُ بَهِمَا ، وَقُلْتُ لَهُ ، أَمَّا أَهْلُ مَكَّةَ فَأَخْرَجُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَأَخَافُوهُ ، نَمَ جَاؤَا إِلَى الْمَدِينَةِ فَأَخْرَجَهُمْ مِنْهَا وَشَرَّدُوهُمْ .

فَعَرَّضَ بِالْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ — وَهُوَ جَدُّ عَبْدِ الْمَلِكِ — وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نَفَاهُ .

(١) ورد في (ب) هذان اللفظان « المنهية والمستحجية » مهمله حروفهما من النقط

تتخذ قراءتهما .

(٢) في (١) يؤخذ .

وأما أهل المدينة فخذلوا عثمان حتى قُتل بينهم ، لم يروا أن يدفعوا عنه . فقال له عبد الملك : لعنك الله .

وقال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد لمعاوية : أما والله لو كنت بمكة لعليت ، فقال معاوية : كنت أكون ابن أبي سفيان ينشق عني الأبطح ، وكنت أنت ابن خالد منزلك أجياد ، أغلاه مدرة ، وأسفله عذرة .

وقال المدائني : قال ابن الضحاك بن قيس الفهري^(١) لهشام بن عبد الملك قبل أن يملك — وهو يومئذ غلام شاب — يا بن الخلاف ، لم تطيل شعرك وقمصك ؟ قال : أكره أن أكون كما قال الشاعر :

قصيرُ القميصِ فانهنَّ عندَ بَيْتِهِ وشرَّ غراسٍ في قرْنِ مَرْكَبِ^(٢)

قال : وهذا النعمان لأبي خالد^(٣) مروان بن الحكم ، هجأ به الضحاك ابن قيس .

وحكى أيضاً ، قال : مرَّ عطاه بن ألى^(٤) صبيقي بعبد الرحمن بن حسان ابن ثابت وعطاه على فرس له ؛ فقال له عبد الرحمن : يا عطاه ، لو وجدت زمام زيق الحمير خاليا ما كنت تصنع به ؟ قال : كنت آتى به دور بني النجار فأعرقه فإنه ضالة من ضوالهم ، فإن عرفوه^(٥) وإلا فهو لك لم يعدك ، ولكن

(١) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « العزى » ، وهو تحريف .

(٢) المركب : الأصل والنبت . وفي (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « فركيا »

وهو تحريف لا معنى له . وفيها أيضا « فراش » مكان « غراس » ؛ وهو تحريف .

(٣) لم نجد في الكتب التي بين أيدينا أن أبا خالد كنية لمروان بن الحكم .

(٤) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة : قال ابن عطاه مر ابن صبي . وفي

العبارة اضطراب ظاهر لا يستقيم به المعنى ، كما لا يخفى .

(٥) حذف الجواب هنا لعدم به وهو « فهو لهم » .

أَخْبِرْنِي أَيُّ جَدِّكَ أَكْبَرُ، أَوْ رُبْعَةٌ أَمْ ثَابِتٌ؟ قَالَ: لَا أَذْرِي. قَالَ: فَلِمَ يَنْهَيْكَ^(١) مَا فِي كِتَابَيْنِ الرَّجَالِ وَأَنْتَ لَا تَذَرِي أَيُّ جَدِّكَ أَكْبَرُ؟ بَلْ رُبْعَةٌ أَوْ كَبَرٌ مِنْ ثَابِتٍ، وَقَدْ تَزَوَّجَهَا قَبْلَهُ أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمْ يَلْقَاهَا بِمِثْلِ ذِرَاعِ الْبَكْرِ، ثُمَّ يُطْلَقُهَا عَنْ قَلْبِي؟ فَقَالَ لَهَا نِسْوَةٌ مِنْ قَوْمِهَا: وَاللَّهِ يَا فَرْيَعَةُ إِنَّكَ لَجَبِيلَةٌ، فَمَا بَالُ أَرْوَاجِكَ يُطَلِّقُونَكَ؟ قَالَتْ: يُرِيدُونَ الضَّيْقَ ضَيَّقَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ.

وَحَكَى أَيْضًا قَالَ: قَالَ أَبُو السَّفَرِ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسِيرُ إِذْ رَفَعَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ قَبْرُ أَبِي سَعِيدٍ بْنِ الْعَاصِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَعَنَ اللَّهُ صَاحِبَ هَذَا الْقَبْرِ، فَإِنَّهُ كَانَ يُكَذِّبُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ [خَالِدُ بْنُ] ^(٢) أُسَيْدٍ — وَهُوَ فِي الْقَوْمِ —: لَا بَلْ لَعَنَ اللَّهُ أَبَا قُحَافَةَ فَإِنَّهُ كَانَ لَا يَقْرِي الضَّيْفَ، وَلَا يَنْتَعِ الْعَصِيمَ، وَلَا يُقَاتِلُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا سَبَّيَ الْمُشْرِكُونَ فَعَمُّوهُمْ بِالسَّبِّ، وَلَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَإِنَّ سَبَّ الْأَمْوَاتِ يُغْضِبُ الْأَحْيَاءَ؟».

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَّارَةَ: فَذَا كَرْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ مِنْ وَلَدِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، فَعَرَّفَهُ، فَقَالَ: فِيهِ زِيَادَةٌ لَيْسَتْ عِنْدَكُمْ، قُلْتُ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: قَالَ خَالِدُ بْنُ أُسَيْدٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا يَسُرُّنِي أَنَّهُ فِي أَعْلَى عَلِيِّينَ وَأَنَّ أَبَا قُحَافَةَ وَلَدُهُ. فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وَقَالَ: «لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَإِنَّ سَبَّهُمْ يُغْضِبُ الْأَحْيَاءَ».

(١) فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ: «يَنْهَيْكَ»؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٢) هَذِهِ التَّكْلِمَةُ الَّتِي بَيْنَ مَرْبَعَيْنِ لَمْ تَرِدْ فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي لَاتِبَاتَهَا إِذْ أَنَّ أُسَيْدًا أَبَا خَالِدٍ لَمْ يَكُنْ مَعَ الْقَوْمِ.

وحكى قال : رعى عمر بن هبيرة الفزاري إلى عرام بن شخير^(١) بخاتم له
فضة — وقد زوج — فعقد عليه عرام سيرا وردة إلى ابن هبيرة. أراد ابن
هبيرة قول الشاعر :

لقد زرت عيناك يا بن ملتن كما كل ضبي من اللوم أزرق
وعرض له عرام بقول ابن دارة :

لا تأمنن فزاريًا خلوت به على قلو صك وأكتبها بأسيار^(٢)
وقال المدائني : وكان ابن هبيرة يسير هلال^(٣) بن مكمل النميري ،
فقدّمت بنة النميري بنة ابن هبيرة . فقال : غص من بفلتاك . فالتفت
إليه النميري فقال : أصلى الله الأمير ، إنها مكتوبة ، وإنما أراد ابن هبيرة :
ففض الطرف إنك من نمير فلا كغبا بلغت ولا كلابا^(٤)
وأراد النميري قول سالم بن دارة :

لا تأمنن فزاريًا خلوت به على قلو صك وأكتبها بأسيار
وقال الوليد النعيري^(٥) : مرت امرأة من بني^(٦) نمير على مجلس لم ،
فقال رجل منهم : أيتها الرسحاء^(٧) . فقالت المرأة : يا بني نمير ، والله ما أظنم

(١) كذا في تاريخ الطبري طبع أوروبا ، والذي في (١) التي وردت فيها وحدها
هذه القصة « شخير » بالنون ، وهو تصحيف .
(٢) أكتبها بأسيار ، أي اخزم حياها لثلاثين عليها .
(٣) في العقد الفريد « سنان بن مكمل » . وفي نهاية الأرب أيوب بن طبيان ، وفي
كتاب السكينة والتمريض للثعالبي « شريك بن محمد » .
(٤) البيت لجرير .

(٥) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « النيدى » ، ولم نجد النيدى
هنا ضمن أسماء الرواة ، والذي وجدناه في أسمائهم الوليد النعيري كما في تاريخ الطبري .
(٦) في نهاية الأرب مرت امرأة من العرب بمجلس من مجالس بني نمير ؛ وهو السب .
(٧) الرسحاء : التي خف لحم لآليتها ووركيها .

الله ولا أطلعتم الشاعر ، قال الله عز وجل : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَفْعَسُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ)
وقال الشاعر :

فَفَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ مُنْمِرٍ فَلَا كَغَبَا بَلَغْتَ وَلَا كِلَابَا

وقال : سرّ الفرزدق بن خالد بن صفوان بن الأهم ، فقال له خالد : يا أبا فراس ،
ما أنت الذي لما رأيته أكرهته وقطعت أيديهن ، فقال له الفرزدق : ولا أنت
الذي قالت الفتاة لأبيها فيه : (يا أبت استأجره إن خير من استأجرت
القوى الأمين) .

قال : ودخل يزيد بن مسلم على سليمان بن عبد الملك ، وكان مضطرباً
نحيباً ، فقال سليمان : على رجل أجرك رسنك^(١) وسلطك على المسلمين لعنة
الله . قال : يا أمير المؤمنين إنك رأيتني والأمر عني مدير ، فلو رأيتني وهو
على مقبل لأستغظمت متى يومئذ ما استصغرت اليوم . قال : فأين الحجاج ؟
قال : يحيى يوم القيامة بين أبيك وأخيك ، فضعه حيث شئت .

وقال عباد بن زياد : كنت عند عبد الملك بن مروان إذ أتاه أبو يوسف
حاجباً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هذه بُثينة . قال : أْبثينة جليل ؟ قال : نعم ،
قال أَدْخِلْهَا ، فدَخَلَتْ امرأةً أَدْمَاءَ طَوِيلَةً يُعْلَمُ أَنَّهَا كَانَتْ جَمِيلَةً ، فقال له
يا أبا يوسف ألق لها كُرْسِيًا ، فآلَقَاهُ لَهَا ، فقال لها عَبْدُ الْمَلِكِ ، ويحك ما رَجَا
مِنْكَ جَمِيل ، قالت : الذي رَجَتْ مِنْكَ الْأُمَةُ حِينَ وَلَّتْكَ أُمْرًا .

وقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان : إنَّ رَهْطًا مِنَ الْأَنْصَارِ دَخَلُوا عَلَى
مُعَاوِيَةَ ، فقال : يَا مَقْسَرِ الْأَنْصَارِ ، قُرَيْشٌ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْكُمْ لَهْمُ ، فَإِنْ يَكُنْ

(١) أجرك رسنك ، أى تركك وشأنك تفعل ما تشاء . والرسن المفعول تعاد به العبارة .

ذَلِكَ لِقَتْلَى أَحَدٍ ، فَقَدْ قَتَلْتُمْ يَوْمَ بَدْرٍ مِثْلَهُمْ ؛ وَإِنْ يَكُنْ لِإِمْرَةٍ ^(١) فَوَاللَّهِ مَا جَعَلْتُمْ لِي إِلَى صَلَاتِكُمْ سَبِيلًا ؛ خَذَلْتُمْ عُثْمَانَ يَوْمَ الدَّارِ ، وَقَتَلْتُمْ أَنْصَارَهُ يَوْمَ الْجَمَلِ ، وَصَلَيْتُمْ بِالْأَمْرِ يَوْمَ صِفِّينَ . فَكَلَّمَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمَا قَوْلُكَ « إِنْ يَكُنْ لِقَتْلَى أَحَدٍ » فَإِنْ قَتَلْنَا مُشَاهِدًا وَحَيًّا تَأْتِي ^(٢) ، وَأَمَا ذِكْرُكَ الْإِمْرَةَ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِالصَّبْرِ عَلَيْهَا . وَأَمَا قَوْلُكَ إِنَّا خَذَلْنَا عُثْمَانَ ، فَإِنَّ الْأَمْرَ فِي عُثْمَانَ إِلَى قَتْلَتِهِ ^(٣) ؛ وَأَمَا قَوْلُكَ إِنَّا قَتَلْنَا أَنْصَارَهُ يَوْمَ الْجَمَلِ فَذَلِكَ مَا لَا نَعْتَذِرُ مِنْهُ ، وَأَمَا قَوْلُكَ إِنَّا صَلَّيْنَا بِالْأَمْرِ يَوْمَ صِفِّينَ ، فَإِنَّمَا كُنَّا مَعَ رَجُلٍ لَمْ نَأْلِهِ خُبْرًا ، فَإِنْ لُفَقْنَا قَرُوبًا مَلُومٌ لَا ذَنْبَ لَهُ .

ثم قام هو وأصحابه يجرُّ ثوبَهُ مُغَضِّبًا ، فقال معاوية : رُدُّوهُم ، فَرُدُّوهُم ، فَرَضَّاهُمْ حَتَّى رَضُوا ، ثُمَّ أَنْصَرَفُوا . وَأَقْبَلَ معاوية عَلَى رَهْطٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا فَرَّغَ مِنْ مَنْطِقَتِهِ حَتَّى ضَاقَ بِي مَجْلِسِي .

قال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان : دَخَلَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ بِنُ عُبَادَةَ مَعَ قَوْمٍ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى مُعَاوِيَةَ . فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، لِمَ تَطْلُبُونِ مَا قَبِلِي ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُمْ قَلِيلًا مَعِيَ ، كَثِيرًا عَلَيَّ ، وَلَقَدْ قَتَلْتُمْ جُنْدِي ^(٤) يَوْمَ

(١) في (١) التي ورد فيها وحدها دون (ب) هذا الكلام « لدهمه » ؛ وهو تحريف ؛ صوابه ما أثبتنا كما يؤخذ مما يأتي بعد في جواب الأنصار من قولهم : وأما ذكرُكِ الإمرة الخ . ويريد بالإمرة أنه لا يوليهم الأعمال .

(٢) تأتق أى إلى أن يستشهد . وفي (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة وردت تلك الكلمة مهلة الحروف من النقط . ولعل الصواب ما أثبتنا أو لعل صوابها « آتت » .

(٣) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « قلنا » ؛ وهو تحريف .

(٤) في (١) « جدى » ؛ وهو تحريف .

صَفِينِ حَتَّى رَأَيْتُ الْمَنَايَا تَلْظَى فِي أَسِنَّتِكُمْ ، وَهَجَوْتُ مُنُونِي ^(١) بِأَشَدِّ مِنْ وَخْزِ الْأَشْنَانِ ^(٢) حَتَّى إِذَا أَقَامَ اللَّهُ مَا حَاوَلْتُمْ مِثْلَهُ ^(٣) ، قَلْتُمْ : ارْزَعْ فِينَا وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ هَبَاهُ ، « أَبِي الْحَقِيقِ الْمِذْرَةَ » ^(٤) ، فَقَالَ قَيْسٌ : نَطْلُبُ مَا قَبْلَكَ بِالْإِسْلَامِ الْكَافِي بِهِ اللَّهُ لَا سِوَاهُ ، لَا بِمَا تُمُتُّ بِهِ إِلَيْكَ الْأَحْزَابُ ، وَأَمَّا عِدَاؤُنَا لَكَ فَلَوْ شِئْتَ كَفَفْنَا عَنْكَ ؛ وَأَمَّا هَجَاؤُنَا إِيَّاكَ فَقَوْلُ يَزُورُ بِاطْلُهُ ، وَيَثْبُتُ حَقُّهُ ، وَأَمَّا قَتْلُنَا جُنْدَكَ يَوْمَ صَفِينٍ فَإِنَّا كُنَّا مَعَ رَجُلٍ نَرَى أَنْ طَاعَتَهُ طَاعَةُ اللَّهِ ؛ وَأَمَّا أَسْتِغَامَةُ الْأَمْرِ لَكَ فَقَلَى كُرْهِهِ كَانَ مِنَّا ، وَأَمَّا وَصِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِينَا ، فَنَآمَنَ بِهِ رِعَايَا ؛ وَأَمَّا قَوْلُكَ « أَبِي الْحَقِيقِ الْمِذْرَةَ » ، فَلَيْسَ دُونَ اللَّهِ يَدٌ تَخْجِزُكَ ؛ فَشَأْنُكَ . فَقَامَ مُعَاوِيَةُ فَدَخَلَ ، وَخَرَجَ قَيْسٌ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ الْقُرَشِيُّ : دَخَلَ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ الْكِلَابِيُّ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَعِنْدَهُ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ وَأُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ ، فَقَالَ زُفَرُ : لَوْ كَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ سَخَاهُ مُصْعَبٌ وَكَانَ لِمُصْعَبٍ عِبَادَةُ عَبْدِ اللَّهِ لَكُنَا مَا شَاءَ الْمُتَمَتِّئُ . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : مَا كَانَ سَخَاهُ

(١) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « ولهجوت منوني » ، وهو تحريف .

(٢) في (١) « الأنانى » بالثاء ؛ وهو تحريف .

(٣) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « مثله » بالثاء ؛ وهو تصحيف ، والتصحيح عن المقعد الفريد ج ٢ ص ١٤٦ طبع بولاق .

(٤) وردت هذه العبارة في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « بأى الحقيق الفدرة » ؛ وهو تحريف كما ترى ، والتصحيح عن مجمع الأمثال . والحقين : : الابن المحقون والميذرة : العذر . وأصله أن رجلاً نزل بقوم فاستسقام لبنا ، فاعتلوا عليه وزعموا أن لابن عندهم ، وكان الابن محقونا في وطالب عندهم ، فقال هذا المثل ؛ وهو مثل يضرب للكاذب الذي يعتذر ولا عذر له . يقول : إن الابن المحقون لديكم يكذبكم في عذرهم . والذي في المقعد الفريد « أبى الحبير العنزة » .

مُعْتَبٍ إِلَّا لِعَبَا ، وَلَا كَانَتْ عِبَادَةُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَّا عَيْنًا ، وَلَكِنْ لَوْ كَانَ لِلضَّحَّاكِ
أَبْنِ قَيْسٍ مِثْلُ رِجَالِ مَرْوَانَ لَكَانَتْ قَيْسُ أَرَبَابًا بِالشَّامِ ، فَقَالَ زُفَرٌ : لَوْ كَانَتْ
لِمَرْوَانَ صُحْبَةُ الضَّحَّاكِ لَكَانَ ؛ فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ ، وَاللَّهِ مَا أَحِبُّ لَهُ مِثْلَ صُحْبَتِهِ
وَمُتَصَرِّعِهِ ، فَقَالَ خَالِدٌ : لَوْلَا أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا يُبْصِرُ مَرْفَعِي ^(١) لَمَا تَرَكَكَ
وَالسَّكَّامَ . فَقَالَ زُفَرٌ : إِنْ بَعَا ^(٢) عَلَى أَنْفُسِكَا وَدَعَانَا وَخَلِيفَتَنَا وَاسْعَبَا ذُرِّيَّكَا
عَلَى خِيَانَةِ خُرَّاسَانَ وَسِجِسْتَانَ وَالْبَصْرَةَ .

وَقَالَ لِلدَّائِنِيِّ : غَابَ مَوْلَى الزُّبَيْرِ عَنِ الْمَدِينَةِ حِينًا ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ
قُرَيْشٍ لَمَّا رَجَعَ : أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ أَتَيْتَ قَوْمًا يُبَغِضُونَ طَلْعَتَكَ ، وَفَارَقْتَ قَوْمًا
لَا يُحِبُّونَ رَجْعَتَكَ . قَالَ الْمَوْلَى : فَلَا أَنْتَمُ اللَّهُ مِمَّنْ قَدِمْتُ عَلَيْهِ عَيْنًا ، وَلَا
أُخْلَفَ اللَّهُ عَلَى مَنْ فَارَقْتُ بِخَيْرٍ .

قَالَ لِلدَّائِنِيِّ : كَانَ مَرْثَدُ بْنُ حَوْشَبٍ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَجَرَى
بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ كَلَامٌ حَتَّى تَسَابَا ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : وَاللَّهِ مَا أَنْتَ بِأَبْنِي ، قَالَ :
وَاللَّهِ لَأَنَا أَشْبَهُ بِكَ مِنْكَ بِأَبِيكَ ، وَلَأَنْتَ كُنْتَ أَغْيَرَ عَلَى أُمِّي مِنْ أَبِيكَ
عَلَى أُمِّكَ . فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانٌ : قَاتَلَكَ اللَّهُ ، إِنَّكَ لَا بَنُ .

وَسَابَ مَرْثَدُ أَخَاهُ ثُمَامَةَ ، فَقَالَ لَهُ ثُمَامَةُ : يَا حَلَقِي ^(٣) ، فَقَالَ لَهُ مَرْثَدُ :

(١) يشير خالده بهذه العبارة إلى قول زفر بن الحارث :

وقد يثبت المرعى على دمن الترى وتبقى حزازات النفوس كما هيا
وهذا البيت من أبيات قالها زفر حين فرّ بعد وقعة مرج راحط التي قتل فيها الضحّاك
وانتصر فيها مروان ، وكان زفر من أصحاب الضحّاك .

(٢) أربعا : يخاطب خالدا وأخاه أمية .

(٣) يتهمه بداء قبيح ؛ ويقال أتان حلقية إذا تداولتها الحمر فأصابها داء في رجمها .
والحلاق في الأتان ألا تشبع من السفاد .

يا حَيْثُ ، أَنَسَانِي مُسَابَةَ الصَّبِيَّانِ ، فَوَافَقَ إِنَّكَ لِأَبْنِي ، وَلَقَدْ غَلَبَنِي حَوْشِبَ
عَلَى أُمِّكَ ، وَقَدْ أَتَقَعْتُهَا بِكَ ^(١) .

وَقَالَ أَبُو عِيَّاشٍ الْمَنْتُوفُ ^(٢) لِأَبِي شَاكِرِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ : لَوْ قَصَّرْتَ
قَيْصُوكَ ، قَالَ لَهُ : مَا يَفْضُرُكَ مِنْ طُولِهِ . قَالَ : تَدَوُّسُهُ فِي الطَّيْنِ ، قَالَ وَمَا
يَنْفَعُكَ مِنْ دَوْسِهِ .

وَقَالَ : كَانَ عَلَى نَبَالَةٍ ^(٣) رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالَ لِرَجُلٍ مِنْ بَاهِلَةٍ ، مَنْ
الَّذِي يَقُولُ :

إِنْ كُنْتُ تَرْجُو أَنْ تَنَالَ غَنِيمَةً فِي دُورِ بَاهِلَةٍ بِنِ يَغْفَرُ فَأَرْحَلَ
قَوْمٌ قَتِيبةً أَثْمَمَ وَأَبْوَمَ لَوْلَا قُتَيْبَةُ أَصْبَحُوا فِي مَجْهَلٍ
فَقَالَ الْبَاهِلِيُّ : مَا أَذْرِي غَيْرَ أَنِّي أَظُنُّهُ الَّذِي يَقُولُ :

يَا شَدَّةَ مَا شَدَدْنَا غَيْرَ كَاذِبَةٍ عَلَى سَخِينَةٍ لَوْلَا اللَّيْلُ وَالْحَرَمُ ^(٤)
قَالَ : وَتَكَلَّمَ أَبُو ظَلِيَّانَ الْبَيْهِيُّ يَوْمًا فَأَكْثَرَ ، فَقَالَ لَهُ مَالِكُ بْنُ مُسَيْمٍ ،

(١) يتضح من القصة أن مرثدا وثمامة أخوان لأب، وبذلك يستقيم الكلام .
(٢) كذا في تاريخ الطبري طبع أوربا . والقي في (١) التي وردت فيها وحدها هذه
القصة « للشوق » : وهو تحريف .

(٣) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة : « تأييده » مكان قوله : « يا شدة » .
و « على سجيعة » مكان قوله « على سخيعة » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين صوابه ما أميتنا
تقلا عن الأغاني ج ١٩ ص ٧٦ طبع بولاق . والبيت لحنداش بن زهير ، والسخيعة : طعام يتخذ
من الدقيق وهو دون المصبعة في الرقة وفوق الحساء ، وهو لقب لقريش كانت تسميه به
لكثرة اتخاذهم لهذا الطعام . وهذا البيت من أبيات أربعة وردت في الأغاني في خبر طويل
فاظفروه ثم . وما هي ذى الأبيات الثلاثة بعد هذا البيت :

إِذْ يَتَقِنَا هِشَامَ بِالْوَيْدِ وَلَوْ أَنَا تَقَفْنَا هَعَامَا شَالَتْ الْخَدَمُ
بَيْنَ الْأَرَاكِ وَبَيْنَ الْمَرْجِ نَبْطَحُهُمْ زُرُقُ الْأَسْنَةِ فِي أَطْرَافِهَا السَّمِ
فَإِنْ سَمِعْتَ بِمَيْشِ سَالِكٍ شَرَفَا وَبَطْنُ مَرْفَأَخْفُوا الْجَرَسَ وَاكْتَمَوْا

إيها أبا مَطَر^(١) ، فإن لقوم في الكلام نصيباً ، فقال : والله ما إليك جِثْتُ ، ولو أن بكر بن وائل أجمعت في بيتٍ بَقَالَ لَا تَيْتُهُمْ . فقال له مالك ، إنما أنت سَهْمٌ من سهام كِنَانَتِي . فقال ابنُ ظَبْيَانَ : أنا سَهْمٌ من سهام كِنَانَتِكَ ؟ فوالله لو قتُ فيها لَطَلَتْهَا ، ولو قعدتُ فيها لخرقَتْهَا ، وإني والله ما أراك تَنْتَهِي حَتَّى أُرْمِيكَ بِسَهْمٍ لَمْ يُرَشْ^(٢) ، تَذِلُّ به شَفَاكَ ، وَيَجِفُّ لَه رِيْقُكَ .

وقال رجلٌ للأخنف : بأيُّ شَيْءٍ سُدَّتْ تَمِيَا ؟ فوالله ما أنت بأجودِم ولا أشجعِهم ولا أجهلِهم ولا أشرفِهم ، قال : بخلافٍ ما أنت فيه . قال : وما خلافُ ما أنا فيه ؟ قال : تَرْكِي ما لَا يَعْنِينِي من أُمُورِ الناسِ كما عَنَّاكَ مِنْ أُمُورِي ما لَا يَعْنِيكَ .

وَوَفَدَ عَلِيٌّ بْنُ خَالِدٍ الْهَجَمِيُّ عَلَى هِشَامٍ وَعِنْدَهُ الْأَبْرَشُ [الْكَلْبِيُّ] ، فقال له الْأَبْرَشُ الْكَلْبِيُّ : يَا أَخَا بَنِي الْهَجَمِ ، مَنْ الْقَائِلُ :

لَوْ يَسْتَمْعُونَ بِأَكْلَةٍ أَوْ شَرِبَةٍ بِمَانَ أَحْبَبَ جَمْعُهُمْ بِمَانَ
أَلَكُمُ يَقُولُهُ ؟ قال : نعم ، لَنَا يَقُولُهُ ، وَلَكِنَّكُمْ يَأْمُقْشَرُ كَلْبٌ تُعْبِرُونَ^(٣)
النِّسَاءَ وَتَجَزُّونَ^(٤) الشَّاءَ ، وَتَكْدُرُونَ الْعَطَاءَ ، وَتَوْخَرُونَ الْعِشَاءَ ، وَتَبِيعُونَ الْمَاءَ .

(١) في (١) « إنها أبا مَطَر » ، وهو تحريف ، وقد أثبتنا هذه الكنية عن الكامل للبرد . والذي في (ب) إنما ينتظر القوم .

(٢) يقال راح السهم بريشه إذا وضع عليه الريش ليكون أسرع له . ويريد هنا سهماً من القوم .

(٣) تعبرون النساء أي تتركون ختانهن . يقال امرأة معبرة إذا طال بظرها . وفي الأصل سيرون بالياء المثناة وهو تحريف .

(٤) في كلتا النسختين : « وتنجرون » ؟ وهو تحريف ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا .

إلا من كانت أمُّه زنى بها رجلٌ مِنَّا فنَزَعَ إلينا . فقال له الثنوي . وكذلك كلُّ مَنْ [لم] يقل الشَّعر مِنكم ، فإنما زنى بأمِّه رجلٌ مِنَّا فَحَمَلَتْ به ، فنَزَعَ إلينا ، فَمِنْ ثَمَّ لم يقل الشعر .

وقال رجلٌ مِنَ الْعَرَبِ لرجُلٍ مِنْ أَبْنَاءِ الْعَجَمِ : رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنِّي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَلَمْ أَرْ فِيهَا ثَنَوِيًّا . فقال له الثنوي : أَصَعِدْتَ الْغُرْفَ ؟ قال : لا . قال : فَمِنْ ثَمَّ لم تَرَهُمْ ، هُمْ فِي الْغُرْفِ .

قال ابنُ عَيَّاش : ما قَطَعَنِي إِلَّا رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ آلِ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَكَانَ مَاجِنًا^(١) شَارِبَ خَمْرٍ ، وَذَلِكَ أَنِّي وَقَفْتُ عَلَى بَيَانِ الْبَيَّانِ^(٢) الَّذِي أَتَى^(٣) بِهِ ابْنُ هُبَيْرَةَ الْفَزَارِيَّ فَأَمَرَ بِصَلْبِهِ ، فَقَالَ لِي : مَا وَقُوفُكَ هَاهُنَا يَا أَبَا الْجَرَّاحِ ؟ قُلْتُ : أَنْظِرْ لِي هَذَا الشَّقِيَّ الَّذِي يَقُولُ : إِنَّهُ نَبِيٌّ ؟ قَالَ : وَمَا أَتَى بِهِ فِي نَبَوِيَّتِهِ ؟ قُلْتُ : بِتَحْلِيلِ الْخَمْرِ وَالزَّنا — وَأَنَا أَعْرِضُ بِهِ — فَقَالَ : لا ، وَاللَّهِ لَا يُقْبَلُ ذَلِكَ مِنْهُ حَتَّى يُبْزِيَ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ .

قال المدائني : ابنُ عَيَّاشِ أَبْرَصٌ .

وقال : دَخَلَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيُّ عَلَى عَمِيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ — وَهُوَ يَهْزَأُ بِهِ — [أَمْسَيْتَ يَا أَبَا الْأَسْوَدِ الْعَشِيَّةَ جَمِيلاً فَلَوْ عَلَّقْتَ تَمِيمَةً تَنْفِي

(١) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « ما حاربا » وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٢) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة : « ابنُ بيان » . ولم نجده فيها راجعاً من الكتب ، ولعل الصواب ما أثبتنا قطلاً عن الكامل لابن الأثير ، والفرق بين الفرق ، وعيون الأخبار . وبيان هذا ، هو ابنُ سَمْعَانَ التَّمِيمِيَّ وهو أول من قال بخلق القرآن ، وغير ذلك من الغالات الزائفة وكان يقول إنه المعاري إليه بقوله تعالى : « هذا بيان للناس » .

(٣) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « أرى » ؛ وهو تحريف . والذي وجدناه في الكتب أن الذي سلب بيانا هذا هو خالد بن عبد الله لا ابن هبيرة الفزاري وكان ذلك سنة ١١٩ هـ .

بها عنك العين ؟ فعرف أنه يهزأ به [فقال : أصلح الله الأمير —

أَفَنِي الشَّبَابَ الَّذِي فَارَقْتُ بِهِجَتَهُ مَرُّ الْجَدِيدَيْنِ مِنْ آتٍ وَمُنْطَلِقِي
لَمْ يَبْزُ كَالِي فِي طَوْلِ اخْتِلَافِهِمَا شَيْئًا تُخَافُ عَلَيْهِ لَذَعَةُ^(١) الْحَدَقِ
وقال للدائني : وَقَعَ بَيْنَ الْعُرْيَانِ بْنِ الْهَيْثَمِ النَّخَعِيِّ وَبَيْنَ بِلَالِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ
ابْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ كَلَامٌ بَيْنَ يَدَيَّ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ^(٢)
وَخَالِدٌ يَوْمئِذٍ عَلَى الْعِرَاقِ — وَكَانَ مُحَامِلًا عَلَى بِلَالٍ ، وَكَانَ الْعُرْيَانُ عَلَى شُرْطَةِ
خَالِدٍ — فَقَالَ الْعُرْيَانُ لِبِلَالٍ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَنَا بِأَبْيَضِ الرَّاحَتَيْنِ ، وَلَا مُنْتَشِرِ
الْمُنْخَرَيْنِ ، وَلَا أَرْوَحِ الْقَدَمَيْنِ ، وَلَا مُحَدِّدِ الْأَسْنَانِ ، وَلَا جَنْدٍ قَطَطٍ ، فَقَالَ
بِلَالٌ : يَا عُرْيَانُ أَتَعْنِينِي^(٣) بهذا ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، وَلَكِنْ كَلَامٌ يَتْلُو بَعْضُهُ
بَعْضًا . فَقَالَ بِلَالٌ : يَا عُرْيَانُ ، أَنْزِلْ أَنْ تَشْتُمَ أَبَا بُرْدَةَ وَأَشْتُمَ أَبَاكَ ، وَتَشْتُمَ
أَبَا مُوسَى وَأَشْتُمَ جَدَّكَ ، هَذَا وَاللَّهِ مَا لَا يَكُونُ ، فَقَالَ الْعُرْيَانُ : إِنِّي وَاللَّهِ
مَا أَجْعَلُ أَبَا مُوسَى فِدَاءَ الْأَسْوَدِ ، وَلَا أَبَا بُرْدَةَ فِدَاءَ الْهَيْثَمِ ، فَمَتَلَى وَمَثَلَكَ
فِي ذَلِكَ كَمَا قَالَ مِسْكِينُ الدَّارِمِيِّ^(٤) :

أَنَا مِسْكِينٌ لِمَنْ أَنْكَرَنِي وَلِمَنْ يَعْرِفُنِي جِدُّ نَفِيقٍ^(٥)
لَا أبيعُ النَّاسَ عِرْضِي إِنِّي لَأُبيعُ النَّاسَ عِرْضِي لَنَفِيقٍ

(١) في رواية : « لذة » .

(٢) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « القسري » ؛ وهو تمحيض .

(٣) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « استمن » ؛ وهو تحريف لاذ
لا يناسب معناه سياق الكلام .

(٤) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « الدائق » ؛ وهو تحريف .

(٥) ورد هذا البيت في (١) التي ورد فيها وحدها هذان البيتان :

أَيَا مِسْكِينٍ لِمَنْ تَعْرِفُنِي وَلِمَنْ تَبَادُرُ لِي حَدَّ نَفِيقٍ

وهو تحريف ؛ والتصحيح عن الأغاني في ترجمة مسكين الدارمي .

قال للدائني : جرى بين وكيع بن الجراح وبين رجل من أصحابه كلام في معاوية واختلعا ، فقال الرجل لو كيع : ألم يتبلىك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعن أبا سفيان ومعاوية وعتبة فقال : « لعن الله الراكب والقائد والسائق » ، فقال وكيع : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أيما عبد دعوت عليه فأجمل ذلك (له أو عليه) رحمة » ؛ فقال الرجل : أفسرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن والدك فكان ذلك لما رحمة . فلم يجر إليه جوابا .
تكلّم صغصعة عند معاوية ففرق ، فقال : وبهرك القول يا صغصعة ؟
فقال : إن الجياد نضاجة بالماء .

هكذا قال لنا السيرافي ، وقد قرأت عليه هذه الفقر كلّمها ، وإنما جمعتها للوزير بعد إحصائها وروايتها .

قال علي بن عبد الله : شهدت الحجاج خارجا من عند عبد الملك بن مروان ، فقال له خالد بن يزيد بن معاوية : إلى متى تقتل أهل العراق يا أبا محمد ؟ فقال : إلى أن يكتفوا عن قولهم في أبيك : إنه كان يشرب الخمر .

قال المدائني : أسرّت مزينة حسان بن ثابت — وكان قد هاجم — فقال :
مُزِينَةُ لَا يَرَى فِيهَا خَطِيبٌ وَلَا قَلْبِيحٌ يُطَافُ بِهِ خَضِيبٌ
أَنَاسٌ تَهْلِكُ الْأَخْصَابُ فِيهِمْ يَرَوْنَ النَّيْسَ يَعْدِلُهُ الْحَبِيبُ
فأتتهم الخزرج يفتدونه ؛ فقالوا^(١) : نفاديه بئيس ؛ ففضّبوا وقاموا ؛ فقال لهم حسان : يا إخوتي خذوا أخاكم وادفنوا إليهم أخاهم .

وقال المدائني : فرق عمر بن الخطاب بين منظور بن أبان وبين امرأته —

(١) فقالوا ، أي أسروه ، وهم بنو مزينة .

وكان خلفَ عليها بعد أبيه — فترَوَّجها طلحةُ بنُ عبدِ الله ، فلقِيَه منْظور ، فقال له : كيف وَجَدْتَ سُورِي ؟ فقال : كما وَجَدْتَ سُورَ أَيْيِكَ . فَأَفْحَمَهُ .

وقال حاطب بنُ أبي بلتعة : بَشَنَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى الْمُقَوْفِسِ مَلِكِ الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ ، فَأَتَيْتُهُ بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَأَبْلَغْتُهُ رِسَالَتَهُ ؛ فَضَحِكَ ثُمَّ قَالَ : كَتَبَ إِلَيَّ صَاحِبُكَ أَنْ أَتَّبِعَهُ عَلَى دِينِهِ ، فَمَا يَنْتَعُهُ — إِنْ كَانَ نَبِيًّا — أَنْ يَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَسْلُطَ عَلَى الْبَحْرِ فَيُغْرِقَنِي فَيَكْتَنِي مَوُوتِي وَيَأْخُذَ مُلْكِي ؟ قُلْتُ : فَمَا صَنَعَ عِيسَى إِذَا أَخَذَتْهُ الْيَهُودُ فَرَبَطُوهُ فِي حَبْلٍ وَحَلَقُوا وَاسْطَ رَأْسِهِ ، وَجَعَلُوا عَلَيْهِ إِكْلِيلَ شَوْكٍ ، وَحَمَلُوا خَشَبَتَهُ الَّتِي صَلَبُوهَ عَلَيْهَا عَلَى عُنُقِهِ ، ثُمَّ أَخْرَجُوهُ وَهُوَ يَتْبِكِي حَتَّى نَصَبُوهُ عَلَى الْخَشَبَةِ ، ثُمَّ طَعَنُوهُ حَيًّا بِمِجْرَةٍ حَتَّى مَاتَ ؛ هَذَا عَلَى زَعْمِكُمْ ، فَمَا مَنَعَهُ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ فَيُنْجِيَهُ وَيُهْلِكَكُمْ ثُمَّ فَيَكْتَنِي مَوُوتَهُمْ وَيُظَاهِرُهُمْ وَأَصْحَابُهُ عَلَيْهِمْ ؟ وَمَا مَنَعَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا حِينَ سَأَلَتْ أَسْرَاةُ الْمَلِكِ الْمَلِكَ أَنْ يَقْتُلَهُ فَقَتَلَهُ ، وَبَعَثَ بِرَأْسِهِ إِلَيْهَا حَتَّى وَضِعَ بَيْنَ يَدَيْهَا ، أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُنْجِيَهُ وَيُهْلِكَ النَّاسَ ؟ فَأَقْبَلَ عَلَى جُلْسَانِهِ وَقَالَ : إِنَّهُ وَاللَّهِ تَخْشَعُ ، وَمَا يَخْرُجُ الْحَكِيمُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ الْحُكَمَاءِ .

قال اللدائني : أَبْطَأَ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ الْجَنْنِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا قَبْلَهُ ^(١) — وهو على خراسان — وكان يقال للرجل : زَايِلُ بْنُ عَمْرِو بْنِ بَنِي أَسَدِ بْنِ خَزِيمَةَ ، فَدَخَلَ عَلَى الْجَنْنِيدِ يَوْمًا فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، قَدْ طَالَ أَنْتِظَارِي ، فَإِنْ رَأَى الْأَمِيرُ أَنْ يَضْرِبَ لِي مَوْعِدًا أَصِيرُ إِلَيْهِ فَقُل . فَقَالَ : مَوْعِدُكَ الْحَشَرُ ؛ فَخَرَجَ زَايِلٌ مُتَوَجِّهًا إِلَى أَهْلِهِ ؛ وَدَخَلَ عَلَى الْجَنْنِيدِ بَعْدَ ذَلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ .

(١) ما قبله ، أى ما قبل الجنيد من المطاء .

أَرِحْنِي بِخَيْرٍ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ فَاعِلًا وَإِلَّا فَيَعَادُ كَيْعَادِ زَامِلٍ
 قال : وَمَا قَعَلَ زَامِلٌ ؟ قال : لِحَقِّ بَاهِلِهِ . فَأَبْرَدَ الْجَنَيْدُ فِي أَثَرِهِ بَرِيدًا
 وَبَعَثَ يُعْهِدُهُ إِلَى الْكُورَةِ ^(١) الَّتِي يُدْرِكُ بِهَا ، [فَأَدْرَكَ] ^(٢) بَنِيْسَابُورَ ، فَزَلَّهَا .
 وَامْتَدَّحَ رَجُلٌ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — بِشِعْرِ ، فَأَمَرَ لَهُ بِشَيْءٍ ؛
 فَقِيلَ ^(٣) : « تُنْطَلِ عَلَى كَلَامِ الشَّيْطَانِ ؟ » فَقَالَ : « أُبْتَنِي الْخَيْرَ لَنَفْسِي الشَّرِّ » .

قال للدائني : أَنَى الْعَبْدَانِيَّ حَمَادَ بْنَ أَبِي حَنِيفَةَ وَقَدْ مَلَأَ عَيْنَهُ كُحْلًا
 قَدْ ظَهَرَ مِنْ تَحَاجِرِ عَيْنِهِ ، وَعِنْدَ حَمَادٍ جَمَاعَةٌ . فَقَالَ لَهُ حَمَادُ : كَأَنَّكَ أَمْرَأَةٌ
 نَفْسَاءُ . قَالَ : لَا ، وَلَكِنِّي تُكَلِّي . قَالَ : عَلَى مَنْ ؟ قَالَ : عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ .
 وَقَالَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ لِيَحْيَى ^(٤) : « إِنَّ ابْنَتَكَ تَشْكُو تَزْوِيجَكَ وَتَزْعُمُ
 أَنَّهُ ^(٥) يَبُولُ فِي دِثَارِهِ » . قَالَ : فَهُوَ يَبُولُ مِنْهَا فِيمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ دِثَارِهِ ^(٦) .
 وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : هَذَا عَقِيلٌ عَمَّهُ أَبُو لَهَبٍ . فَقَالَ عَقِيلٌ : هَذَا مُعَاوِيَةُ عَمَّتُهُ
 حَمَالَةُ الْحَطَبِ .

قال : وَدَخَلَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ فَقَارَبَ فِي خَطْوِهِ ، فَقَالَ
 أَبُو جَعْفَرٍ : كَبُرَتْ سِنَّكَ يَا مَعْنُ . قَالَ : فِي طَاعَتِكَ . قَالَ : وَإِنَّكَ لَجَلَدٌ .
 قَالَ : عَلَى أَعْدَائِكَ . قَالَ : إِنَّ فِيكَ لَبَقِيَّةً . قَالَ : هِيَ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

(١) بعث يعهده إلى الكورة ، أي بعث إلى الكورة التي يدرك بها يؤمنه . يقال
 أعهد إذا أمته وكفله . (٢) لم ترد هذه الكلمة في (١) التي وردت فيها وحدها
 دون (ب) هذه القصصة ؛ وسيأتي الكلام يقتضي إثباتها .
 (٣) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « فقال » ؛ وهو خطأ ؛ أو لعل
 اسم الفاعل قد سقط من النسخ كما يظهر لنا .
 (٤) يريد يحيى بن الحكم أخا مروان . (٥) أنه أي زوجها .
 (٦) في (١) التي وردت فيها وحدها دون (ب) هذه القصة « داره » ؛ في كلا الموضوعين
 وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

قال المنصور لسفيان بن معاوية المهلبي ، ما أسرع الناس إلى قومك ؟
قال، سفيان :

إنَّ العرائين^(١) تَلْقَاهَا مُحَسَّدَةٌ وَلَنْ تَرَى لِلنَّاسِ حُسَادًا
فقال : صدقت .

قال المدائني : حضر قوم من قريش مجلس معاوية وفيهم عمرو بن العاص
وعبد الله بن صفوان بن أمية الجمحي وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ؛
فقال عمرو : احمدا الله يا معشر قريش إذ جعل والي أموركم من ينفى^(٢) على
الغدي ، ويتصامم عن العوزاء ، ويمجر ذنبه على الخدائع . قال عبد الله بن
صفوان : لو لم يكن لهذا لشئنا إليه الضراء ، ودببنا^(٣) له الخمر ، وقلبنا له ظهر
البحر ، ورجونا أن يقوم بأمرنا من لا يطعمك مال مضر .

وقال معاوية : يا معشر قريش ، حتى متى لا تنصفون من أنفسكم ؟
فقال عبد الرحمن بن الحارث : إن عمرا وذوي عمرو أفسدوك علينا
وأفسدونا عليك ، ما كان لو أغضيت على هذه ؟ فقال : إن عمرا لي ناصح ،
قال أطمعنا^(٤) ، ثم أخذنا بمثل نصيحته ، إنك يا معاوية تضرب
عوام قريش بأياديك في خواصها كأنك ترى أن كرامها جاروك^(٥) دون لثامها ،

(١) عرائين القوم : عليتهم ، تشبها بعرائين الأنوف .

(٢) في نسخة : « يقضى على الهدى » .

(٣) في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام دون (ب) « ووهنا له الحمى » مكان
« ودببنا له الحر » ؛ وهو تحريف من الناسخ صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق ، يقال : مشى
إلى خصمه الضراء ودب إليه الحر بفتح الحاء والميم إذا مشى إليه مستغفيا ليختله . والضراء :
الشجر اللثغ : والحجر : ما وارك من جرف ونحوه .

(٤) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « منذ » ؛ وهو تحريف .

(٥) كذا في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة . وجاروك ، أي جروا معك فيها

تريد . وفي بعض الكتب حاربوك . يريد أنه يعطي كرامهم خوفا منهم واتقاء لحزبهم .

وَأَيْمُ اللَّهِ : إِنَّكَ لَتَفْرَغُ^(١) مِنْ إِيَّاهُ قَعْمٌ فِي إِيَّاهُ ضَخْمٌ ، وَلَكَأَنَّكَ بِالْحَرْبِ قَدْ حُلَّ عِقَالُهَا ثُمَّ لَا تُنْظِرُكَ . فقال معاوية : يَا بَنَ أَخِي^(٢) مَا أَحْوَجَ أَهْلَكَ إِلَيْكَ . ثُمَّ أَنْشَدَ معاوية :

أَغْرَى رَجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ تَشَابَعُوا عَلَى سَفَهٍ ، مِنَّا الْحَيَا وَالتَّكْرُؤُ ؟
وقال للدائني : كَانَ عَمْرُو بْنُ الزُّبَيْرِ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ يَحْدِثُهُ —
وعنده الْحِجَّاجُ بْنُ يَوْسُفَ — فَقَالَ لَهُ عَمْرُوٌ فِي بَعْضِ حَدِيثِهِ : قَالَ أَبُو بَكْرٍ —
يَعْنِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ — فَقَالَ الْحِجَّاجُ : أَعِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تَكْنِي ذَلِكَ الْفَاسِقُ ؟
لَا أَمَّ لَكَ . فَقَالَ عَمْرُوٌ : أَلَيْ تَقُولُ هَذَا لَا أَمَّ لَكَ وَأَنَا ابْنُ عَجَّازِ الْجَنَّةِ خَدِيمِجَةٍ
وَصَفِيَّةِ وَأَسْمَاءَ وَعَائِشَةَ ، بَلْ لَا أَمَّ لَكَ أَنْتَ يَا بَنَ الْمُسْتَفْرَمَةِ^(٣) بِعَجْمِ زَيْبِ الطَّائِفِ .
وقال : لَمَّا صَنَعَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بَغِيلَانَ الْوَاعِظِ مَا صَنَعَ ، قَالَ لَهُ
رَجُلٌ : مَا ظَلَمَكَ اللَّهُ وَلَا سَلَطَ عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا وَأَنْتَ مُسْتَحِقٌّ ؛ فَقَالَ
غَيْلَانُ : قَاتَلَكُمُ اللَّهُ ، إِنَّكَ جَاهِلٌ بِأَحْصَابِ الْأَخْدُودِ .

قال عمرو بن العاص : أَعْجَبْتَنِي كَلِمَةً مِنْ أُمِّةٍ ؛ قُلْتُ لَهَا وَمَعَهَا طَلَبُ :
مَا عَلَيْهِ يَا جَارِيَّةُ ؟ قَالَتْ : فَلِمَ غَطَّيْنَاهُ إِذَا ؟

وَقَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ فِي مُعَاوِيَةَ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ مُعَاوِيَةَ بِبَعْضِهِ ، فَقَالَ :
أَنْتَ عَلِمْتَ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ ظَنَّ الْحَكِيمِ كِهَانَةٌ .

(١) في (١) التي وردت فيها هذه الفصحة وحدها : « لتفرغ » ، ولم ننبين له معنى .
والصواب ما أثبتنا كما في العقد الفريد .

(٢) في الأصل : « يا براح » مكان « يا بن أخي » ، ولم نفهم له معنى . والصواب
ما أثبتنا كما في العقد الفريد . وبعد قوله « ما أحوج أهلك إليك » قوله « فلا تفجعهم بنفسك » .

(٣) المستفرمة بعجم زيب الطائف : عبارة كان عبد الملك بن مروان قد شتم بها الحجاج
في بعض كتبه إليه . وعجم الزيب : نواه . ويريد أن أمته كانت تستفرم به أي تضعه في
فرجها ليضيق .

وقيل لعمر بن عبد العزيز : ما تقول في علي وعثمان وفي حرب الجمل وصيفين ؟ قال : تلك دماء كف الله يدي عنها ، فأنا أكره أن أغس لسانى فيها .

وقال : طلق أبو الخنذف امرأته أم الخنذف ، قالت له : يا أبا الخنذف طلقتنى بعد خمسين سنة ، فقال : مالك ^(١) عندي ذنب غيره .

وقال : لقي جرير الأخطل فقال : يا مالك ، ما فعلت خنازيرك ؟ قال : كثيرة في مزج أفتح ، فإن شئت قريفاك منها ، ثم قال الإخطل : يا أبا خزرة ما فعلت أهازيك ؟ قال كثيرة في وادٍ أروح ، فإن شئت أنزيناك ^(٢) على بقمضا . وقال الشعبي : ذكر عمرو بن العاص عليا فقال : فيه دُعابة ، فبلغ ذلك عليا فقال : زعم أن النابغة أنى تلعباة تمرأحة ذو دُعابة أعافس وأمارس ؛ هيئات ، يمتنع من العفاس والمراس ذكر الموت وخوف البعث والحساب ومن كان له قلب في هذا عن هذا له واعظ وزاجر ، أما وشر القول الكذب — إنه ليعبد فيخلف ، ويحدث فيكذب ، فإذا كان يوم التباس فإنه زاجر وأمر ما لم تأخذ السيوف بهام الرجال ، فإذا كان ذلك فأعظم مكيدته في نفسه أن يمنح القوم أمته .

قال المدائني : بعت المفضل [الضبي] إلى رجل بأضحية ، ثم لقيه فقال : كيف كانت أضحيتك ؟ فقال : قليلة الدم . وأراد قول الشاعر :
ولو ذبح الضبي بالسيف لم تجد من القوم للضبي لحما ولا دما

(١) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة : « نبالك » .

(٢) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة : « أفريناك » بالفاء والراء ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

وقال المدائني : مرَّ عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى أَخِيهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ
السلام ومعه تيسٌ ، فقال له عليّ : إِنَّ أَحَدَ ثَلَاثَتِنَا أَحَقُّ . فقال عَقِيلُ : أَنَا
أَنَا وَتَيْسِي فَلَا .

وَكَلَّمَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ حُمْرَانَ يَوْمًا فِي الْمَسْجِدِ . فَقَالَ لَهُ حُمْرَانُ : لَا أَكْثَرُ
اللَّهُ فِينَا مِثْلَكَ . فقال عَامِرُ : لَكِنْ : أَكْثَرُ اللَّهُ فِينَا مِثْلَكَ ، فقال له القوم :
يَا عَامِرُ ، يَقُولُ لَكَ حُمْرَانُ مَا لَا تَقُولُ مِثْلَهُ ؟ فقال : نَعَمْ يَكْسَحُونُ طُرُقَنَا ،
وَيَحْوُكُونَ ^(١) ثِيَابَنَا ، وَيَخْرِزُونَ خِيفَاتَنَا . فقِيلَ لَهُ : مَا كُنَّا نَرَى أَنَّكَ تَعْرِفُ
مِثْلَ هَذَا ، قَالَ : مَا أَكْثَرَ مَا نَعْرِفُ مِمَّا لَا تَعْلَمُونَ بِنَا .

وقال : مرَّ جَرِيرُ بْنُ عَطِيَّةٍ عَلَى الْأَحْوَصِ وَهُوَ وَلَّى بَنْغِلٍ ، فَأَذَلَّى الْبَنْغِلُ
فَقَالَ الْأَحْوَصُ : بَنْغِلُكَ يَا أَبَا حَزْرَةَ عَلَى خَمْسِ قَوَائِمٍ . قال جرير : وَالْخَامِسَةُ
أَحَبُّ إِلَيْكَ .

ومرَّ جَرِيرٌ بِالْأَحْوَصِ ^(٢) وَهُوَ يَفْسُقُ بِامْرَأَةٍ وَيُنْشِدُ :

يَقْرَأُ بِعَيْنِي مَا يَقْرَأُ بِعَيْنِهَا — وَأَحْسَنُ شَيْءٍ مَا بِهِ الْعَيْنُ قَرَّتِ
فقال له جرير : فَإِنَّهُ يَقْرَأُ بِعَيْنِهَا أَنْ تَقْعَدَ عَلَى مِثْلِ ذِرَاعِ الْبَكْرِ ، أَفَتَرَاكَ
تَفْعَلُ ذَلِكَ ؟

فقال الوزير : مَنْ رَأَيْتَ مِنَ الْكِبَارِ ^(٣) كَانَ يَحْفَظُ هَذَا الْقَنْ وَلَهُ فِيهِ
غَزَاةٌ وَأَنْبِعَاثٌ وَجَسَارَةٌ عَلَى الْإِيرَادِ . قلتُ : أَبْنُ عِبَادٍ عَلَى هَذَا ، وَيَبْلُغُ مِنْ قُوَّتِهِ
أَنَّهُ يَفْتَعِلُ ^(٤) أَشْيَاءَ شَبِيهَةً بِهَذَا الضَّرْبِ عَلَى مَنْ حَضَرَ ، فَقَالَ : الْكَذِبُ لَا خَيْرَ

(١) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة : « ويمولون » ؛ ولا ينبغي ما فيها
من تحريف ظاهر .

(٢) عبارة (ب) « ومر جرير بالأحوص وهو ينشد » ثم ذكر البيت .

(٣) في (ب) « الكتاب » . (٤) في (١) « ينقل » ؛ وهو تحريف .

فيه ، ولا حلاوة لراويه ، ولا قبول عند سامعيه .

وقال : أرسل بلال بن أبي بردة إلى أبي علقمة فأتاه ، فقال : أتدري لأى شيء أرسلت إليك ؟ قال : نعم ، لتصنع بى خيراً . قال : أخطأت ولكن لأى شيء بك . فقال : أما إذ قلت ذلك لقد حكمت المسجون حكيم ، فسخر أحداهما بالآخر . فقال الوزير : أيقال سخر به فكان الجواب أن أبا زيد حكاه ، وصاحب التصنيف قد رواه ؛ وسخر منه أيضاً كلام ، وإنما يقال هو أفصح ، لأنه فى كتاب الله عز وجل ، وإلا فكلاهما جائز .

وقال حمزة بن بيض الحنفى للفرزدق : يا أبا فراس ، أئما أحب إليك أن تسبق الخير أم يسبقك ؟ قال : ما أريد أن أسبقه ولا أن يسبقنى ، بل تكون معاً . ولكن حدثنى أئما أحب إليك : أن تدخل منزلك فتجد رجلاً على حرامك ، أو تجد ما قابضة على قدم الرجل . فأفحمة .

فلما قرأت الجزء فى ضروب الجواب المنجم . قال : ما أفتح^(١) هذا النوع من الكلام لأبواب^(٢) البديهة وأبعثه لرواقد الذهن ؛ وما يتفاضل الناس عندي بشيء [أحسن^(٣)] من هذه الكلمات الفوائق الروائق ، ما أحسن ما جمعت وأتيت به .

الليلة الأربعون

وقال مرة أخرى : حدثني عن اعتقادك فى أبى تمام والبخترى ، فكان (١)

(١) كلنا فى (ب) . والذي فى (أ) « ما أصح » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى (ب) : « لأنواع » ؛ وهو خطأ من النسخ .

(٣) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها لم ترد فى كلتا النسختين ، والسياق يقتضيها ،

لذا لا تم العبارة بدونها .

الجواب : إن هذا الباب مُخْتَلَفٌ فيه ، ولا سبيل إلى رفعه ، وقد سَبَقَ هذا من الناس في الفِرَازِ دَقِّ وَجَرِيرٍ وَمِنْ قَبْلِهِمَا فِي زُهَيْرٍ وَالنَابِغَةِ حَتَّى تَكَلَّمَ عَلَى ذَلِكَ الصَّدْرُ الْأَوَّلُ ، مَعَ عُلُوِّ مَرَاتِبِهِمْ فِي الدِّينِ وَالْعَقْلِ وَالتَّيْيَانِ ، لَكِنْ حَدَّثَنَا أَبُو عَمْدٍ التَّروُضِيُّ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدِ قَالَ : سَأَلَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِي تَمَامٍ وَابْحَثَرِي ؛ قُلْتُ : أَبُو تَمَامٍ يَغْلُو عُلُوًّا رَفِيعًا ، وَيَسْقُطُ سَقُوطًا قَبِيحًا ، وَابْحَثَرِي أَحْسَنُ الرِّجَالِ نَمَطًا ، وَأَعَذَبُ لَغَطًا ؛ فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ :

قَدْ كَانَ ذَلِكَ ظَنِّي فَسَادَ ظَنِّي يَقِينَا

قُلْتُ : وَهَذَا أَيْضًا شِعْرٌ . فَقَالَ : مَا عَلِمْتُ .

فَقَالَ : هَذِهِ حِكَايَةٌ مَفِيدَةٌ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ الْمُتَقَدِّمِ ، وَحُكْمٌ يُلَوِّحُ مِنَ الْإِنْصَافِ ، وَقَدْ أَغْنَى هَذَا الْقَوْلُ عَنْ خَوْضٍ كَثِيرٍ .

(٢) وَدَعَا : مِنْ أَيْنَ دَخَلَتِ الْآفَةُ عَلَى أَصْحَابِ الْمَذَاهِبِ حَتَّى أَفْتَرَقُوا هَذَا الْأَفْتِرَاقَ ، وَتَبَايَنُوا هَذَا التَّبَايُنَ ، وَخَرَجُوا إِلَى التَّكْفِيرِ وَالتَّفْسِيرِ وَإِبَاحَةِ الدِّمِ وَالْمَالِ وَرَدِّ الشَّهَادَةِ وَإِطْلَاقِ اللِّسَانِ بِالْجُرْحِ وَالْقَذَعِ وَالتَّهَاجُرِ وَالتَّقَاطُعِ ! فَكَانَ الْجَوَابُ : إِنَّ الْمَذَاهِبَ فُرُوعُ الْأَدْيَانِ ، وَالْأَدْيَانُ أَصُولُ الْمَذَاهِبِ ، فَإِذَا سَاغَ ^(١) الْأَخْتِلَافُ فِي الْأَدْيَانِ — وَهِيَ الْأَصُولُ — فَلَمْ لَا يَسُوغُ فِي الْمَذَاهِبِ وَهِيَ الْفُرُوعُ .

فَقَالَ : وَلَا سِوَاءَ ^(٢) ، الْأَدْيَانِ اخْتَلَفَتْ بِالْأَنْبِيَاءِ ، وَهِيَ أَرْبَابُ الصِّدْقِ وَالْوَحْيِ الْمَوْثُوقِ بِهِ ، وَالْآيَاتِ الدَّالَّةُ عَلَى الصِّدْقِ ؛ وَلَيْسَ كَذَلِكَ الْمَذَاهِبُ . فَتَقِيلُ : هَذَا صَحِيحٌ ، وَلَا دَانِعٌ ^(٣) لَهُ ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَتْ الْمَذَاهِبُ نَتَائِجَ

(١) فِي (ب) « شَاع » ؛ وَالْعَنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا .

(٢) فِي (أ) وَلَا سِوَا ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ إِذْ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ سِيَاقُ الْكَلَامِ .

(٣) فِي (أ) « وَلَا رَاجِحٌ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

الآراء، والآراء ثمرات العقول، والعقول متأنح لله للعباد، وهذه النتائج
مختلفة بالصفاء والكدر، وبالكمال والنقص، وبالقلة والكثرة، وبالخفاء
والوضوح؛ وجب أن يجري الأمر فيها على مناهج الأديان في الاختلاف
والافتراق وإن كانت تلك منوطة بالنبوة؛ وبعد، فساد الناس على فطر
كثيرة، وعادات حسنة وقبيحة، ومناشئ محودة ومذمومة، وملاحظات قريبة
وبعيدة، فلا بد من الاختلاف في كل ما يختار ويختب، ولا يجوز في الحكمة
أن يقع الاتفاق فيما جرى تجرى للذاهب والأديان؛ ألا ترى أن الاتفاق
لم يحصل في تفضيل أمة على أمة، ولا في تفضيل بلد على بلد، ولا في تقديم
رجل على رجل، ولو لم يكن في هذا الأمر إلا التعمص واللجاج والهوى
والحك والذهاب مع السابق إلى النفس، والموافق [للزاج]، والخفيف على
الطباع، والمالك للقلب، لكان كافياً بالذات بالإنسان كل مبلغ.

وشيخنا أبو سليمان يقول كثيراً: إن الدين موضوع على القبول والتسليم،
والمبالغة في التعظيم^(١)، وليس فيه «لم» و«لا» و«كيف» إلا بقدر ما يؤكده
أصله ويشد أزره، وينفي عارض الشؤ عنه، لأن ما زاد على هذا يؤهن
[الأصل] بالشك، ويقدر في الفرع بالتهمة.

قال: وهذا لا يخص ديناً دون دين، ولا مقالة دون مقالة، ولا نحلة دون
نحلة، بل هو سائر في كل شيء في كل حال في كل زمان، وكل من حاول
رفع هذا فقد حاول رفع القطرة ونفى الطباع وقلب الأصل، وعكس الأمر؛
وهذا غير مستطاع ولا ممكن؛ وقد قيل: «إذا لم يكن ما تريد فأرد
ما يكون».

(١) في كلتا النسخين «والتعظيم» بالواو؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق.

وقال لنا القاضي أبو حامد المروزي : أنا منذ أربعين سنة أجتهد مع أصحابنا البصريين في أن أصحح عندهم أن بغداد أطيبت من البصرة ، وأنا اليوم في كلابي معهم كما كنت في أول كلابي لهم ، وكذلك حالهم معي ، فهذا هذا . أنظر إلى فضل ومرعوش — وهما من سقط الناس وسفلتهم — كيف لهيج الناس بهما وبالتمصّب لهما حتى صار جميع من ببغداد إما مرهوشياً وإما فضلياً .

ولقد أجتاز ابن معروف وهو على قضاء القضاة بباب الطاق فتعلّق بعض هؤلاء المجان بلجام بقلته ، وقال : أيها القاضي ، عرفنا ، أنت مرعوشي أم فضلي ، فتحيّر وعرف ما تحت هذه الكلمة من السفه والفطنة ، وأن التخلّص بالجواب الرفيق أجدى عليه من العنف والخرق وإظهار السطوة ؛ فالتفت إلى الحرّاني — وكان معه وهو من الشهود — فقال : يا أبا القاسم ، نحن في محلة من ؟ قال : في محلة مرعوش ؛ فقال ابن معروف : كذلك نحن — عافاك الله — من أصحاب محلّتنا لا نختار على اختيارهم ؛ ولا نتميّز فيهم . فقال القيّار : انشأ أيها القاضي في ستر الله ؛ مثلك من تعصّب للحيران .

فقال الوزير — أحسن الله توفيقه — هذا كله تعصّب وهوى وتمأخك^(١) . وتكلّف . قيل : هذا وإن كان هكذا فهو داخل فيما عداه من حديث الدين والمذهب والصناعة والبلد .

قال أبو سليمان : واصلحه عاتية نهي عن المراء والجدل [في الدين] على عادة التكلّمين ، الذين يزعمون أنهم ينصرون الدين^(٢) ، وهم في غاية العداوة

(١) في (١) « وتماسك » ؛ وهو تحريف .

(٢) في (ب) « الجدل » ، مكان « الدين » ؛ وهو خطأ من الناسخ .

للإسلام والمسلمين ، وأبعد الناس من الطمأنينة واليقين .
ثم حدث فقال :

اجتمع رجلان : أحدهما يقول بقول هشام ، والآخر يقول بقول الجواليقي ؛ فقال صاحب الجواليقي لصاحب هشام : صف لي ربك الذي تعبد ، فوصفه بأنه لا يد له ولا جارحة ولا آلة ولا لسان ، فقال الجواليقي : أيسرك أن يكون لك ولدت بهذا الوصف ؟ قال : لا ، قال : أما تستحي أن تصف ربك بصفة لا ترضاها لو ولدك ؟ فقال صاحب هشام : إنك قد سمعت ما نقول ، صف لي أنت ربك ؛ فقال : إنه جمد قطط في أنتم القمامات وأحسن الصور والقوام . فقال صاحب هشام ^(١) : أيسرك أن تكون لك جارية بهذه الصفة تطوها ؟ قال : نعم ، قال : أفا تستحي من عبادة من تحب مباضعة مثله ؟ ! وذلك لأن من أحب مباضعة فقد أوقع الشهوة عليه .

فقال : هذا من شوم الكلام ونكد الجدل ، فلو كان هناك دين لكان لا يدور هذا في وهم ^(٢) ولا ينطق به لسان .

وحكى أيضاً قال : أبتلي غلام أعجمي بوجع شديد ، فجعل يتأوه ويتلوى ويصيح . فقال له أبوه : يا بني أصبر وأحمد الله تعالى . فقال : ولماذا أحمده ؟ قال لأنه أبتلاك بهذا ؛ فاشتد وجع الغلام ورفع صوته بالتأوه أشد مما كان ، فقال له أبوه : ولم أشد جزعك ؟ فقال : كنت أظن أن غير الله أبتلاني بهذا فكنت أرجوه أن يعافيني من هذا البلاء ويصرفه عني ، فأنا إذ كان هو

(١) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه العبارة « الجواليقي » مكان « هشام » ، وهو خطأ . من الناسخ ؛ والسياق يقتضي ما أثبتنا . وعبارة (ب) « فقال له » ثم ذكر كلامه .
(٢) في (ب) « في خاطر » ، والمعنى يستقيم عليه أيضا .

الَّذِي أَبْلَانِي بِهِ فَنِ أَرْجُو أَنْ يُعَافِيَنِي ! فَالآنَ أَشْهَدُ جَزَعِي ، وَعَظَمَتُ مُصِيبَتِي . قَالَ : وَلَوْ عَلِمَ أَنَّ الَّذِي أَبْلَاهُ هُوَ الَّذِي أَسْتَصَلَحَتْهُ بِالْبَلَاءِ لَيَكُونُ إِذَا وَهَبَ لَهُ الْعَافِيَةَ شَاكِرًا لَهُ عَلَيْهَا بِحَسْبِ صَحِيحٍ وَعِلْمٍ نَامٍ لَكَانَ لَا يَرَى مَا قَالَهُ وَتَوَهَّمَهُ لَا زِمًا .

وَحَكَمِي أَيْضًا أَنَّ رَجُلًا مِنَ التَّعَجُّمِ حَجَّ وَتَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الْكَفَنَةِ فَطَفِقَ يَدْعُو وَيَقُولُ : يَا مَنْ خَلَقَ السَّبَّاعَ الضَّارِيَةَ ، وَالْهُوَامَ الْعَادِيَةَ ، وَسَلَّطَهَا عَلَى النَّاسِ ، وَضَرَبَهُمُ بِالْإِمَانَةِ وَالنَّعْمَى وَالْفَقْرَ وَالْحَاجَةَ ؛ فَوَتَّبَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ وَسَبَّوْهُ وَزَجَرُوهُ وَقَالُوا : أَدْعُ اللَّهَ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى . فَأَظْهَرَ لَمْ النَّدَامَةَ ، وَالتَّعَارُفَ ^(١) فَخَلَّوْا عَنْهُ بَعْدَ مَا أَرَادُوا الْوَقِيعَةَ بِهِ ، فَارْجَعَ وَتَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الْكَفَنَةِ ، وَجَعَلَ يَنَادِي : يَا مَنْ لَمْ يَخْلُقِ السَّبَّاعَ الضَّارِيَةَ ، وَلَا الْهُوَامَ ، وَلَا سَلَّطَهَا عَلَى النَّاسِ ، وَلَمْ يَضْرِبْ النَّاسَ بِالْأَوْجَاعِ وَالْأَسْغَامِ . فَوَثَبُوا [عَلَيْهِ] أَيْضًا وَقَالُوا لَهُ : لَا تَقُلْ هَذَا فَإِنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ؛ فَقَالَ : مَا أَذْرِي كَيْفَ أَعْمَلُ ؟ إِنْ قُلْتُ : إِنَّ اللَّهَ خَالِقُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَتَثْبِتُهُمْ عَلَى ؛ وَإِنْ قُلْتُ : [إِنَّ اللَّهَ] لَمْ يَخْلُقْهَا وَتَثْبِتُهُمْ عَلَى . فَقَالُوا : هَذَا يَنْتَبِئُ أَنْ تَعْلَمَهُ بِقَلْبِكَ وَلَا تَدْعُ اللَّهَ بِهِ .

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ : وَهَذَا أَيْضًا مِنْ شَوْثِ الْكَلَامِ وَشُبْهِ الْمُتَكَلِّمِينَ الَّذِينَ يَقُولُونَ : لَا يَجُوزُ ^(٢) أَنْ يُعْتَقَدَ شَيْءٌ بِالتَّقْلِيدِ ، وَلَا بَدٌّ مِنْ دَلِيلٍ ، ثُمَّ يَدُلُّونَ وَيَخْتَلِفُونَ ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ الْأَدِلَّةَ مُتَكَافِئَةٌ .

وَكَانَ ابْنُ الْبَقَالِ يَجْهَرُ بِهَذَا الْقَوْلِ ، فَقُلْتُ لَهُ مَرَّةً : لِمَ مِلْتَ إِلَى هَذَا الْمَذْهَبِ ؟ فَقَالَ : لِأَنِّي وَجَدْتُ الْأَدِلَّةَ مُتَدَافِقَةً فِي أَنْفُسِهَا ، وَرَأَيْتُ أَصْحَابَهَا

(١) عبارة (١) « وفارق مجلوا عنه » ؛ وهو تحريف . والتعارف : التقارب والمداينة .

(٢) كذا في (١) والذي في (ب) « لا يجب » . ولعلها محرفة عن « لا يجب »

بالبناء للمجهول .

يُزَخِّرُ فُونَهَا وَيُمَوِّهُونَهَا لِيُتَقَبَلَ مِنْهُمْ ، وَكَانُوا كَأَصْحَابِ الزُّيُوفِ الَّذِينَ يَغُشُّونَ
 الذَّنْدَ لِيَنْفَقَ عِنْدَهُمْ ، وَتَدُورُ الْمُغَالَطَةُ^(١) بَيْنَهُمْ . فَقُلْتُ لَهُ : أَمَا تَعْرِفُ أَنَّ الْحَقَّ
 حَقٌّ وَالْبَاطِلَ بَاطِلٌ ؟ قَالَ : بَلَى ، وَلَكِنْ لَا يَتَبَيَّنُ^(٢) أَحَدُهُمَا مِنَ الْآخَرِ . قُلْتُ :
 أَفَلَا نَهْ لَا يَتَبَيَّنُ لَكَ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ تَعْتَقِدُ أَنَّ الْحَقَّ بَاطِلٌ وَأَنَّ الْبَاطِلَ حَقٌّ ؟
 قَالَ : لَا أَجِبُ . إِلَى حَقٍّ أَغْرِفُهُ بِعَيْنِهِ فَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ بَاطِلٌ ، وَلَا أَجِبُ . أَيْضًا إِلَى
 بَاطِلٍ أَغْرِفُهُ بِعَيْنِهِ فَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ حَقٌّ ، وَلَكِنْ لَمَّا أَلْتَبَسَ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ وَالْبَاطِلُ
 بِالْحَقِّ قُلْتُ : إِنَّ الْأَدِلَّةَ عَلَيْهِمَا وَلَهُمَا مِتْكَافِئَةٌ ، وَإِنَّمَا مَوْقُوفَةٌ عَلَى حِذْقِ الْحَازِقِ
 فِي نُصْرَتِهِ ، وَضَعْفِ الضَّعِيفِ فِي الذَّبِّ عَنْهُ . قُلْتُ فَكَيْفَ كَانَ قَدْ رَجَعْتَ عَنْ
 اعْتِرَافِكَ بِالْحَقِّ أَنَّهُ حَقٌّ ، وَبِالْبَاطِلِ أَنَّهُ بَاطِلٌ . قَالَ : مَا رَجَعْتُ . قُلْتُ
 فَكَيْفَ تَدْعِي الْحَقَّ حَقًّا جُمْلَةً وَالْبَاطِلَ بَاطِلًا جُمْلَةً مِنْ غَيْرِ أَنْ تُتَمَيَّزَ بِالتَّفْصِيلِ .
 قَالَ : كَذَا هُوَ . قُلْتُ : فَمَا تَفْعَلُ^(٣) بِالْأَعْتِرَافِ بِالْحَقِّ وَأَنَّهُ مُتَمَيَّزٌ عَنِ الْبَاطِلِ
 فِي الْأَصْلِ ، وَأَنْتَ لَا تُتَمَيَّزُ بَيْنَهُمَا فِي التَّفْصِيلِ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا تَفْعَلُ
 مِنْهُ . قُلْتُ فَلِمَ لَا تَقُولُ : الرَّأْيُ أَنَّ أَقْفَ فَلَا أَحْكَمَ عَلَى الْأَدِلَّةِ بِالتَّكَاثُفِ ، لِأَنَّ
 الْبَاطِلَ لَا يُقَاوِمُ الْحَقَّ ، وَالْحَقَّ لَا يَتَشَبَّهُ بِالْبَاطِلِ ، إِلَى أَنْ يَفْتَتَحَ اللَّهُ بَصَرِي
 فَأَرَى الْحَقَّ حَقًّا فِي التَّفْصِيلِ ، وَالْبَاطِلَ بَاطِلًا عَلَى التَّحْصِيلِ ، كَمَا رَأَيْتُهُمَا فِي الْجُمْلَةِ ،
 وَأَنَّ الَّذِي فَتَحَ بَصَرِي عَلَى ذَلِكَ فِي الْأَوَّلِ هُوَ الَّذِي غَضَّ بَصَرِي عَنْهُ فِي
 الثَّانِي ؟ قَالَ : يَنْبَغِي أَنْ أَنْظُرَ فِيمَا قُلْتُ . فَقُلْتُ : أَنْظُرْ إِنْ كَانَ لَكَ نَظَرٌ ،
 وَلَا تَتَكَلَّفِ النَّظَرَ مَا دَامَ بِكَ عَمَى أَوْ عَشَا أَوْ رَمَدَ .

(١) كَذِبٌ فِي (١) وَالَّذِي فِي (ب) « الْعَامِلَةُ » .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « يَبِينُ » بِسِقُوطِ « لَا » ؛ وَالصَّوَابُ مَا أَهْبَتْنَا كَمَا يَأْخُذُ مَا يَأْتِي بَعْدَ .

(٣) فِي (١) « تَفْعَلُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

وحكى لنا أبو سليمان قال : وصَفَ لنا بعضُ النُّصارى الجَنَّةَ فقال : ليس فيها أكلٌ ولا شُرْبٌ ولا نِكَاحٌ . فَسَمِعَ ذلك بعضُ المتكلمين فقال : ما تصف إلا الحُزْنَ والأسَفَ والبلاءَ .

وقال أبو عيسى الوراق — وكان من حُذَّاق المتكلمين — إنَّ الأمر بما يتعلَّم أن الأمور لا يَفْتَلُهُ سَفِيهٌ ، وقد علَّم اللهُ مِنَ الكفار أنهم لا يؤمنون ، فليس لأمرهم بالإيمان وَجْهٌ في الحِكْمَةِ .

قال أبو سليمان : أنظر كيف ذهب عليه السُّرُّ في هذه الحال ، مِن ابْنِ أتوا ، وكيف لَزِمَتْهم الحُجَّةُ .

وقال أبو عيسى أيضاً : المَعاقِبُ الَّذِي لَا يَسْتَصْلِحُ بِمُقُوبَتِهِ مِنْ عَاقِبِهِ ، وَلَا يَسْتَصْلِحُ بِهِ غَيْرُهُ ، وَلَا يَشْفِي غِيْظَهُ بِمُقُوبَتِهِ جَائِرٌ ، لِأَنَّهُ قَدْ وَضَعَ الْعُقُوبَةَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا . قال : لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَسْتَصْلِحُ أَهْلَ النَّارِ وَلَا غَيْرَهُمْ ، وَلَا يَشْفِي غِيْظَهُ بِمُقُوبَتِهِمْ ، فَلَيْسَ لِلْعُقُوبَةِ وَجْهٌ فِي الْحِكْمَةِ . هَذَا غَرَضُ كِتَابِهِ الَّذِي نَسَبَهُ إِلَى الْغَرِيبِ الْمَشْرِقِ .

وقال أبو سعيد الخضرمي — وكان من حُذَّاقِ الْمُتَكَلِّمِينَ بِبَغْدَادَ ، وَهُوَ الَّذِي تَظَاهَرَ بِالْقَوْلِ بِشُكَاكُوفِ الْأَدَلَّةِ — إِنَّ كَانَ اللَّهُ عَدْلًا كَرِيمًا جَوَادًا عَلِيمًا رَهِيقًا رَحِيمًا فَإِنَّهُ سَيُصَيِّرُ جَمِيعَ خَلْقِهِ إِلَى جَنَّتِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ جَمِيعًا عَلَى اخْتِلَافِهِمْ يَجْتَهِدُونَ فِي طَلَبِ مَرْضَاتِهِ ، فَيَهْرُبُونَ مِنْ وَقْعِ سُخْطِهِ بِقَدْرِ عِلْمِهِمْ وَمَتَلَبِّ عَقُولِهِمْ ، وَإِنَّمَا تَرَكَوا أَتْبَاعَ أَمْرِهِ لِأَنَّهُمْ خُدِعُوا ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الْبَاطِلُ بِأَسْمِ الْحَقِّ ؛ وَمَثَلُهُمْ فِي ذَلِكَ مَثَلُ رَجُلٍ حَمَلَ هَدِيَّةً إِلَى مَلِكٍ ، فَمَرَّضَ لَهُ فِي الطَّرِيقِ قَوْمًا شَانَهُمُ الْخِلْدَاعُ وَالْمَكْرُ وَالْأَسْتِلَالُ^(١) ، فَنَصَبُوا لَهُ رَجُلًا ، وَسَمَوْهُ بِاسْمِ الْمَلِكِ

(١) في (٢) «والاستلال» وفي (ب) «والاسترسال»؛ وهو تحريف في كلتا النسختين.

الذى كان قَصَدَهُ ، فَسَلَّمَ الْهَدِيَّةَ إِلَيْهِمْ ؛ فَالْمَلِكُ الَّذِي قَصَدَهُ إِنْ كَانَ كَرِيمًا فَإِنَّهُ يَغْذِرُهُ وَيَرْحُمُهُ وَيَزِيدُ فِي كَرَامَتِهِ وَيُرِيهِ حِينَ يَقِفُ عَلَى قِصَّتِهِ ، وَهَذَا أَوَّلَى بِهِ مِنْ أَنْ يَفْضَبَ عَلَيْهِ وَيُعَاقِبَهُ .

وقال أبو سليمان : ذكروا أَنَّ رَجُلًا رَأَى قَوْمًا يَتَنَاطَرُونَ ، فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ فَرَأَاهُمْ مُخْتَلِفِينَ ، فَأَقْبَلَ عَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ فَقَالَ : أَتُلْزِمُنِي أَنْ أَقُولَ بِقَوْلِكَ وَأَنَا لَا أَعْلَمُ أَبُوكَ مُحِقٌّ ؟ فَإِنْ قُلْتَ : نَعَمْ ، قُلْتُ لَكَ : إِنْ بَعْضُ جُلَسَائِكَ يَدْعُونِي إِلَى مَخَالَفَتِكَ وَأَتَّبَاعِهِ ، وَلَيْسَ عِنْدِي عِلْمٌ بِالْمُحِقِّ مِنْكُمْ ؛ وَإِنْ أَلْزَمْتَنِي أَنْ أَتَّبِعَ كُلَّكُمْ فَهَذَا مُحَالٌ ، وَإِنْ قُلْتَ : لَا يَلْزِمُكَ أَنْ تَتَّبِعَنِي وَلَا غَيْرِي إِلَّا بَعْدَ الْعِلْمِ بِالْمُحِقِّ مِنْكُمْ ، لَمْ يَخْلُ الْعِلْمُ بِذَلِكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِعْلِي أَوْ فِعْلَ غَيْرِي ، فَإِنْ كَانَ الْعِلْمُ فِعْلًا لَغَيْرِي قَدْ صِرْتُ مُضْطَرًّا ، وَلَا أَسْتَوْجِبُ عَلَيْهِ حَمْدًا وَلَا ذَمًّا [وَإِنْ كَانَ الْفِعْلُ لِي] فَمَنْ أَعْظَمُ جَهَالَةٍ مَنْ يَفْعَلُ مَا يَلْزِمُهُ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ بِهِ ، وَإِنْ قَصَرَ صَبْرُهُ ذَلِكَ إِلَى الْعَطَبِ وَالْهَلَاكِ ، مَعَ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ يُؤَدِّي إِلَى أَنْ أَكُونَ أَنَا الْمُعْتَرِضُ عَلَى نَفْسِي ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَلْزِمُنِي ذَلِكَ إِذَا عَلِمْتُ أَنِّي أَقْدِرُ أَنْ أَعْلَمَ وَأَلَا أَعْلَمَ .

وَحَكَى لَنَا أَيْضًا قَالَ : سَأَلَ عِنْدَنَا رَجُلٌ مِنَ الْمُتَحَيِّرِينَ بِسَجِسْتَانَ فَقِيلَ لَهُ : [مَا دَلِيلُكَ عَلَى صِحَّةِ مَقَالَتِكَ ؟ فَقَالَ لَا دَلِيلَ وَلَا حِجَّةَ . فَقِيلَ لَهُ] وَمَا الَّذِي أَحْوَجَكَ إِلَى هَذَا ؟ قَالَ : لِأَنِّي رَأَيْتُ الدَّلِيلَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ وَجُوهٍ ثَلَاثَةٍ : إِمَّا مِنْ طَرِيقِ النُّبُوَّةِ وَالْآيَاتِ ، فَإِنْ كَانَ إِنَّمَا يَثْبُتُ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ فَلَمْ أَشَاهِدْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ثَبَتَ عِنْدِي مَقَالَتُهُ .

وإِذَا أَنْ يَكُونُ يَنْبَتُ بِالْكَلَامِ وَالْقِيَاسِ فَإِنْ كَانَ إِنَّمَا يَثْبُتُ بِذَلِكَ فَقَدْ

رَأَيْتُنِي سَرَّةً أَخْصِمُ وَسَرَّةً أَخْصِمُ ، ورَأَيْتُنِي أُعْجِزُ عَنِ الْحُجَّةِ فَأَجِدُهَا عِنْدَ غَيْرِي ، وَأَتَقَبَّعُ إِلَيْهَا مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي بَعْدَ ذَلِكَ ، فَيَصِحُّ عِنْدِي مَا كَانَ بِاطِلَاقٍ ، وَيَفْسُدُ عِنْدِي مَا كَانَ صَحِيحًا ؛ فَلَمَّا كَانَ هَذَا الْوَصْفُ عَلَى مَا وَصَفْتُ لَمْ يَكُنْ لِي أَنْ أَقْضِيَ لشيءٍ بِصَحَّةٍ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ ، وَلَا أَقْضِيَ عَلَى شَيْءٍ بِفَسَادٍ لِعَدَمِ الْحُجَّةِ .

وإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ ثَبَتَتْ بِالْأَخْبَارِ عَنِ الْكُتُبِ فَلَمْ أَجِدْ أَهْلَ مِلَّةٍ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِهِمْ ، وَلَمْ أَجِدْ إِلَى تَصْدِيقِ كُلِّهِمْ سَبِيلًا . وَكَانَ تَصْدِيقُ الْفِرْقَةِ الْوَاحِدَةِ دُونَ مَا سِوَاهَا جَوْرًا ، لِأَنَّ الْفِرْقَ مُتَسَاوِيَةٌ فِي الدَّعْوَى وَالْحُجَّةِ وَالذَّبِّ وَالنُّصْرَةِ . فَقِيلَ لَهُ : فَلِمَ تَدِينُ بِدِينِكَ هَذَا الَّذِي أَنْتَ عَلَى شِعَارِهِ وَحَلِيَّتِهِ ، وَهَدْيِهِ وَهَيْئَتِهِ ؟

فَقَالَ : لِأَنَّ لَهُ حَرَمَةً لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ ، وَذَلِكَ أَنِّي وَلِدْتُ فِيهِ ، وَنَشَأْتُ عَلَيْهِ ، وَتَشَرَّبْتُ حَلَاوَتَهُ ، وَأَلِفْتُ عَادَةَ أَهْلِهِ ، فَكَانَ مِثْلِي كَمِثْلِ رَجُلٍ دَخَلَ خَانًا يَسْتَظِلُّ فِيهِ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وَالسَّمَاءُ مُصْنَحِيَّةٌ ، فَأَدْخَلَهُ صَاحِبُ الْخَانِ بَيْتًا مِنَ الْبُيُوتِ مِنْ غَيْرِ تَخَبُّرٍ وَلَا مَعْرِفَةٍ بِصَلَاحِهِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ نَشَأَتْ سَحَابَةٌ فَطَرَتْ جَوْدًا ، وَوَكَّفَ الْبَيْتُ ، فَنَظَرَ إِلَى الْبُيُوتِ الَّتِي فِي الْمُنْدُقِ فَرَأَاهَا أَيْضًا تَكِيفُ ، وَرَأَى فِي صَحْنِ الدَّارِ رَدْعَةً ، فَفَكَّرَ أَنْ يُقِيمَ مَكَانَهُ وَلَا يَنْتَقِلُ إِلَى بَيْتٍ [آخَر] وَيَرْبَحَ الرَّاحَةَ ، وَلَا يُلَطِّخَ رِجْلَيْهِ بِالرَّدْعَةِ وَالْوَحَلِ اللَّذَيْنِ فِي الصَّيْحَنِ ؛ وَمَالَ إِلَى الصَّبْرِ فِي بَيْتِهِ ، وَالْقَامِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ ، وَكَانَ هَذَا مِثْلِي ، وَلِدْتُ وَلَا عَقْلَ لِي ، نَحْنُ أَدْخَلْنِي أَبَوَايَ فِي هَذَا الدِّينِ مِنْ غَيْرِ خِيَرَةٍ مِنِّي ، فَلَمَّا قَشَشْتُ عَنْهُ رَأَيْتُ سَبِيلَهُ سَبِيلَ غَيْرِهِ ، وَرَأَيْتُنِي فِي صَبْرِي

عليه أعزّ مني في تركه ، إذ كنت لا أدعه وأميل إلى غيره إلا باختيار مني
لذلك ، وأثرة له عليه ؛ ولست أجده حجة إلا وأجد لغيره عليه مثلها .

وحكى لنا ابن البقال — وكان من ذهاب الناس — قال : قال ابن
المسيب : جمع بيني وبين عثمان بن خالد ، فقال لي : أحب أن أناظرك
في الإمامة ؛ قلت : إنك لا تناظرني ، وإنما أشير عليّ ؛ فقال : ما أقبل
ذلك ، ولا هذا موضع مشورة ، وإنما اجتمعنا للمناظرة ؛ قلت له : فإننا
قد اجتمعنا على أن أولى الناس بالإمامة أفضلهم ، وقد سبقنا القوم الذين يتنازع في
فضلهم ، وإنما يعرف فضلهم بالنقل والخبر ؛ فإن أحببت سلت لك ما ترويه
أنت وأهل مذهبك في صاحبك ، وتسلم لي ما أرويه أنا وفرقتي في صاحبي ،
ثم أناظرك في أي الفضائل أعلى وأشرف ؛ قال : لا أريد هذا ، وذلك أني
أروى مع أصحابي أن صاحبي رجل من المسلمين يصيب ويخطئ ، ويعلم
ويجهل ؛ وأنت تقول في صاحبك : إنه معصوم من الخطأ ، عالم بما يحتاج
إليه . فكيف أرفض هذه الجملة ؟ قلت : فأقبل كل شيء ترويه أنت
وأصحابك في صاحبي من خد أو ذم ، وتقبل أنت كل شيء أرويه أنا
وأصحابي في صاحبك من خد أو ذم ؛ قال : هذا أقبح من الأول ، وذلك
أنى وأصحابي تروى أن صاحبك مؤمن خير فاضل ، وأنت وأصحابك تروون
أن صاحبي كافر منافق ؛ فكيف أقبل هذا منك وأناظرك عليه ؟

قال ابن الميثم : فلم يبق إلا أن أقول : دع قولك وقول أصحابك ،
وأقبل قولي وقول أصحابي ؛ قال : ما هو إلا ذاك ؛ قلت : هذه مشورة ، وليست
مناظرة . قال : صدقت .

وَحَكَى لَنَا الزُّهَيْرِيُّ قَالَ : سَأَلَ رَجُلٌ آخَرَ فَقَالَ : أَتَقُولُ إِنَّ اللَّهَ نَهَانَا أَنْ نَعْبُدَ إِلَهَيْنِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ : [وَأَمَرْنَا أَنْ نَعْبُدَ إِلَهًا وَاحِدًا ؟ قَالَ :] نَعَمْ ؛ قَالَ : فَالْأَمَانُ الَّذِي نَهَانَا عَنْ عِبَادَتِهِمَا مَقْضٍ هَكَذَا ؟ وَأَشَارَ بِإصْبَعَيْهِ ، قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ : فَالْوَحْدُ الَّذِي أَمَرْنَا بِعِبَادَتِهِ مَقْضٍ هَكَذَا ؟ وَأَشَارَ بِإصْبَعٍ وَاحِدَةٍ ؛ قَالَ : لَا ؛ قَالَ : فَقَدْ نَهَانَا عَمَّا يُعْقَلُ وَأَمَرْنَا بِمَا لَا يُعْقَلُ ، وَهَذَا يُعْلَمُ مَا فِيهِ فَانْظُرْ حَسَنًا .

وَحَكَى لَنَا الزُّهَيْرِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ الْأَخْشَادِ قَالَ : تَفَاطَرَ رَجُلَانِ فِي وَصْفِ الْبَارِي سُبْحَانَهُ ، وَاشْتَدَّ بَيْنَهُمَا الْجِدَالُ ، فَتَرَاضِيَا بِأَوَّلِ مَنْ يَطْلُعُ عَلَيْهِمَا وَيَحْكُمُ بَيْنَهُمَا ، فَطَلَعَ أَعْرَابِيٌّ ، فَأَجْلَسَاهُ وَقَصَا قِصَّتَهُمَا ، وَوَصَفَا لَهُ مَذْهَبَيْهِمَا ؛ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ لِأَحَدِهِمَا — وَكَانَ مُشَبِّهًا — : أَمَّا أَنْتَ فَتَصِفْ صَمًا ، وَقَالَ لثَانِي : وَأَمَّا أَنْتَ فَتَصِفْ عَدَمًا ، وَكِلَاكُمَا يَقُولَانِ عَلَى اللَّهِ مَا لَمْ تَعْلَمَا .

وَقَالَ لَنَا الْأَنْصَارِيُّ أَبُو كَتَبٍ : قَالَ ابْنُ الطَّلْحَانِ الضَّرِيرُ الْبَصْرِيُّ — وَكَانَ يَقُولُ بِقَوْلِ جَهْمٍ — : إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بَدَّلَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ الْمُؤْمِنِينَ حَسَنَاتٍ ، فَيَنْدَمُونَ عَلَى مَا قَصَرُوا فِيهِ مِنْ تَنَاوُلِ اللَّذَاتِ ، وَقَضَاءِ الْأَوْطَارِ بِالشَّهَوَاتِ ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَتَوَقَّعُونَ الْعِقَابَ ، فَنَالُوا الثَّوَابَ ؛ وَكَانَ يَقُولُ عِنْدَ هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : (فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) .

وَحَكَى لَنَا ابْنُ الثَّلَاجِ قَالَ ، قَالَ أَبُو عُثْمَانَ الْأَدِمِيُّ : إِنَّ الْجَنَّةَ لَا سَائِرَ فِيهَا ، وَذَلِكَ لِأَنَّ كُلَّ سَائِرٍ مَانِعٌ ، وَكُلُّ مَانِعٍ آفَةٌ ، وَلَيْسَتْ فِي الْجَنَّةِ آفَةٌ ، وَلِهَذَا رُوِيَ فِي الْحَدِيثِ : إِنَّ الْحُورَ يُرَى مُخَّ سَاقِيهَا مِنْ وَرَاءِ سَبْعِينَ حُلَّةً

سَوَى مَا تَحْتَ ذَلِكَ مِنَ اللَّحْمِ وَالْعَظْمِ ، كَالسَّلَكِ فِي الْيَاقُوتِ ؛ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ :
الْجَنَّةُ إِذَا أُولَى مِنَ الْحَمَامِ ، إِذْ قِيلَ : بُسَّ الْبَيْتِ الْحَمَامِ ، يُذْهِبُ الْحَيَاءَ ،
وَيُبْدِي الْعَوْرَةَ .

وَحَسَكِي لَنَا ابْنُ رَبَاطٍ السَّكَوِيُّ — وَكَانَ رَئِيسَ الشَّيْعَةِ بِبَغْدَادَ ، وَلَمْ أَرِ
أَنْطَقَ مِنْهُ — قَالَ : قِيلَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ — عَلَيْهِ السَّلَامُ —
مِنْ أَيْنَ جَاءَ اخْتِلَافُ النَّاسِ فِي الْحَدِيثِ ؟ فَقَالَ : النَّاسُ أَرْبَعَةٌ : رَجُلٌ مُنَافِقٌ
كَذَّبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَعَمِّدًا ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مُنَافِقٌ
مَا صُدِّقَ ^(١) وَلَا أُخِذَ عَنْهُ . وَرَجُلٌ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ
قَوْلًا أَوْ رَأَى يَفْعَلُ فَعَلًا ثُمَّ غَابَ وَنُسِخَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ أَوْ فِعْلِهِ ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ نُسِخَ
مَا حَدَّثَ وَلَا عَمَلَ بِهِ وَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ نُسِخَ مَا قَبِلُوا مِنْهُ وَلَا أَخَذُوا
عَنْهُ وَرَجُلٌ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ قَوْلًا فَوَهِمَ فِيهِ ،
فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ وَهِمٌ مَا حَدَّثَ وَلَا عَمَلَ بِهِ . وَرَجُلٌ لَمْ يَكْذِبْ وَلَمْ يَهْمِمْ ، وَشَهِدَ
وَلَمْ يَغِيبْ .

قَالَ : وَإِنَّمَا دَلَّ بِهَذَا عَلَى نَفْسِهِ ، وَلِهَذَا قَالَ : كَفْتُ إِذَا سُئِلْتُ أَجَبْتُ ،
وَإِذَا سَكَتُ أَبْتَدَيْتُ .

وَحَسَكِي لَنَا ابْنُ زُرْعَةَ النَّصْرَانِيُّ قَالَ : قِيلَ لِلْمَسِيحِ : مَا بَالُ الرَّجُلَيْنِ
يَسْمَعَانِ الْحَقَّ فَيَقْبَلُهُ أَحَدُهُمَا وَلَا يَقْبَلُهُ الْآخَرُ ؟ فَقَالَ : مَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ الرَّاعِي
الَّذِي يَصُوتُ بَغْنَمِهِ فَتَأْتِيهِ هَذِهِ الشَّاةُ بِنِدَائِهِ ، وَلَا تَأْتِيهِ هَذِهِ .

قَالَ أَبُو سَلْيَانَ : هَذَا جَوَابٌ مُبْتَوَّرٌ ، وَلَيْسَ لَهُ سَنَنٌ ، وَلَعَلَّ التَّرْجُمَةَ تَد

(١) كَذَا فِي (ب) . وَالْقِيَ فِي (١) : « مَا حَدَّثَ » .

حافت عليه ، والمعنى أنحرَفَ عن الغاية ؛ وليس يَجُوزُ أن يكون حال الإنسان كيف كان ، حال الشاةِ في إجابةِ الداعي وإبائها^(١) ، فإن له دَواعِيَ ومَوَانِعَ عقليةً [وحسيةً] .

فقال الوزير : هذا أيضاً بابٌ قد مضى مُستوفى ، ما الذى سمعتَ اليوم ؟ قلتُ : رأيتُ ابنَ برمويه فى دَعْوَةٍ ، وتَرَائى الحديث فقال : رأيتُ اليومَ الوزيرَ شديدَ العُبوس ، أهو هكذا أبداً ، أم عَرَضَ له هذا عَلَى بَيْتِي ؟ فقال ابْنُ جَبَلَةَ : لعله كان ذاك لسبب ، وإلاَّ فالْبِشْرُ غَالِبٌ عَلَى وَجْهِهِ ، والبَشاشَةُ مألوفةٌ منه . فقال ابنُ برمويه : ما أَحْسَنَ ما قال الشاعر :

أخو البِشْرِ محمودٌ عَلَى حُسْنِ بِشْرِهِ ولن يَقدَّمَ البَغضاءُ مَنْ كان عَاسِيا
فقال على بنُ محمد — رسولُ سِجِسْتان — : ما أَذْرَى ما أَتَمُّا فيه ، ولكن يقال : ما أَرْضَى الفَضْبان ، ولا أَسْتَمَطَتِ السلطان ، ولا مَلَكَ الإِخوان ؛ ولا اسْتَلَّتِ الشَّخْفاء ، ولا رُفِفتِ البَغضاء ؛ ولا تُوقى الحذور ، ولا اجْتَلِبَ السرور ؛ بمثلِ البِشْرِ والْبِرِّ ، والهديةِ والعطيةِ .

وقال الوزير : هاتِ مُلَحَّةَ المجلس^(٢) .

فكان الجواب : قال أبو همام ذاتَ يوم : لو كان النخلُ لا يَحْمِلُ بعضُهُ إلاَّ الرُّطْبَ ، وبعضُهُ [إلاَّ] البُشْرَ ، وبعضُهُ إلاَّ الخِلالَ^(٣) ، وكنا متى

(١) كذا فى (١) . والذى فى (ب) : « وإتيانه » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى (ب) : « الدواعى » مكان قوله : « المجلس » .

(٣) الخلال بفتح الحاء : البسر إذا اخضر واستدار .

تَفَاوَلْنَا مِنَ الشَّمْرَانِ بُسْرَةَ خَلَقَ اللَّهُ مَكَانَهَا بُسْرَتَيْنِ ، مَا كَانَ بِذَلِكَ بَأْسٌ .
ثم قال : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، لَوْ كُنْتُ تَمَلَّيْتُ بَدَلَ نَوَافِرِ التَّوْبَةِ زُبْدَةً
كَانَ أَضْوَبَ .

وسأل الوزيرُ : هل يقال في النساءِ رجُلَةٌ ؟ (٣)

فكان الجواب : حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ السَّيْرَافِيُّ قَالَ : كَانَ يُقَالُ فِي عَائِشَةَ
بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا] : « كَانَتْ رَجُلَةً الْعَرَبِ » ، وَإِنَّمَا
ضَاعَتْ هَذِهِ الصِّفَةُ عَلَى مَرَّةِ الْأَيَّامِ بِغَلَبَةِ الْمُجْمَانِ ؛ فَقَالَ : إِنَّهَا وَاللَّهِ لَكَذَلِكَ ،
وَلَقَدْ سَمِعْتُ مَنْ يَقُولُ : كَانَ يُقَالُ : لَوْ كَانَ لِأَبِيهَا ذَكَرٌ مِثْلُهَا لَمَا خَرَجَ
الْأَخَرُ مِنْهُ .

قال : هل تَحْفَظُ مِنْ كَلَامِهَا شَيْئًا ؟ فقلتُ : لَهَا كَلَامٌ كَثِيرٌ فِي الشَّرِيعَةِ ،
وَالرَّوَايَةُ عَنْهَا شَائِعَةٌ فِي الْأَحْكَامِ ، وَلَقَدْ نَطَقَتْ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهَا بِمَا حُفِظَ وَأُذِيعَ ،
لَكِنِّي أَخْفَظُ لَهَا مَا قَالَتْهُ لَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ :

خَرَجْتُ وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ ، وَهَلَيْتُ فِيهِمْ ، فَقَالَتْ : أَتَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
عُمَانَ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَتْ : أُمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُمْ إِلَى تَسْدِيدِ الْحَقِّ وَتَأْكِيدِهِ
أَحْوَجَ مِنْكُمْ إِلَى مَا نَهَضْتُمْ إِلَيْهِ ، مِنْ طَاعَةِ مَنْ خَالَفَ عَلَيْهِ ؛ وَلَكِنْ كَلَّمَا
زَادَ كَمِ اللَّهِ حَقَّهُ فِي دِينِهِ ، أَزْدَدْتُمْ تَشَاؤُلًا عَنْ نُصْرَتِهِ طَمَعًا فِي دُنْيَاكُمْ ، أُمَّا وَاللَّهِ
لَهَدَمُ النِّعْمَةِ أَيْسَرُ مِنْ بُنْيَانِهَا ، وَمَا الزَّيَادَةُ إِلَيْكُمْ بِالشُّكْرِ ، بِأَسْرَعَ مِنْ
زَوَالِ النِّعْمَةِ عَنْكُمْ بِالْكَفْرِ ؛ أَمَّا لَئِنْ كَانَ فَنِيَّ أَكَلَهُ ، وَاخْتَرِمَ أَجَلُهُ ، إِنَّهُ
لِصَهْرٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّتَيْنِ ، وَمَا عَلِمْنَا [خَلْقًا] .
تَزَوَّجَ أَبْلَغَتْنِي نَبِيَّ غَيْرِهِ ؛ وَلَوْ غَيْرَ أَيْدِيكُمْ قَرَعَتْ صَفَاتِهِ لَوُجِدَ عِنْدَ تَلْغِي

الحربِ مَعَجَرْدًا^(١) ، وَلِسُيُوفِ النَّصْرِ مُتَقَلِّدًا ، وَلِسَكَّتِهَا فِتْنَةٌ قُدِحَتْ بِأَيْدِي
الظَّلَمَةِ ؛ أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ حَاطَ الْإِسْلَامَ وَأَكْغَدَهُ ، وَعَصَّدَ الدِّينَ وَأَيْدَهُ ؛ وَلَقَدْ
هَدَمَ اللَّهُ بِهِ صَيَاصِمَ أَهْلِ الشُّرْكِ ، وَوَقَّمَ^(٢) أَرْكَانَ الْكُفْرِ ؛ لِلَّهِ الْمُصِيبَةُ بِهِ ،
مَا أَفْجَعَهَا ! وَالْقَجِيمَةُ بِهِ مَا أَوْجَعَهَا ! صَدَّعَ وَاللَّهُ مَقْتَلُهُ صِفَاةَ الدِّينِ ، وَثَلَّثَتْ
مُصِيبَتُهُ ذِرْوَةَ الْإِسْلَامِ ، تَبًّا لِقَاتِلِهِ ، أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ التَّلْبُسِ بِدَمِهِ ،
وَالرُّضَا بِقَتْلِهِ .

قال الوزير : مَا أَفْصَحَ لِسَانَهَا ، وَأَشْجَعَ جَنَانَهَا ، فِي ذَلِكَ الْمَحْفِلِ الَّذِي
يَتَبَلَّبَلُ فِيهِ كُلُّ قَتْلٍ^(٣) !

وَرَوَيْتُ أَيْضًا أَنَّهَا قَالَتْ : مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ عَشْرٌ : صِدْقُ الْحَدِيثِ ، وَصِدْقُ
الْبَأْسِ^(٤) ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ ، وَبَذْلُ الْمَعْرُوفِ ، وَالتَّذَنُّمُ لِلْجَارِ ،
وَالْتَذَنُّمُ لِلصَّاحِبِ ، وَالْمُكَافَأَةُ بِالصَّنَائِعِ ، وَقِرَى الضَّيْفِ ، وَرَأْسُهُنَّ الْحَيَاءُ .
فَقَالَ : وَاللَّهِ لَكَأَنَّهَا نَفَثَتْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَا كَانَ أَشْبَهَهَا ،
وَأَعْلَى نَظَرَهَا ، وَأَبْيَنَ جَوَابَهَا ! !

(٤) وَحَدَّثَنِي أَنَّ أَسْرَاءَ تَظَلَّمَتْ إِلَى مُسْلِمِ بْنِ قُتَيْبَةَ بِخُرَاسَانَ ، فَزَبَرَهَا ،
وَلَمْ يَنْظُرْ فِي قِصَّتِهَا ؛ فَقَالَتْ لَهُ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَعَثَكَ إِلَى خُرَاسَانَ لِيَنْظُرَ
هَلْ تَنَبَّأْتُ خُرَاسَانَ بِلَا عَامِلٍ أَمْ لَا ؛ فَقَالَ لَهَا مُسْلِمٌ : اسْكُتِي وَيَلَاكَ ، فَظَلَامَتُكَ
مَسْمُوعَةٌ ، وَحَاجَّتُكَ مَقْضِيَّةٌ .

(١) فِي (١) : « مَتَحَرِّكًا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) وَقَدْ أَرْكَانَ الْكُفْرِ : كَسَرَهَا وَأَذَلَّهَا .

(٣) الْقَتْلُ : السَّرِيعُ الْخَفِيفُ الْمَعْنَى .

(٤) فِي (١) : « النَّاسُ » بِالنُّونِ . وَوَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي (ب) لَا تَقُطُّ فِيهَا .

وَلَسَلِ الصَّرَافُ مَا أَمْبَتَا .

وقال مسلم : ما وَخَزَ قَلْبِي قَطُّ شَيْءٌ مِثْلُ قَوْلِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ ، وَلَقَدْ آلَيْتِ
الْأَسْتِهْنَ بِأَحَدٍ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَتَى .

وشبهه بهذا قول الْمُعَلَّى بْنِ أَيُّوبَ : رَأَيْتُ فِي دَارِ الْمَأْمُونِ إِنْسَانًا
فَأَزْدَرَيْتُهُ ، فَقُلْتُ : لِأَيِّ شَيْءٍ تَصْلُحُ أَنْتَ ؟ عَلَى غَيْظٍ مِنِّي وَتَغَضُّبٍ ؛ فَقَالَ :
أَنَا أَصْلُحُ لِأَنْ يُقَالَ لِي : هَلْ يَصْلُحُ مِثْلُكَ لِمَا أَنْتَ فِيهِ أَوْ لَا . قَالَ : فَوَاللَّهِ
مَا وَقَرَّتْ كَلِمَتُهُ فِي أُذُنِي حَتَّى أَظْلَمَ عَلَى الْجَوِّ وَنَكِرْتُ نَفْسِي .

وكان عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ إِذَا كَانَ لَهُ خَصِيٌّ وَخِيٌّ أَمَرَ أَنْ يُحْجَبَ
عَنِ إِنْسَانِهِ ، وَقَالَ : هُوَ رَجُلٌ وَإِنْ قُطِعَ مِنْهُ مَا قُطِعَ ، وَرَبَّمَا أَجْتَزَأَتْ أَمْرًا
بِمِثْلِهَا ، وَلِلْمَعْنَى حَظُّهَا .

قال عبد الرحمن بن سعيد القرشي : كان لهشام بن عبد الملك خَصِيٌّ
يُقَالُ لَهُ خَالِدٌ ، وَكَانَ وَضِيئًا تَأْخُذُهُ الْعَيْنُ ، مَدِيدَ الْقَامَةِ ، نَحْمًا أَبْيَضَ ، فَأَسْرَ
هشامُ مَسْئَلَةً بِالْقُدْوَةِ عَلَيْهِ ، فَقَدَا ، فَقِيلَ : اسْتَأْذِنْ لِأَخِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ ،
فَأَسْتَحَفَّ وَقَالَ كَلِمَةً تَمِّمُهَا مَسْئَلَةٌ ، فَحَقَّقَهَا عَلَيْهِ ، فَلَمَّا دَخَلَ مَسْئَلَةٌ إِلَى هِشَامٍ
لَمْ يَزَلْ يُدَاكِرُهُ شَيْئًا ، وَيُشِيرُ عَلَيْهِ حَتَّى حُطَّ عَنْ فُرْشِهِ وَجَلَسَا عَلَى الْبِساطِ
وَمَسْئَلَةٌ فِي ذَلِكَ يَرْمُقُ الْخَصِيَّ مَتَى يَمُرُّ بِهِ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَرَّ مُغَمِّمًا بِعِمَامَةٍ
وَشَيْءٍ ؛ فَقَالَ مَسْئَلَةٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَيُّ فِتْيَانِنَا هَذَا ؟ قَالَ : غَفَرَ اللَّهُ لَكَ
يَا أَبَا سَعْدٍ ، هَذَا خَالِدُ الْخَصِيِّ ؛ قَالَ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَصَمَةٌ مِنْ هَذَا
خَيْرٌ مِنْ بُجَامَةِ رَجُلٍ ، فَقَلِقَ هِشَامٌ وَجَعَلَ يَقْضُوْرُ حَتَّى قَامَ مَسْئَلَةٌ ، ثُمَّ أَمَرَ
بِالْخَادِمِ فَأَخْرَجَ مِنَ الرُّصَافَةِ ، فَاتَّصَلَ بِبَعْضِ بَنِيهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ هِشَامٌ ، لِي
نَحْيِيْتَهُ لِمَا بَلَغَكَ ، فَجَاءَهُ ، فَلَحِقَ الْخَادِمُ بِالشَّغْرِ .

(٥) وجَرَى حديثُ النَّفْسِ وأَنَّهَا كَيْفَ تَعْلَمُ الأشياءَ ، فقيل : النَّفْسُ في الأصلِ عَلَامَةٌ ، والعِلْمُ صُورَتُهَا ؛ لَكِنَّهَا لما لَابَسَتْ البَدَنَ ، وصارَ البَدَنُ بها إنسانًا ، اعترضَتْ حُجُبٌ بينها وبينَ صُورَتِهَا كَثِيفَةٌ وَلَطِيفَةٌ ، فصارت تَخْرِقُ الحُجُبَ بِكُلِّ مَا اسْتَطَاعَتْ لِتَصِلَ إلى مَا لَهَا مِنْ غَيْبِهَا ، فصارت تَعْلَمُ المَاضِيَ بِالِاسْتِخْبَارِ والتَّمَرُّفِ والبحثِ والسَّئَلِ والتَّنْقِيهِ ، وتَعْلَمُ الآتِيَ بالتَّأَنِّي والتَّوَكُّفِ والتَّبَشِيرِ والإِنْذَارِ ، وتَعْلَمُ الحَاضِرَ بالتَّعَارُفِ ^(١) والمُشَاهَدَةِ وَبِحَالِ الحِسِّ ؛ وهذه للعلومَاتُ كُلُّهَا زَمَانِيَّةٌ ، ولهذا انْقَسَمَ بين المَاضِي والآتِي والحَاضِرِ . فأَمَّا مَا هُوَ فَوْقَ الزَّمَانِ فَإِنَّهَا تَعْلَمُهُ بِالمُصَادَقَةِ الخَارِجَةِ مِنَ الزَّمَانِ ، العَالِيَةِ حَتَّى حَاضِرِ ^(٢) الدَّهْرِ ، وهذه عِبَارَةٌ عَنْ وَجْدَانِهَا ، لِمَا لَهَا فِي غَيْبِهَا بِالْحَرَكَةِ اللَّائِقَةِ بِهَا ، أَعْنَى الحَرَكَةَ الَّتِي هِيَ فِي نَوْعِ الشُّكُونِ ، وَأَعْنَى بِهَذَا السُّكُونِ الَّذِي هُوَ فِي نَوْعِ الحَرَكَةِ ؛ وَلَمَّا قُدِّدَ الاسمُ الخَاصُّ بِهَذَا اللَّعْنِ ، وَلَمْ يُعْرَفْ فِي الإِخْبَارِ وَالِاسْتِخْبَارِ إِلَّا مَا كَانَ مَأْلُوفًا بِالزَّمَانِ ، أَلْتَبَسَتْ العِبَارَةُ عَنْهُ بِاعْتِمَادِ الشُّكُونِ فِيمَا يُلْحَظُ مِنْهُ الحَرَكَةُ ، وَاعْتِمَادِ الحَرَكَةِ فِيمَا يُلْحَظُ مِنْهُ الشُّكُونِ ، فصَارَ هَذَا الجُزْءُ ^(٣) كَأَنَّهُ نَاقِضٌ وَمَنْقُوضٌ ، وَهَذَا لِيَجْذِبَ ^(٤) مَحَلَّ الحِسِّ مِنْ نَبْذِ ^(٥) الثَّقَلِ ، وَخِصْبِ ^(٦) مَرَادِ الثَّقَلِ بِكُلِّ مَا عُلِقَ بِالمَوْجُودِ أَلْحَقَ .

(١) كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْأَسْمُولِ وَلَا مَعْنَى لِلتَّعَارُفِ هُنَا .

(٢) فِي (ب) : « حِصْن » .

(٣) فِي (ب) : « الْخَبَر » مَكَانَ قَوْلِهِ : « الْجُزْء » .

(٤) فِي (أ) : « الْجُزْء » مَكَانَ قَوْلِهِ : « الْجَدْب » .

(٥) فِي (أ) : « نَبْذَ » . وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي (ب) مَهْمَلَةً الْحُرُوفِ مِنَ النُّقْطِ .

(٦) كَذَا فِي (ب) . وَالَّذِي فِي (أ) : « وَخِصْتُ مَوَادَّ الثَّقَلِ » ؛ وَمَا أُثْبِتْنَاهُ هُوَ

مَا يَجْتَضِيهِ سِيَاقُ الْكَلَامِ .

فقال الوزير : ما أغلَى نَجْدَ هذا الكلام ! وما أعمَقَ غَوْزَهُ ! وإني لأعْذِرُ كلَّ مَنْ قَابَلَ هذا المَسْمُوعَ بِالرَّدِّ ، وأَعْتَزُّ عَلَى قَائِلِهِ بِالْتَّكْبُرِ ؛ وَلَعَمْرِي إِذَا تَمَایَتِ الأشياءُ بالأسماءِ والصِّغَاتِ ، وَعَرَضَ العَجْزُ عن إِبَانَتِهَا بِمَقَاتِقِ الألقابِ ، حَارَ العَقْلُ الإنْسَانِي ، وَخِیرَ الفَهْمُ الحِمْيُّ ، وَأَسْتَحَالَ المِزَاجُ البَشَرِيُّ وَتَهَافَّتَ التَّرْكِيبُ الطِّينِيُّ ، وَقَدَّرَ النَّاضِرُ في هذا الفنِّ ، والبَاحِثُ عن هذا المِسْكَنِ ، أَنَّهُ حَالِمٌ ، وَأَنَّ الحِلْمَ لَا ثَمَرَةَ لَهُ ، وَلَا جَدْوَى مِنْهُ .

وهذا كله هَكَذَا مَا دَامَ مَقِيسًا إِلَى الْأُمُورِ الْقَائِمَةِ ^(١) بِشَهَادَةِ الإِخْسَاسِ ؛ فَأَمَّا إِذَا صَفَا النَّاضِرُ ، أَغْنَى نَاضِرَ العَقْلِ مِنْ قَدَى الحِسِّ ، فَإِنَّ المَطْلُوبَ يَكُونُ حَاضِرًا أَكْثَرَ مِمَّا يَكُونُ غَيْرُهُ ظَاهِرًا مُسْتَبَاقًا ؛ وَلَيْسَتْ شَهَادَةُ العَبْدِ كَشَهَادَةِ المَوْلَى ، وَلَا نُورُ الشَّهَى كَنُورِ القَمَرِ .

قال : أَنَشِدْنِي أَيْتَانَا غَرِيبَةً جَزَلَةً ، فَأَنْشَدْتُ [لَهْذَبَةِ التَّذْرِی] : ^(٢)

سَاوَى إِلَى خَيْرٍ قَدْ فَاتَنِ الصَّبَا	وصيَحَ بِرِيعَانِ الشَّبَابِ فَنُفِرَا
أُمُورٌ وَالْوَانُ وَحَالٌ تَقَلَّبَتْ	بِنَا وَزَمَانٌ عُرْفُهُ قَدْ تَنَكَّرَا
أُصِيبْنَا بِمَا لَوْ أَنَّ سَلَى أَصَابَهُ	تَسَهَّلَ مِنْ أَرْكَانِهِ مَا تَوَعَّرَا
وَأِنْ نَنجُ مِنْ أَهْوَالٍ مَا خَافَ قَوْمُنَا	عَلَيْنَا فَإِنَّ اللَّهَ مَا شَاءَ يَسَّرَا
وَأِنْ غَالَنَّا دَهْرٌ فَقَدْ غَالَ قَبْلُنَا	مُلُوكُ بَنِي نَضْرٍ وَكِسْرَى وَقَيْصَرَا
وَذِي تَيْرَبٍ ^(٣) قَدْ عَابَنِي لَيْنَانِي	فَاعْيَا مَدَاهُ عَنْ مَدَايِ فَاُنْصَرَا

(١) في نسخة : « الغائبة » مكان « القائمة » .

(٢) التيرب : المخذ . والذى في (١) : « تيرب » . وفي (ب) : « سرب » ؛

وهو تحريف في كلتا النسختين .

فَإِنْ يَكُ دَهْرٌ نَأْتِي فَأَصْـلَابِي بَرِيْبٍ فَا تُشَوِي ^(١) الْحَوَادِثُ مَعْشَرًا
فَلَسْتُ إِذَا الضَّرَاءُ نَابَتْ بِجُبَا ^(٢) وَلَا جَزَعٌ إِنْ كَانَ دَهْرٌ تَغَيَّرَا
فَقِيلَ : مَا الْجُبَا ؟ فَقَالَ : الْجَبَانُ .

قال أبو سعيد : حَكَى الْعُلَمَاءُ أَنَّ فَلَانًا جُبَاً ، إِذَا نَسَكَلَ .

فَقَالَ : مَا أَثْنَى هَذَا الْكَلَامَ ، وَالْطَفَّ هَذَا الْجَدُّ ، وَمَا أَبْعَدَهُ مِنْ تَلْفِيحِ
الضَّرُورَةِ ، وَهُجْنَةِ التَّكَلُّفِ ، لَوْلَا أَنَّ سَامِعَهُ رُبَّمَا تَطَيَّرَ بِهِ ، وَأَنْكَسَرَ عَلَيْهِ .

(٧) فَكَانَ الْجَوَابُ : قَدْ سَمَرْتُ فِي الْقَالِ وَالزَّجْرِ وَالطَّيْرَةِ وَالْأُمْتِيَا فَمَا إِذَا
تُحَقِّقَ لَمْ يُعْجِ حَتَّى مِثْلِ هَذَا الْأَسْتِشْمَارِ ؛ وَلَعَمْرِي إِنْ لَمْذُكُورَ وَالْمَسْنُوعِ
إِذَا كَانَ حَسَنًا وَجَمِيلًا وَمَحْبُوبًا وَمُتَمَنَّى ، كَانَ أَخْفَ عَلَى الْقَلْبِ ، وَأَخْلَطَ
بِالنَّفْسِ ، وَأَغْبَثَ بِالرُّوحِ ؛ وَكَذَلِكَ ^(٣) إِذَا كَانَ ذَلِكَ عَلَى الضَّدِّ ، فَإِنَّهُ يَكُونُ
أَزْوَى لِلْوَجْهِ ، وَأَكْرَبَ لِلنَّفْسِ ؛ وَلَكِنَّ الْأُمُورَ فِي الْخَلِيَاتِ وَالشُّرُورِ لَيْسَتْ
فَاشِيَةً مِنَ الطَّيْرَةِ وَالْعِيَاةِ ، وَلَا جَارِيَةً عَلَى هَذِهِ الْحُدُودِ الْمَعْرُوفَةِ ، وَهِيَ عَلَى
مَقَاصِدِهَا الَّتِي هِيَ غَايَاتُهَا ، وَمُتَوَجِّهَاتُهَا الَّتِي هِيَ نَهَايَاتُهَا ؛ وَإِنَّمَا هَذِهِ الْأَخْلَاقُ
عَارِضَةٌ لِلنِّسَاءِ وَأَشْبَاهِ النِّسَاءِ ، وَمَنْ يَنْزِيهِه ^(٤) ضَعِيفَةٌ ، وَمَادَّتُهُ مِنَ الْعَقْلِ
حَلْفِيْفَةٌ ، وَعَادَتُهُ الْجَارِيَةُ سَخِيْفَةٌ ؛ وَإِلَّا فَبِأَيِّ بُرْهَانٍ صَحَّ أَنَّ الْكَلَامَ الطَّيِّبَ
يَجْلِبُ الْمَحْبُوبَ وَيَكُونُ عِلَّةً لَهُ ؟ وَأَنَّ اللَّفْظَ الْخَلِيفَ يَجْلِبُ الْمَكْرُوهَ وَيَكُونُ

(١) تشوي : تخطي .

(٢) فِي (١) : « عِيَا » . وَفِي (ب) : « عِبَا » ؛ وَهُوَ تَعْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ
صَوَابٌ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَتَضَيِّعُ السِّبَاقُ .

(٣) كَانَ الْأَوَّلُ أَنْ يَقُولَ « وَلَا كَذَلِكَ » أَوْ « وَلَيْسَ كَذَلِكَ » أَوْ « وَعَكْسُ ذَلِكَ »
فَإِنَّ الْآتِيَّ بَعْدَ لَيْسَ كَالَّذِي ذَكَرَهُ قَبْلُ .

(٤) كَذَا فِي (ب) . وَالَّذِي فِي (١) : « نَفْسُهُ » .

عِلَّةٌ لَهُ ١٩ هَذَا خَوَرٌ فِي طِبَاعِ قَائِلِهِ ، وَتَأْنِثٌ ^(١) فِي غُنْصُرٍ مُسْتَشْعِرِهِ ؛ وَلَوْ سَلَكَ الْعُلَمَاءُ وَالْبُصَرَاءُ هَذَا الطَّرِيقَ فِي كُلِّ حَالٍ وَفِي كُلِّ أَمْرٍ لَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى فُسَادٍ عَامٍ ؛ وَآثَرٌ ^(٢) مَا فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِنِ اعْجَبَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا لَا يُعَوِّلُ عَلَيْهِ ، وَإِنْ سَاءَ مِنْهُ شَيْءٌ لَا يَحْطُ إِلَىهِ ، بَلْ يَكُونُ تَوَكُّلُهُ عَلَى رَبِّهِ فِي مَسَرَّتِهِ وَمَسَاءَتِهِ ، أَكْثَرَ مِنْ تَفَرُّدِهِ بِمَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ ، فِي اخْتِيَارِهِ وَتَسْكُرَتِهِ ، وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى عَقْلِ رَصِينٍ ، وَهِمَّةٍ ^(٣) صَاعِدَةٍ ، وَشَكِيمَةٍ شَدِيدَةٍ ، وَلَيْسَ يَوْجَدُ هَذَا عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ ، وَلَا يُصَافُ بِمَعِ كُلِّ إِنْسَانٍ .

فَقَالَ الْوَزِيرُ : قَدْ أَخَذْتَ الْمَسْئَلَةَ بِحَقِّهَا ، وَلِلْمُسْتَزِيدِ مِنْهَا ظَالِمٌ ، وَالزَّائِدِ عَلَيْهَا مَبْكَفٌ .

وَقَالَ أَيْضًا : أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ ابْنِ فَارِسٍ أَبِي الْقَتَنِحِ — فَقَدْ كُنْتُ عِنْدَهُ بِقَرْمِيسِينَ ^(٤) أَيَّامًا — وَمَا وَضَحَ لَكَ مِنْ تَقْدُّمِهِ وَتَأَخُّرِهِ فِي صِنَاعَتِهِ وَبِضَاعَتِهِ ؟

فَكَانَ مِنَ الْجَوَابِ : إِنَّهُ شَيْخٌ فِيهِ مَحَاسِنٌ وَمَسَاوِيٌ ، إِلَّا أَنَّ الرَّجُلَ حَانَ لَمَّا يُدْخَلُ بِهِ لَا لِمَا يُحْمَدُ عَلَيْهِ ، فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ لَهُ خَيْرَةً بِالتَّصَرُّفِ ، وَهُنَاكَ ^(٥) أَيْضًا قِسْطٌ مِنَ الْعِلْمِ بِأَوَائِلِ الْمُنْدَسَةِ ، وَتَشْبِيهُ ^(٦) بِأَحْصَابِ الْبَلَاغَةِ ، وَمُذَاكِرَةٌ

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَتَأْنِثٌ » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَآثَرٌ » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ مُوَابَهٍ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَقْتَضِيهِ السِّيَاقُ .

(٣) عِبَارَةٌ (١) : « وَهِمَّةٌ مُتَبَاعِدَةٌ » مَكَانَ قَوْلِهِ : « وَهِمَّةٌ صَاعِدَةٌ » ؛ وَمَعْنَاهَا لَا يَنْبَغُ سِيَاقُ الْكَلَامِ هُنَا .

(٤) قَرْمِيسِينَ بَلَدٌ قَرِيبُ الدِّيَّانِ بْنِ هَمْدَانَ وَحُلَوَانَ .

(٥) فِي (١) : « وَهَذَا » مَكَانَ « وَهُنَاكَ » ؟ وَهُوَ خَطَأٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٦) فِي (١) : « وَتَشْبِيهُ » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

في المحافل صالحة ؛ إلا أن هذا كله مرْدُودٌ بالرعونة والسكر^(١) والإيهام والخسنة والكذب والنعيبه ؛ وقد كان قريته بقرميسين يظنُّ به خيِّراً ، ويلحظه بعينٍ ما ؛ فلما سَبَرَه ذمُّه وكرِهَ أن يُعاجِلَه بالصِّرف لثلاثٍ يُحكَمُ على اختيارِه بالخطأ ، وعلى تصرُّفه بالهوى . وللكبراء وذوى القدرة زلاتٌ فاحشة ، وقملاتٌ موحِشة ، ولكن ليس لهم [عليها] معيِّرٌ للخوف منهم ؛ فلما تماذى قليلاً وجَّهَ ابنَ وصيفٍ حتى صرَّفه^(٢) وقبَّده [بعد ما وبَّخه وفنَّده] وها هو ذا ألقى ههنا لا يُقبلُ بقبضة^(٣) ، ولا يلتفتُ إليه بلحظة ، ومع ذلك يظنُّ أن قعرَ الدولة إلى نظره كقعرٍ للذئفِ إلى عافيته .

وله مع طاهر بن محمد بن إبراهيم شرار^(٤) وقبَّبة^(٥) ، وتنديد وشنعة . وحدثنى ابنُ أحمد أمسٍ أن ابنَ فارس شارِعٌ في أمورٍ خبيثة ، وعازِمٌ على أشياء قبيحة ، ومُضَرَّبٌ بين أقوامٍ ضمتهم الألفة ، واستحكمت بينهم الثقة ، وخلصوا^(٦) حقظةً للدولة ، وحرساً للنعمة ، وعلموا أن الله لا يغيِّرُ ما بقومٍ حتى يُغيِّروا ما بأنفسهم ، وما أخوفني على إخواننا الذين بهم عَذِبَ

(١) في كلتا النسختين : « والفكر » ؛ وهو تحريف .

(٢) كذا في (ب) . والذي في (أ) : « ضربة » .

(٣) في كلتا النسختين : « لا يقبل قبضة » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين .

والقبضة : ما أخذ بأطراف الأصابع ، كما سبق ذلك في تفسير المؤلف لهذا اللفظ قلاهن بعض الفتويين في الجزء السابق من هذا الكتاب . ويريد بهذه العبارة أنه رخيص .

(٤) شرار ، أى مشاركة بتشديد الراء . وفي نسخة : « سرار » بالسين المهملة .

(٥) من معاني القببة : المدير ، وصوت أنياب الفعل ، والحق ؛ فلمله يريد ما نفيد هذه المعاني من أن بينهما منافضة وملاحاة وخصومة . وفي (أ) : « وثنة » مكان « وقببة » . وتبديل « مكان » وتنديد ؛ وهو تحريف في كلا اللفظين .

(٦) في كلتا النسختين : « وحصلوا » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

شُرِّبْنَا ، وَأَمِنْ سِرِّبْنَا ، كَفَانَا اللَّهُ فِيهِمْ وَكَفَانَا كُلَّ مَسْكُورِهِ .
 فقال : هو أَضْيَقُ مَبْعَرًا ، وَأَقَامَ مَنْظَرًا ، وَأَذَلَّ نَاصِرًا مِنْ ذَاكَ ؛ وَاللَّهُ لَوْ
 نَفَخْتُ عَلَيْهِ لَطَارَ ، وَلَوْ هَمَمْتُ بِهِ لَبَارَ .

وَأَمَّا مَا قُلْتُ لِي أَيُّهَا الشَّيْخُ^(١) إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ تَكْتُبَ رِسَالَتَكَ إِلَى الْوَزِيرِ ،
 حَتَّى أَقِفَ عَلَى مَقَاصِدِكَ فِيهَا ، وَأَسْتَبِينَ بِرَاعَتِكَ وَتَرْتِيبِكَ^(٢) بِهَا ؛ فَأَنَا أَقْلُ
 ذَلِكَ فِي هَذِهِ الْوَرَقَاتِ ، وَلَمْ أَكْتُبْ فِي طَوِيلِ هَذِهِ اللَّدَّةِ مَعَ هَذِهِ الْأَحْوَالِ
 الْعَجِيبَةِ إِلَّا رُقْعَتَيْنِ وَرِسَالَتَيْنِ ؛ فَأَمَّا الرُّقْعَةُ الْوَاحِدَةُ فَإِنَّهَا تَضَمَّنَتْ حَدِيثَ
 الْخَادِمِ وَمَا عَزَمَ عَلَيْهِ ، وَقَدْ شَافَهْتُكَ بِهِ ؛ وَأَمَّا الْأُخْرَى فَحَوَتْ حَدِيثَ
 ابْنِ طَاهِرٍ وَمُصَاحِبِ الرُّصَافَةِ ، وَقَدْ سَمِعْتَهُ مِنِّي .

رسالتان كتب بهما المؤلف إلى الوزير

أما الرسالة الأولى :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : اللَّهُمَّ حَلِّئْ بِالْتَوْفِيقِ ، وَأَيِّدْنِي بِالنُّصْرَةِ ، وَأَقْرِئْ
 مَنَاطِقِي بِالسَّدَادِ ، وَاجْعَلْ لِي مِنَ الْوَزِيرِ وَزِيرَ الْمَمَالِكِ عُقْبَى فَارِجَةً^(٣) مِنْ
 الْقَمَمِ ، وَخَاتِمَةً مُوصُولَةً بِالنَّجَاحِ ، فَإِنَّكَ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرٌ ، وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ .
 كُنْتُ وَصَلْتُ إِلَى مَجْلِسِ الْوَزِيرِ ، وَفُزْتُ بِالشَّرَفِ مِنْهُ ، وَخَدِمْتُ دَوْلَتَهُ ،
 وَعَلَاءَ مَنْ صَدَرِي بِخَيْبَتِهِ ، وَمَنْ فَوَادِي بِمَحِيضَتِهِ ، وَتَعَصَّرْتُ مِنَ الْحَدِيثِ

(١) يريد بالشيخ أبا الوفاء المهندس .

(٢) في كلتا النسخين : « برأيك » مكان « براعتك » . وفي (١) : « وترتيبك »
 مكان « وترتيبك » .

(٣) في (١) : « نازحة » ؛ وهو تحريف .

يأذنه في شُجُونِهِ وفُتُونِهِ ، كلُّ ذلك آملاً في جَدْوَى آخِذُهَا ، وَخُطْوَةٍ أَخْطَى بها ، وَزُلْفَى أَمِيسُ معها ، وَمَثَالَةٍ أَحْسَدُ عليها ؛ فَتَقَبَّلَ ذلك كله ، وَوَعَدَ عليه خيراً ولم يَزَلْ أَهْلَهُ ، وَانْقَلَبَتْ إلى أَهْلِ مَسْرُورًا بَوَجْهِ مُسْفِرٍ ، وَحَيًّا طَلَقَ ، وَطَرَفٍ عَازِمٍ^(١) ، وَأَمَلِي قَدَسَدًا مَا بَيْنَ أَفْقِ الْعِرَاقِ إِلَى صَنْعَاءِ التَّيْمَنِ ، حَتَّى إِذَا حَلَّتْ لِنَفْسٍ : هَذَا مَعَانِ الْوَزِيرِ وَمَعْمَرُهُ ، وَجَنَابُهُ وَمَحْضَرُهُ ، [فَانْشَرَحِي مَسْتَفْتِحَةً ، وَتَيَمَّنِي مَقْتَرِحَةً ، وَأَطْمَئِنِّي رَاضِيَةً مَرْضِيَةً ، لَا كِدْرَةَ الشَّرْبِ ، وَلَا مَذْمُورَةَ الشَّرْبِ] ، حَصَلَتْ مِنْ ذَلِكَ الْوَعْدِ وَالْعَمَانِ ، عَلَى بَعْضِ فَعَلَاتِ الزَّمَانِ ؛ وَلَا عَجَبُ فِي ذَلِكَ مِنْ الزَّمَانِ فَهُوَ بِمَثَلِهِ مَلَأَ ، وَلَهُ فَعُولٌ . وَبَقِيَتْ مَحْمُولًا بَيْنِي وَبَيْنَ إِذْكَارِهِ — قَرَنَ اللَّهُ سَاعَاتِهِ بِسَعَادَاتِهِ ، وَوَصَلَ عِزُّهُ^(٢) يَوْمَهُ بِسَعَادَةِ غَدِهِ ؛ وَغَدَهُ بِامْتِدَادِ يَدِهِ — حَيْرَانَ لَا أَرِيشَ وَلَا أُبْرَى ، ثُمَّ رَفَعْتُ نَظِيرِي ، وَسَدَّدْتُ خَاطِرِي ، وَفَصَّلْتُ الْحِسَابَ لِي وَطَلَى ؛ فَوَضَّحَ الْعِذْرُ الْمَبِينُ ، الْمَارِئُ مِنْ اسْتِزَادَةِ الْمُسْتَزِيدِينَ ، وَذَلِكَ أَنِّي رَأَيْتُ أَعْبَاءَ الْوِزَارَةِ تَوَوَّدُ^(٣) سِرَّهُ ، وَتَتَعَبُّ^(٤) بَالَهُ ، وَالْمَمْلُكَةَ تَفْزَعُ وَلَهَى عَلَيْهِ ، وَتُلَاقِي بِجِرَانِهَا^(٥) لَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَالِدَوْلَةَ تَسْتَمِدُّهُ التَّجْدِيرَ الثَّاقِبَ ، وَالرَّأْيَ الصَّائِبَ ، سِوَى أُمُورٍ فِي خِلَافِ ذَلِكَ لَا يَحْرَرُهَا رَسْمٌ رَاسِمٌ ، وَلَا يَقَرُّهَا قَسَمٌ قَاسِمٌ ، وَلَا يَحْوِيهَا وَهْمٌ وَاهِمٌ ، وَلَا يَقْفُوزُ بِهَا سَهْمٌ مُسَاهِمٌ ، وَهُوَ يَخْطُرُ فِي حَوَاشِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ ،

(١) كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْأَصُولِ وَلَعَلَّهَا تَحْرِيفٌ إِذْ لَمْ تَتَّبِعْ مَعْنَى وَصْفِ الْغُرْفِ بِهَذَا الْوَصْفِ .

(٢) فِي (ب) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهُمَا هَذَا الْكَلَامُ : « عَنْ » مَكَانَ « عِزُّ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي (ب) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهُمَا هَذَا الْكَلَامُ : « تَوَدَّ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (ب) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهُمَا هَذَا الْكَلَامُ : « وَتَسْتَمِدُّ » مَكَانَ « وَتَتَعَبُّ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) فِي (ب) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهُمَا هَذَا الْكَلَامُ : « بِجِرَانِهَا » ؛ وَهُوَ تَحْصِيفٌ .

متأبطاً بواهب الأتقال ، مفتوحاً عويص الأقفال^(١) ، ساي الطرف ، فسيح
 العذر ، بساماً على العلات ، غير مُكترث بهاك وهات ، يتلقى ما أغيا من
 ذلك بالي^(٢) ، وما أشكل بالإيضاح ، وما عسر بالتدبير ، وما فسد بالإصلاح ،
 وما أرق بالعنى ، وما خرق بالرثى ، وما خنى بالتكشيف ، وما بدأ بالتصريف ،
 وما أورد بالتعريف ، وما لبس بالتعريف ، حتى أجمع على هواء قاصيها ودائبا ،
 وجري على مراده خافيا وبديها ، واستجاب لأمره أيها ومقادها ، وأتلف
 بلفظه نادرها ومقادها ؛ فلما تيقنت^(٣) ذلك كله وقتلته خبراً ، أمسكت عن
 إذكاره — نفس الله مدته — سالف عهده ، ومقدم وعده ، عالماً بأن
 أسرهما^(٤) مرعى عنده في صدر الكرم ، ومكتوب لديه في صحيفة الحمد ،
 وثابت قبله في ديوان الحسنى .

ولكن كان ذلك الأمتان^(٥) على رغم مني^(٦) ، لأنى قتلت في أنفائه بين
 جنبي قلباً مغروراً الرجاء ، ومنزوراً العزاء ، على عوارض لم تسنح في خلدي ،
 ولم أعقد على شيء منها يدي .

فالحمد لله الذى جعل معاذي إلى الوزير الكريم ، البر الرحيم ، واللثة لله
 الذى جعلني من عفاة جوده ، وناشئة عرفه ، ووارد عده ، وقادحي زنده ،

(١) في الأصول « الأفعال » ؛ وهو تصعيب .

(٢) في كلتا النسخين : « بالسكى » بالكاف ؛ وهو تحريف لا معنى له هنا . ولعل
 صوابه ما أثبتنا .

(٣) في الأصل « نفتت » ؛ وهو تحريف .

(٤) في كلتا النسخين : « أسرها » ؛ والياء زيادة من الناسخ .

(٥) كذا وردت هذه الكلمة في الأصول ؛ ولا معنى للامتنان هنا ، ولعل صوابه
 الكتان أو « الإسك » أو ما يفيد ذلك أخذاً من قوله قبل : فأمسكت عن إذكاره .

(٦) في (١) على زعم من أبى فلبث إلى أبيابه . مكان قوله على رغم مني لأنى قتلت في أنفائه .

وَمُقْتَبِسِي نُورِهِ ، وَمُضْطَلِّي نَارِهِ ، وَحَامِلِي نِعْمَتِهِ ، وَطَالِبِي خِدْمَتِهِ ، وَجَعَلَ خَاصَّتِي وَخَالِصَتِي مِنْ بَيْنِهِمْ رَوَايَةَ مَنَاقِبِهِ بِاللِّسَانِ الْإِبْنِ ، وَنَشَرَ فَضَائِلِهِ بِالثَّنَاءِ الْأَحْسَنِ ، وَذَكَرَ آيَاتِهِ بِاللَّفْظِ الْأَفْصَحِ ، وَالْأَحْتِجَاجَ لِسَدَادِ آرَائِهِ بِالْمَعْنَى الْأَوْضَحِ ؛ فَلَا زَالَ الْوَزِيرُ — وَزِيرُ الْمَالِكِ — تَمْدُوحًا فِي أُلُوتَارِ الْأَرْضِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْأَدْبَاءِ وَالْحُكَمَاءِ ، وَفِي نَوَادِي الرُّؤَسَاءِ وَالْمُظَاهِرِ ، مَا آبَ آتِبُ ^(١) ، وَغَابَ غَائِبٌ ، بِمَنَّةٍ وَلُطْفِهِ .

قَدْ نَادَيْتُ الْوَزِيرَ حَكِيمًا سَامِعًا ، وَخَيْرًا جَامِعًا ، وَهَزَزْتُ مِنْهُ صَارِمًا قَاطِعًا ، وَشَهَابًا سَاطِعًا ، وَاسْتَسْقَيْتُ مِنْ كَرَمِهِ سَحَابًا هَاطِلًا ، وَنُقَاخًا ^(٢) سَائِلًا ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُجَنِّبَنِي مَرَارَةَ الْخَيْبَةِ ، وَحَسْرَةَ الْإِخْفَاقِ ، وَعَذَابَ النَّسْوِيفِ ، فَقَدْ تَلَطَّفْتُ بِالسَّخْرِ الْحَلَالِ ، وَالتَّذَبُّبِ الزُّلَالِ ، جُهْدَ الْمُقِلِّ الْحَتَالِ ، وَهُوَ أَوْلَى بِمَجْدِهِ ، فِي تَذْيِيرِ عِبْدِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

هَذَا آخِرُ الرِّسَالَةِ الْأُولَى .

وَحَضَرَ وَصُولُهَا إِلَيْهِ بِهَرَامٍ — لَعَنَهُ اللَّهُ — وَتَكَلَّمَ بِمَا يَشْبَهُ نَذَالَتَهُ وَخِسَّتَهُ وَتَنَنَ نَيْتَهُ ، فَا كُنْتُ أَمَنُهُ ^(٣) ؛ وَمَا أَشَدَّ إِشْفَاقِي عَلَى هَذَا الْوَزِيرِ الْخَطِيرِ مِنْ شَوْمِ نَاصِيَةِ بِهَرَامٍ ، وَغِلِّ صَدْرِهِ ، وَقَلَّةِ نَصِيحَتِهِ ، وَلَوْثِ طَبْعِهِ ، وَخُبْثِ أَصْلِهِ ، وَسُقُوطِ فَرْعِهِ ، وَدَمَامَةِ مَنْظَرِهِ ، وَلَآمَةِ مَخْبَرِهِ ؛ حَرَسَ اللَّهُ الْعِبَادَ مِنْ شَرِّهِ ، وَطَهَّرَ الْبِلَادَ مِنْ عُرِّهِ وَضُرِّهِ .

وَأَمَّا الرِّسَالَةُ الثَّانِيَّةُ فَهِيَ الَّتِي كَانَتْ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ بَعْدَ اسْتِثْنَائِي إِيَّاهُ

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَغَلَبَ غَالِبٌ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ .

(٢) وَرَدَ هَذَا اللَّفْظُ بِالْيَاءِ وَالْفَاءِ ؛ وَلَعَلَّ صَوَابَهُ مَا أَثْبَتْنَا .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « أَمَلَهُ » بِاللَّامِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا .

في مخاطبة بالكاف ، حتى يجرى الكلام على سنن الاسترسال ، ولا يُعْتَرَفُ في طريق الكتابة بما يُزاحمُ عليه من اللفظ واللفظ ، وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم . أيها الوزير . جعل الله أقدارَ دهرِكَ جاريةً على تحكُّمِ أمالك ، ووَصَلَ توفيقه بمباليغِ مُرادِكَ في أقوالِكَ وأفعالِكَ ، ومكَّنَكَ مِنْ نَوَاصِي أعدائك ، وثَبَّتْ أَوَاحِي دَوْلَتِكَ على ما في نُفوسِ أوليائك .

يَجِبُ على كلِّ مَنْ آتاه الله رأياً ثاقباً ، ونُصْحاً حاضراً ، وتنبهاً نافعا ، أَنْ يَخْدُمَكَ مُتَحَرِّباً لِرُسُوحِ دَعَائِمِ الْمَمْلَكَةِ بِسِيَاسَتِكَ وَرِيَادَتِكَ ^(١) ، قاضياً بذلك حقَّ الله عليه في تَقْوِيَتِكَ وَحَيَاةَتِكَ . وإني أرى على بابِكَ جماعة ليست بالكثيرة — ولعلها دُونَ الْعَشْرَةِ — يُؤْتِرُونَ لِقَاءَكَ وَالْوُصُولَ إِلَيْكَ لما تُجِنُّ صدورهم من النصائح النافعة ، والبلاغات الجديرة ، والدلالات المفيدة ، وَيَرَوْنَ أَنَّهُمْ إِذَا أَهْلَوْا لذلك قَدْ قَضَوْا حَقَّكَ ، وَأَدَّوْا مَا وَجَبَ عَلَيْهِمْ مِنْ حُرْمَتِكَ ، وَبَلَّغُوا بِذلك مُرَادَهُمْ مِنْ تَفَضُّلِكَ وَأَصْطِنَاعِكَ ، وَتَقْدِيمِكَ وَتَكْرِيمِكَ ؛ وَالْحِجَابُ قَدْ حَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَكَ ، وَلِكُلِّ مِنْهُمْ وَسِيلَةٌ شَافِعَةٌ ، وَخِدْمَةٌ لَخَيْرَاتِ جَامِعَةٍ ؛ مِنْهُمْ — وَهُوَ أَهْلُ الْوَفَاءِ — ذَوُ كِفَايَةٍ وَأَمَانَةٍ ، وَنَبَاهَةٍ وَلَبَاقَةٍ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يَصْلُحُ لِلْعَمَلِ الْجَلِيلِ ، وَلِرَتَقِ الْفَتْحِ الْعَظِيمِ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يُبْتِغِ إِذَا نَادَمَ ، وَيَشْكُرُ إِذَا أَصْطَنَعَ ، وَيَبْذُلُ الْمَجْهُودَ إِذَا رُفِعَ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُمُ الدُّرَّ إِذَا مَدَحَ ، وَيُضَحِكُ الثَّغَرَ إِذَا مَزَحَ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ قَمَدَ بِهِ الدَّهْرُ لِسْنَهُ الْعَالِيَةَ ، وَجَلَّابِيَهُ الْبَالِيَةَ ، فَهُوَ مَوْضِعُ الْأَجْرِ الْمَذْخُورِ ، وَنَاطِقُ الشُّكْرِ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْشُورِ ؛ وَمِنْهُمْ طَائِفَةٌ أُخْرَى قَدْ عَكَّفُوا فِي بُيُوتِهِمْ

(١) في كلتا النسختين : « وزيادتك » بالزاي المعجمة ؛ وهو تصحيف .

عَلَى مَا يَفْنِيهِمْ مِنْ أحوال أَنفُسِهِمْ ، فِي تَزْجِيَةِ عَيْشِهِمْ ، وَعِمَارَةِ آخِرَتِهِمْ ،
وَمَعَ ذَلِكَ مِنْ وَرَاءِ خِصَاصَةِ مُرَّةٍ ، وَمُؤْنِ غَلِيظَةٍ ، وَحَاجَاتٍ مَتَوَالِيَةٍ ؛
وَلَمْ الْعِلْمُ وَالْحِكْمَةُ وَالْبَيَانُ وَالتَّجَرُّبَةُ ، وَلَوْ وَتَقَوَّا بِأَنَّهُمْ إِذَا عَرَضُوا أَنفُسَهُمْ
عَلَيْكَ ، وَجَهَّزُوا مَا مَعَهُمْ مِنَ الْأَدَبِ وَالتَّضَلُّلِ إِلَيْكَ حَظَلُوا مِنْكَ ، وَأَعْتَزُّوا
بِكَ ، لَخَضَرُوا بِأَبْكَ ، وَجَشِمُوا الْمَشَقَّةَ إِلَيْكَ ؛ لَكِنَّ الْيَأْسَ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِمْ ،
وَضَعُفَتْ مُنْتَهُمُ ، وَعُكِّسَ أَمَلُهُمْ ، وَرَأَوْا أَنَّ سَفَا التَّرَابِ ، أَخَفُّ مِنَ الْوُقُوفِ
عَلَى الْأَبْوَابِ ، إِذَا دَنَوْا مِنْهَا دُفِعُوا عَنْهَا ؛ فَلَوْ لَحَظْتَ هَؤُلَاءِ كُلَّهُمْ بِفَضْلِكَ ،
وَأَذِنْتَهُمْ بِسَعَةِ دَرْعِكَ وَكَرَمِ خِيَمِكَ ، وَأَصْفَيْتَ إِلَى مَقَالَتِهِمْ بِسَمْعِكَ ،
وَقَابَلْتَهُمْ بِمِلَّةِ عَيْنِكَ ، كَانَ فِي ذَلِكَ بَقَاءٌ لِلنِّعْمَةِ عَلَيْكَ ، وَصِيَتْ فَاشٍ بِذِكْرِكَ ،
وَتَوَابٌ مُؤَجَّلٌ^(١) فِي صَحِيفَتِكَ ، وَثَنًا مَعْجَلٌ^(٢) عِنْدَ قَرِيبِكَ وَبَعِيدِكَ ؛ وَالْأَيَّامُ
مَعْرُوفَةٌ بِالْقَلْبِ ، وَاللَّيَالَى مَا خِصَّةٌ بِمَا يَتَعَجَّبُ مِنْهُ ذُو الْقَلْبِ ، وَالْمَجْدُودُ
مَنْ جُدَّ فِي جَدِّهِ ، أَعْنَى مَنْ كَانَ جَدُّهُ فِي الدُّنْيَا مَوْصُولًا بِمُظْهِهِ مِنْ
الْآخِرَةِ ، وَلَآنَ يُوَكَّلُ الْعَاقِلُ بِالْأَعْتِبَارِ بغيرِهِ ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُوَكَّلَ غَيْرُهُ
بِالْأَعْتِبَارِ بِهِ .

أَيْهَا الْوَزِيرُ ، اصْطِنَاعُ الرِّجَالِ صِنَاعَةٌ قَائِمَةٌ بِرَأْسِهَا ، قُلٌّ مِنْ يَفْنَى بِرَبِّهَا^(٣) ،
أَوْ يَتَأَنَّى لَهَا ، أَوْ يَعْرِفُ حَلَاوَتَهَا ، وَهِيَ غَيْرُ الْكِتَابَةِ الَّتِي تَعْلَقُ بِالْبَلَاغَةِ
وَالْحِسَابِ .

وَسَمِعْتُ ابْنَ سُورِينَ يَقُولُ : آخِرُ مَنْ شَاهَدْنَا مِمَّنْ عَرَفَ الْأَصْطِنَاعَ ،

(١) فِي الْأَصُولِ « يُوَجَد » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَقْتَضِيهِ قَوْلُهُ بَعْدَ « مَعْجَل » .

(٢) فِي (١) : « يَسْقَى تَرْبَهَا » مَكَانَ « يَفْنَى بِرَبِّهَا » . وَفِي (ب) : « بِرَبِّهَا » بِالْيَاءِ

الْمُثَنَّى ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ . يُقَالُ : رَبُّ الصَّنِيعَةِ يَرْبُهَا — بضم الراء — إِذَا
عَمَّاها وَتَهْدَمَا .

واستحلى الصفائح ، وارتاح لذكري الطيب ، واهتز للمديح ، وطرب على نعمة السائل ، وأغتم خلة المحتاج ، وأنتهب السكرم انتهابا ، وأنتهب في عشق الثناء انتهابا ، أبو محمد المهلبى ، فإنه قدّم قوتنا ونوّه بهم ، ونبه على فضيلهم وأخوَجَ الناظرين في أمر الملك إليهم ، وإلى كفايتهم ، منهم أبو الفضل العباس بن الحسين ، ومنهم ابن معروف القاضي ، [ومنهم أبو عبد الله اليفرنى] ، ومنهم أبو إسحاق الصابى ، وأبو الخطّاب الصابى ، [ومنهم أحمد الطويل ، ومنهم أبو التلاء صاعد ، ومنهم أبو أحمد ابن الميثم ، وابن حفص صاحب الديوان] ، وفلان وفلان ، هؤلاء إلى غير هؤلاء ^(١) ، [كآبى تمام الزينبى ، وأبى بكر الزهرى] ، وابن قريصة ، وأبى حامد المرؤوذى ، [وأبى عبد الله البصرى] ، وأبى سعيد السيرافى ، [وأبى محمد الفارسى] ، وابن درستويه ، [وابن البقال] ، والسري ، ومن لا يحصى كثرة من التجار والمدول .

وقال لى [ابن سورين] : كان أبو محمد يطرب على أصطناع الرجال كما يطرب سامع الفناء على الشباير ^(٢) ، ويرتاح كما يرتاح مدير الكأس على المشائر . وقال عنه : [إنّه] قال : والله لأكونن في دولة الدليم ، أول من يذگر ، إن فاتو أن كنت في دولة بنى العباس آخر من يذگر .

فلولا أنك — أدام الله دولتك — أذنت لي أن أكتب إليك كل ما هجس في النفس ، وطلع به الرأى مما فيه مرّد على ما أنت فيه من هذا

(١) في (ب) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « هذا إلى غير هذا » .

(٢) في كلتا النسخين : « الستائر » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه سياق

الكلام . والشباير : جمع شبور ، وهو من آلات اللوسيقى .

الثَّقَلِ الْبَاهِظِ ، وَتَنْبِيهِ عَلَى مَا تُبَاشِرُهُ بِكَاهِلِكَ الضَّخْمِ ، لَمْ يَكُنْ خَطَرِي
يَبْلُغُ مُوَاجَهَتِكَ بَلْفَظٍ يَثْقُلُ ، وَإِشَارَةِ تَغْلُظٍ ، وَكِنَايَةِ تَخْدِشٍ ^(١) ، لَكِنَّكَ
وَاللَّهُ يَأْخُذُ بِيَدِكَ ، وَيَقْرُنُ الصَّنْعَ الْجَمِيلَ بِظَاهِرِكَ وَبَاطِنِكَ — قَدْ رَخَّصْتَ
لِي فِي ذَلِكَ ، وَخَصَّصْتَنِي بِهِ مِنْ بَيْنِ غَاشِيَةِ بَابِكَ ، وَخَدَمَ دَوْلَتِكَ ، فَلَذَلِكَ
أَقُولُ مَا أَقُولُ مُعْتَمِدًا عَلَى حُسْنِ تَقَبُّلِكَ ^(٢) ، وَجَمِيلِ تَكَلُّمِكَ ^(٣) ، وَمُنْتَقِظٍ
تَفَضُّلِكَ ؛ وَلَيْسَ فِي أَبْوَابِ السِّيَاسَةِ شَيْءٌ أَجْدَى وَأَنْفَعُ ، وَأَنْفَى لِلْفَسَادِ وَأَقْعَمُ ،
مِنَ الْأَعْتِبَارِ الْمُوقِظِ لِلنَّفْسِ ، الْبَاعِثِ عَلَى أَخْذِ الْحَزْمِ ، وَتَجَرِيدِ الْقَرْمِ ؛ فَإِنَّ
الْوِكَالَ ^(٤) وَالْمُؤَيَّنَاتِ قَلَمًا يُفَضِّيَانِ بِصَاحِبِهِمَا إِلَى دَرْكِ مَأْمُولٍ ، وَنَيْلِ مَرَادٍ ،
وَإِصَابَةِ مُتَمَنَّى . وَقَدْ قَالَ رَجُلٌ كَبِيرُ الْحِكْمَةِ ، مَعْرُوفُ الْحَنَكَةِ : الْمُعْتَبَرُ
كَثِيرٌ ، وَالْمُعْتَبَرُ قَلِيلٌ . وَصَدَقَ هَذَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ ، وَهُوَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ :

لَوْ أَعْتَبَرْتُ مِنْ تَأَخَّرِ بَيْنِ تَقَدَّمَ ، لَمْ يَكُنْ مِنْ يَتَحَسَّرُ فِي النَّاسِ ^(٥) وَيَنْدَمُ ،
وَلَكِنَّ اللَّهَ بَنَى هَذِهِ الدَّارَ عَلَى أَنْ يَكُونَ أَهْلُهَا بَيْنَ يَقْظَةٍ وَنَوْمٍ ، وَبَيْنَ فَرَحٍ
وَتَرَحٍ ، وَبَيْنَ حَيَاطَةٍ ^(٦) وَوَرْطَةٍ ، وَبَيْنَ حَزْمٍ وَغَفْلَةٍ ، وَبَيْنَ زَوَاجٍ وَسَلَوَةٍ ،
لَكِنَّ الْأَخْذَ بِالْحَزْمِ — وَإِنْ جَرَى عَلَيْهِ مَكْرُوهٌ — أَعْذَرُ عِنْدَ نَفْسِهِ وَعِنْدَ

(١) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ : « تَغْرِس » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَتَضَمَّنُهُ
سِيَاقُ مَا قَبْلَهُ .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ : « تَهْلِك » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي (ب) : « تَكَلُّف » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (أ) : « الْوِكَان » بِالْوَوْنِ . وَفِي (ب) : « الْوِكَاك » بِالْكَافِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ
فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ .

(٥) فِي (ب) : « فِي الدُّنْيَا »

(٦) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ : « غِبْطَةٌ » ؛ وَلَمْ يَلَمْ تَحْرِيفٌ ، لِإِذِ الْغِبْطَةُ لَا تَهَابِلُ الْوَرْطَةَ ،
وَالَّتِي يَقَابِلُهَا الْحَيْطَةُ كَمَا أَثْبَتْنَا .

كلٌّ من كان في مسيكة ، من المأني بيده ، والمبتدلي بفروره ، والساعي في ثبوره ؛ وما وهب الله العقل لأحدٍ إلا وقد عرّضه للنجاة ، ولا حلاّ بالعلم إلا وقد دعاه إلى العمل بشرائطه ، ولا هداه الطريقين (أغنى النى والرشد) إلا ليزحف إلى أحدهما بحسن الاختيار .

هذا بالأمسي أبو الفضل العباس بن الحسين الوزير — وهو في وزارته وبسطة أمره ونهيه — قيل له ذات يوم : هذا التركي ساسكر^(١) تقياً بظله ، واعتصم بحبّله ، واستسقى بسجّله ، وارتوى من سؤره ، ولا يئبلنه عنك ، ما يوحشه منك ، ويخفيه^(٢) عليك . وقد قيل :

« أسجد لقرّ السوء في زمانه »

وإذا لم تقدر على قطع يد جائرة ، فقبلها منبهة^(٣) منجدة غائرة . فلم يفتل ، حتى وجد أعداؤه طريقاً إليه ، فسلكوه وأوفوه .

ثم قيل له في الوزارة الثانية : قد ذقت مرارة النكبة ، وتحرق بنار الشامة ، وتارقت على فرطات^(٤) العجز والفسالة ، وقد كان من ذلك كله ما كان ، وداراك بما تمّيت^(٥) الزمان ؛ فأنظر أين تضع الآن قدمك ، وبأي شيء تدير لسانك وقلمك ، فإن مخلصك من ورطتك بالمرصاد ، وقد

(١) لم نجد هذا الاسم فيما راجعناه من معجمات الأعلام التركية ؛ والذي وجدناه « سنجر » بالسين والجيم وبلا سين وألف في أوله .

(٢) في (١) : « ويخفه » ؛ وهو تحريف .

(٣) في كلتا النسخين : « بهمه » ؛ وهو تحريف .

(٤) في كلتا النسخين : « فطرات » ؛ والظاهر أن في حروفه قلباً وقع من التامسح . كما أن في كلتا النسخين : « وأرت » مكان « وتارقت » ؛ وما أثبتناه أولى للعلامة بينه وبين قوله قبل : « وتحرق » .

(٥) في (ب) : « ظننت » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

وَعَدْتَ مِنْ نَفْسِكَ أَنْ أُعَادَ اللَّهُ يَدَكَ^(١) إِلَى الْبَسْطَةِ ، وَرَدَّ حَالَكَ إِلَى السَّرُورِ
وَالنَّيْطَةِ ، أَنْكَ تَجْزِلُ الْمَاعِلَةَ ، وَتَنْسَى^(٢) الْمَقَابِلَةَ ، وَتَلْقَى وَلِيَّكَ وَعَدُوَّكَ
بِالْإِحْسَانِ إِلَى هَذَا ، وَالْكَفَّ عَنْ هَذَا ، حَتَّى يَنْتَسُوا بِنَظَرِكَ ، وَيَتَعَبَّدَا
لَكَ بِتَفَضُّلِكَ .

فَكَانَ مِنْ جَوَابِهِ مَا دَلَّ عَلَى عِتْوِهِ وَثَبَاتِهِ^(٣) ، لِأَنَّهُ قَالَ : أَمَّا سَمِعْتُمْ اللَّهَ
تَعَالَى حَيْثُ يَقُولُ : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ [وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ] ؟
وَقَالَ لِي الْقَوْمُ مَسَى^(٤) — وَلَمْ يَقُمْ مَا فِي فَعْوَى هَذَا الْكَلَامِ — : مَا ذَاكَ ؟
قُلْتُ : غَوَاهُ وَلَوْ عَادُوا إِلَى مَا نُهُوا عَنْهُ لَعُدْنَا [إِلَى مُقَابَلَتِهِمْ بِمَا اسْتَحَقُّوا عَلَيْهِ .
وَصَدَقَ مَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، مَا لَبِثَ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ بَعْدَ هَذَا الْكَلَامِ
إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى أُوْرِدَهُ^(٥) وَلَمْ يُصْذِرْهُ ، وَأَعْتَرَهُ وَلَمْ يُنْعِشْهُ ، وَسَلَّمْ إِلَى عَدُوِّهِ حَتَّى
أَسْتَلَّ رُوحَهُ مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ ، شَاقِيًا بِهِ وَمُسْتَفْتِيًا مِنْهُ ، وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ
خُسْرًا ، وَلَوْ اتَّقَى اللَّهَ لَكَانَ آخِرُ أَمْرِهِ يُسْرًا . وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

وَهَذَا بِمَعْنَى مُحَمَّدِ بْنِ بَقِيَّةٍ طَلْقَى وَبَقِيَ ، وَافْتَحَمَ ظِلْمَاتِ الظُّلْمِ وَالْعَسْفِ ،
وَطَارَ بِمِحْنَةِ الْإِهْوَاءِ وَالْمَرْزَفِ ، وَالشُّرْبِ وَالْقَصْفِ ، وَمَلَّ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَضَلَّ
بَيْنَ إِنْهَالِ اللَّهِ وَإِمْلَانِهِ ، غَاقَ بِهِ مَا ذَهَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ وَمَالُهُ ، وَخُرَّبَ بَيْتُهُ ،
وافتَحَصَ أَهْلُهُ ، وَكَيْفَ كَانَ يَسْلَمُ ؟ أَمْ كَيْفَ كَانَ يَنْجُو وَقَدْ قَتَلَ ابْنَ السَّرَّاجِ

(١) فِي (ب) : « أُعَادَ اللَّهُ بِكَ أَيْمَانَكَ الْبَسِيطَةَ » ؛ وَفِي بَعْضِ كَلِمَاتِهَا تَحْرِيفٌ لَا يَخْفَى .

(٢) كَذَا فِي (أ) . وَالَّذِي فِي (ب) : « وَتَنْسَى » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَتَنْسَى الْمَقَابِلَةَ ،

أَيَّ لَا تَهَابِلُ الذَّنْبَ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ عِقَابِهِ بَلْ تَغْفُو .

(٣) وَثَبَاتِهِ ، أَيُّ ثَبَاتِهِ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ السِّيَاسَةِ .

(٤) فِي كَلِمَاتِ النَّسَخَتَيْنِ : « الْمَسَى » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ كَمَا تَرَى ، صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا .

(٥) أُوْرِدَهُ وَلَمْ يُصْذِرْهُ فَاعْلَمْ أَنَّ الْفَعْلَيْنِ ضَمِيرٌ يَعُودُ عَلَى الْكَلَامِ السَّابِقِ ذَكَرَهُ . أَيْ

أُوْرِدَهُ كَلَامُهُ الْخ .

بلا ذنب ، والجَرَ جَرَّائِي^(١) بلا حِجَّة ، وضربَ ابن مَعْرُوفٍ بالسَّيَاط
وأبا القاسم — أخا لأبي محمد القاضي — وشَهْرَهُ على جَمَلٍ في الجَانِبِ الشَّرْقِيِّ ١٩
والتَّشْقِي حُلُوُ التَّلَانِيَةِ ، واسكنهُ مُرُءُ العاقبة ، وكانَ الحَفِيفَةُ إِنَّمَا خُلِقَتْ
لِيُفْتَقَدَ^(٢) ، والحَقْدَ إِنَّمَا وُجِدَ لِيُبَلَّغَ بِهِ مَا يَسُرُّ الشَّيْطَانَ .

وكانَ العَفْوُ حَرَامًا ، والكُفْمُ^(٣) محظور ، والمُكَافَاةُ مأمُورٌ بِهَا .
وهذا بِالْأَمْسِ عَلَى بَنِي مُحَمَّدٍ ذُو الْكِفَايَتَيْنِ ، اغْتَرَّ بِشَبَابِهِ ، وَلَهَا عَنْ
الْعَزْمِ وَالْأَخْذِ بِهِ فِيمَا كَانَ أَوْلَى بِهِ ، وَظَنَّ أَنَّ كِفَايَتَهُ تَحْفَظُهُ ، وَنَسَبَهُ مِنْ
أَبِيهِ يَكْنُفُهُ ، وَبَرَاءَتَهُ تَحْتَجُّ لَهْ ، وَذُنُوبَهُ الصَّغِيرَةَ تُنْقِطِرُ ؛ لِإِبْلَائِهِ الْمَذْكُورِ ،
وَعَنَائِهِ الْمَشْهُورِ ؛ وَشَيْ قَعَرٌ ، وَرَابٍ^(٤) لُحْزٌ ، وَالْأَوَّلُ يَقُولُ :

مَنْ سَابَقَ الدَّهْرَ كَبَا كِبَوَةٌ لَمْ يَسْتَقِلْهَا آخِرَ الدَّهْرِ
فَأَخْطُ مَعَ الدَّهْرِ إِذَا مَا خَطَا وَأَجْرٍ مَعَ الدَّهْرِ كَمَا يَجْزِي

وقال لي الخليل — وكان لطيفًا لِلْحَلِّ عَنْده ، لِمَا كَانَ يَرَى مِنْ
أَخْصَاصِ أَبِيهِ لَهُ ، وَلِمَا يَظْهَرُ مِنْ فَضْلِهِ عَنْده — : قُلْتُ لَهُ يَوْمًا : يَا هَذَا ،
فِي أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ ١٩ وَبِأَيِّ شَيْءٍ تَقَلُّلُ ١٩ وَقَدْ شُجِّدْتَ الْمَوَاسِي ، وَحُدِّدْتَ
الْأَنْيَابَ ، وَفُتِلَتِ الْمَرَاثِرُ^(٥) ، وَنُصِبَتِ الْفِخَاخُ ، وَالْعَيُونُ مُحْدَقَةٌ نَحْوَ الْقَطِيعَةِ ،

(١) في (١) : « الجرجاني » .

(٢) في (١) : « لتند » . وفي (ب) : « لتنفذ » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين .

(٣) في كلتا النسخين : « والطم » ؛ وهو تحريف .

(٤) في (١) : « وداب غفر » . وفي (ب) : « وذاب غفر » ؛ ولعل الصواب ما أثبتنا .

(٥) في (١) : « وقيل » . وفي (ب) : « وقتلت » ؛ وهو تصحيف في كلتا

النسخين . وفي (١) : « للدابر » مكان « المرائر » ؛ وهو تحريف أيضا . والمرائر :
الحبال ، جمع صبرة .

والأعناقُ صُورٌ^(١) إلى الفَظِيعة ، وأنتَ لآءٍ ساءٍ عما يُرادُ بكَ بَعْدُ ؛
يَسْبِيكَ^(٢) هذا المِزْفَنُ^(٣) وهذا الرُّخْيُ^(٤) وهذا المَعْرَضُ^(٥) ، وهذا الخَلِيقُ ،
وهذا النَّتِيفُ ، وهذا المَعْرَبُ الصَّدْعُ ، وهذا المَصْفُوفُ الطَّرَّةُ ، وبالكاس^(٦)
والطاس ، والغناء والقصف ، والنأي والعود ، والصَّبُوحِ والغَبُوقِ ، والشرابِ
المُرُوقِ العتيق ؛ والله ما أدري ما أَصْنَعُ ، إن سَكَتُ عَنْكَ كِيدْتُ ، وإن
نَصَحْتُكَ خِفْتُ مِنْكَ ؛ ونَعُوذُ بالله من أَشْتَبَاهِ الرَّأْيِ ، واشْتَبَاكَ الْأَمْرِ ، وَقِلَّةِ
الْأَحْتِرَاسِ ، والإِعْرَاضِ عما يَجْرِي من أَفْوَاهِ النَّاسِ .

يا هذا ، سُوهُ الْأَسْتِمْسَاكِ خَيْرٌ مِنْ حُسْنِ الصَّرْعَةِ ، وَتَلَقَّى الْأَمْرِ بِالْحَزْمِ
وَالشَّهَامَةِ أَوْلَى مِنْ أَسْتِدْبَارِهِ بِالْحَسَرَةِ وَالنَّدَامَةِ ، وَمَنْ لَا تَجَرِبَةَ لَهُ يَقْتَبِسُ
يَمْنًا لَهُ تَجَرِبَةٌ ، فَإِذَا نَقَبَ الْخَلْفُ دَيْمَى الْأَظْلَى . فقال : قد فَرَّغَ اللَّهُ عَمَّا هُوَ
كَائِنٌ ، وَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ .

قال : قلتُ له : ما أَطْلَعَكَ اللَّهُ عَلَى كَائِنَاتِ الْأُمُورِ ، وَلَا أَغْلَمَكَ بِعَوَاقِبِ
الْأَحْوَالِ ، وَإِنَّمَا عَرَفْتَكَ حَظَّكَ بَعْدَ أَنْ^(٧) وَفَّرَ عَقْلَكَ ، وَأَحْضَرَكَ اسْتَطَاعَتِكَ ،
وَأَوْضَحَ لِقَلْبِكَ مَا عَلَيْكَ وَلَكَ ، حَتَّى يَسْتَشِفَّ وَيَسْتَكْشِفَ ، وَمَلَّكَكَ

(١) صور ، أى مائلة . إلى الفظيعة ، أى إلى التنكبة الفظيعة . وفي كلتا النسختين :
« المفظيعة » . وما أثبتناه هو ما يستقيم به السجع الذي ألزمه المؤلف في بعض فقراته .
(٢) في (أ) : « يعد تشبثك » . وفي (ب) : « يعد بسبك » ؛ وهو تحريف
في كلتا النسختين .

(٣) المِزْفَنُ الذي يجعل صدغيه كالزرفين ، وهي الحلقة .

(٤) كذا في (ب) والذي في (أ) « المِزْجَن » ، ولا معنى له هنا .

(٥) المَعْرَضُ بتشديد الراء الذي نبت شعر عارضيه . كما يقال عذْرُ الْفُلَامِ بتشديد الدال
لإذا نبت شعر عذاره .

(٦) وبالكاس متعلق بقوله قبل : « لاه » .

(٧) كذا في (ب) . والذي في (أ) : « مقدار » مكان « بعد أن » ؛ وهو تحريف .

النَّوَاصِيَ حَتَّى تَمُنَّ^(١) وَتُرْسِلَ ، وَمَا طَالَبَكَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ أُزَاحَ عِلَّتُكَ ، وَلَا عَاقِبَكَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ أُنْذِرَكَ وَأَنْظُرَكَ ، وَبِمِثْلِ هَذَا تُطَالِبُ أَنْتَ مَنْ هُوَ دُونَكَ مِنْ خَدَمِكَ وَحَشَمِكَ ، وَأَوْلِيَانِكَ وَأَعْدَائِكَ ، وَهَذَا الَّذِي أَعْذَلُكَ عَلَيْهِ هُوَ الَّذِي بِهِ تَفْذُلُ غَيْرَكَ وَتَرَاهُ ضَالًّا فِي مَسَلِكِهِ ، مَتَعْرُضًا لِمَهْلِكِهِ .

نَقَالَ : أَيُظْلِمُنِي وَلِيٌّ نَفَمَتِي صُرَاحًا بِلَا ذَنْبٍ ، وَيَجْتَابُنِي^(٢) بِلَا جَرِيْمَةٍ ؛ وَيُثْلِمُ دَوْلَتَهُ بِلَا حُجَّةٍ ؟

قُلْتُ : اللَّهُ يَبْقِيكَ وَيَكْفِيكَ ، نَزَاكَ بِلَا ذَنْبٍ ، وَنَجِدُكَ بَرِيًّا مِنْ كُلِّ عَيْبٍ ، وَغَيْرُكَ لَا يَرَاكَ بِهَذِهِ الْعَيْنِ ، وَلَا يَتَحَكَّمُ لَكَ بِهَذَا الْحُكْمِ ؛ فَإِنْ كُنْتَ تَرَى فُرْصَةً فَاتَمِيزْهَا ، وَإِنْ كُنْتَ تَحْلُمُ بِفُصَّةٍ^(٣) فَاحْتَرِزْ مِنْهَا ؛ فَأَبْوَابُ النِّجَاةِ مُفْتَحَةٌ ، وَطُرُقُ الْأَمَانِ مُتَوَجِّهَةٌ ، وَالْأَخْذُ بِالْأَحْتِيَاظِ وَاجِبٌ ، قَدْ قَرَّبَ الشَّائِخُ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ ، وَالْقِيَامَةُ قَدْ قَامَتْ بِالْإِرْجَافِ ، وَالطَّيْرَةُ قُشْعِرِيْرَةُ النَّفْسِ ، كَمَا أَنَّ الْقُشْعِرِيْرَةَ طَيْرَةُ الْبَدَنِ ، وَالْأَسْتِرْسَالُ كَلَالُ الْحِسِّ ، وَالْقَالُ لِسَانُ الزَّمَانِ ، وَغُنْوَانُ الْحِذْنَانِ ، وَلَا يَقَعُ فِي الْأَفْوَاهِ إِلَّا مَا يُوجِبُ الْحَذَرَ ، وَيَبْعَثُ عَلَى الرَّأْيِ وَالنَّظَرِ ، وَاسْتِقْرَاءِ الْأَثَرِ وَالْخَبَرِ .

قَالَ : أَمَّا أَنَا بَعْدَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ فَقَدْ اسْتَظْهَرْتُ بِمُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ صَاحِبِ نَيْسَابُورٍ ، وَبَفُضْرِ الدَّوْلَةِ وَهُوَ بِهِمَاذَانِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَبِعِزِّ الدَّوْلَةِ

(١) فِي (١) : « تَمَلُّ وَتَرْسُد » . وَفِي (ب) : « تَمُدُّ مَكَانَ تَمَلُّ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا . وَتَمُنُّ وَتُرْسِلُ . أَيْ تَمُنُّ بِالْفِعْلِ عَنْ أَسَاءٍ ، وَتُرْسِلُ مِنْ أَمْسَكْتَهُ ، أَيْ تَطْلُقُهُ .

(٢) كَذَا فِي (ب) . وَالَّذِي فِي (١) : « يَجِينُنِي » .

(٣) فِي (١) : « بَعْضٌ » بِالْمَعْنَى وَالضَّادِ . وَفِي (ب) : « بَقِصَةٌ » بِالْقَافِ وَالضَّادِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا .

وهو بمدينة السلام ؛ ومتى حَرَبَ حَارِب ، ورَابَ رَائِب ، أَوَيْتُ إلى واحدٍ من هؤلاء .

قال : قلتُ : ها هنا ما هو أسهلُ مِنْ هذا وإن كان أهول ، وأنجى وإن كان أشجى ، وأقرب وإن كان أعزَب .
قال : ما هو ؟ فرجُ عَنِّي وأهْدِنِي .

قلتُ : لتأيدخلُ هذا الوارد [الدار] ، ويدنو من طَرَفِ البساط ، تُندِرُ رأسه عن كاهله ، وتُلقي شِلْوَه في مزبلة ، فإن المهيبة تقع ، والنائرة تخبو ، والعجب يغمُر ، والظلمة تزول ، والصدر يشتفي ، والأعتذار ينتفي ؛ ويكتب إلى مؤفده بأن الرأي أوجبَ هذا الفعل ، لأنه غلبَ على الظنِّ أنه وافي لِكَيْدِ يوصله إلى ، وبلاء يُفرِّغه على ، فأزلتُ هذا الظنَّ باليقين ، ودفعتُ الشبهة بالجلاء ، واستخلصتُ النورَ من الظلام ؛ ولأنَّ تبعدَ ساقطاً من خديك ، يسوه ظني به من جهتك ، ويقدحُ في طاعتي لك ، [ويضرمُ في نار التهمة بيني وبينك ؛ خيرٌ لي في نصيحتي لدولتك ، وخيرٌ لك] في بقائي^(١) على أمرك ونهيك ، من أن يلتاث ضميري في سياسة دولتك ، وتحولَ نيتي^(٢) عما عاهدتَ من القيام بحق جُندِكَ ورعيَّتِكَ ، وحفظِ قاصيتِكَ ودانيتِكَ .

فقال : هذا أعظم ، والله المستعان .

وليتني أصبتُ بهذا الرأي^(٣) أمراً علّا عقله ، فيقبله ببيان ، أو يرده

(١) كذا في (ب) . والذي في (أ) : « ثنائي » ؛ وهو تعريف .

(٢) في كلتا النسخين : « بيني » ؛ وهو تصحيف .

(٣) وردت هذه المارة في كلتا النسخين هكذا « وليتني أصبت من أمر بهذا الرأي على عقله » ؛ وفيها تقديم وتأخير وتعريف إذ لا معنى لها على هذا الوجه ؛ ولعل الصواب ما أثبتنا .

بِزُهَانٍ ، فَكَانَ يَفْوَى أَوْ يَضْعَفُ ، وَيُقَدِّمُ عَلَيْهِ أَوْ يُخْجِمُ عَنْهُ ، فَإِنَّ الْمُبْرَمَ أَفْوَى مِنَ السَّحِيلِ ، وَالسَّيِّئَ أَخْدُ مِنَ النَّحِيلِ ؛ ثُمَّ كَانَ مَا كَانَ .
وَكَانَ مَشَايِخُ الْعِرَاقِ وَالْجَبَلِ يَرَوْنَ مَا حَدَّثَ بِذَلِكَ الْفَتَى أَمْرًا قَرِيبًا ،
وظُلْمًا غَبَقْرِيًّا .

وَحَدَّثَنِي الْقَوْمُ أَنََّّهُ لَمْ يَتَقَدَّمْ بِذَلِكَ أَمْرًا ، وَلَا سَبَقَ بِهِ إِذْنَ ، وَلَكِنْ
لَمَّا حَدَّثَ مَا حَدَّثَ ، وَقَعَ عَنْهُ إِسْكَ ، وَسُتِرَتْ الْكَرَاهِيَّةُ وَالْإِنْكَارُ .

* * *

وَالْأُمُورُ أَيُّهَا الْوَزِيرُ ظُهُورٌ وَبُطُونٌ ، وَهَوَادٍ وَأَمْجَازٌ ، وَأَوَائِلُ وَأَوَاخِرُ ؛
وَلَيْسَ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يُدْرِكَ النِّجَاحَ فِي الْعَوَاقِبِ ، وَإِنَّمَا عَلَيْهِ أَنْ يَتَحَرَّزَ
فِي الْمَبَادِي ؛ وَلِهَذَا قَالَ الْقَائِلُ :

لَأَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهُ
وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَوْغِيْرُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ : مَا لُئِمْتُ نَفْسِي عَلَى
قَوْتِ أَمْرٍ بِدَأْتُهُ بِمَزْمٍ ، وَلَا تَجِدْتُهَا عَلَى دَرَكِ أَمْرٍ بِدَأْتُهُ بِعَجْزٍ .
هَاهُنَا نَاسٌ إِذَا تَلَاقَوْا يَنْفُثُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ بِمَا هُوَ صَرِيحٌ وَكَفَايَةٌ ،
وَيَحْتَاجُ الْأَمْرُ إِلَى ابْنِ يَوْسُفَ ، وَيَسْتَنْلِي^(١) الْخَبِيثُ مِنَ الْجَالِسِ فَوْقَ مَشْرِعَةٍ
مَكَانَ الرُّوَايَا .

^(٢) وَلَيْسَ يَصُحُّ كُلُّ مَا يُقَالُ فَيُرَوَّى عَلَى وَجْهِهِ ، وَلَيْسَ يَخْفَى أَيْضًا كُلُّ
مَا يَمْجُرِي فَيُمْسَكَ عَنْهُ ؛ وَالْأُمُورُ مَرَجَةٌ ، وَالصَّدُورُ حَرَجَةٌ ، وَالْأَحْقِرَاسُ

(١) حَبَارَةُ (١) : « وَمَسَلِ الْخَبِيثُ مِنَ الْحَالِينَ فَوْقَ مَشْرِعَةٍ » ؛ وَفِيهَا تَحْرِيفٌ ظَاهِرٌ
وَفِي (ب) : « الْحَبِيبُ » مَكَانَ « الْحَبِيثِ » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ أَيْضًا . وَيُرِيدُ بِالْخَبِيثِ ابْنَ يَوْسُفَ .
(٢) وَرَدَ فِي (١) قَبْلَ قَوْلِهِ : « وَلَيْسَ يَصُحُّ » قَوْلُهُ : « فَصْلٌ » .

واجب ، والنصح مقبول ، والرأى مشترك ، والنقمة بالله من اللوازم على مَنْ عَرَفَهُ وآمَنَ بِهِ ، وليس مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بُدٌّ عَلَى كُلِّ حَالٍ .

وَاللَّهُ أَسْأَلُ الدِّفَاعَ عَنْكَ ، وَالْوَقَايَةَ لَكَ ، فِي مُضْجِكَ وَمُتَمَسِّكَ ، وَفِي مَسِيَّتِكَ وَمَقِيلِكَ ، وَشَهَادَتِكَ وَغَيْبَتِكَ ، وَلَذَوِي مَلِيحَا^(١) فِي هَذَا الْبَابِ نَفْعٌ وَإِقَادٌ ، وَتَنَاقُلٌ وَأَثْبَارٌ^(٢) ، وَمَسْئَلَةٌ وَجَوَابٌ .

وعند الشيخ أبي الوفاء مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ وَمِنْ غَيْرِهِ تَمَّا يَتَّصِلُ بِهِ مِنْ نَاحِيَةِ ابْنِ الْيَزِيدِيِّ مَا يَجِبُ أَنْ يُصَاحَ لَهُ بِالْأُذُنِ الْوَاعِيَةِ ، وَيُقَابَلُ بِالنَّفْسِ الرَّاعِيَةِ ، وَيُدَاوَى بِالدَّوَاءِ النَّاجِعِ ، وَتُخَسَمَ مَادَّتُهُ مِنَ الْأَصْلِ ، فَإِنَّ الْفَسَادَ إِذَا زَالَ حَصَلَ مَكَانَهُ الصَّلَاحُ . وَلَيْسَ بَعْدَ الْمَرَضِ إِلَّا الْإِفْرَاقُ ، وَلَا بَعْدَ النَّزْعِ إِلَّا الْإِغْرَاقُ .

إِلَى هَاهُنَا انْتَهَى نَفْسِي بِالنَّصْحِ وَإِنْ كَانَتْ شَفَقَتِي^(٣) تَتَجَاوَزُهُ ، وَحِرْصِي يَسْتَعْلِي عَلَيْهِ ، لَكُنِّي خَادِمٌ ، وَكَأَيْبٌ عَلَى أَنْ أُخْدَمَ بِذِيَاتِ^(٤) الصِّدْرِ ، فَيَنْبَغِي أَنْ أُلْزَمَ الْحَدَّ بِمُحْسِنِ الْأَدَبِ .

وَاللَّهُ إِنِّي لَوَاقِدٌ مُخْلِصٌ ، وَعَبْدٌ طَائِعٌ ، وَرَجَائِي الْيَوْمَ أَقْوَى مِنْ رَجَائِي أَمْسَ ، وَأَمَلِي غَدًا أَبْسَطُ^(٥) مِنْ أَمَلِي الْيَوْمَ ؛ أَشْكُو إِلَيْكَ الْأَرْقَ بِاللَّيْلِ فِكْرًا فِيمَا يُقَالُ ، وَتَحَفُّظًا^(٦) تَمَّا يُنَالُ ، وَتَوَهُمًا لِمَا لَا يَكُونُ [إِنْ كَانَ] ، وَشُرًّا الْعِدَا ، الَّذِينَ يَتَمَنَّوْنَ لِأَوْلِي نِعْمَتِهِمُ الرَّدَى ، وَيَبْتَغُونَ النِّكَاثَ^(٧) ،

(١) كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي (ب) وَلَمْ تَلِمْ مِنْ مِمَّ ذُوو مَلِيحَا .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَتَنَاقُلٌ وَأَثْمَارٌ » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « شَفَقَتِي » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (أ) : « ذِيَّانٍ » . وَفِي (ب) : « ذِيَّاتٍ » ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٥) فِي (ب) : « أَنْسَطُ » . (٦) فِي (ب) : « وَغِيظًا » .

(٧) فِي (ب) : « الْيَابِثُ » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

وَيَكْسِرُونَ الْأَجْفَانِ^(١)، وَيَتَخَازِرُونَ بِالْأَعْيُنِ، وَيَتَجَاهَرُونَ بِالْأَذْيِ إِذَا تَلَاقَوْا، وَيَتَهَامَسُونَ بِاللِّسَنِ إِذَا تَدَانَوْا، وَاللَّهُ يَضْرَعُ جُدُودَهُمْ، وَيُضْرِعُ خُدُودَهُمْ بَيْنَ يَدَيْكَ؛ وَهَذِهِ الرَّقَّةُ مَتَى وَالْحَقَاوَةُ، وَهَذِهِ الرُّعْشَةُ وَالْقَلَقُ، وَهَذَا التَّقْبِيعُ وَالتَّفْرِعُ كُلُّهُ، لِأَنِّي مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ، وَلَا شَاهَدْتُ شِبْهَكَ، كَرَّمَ خَيْمَ، وَلَيْنَ عَرِيكَةٍ، وَجُودَ بَنَانٍ، وَحُضُورَ بَشَرٍ، وَتَهْلُلَ وَجْهِ، وَحُسْنَ وَغَدٍ، وَقُرْبَ إِنْجَازٍ، وَبَذَلَ مَالٍ، وَحُبَّ حِكْمَةٍ^(٢).

قَدْ شَاهَدْتُ نَاسًا فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، صِغَارًا وَكِبَارًا وَأَوْسَاطًا، فَأَشَاهَدْتُ مَنْ يَدِينُ بِالْمَجْدِ، وَيَتَحَلَّى^(٣) بِالْجُودِ، وَيَرْتَدِي بِالْقَفْوِ، وَيَتَأَزَّرُ^(٤) بِالْحِلْمِ؛ وَيُعْطَى بِالْجُزَافِ، وَيَفْرَحُ بِالْأَضْيَافِ، وَيَصِلُ الْإِسْعَافَ بِالْإِسْعَافِ، وَالْإِتْحَافَ بِالْإِتْحَافِ، غَيْرَكَ.

وَاللَّهُ إِنَّكَ لَتَهْبُ الدَّرْهَمَ وَالْدِينَارَ وَكَأَنَّكَ غَضَبَانُ عَلَيْهِمَا، وَتُعْطِمُ الصَّادِرَ وَالْوَارِدَ كَأَنَّ اللَّهَ قَدْ اسْتَخْلَفَكَ عَلَى رِزْقِهِمَا؛ ثُمَّ تَتَجَاوَزُ الْغَدَبَ وَالْفِضَّةَ إِلَى الثِّيَابِ الْمَزِيَّةِ، وَالْخِلْعِ النَفِيسَةِ، وَالْخَيْلِ الْعِتَاقِ، وَالْمَرَاكِبِ الثَّقَالِ، وَالنِّعْلَانِ وَالْجُوَارِي، حَتَّى السُّكُتِ وَالْدَفَاقِرِ وَمَا يَضُنُّ بِهِ كُلُّ جَوَادٍ؛ وَمَا هَذَا مِنْ سَجَايَا الْبَشَرِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فَاعِلٌ هَذَا نَبِيًّا صَادِقًا، وَوَلِيًّا لِلَّهِ مُجْتَبَىً، [فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَّنَ هَذَا الصَّنْفَ مِنَ الْفَقْرِ، وَرَفَعَ مِنْ قُلُوبِهِمْ عِزَّ الْمَالِ]، وَهُوَ نَ عَلَيْهِمُ

(١) في (١): «الأظفار»، وهو تحريف.

(٢) كذا في (ب). والذي في (١): «وبذل ما أوجب حكمة»، وهو تحريف كما لا يخفى.

(٣) في كلتا النسختين: «وينتحل»، وهو تحريف سواه ما أثبتنا، إذ ليس انتحال الجود مما يمدح به.

(٤) في كلتا النسختين: «ويبارز»، وهو تحريف.

الإفراج عن كلِّ مُنْفِسٍ^(١) ، ياقوتاً كان أو دُرّاً ، ذهباً كان أو فضةً ؛ كفاكَ اللهُ عَيْنَ الحاسِدين ، وَوَقَاكَ كَيْدَ المُفْسِدين ، الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِم بِالْأَمْسِ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ ، وَكَانُوا كَحَصَى فِجْلَتِهِمْ كَالْأَطْوَادِ ؛ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِأَيْدِيكَ ، وَيَوَالُونَ أَعْدِيكَ ، وَيَتَمَنُّونَ لَكَ مَا أَرْجُو أَنَّ اللَّهَ يَغْضِبُهُ بِرُءُوسِهِمْ ، وَيُنْزِلُهُ عَلَى أُرْوَاحِهِمْ ، وَيُذِيقُهُمْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ ، وَيَجْعَلُهُمْ عِبْرَةً لِكُلِّ مَنْ يَرَامُ وَيَسْتَعْبَهُمْ ، كَانَ اللَّهُ لَكَ وَمَعَكَ ، وَحَافِظُكَ وَنَاصِرُكَ .

أُحِلَّتْ الْحَدِيثُ تِلْكَذَا بِمَوَاجِهَتِكَ ، وَوَصَلَتْهُ خِدْمَةٌ لِذَوَلَّتِكَ ، وَكَوَرَزَتْهُ تَوْقَعًا لِحُسْنِ مَوْقِعِهِ عِنْدَكَ ، وَأَعَدَّتْهُ وَابْدَيْتُهُ طَلَبًا لِلْكَاثَةِ فِي نَفْسِكَ .

وَأَرْجُو إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَلَّا أُخْرِمَ هَبَّةً مِنْ رِيحِكَ ، وَنَسِيماً مِنْ سَحَرِكَ ، وَخَيْرَةً بِنَظَرِكَ . لَمْ أَوْفُقْ فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ الْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ مَا يَمُرُّ بِي يَأْسٌ مِنْ إِنْصَامِكَ فَأَقْوِيهِ بِالرَّجَاءِ ، وَلَا يَغْتَرِبْنِي وَنَمٌّ فِي الْخَيْبَةِ لَدَيْكَ فَأَتَلَاوَاهُ بِالْأَمَلِ . إِنَّمَا قَصَارَى أُمْنِيَّتِي إِذَا حُكِمْتُ أَنْ أُعْطَى فِيكَ سُؤْلِي بِالْبَقَاءِ الْمَدِيدِ ، وَالْأَمْرِ الرَّشِيدِ ، وَالتَّدْوِ الصَّرِيحِ ، وَالْوَلِ الرَّقِيعِ ، وَالذَّوْلَةُ الْمُسْتَنْتَبَةِ ، وَالْأَحْوَالِ الْمُسْتَحَبَّةِ ، وَالْأَمَالِ الْمَبْلُوغَةِ ، وَالْأَمَانِ الْمَذْرُوكَةِ ، مَعَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ النَّافِذِينَ ، بَيْنَ أَهْلِ الْخَافِقِينَ ؛ وَاللَّهُ يُبْلِغُنِي ذَلِكَ بِطَوْلِهِ وَمَتْنِهِ .

وَأَخِرُ مَا أَقُولُ ، أَيُّهَا الْوَزِيرُ : مَرُّ بِالصَّدَقَاتِ ، فَإِنَّهَا مَجْلِبَةُ السَّلَامَاتِ وَالْكَرَامَاتِ ، مَدْفَعَةٌ لِلْكَارِهِ وَالْآفَاتِ ؛ وَاهْتِجِرِ الشَّرَابَ ، وَأَدِمِ النَّظَرَ فِي الْمُنْصَحِّ ، وَافْزَعْ إِلَى اللَّهِ فِي الْأَسْتِخَارَةِ ، وَإِلَى الثَّقَاتِ بِالْأَسْتِشَارَةِ ؛ وَلَا تَبْخُلْ عَلَى نَفْسِكَ بِرَأْيٍ غَيْرِكَ ، وَإِنْ كَانَ خَامِلاً فِي نَفْسِكَ ، قَلِيلاً فِي عَيْنِكَ ،

(١) كَذَا فِي (١) . وَالْفِي فِي (ب) : « مَفْسَر » ، وَلَا يَسْتَعْمِلُ مَعَهُ الْكَلَامُ الْآتِي بِعَدِّ .

فَإِنَّ الرَّأْيَ كَالذَّرَّةِ الَّتِي رُبَّمَا ^(١) وَجِدْتَ فِي الطَّرِيقِ فِي اللَّزِيْمَةِ ، وَقَلَّ مِنْ فَرَعَ إِلَى اللَّهِ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ ، وَإِلَى الصَّدِيقِ بِالإِسْمَاعِ ^(٢) مِنْهُ ، إِلَّا أَرَاهُ اللَّهُ النَّجَاحَ فِي مَسْئَلَتِهِ ، وَالْقَضَاءَ لِحَاجَتِهِ ؛ وَالسَّلَامَ .

فَقَالَ لِي الْوَزِيرُ بَعْدَ مَا قَرَأَ الرِّسَالَةَ : يَا أَبَا مَرْيَدَ ^(٣) ، يَبْغِيْهَا ، وَعَجِبْتُ مِنْ تَشْفِيقِ الْقَوْلِ فِيهَا ، وَمِنْ لُطْفِ ^(٤) إِيرَادِكَ لَهَا ، وَمِنْ بِلَّةِ رِيْقِكَ بِهَا .
وَاللَّهُ يَحَقِّقُ مَا نَأْمُلُهُ لَهُ ، وَنَرْجُوهُ لَأَنْفُسِنَا ، وَيَنْحَسِرُ عَنْهَا هَذَا الضَّبَابُ الَّذِي رَكَدَ عَلَيْنَا ، وَيَزُولُ النِّيمُ الَّذِي اسْتَعْرَضَ فِي أَمْرِنَا ، وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ، (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) .

رسالة في شكوى البؤس ورجاء المعونة وجه بها المؤلف إلى الشيخ أبي الوفاء المهندس الذي كتب له المؤلف هذا الكتاب .
وختم كتابه بها :

أَيُّهَا الشَّيْخُ ، سَلَّمَكَ اللَّهُ بِالصَّنْعِ الْجَمِيلِ ، وَحَقَّقَكَ وَفِيكَ وَبِكَ غَايَةَ الْأُمُولِ .

هَذَا آخِرُ الْحَدِيثِ ، وَخَتَمْتُهُ بِالرِّسَالَتَيْنِ ، وَيَنْتَقِرُ جَمِيعُ مَا جَرَى وَدَارَ ^(٥) عَلَى وَجْهِهِ ، إِلَّا مَا لَمَمْتُ بِهِ شَعْمًا ، وَزَيَّنْتُ ^(٦) بِهِ لَفْظًا ، وَزَيَّنْتُ

(١) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : «إِنَّمَا» ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي مَا أَتَيْتُنَا .

(٢) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : «بِالإِسْمَاعِ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَسِيَاقُ الْكَلَامِ يَقْتَضِي مَا أَتَيْتُنَا .

(٣) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : «يَا أَبَا فَرِيدَ» .

(٤) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : «لُفْظًا» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : «وَدَارَ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٦) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : «وَزَيَّنْتُ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

مَنْقُوصًا ، ولم أَظْلِمْ معنَى بالتَّحْرِيفِ ، ولا مِلْتُ فيه إلى التَّخْوِيرِ ^(١) ؛ وأرجو
 أَنْ يَبَيِّنَ وَجْهِي عِنْدَكَ بِالرَّضَا عَنِّي ، فقد كَادَ وَعْدُكَ فِي عِنَايَتِكَ ^(٢) يَأْتِي
 عَلَيَّ ، وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَحْفَظَ عِنَايَتَكَ عَلَيَّ ، كَسَابِقِ أَهْتَامِكَ بِأَمْرِي ، ^(٣) حَتَّى
 أَمْلِكَ بِهِمَا ^(٤) ، مَا وَعَدْتَنِيهِ مِنْ تَكْرِيمَةِ هَذَا الْوَزِيرِ الَّذِي قَدْ أَشْبَعَ كُلَّ جَانِعٍ ،
 وَكَسَا كُلَّ عَارٍ ، وَتَأَلَّفَ كُلَّ شَارِدٍ ، وَأَحْسَنَ إِلَى كُلِّ مُسِيءٍ ^(٥) ، وَنَوَّهَ بِكُلِّ
 خَامِلٍ ، وَنَفَّقَ ^(٦) كُلَّ هَزِيلٍ ، وَأَعَزَّ كُلَّ ذَائِلٍ ؛ ولم يَبْقَ فِي هَذِهِ الْجَمَاعَةِ
 عَلَى قَهْرٍ وَبُؤْسٍ ، وَمُرَّةٍ وَيَأْسٍ ، غَيْرِي ؛ مع خِدْمَتِي السَّالِفَةِ وَالْآتِيَةِ ،
 وَبَذْلِي كُلِّ مُجَاهِدٍ ، وَنَسْجِي كُلِّ عَرِيصٍ ، وَقِيَامِي بِكُلِّ صَنْبٍ ؛ وَالْأَمْرُ
 مَقْدَرَةٌ ، وَالْحُظُوظُ أَقْسَامٌ ، وَالْكَذْحُ لَا يَأْتِي بِغَيْرِ مَا فِي الْوُح .

فصل

خَلَصْنِي أَيُّهَا الرَّجُلُ ^(٧) مِنَ التَّكَنُّفِ ، أَنْفِذْنِي مِنْ لُئْسِ الْفَقْرِ ، أَطْلِقْنِي
 مِنْ قَيْدِ الْفُرِّ ، اشْتَرِنِي بِالْإِحْسَانِ ، اعْتَبِدْنِي بِالشُّكْرِ ، اسْتَعْمِلْ لِسَانِي
 بِفُنُونِ اللَّذَحِ ، إِنْ كَفَيْتَنِي مَوْزَنَةَ الْفَدَاءِ وَالْعِشَاءِ .

(١) في (١) التي ورد فيها وحدهما هذا الكلام : « التجويز » — بالجيم والزاي ؛ وهو تحريف .

(٢) في (١) التي ورد فيها وحدهما هذا الكلام : « غنائك » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه سياق الكلام .

(٣) وردت هذه العبارة في (١) التي ورد فيها وحدهما هذا الكلام هكذا « بأمر يرحى » ولا معنى لها على هذا الوجه ؛ والصواب ما أثبتنا ، كما يقتضيه السياق .

(٤) بهما ، أى بالعناية والاهتمام .

(٥) في (١) التي ورد فيها وحدهما هذا الكلام : « شيء » ؛ وهو تحريف .

(٦) في (١) التي ورد فيها وحدهما هذا الكلام : « وفنق » ؛ وهو تحريف .

(٧) يريد بالرجل أبا الوفاء وهو الملقى لقبه لدى الوزير .

إلى متى الكسيرة اليابسة ، والبقيلة الذابية ، والقميص المرقع ، وبألى
درب الحجاب ، وسذاب درب الرواسين ؟

إلى متى العادُم بالخبز والزيتون ؟ قد والله يح الخلق ، وتغير الخلق ؛
الله الله فى أمرى ؛ اجبرنى فإنى مكسور ، اسقنى فإنى صدي ، أغثنى فإنى
ملهوف ، شهرنى فإنى غفل ، جلى فإنى عاقل .

قد أذلنى السقر من بلد إلى بلد ، وخذلنى الوقوف على باب باب ،
ونسكرنى العارف بى ، وتباعد عنى القريب منى .

أغرك مسكوبه حين قال لك : قد تبيت أبا حيان ، وقد أخرجته مع
صاحب البريد إلى قرميسين ؟ !

والله ثم وحياتك التى هى حياتى ، ما انقلب من ذلك بنفقة شهر ، والله
نظر لى بالعود ، فإن الأراجيف اتصلت ، والأرض اقشعرت ، والنفوس
استوحشت ، وتشبه كل ثعلب بأسد ، وقتل كل إنسان لعدوه حبلا
من مسد .

أيها الكريم ، ارحم ؛ والله ما يكفينى ما يصل إلى فى كل شهر من
هذا الرزق المقر الذى يرجع بعد التفتير والتبشير إلى أربعين درهما مع هذه
للتونة الغليظة ، والسفر الشاق^(١) ، والأواب المحجبة ، والوجوه المقطبة ،
والأيدي المسرة ، والنفوس الضيقة ، والأخلاق الدنيئة .

أيها السيد ، أقصر تأملى ، إزع ذمام للنح بينى وبينك ، وتذكر

(١) وردت هذه العبارة فى (١) التى ورد فيها وحدها هذا السلام هكذا « والسر
الشارى » ؛ وهو تحريف سواه ما أجبنا أخفا من سياق الكلام .

العهد في مُحِبَّتِي ، طَالِبِ نَفْسِكَ بِمَا يَقْطَعُ حُجَّتِي ، دَعْنِي مِنَ التَّمْلِيلِ الَّذِي لَا مَرَدَّ لَهُ ، وَالتَّسْوِيفِ الَّذِي لَا آخَرَ مَعَهُ .

ذَكَرَ الْوَزِيرَ أَمْرِي ، وَكَرَّزَ عَلَى أُذُنِهِ ذِكْرِي ، وَأَمَّلَ عَلَيْهِ سُورَةَ مِنْ شُكْرِي ، وَأَبْعَثَهُ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَيَّ .

افْتَحَ عَلَيْهِ بَابًا يُفْرِي^(١) الرَّاغِبَ فِي اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ لَا يَسْتَفْنِي عَنِ الْمَرْغَبِ ، وَالْفَاعِلُ لِلتَّخْيِيرِ لَا يَسْتَوْحِشُ مِنَ الْبَاعِثِ عَلَيْهِ .

أَنْفَقَ جَاهَكَ فَإِنَّهُ بِمَحْمَدٍ اللَّهِ عَرِيضٌ ، وَإِذَا جُدْتَ بِالْمَالِ فَجَدُّ أَيْضًا بِالْجَاهِ ، فَإِنَّهُمَا أَخَوَانُ .

سَرَّخَنِي رَسُولًا إِلَى صَاحِبِ الْبَطَائِحِ أَوْ^(٢) إِلَى أَبِي السُّؤْلِ الْكَرْدِيِّ^(٣) أَوْ إِلَى غَيْرِهِ مَنْ هُوَ فِي الْجِبَالِ ، هَذَا إِنْ لَمْ تُؤْهِلْنِي بِرِسَالَةٍ إِلَى سَعْدِ الْمَعَالِي بِأَطْرَافِ الشَّامِ ، وَإِلَى الْبَصْرَةِ ، فَإِنِّي أَبْلُغُ فِي تَحْمِيلِ مَا أَجِلُ ، وَأَدَاءِ مَا أَوْدَى ؛ وَتَرْزِيْنِ مَا أَرْزَيْتُ ، حَدًّا^(٤) أَمْلِكُ بِهِ الْحَمْدَ ، وَأَعْرِفُ فِيهِ بِالنَّصِيحَةِ وَأُسْتَوْفِي فِيهِ عَلَى الْغَايَةِ . دَعَّ هَذَا ، وَدَعَّ لِي أَلْفَ دَرَمٍ ، فَإِنِّي أَتَّخِذُ رَأْسَ مَالٍ ، وَأُشَارِكُ بِقَالَ الْمَحَلَّةِ فِي دَرْبِ الْحَاجِبِ ، وَلَا أَقَلَّ مِنْ ذَا ، تَقَدَّمْ إِلَى كَسَجِ^(٥) الْبَقَالِ حَتَّى يَسْتَمِعَ بِي لِأَبِيْعِ الدَّقَاتَرِ . قُلْتَ : الْوَزِيرُ

(١) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهُمَا هَذَا الْكَلَامُ : « يَنْفَى » بِالنُّونِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَمْتِنَّا

(٢) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهُمَا هَذَا الْكَلَامُ : « لَوَالِي » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) كَذَا وَرَدَ هَذَا الْاسْمُ فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهُمَا هَذَا الْكَلَامُ دُونَ (ب) وَلَمْ نَهْتَدِ إِلَى وَجْهِ الصَّوَابِ فِيهِ .

(٤) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهُمَا هَذَا الْكَلَامُ : « جَدَا » بِالْجِيمِ ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٥) كَذَا وَرَدَ هَذَا الْاسْمُ بِالْكَافِ وَالسَّيْنِ وَالْجِيمِ فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهُمَا هَذَا الْكَلَامُ ؛ وَلَمْ تَقَفْ عَلَى وَجْهِ الصَّوَابِ فِيهِ .

مُسْغُول . فما أَضْنَعُ به إذا فَرَّغ ، فالشاعرُ يقول :

« تُنَاطُ بِكَ الْأَمَالُ مَا اتَّصَلَ الشُّغْلُ »

قد والله نَسِيتُ صَدَرَ هذا البيت ، وما بال^(١) غيـرى يُنَوِّله وَيُسَوِّله مع شُغْلِهِ^(٢) وأحرَمَ أنا ١٩ أنا كما قال الشاعر :

وَبَرَقَ أَضَاءُ الْأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَمَوْضِعُ رِجْلِي مِنْهُ أَسْوَدُ مُظْلَمٌ
والله إنَّ الوَزِيرَ مع أَشْغَالِهِ الْمُتَّصِلَةِ ، وَأَتْقَالِهِ الْبَاهِظَةِ ، وفكرِهِ الْمَفْضُوزِ^(٣)
ورأيه المُشْتَرَك ، لِكَرِيمٍ مَاجِدٍ ، وَمُفْضِلٍ مُحْسِنٍ ، يَرْعَى الْقَلِيلَ مِنَ الْخُرْمَةِ ،
وَيُعْطِي الْجَزِيلَ مِنَ النِّعْمَةِ ، وَيُحَافِظُ عَلَى الْيَسِيرِ مِنَ الذَّمِّ ، وَيَقْبَلُ مَذَاهِبَ
الْكَرَامِ ، وَيَقْلُدُّ بِأَشْيَاءِ إِذَا سَمِعَ ، وَيَتَمَرَّضُ لِلشُّكْرِ مِنْ كُلِّ مُتَجَبِّعٍ ،
وَيَزَرِّعُ الْخَيْرَ ، رِيحُ خُصْدُ الْأَجْرِ ، وَيَواظِبُ عَلَى كَسْبِ الْمَجْدِ ، وَيُنَابِرُ عَلَى
أَحْتِلَابِ الْخُذِّ ، وَيَنْخَلِيعُ لِلسَّائِلِ ، وَيَتَهَلَّلُ فِي وَجْهِ الْأَمِلِ ، وَلَا يَتَذَبَّبُ مِنْ
الْفَضَائِلِ إِلَّا فِي ذُرَاهَا ، رَحِيمٌ بِكُلِّ غَادٍ وَرَاحٍ ، وَلِكُلِّ صَالِحٍ وَطَالِحٍ .

وأنا الجارُ القديم ، والعَبْدُ الشَّاكِر ، والصاحبُ التَّخْبُور ، ولكنتك مُقْبِلٌ
كَالْمُفْرِضِ ، وَمُقَدَّمٌ كَالْمُؤَخَّرِ^(٤) ، وَمُوقِدٌ كَالْمُخْمِدِ ، تُدْنِيْنِي إِلَى حَظِّي
بِشِمَائِكَ ، وَتَجْذِبُنِي عَنْ نَيْلِهِ بِيَهِينِكَ ، وَتُقَدِّنِي بِوَعْدِكَ كَالْمَعْلِ ، وَتُغَشِّيْنِي

(١) وردت هذه العبارة في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام هكذا « وما نال

غـيـرى سؤـل وتحوـل مع شغله وآخر من أنا » ؛ وفيها تحريف ظاهر لا يستقيم به اللفظ .

(٢) ينوِّله ويعوِّله ، أي ينوله الوزير ويعوِّله . مع شغله ، أي مع شغل الوزير .

(٣) المفضوز ، أي المنفرد غير المجتمع .

(٤) في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « ومؤخر كالقدم » ؛ وفي

كلتا الكلمتين تقديم وتأخير من النسخ ؛ والسياق يقتضي ما أثبتنا .

يَبَاسُ كَالْحَنْظَلِ ، « وَمَنْ ^(١) كَانَ عَتَبَهُ عَلَى مِظَنَّةِ عَيْبِكَ ، فَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ تَقْصِيرُهُ عَلَى نِيَّتِهِ ^(٢) بِنَصْرِكَ » .

نَمْ ؛ عَتَبْتُ فَأَوْجَعْتُ ، وَعَرَفْتُ الْبِرَّاءَةَ فَهَلَّا نَفَعَتْ ؟ وَاللَّهِ مَا أَدْرَى مَا أَقُولُ ، إِنَّ شُكْرَتُكَ عَلَى ظَاهِرِكَ الصَّحِيحِ لَدَعْتُكَ لِبَاطِنِكَ السَّقِيمِ ، وَإِنْ حَيْدَتُكَ عَلَى أَوْلِكَ الْجَمِيلِ ، أَفْسَدْتُ لَأَخْرُكَ الَّذِي لَيْسَ بِجَمِيلٍ .

قَدْ أَطَلْتُ ، وَلَكِنْ مَا شَفِيتُ ، وَنَهَلْتُ وَعَلَلْتُ ، وَلَكِنْ مَا رَوَيْتُ .
وَأَخِيرُ مَا أَقُولُ : أَفْعَلْ مَا تَرَى ، وَأَصْنَعْ مَا تَسْتَحْسِنُ ، وَأَبْلُغْ مَا تَهْوَى ، فَلَيْسَ وَاللَّهِ مِنْكَ بَدٌّ ، وَلَا عَنْكَ غِنَى .

وَالصَّبْرُ عَلَيْكَ أَهْرُنُ مِنَ الصَّبْرِ عَنْكَ ، لِأَنَّ الصَّبْرَ عَنْكَ مَقْرُونٌ بِالتَّيَّاسِ ، وَالصَّبْرَ عَلَيْكَ رُبَّمَا يُؤَدِّي إِلَى رَفْعِ هَذَا الْوَسْوَاسِ ، وَالسَّلَامُ لِلْأَهْلِ السَّلَامِ .

صورة ما كتبه الناسخ في آخر النسخة المرموز إليها بحرف (ا)

تم الجزء الثالث من كتاب « الإمتاع والمؤانسة » بحول الله وحسن توفيقه ، في شوال سنة خمس عشرة وثمانمائة ، على يد أضعف العباد شرف بن أميرة ، أصلح الله شأنه ، في مصر المحروسة ، حماها الله تعالى من الآفات والمآهات ، ومن عوادي الزمان . آمين يا رب العالمين .

تم الكتاب

(١) كذا ورد هذا الكلام في الأصل . وفيه تحريف ظاهر لم نهند إلى وجه الصواب فيه .

(٢) على نيته ، أى مع بطلانه . « ويكون » معنا تامة .

فهرست الاعلام

الواردة في الجزء الثالث من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي

(١)

- | | |
|----------------------------------|--------------------------------|
| ابن حجاج الشامي — ١٥٣ ح | الأمدي — ٢٧ |
| ابن حذقيار — ١٤٨ ح | إبراهيم بن الجنيد — ٤ |
| ابن حريار = أبو محمد | إبراهيم (الحنبل) — ٨٧، ٣ |
| ابن حسان القاضي — ١٥٤، ١٥٧ | الأبرش الكلبي — ١٧٣، ١٧٤ |
| ابن حفص (صاحب الديوان) — ٢١٣ | ابن أبي البغل — ٤٧ |
| ابن دوستويه — ٢١٣ | ابن أبي بكرة — ٥ |
| ابن الدقاق — ١٦١ | ابن أبي عمرة القزويني — ٧٦ ح |
| ابن دينار — ٤٧ | ابن الأثير — ٧٢ ح |
| ابن رباط الكوفي شيخ الكرخ و نائب | ابن أحمد — ٢٠٦ |
| الشيعه — ١٥٣، ١٩٧ | ابن الأخشاد — ١٩٦ |
| ابن الزبير — ١٨٢ | ابن آدم — ٢٨ |
| ابن زرة النصراني = أبو علي | ابن آدم التاجر — ١٥٣ |
| ابن زياد = عبيد الله | ابن أسادة — ٢٨ |
| ابن السراج — ٢١٦ | ابن الأعرابي — ١٤، ٢٦، ٣٠، ٤٨، |
| ابن سكرة — ٧٧ | ٨١، ٧٣، ٥٤ |
| ابن السكيت = يعقوب | ابن أيوب التلمساني — ١٥٣ |
| ابن سلام — ٢٩ | ابن بدر — ٤١ |
| ابن السكك — ١٥٨ | ابن برمويه — ١٩٨ |
| ابن سمعون — ١٤٧ | ابن البقال — ١٩٠، ١٩٥، ٢١٣ |
| ابن سورين — ٢١٢، ٢١٣ | ابن التلاج — ١٩٦ |
| ابن سيارة القاضي = أبو بكر | ابن جبلة — ١٩٨ |
| ابن سيرين — ٣ | ابن الجصاص الصوفي — ٧٧ |
| ابن شاهويه = أبو بكر | ابن حبيب — ٢٧، ٣٥، ٤١ |
| ابن صيفي — ١٦٥ ح | |
| ابن ضيمون الصوفي — ٧٦ | |
| ابن الضحاك بن ليس القهري — ١٦٥ | |

أبو أحمد الموسوي — ١٦١
 أبو أحمد بن الميثم — ٢١٣
 أبو الأرضة — ١٦٠
 أبو إسحاق الصائغ — ١٥٩، ٢١٣
 أبو الأسود الدؤلي — ٣٣، ١٧٦
 أبو أمية بن المغيرة — ٥٣
 أبو أيوب الأنصاري — ١٠
 أبو بردة بن أبي موسى الأشعري — ١٧٧
 أبو بكر بن شاهويه — ١٤٨، ١٤٩
 أبو بكر أحمد بن إبراهيم — ٧
 أبو بكر الرازي — ١٥٣، ١٥٤، ١٥٨
 أبو بكر الزهري — ٢١٧
 أبو بكر بن سيار القاضي — ١٥٤
 أبو بكر الصديق — ١٠، ١٠٣، ١٦٦، ١٩٩
 أبو بكر = عبدة بن الزبير
 أبو تمام الزينقي — ١٠٠، ١٥٣، ٧١٣
 أبو تمام (الشاعر) — ١٨٥، ١٨٦
 أبو الجراح (ابن عياش) — ٥٢، ٥٥، ١٧٦
 أبو جعفر المنصور (الخليفة) — ١٥٩ ح، ١٨٠، ١٨١
 أبو الجوزاء — ٣١
 أبو حاتم — ٨١
 أبو الحارث حميد — ٣٩
 أبو الحارث = الليث بن سعد
 أبو حازم للدني — ٦
 أبو حامد الروروذي القاضي — ١٠٠، ٢١٣، ١٨٨
 أبو حنيفة = جرير العامر
 أبو الحسن — ١٥٤
 أبو الحسن الضرير — ٩٤
 أبو الحسن الطوسي — ١٢، ١٣، ١٤
 أبو الحسن الناصري — ٩٤

ابن مظاهر — ٢٠٧
 ابن الطحان الضرير البصري — ١٩٦
 ابن عليان التيمي = عبدة بن زياد بن عليان
 ابن حاصر — ٨٤
 ابن عباد (المصاحب) — ٧، ١٨٤
 ابن عباس — ٧٢، ٧٦
 ابن عبد المنصور — ١٠٠
 ابن عبدة — ٥١
 ابن عبدة الكاتب — ٧٤
 ابن عطية — ١٦٥ ح
 ابن علقمة — ٥٩ ح
 ابن عمر — ٥٩، ٥
 ابن عياش (المتوفى) — ١٧٢، ١٧٦
 ابن غسان البصري — ٧٨
 ابن غسان القاضي — ١٥٣
 ابن فارس = أبو الفتح
 ابن قريمة — ٢١٣
 ابن قرة الطار — ٧٥
 ابن القرية — ٤٨
 ابن كبرويه — ١٦٠
 ابن كيسان — ٦
 ابن المبارك — ٤
 ابن معروف القاضي — ١٠٠، ١٥٣، ٢١٧، ٢١٣، ١٨٨
 ابن مقلة = أبو علي
 ابن مكرم — ٦٩، ١٥٣
 ابن نوري — ٧٣
 ابن هيرة = عمر
 ابن الميثم — ١٩٥
 ابن وسيف — ٢٠٦
 ابن يزيد — ٢٢٢
 ابن يوسف = عبد العزيز
 أبو أحمد الجرجاني — ١٥٤

أبو الحسن = علي بن عيسى الرمانى
 أبو الحسن الميثم — ١٨
 أبو الحسين البنى — ١٠٠
 أبو حنيفة (الإمام) — ١٨٠
 أبو حيان — ٢٢٧
 أبو خالد أضيف — ١٦٦ ح
 أبو خالد الكاتب = أحمد
 أبو خالد مروان بن الحكم — (كفا)
 ١٨٠، ١٦٥
 أبو الخطاب الصابى — ٢١٣
 أبو خليفة الفضل بن الحباب — ٧
 أبو الخندف — ١٨٣
 أبو الخير — ١٠٦
 أبو دلامة الأسدى — ٢٤
 أبو الدود — ١٦٠
 أبو الدياب — ١٦٠
 أبو زكرياء الزاهد — ٩٢
 أبو زيد (النحوى) — ١٨٥، ٣٧
 أبو زين = بكر بن نطاح
 أبو سعيد الحضرى — ١٩٢
 أبو سعيد الحدرى — ٥
 أبو سعيد الحراز — ٩٧
 أبو سعيد السمرى — ١٥٤، ١٢٩، ٨٣
 ٢١٣، ٢٠٤، ١٩٩، ١٧٨، ١٥٨
 أبو سعيد بن العاص — ١٦٦
 أبو السفر — ١٦٦
 أبو سفيان (والد معاوية) — ١٧٨
 أبو سليمان النعطقى — ٩٩، ٩٧، ٨٦
 ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٢٤،
 ١٢٥، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٠،
 ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٥،
 ١٣٧، ١٦٣، ١٦٤، ١٨٧،
 ١٨٨، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٣،
 ١٩٧
 أبو السؤل الكردى — ٢٢٨
 أبو شاعر بن هشام بن عبد الملك — ١٧٢
 أبو صالح — ٧٦
 أبو الصلت — ٦١
 أبو طنبلة الحرمازى — ٨١
 أبو الطمغان القينى — ٧٣
 أبو العباس (صاحب جيش آل سامان) — ٩١
 أبو العباس البرد — ١٧٣، ٥٤، ١٨٦،
 أبو عبد الله البصرى — ٢١٣
 أبو عبد الله (هشام) — ١٢
 أبو عبد الله اليزيدى — ٢٥
 أبو عبد الله القرقى — ٢١٣
 أبو عبيدة — ١٣، ٣٨، ٤٨
 أبو عثمان الأدمى — ١٩٦
 أبو العلاء ساعد — ٢١٣
 أبو علقمة — ١٨٥
 أبو على — ١٢٩
 أبو على الحسن بن على القاضى التنوخى —
 ١٤٨
 أبو على = عيسى بن زرعة
 أبو على = هاشم بن الطليل
 أبو على القالى (صاحب الأمالى) — ٣٦ ح
 أبو على بن مقلة — ٧٥
 أبو عمر النشارى — ٧٦
 أبو عمرو — ٣٣، ٥٩
 أبو عمرو بن أمية — ٥٣
 أبو عيسى الوراق — ١٩٢
 أبو الصناء — ٦٩
 أبو الفتح بن فارس — ٢٠٥، ٢٠٦
 أبو فراس (الفرزدق) — ١٦٨، ١٨٥
 أبو فرعون القاشى — ٣٤، ٧٠
 أبو فرعون المدوى — ٧
 أبو الفضل العباس بن الحسين الوزير =
 العباس بن الحسين الوزير

أحمد بن إبراهيم = أبو بكر
 أحمد بن أبي خالد الكاتب — ٨٠
 أحمد بن روح الأهوازي — ٧٧
 أحمد الطويل — ٢١٣
 أحمد بن يوسف الكاتب — ٨٠
 الأحنف بن قيس — ١٧٣، ٥٩
 الأحوص الشاعر — ١٨٤
 الأخطل الشاعر — ١٨٣
 أردشير — ٤٠
 أرسطوطاليس — ١٠٠
 استاينجاس — ٧٠ ح، ٧٤ ح، ٧٥ ح،
 ١٧٥ ح
 إسحاق (النبي) — ٧٨
 إسحاق الموصلي — ٧٩، ٨٠
 أسد بن عبد الغزي — ٥٣
 أسد المجاسي — ٩٧
 أسعد بن زرارة — ١٠
 الإسكندر — ٩٨
 أسماء بن خارجة — ٢
 أسماء بنت عميس — ٧٢،
 ١٨٢
 أسود الزيد — ١٦٠
 الأسود بن الطلب بن أسد بن عبد النزي
 ٥٣
 أسيد = أبو خالد
 الأصمعي — ٦، ١٣، ١٦، ١٨ ح،
 ٣٨، ٣٩، ٤٢، ٥٨، ٨١
 الأعشى — ١١، ٤٨، ١٧٤
 الأعمش — ٣
 أم أيوب — ٩
 أم البنين — ٦
 أم الجلال — ١٧٤
 أم الخثيف — ١٨٣
 أم سلمة — ٧٢ ح

أبو القاسم الحارثي — ١٨٨
 أبو القاسم أخو محمد القاسمي — ٢١٧
 أبو القاسم = عبد العزيز بن يوسف
 أبو خثافة — ١٦٦
 أبو القمقام — ٦٩
 أبو الكرشاء — ٣٤
 أبو كعب الأنصاري — ١٥٤، ١٥٦،
 ١٩٦
 أبو لهب — ١٨٠
 أبو محمد = الحجاج بن يوسف الثقفي
 أبو محمد بن حربار (كذا) — ١٤٨
 أبو محمد الشالوسي — ١٥٣
 أبو محمد المروسي — ١٨٦
 أبو محمد الفارسي — ٢١٣
 أبو محمد القاسمي — ٢١٧
 أبو محمد = مسعر بن مكرم
 أبو محمد الهلبي — ٢١٣
 أبو مرزوق — ٢٦
 أبو نريد — ٢٢٥
 أبو مطر = عبيد الله بن زياد بن ظبيان
 التيمي — ١٨٣
 أبو منصور القطان — ٤٥
 أبو موسى الأشعري — ١٧٧
 أبو النجم — ٢٥، ٢٦ ح
 أبو النفيس — ١٣٨
 أبو النواج — ١٦٠
 أبو هريرة — ٤٦
 أبو حام — ١٩٨
 أبو الوفاء المهندس — ١٥٤، ١٥٩،
 ٢٠٧ ح، ٢٢٢، ٢٢٥
 أبو يزيد البسطامي — ٩٧
 أبو يوسف (حاجب عبد الملك بن مروان)
 — ١٩٨

التورى — ١٣، ٢٢

(ج)

- جابر (ابن عبد الله) — ٤٠، ٦٠
 جابر بن قبيصة — ٤٥
 الجاحظ — ٢، ٣، ٢٥٠ ح
 جالينوس — ١٢٩
 الجرجاني — ٢١٢
 الجرجاني — ٢١٧
 جرير (الشاعر) — ٥٨٩ ح، ١٦٧ ح،
 ١٨٣ ح، ١٨٤، ١٨٦
 جبل — ١٥٤
 جعفران الموسوس — ٨٣
 جيز — ١٠٢
 جبل — ١٦٨
 الجعيد بن عبد الرحمن — ١٧٩
 الجعيد بن محمد الصوفي البغدادي العالم — ٩٧
 جهنم — ١٩٦
 الجواليقي — ١٨٩

(ح)

- حاتم الأصم — ٣ ح، ٤، ٨٥
 حاتم الطائي — ٤٢
 الحاتمي — ١٢٦، ١٢٧
 الحارث بن أسد المحاسبي — ٩٧
 حاطب بن أبي بلتعة — ١٧٩
 حامد القفاف الترمذ (كنا) — ٣
 الحجاج (ابن يوسف الثقفي) — ٨٠،
 ١٥٨، ١٦٨، ١٧٨، ١٨٢
 الحجابي — ٧١
 حذيفة — ١٠٢
 حسان (ابن ثابت) — ٣٨، ١٦٥، ١٧٨

أم عباد — ٥١

أم هشام السلوية — ١٨

أمية أخو خالد — ١٧١

أمية بن عبد الله بن خالد — ١٧٠

الأندلسي (أبو العباس) — ١٨، ١٢٦

الأصمعي بن كعب — ١٩٦

أيوب بن ظبيان — ١٦٧ ح

(ب)

- بثينة جبل — ١٦٨
 البحتري — ١٨٥، ١٨٦
 بختيار (عز الدولة) — ٧٨، ١٥٢، ١٥٣،
 ١٥٤، ١٥٥، ١٥٧، ١٥٩، ٢١٩
 بشار (ابن برد) — ٣١
 بكر بن عبد الله الزني — ٣
 بكر بن نطاح — ٥٠
 بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري —
 ١٧٧، ١٨٥
 بهرام — ٢١٠
 بهرام جور — ١٧٥
 بيان التبان بن سمان التميمي — ١٧٦ ح

(ت)

التوزي — ١٣ ح

(ث)

- ثابت (ابن عبد الله بن الزبير) — ١٦٤،
 ١٦٦
 الثعالبي — ١٦٧ ح
 ثعلب — ٥٢ ح
 ثعلبة (ابن حوشب) — ١٧١، ١٧٢ ح

الحليل — ٢١٧

خيثة — ٣

(د)

دفيف (كذا) — ٤٩، ٥٠

دوس — ٩

ديك الجن — ٣٤

(ذ)

ذو الرمة — ٦١ ح

ذؤيب بن عمرو — ١٥

(ر)

الربضي — ١٥٠

رجاء بن سلمة — ١٥

رستم (صاحب الأعاجيب) — ١٠٢، ١٠٤

رقبة بن مصقلة — ٣٤

رويم — ٩٧

(ز)

زامل بن عمرو — ١٧٩، ١٨٠

الزبرقان بن بدر — ١٦٣

الزبير — ١٧١

الزبير الأسدي — ١٠٤ ح

الزبيرى — ١٤، ١٥٣

زفر بن الحارث الكلبي — ١٧٠، ١٧١

الزخفرى — ٧٢ ح

زمنة بن الأسود — ٥٣ ح

الزهري — ١٠٠، ١٥٣ ح

زهير (ابن أبي سلمى) — ٤١، ١٨٦

الزهيرى — ١٩٦

الحسن — ٥

الحسن البصرى — ٣٥، ٣٧، ١٥٨،

١٦٠، ٢١٤

الحسن بن سهل — ٨٣

الحسن بن طلى بن أبي طالب — ٢، ١٨٠

الحسن بن علي القاضى التنوخى = أبو علي

الحكم بن أبي العاص — ١٦٤

حامد بن أبي سليمان — ٥

حامد بن أبي حنيفة — ١٨٠

حامد الراوية — ٦٧

حاتمة الخطيب م — ١٨٠

حدان — ٧٧

حمران — ١٨٤

حمة بن بيض الحنفى — ١٨٥

حمة للصنف — ٨٣

حمة ابن عاد (كذا) — ٤٩

حميد — ٨٣

الحنبلونى (كذا) — ٢٨

حوشب — ١٩، ١٧٢

(خ)

خالد بن أسيد — ١٦٦، ١٧٠، ١٧١

خالد البرمكى — ١٥٣ ح

خالد الحصى — ٢٠١

خالد بن صفوان بن الأهم — ٦٠، ١٦٨

خالد بن عبد الله — ١٧٦ ح

خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد — ١٧٠

خالد بن عبد الله (الفسرى) — ١٧٧

خالد الفرشى — ١٧٠

خالد بن الوليد — ١٦٥

خالد بن يزيد بن معاوية — ١٧٨

خدائش بن زهير — ١٧٢ ح

الخطاب (والد عمر) — ١٠٣

خديجة (أم اللؤميتين) — ١٨٧

زياد — ٤٣ ، ٤٥ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٨٢ ،
١٧٤

(س)

سابق الزبيرى — ٧٤
ساسنكر التركى (كذا) — ٢١٥
سالم — ١٥
سالم بن حارة — ١٦٧
السرى — ٢١٢
سمد بن أبى ولس — ١٠٢ ، ١٠٣
سمد بن عبادة — ١٠ ، ١٦٩
سمد الملقى — ٢٢٨
سميد بن سلة — ٨٤
سميد بن القاس — ١٧ ح ، ١٦٦
سميد بن عبد الرحمن بن حسان — ١٦٨ ،
١٦٩
سميد بن عثمان بن عفان — ١٦٤
سميد بن أبى عروة — ٨٠
سميد بن المذيب — ٣١
السفاح بن بكر — ٨٢
محمويه القاس — ٢٢
سفيان الثورى — ٣٧
سفيان بن معاوية المهلبى — ١٨١
سلان (أى سليمان) — ٨
سلان القارسى — ٨٣
سلة — ٦٩
سليم — ٣٦
سليمان بن ثوبة — ٧
سليمان (ابن داود عليه السلام) — ٢٩ ،
١٠٣
سليمان بن عبد الملك — ١٦٨ ، ١٧١ ،
٢٢٢
سماعة بن أشول — ٥١

سلمان التميمى — ١٧٦ ح
سنان بن أبى حارثة — ٨٢
سنان بن مكل — ١٦٧ ح
سنجر — ٢١٥ ح
السيرافى = أبو سعيد

(ش)

الشالوسى = أبو محمد
شرف بن ميرة — ٢٣٠
شريك بن محمد — ١٦٧ ح
الشعبى — ٣٢ ، ١٨٣
شقيق البلخى — ٨٥
شمر (ابن عاد) (كذا) — ٤٩
الشنبوذى — ١٤

(ص)

الصابى = أبو إسحاق
صحة — ١٧٨
صفية (أم المؤمنين) — ١٨٢
صهيب — ١٠

(ض)

الضحاك بن قيس الفهرى — ١٦٥ ، ١٧١

(ط)

طاهر بن محمد بن إبراهيم — ٢٠٦
الطبرى — ١٦٧ ح ، ١٧٢ ح
طفيل (ابن عاد) (كذا) — ٤٩
طفيل المرائس — ٥٦
طلحة بن عبد الله — ١٧٩

طلحة بن عبيد الله — ٤٩

الطوسي — ١٣

(ع)

عادية بنت فرعة الزبيرية (كذا) — ٩

عاصم بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب

المصري — ٦٩

عاصم بن عبد القيس — ٨٤ ، ١٨٤

عائشة (أم المؤمنين) — ١٨٢ ، ٦٩ ، ٧

١٩٩

عباد بن زياد — ١٦٨

عباس بن الحسين الوزير — ٢١٣ ، ٢١٥

العبداني — ١٨٠

عبد الأعلى القاسي — ١٥

عبد الرحمن بن الحارث بن هشام — ١٨١

عبد الرحمن بن حسان بن ثابت — ١٦٥ ،

١٦٨ ، ١٦٩

عبد الرحمن بن حوشب — ١٦٣

عبد الرحمن بن خالد بن الوليد — ١٦٥

عبد الرحمن بن سعيد القرشي — ٢٠١

عبد العزيز بن يسار — ١٨

عبد العزيز بن يوسف — ١٤٧ ، ١٤٨ ،

١٤٩ ، ٢٢١

عبد الله بن الزبير — ١٠٤ ح ، ١٦٤ ،

١٨٢

عبد الله بن صفوان بن أمية الجمحي — ١٨١

عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس

٧٦ —

عبد الملك بن مروان — ٨٤ ، ١٦٤ ،

١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧١ ،

١٧٨ ، ١٨٢ ، ٢٠١

عبيد الله بن زياد — ١٧٦

عبيد الله بن زياد بن ظبيان — ٤٨ ، ١٧٢

عبيد الله بن سليمان — ٨٩

عبيد الله بن عباس — ٤٢

عتمة بن أبي سفيان — ١٧٨

عثمان بن خالد — ١٩٥

عثمان بن رواح — ٤٠

عثمان بن عفان — ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٩ ،

١٨٣ ، ١٩٩

عدة الدولة — ١٥٦

مهرام بن شتير — ١٦٧

عروة بن الزبير — ١٨٢

الريان بن المهيم الهجيمي — ١٧٧

من الدولة = مختار — ٧٨ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ،

١٥٧ ، ١٥٩ ، ٢١٩

عصدة الدولة — ١٤٨

هطاء بن أبي سفيان — ١٦٥

عقبة — ٥٣

عقيل (ابن أبي طالب) — ١٨٠ ، ١٨٤ ،

عقيل بن علفة — ٥٩

عكرمة بن ربيع الشيباني — ١٩

العلوي (صاحب الزنج) — ٤٣ ح

علي بن خالد الهجيمي — ١٧٣

علي بن أبي طالب — ٧٠ ح ، ١٨٣ ،

١٨٤ ، ١٩٧ ، ١٩٩

علي بن عبد الله — ١٧٨

علي بن عبد الله بن العباس — ٧٦

علي بن عيسى — ١٦

علي بن عيسى الرماني (أبو الحسن) — ١٣٠ ،

١٣٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ،

علي بن محمد (رسول سجنستان) — ١٩٨

علي بن محمد ذو الكفائتين — ٢١٧

عمار — ١٩

عمار (ابن عاد) (كذا) — ٤٩

الهاني الشاعر — ٥٦

عمر (ابن الخطاب) — ١٠ ، ١٣ ، ٤٥ ،

٥٩ ، ٧٢ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ١٠٢ ،

الفضل بن العباس — ٧٩

(ق)

قنادة — ٦٧

قتيبة (ابن مسلم) — ١٧٢، ٣٢

قرزعة بن إمام (كذا) — ٤٩

القومسي — ٢٢١، ٢١٦

قيس بن سعد بن عباد — ١٧٠، ١٦٩

قيصر — ٢٠٣

(ك)

الكروسي الشاعر — ٢٩

كسج البقال (كذا) — ٢٢٨

كسري — ٢٠٣، ١٧٥

الكلابي — ١٤

كاثوم بن المدم — ١٠

الكيت — ١١

الكندي — ١٣٣

كهيس (كذا) — ٧

(ل)

ليد ابن ربيعة — ٦٩ ح

لقمان (الحكيم) — ٨٥

لقمان بن عاد — ٤٩

لقيط بن زرار — ٦٧٢، ٦٠١

لوسترانج — ١٦٠ ح

الليث بن سعد — ٤

(م)

مالك بن دينار — ٣

مالك (ابن عاد) — ٤٩

١٧٨، ١٠٤، ١٠٣

عمر بن عبد العزيز — ١٨٣، ٦

عمر بن عمران — ٧

عمر بن حبيبة الفزاري — ١٦٧، ٣٩

١٧٦

عمر بن الأحمم التميمي — ١٦٣

عمر بن العاص — ١٨٢، ١٨١، ٤٥

١٨٣

عمر بن عثمان اللحي — ٩٧

العواي — ١٥٧، ١٥٤، ١٥٣، ٢٨

هيسى بن زوزة — ١٢٧، ٦٦، ٦٣

١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٤

١٩٧

هيسى بن عمر — ١٦

هيسى بن مريم (عليه السلام) — ٣

١٧٩

(غ)

غسان بن ذهل — ٩ ح

الغلابي — ١٧٤

غيلان بن خرشة — ٦٧

غيلان الواعظ — ١٨٢

(ف)

الفتح الموصل — ٩٧

فخر الدولة — ٢١٩

الفراء — ١٣٠

فرج الرنجي — ١٢

الفرزدق — ٣١، ٣٤، ٥٩، ١٦٨

١٨٦، ١٨٥

فرصة — ١٦٦

فضل (رئيس الفرقة التي تنسب إليه) — ١٨٨

مطرف بن عبد الله بن الشخير — ٤٦
 المطلب بن أسد بن عبد العزيز — ٥٣
 مطهر بن أحمد الكاتب — ٧٥
 المطيع لله (أمير المؤمنين) — ١٥٥
 معاوية (ابن أبي سفيان) — ٤٥، ٦٠
 ١٦٥، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠
 ١٧٨، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢
 معاوية بن صمصة — ١٦
 معاوية للهلي — ١٨١
 المتصم الخليفة — ١٥٥
 المتضد (الخليفة) — ٨٨، ٨٩، ١٥٥
 للملح بن أيوب — ٢٠١
 ممن بن أوس — ١٧
 ممن بن زائدة — ١٨٠
 المنيرة بن شمعة — ٤٥
 المنجج — ٣٤
 المفضل الضبي — ١٨٣
 المقوقس (ملك الإسكندرية) — ١٧٩
 المنصور (أبو جعفر الخليفة) — ٧٦، ١٠٥
 ١٥٩، ١٨١
 منظور بن أبان — ١٧٨
 المهلب (ابن أبي صفرة) — ٨٥
 مهمل (ابن ربيعة الشاعر) — ١٧
 موريث — ١٣٠
 الموصل (أبو إسحاق) — ١٦١
 ميسرة الرءاس — ٧٩
 ميمون بن مهران — ٣

(ن)

الناطقة الشاعر — ٧٣، ١٨٦
 نصر بن سيار — ١٠١
 نش (ابن عاد كذا) — ٤٩، ٥٠

ملك بن مسهم — ١٧٢، ١٧٣
 للأمون (الخليفة) — ١٠٤، ١٠٥، ٢٠١
 للبرد = (أبو العباس)
 للنهي الشاعر — ٦٦ ح
 مجاهد — ٤٢
 المحبي — ٦٠ ح
 المحسن الضبي — ٨١
 محمد بن إبراهيم — ٩١، ٢٠٦، ٢١٩
 محمد بن بشر — ٢٨
 محمد بن بقة — ٢١٦
 محمد بن خالد القرشي — ١٧٠
 محمد بن صالح بن شيخان — ١٥٣
 محمد الصوفي البغدادي العالم — ٩٧
 محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) —
 ١٠٣، ١٥٥
 محمد بن عمار — ١٦٦
 محمد بن عمر (الشريف) — ١٠٠
 للمدائني — ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٧
 ١٧١، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨
 ١٧٩، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣
 ١٨٤
 مرثد (ابن حوشب) — ١٧١، ١٧٢ ح
 مرعوش (رئيس الطائفة الرعوشية) — ١٨٨
 للرقش الأكبر — ٤٣
 مروان بن الحكم = أبو خالد
 مزبد — ٧١، ٧٨
 مسافر بن أبي عمرو بن أمية — ٥٣
 مسعر بن مكرم — ٣٤
 مسكويه — ٢٢٧
 مسكين الدارمي — ١٧٧
 مسلم بن قتيبة — ٣٣، ٢٠٠، ٢٠١
 مسلمة بن عبد الملك — ١٦٣، ٢٠١
 السبيح (عليه السلام) — ١٩٧
 مصعب بن الزبير — ١٨ ح، ١٧٠

وكيع بن الجراح — ١٧٨ ، ٧٦
الوليد — ١٧٢ ح
الوليد النبري — ١٦٧

(ى)

بالوت ١٨ ح ، ١٦٠ ح
يحيى بن أكنم — ٧٦
يحيى بن الحسك (أخو مروان) — ١٨٠ ح
يحيى بن خالد البرمكي — ١٥٣ ح
يحيى بن زكريا — ١٧٩
يحيى بن مطا — ٨٥
يزيد بن ربيع — ٧٥
يزيد بن مسلم — ١٦٨
يزيد بن معاوية — ١٧٨
اليزيدي = أبو عبد الله
يظوب بن السكيت — ٢٤ ح ، ٣٠ ح ،
٣٩ ، ٨٤ ، ١٠١
يونس — ٤٠ ، ٧٤

(هـ)

حدبة الطنري — ٢٠٣
هرمز — ١٠٣
هفام — ١٧
هفام بن عبد الملك — ١٧٢ ، ١٦٥ ، ١٥٠ ،
١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٨٢ ، ٢٠١
هفام للتكلم ١٨٩
هفيم — ٣٠
هلال بن مكل الخنيزي — ١٦٧
الهلالي — ٤٦
هيان بن صفاء — ٣١
الميثم بن جراد — ٥٨

(و)

واصل بن مطا — ١٥٨
الواقدي — ٩

تم فهرست الأعلام

فهرست أسماء الأماكن الواردة في الجزء الثالث من كتاب الإمتاع والملاؤنة لأبي حيان التوحيدي

يولاق — ١٧٠ ح
البيت (بيت الله الحرام) — ٣٠
اليضاء — ١٥٠
بين السورين — ١٦١

(ت)

تباة — ١٧٢
تسق — ٦٨
تكرت — ١٨ ح
تهامة — ٣٠

(ج)

الجامع — ١٤٧
جامع البصرة — ١٠٠
الجبال — ٦٨ ح
جبال همام — ١٤٦
الجبيل — ١٥٠ ، ٢٢١
جرجان — ٧

(ح)

الحجاز — ١٠ ح ، ١٥٧
الحرم — ٣٠
حلوان — ٢٠٠ ح

(ا)

ابنا همام — ١٤٦ ح
أجباد — ١٦٥
أحد — ١٦٩
أفريجان — ١٥٥
الأراك — ١٧٢ ح
أرميل — ٤٥
الإسكندرية — ١٧٩
أسبهان — ٢٨ ، ٦٨ ، ٩١ ح
الأهواز — ٦٨ ، ٧٨
أوريا — ٤٩ ح ، ١٦٧ ح ، ١٧٢ ح ،
١٧٤ ح

(ب)

باب الطاق — ٨٨ ، ١٨٨
باجيرى — ١٨
البصرة — ١٥ ح ، ٣٤ ، ١٤٨ ، ١٧٩ ،
٢٢٨ ، ١٨٨
البطائح — ٢٢٨
بلن مر — ١٧٢ ح
بنباد (دار السلام) — ٦٩ ، ١٥٣ ح ،
١٦١ ح ، ١٨٨ ، ١٩٧
البقيع — ١٣

الصبيحة — ٦٨ ح
الصين — ١٢٤

(ط)

الطائف — ١٨٢
طيس — ٩١ ح

(ع)

المراق — ٧ ح، ١٧٧، ١٧٨، ٢٠٨،
٢٢١
القيق — ٧٠
عمان — ١٧٣

(غ)

النضا — ٣٩

(ف)

فارس — ٦٨، ٩٩، ١٠٤

(ق)

قاين — ٩١ ح
قبا — ١٠
قريسين — ٢٠٠، ٢٠٦، ٢٢٧
قزوين — ٤٥
قنطرة الطريق — ١٦٠ ح
قنطرة الزبد — ١٦٠

(ك)

الكرخ — ١٠٣، ١٦٠

(خ)

خراسان — ٩١ ح، ١٠١، ١٥٧،
١٧١، ١٧٩، ٢٠٠
خوزستان — ٧ ح، ٦٨ ح

(د)

دار الكتب المصرية — ٢٤ ح
درب الحاجب — ٢٢٧، ٢٢٨
درب الرواسين — ٢٢٧
الدينور — ٢٠٥ ح

(ر)

رعى الطريق — ١٦٠
الرصافة — ١٥٣ ح، ٢٠١، ٢٠٧
الرى — ١

(س)

سجستان — ١٧١، ١٩٣، ١٩٨
سلى — ٢٠٣
سوق يحيى — ١٥٣

(ش)

الشام — ٥٩، ١٦١، ١٦٤، ١٧١، ٢٢٨

(ص)

الصراة — ١٦٠
صفين — ١٨٣
صنماء — ٢٠٨

— ن —

مكتب الرضى — ١٥٠	الكعبة — ١٩٠
مكة — ٧٠، ٣٠، ٨٠، ١٠٣، ١٦٤، ١٦٦، ١٦٥	الكوفة — ١٠٢، ١٠٣، ٧٩، ٥٩، ١٥٤، ١٥٣
مهرجان قلقي — ٦٨	(ل)
الموصل — ١٨٠، ١٥١، ٩٧، ١٥٥	ليزيج — ١٧٢
(ن)	(م)
النباج — ٥٤	المجمع العلمي العربي — ٢٦٦
نجران — ١٤٦	للمدينة — ١٦٤، ٣٩، ٢٣، ١٥، ١٣
نصيبين — ١٥١	١٧١، ١٦٦، ١٦٥
التقيع — ١٣	مدينة السلام (بغداد) — ١٥٣، ١٥١، ٢٢٠
نهر الصراة — ١٦٠	الرج — ١٧٢
نيسابور — ٢١٩، ١٨٠، ٩١	صرح راعط — ١٧١
(هـ)	مسجد ابن رغبان — ١٦١
همنان — ٢١٩، ٢٠٥، ١٤٨	مفرقة الروايا — ٢٢١
(ي)	مصر — ٢٣٠، ١٨١، ١٥٧
اليمين — ٢٠٨، ١٥٧	للطبعة العلمية — ٩٠

تم فهرست الأماكن

فهرست الكتب

الواردة في الجزء الثالث من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي

ديوان حسان — ح ٣٨
ديوان الحماسة — ح ٢٨
ديوان ذي الرمة — ح ٦١
ديوان معن بن أوس — ح ١٧

(ش)

شرح القاموس — ح ٥٣
شعر أعشى همدان — ح ١٧٤
شعر الأعشى — ح ٤٩، ح ١٧٤

(ع)

المقدّم القريد — ح ١٠٢، ح ١٦٧
ح ١٧٠
عيون الأخبار — ح ١٠٢، ح ١٧٦

(ف)

الفرق بين الفرق — ح ١٧٦

(ك)

الكامل لابن الأثير — ح ١٧٦
الكامل للبهرّاد — ح ١٧٣

(١)

إصلاح للنطق لابن السكيت — ح ٢٤،
ح ٣٠، ح ٣٢
الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني — ح ١٧٢،
ح ١٧٧
الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي —
٢٣٠

(ب)

البيان والبيان للجاحظ — ح ٢٩

(ت)

التاج لأبي إسحاق الصابئ — ١٥٩
تاريخ الطبري — ح ١٦٧، ح ١٧٢
التصنيف — ١٨٥

(ح)

الحیوان للجاحظ — ح ٢٥، ح ٣٧

(د)

ديوان جرير — ح ٩

مجموعة الماني - ٢٤، ٤٣، ٤٤، ح

١٠٤ ح

الحاسن والأشهاد الجاهل - ٢٤ ح

محاضرات الأدباء الراغب - ٣٨ ح

المقصود لابن سيده - ٣١، ٧١، ح

٨٤ ح

معجم البلدان لياقوت - ١٨، ١٦٠، ح

للحجج القارسي الإنجليزي لأستانيجاس -

٧٠، ٧٤، ٧٥، ١٧٥، ح

(ن)

التفاضل - ٥٨ ح

التهاية لابن الأثير - ٧٢ ح

نهاية الأرب للنوري - ١٦٧ ح

(ي)

يتيمة الدهر لشمالي - ٧٧ ح

كتاب بغداد للأستاذ لوستراخ - ١٦٠ ج

كتاب التنبه على أخلاق أبي علي الغالي -

٣٦ ح

الكتابة والتعريض لشمالي - ١٦٧ ح

(ل)

لسان العرب لابن منظور - ١١، ح

١٣، ٢٠، ٢٤، ٢٩، ح

٣٠، ٣٣، ٣٦، ٤٤، ح

٤٥، ٥٢، ٥٨، ٦٠، ح

٧٠، ٧٣، ح

(م)

مايجول عليه في المضاف والمضاف إليه للمعني

١٣، ٦٠، ح

مجلة المجمع العلمي العربي - ٢٦ ح

مجمع الأمثال للبيداني - ٣٥، ٣٩، ح

١٧٠ ح

فهرست أسماء القبائل والأمم والفرق
الواردة في الجزء الثالث من كتاب الإمتاع والمؤانسة
لأبي حيان التوحيدي

(ت)	(ا)
الترك — ١٧٥، ١٢٩، ١٨	آل أبي طالب — ١٥٤
نميم — ١٧٣	آل أبي معيط — ١٧٦
	آل سامان — ٩٢، ٩١
(خ)	آل النبي محمد صلى الله عليه وسلم — ١٥٥
الحزرج — ١٧٨	الأماجم — ١٧٥
خوزان — ٧	الأنصار — ١٦٩، ١٦٨، ١٦٤
	(ب)
(د)	باحلة بن يضر — ١٧٢
الديلم — ٢١٣	بجيلة — ٩
	يكر بن وائل — ١٧٣
(ذ)	بنو أسد بن خزعة — ١٧٩ ح ٢٤
فوق مليحاً (كذا) — ٢٢٢	بنو بند — ٤٥
	بنو بيم الله — ١٩
(ر)	بنو الجلاح — ١٦
الروم — ٧٢ ح ١٢٩، ١٥١، ١٥٢	بنو دبير — ٥٠
	بنو عبادة — ١٤
(ز)	بنو العباس — ٢١٣، ١٠٥
الزنج — ٤٣ ح	بنو فاضرة — ٥١
	بنو النجار — ١٦٥
	بنو نصر — ٢٠٣
	بنو نعيم — ١٦٨، ١٦٧

١٧١، ١٧٢، ١٧٦، ١٨١، ١٨٢

١٨٢
قيس — ١٧١

(ك)

السكرد — ١٢٩
كعب — ١٦٧، ١٦٨
كلاب — ١٢٧، ١٦٨
كلب — ١٧٣
كليب — ٩ ح
كليب بن وائل — ٣٤

(م)

مباشع — ٥٨
مزينة — ١٧٨
المسلمون — ١٥١، ١٨٥، ١٨٩

(ن)

النبط — ٧
النصارى — ١٩٢
نمير = بنو نمير

(هـ)

همدان — ١٧٤

(و)

اليهود — ١٧٩
يونان — ١٠٠

(س)

سغينة (لقب للريش) — ١٧٢

(ش)

شبيان — ٤٧

(ص)

الصوفية — ٩١، ٩٢، ٩٧، ١٤٧

(ع)

عاد — ٤٩، ١٠٣
العجم — ١٧٦، ١٩٠
مدنان — ٨
العرب — ١٣، ١٤، ١٧ ح، ١٨ ح،
٢٩، ٣٩، ٤٨، ٥٥، ٥٦، ٦٠،
٦٧، ٦٩، ٨٥، ٩٠، ٩٨،
١٠٢، ١٠٣، ١٠٥، ١٢٩،
١٣٥، ١٦٧ ح، ١٧٦

(ف)

فزارة — ٢٤

(ق)

الصحاطنة — ٨، ١٧٥
قريش — ٥٣، ١٦٥، ١٦٨، ١٦٩،

تم فهرست أسماء القبائل والأمم والفرق

ملاحظات للدكتور مصطفى جواد

الأستاذ بمدرسة المعلمين العليا بغداد

على بعض ألفاظ وردت في الجزء الأول والثاني من كتاب الإمتاع وللؤالة نلعرها فيا على مع جزل الفكر لكانها الفاضل على حسن نيته وجميل تقديره لما بذلناه في تصحيح هذا الكتاب من جهد .

الجزء الأول

- ١ - ورد في الصفحة « م » من المقدمة في السطر « لأبي على الحسن التنوخي » والصواب « المحسن » .
- ٢ - س ٦ س ٥ « فوارضها » . الصحيح « عوارضها » .
- ٣ - س ١٣ س ٨ « ويكون سبيلاً قوياً على حسن الحال وطلب العيش » . الصواب « قوياً إلى حسن الحال وطيب العيش » .
- ٤ - س ١٦ س ٦ « الدهر الحال من الدنيا » . « الدنيا حواقة » الأولى « الدنيا » و « الدنيا » وهم المنسوبون إلى الدنيا . وهذه الكلمة من كلمات الفرزدق الرابع للهجرة تجدونها في أول صفحة من مروج الذهب للمسعودي .
- ٥ - س ٢١ س ١ « ولا عناية ولا انجاش » والصواب « عناية » بالفاء ، قال الزعفراني في أساس البلاغة « ومن المجاز : حاوتني فلان عن كذا إذا خادعك عنه وراوغك ، وظل فلان يحاوتني بخدعه ومنه يداورني فعل الحوت في الماء .
- ٦ - وفي س ٣٤ س ٩ « ولم يتضح برده الفلسفة » وفي الأصل « لم يتفرخ » والصواب « يتفرخ » .
- ٧ - وفي س ٤٠ س ٣ « والأمر الربوي » بضم الراء . والقى الأصله بفتح الراء .
- ٨ - س ٤٤ س ٦ « تأجيل المهنا » . والقى أراه مراعاة الأصل « تعجيل الفناء » أي المبادرة بإظهار الكراهية والبغضة .
- ٩ - س ٤٥ س ٨ « كيف استكنى هذه الجماعة حوله » وفي الأصل « استكنيت » . فالصواب « استكنت هذه الجماعة حوله » . وفي أساس البلاغة : « واستكن الناس حواليه : أحذقوا به » .
- ١٠ - س ٥٠ س ٧ « وبقرني » . والأولى « وبسرتني » أي أتاح لي اليسر .
- ١١ - وجاء في س ٥١ س ٧ ذكر « التاسومة » ولم تجدوها في كتاب لغة . والصحيح أنها

- وردت في غير مادتها فقد ذكرها المروى مؤلف التريين في مادة
 « نعل » من غريب الحديث ، وتلقاها عنه للبارك بن الأثير في « النهاية »
 ونقل عن أحدهما القيوي في « نعل » من الصباح المنير .
- ١٢ — من ٦٢ س ١١ « والتشيع الظاهر والدعوى الماربة » الخ . ولا عمل للتشيع أبداً
 والصواب « التشيع » وهو تكلف الشيع . ومنه الحديث النبوي
 العريف « للتشيع بما ليس فيه كلابس ثوب زور » .
- ١٣ — من ٦٨ س ١٢ « بدافع ما يعلمه » والصواب « بدفع ما يعلمه » أي بالإنكاره ،
 وما بعده حكاية وردت فيها الأعلام مصحفة وكانت جرت في عهد
 بني أمية فصيرها التصحيف مما جرى في عهد بني العباس . وفي الحكاية
 ذكر أمير المؤمنين المهدي . فالظاهر أن لفظ « المهدي » تصحيف
 اسم أمير من أمراء بني أمية كالمهلي وغيره ، وأما « كريز »
 الوارد في السطر ٧ فصوابه « كردين » وهو من رجال الدولة
 الأموية كما في عيون الأخبار « ج ١ س ١٧١ » وأما « دوست »
 الوارد في السطر ٩ فصوابه « درست » بالراء وهو من رجال
 العهد الأموي أيضاً كما في البيان والتبيين « ج ٢ س ١٢٧ » .
- ١٤ — من ٧٢ س ١٦ « وهم يحاضون به » والصواب « يتعاضون » .
- ١٥ — وفي ٧٩ س ٢ « ويتاورون » . والصواب « يتفاورون » أي يغير بعضهم
 على بعض .
- ١٦ — من ٨٧ س ١٠ « وقع باليسير ورخي العيش » . والصواب « باليسير من رخي
 العيش » .
- ١٧ — من ١٠٣ س ١١ « كان يخبط في هواه » وفي الماشية أنه « يحط » وأنه تصحيف
 استوجب التصحيح . قلت : وهذا غير صحيح ، فالأصل هو
 الفصيح ، قال الزمخشرى في أساس البلاغة « وحط في هواه وانحط
 فيه ، ويقال : أكل من حلوائهم فانحط في أهوائهم » .
- ١٨ — من ١٠٩ س ٢ « المصاع من صاع الشعاع أقرانه إذا حمل عليهم ففرق جمعهم »
 والصواب « مصاع يماصع » أي ضرب بالسيف خاصة .
- ١٩ — من ١١٩ س ١٢ « أن يبرز لهم ما صبح له بالاعتبار » . والصواب « أت يبرز
 لهم ما صبح » .
- ٢٠ — من ١٣٩ س ٧ « ويثم فيهم » والصواب « يشتم » من القم .
- ٢١ — من ١٤١ س ١٣ « إلا أنه يأتي لابن عباد في سمته » . والصواب « تأتي » أي
 ترفق وتلطف .
- ٢٢ — من ١٤٢ س ١٤ « أو أطلع عن كبيرة رغبة » . والصواب « رجة » .
- ٢٣ — من ١٤٤ س ١٣ « وسمن يبروا » والصحيح « سمن الير » وهو مذكور في
 حياة الحيوان .

— ش —

- ٢٥ — س ١٥٨ س ٧ « كل شيء يطلبه ويتوفاه » : الصواب « ويتوفاه » .
 ٢٦ — س ١٦٢ س ٩ « القباب يجلس » والصواب « تجلس » .
 ٢٧ — س ١٦٨ س ٥ « إلى أن يترحل النهار » ترحل النهار يدل على عكس المراد بالمسكاية . والصواب « يترجل » أى يلو ويرتفع .
 ٢٨ — س ١٧٠ س ٤ « ويستغنى في البحر » ، والصواب « في الشجر » .
 ٢٩ — س ١٧٥ س ١١ « ثم انطلق في لبن » . الصواب « أقمه » ومصدره الإقعاع أى ربطه ورببه بالبن .
 ٣٠ — س ١٧٦ س ٣ « حوت يقال له : موفى » . الصواب « موفى » منسوب إلى الموت ، لأنه يتأوت ويتهاك .
 ٣١ — س ١٨٠ س ٤ « دابة يقال لها بالفارسية درباست » . والصواب « بادستر » وهو « الجند بادستر » .
 ٣٢ — س ١٨٢ س ٨ « الجرذان » . والصواب « الفردان » جمع الفرد .
 ٣٣ — س ١٩٠ س ٦ « لسرعة إحناء أجنحته » والصواب « إعياء أجنحته » .
 ٣٤ — س ١٩٧ س ١ « بما حاج الحبيب حبيب » صوابه « كما حاج الحبيب حبيب » .
 ٣٥ — س ٢٠٠ س ١٤ « تحركه وتحسه » . الصواب « تحشته » .
 ٣٦ — س ٢٢١ س ١٢ « من لقبه الحرى إلى أى شيء ينسب » . والصواب اللازم صيغة الحرى إلى أى شيء تنسب .

الجزء الثانى

- ٣٧ — س ٥ س ١٠ « ولقنوها للناس » . والصواب « لقنوها الناس » فالفعل متعد إلى المفعولين بنفسه .
 ٣٨ — س ١١ س ٥ « لكن الحريرى غلام ابن طرارة هيجه يوماً في الوراقين . الصواب « الحريرى » نسبة إلى مذهب محمد بن جرير الطبرى المصهور والصواب ابن طرارة (بتخفيف الراء) لا تعديدها .
 ٣٩ — س ١٣ س ١٣ « ومزقتم بين مجتمعين » . والصواب « وفرقتم بين مجتمعين » .
 ٤٠ — س ٢١ س ٦ « وإن هذا التمت من قولى ... » . الصواب « وأين » .
 ٤١ — س ٣١ س ١٨ « الأفى تأخذ السم من الأميلة » . صوابه « من الأميلة » ومن نوع من الحيات .
 ٤٢ — س ٥١ س ٥ « طالغات بالسلام » . صوابه « طالغات بالسنام » .
 ٤٣ — س ٥٩ س ١٤ « الصراة » . الصراة « بأنه نهر بالعراق ، وكان الأولى أن يقال « نهر كان يفتداد » .

- ٤٤ — س ٦٠ س ١ « ويا قصرأ بلا مستاه » . الصواب « السنة » ومى البنية التي
تبني بين القصور وماء النهر لتحتفظها من الماء .
- ٤٥ وجاء في س ٧٩ س ١ « وقلت لابن الجلاء الزاهد بمكة سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ... »
والذي في تاريخ بغداد « ج ٥ ص ٢١٣ » الخطيب البغدادي وأنساب
السماعى بمادة « الجلاء » أن ابن الجلاء توفي سنة « ٣٠٦ هـ » .
- ٤٦ — س ٩٣ س ١٢ « من صبر باب » . والمحفوظ في الحديث « صبر » .
- ٤٧ — س ١٣٦ س ٩ « ظاهر النفع في ممابة الروح » . والصواب « ممابة الروح » .
- ٤٨ — س ١٤٣ س ١٠ « ومقاساة العُرقة » . والصحيح « الحُرقة » أى الفقر والموز .
- ٤٩ — س ١٥٦ س ٥ « فلما أجمنا على العجن والملك لم نجد الحراق » ، والصواب
« اللل » وهو الاختياز على « الللة » أى الجمر المختلط بالرماد .
- ٥٠ — س ١٥٧ س ٥ « الانخزال » . والصواب « الانخزال » .
- ٥١ — س ١٦٢ س ٧ « والزيادة والرفع » . والصواب « الزيع » .
- ٥٢ — س ١٦٧ س ٦ « [القاطن] في دار القطن عند جامع المدينة » صوابه القاطن في
دار القطن كما هو في الأصل .
- ٥٣ — س ١٧٠ س ٥ « تسحب الحاطر » . الصواب عندي « تسحب الحاطر » .
- ٥٤ — س ١٧١ س ١٣ « ولا طرب ابن صُبر القاضى » . قلت : الصواب « ابن صُبر »
بضم الصاد وفتح الباء .
- ٥٥ — س ١٧٤ س ٩٠ « وقد علق عنازا فهذه هم كما كنتا » . والصواب « هم » بفتح
الماء وهو موضع النكتة التي جاء الخبر من أجلها فإنه استعمل
« م » العامية العراقية بمعنى « أيضاً » ولا يزال العراقيون
يستعملونها ، والكرد أيضاً ، قال الحريري في درة القواس
« ويقولون للمخاطب م فلت وم خرجت » فيزيدون هم في
افتتاح الكلام وهو من أشنع الأغلاط ، ومن الأخفش أنه قال
لثلامذته : جنيوني أن تقولوا هم : وأن تقولوا بس وأن تقولوا
ليس لفلان بعت . وقلبك قال أبو حيان : « وأصحابنا يستعملون
قوله هم ها هنا » . ولا استلاح مع « هم » .
- ٥٦ — س ١٧٦ أيضاً س ١٢ « إذا أخذت في هزارها » . وفي الحاشية اعتذار من الصوفى .
قلت : الهزار ها هنا من الفارسية بمعنى « الأنشودة » .
- ٥٧ — س ١٨٠ س ٣ « والبوارد والجوزيات » . قلت : أما البوارد فقد ذكرها محمد بن
الحسن بن الكرم البغدادي في كتابه « الطليخ » س ٥٦
فقال « الباب الخامس في الطعنات والبوارد ... » وشرحها بلا داع
طابع الكتاب فقال « من يقول للطبوخة للوضوءة في الأهياء

— ث —

الحامضة كالخل وماء الحصرم وماء التفاح (كذا) . . . ، وأما
« الجوزيات » فالظاهر أنها تمجيد « جوفيات » جمع « جوفابة »
وهي معروفة بين ألوان الأطعمة والخلوى .

٥٨ — من ١٨٩ س ١٢ « ما يُكسبك الفكر » والصواب « يكسبك » بفتح الياء لأنه
متعد إلى مفعوليه بنفسه .

٥٩ — من ١٩٥ س ١١ « مستغر بذنبه » . والصواب « مستغر » من الاستغثار
وهو معروف .

٦٠ — من ٢٠٢ س ١١ « ولقدِم قدم » . وعندى أن الأصل « ولقدِم عدم » .
والله يوفقنا وإياكم للصواب .

مصطفى مراد

ملاحظات للأستاذ كراوس

على الأجزاء الثلاثة من كتاب الإمتاع واللؤاسة لأبي حيان التوحيدي

الجزء الأول

- س ٣٨ : ٤ : بُكَّش ، والصواب : بَكَّش (Bakksus) .
 ٥٨ : ١٠ : ابن ثوبخت — ابن ثوبخت .
 د تطبيق ٢ : كان علي بن ربن الطبري نصرانياً لا يهودياً أسلم .
 ٧٩ : ٩ : يقفور ، صحه كرد علي قففور ، والصحيح : يقفور .
 ١٦٤ : ٣ : أدبوس ، والصواب : أديسوس (Odysseus) .
 د ٧ : للتصب ، والصواب للصمت كما في الديمري .
 ١٩٨ : ١٤ : و ٢٠٢ : ٢ : بحس من الإحساس ، والصواب : الأحساس جمع حس .

الجزء الثاني

- ن ٧٧ : ٦ : وهذا أخشى ، والصواب : إسحاق ، والإسحاقية فرقة من غلاة الشيعة
 قرية للنصب من التصيرية ، ذكرها العمريستان والميرجاني في التبرعات
 وغيرها ومؤسستها أبو يقوب إسحاق بن محمد بن أبان النخعي الكوفي
 للتوفى سنة ٢٨٦ هـ .
 د : د : قطي . والأصح : القطي .
 د ٧٨ : تطبيق ١ : ليست الراوندية من أتباع ابن الراوندي للحد بل من فرقة من أتباع
 عبد الله الراوندي ، قالت بالوهبة الخليفة منصور من آل بني عباس ، راجع
 مقالات الأشعري ص ٢١ وابن حزم ج ٤ ص ١٨٧ وابن الأثير وفتح
 سنة ١٤١ وما إليها من المصادر .
 د ٨٤ : ١٥ : و ٨٥ : ٢ : استثبتها ، وفي الأصل « أسباب إثباتها » أو « إثبات
 إثباتها » — أما الصواب بلا شك أنه « إثبات أثباتها » .
 س ٨٤ : ١٦ : إلى تحقيق إثباتها ، وفي الأصول : ما ينالها أو مسابها — والصواب :
 إلى تحقيق ما ثبتها ، والثانية تعادل الآية .
 د ٨٧ : ٢ : العبارة « بمنزلة » صحيحة وهي ترد مكثفاً كثير من الكتب المترجمة من
 اليونانية ومنها « مثل » .
 د ٨٧ : ٥ : والمُريَّتان ، والصواب : والميرتان أعني الرقة السوداء والمرّة الصفراء .
 د ٨٧ : ٦ : الأربع ، والأصح : الأربعة .

- ٩١ : ٢ : بالاستمرار : والصواب الاستمرار .
 » : ١٠ : ورضوا بالزهد ، وأظن الصواب : ووصوا كما في س ١٢ .
 ١٠٥ : ١٧ : لعل الصواب : أحذر [من القذب (أو القراب) وألمس] من العقبى . راجع
 الأمثال للبيداني .
 ١٠٧ : السطر الأخير : الطلق ، والصواب الطلق .
 ١٠٨ : ٥ : يرشح ؟ لعله يرشح ؟
 ١٠٨ : ٧ : اللثك ، والصواب اللثك .
 ١١٣ : ٥ : بالحد والاسم ، أليس الصواب : بالحد والرسم .
 » : ١٠ : و ١١ : ماله فيه (منه) ، والصواب عندي مائيته أو مائيته .
 ١٥٣ الخ : ليس اسم الشاعر اليوناني كندس بل هو لمبيكس (Ibykos) كما في
 الأصول وقصته مع الكراكي معهورة متداولة عند كتاب اليونان ، وقد
 اختارها Sobiecx موضوعاً لفصيدة له — أما اسم الملك فلا شك أنه
 محرف ، وكان المنتظر أن يكون Polykrakes الذي عاش لمبيكس الشاعر
 في أيامه . ويلاحظ أن اسم لمبيكس مصحح في فهرس الأعلام لهذا الجزء .
 فراجع .
 ١٥٧ الخ : يلهم صديق M. Stern على أن هذه القصة (قصة المحبوس واليهودي)
 وردت في رسائل إخوان الصفاء في الرسالة التاسعة من الجزء الأول منها
 (ص ٤٦ من القسم الثاني من الجزء الأول من طبعة بجاي) .
 ١٥٧ : ١٥ : سفرة ، وفي الأصول : في سفره ، والصواب ، كما في رسائل إخوان
 الصفاء : بنلة له عليها [كل ما يحتاج إليه للسافر] في سفره .

الجزء الثالث

- ١٠٨ : ١٦ : النفس عددٌ محركٌ بناته ، كذا في كلتا النسختين وهو صحيح لا يحتاج إلى
 تصحيح «عدد» بقرض — وهو حد مدرسة فوثاغورس للنفس ،
 راجع الترجمة المريسة للآراء الطبيعية لفلوطرخوس التي نقرتها في ملحق
 بحثي عن جابر بن حيان (ص ٣٢٢ من الجزء الثاني) : «وأما فوثاغورس
 فيرى أن النفس عددٌ محركٌ ذاته ويعني بقوله العدد الطل — ولعل
 الأسح أن يقرأ في «الإمتاع» محرك ذاته أو متحرك بناته .
 ١٣٠ السطر الأخير : موريس ؟ لعله أمورس ؟
 ١٤٢ : ٢ ، ١٥ : وكذلك ١٤٤ : ١٣ : الإحساس ، والصواب : الأحساس ، جمع
 الحس .
 ١٥٣ : ٧ : أظن أن قراءة لسنة ب (باب الشيعة) صحيحة ، فإن الشيعة تسمى وهمسها
 الذي يلي في الترتيب الإمام الغائب باباً .